

﴿ وَالْمَنَافِعِ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَنَافِعِ ﴾ {سورة الكهف ٦٥}

﴿ وَقِيلَ يَا أُولِي الْأَبْصَارِ إِنَّمَا سَأَلْتُمُوهُمُ الْغُيُوبَ فَكَيفَ يَعْلَمُونَهَا ﴾ {سورة طه ١١٤}

صَلَّى
الْعِظِيمِ

إلهام التفسير

الجزء الثاني

من تفسير سورة الأعراف (٧) إلى تفسير سورة طه (٢٠)

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ {سورة الفرقان ٣٣}

من أحدث النفايس - وهو مكون من ٤ أجزاء

للفقيه بالله تعالى

شكيب عبد الرحمن أحمد العبادلة

" أبو أحمد العبادلة "

طبعه وتقدمه وراجعته المهندس محمود شكيب العبادلة



شهادة تسجيل مصنف

رقم (94 - 2011م)

تشهد وزارة الاقتصاد بأن المصنف موضوع هذه الشهادة قد تم تسجيله بإدارة حقوق النشر والتأليف بتاريخ 28 / 2 / 2011م، وذلك وفقاً للنسخة المودعة لدى الإدارة ووفقاً للبيانات التالية:

- 1) اسم المصنف : إلهام التفسير
- 2) نوع المصنف : مادة مكتوبة
- 3) وصف المصنف : عبارة عن اسطوانة مدمجة مثبت عليها مادة مكتوبة عن تفسير للقرآن الكريم، وذلك حسب النسخة المودعة لدينا.
- 4) اسم المؤلف : السيد/شكيب عبدالرحمن أحمد العبادلة الجنسية: فلسطين
- 5) أسم صاحب حقوق المصنف : نفس البيانات أعلاه

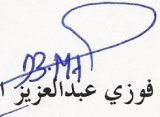
وقد سلمت الشهادة إلى السيد/ SAMEH ELABADLA الجنسية: غينيا

بصفته: الوكيل القانوني عن صاحب حقوق المصنف بموجب توكيل موثق لدى سفارة دولة دولة الإمارات العربية المتحدة بتاريخ 2011/2/22م

ملاحظة:

- لا يجوز تداول المصنف بناءً على هذه الشهادة، حيث يتعين الحصول على إجازة تداول مصنف من الجهة المختصة بالدولة.
- أي كشط أو تعديل في بنود هذه الشهادة أو فصل في مرفقاتها المختومة يُلغىها.

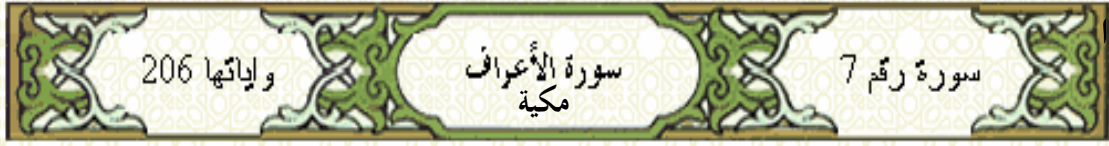
حررت في : 28 / 2 / 2011م


/ فوزي عبدالعزيز الجابري
مدير إدارة حقوق النشر والتأليف



طلب رقم (105 لسنة: 2011 بتاريخ 23 / 2 / 2011م)

www.economy.ae



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَصَّ ۝ كَتَبْنَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ ۖ وَذِكْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا
مَّا تَذَكَّرُونَ ۝﴾

{الْمَصَّ} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وبمنفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وباللغة التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جعلت في أول سور القرآن الكريم حتى يعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا

عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تَكُونِ الْقُرْآنِ من هذه الحروف العربية لَذُكِرَتْ في أوائل جميع سور القرآن. وليست كذلك طلاسماً لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢٠١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢٠١ لقمان. وعليه فإن معنى (الْمَصِّ) هو قوله تعالى: يعني " إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ {٣} عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {٤} تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ {٥} " ٣-٥ يس. والله أعلم مع ملاحظة التفسير هو تقريب المعنى للقارئ {كِتَابٌ} هو القرآن الكريم {أَنْزَلَ} أنزله الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة بالسماء الدنيا ثم نزل منجماً حسب الأحداث والوقائع بعضه في مكة وبعضه في المدينة المنورة {إِلَيْكَ} يا محمد يا رسول الله لتبلغه للناس {فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ} فلا يكن في خاطرك وفي نفسك وفي قلبك {حَرَجٌ مِّنْهُ} حرج وخجل وخوف ووجل من نزول القرآن عليك خوفاً من تكذيب الناس لك {لِتُنذِرَ بِهِ} لتحذر به الناس من عذاب الله تعالى يوم القيامة {وَذِكْرَى} وعظة وتذكير {لِلْمُؤْمِنِينَ} للذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم} اتبعوا أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر القرآن الكريم وهو ما

أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ {مِّن رَّبِّكُمْ} مِنَ اللَّهِ تَعَالَى جَل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وهو ربكم
وخالقكم ومحبيكم ومميتكم ورازقكم وربكم ورب العالمين ورب الكون والخلق كلهم
{وَلَا تَتَّبِعُوا} وَلَا تَتَّبِعُوا وَلَا تَقْتَفُوا أَثَرَ {مِن دُونِهِ} غيره {أَوْلِيَاءَ} أنصار وأنداد
{قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} قليلاً ما تعتبرون وتتعضون.

﴿وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ
إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ
وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصِنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ
يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ
مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾

{وَكَمْ} وعدد {مِّن قَرْيَةٍ} من القرى والمدن {أَهْلَكْنَاهَا} دمرناها وخربناها وعذبناها
{فَجَاءَهَا} فاتاها {بَأْسُنَا} عذابنا وهاكلنا {بَيِّنًا} مساءً عند نومهم {أَوْ هُمْ
قَائِلُونَ} أو في وقت قيلولتهم وهو وقت الظهيرة عندما يستريحون ، وكما قال
تعالى: "أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۚ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ " ٤٥، ٤٦ النحل.
{فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ} فما كان بيانهم وقولهم وحجتهم {إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا} عندما
جاءهم عذابنا وهاكلنا {إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ} اعترفوا بذنوبهم وظلمهم بكفرهم
وقد قال يونس عليه السلام وكما قال تعالى: " وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ
لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ

الظالمين " ٨٧ الأنبياء. وكما قال تعالى أيضاً: " وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْقَوْمِ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالِ
 أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ " ٣٠
 الأنعام. {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ} فسوف يسأل الله تعالى يوم القيامة الأمم
 عن الرسالات التي أرسلت إليهم يسأل أمة أو قوم كل رسول هل أطاعوا رسلهم أم
 فرطوا في دينهم وخالفوهم وكذبوهم وعصوهم {وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} ويسأل الله
 تعالى الرسل عن رسالتهم هل بلغوها وهل أطاعهم قومهم وكما قال تعالى: " يَوْمَ
 يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ " ١٠٩
 المائدة. {فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ} فلنخبرنهم بما عملوا ولنقول لهم عن جميع
 أعمالهم التي عملوها في الدنيا من خير أو شر وعندنا علمها ومعرفتها وكما قال
 تعالى: " وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ
 أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " ٦٠ الأنعام. وكما قال
 تعالى: " إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ " ٣٨ فاطر.
 {وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ} ولم يكن الله تعالى غائباً عن الناس وأعمالهم وكما قال تعالى:
 " وَوَضَعَ الْكِتَابَ وَجِيءً بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ {٦٩}
 وَوَفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ {٧٠} " ٧٠، ٦٩ الزمر. {وَالْوِزْنُ}
 هو ميزان الحسنات والسيئات يوم القيامة {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة {الْحَقُّ} الحق
 والصدق والعدل {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ} أي من ثقلت ورجحت كفة حسناته على
 سيئاته {فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} فأولئك هم الفائزون والناجحون والناجون من
 عذاب الله ومن نار جهنم {وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ} ومن خفت وطاشت حسناته
 وثقلت ورجحت سيئاته وذنوبه {فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ} خسروا أنفسهم

بهلاكهم في نار جهنم يوم القيامة {بِمَا كَانُوا بِغَايَتِنَا} بما كانوا بآيات القرآن الكريم وآيات الله الكونية {يَظْلِمُونَ} يكفرون ويظلمون أنفسهم بالشرك والمعاصي والذنوب ويهلكون أنفسهم ويعذبونها في نار جهنم يوم القيامة وكما قال تعالى: "فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ {٦} فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ {٧} وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ {٨} فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ {٩} وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ {١٠} نَارٌ حَامِيَةٌ {١١}" ١١-٦ القارعة. {وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ} أي ملكناكم وأورثناكم وقويناكم وعلمناكم كيفية خلافة الأرض من حرثها وزراعتها واستخراج خيراتها وكنوزها ومعادنها والسيطرة عليها وعلى مواردها وجعلناكم تتكيفون على تقلب الجو فيها من البرودة والحرارة والرطوبة والمسكن والملبس {وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا} وجعلنا لكم فيها وظائف مختلفة للعيش بها وتوفير الطعام والشراب والمسكن والملبس فمنهم من يزرع الأرض ويعمل في فلاحها ومنهم الصانع والمهندس والطبيب والحداد والنجار وباقي الحرف الأخرى كل في صنعه يطلب رزقه ومعيشته الطيبة والحسنة والرغيدة وكما قال تعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ دُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ" ١٥ الملك ، وكما قال تعالى: "نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ" ٣٢ الزخرف. {قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} وقليل منكم أيها الناس من يشكر الله تعالى على نعمه التي خلقها لهم في الأرض وكما قال تعالى: "وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ" ١٨ النحل.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾

{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ} ولقد خلقكم الله تعالى من العدم ثم من الطين ثم من الوالدين وكما قال تعالى: " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۖ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۖ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ " ١٢-١٤ المؤمنون. {ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ} ثم جعل صورتكم سواء الذكر أو الأنثى على الحسن والقبح والطول والقصر والجمال والذمامة والأبيض والأسود والأحمر في صور وأشكال شتى وكما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ {٦} الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ {٧} فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ {٨} " ٦-٨ الانفطار. {ثُمَّ قُلْنَا} ثم قال الله تعالى {لِلْمَلَائِكَةِ} وهم الملائكة المقربون ومنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ممن سيكون لهم مع آدم وذريته علاقة تبليغ الرسالة والحياة والرزق والموت وغير ذلك والله أعلم {اسْجُدُوا لِآدَمَ} وهو سجود حقيقي وهو سجود تكريم

لآدم وسجود طاعة لله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {فَسَجَدُوا} فأطاعوا وسجدوا لآدم عليه السلام {إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ} ما عدا إبليس لم يسجد ولم يطع حسداً لآدم وتكبراً ومعصية لله تعالى عز وجل علماً أن إبليس في تلك اللحظة كان له زوجة وذرية لقوله تعالى: "أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ" ولقوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" أي أن زوجة إبليس وذريته كانوا في الأرض قبل أن يخلق آدم عليه السلام وقبل أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ، وقيل أن اسم زوجة إبليس رسلاً {قَالَ} قال سبحانه وتعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} ما سبب منعك يا إبليس من السجود لآدم بعد أن أصدرت الأمر لك بالسجود لآدم {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ} قال إبليس رداً على الله تعالى أنا أفضل من آدم {خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ} قال إبليس خلقتني من نار وقد خلقه الله تعالى من لسان لهب النار المتوهجة وكما قال تعالى: "وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ" ١٥ الرحمن. {وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} أي خلقت آدم من طين فأخذ من وجه الأرض وخلط ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وسوداء وبيضاء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين الأبيض والأسود والأحمر ، وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ إِبْلِيسُ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٠٣]. {قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا} أي انزل من درجة ومنزلة العبادة والطاعة والسجود مع الملائكة {فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَّكِبَ فِيهَا} فلم يكن لك يا إبليس حق التكبر فيها بعدم السجود لآدم

{فَأَخْرَجَ إِنْكَ} أي انطرد من رحمة الله تعالى وأصبح {مِنَ الصَّغِيرِينَ} من الذليلين الحقييرين والمطرودين من رحمة الله تعالى {قَالَ أَنْظِرْنِي} قال أجلني وأخرني {إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ} إلى يوم القيامة وكما قال تعالى: " وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ " ٧ الحج. {قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ} قال إنك من المؤجلين والمؤخرين إلى يوم القيامة {قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي} قال إبليس فبحق آدم الذي أغويتني وأضلتني وأهلكتني بسببه {لَأَقْعُدَنَّ} لأتربصن {لَهُمْ} لآدم وذريته {صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ} لأبعدنهم ولأضلنهم عن الهدى والحق والعدل والطاعة والعبادة لك {ثُمَّ لَا تَنبَهُهُمْ} ثم أجيء لهم {مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ} في الصلاة لأشغلهم عنها أو فيها وأزين لهم ما تقع عليه أبصارهم من النساء والشهوات والملذات ومن تناول المسكرات والمحرمات {وَمِنْ خَلْفِهِمْ} بالغيبة والنميمة وغيرها {وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ} بواسطة الأهل والجيران والمعارف والأصدقاء والخليلات يفتنهم ويوسوس لهم {وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ} بالأعداء وبالجاسوسية والرشوة وخلافها {وَلَا تَجِدُ} ولا ترى {أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} أكثر بني آدم شاكرين لله أنعمه بالطاعة والعبادة والبعد عن المعاصي والذنوب والكفر والمحرمات {قَالَ} سبحانه وتعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَخْرَجَ مِنْهَا} أخرج يا إبليس وانصرف من هذه الغطرسة {مَذْمُومًا} مذمومًا ملعونًا {مَذْحُورًا} مبعداً من الطاعة والرحمة والرضا من الله تعالى {لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ} من تبعك منهم وأطاعك وعصى الله تعالى من الجن والإنس {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} سأدخلنكم في نار جهنم يوم القيامة لتمتلي بكم أيها الجن والإنس كل من عصى منكم وكما قال تعالى: " وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ

قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا
 أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ
 عَلِيمٌ" ١٢٨ الأنعام. وقيل إن إبليس رأى على باب الجنة أن لله عبداً من المقربين
 يأمره بأمر فلا يمتثل أمره فقال يا رب ائذن لي أن ألعنه فلعن نفسه ألف عام وكان
 اسمه في السماء الدنيا (العابد) وفي الثانية (الراكع) وفي الثالثة (الساجد) وفي الرابعة
 (الخشع) وفي الخامسة (القانت) وفي السادسة (المتهجد) وفي السابعة (الزاهد)
 وسمي إبليس لأنه أبلس من رحمة الله أي طرد من رحمة الله. [نزهة المجالس ج ٢
 ص ٢٩]. وكما قال تعالى: "إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ" ٥٠
 الكهف. مع ملاحظة أن إبليس أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس.

﴿ وَيَتَّكِدُمْ أَسْكُنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ
 الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ
 عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءٍ تَهُمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ
 أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿١٢﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿١٣﴾ فَدَلَّهُمَا
 بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاءُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ
 الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا
 عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
 الْخَاسِرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى
 حِينٍ ﴿١٦﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿١٧﴾

{ وَيَتَّكِدُمْ } وهو أبو البشر جميعاً { أَسْكُنَ } عش وأقم { أَنْتَ وَزَوْجُكَ } يعني أنت
 يا آدم وزوجتك حواء { الْجَنَّةَ } وهي الجنة الحقيقية فوق السماء السابعة وتحت

العرش وليس هي ربوة في الأرض وشاهدٌ على ذلك قوله تعالى: " فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى {١١٧} إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى {١١٨} وأنت لا تظمأ فيها ولا تصحى {١١٩} " ١١٧-١١٩ طه. وهذا يدل على أن الجنة التي فيها آدم لا يضحى أي لا تخرج عليها الشمس وقت الضحى ولا يكون ذلك إلا في الجنة الحقيقية أما لو كان بستاناً أو حديقةً في ربوة في الدنيا فإن الشمس تطلع عليها وهذا عكس ما جاء في الآيات السابقة لأنه لا يوجد فيها شمس ولا ضحى ولا جوع ولا عري ولا ظمأ فهي الجنة الحقيقية وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه دخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة). [سبل السلام ج ١ ص ٤٥]. {فكلا من حيث شئتما} فكلا يا آدم أنت وزوجتك حواء من حيث أردتما ورغبتما من ثمار الجنة {ولا تقربا هذه الشجرة} ولا تقربا شجرة الحنطة كما قال سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: (إنها السنبله). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٠٦]. والخبز منها {فتكونا من الظالمين} فتكونا أنت وزوجتك حواء من الظالمين أي تظلمان أنفسكما بالمعصية وبالطرد من الجنة {فوسوس} قال وحدت وزين وزخرف كما قال تعالى: " كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين " ١٦ الحشر. وكما قال تعالى: " ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد " ١٦ ق. أي الوسوسة هي الحديث والقول المعسول بالتزيين والزخرفة لعمل شيء فيه ذنب أو معصية {هُمَا} لآدم وحواء {الشيطان} وهو إبليس ، والشيطان ما شط وابتعد عن الحق

{لِيُبَدِيَ} ليظهر {هُمَا} لآدم وحواء {مَا وُدِرِيَ} ما خفي وستر {عَنْهُمَا} عن الرؤية {مِنْ سَوَاءِ تَهُمَا} من الفرج والذكر ، قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي ابن الحسين بن إشكاب حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله خلق آدم رجلاً طويلاً كثيراً شعر الرأس كأنه نخلة سَحُوق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر إلى عورته جعل يَشْتَدُّ في الجنة فأخذتُ شعره شجرة فنازعها فناداه الرحمن: يا آدم منِّي تفر؟ فلما سمع كلام الرحمن قال: يا رب لا ولكن استحياءً رأيت إن تبت ورجعت أعائدي إلى الجنة؟ قال: نعم). فذلك قوله: " فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ". [ابن كثير ج ٣ ص ١٦٨]. {وَقَالَ} وقال الشيطان {مَا نَهَيْكُمَا} ما منعكما {رَبُّكُمَا} الله تعالى ربكما وخالفكما {عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ} وهي شجرة الحنطة كما أسلفنا {إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً} إلا خوفاً من أن تصبحا من الملائكة ملكين {أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} أو خوفاً أن تخلدا في الجنة ولا تموتان ولا تخرجان منها {وَقَاسَمَهُمَا} وحلف وأقسم بأيمان مغلظة {إِنِّي لَكُمْ لَمِنَ النَّاصِحِينَ} إني ناصح أمين لكما {فَدَلَّنَهُمَا بِغُرُورٍ} فأوقعهما في المعصية ودلهما بكذب وغررهما وأوقعهما في الذنب والمعصية {فَلَمَّا ذَاقَا} فلما أكلا {الشَّجَرَةَ} شجرة الحنطة {بَدَتْ} ظهرت {هُمَا} آدم وحواء {سَوَاءِ تَهُمَا} عوراتهما الذكر والفرج {وَطَفِقَا تَخْصِفَانِ} وبدءا يقطفان ويقطعان {عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} يضعان عليهما من ورق الجنة ، قيل أنه من ورق التين. [ابن كثير ج ٣ ص ١٦٣]. {وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا} وكلمهما ربهما {أَلَمْ أَنهَىكُمَا} ألم أمنعكما {عَنْ تَلْكُمَا} عن ذلك أو تلك {الشَّجَرَةَ} شجرة الحنطة

{وَأَقْلَ لَكُمْ} وأنصحكما {إِنَّ الشَّيْطَانَ} إن إبليس وهو الشيطان وهو ما شط عن الحق وبعد عنه {لَكُمْ} يا آدم وحواء {عَدُوٌّ مُّبِينٌ} عدو شديد العداوة والبغضاء لكما {قَالَ} آدم وحواء {رَبَّنَا} ربنا وإلهنا وخالقنا {ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا} ظلمنا أنفسنا بالمخالفة والمعصية والذنوب بأكلنا من الشجرة التي نهيتنا عنها {وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا} وإن لم تعف وتتجاوز عنا {وَتَرَحَّمْنَا} أن تنجيننا من عذابك وسخطك وترحمنا بالعتو عنا ودخولنا الجنة {لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} لنصبح من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم بالعذاب وخسروا جنتهم وخسروا الدنيا والآخرة {قَالَ} قال الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَهْبِطُوا} أي انزلوا من الجنة التي هي فوق السبع سماوات وتحت العرش إلى الأرض التي نحن عليها الآن {بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ} بعضكم مع بعض {عَدُوٌّ} أي أعداء أي الواحد يعادي أخاه كما فعل قابيل وهابيل أو يعادي ابنه كما فعل آزر لإبراهيم عليه السلام أو الزوجة لزوجها كما فعل نوح أو لوط أو العم لابن أخيه كأبي لهب مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهكذا تقع العداوة بين الناس لميراث أو وظيفة أو إمارة أو تجارة أو امرأة أو مال تجعل بين الناس الحسد والعداوة {وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ} أي لكم في الأرض مقر ومسكن ومأوى وكما قال تعالى: " مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى " ه ه طه. {وَمَتَّعٌ} تمتع بالحياة الدنيا وزينتها وتفآخرها وطعامها وشرابها {إِلَىٰ حِينٍ} إلى يوم القيامة {قَالَ} قال الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {فِيهَا} في الأرض {تَحْيَوْنَ} تعيشون الحياة الدنيا وأنتم أحياء {وَفِيهَا} وفي الأرض {تَمُوتُونَ} تنتقلون إلى الرفيق الأعلى بالموت

{وَمِنْهَا} ومن الأرض {تُخْرَجُونَ} تخرجون يوم القيامة وتبعثون للحساب والعقاب والجزاء والثواب.

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٦﴾﴾ يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾

{يَبْنِيْءَ آدَمَ} يا أولاد آدم وذريته من الرجال والنساء {قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ} قد خلق الله لكم وأنزله من فضله {لِبَاسًا} وهو يطلق على جميع الملابس الذي نلبسه {يُؤَارِي} يستر ويخفي {سَوْءَاتِكُمْ} عوراتكم الفرج والذكر وكذلك جميع جسم المرأة ما عدا وجهها وكفيها لأنها عورة كما قال صلى الله عليه وسلم: (المرأة عورة). [فقه المذاهب الأربعة ص ٩٨]. {وَرِيشًا} أي ريش الطيور كريش النعام والطاووس وكثيراً ما يستخدم في الفرش واللحاف ولباس يستخدم كالزينة للرأس والعمائم والتاج على الرأس {وَلِبَاسُ التَّقْوَى} وهو الإيمان والتقوى واجتناب محارم الله تعالى وخشيته {ذَٰلِكَ خَيْرٌ} ذلك هو أفضل لباس للعبد لأن التقوى والصلاح والورع تستر العبد وعورته في الدنيا بين الناس من السمعة السيئة ومن أعمال الشر والسوء والذنب والمعصية وفي الآخرة تستره من عذاب يوم القيامة أي يا أيها المؤمنون عليكم بالتقوى والصلاح والورع {ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ} ذلك اللباس من آيات الله ومعجزاته لأنها تمنع برد الشتاء وحر الصيف عن أجساد بني آدم {لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} لعلهم يتعظون بأن الله تعالى جعل اللباس والثياب نعمة لبني

آدم منه سبحانه وتعالى ليقبهم البرد والحر {يَبْنِيْ عَادَمَ} يا أولاد آدم وذريته {لَا يَفْتِنَنَّكُمْ} لا يضلنكم ولا يغرنكم ولا يوقعكم في الذنب والمعصية {الشَّيْطَانُ} وهو إبليس وذريته {كَمَا أَخْرَجَ} كما طرد وأخرج {أَبْوَيْكُمْ} آدم وحواء {مِّنَ الْجَنَّةِ} وهي الجنة الحقيقية التي هي توجد بين السماء السابعة وتحت العرش وليس هي حديقة أو بستان على ربوة كما يظن البعض لما أسلفنا وكما قال تعالى: " وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى " ١١٩ طه. لأنه لا شمس فيها ولا ضحى أما لو كانت الجنة على الأرض لكان فيها شمس وضحى وهذا يخالف الحقيقة والواقع {يَنْزِعُ عَنْهُمَا} يخلع عنهما ستر وحجاب النور الذي كان يسترهما {لِبَاسَهُمَا} أي سترهما ولباس النور الذي كان يحجبهما {لِيُرِيَهُمَا} ليكشف عنهما حجاب الستر عن {سَوَاءٍ لَّهُمَا} عوراتهما الذكر والفرج وهو ما يسوءهما لأن كشف العورة فيه إساءة وفضيحة لهما {إِنَّهُ} الشيطان {يَرِنُكُمْ} ينظر إليكم ويرى عوراتكم {هُوَ} أي إبليس {وَقَبِيلُهُ} أي ذريته وقومه من الجن {مِّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ} فإنكم يا بني آدم لا ترون الشياطين والجن لأنهم محجوبون هم والملائكة عن أبصارنا إلا من أراد الله له أن يراهم أو هم إذا ظهروا له في صورة كلب أو ثعبان أو غير ذلك {إِنَّا} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ} جعل الشياطين أولاد إبليس وهم من كفر من الجن كما قال تعالى: " وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا " ١٤ الجن علماً بأن إبليس هو أبو الجن كما أن آدم أبو البشر لما جاء في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من مارح من نار وخلق آدم مما وصف لكم). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٠٣].

{أَوْلِيَاءَ} أنصار وأعوان على المعصية والذنب والشر كتفريق المرء وزوجه وعقد الرجل ورباطه عن زوجته وأعمال الشر والسحر الأخرى {لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} للكفار والعصاة من بني آدم وهم الذين لا يصدقون بالحساب والعقاب والجزاء والثواب يوم القيامة.

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

{وَإِذَا فَعَلُوا} إذا ارتكبوا أو عملوا {فَحِشَةً} ذنباً أو معصية {قَالُوا} قال الكفار {وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا} وجدنا عليها آباءنا يفعلون ذلك قبلنا {وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا} والله هو الذي أمرنا بها ما دام أجدادنا وآباؤنا يعملون بها {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله رداً عليهم {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى عز وجل وعظم قدره وعلا شأنه {لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ} لا يأمر بالذنب والمعصية والمنكر والسوء {أَتَقُولُونَ} هل تقولون وتدعون كذباً {عَلَى اللَّهِ} افتراءً على الله تعالى {مَا لَا تَعْلَمُونَ} ما لا تعلمون علم اليقين والحق والصدق {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ} بل أمر ربي بالعدل والحق وكما قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " ٩٠ النحل. {وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} أقيموا وجوهكم

بالصلاة في اتجاه القبلة في كل مسجد تصلون فيه {وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ} وادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ومخلصون في العبادة لله تعالى وحده {الَّذِينَ} هو دين الإسلام كما قال تعالى: " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " ٨٥ آل عمران. {كَمَا بَدَأَكُمْ} كما خلقكم وأحياكم أول مرة {تَعُودُونَ} تعودون للحياة وتبعثون من جديد يوم القيامة {فَرِيقًا هَدَى} فريقاً هداهم الله تعالى لطاعته وعبادته وهم المؤمنون {وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ} وفريقاً وجب عليهم الضلال والمعصية والكفر والذنوب وهم الكفار وأهل المعاصي {إِنَّهُمْ} وهم الكفار {اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ} لأنهم اتخذوا الشياطين أعواناً وأنصاراً لهم على المعصية والشر والكفر {مِنْ دُونِ اللَّهِ} بدون عبادة الله والتوكل عليه والالتجاء إليه والنصرة وطلب العون منه تعالى {وَمَحْسَبُونَ} ويظنون {أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ} أنهم على هدى وعلى حق وعلى بينة وهدى.

﴿ يَبْنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ﴿٧﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴿

{يَبْنِي ءَادَمَ} يا أولاد آدم وذريته {خُذُوا زِينَتَكُمْ} تزينوا بالغتسل والطيب ولباس أوفر الثياب {عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} عند زهابكم للصلاة في كل مسجد وخاصة لصلاة

الجمعة والعيدين كما كان يفعل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك لمقابلة الوفود للرسول صلى الله عليه وسلم ومنها عدم أكل ما له رائحة كريهة كالثوم والبصل والكراث وحتى يكون المسلم في أحسن هيئة وصورة وهي من شروط الصلاة طهارة البدن والثوب والمكان **{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا}** كلوا الطعام واشربوا الشراب الحلال **{وَلَا تُسْرِفُوا}** أي لا تبذروا في ألوان الطعام والشراب والأكل أكثر من المقرر وزيادة عن الحاجة حتى لا تصير تخمة أو سمنة مفرطة أو تزيد كميات كبيرة عن الوجبة الواحدة وتلقى في القمامة وكذلك الإسراف يؤدي للفقر والحاجة في المال والجسم بالأمراض والسمنة المفرطة **{إِنَّهُر}** إنه الله تعالى عز جلاله وعظم قدره وعلا شأنه **{لَا تُحِبُّ}** يبغض **{الْمُسْرِفِينَ}** المبذرين والزائدين عن الحد كما قال تعالى: " **إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا** " ٢٧ الإسراء. وكما جاء في الحديث قال الإمام أحمد: حدثنا بهز حدثنا همام عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده). [ابن كثير ج ٢ ص ٢١٠]. وقال أيضاً الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة حدثنا سليمان بن سليم الكناني حدثنا يحيى بن جابر الطائي سمعت المقدم بن معد يكره العبدى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان فاعلاً لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه). [رواه النسائي والترمذي من طرق عن يحيى بن جابر به وقال الترمذي حسن وفي نسخة حسن صحيح - ابن كثير ج ٢ ص ٢١٠]. **{قُلْ}** قل يا محمد يا رسول الله **{مَنْ}** مَنْ هو الذي **{حَرَّمَ}** جعله حراماً ومحرماتاً وممنوعاً **{زِينَةَ اللَّهِ}** الزينة في اللباس والتطيب والغسل

{الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ} التي خلقها وجعلها لعباده يلبسونها ويتزينون بها فهي ليست حراماً ولا ممنوعة للرجال والنساء ما عدا الذي استثنى منها للرجال من الحرير والذهب فهما محرمان على الرجال دون النساء وكما جاء في الحديث عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أُحِلَّ الذَّهَبُ وَالْحَرِيرُ لِإِنَاثِ أُمَّتِي وَحَرَمَ عَلَيَّ ذِكُورَهُمَا). [رواه أحمد والنسائي وصححه - سبل السلام ج ٢ ص ٨٦]. وعن حذيفة رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه). [رواه البخاري - سبل السلام ج ٢ ص ٨٤]. {وَالطَّيِّبَاتِ} والحلال وما طاب أكله {مِنَ الرِّزْقِ} من رزق الله من الطعام والشراب فهو حلال ما عدا المحرم منها مثل الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر وغيرها {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {هِيَ} أي الزينة في اللباس والثياب والطيبات الحلال من المأكل والمشرب {لِلَّذِينَ ءَامَنُوا} للمؤمنين {فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} أي في حياتهم الدنيا {خَالِصَةً} طيبة وهنيئة في الدنيا {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} وكذلك خالصة وطيبة وهنيئة ومريئة كذلك في يوم القيامة {كَذَلِكَ} وهكذا {نُفِصِلُ} نوضح ونبين {الْآيَاتِ} آيات القرآن الكريم {لِقَوْمٍ يَعْمُونَ} لقوم وهم المؤمنون الذين يعلمون أن الله تعالى هو الخالق وهو الرازق وهو المحلل وهو المحرم {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي} إنما جعل الله تعالى وهو ربي حراماً وممنوعاً {الْفَوَاحِشَ} المعاصي والذنوب وهو ما فحش وعظم وما فيه حد مثل الزنا والسرقعة والقتل {مَا ظَهَرَ مِنْهَا} وهو العلن والقبلة وشرب الخمر وكل ما كان في العلن

{وَمَا بَطَّنَ} وما خفي من الزنا والسرقة والقتل غدراً وغيرها {وَالْإِثْمَ} والذنب الذي يؤثم صاحبه ويتحمل تبعته يوم القيامة وكما جاء في الحديث قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير عن أبيه عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإثم فقال: (الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع الناس عليه). [ابن كثير ج ٢ ص ١٦٨]. {وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} والظلم والتجبر بدون حق {وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ} وأن تجعلوا لله نداً وشريكاً {مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا} ما لم ينزل به علماً وبياناً في كتابه {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ} وأن تقولوا قولاً لا تعلمون حقيقته ولا تعلمون تأكيده بل تظنون وتكذبون وكما قال تعالى: " مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخِذِي الْمُضِلِّينَ عَضُدًا " ٥١ الكهف.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾

{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ} ولكل أمة وقوم وجيل وقرن {أَجَلٌ} عمر ومدة من الزمن محده {فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ} فإذا جاءت نهاية عمرهم بالموت {لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً} لا يتأخرون عن ميعاد أجلهم ساعة من نهار ولا دقيقة ولا ثانية ولا لحظة {وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} ولا يتقدمون عن موعد أجلهم لا ساعة ولا دقيقة ولا ثانية ولا لحظة بل موعد محدد بالضبط كما يأمر الله تعالى الملك الموكل بالنطفة فيأمر فيه نفخ الروح وعمره وأجله وشقي أو سعيد وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً

ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وعمره وعمله وشقي أو سعيد). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٢].

﴿يَبْنِيْٓ اٰدَمَ اِمًا يَّاۤتِيۡنَكُمْ رُّسُلٌ مِّنْكُمْ يَقْصُوۡنَ عَلَيۡكُمْ اٰيٰتِيۡ فَمَنۡ اٰتَقٰۤى وَاَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيۡهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوۡنَ ﴿٦٥﴾ وَالَّذِيۡنَ كَذَّبُوۡا بِآيٰتِنَا وَاَسْتَكْبَرُوۡا عَنۡهَا اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ هُمۡ فِيهَا خٰلِدُوۡنَ ﴿٦٦﴾ فَمَنۡ اَظْلَمُ مِمَّنۡ اَفْتَرٰى عَلٰى اللّٰهِ كَذِبًا اَوْ كَذَّبَ بِآيٰتِنَاۤءِ اُولٰٓئِكَ يَنٰهٰهُمۡ نَصِيۡهُمۡ مِّنَ الْكِتٰبِ حَتّٰىۤ اِذَا جَآءَهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡهُمۡ قَالُوۡا اٰيۡنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُوۡنَ مِّنۡ دُوۡنِ اللّٰهِ قَالُوۡا ضَلُّوۡا عَنَّا وَشَهِدُوۡا عَلٰى اَنۡفُسِهِمۡ اَنَّهُمۡ كٰنُوۡا كٰفِرِيۡنَ ﴿٦٧﴾﴾

{يَبْنِيْٓ اٰدَمَ} يا اولاد آدم وذريته الرجال والنساء {اِمًا يَّاۤتِيۡنَكُمْ رُّسُلٌ مِّنْكُمْ} إذا جاءكم رسل الله تعالى منكم أيها البشر كما قال تعالى: " لَقَدْ جَآءَكُمۡ رَسُوْلٌ مِّنۡ اَنۡفُسِكُمۡ عَزِيۡزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيۡصٌ عَلَيۡكُمْ بِالْمُؤْمِنِيۡنَ رَءُوۡفٌ رَّحِيۡمٌ " ١٢٨ التوبة.

{يَقْصُوۡنَ عَلَيۡكُمْ} يقرؤون عليكم ويحدثونكم ويخبرونكم ويتلون عليكم {اٰيٰتِيۡ} آيات القرآن الكريم {فَمَنۡ اٰتَقٰۤى} فمن اتقى الله وخافه في محارمه {وَاَصْلَحَ} وأصلح عمله بالطاعة والعبادة وأعمال الخير في رضا الله تعالى {فَلَا خَوْفٌ عَلَيۡهِمْ} فلا خوف عليهم في الدنيا من المعاصي لعملهم بطاعة الله تعالى ولا يخافون من عذاب الله تعالى لذلك {وَلَا هُمْ يَحْزَنُوۡنَ} ولا يحزنون في الآخرة لأن الجنة موعدهم ولا يحزنون على الدنيا لأن الجنة أفضل منها بدرجات {وَالَّذِيۡنَ كَذَّبُوۡا} والذين كذبوا وجحدوا {بِآيٰتِنَا} بآيات القرآن الكريم {وَاَسْتَكْبَرُوۡا عَنۡهَا} وتكبروا عن الأخذ أو التصديق بها {اُولٰٓئِكَ} هؤلاء {اَصْحٰبُ النَّارِ} أهل النار وسكانها وهي

في صحبتهم يوم القيامة {هُم} المكذبون والكفار {فِيهَا} في نار جهنم {خَالِدُونَ} دائمون {فَمَنْ أَظْلَمُ} لا أحد أظلم ولا أكثر ظلماً {مِمَّنْ أَفْتَرَى} اختلق {عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} على الله كذباً وافترأً وتكذيباً بأن له شريكاً أو ولداً {أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ} أو كذب وجحد وأنكر آيات القرآن الكريم {أُولَئِكَ} هؤلاء المكذبون والجاحدون والمنكرون {يَنَاهُهُمْ} يأخذهم ويصيبهم ويقع عليهم {نَصِيبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ} جزء من العذاب الذي نص عليه كتاب الله للمكذبين والجاحدين والمنكرين لآيات الله كما جاء في الآية السابقة وهي قوله تعالى: " وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " ٣٦ الأعراف. {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا} حتى إذا جاءتهم ملائكة الموت وهم رسل من عند الله {يَتَوَفَّوْنَهُمْ} يميتونهم {قَالُوا} قالت ملائكة الموت للمتوفى {أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ} أين ما كنتم تشركون وتدعون {مِن دُونِ اللَّهِ} غير الله تعالى من الأصنام والأوثان والأنداد {قَالُوا} قال الكفار والمكذبون والجاحدون بآيات الله {ضَلُّوا عَنَّا} تاهوا وذهبوا عنا وفقدناهم ولم نجدهم {وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ} وشهدوا شهادة الحق والندم {أَنَّهُمْ} الكفار والمكذبون {كَانُوا كَافِرِينَ} أنهم كفروا بالله تعالى.

﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْنَاهُمْ لِأَوْلِيَّائِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَقَالَتْ أَوْلِيَّتُهُمْ لِأُخْرَيْنَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٦٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۗ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٧٠﴾ هُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۗ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧١﴾﴾

{ قَالَ } قال الله تعالى { ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ } ادخلوا أيها الكفار في زمرة أمم ومع أمم { قَدْ خَلَتْ } قد مرت وذهب زمانها ووقتها { مِنْ قَبْلِكُمْ } من الأمم السابقة قبلكم { مِنَ الْجِنَّ } وهم إبليس وذريته { وَالْإِنْسِ } ذرية آدم عليه السلام { فِي النَّارِ } في نار جهنم { كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ } كلما دخلت أمة أو قوم في نار جهنم { لَعْنَتْ أُخْتَهَا } لعنتها أي شتمتها وسببتها أي شتمت وسبت من هي على شاكلتها في الذنب والمعصية والعذاب { حَتَّىٰ إِذَا آدَارَكُوا فِيهَا } حتى إذا اجتمعوا وكملوا وتم دخولهم في نار جهنم { جَمِيعًا } أي كلهم من العصاة وأهل النار { قَالَتْ أُخْرَيْنَاهُمْ } قال آخر من يدخل منهم النار { لِأَوْلِيَّائِهِمْ } لأول من دخل منهم وهم السادة والأمراء والجبابة والطغاة ورؤوس الكفر فيهم { رَبَّنَا } ربنا وإلهنا وخالقنا ورب الخلق كلهم { هَؤُلَاءِ } هؤلاء علية القوم وساداتهم وكبرائهم { أَضَلُّونَا } غرروا بنا وأوقعونا في المعصية { فَفَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ } زد عليهم العذاب في نار جهنم لإضلالهم

لنا { قَالَ } قال الله تعالى عز جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وبان عدله { لِكُلِّ } لكل واحد من السادة أو من العبيد ومن الكبراء والعظماء والعامّة وأولاهم وأخراهم لكل واحد { ضِعْفٌ } أي مرتين من العذاب { وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ } ولكن لا تعلمون أني معذبكم جميعاً في نار جهنم { وَقَالَتْ أُولَهُنَّ } وقال أول من يدخل النار منهم من رؤوس الكفر { لِأُخْرِنَهُمْ } للعبيد والخدم والعامّة { فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ } ليس لكم علينا من ميزة في تخفيف العذاب عنكم بل ستعذبون مثلنا سواء بسواء { فَذُوقُوا الْعَذَابَ } فذوقوا شدة العذاب وتعذبوا في النار { بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ } بما كنتم تعملون { إِنَّ } للتوكيد { الَّذِينَ كَذَّبُوا } الذين كذبوا وجحدوا وأنكروا { بِآيَاتِنَا } بآيات القرآن الكريم { وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا } وتكبروا وأعرضوا عنها والعمل بها استكباراً واستعلاءً وعظمة عن الأخذ بها أو العمل بها { لَا تُفْتَحُ } لا تفتح { لَهُمْ } للكفار والعصاة { أَبْوَابُ السَّمَاءِ } أبواب السماء التي يصعد منها عملهم أو دعاؤهم أو أرواحهم عند موتهم وكما قال تعالى: " وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا " ١٩ النبأ. { وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ } ولا يدخلون الجنة يوم القيامة أبداً { حَتَّى يَلْبِغَ } حتى يدخل { الْجَمَلُ } وهو الواحد من الإبل أو الواحد من الجمال { فِي سِمِّ } الخياط { فِي خَرَمِ الْإِبْرَةِ } أو فتحتها والخياط هو الإبرة أو كل ما يخاط به الثياب وغيرها وهذا يدل على استحالة دخول الكفار الجنة { وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ } وكذلك نحاسب ونعاقب من أجرم في حق الله تعالى وعصى وأذنب وكفر وكما جاء في الحديث وقد رواه الإمام أحمد بطوله فقال: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال: خرجنا

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولمَّا يُلْحَدُ فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال: (استعيذوا بالله من عذاب القبر - مرتين أو ثلاثاً - ثم قال: (إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحُوط من حُوط الجنة حتى يجلسوا منه مدّ البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان). قال: (فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط. ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له وما عملك فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة فيأتيه من روحها "طيبها" ويفسح له في قبره مدّ البصر قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن

التياب طيب الريح فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول له من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي. قال وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مدّ البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط الله وغضب قال فتفرّق في جسده فينتزعها كما ينتزع السّفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملام من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ " فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجّين في الأرض السفلى ، فتطرح روحه طرْحاً ثم قرأ: " وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ " فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان ما دينك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرّها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلّاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر فيقول أنا عملك

الخبِيث فيقول رب لا تقم الساعة). [ابن كثير ج ٢ ص ٢١٣]. {هُمَّ} للكفار {مِنْ جَهَنَّمَ} من نار جهنم وعذابها {مِهَادٌ} فراش {وَمِنْ فَوْقِهِمْ} ومن فوق رؤسهم {غَوَاشٍ} دخان كثيف وفيه حر شديد أي فراشهم وغطاؤهم نار ودخان وعذاب شديد {وَكَذَلِكَ} وهكذا {نَجْزِي} نحاسب ونعاقب ونعذب {الظَّالِمِينَ} الظالمين لأنفسهم بالكفر والعناد والمعاصي.

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥١﴾ وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَن تِلْكُمْ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

{وَالَّذِينَ ءَامَنُوا} وهم المؤمنون الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الصالحات من الأعمال والطيبات والعبادات وأعمال الخير {لَا نُكَلِّفُ} لا نُحْمَلُ {نَفْسًا} من الرجال أو النساء {إِلَّا وُسْعَهَا} إلا ما هو في طاقتها وتستطيعه بسهولة ويسر ودون مشقة {أُولَٰئِكَ} هؤلاء هم {أَصْحَابُ} أهل {الْجَنَّةِ} وهي الجنة يوم القيامة {هُمَّ} المؤمنون {فِيهَا} في الجنة {خَالِدُونَ} دائمون فيها يوم القيامة {وَتَزَعْنَا} وأخذنا وأخرجنا {مَا فِي صُدُورِهِمْ} ما في أنفسهم وما في قلوبهم {مِّنْ غَلٍّ} من حقد وكرهية وبغض وحسد {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ} تجري أنهار الجنة تحت قصورهم {وَقَالُوا} قال المؤمنون {الْحَمْدُ لِلَّهِ} الشكر والثناء والحمد لله تعالى وحده {الَّذِي هَدَانَا} الذي أرشدنا وهدانا ودلنا على طاعته {لِهَذَا} ليدين الإسلام والعبادة والطاعة لله وحده

لا شريك له {وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} وما كنا لنهتدي للإيمان والطاعة والعبادة لولا فضل الله ورحمته وهدايته وعنايته لنا {لَقَدْ جَاءَتْ} لقد أتت {رُسُلٌ} الرسل الذين أرسلوا لنا بكتبهم وهدايتهم من قبل {رَبِّنَا} الله تعالى ربنا ورب الخلق كلهم {بِالْحَقِّ} بالصدق والعدل والهداية {وَنُودُوا} نادى عليهم مناد الله تعالى من الملائكة {أَنْ تَلْكُمُ الْجَنَّةُ} أن هذه هي تلك الجنة {أُورِثْتُمُوهَا} دخلتموها وتوارثتموها {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} بما عملتم من الطاعات والعبادات والأعمال الصالحة والطيبة وأعمال الخير في رضا الله تعالى.

﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَيَبْهَمَانِ حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

{وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ} ونادى أهل الجنة وهم المؤمنون والصالحون ومن دخلها برحمة الله تعالى {أَصْحَابَ النَّارِ} أهل النار وسكانها من الكفار والمشركين والمنافقين والمذنبين والعصاة {أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا} أن قد وجدنا ولا قينا ما وعدنا الله تعالى وبشرنا به في كتابه الكريم وعلى لسان رسله {حَقًّا} صدقاً وعدلاً وحقيقة وهو أن من آمن وعمل صالحاً فجزاؤه الجنة وها نحن قد دخلنا الجنة حقاً وصدقاً {فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ} فهل لاقيتم ما وعد وما حذر به {رَبُّكُمْ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وهو ربكم وخالقكم ورب الكون كله {حَقًّا} حقاً

وصدقاً وعدلاً وحقيقةً {قَالُوا} قال الكفار والمنافقون والعصاة والمذنبون {نَعَمْ} أي نعم دخلنا النار ووجدنا عذابها وسعيرها لكفرنا وشركنا ونفاقنا {فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ} فنادى مؤذن من الملائكة بين أهل الجنة وأهل النار بصوت يسمعه الجميع {أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ} سخط الله وعذابه وهلاكه واقع {عَلَى الظَّالِمِينَ} الظالمين لأنفسهم بالمعاصي والذنوب والمخالفة والكفر والشرك ومصيرهم إلى النار {الَّذِينَ يَصُدُّونَ} وهم الذين يمنعون {عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} عن الدخول في الإسلام وفي الإيمان {وَيَبْغُونَهَا} ويريدونها {عِوَجًا} إنحرافاً وضلالاً وفساداً وظلماً وجوراً وكفراً {وَهُمْ} الكفار {بِالْآخِرَةِ} يوم القيامة {كَافِرُونَ} جاحدون ومنكرون ومكذبون {وَبَيْنَهُمَا} وبين الكفار والمؤمنين أي بين أهل الجنة وأهل النار {حِجَابٌ} سور وحاجز {وَعَلَى الْأَعْرَافِ} الأعراف مكان مرتفع بين الجنة والنار يدخله كل من استوت سيئاتهم وحسناتهم ومنهم على سبيل المثال ناس عصوا آباءهم وقتلوا في سبيل الله كما في الحديث الآتي ومنهم كذلك أولاد الزنا كما حكاه القرطبي. [ابن كثير ج ٢ ص ٢١٧]. وكذلك مؤمني الجن كما سيأتي بالأحاديث الدالة على ما تقدم عن أهل الأعراف وقد روى الحافظ أبو بكر ابن مردويه حديثاً قال: حدثنا عبد الله ابن إسماعيل حدثنا عبيد بن الحسن حدثنا سليمان بن داود حدثنا النعمان ابن عبد السلام حدثنا شيخ لنا يقال له أبو عباد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر ابن عبد الله قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن استوت حسناته وسيئاته فقال: (أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون). [ابن كثير ج ٢ ص ٢١٦]. وكذلك الأمر بالنسبة لناس قتلوا في سبيل الله بمعصية آباءهم. قال سعيد ابن منصور: حدثنا أبو معشر حدثنا يحيى بن شبيل عن يحيى بن عبد الرحمن

المدني عن أبيه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال: (هم ناس قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم ومنعهم النار قتلهم في سبيل الله). [رواه ابن مردويه وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن أبي معشر به - ابن كثير ج ٢ ص ٢١٦]. وكذلك المؤمنون من الجن ممن استوت سيئاتهم وحسناتهم فهم كذلك من أهل الأعراف كما روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الوليد بن موسى عن شيبه بن عثمان عن عروة ابن رؤيم عن الحسن عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أن مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب فسألناه عن ثوابهم وعن مؤمنيتهم فقال على الأعراف وليسوا في الجنة مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم. فسألناه وما الأعراف؟ فقال: (حائط الجنة تجري فيه الأنهار وتنبت فيه الأشجار والثمار). [رواه البيهقي عن ابن بشران عن علي بن محمد المصري عن يوسف بن يزيد عن الوليد بن موسى به - ابن كثير ج ٢ ص ٢١٧]. {رِجَالٌ} رجال ممن استوت حسناتهم وسيئاتهم والرجال تطلق على الإنس والجن كما قال تعالى: " وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا " ٦ الجن. ولم يذكر سبحانه وتعالى النساء هنا بل ذكر الرجال فقط لأن صوت المرأة عورة في الدنيا وفي الآخرة وعندهن استحياء كما قال تعالى: " فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ " ٢٥ القصص. وكذلك تكون النساء غاضات البصر لعفتن كما قال تعالى: " فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ " ٥٦ الرحمن. وكذلك تكن في شبه المحجبات كما قال تعالى: " حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ " ٧٢ الرحمن. علماً بأن نساء الدنيا تزدن على الحور العين في الجنة جمالاً وعفة وغمض البصر وعلماً بأن النساء تكن موجودات على الأعراف ممن استوت سيئاتهم وحسناتهم ولكن عفتن

واستحياءهن يمنعهن من المنادة بصوت عالٍ كما يفعل الرجال على الأعراف {يَعْرِفُونَ كَلًّا} الرجال الموجودون على الأعراف يعرفون كلاً من أهل الجنة وكلاً من أهل النار {بِسِيمَتِهِمْ} بعلامات من وجوههم فأهل الجنة بيض الوجوه وأثر السرور والانشرح والبهجة على وجوههم زيادة على النور الذي يكسوههم وبالعكس أهل النار تكون وجوههم مسودة وقائمة وعليهم آثار الحزن والكآبة والخوف والهلع {وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ} ونادوهم وحيوهم لدخولهم الجنة وقالوا لهم {أَنْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ} حيوهم بتحية أهل الجنة وهي السلام عليكم كما قال تعالى: " تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ " ٢٣ إبراهيم. وكذلك تحية الملائكة لهم بالسلام كما قال تعالى: "وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ {٢٣} سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ {٢٤} " ٢٣، ٢٤ الرعد. وكما قال تعالى: " الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " ٣٢ النحل. {لَمْ يَدْخُلُوهَا} لم يدخل أهل الأعراف بعد الجنة {وَهُمْ يَطْمَعُونَ} وهم يأملون في دخول الجنة والنجاة من النار.

﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَرُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَى
عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْتُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ
بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾

{وَإِذَا صُرِفَتْ} وإذا نظرت واتجهت {أَبْصَرُهُمْ} نظرهم {تِلْقَاءَ} تجاه {أَصْحَابِ}
أهل {النَّارِ} نار جهنم ومن يدخلها {قَالُوا} قال أصحاب الأعراف {رَبَّنَا} ربنا
وخالقنا ورب الخلق كلهم وإله الكون وهو الله تعالى {لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}
لا تجعلنا في نار جهنم مع القوم والجماعة الذين أشركوا وكفروا وعصوا وظلموا
أنفسهم بالكفر والشرك والمعاصي وظلموا أنفسهم لأنهم أوقعوها في عذاب نار جهنم
{وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ} وصار ينادي أهل الأعراف وهم من استوت حسناتهم
وسيئاتهم {رَجُلًا} رجلاً من الناس {يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ} يعرفونهم بعلامات
سواد الوجوه وأثر الحزن والخوف والرعب في وجوههم {قَالُوا} قال أصحاب
الأعراف لأهل النار {مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ} ما أغنى عنكم كثرتكم ولا عظمتكم
ولا كبرياؤكم ولا أنصاركم ولا من هم على شاكلتكم من أهل الكفر والمعاصي ولا
أغنى عنكم أموالكم ولا خدمكم ولا أصنامكم ولا جاهكم {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ} وما
أغنى عنكم تكبركم وعنادكم وصلفكم ولا تجبركم ولا عظمتكم {أَهْتُولَاءِ} هل هؤلاء
{الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ} الذين حلفتם بأنهم {لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ} لن يرحمهم الله
برحمته ولن يدخلهم الجنة {أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ} ادخلوا أيها المؤمنون والصالحون الجنة
يوم القيامة {لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ} لا خوف عليكم من دخول النار ولا من عذاب الله

تعالى لطاعتكم وعبادتكم له {وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ} ولا أنتم يا أهل الجنة تحزنون على الدنيا لأن الجنة أفضل منها بدرجات.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَلُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا تَجْحَدُونَ ﴿٥٢﴾﴾

{وَنَادَى أَصْحَابُ} ونادى أهل {النَّارِ} نار جهنم ومن يدخلها {أَصْحَابُ} أهل {الْجَنَّةِ} الجنة يوم القيامة ومن يدخلها {أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا} زدونا وأمدونا وأغيثونا بكميات وافرة {مِنَ الْمَاءِ} من الماء والشراب حتى نشرب ونرتوي من شدة الحر والعذاب {أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} أو مما أعطاكم الله ورزقكم من الطعام ومن نعيم الجنة من الفواكه واللحوم وأنواع الطعام الشهية المختلفة لشدة جوعهم وعطشهم من نار جهنم وعذابها {قَالُوا} قال أصحاب الجنة وأهلها ومن هم فيها لأهل النار {إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا} إن الله تعالى عز جلاله وعلا شأنه وعظم قدره قد حرمها ومنعها {عَلَى الْكَافِرِينَ} على من كفر وجحد وأنكر وعصى وكفر ولم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا} الذين اتخذوا دينهم استهزاءً وسخريةً ولعباً ولهواً {وَغَرَّتْ بِهِمُ وَالْهَتَّهُمْ} {الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} أي الدنيا وزينتها وزخرفها وشهواتها وملذاتها {فَالْيَوْمَ} يوم القيامة {نَنسَلُهُمْ} نهملهم ونتركهم {كَمَا نَسُوا لِقَاءَ} كما نسوا لقاء الله تعالى في {يَوْمِهِمْ هَذَا} وهو يوم القيامة أي نسوا الله بالطاعة والعبادة

ونسبيهم الله تعالى عز جلاله وعظم قدره وعلا شأنه نسيهم بالعفو والمغفرة والرحمة والنجاة من النار أي تركوا طاعته وعبادته فتركهم الله تعالى بعيدين عن عفوه ومغفرته ورحمته {وَمَا كَانُوا} وكذلك بسبب ما كانوا {بِعَايَتِنَا} آيات القرآن الكريم والآيات الكونية من الشمس والقمر والسماء والنجوم والأرض وما فيهما وبالمعجزات التي تأتي لتأييد الرسل {تَجْحَدُونَ} ينكرون ويكذبون.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

{وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ} ولقد آتيناهم وأنزلنا إليهم {بِكِتَابٍ} بالقرآن الكريم {فَصَّلْنَاهُ} بيناه ووضحناه وجعلناه مفصلاً وموضحاً {عَلَىٰ عِلْمٍ} بعلم ودراية وحكمة {هُدًى} يهدي به الناس ليخرجهم من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والهداية والطاعة {وَرَحْمَةً} ورحمة يرحم الله بها {لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} للمؤمنين ولقوم يصدقون به ويعملون به ويؤمنون ويصدقون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {هَلْ يَنْظُرُونَ} هل ينظرون {إِلَّا تَأْوِيلَهُ} فهل ينتظروا هؤلاء الكفار حتى يأتي موعد تأويله وبيانه وصدقه وتفسيره {يَوْمَ} يوم القيامة {يَأْتِي} يأتي ويحدث {تَأْوِيلَهُ} تفسيره وتوضيحه وبيانه {يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ} يقول الكفار والمنافقون والعصاة وهم الذين نسوه وتركوه من الطاعة والعبادة والعمل به {مِنْ قَبْلُ} من قبل أن تقوم القيامة أي في الحياة الدنيا {قَدْ جَاءَتْ} قد أتت {رُسُلُ رَبِّنَا} الرسل الذين

أرسلهم الله تعالى للناس ولأممهم وأقوامهم {بِالْحَقِّ} بالصدق والعدل {فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا} يا ليت لنا من يشفع لنا ويتوسط لنا لمنعنا من عذاب الله تعالى في هذا اليوم وهو يوم القيامة {أَوْ نُرَدُّ} أو نرجع إلى الدنيا ثانية {فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} فنعمل بالطاعات في مرضاة الله تعالى وغير الذي عملناه من المعاصي والكفر والنفاق والذنوب التي عملناها في حياتنا الدنيا {قَدْ خَسِرُوا} قد فقدوا وأهلكوا {أَنْفُسَهُمْ} بعذاب أنفسهم في نار جهنم يوم القيامة {وَضَلَّ عَنْهُمْ} وذهب وتاه وابتعد عنهم {مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} ما كانوا يكذبون ويختلقون من عبادة الأصنام والأوثان والشركاء لغير الله تعالى.

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

{إِنَّ رَبَّكُمْ} إن ربكم وخالقكم ومعبودكم ومربيكم ورازقكم وإلهكم {اللَّهُ} هو الله تعالى عز جلاله وعظم شأنه وعلا قدره {الَّذِي خَلَقَ} الذي خلق وأوجد من العدم {السَّمَوَاتِ} السموات السبع وكما قال تعالى: " أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا " ١٥ نوح. أي بعضها فوق بعض تبدأ من السماء الدنيا وهي الأولى وحتى السابعة {وَالْأَرْضِ} وخلق كذلك الأرض التي نحن عليها ونراها ونعلمها {فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} في ستة أيام خلق الأرض في يومين كما قال تعالى: " قُلْ أَتُنكُمُ

لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ " ٩ فصلت. وخلق الله الجبال والأقوات في يومين آخرين وبذلك يكون خلق الأرض في يومين وخلق الأقوات والجبال في يومين آخرين فيكون المجموع لخلق الأرض وما عليها في أربعة أيام كما قال تعالى: " وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ " ١٠ فصلت. وخلق السموات السبع وما فيها من نجوم وشمس وقمر وملائكة في يومين كما قال تعالى: " فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ " ١٢ فصلت. وبذلك يكون خلق السموات والأرض في ستة أيام وكل يوم منها يساوي عند الله ألف سنة مما تعدون كما قال تعالى: " وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ " ٤٧ الحج. والسنة تعادل اثني عشر شهراً كما قال تعالى: " إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ " ٣٦ التوبة. { ثُمَّ أَسْتَوَىٰ } وليس الاستواء هو الجلوس لأنه تعالى ليس كمثله شيء كما قال تعالى: " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " ١١ الشورى. بل الاستواء هو انتهاء الحكم والأمر إليه والاستواء بالأمر والحكم والنهي والخلق والقدرة والمشية والكينونة بقوله " أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ " { عَلَى الْعَرْشِ } والعرش هو أكبر وأعظم مخلوقات الله تعالى كما قال تعالى: " فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ " ١٢٩ التوبة. وأن عرشه عظيم ومجيد كما قال تعالى: " ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ " ١٥ البروج. والمجيد هو الفخم والكبير والعظيم والعرش هو حقيقة وليس خيالاً كما قال تبارك وتعالى: " وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

العالمين " ٧٥ الزمر. وكما قال تعالى: " وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ " ١٧ الحاقة. والحديث يؤكد أن العرش حقيقة كما هو الكرسي حقيقة كما جاء في الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة والكرسي في العرش المجيد كتلك الحلقة في تلك الفلاة). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٣]. وجاء في الحديث أيضاً قال صلى الله عليه وسلم: (إقبلوا البشرى يا بني تميم) قالوا: قد بشرتنا فأعطنا قال: (إقبلوا البشرى يا أهل اليمن) قالوا قد قبلنا فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان؟ قال: (كان الله قبل كل شيء وكان عرشه على الماء وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء). [وهذا الحديث في صحيح البخاري ومسلم - ابن كثير ج ٢ ص ٤٧٠]. وعن لقيط بن عامر الملقب أبي رزين قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال: (كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق العرش بعد ذلك). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٧]. وروى ابن مسعود: (أن بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة عام وبين الكرسي وبين العرش خمسمائة عام والعرش فوق ذلك كله لا يعلم منتهاه إلا الله عز وجل). [نزهة المجالس (الهامش) ص ٤١]. وروى بعض السلف: (ما بين العرش والأرض مسيرة خمسين ألف سنة وبعد قطريه خمسين ألف سنة وهو من ياقوتة حمراء). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٣]. (ويثقل العرش على حملة العرش فيعلمون ذلك فينادون [يا كريم العفو] حتى يخفف عنهم). [نزهة المجالس ج ٢ ص ٤٣]. وفي رواية: (والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٩٩].

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: (من زعم أن الله تعالى في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك به إذ لو كان على شيء لكان محمولاً ولو كان من شيء لكان

محدثاً ولو كان في شيء لكان محصوراً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً). [نزهة المجالس ص ٨]. وفي روض الأفكار: أن جبريل عليه السلام قال عند سدره المنتهى يا محمد قد جعلتك الوسيلة في حاجة قلت فيها حيلتي وانقطعت فيها وسيلتي فأنا فيها ذاهل الفكر داهش السريا محمد حيرني حين أوقفنتني في ميدان أزله وأبده فجلت في الميدان الأول فما وجدت له أولاً وجلت في الميدان الآخر فإذا هو في الآخر أول فطلبت الرفيق إلى ذلك الرفيق فتلقاني ميكائيل في الطريق فقال إلى أين والطرق مسدودة والأبواب دونه مردودة لا يوصف بالأماكن المحدودة قلت فما وقوفك في هذا المكان قال شغلني بمكيال البحار وإنزال الأمطار وإرسالها إلى سائر الأقطار فاعرف كم للبحار زبدا وأعرف الأمطار وسقوط الندى ولا أعرف لأحدثه أمد قلت فأين إسرافيل قال في مكتب التعليم يقرأ أمثال ذلك تقدير العزيز العليم فطرفه عن النظر مقصور وقلبه عن الفكر محصور فهو كذلك حتى ينفخ في الصور قلت هلم نسأل العرش ونستهديه ونستنسخ ما عنده ونستمليه فلما سمع العرش ما نحن فيه اهتز طرباً ومال مضطرباً وقال لا تحدث به جنابك ولا تحرك به لسانك فهذا سر لا يكشفه حجاب ولا يفتح دونه باب وسؤال ليس عنه جواب ومن أنا في البين حتى أعرف هو أين هو سبقني بالاستواء وقهرني بالاستيلاء فلولا استنواؤه لما استويت ولولا استيلاؤه لما اهتديت فوعزته لقد خلقني وفي بيءاء أبديته حيرني وفي بحار أحدثه أغرقني فتارة يدنيني من مواقف قربه فيؤنسنني وتارة يحتجب عني بحجاب عزته فيوحشني وتارة يواصلني بكأس حبه فيسكرني فكلما استغرقت في عربدة سكري قلت رب أرني أنظر إليك فيقول بلسان أحدثه لن تراني فلما فقت من سكري قال أيها المحب هذا جمال قد صناه وحسن قد حجبناه فلا يراه إلا يتيم قد ربيناه وحبيب قد اصطفيناه فإذا سمعت سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً

فقف على طريق عروجه إلينا وقدمه علينا لعلك ترى من يرانا فلما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج إلى العرش تمسك بأذياله وقال بلسان حاله يا محمد إلى متى نشرب في صفاء وقتك آمنا من مقتك يطوف بك على ندماء حضرته ويحملك على رفر فكرامته وتارة يشهدك جمال أحديته "مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى" وتارة يشهدك جمال صمدانيته "مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى" وتارة يطلعك على أسرار ملكوته "فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ" وتارة يدنيك من حضرة قرب "فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ" هذا وأنا الظمان إليه اللهفان عليه المتحير فيه لا أدري من أي جهة آتية جعلني أعظم خلقه فكنت أعظمهم منه هيبة وأكثرهم فيه حيرة وأشدهم خيفة يا محمد خلقتني فكنت أرعد لهيبة جلاله فكتب على قائمتي لا إله إلا الله فازددت لهيبة اسمه ارتعاداً فلما كتب محمد رسول الله سكن قلبي وهدأ روعي فهذه بركة وقع اسمك عليّ فكيف إذا حل جميل نظرك إليّ يا محمد أنت المرسل رحمة للعالمين ولا بد لي من نصيب من هذه الرحمة ونصيبي منها أن تشهد لي بالبراءة مما نسبته أهل الغرور إليّ وتقول له أهل الزور عليّ زعموا أنني أسع من لا حد له وأحيط بمن لا كيفية له يا محمد من لا حد لذاته ولا عد لصفاته كيف يكون مفتقراً إليّ أو محمولاً عليّ؟ يا محمد إذا كان الرحمن اسمه والاستواء صفته وصفته متصلة بذاته فكيف يتصل بي أو ينفصل عني لا أنا منه ولا هو مني). [نزهة المجالس ج ٢ ص ١١٩].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (إن الله تعالى قريب في بعده بعيد في قربه فوق كل شيء ولا يقال شيء تحته وتحت كل شيء ولا يقال شيء فوقه تعالى جناب عزه أن يوصف بالاستقرار أو التمكن أو المماسة فهو مستغن عن الكون والمكان). [نزهة المجالس ج ٢ ص ١١٩].

وفي صحيح مسلم: عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٧].

{يُغْشَى} يُتَّبَع وَيُعْقَب وَيَدَاوِم وَيُدَوِّر {الَّيْل} الليل وظلمته حول {النَّهَار} وهو طلوع الشمس إلى غروبها وعكسه الليل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر {يَطْلُبُهُ} يتابعه ويدور خلفه أي يتعاقبان {حَاثِثًا} يدور خلفه باستمرار وعلى الدوام دون انقطاع لا يتأخر عنه ولا يفوته ولا يسبقه {وَالشَّمْسَ} والشمس التي تضيء النهار على الدنيا {وَالْقَمَرَ} الذي نراه في الليل ساطعاً {وَالنُّجُومَ} ونجوم السماء التي تزينها في الليل والتي نراها بأعيننا في سماء الدنيا في الليل ويهتدي بها المسافر في سفره وكلها جميعاً {مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهٖ} أي مرسلات تسير في مكانها ومسارها ومدارها وفي اتجاهها وهي مخلوقات بأمر الله تعالى وإرادته وحكمته وتدبيره ومشينته وقدرته {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ} أليس لله تعالى عز جلاله وعظم قدره وعلا شأنه خلق السموات والعرش والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار {وَالْأَمْرُ} أي دوران الشمس والقمر والنجوم بأمره تبارك وتعالى فهو الخالق للكون كله وله الأمر والحكم والتدبير {تَبَارَكَ اللَّهُ} تعالى وتعظيم الله تعالى عز جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وتعالى وتقدس وعلا وعظم شأنه وحَسُنَتْ وازدادت واتسعت بركته حتى شملت جميع ملكه السماوات والأرض {رَبُّ الْعَالَمِينَ} إله وخالق ومربي العالمين جمع عالم وهي جميع المخلوقات والكون كله وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أن الله خلق ألف أمة ستمائة في البحر وأربعمائة في البر وأن أولها هلاكاً الجراد). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٤١]. {أَدْعُوا رَبَّكُمْ} اطلبوا واسألوا ربكم الله تعالى

في جميع أموركم {تَضُرُّعًا} ابتهالاً ورغبة علانية {وْخُفِيَّةً} ادعوه سراً وفي الخفاء أي تضرعاً علناً وباللسان وخفية سراً وبالقلب وكما جاء في الحديث عن الترمذي من حديث أنس مرفوعاً: (الدعاء مخ العبادة). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٢]. وأخرج البخاري في الأدب المفرد من حديث أبي هريرة مرفوعاً: (من لم يسأل الله يغضب عليه). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٢]. {إِنَّهُ} الله تعالى عز جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَا يُحِبُّ} يمقت ويكره ويبغض {الْمُعْتَدِينَ} المعتدين بالدعاء على الناس بالهلاك بدون ذنب ارتكبه والمعتدين على محارم الله تعالى والمتعدين حدوده والمعتدين بالدعاء على الناس بالظلم وبالهلاك وقطع الأرحام وكذلك المعتدين الباغين والظالمين والمتجبرين على الأموال والممتلكات والأعراض وعلى الناس ظلماً {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ} لا تعيثوا في الأرض فساداً وظلماً للأعراض وللناس {بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} ولا تعيثوا في الأرض فساداً وتخریباً بعد أن أصلحها الله تعالى بالرسول والأنبياء {وَادْعُوهُ} اطلبوا من الله الرحمة والعفو والمغفرة {خَوْفًا} خشية من عذاب الله تعالى في نار جهنم يوم القيامة {وَطَمَعًا} ورغبة في جنته {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ} إن كرم الله وفضله ورحمته ومغفرته ونعيمه وولايته {قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} فهي قريبة من المحسنين وهم من حسنت أعمالهم وعبادتهم وطاعتهم في رضا الله تعالى خالصة لله تعالى وحده وذلك في الدنيا بالعيش السعيد والرغيد والهنيء والمعيشة الطيبة والحسنة وفي الآخرة بدخول الجنة.

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا
سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ كَذَٰلِكَ يُخْرِجُ
الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۗ وَالَّذِي
حَبَثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكْدًا ۗ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

{وَهُوَ} هو الله تعالى عز جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ} يبعث الله تعالى الريح {بُشْرًا} بشارة وعلامة سارة {بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} قبل نزول رحمته بالمطر وتبشيره بها عند هبوبها عندما تأتي الريح والزواجع والعواصف {حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ} حتى إذا حملت الرياح {سَحَابًا} غيماً {ثِقَالًا} ملبداً بالأمطار {سُقْنَهُ} أرسلناه وبعثناه {لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ} لبلد قحط ومجدب ولا نبات فيه أي صحراء قاحلة {فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ} فأنزل الله تعالى المطر من السماء {فَأَخْرَجْنَا بِهِ} فأنبتنا به {مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ} من كل الثمار والفواكه والخضروات والزرع {كَذَٰلِكَ} وهكذا {يُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ} يخرج الله الموتى من قبورهم ويحييهم بعد موتهم كما يحيي الأرض بالنبات بعد قحطها {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} لعلكم تتعظون بذلك {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ} أي الأرض الطيبة {يَخْرِجُ} ينبت {نَبَاتُهُ} نباته وزرعه وشجره وثماره {بِإِذْنِ رَبِّهِ} يكون ذلك بأمر ربه سبحانه وتعالى {وَالَّذِي حَبَثَ} والأرض الخبيثة المجدبة المألحة {لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكْدًا} أي يخرج شوكةً وأثلاً وخمطاً وعشياً ضاراً ليس له ظل ولا ثمر ولا فائدة ترجى بل نكداً وعذاباً {كَذَٰلِكَ} وهكذا {نُصَرِّفُ} نبين {الْآيَاتِ} آيات القرآن الكريم والآيات الكونية {لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ} لقوم يشكرون الله تعالى بالطاعة والأعمال الصالحة لأن

المؤمن لا يعمل إلا صالحاً ولا يجني إلا خيراً والكافر لا يعمل إلا خبيثاً وعقابه عذاب الله تعالى.

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَنْقُومِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أَبْلغِكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا} لقد أرسل الله تعالى {نُوحًا} نوحاً عليه الصلاة والسلام وهو نبي الله ورسوله وكان اسمه شاكراً وسمي نوحاً لكثرة نوحه وبكائه من خوف الله تعالى [نزهة المجالس ص ٩٨]. لأنه رأى كلباً ميتاً فكرهه فأوحى الله إليه هذا خلقنا فاخلق أنت مثله فصار يبكي وينوح ولذلك سمي نوح {إِلَىٰ قَوْمِهِ} قومه وعشيرته {فَقَالَ} فقال نوح عليه الصلاة والسلام لقومه {يَنْقُومِ} يا قومي وعشيرتي {اعْبُدُوا اللَّهَ} اعبدوه وحده {مَا لَكُمْ} ليس لكم {مِّنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ} من إله ورب معبود غير الله تعالى {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ} إني أخشى عليكم {عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} وهو عذاب يوم القيامة في نار جهنم {قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ} قال قومه وعشيرته {إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} إنا لنشاهدك في بُعد عن الحق وفي غي وفي تخريف وحنون {مُّبِينٍ} عظيم وكبير {قَالَ} قال نوح عليه الصلاة والسلام نبي الله ورسوله

{يَنْقُومِ} يا عشيرتي {لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ} ليس بي غي ولا بُعد عن الحق ولا تخريف ولا جنون ولم أضل عن الحق {وَأَلَيْكِنِّي رَسُولٌ} ولكنني نبي الله ورسوله أرسلت {مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} من رب الكون كله وجميع العالم والعوالم {أُبَلِّغُكُمْ} أخبركم {رِسَالَتِ رَبِّي} برسالة ربي إليكم {وَأَنْصَحُ لَكُمْ} وأنصحكم وأبين لكم الحق من الضلال {وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ} وأعلم من علم الله تعالى وما جاءني من العلم بواسطة الوحي من الله تعالى {مَا لَا تَعْلَمُونَ} ما لا تعلمون وتجهلون وهو أول من نسخ زواج الأخ لأخته حيث كانت مشروعة من عهد آدم عليه السلام وما قبله لقلة الذرية {أَوْعَجِبْتُمْ} هل عجبتم ودهشتم {أَنْ جَاءَكُمْ} أن أتاكم {ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ} كتاب ووعظ من الله تعالى ربكم ومربيكم وخالقكم ورازقكم {عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ} على واحد منكم {لِيُنذِرَكُمْ} ليحذركم من عذاب الله تعالى {وَلِتَتَّقُوا} ولتخافوا ولتخشوا الله وتطيعوه وتعبدوه وحده {وَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ} ولعلكم تنجون من عذاب الله تعالى وتصيبكم رحمته وتدخلون الجنة {فَكَذَّبُوهُ} فكذبوا ما جاء به وأنكروه ووجدوا به {فَأَنْجَيْنَاهُ} فأنقذناه {وَالَّذِينَ مَعَهُ} ومن معه وهم من آمن به وصدقوه {فِي الْفُلِّ} في السفينة وقالوا كان ارتفاعها في السماء ثلاثين ذراعاً ثلاث طبقات كل طبقة عشرة أذرع (فالسفلى) للدواب والوحوش (والوسطى) للإنس (والعليا) للطيور وبابها في عرضها ولها غطاء من فوقها مطبق عليها {وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا} وأغرق الله تعالى الذين كذبوا وأنكروا ووجدوا وهم الكفار من قوم نوح عليه السلام {بِأَيَّتِنَا} بآيات كتاب نوح عليه السلام {إِنَّهُمْ} قوم نوح

{ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ } كانوا قوماً وعشيرة عمياً عن الحق وعن الهدى وعن الخير والرشاد وعن طاعة الله تعالى وعبادته وحده.

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَنْقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٤٥﴾

﴿٤٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ

الْكَذِبِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ يَنْقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٤٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن

رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَأَذْكُرُوا ۚ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ

وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ۗ فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا

لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۗ فَآتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ

الصَّادِقِينَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۗ أَتُجَدِّلُونَنِي فِي

أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۗ فَانظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ

مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٥١﴾ فَأَجْنِبْنَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَّعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ

كَذَبُوا بِغَايِبَتِنَا ۗ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴿

{ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا } ولقد أرسلنا إلى عاد وهم قوم هود عليه السلام وكانوا

يسكنون في اليمن { قَالَ يَنْقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهِ غَيْرُهُ } قال لقومه وقبيلته

يا قوم اعبدوا الله تعالى جل جلاله وعظمت قدرته وحده لا شريك له ليس لكم إله

ولا معبود غيره { أَفَلَا تَتَّقُونَ } أي ألا تخشون الله في أوامره ونواهيه { قَالَ الْمَلَأُ

الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ } قال الجمع الذين كفروا من قومه وقبيلته { إِنَّا لَنَرَاكَ

فِي سَفَاهَةٍ } إنا لنراك في جهالة وضلالة وسفه { وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ } {

وإنا لنعتبرك من الكاذبين {قَالَ يَنْقَوْمَ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ} قال لقومه يا قومي ويا أهلي ويا عشيرتي ويا قبيلتي ليس بي جهالة ولا ضلالة ولا سفاهة {وَلِكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} ولكني رسول مرسل من الله جل جلاله وعظمت قدرته وهو رب العالمين والخلق والكون جميعهم {أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي} لأبلغكم وأخبركم برسالات ربي وأوامره ونواهيهِ {وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ} وأنا لكم ناصح أمين وصادق ومخلص في نقل رسالة ربي إليكم وأمين عليها لم أغير فيها حرفاً واحداً ولم أزد ولم أنقص عليها {أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ} أوعجبتم ودهشتم واستغربتم أن جاءكم ذكر وكتاب سماوي من ربكم والذكر هو كتاب سماوي ينزل على الرسل وسمي القرآن الكريم ذكر لقوله تعالى: " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " ٩ الحجر. {عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ} أي رجل من قومكم وينطق بلسانكم وهو هود عليه السلام وهم قوم عاد {لِيُنذِرَكُمْ} ليحذركم ويعظكم ويُفكركم بأوامر الله تعالى {وَأَذْكُرُوا} وتفكروا واعلموا {إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ} إذ خلقكم الله خلفاً من بعد قوم نوح الذي أغرقهم الله جميعاً لكفرهم ونوح هو الأب الثاني بعد آدم عليه السلام {وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً} وزادكم قوة وعظمة في جسمكم كما قال تعالى عن طالوت عليه السلام " إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ " ٢٤٧ البقرة. {فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ} فاذكروا أنعم الله وأفضاله عليكم بالقوة والمنعة والصحة والعافية {لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ} لعلكم تفوزون برضاء الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة وجنتها ونعيمها {قَالُوا أَجِئْتَنَا} قالوا هل أتيتنا برسالتك وموعظتك {لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ} لنعبد الله ونقوم بالعبادة لله وحده

{وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} ونترك ما عبد أجدادنا وآباؤنا من الأصنام والأوثان والآلهة الأخرى {فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ} فأقصر وانته وأتنا وجئنا بما تعدنا وتحذرننا من عذاب وعقاب الله تعالى إن كنت صادقاً ومرسلاً فيما تدعيه {قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ} قال قد استحق ووجب عليكم من ربكم {رَجِسٌ} عذاب والرجس هو الذنب ولكنه هنا معناه عقاب وعذاب على مخالفتهم {وَعَضَبٌ} أي غضب الله تعالى عليكم لمعصيتكم ومخالفتكم لرسولكم وهو هود عليه السلام {أَتَجِدِلُونِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ} أتجادلونني وتحاجونني وتخاصمونني في أسماء سميتموها من الأصنام والأوثان وتعبدون لها أنتم وآباؤكم من قبلكم {مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ} ما نزل الله به من حكم ولا علم ولا برهان ولا بيان {فَانتظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ} أي استعدوا وانتظروا عقاب الله الذي سيأتيكم لعصيانكم ومخالفة رسولكم إني منتظر هذا العذاب الذي سيأتيكم من الله تعالى {فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ} فأنجى الله تعالى جل جلاله وعظمت قدرته أنجى رسوله هوداً عليه السلام هو ومن آمن معه {بِرَحْمَةٍ مِنَّا} بكرم وفضل ولطف من الله تعالى لرسوله هود عليه السلام ومن آمن معه {وَقَطَعْنَا} أي أهلكنا {دَابِرَ} أصلهم أي لم يبق على أحد منهم وقلعهم من جذورهم وأصلهم {الَّذِينَ كَذَّبُوا بِغَايَتِنَا} أي كذبوا برسالة هود عليه السلام وما جاء به من دلالة وعظة {وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ} وما كانوا مصدقين برسالة نبيهم ورسولهم هود عليه السلام ولا كانوا مؤمنين ولا مصدقين بأن الله تعالى سيعذبهم.

﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾

{وَالِى ثَمُودَ} ولقد أرسلنا إلى قوم ثمود {أَخَاهُمْ} أي واحداً منهم لأنه يطلق الأخ على أحد أبناء العشيرة وليس من أمه ولا أبيه ولكنه واحد من القبيلة ويدعى أخاً تجاوزاً ومصطلحاً تعارفوا على تسميته بالأخ وهنا أطلقه الله تعالى على الرسول وهو {صَالِحًا} أي صالح عليه السلام {قَالَ يَنْقَوْمِ} قال الرسول صالح عليه السلام إلى قومه يا قومي ويا أهلي ويا عشيرتي ويا قبيلتي {أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} أي قوموا بعبادة الله وحده لا شريك له ولا إله غيره ولا معبود سواه {قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ} قد جاء لكم بينة أي معجزة واضحة وهي بيان من ربكم الله تعالى {هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ} هذه الناقة التي أرسلها الله تعالى إلى ثمود وهم قوم صالح {لَكُمْ آيَةٌ} أي معجزة واضحة وبينة {فَذَرُوهَا} دعوها واتركوها {تَأْكُلْ} ترعى العشب والكلأ {فِي أَرْضِ اللَّهِ} أي في أي مكان من أرض الله لأن الأرض جميعها وكلها لله تعالى وحده {وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ} أي ولا تمسوها بأي أذى أو منع من أكل العشب {فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} فيصيبكم عذاب من الله أليم وشديد وقاس {وَأذْكُرُوا} وتذكروا واعلموا {إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ} أي خلقكم خلفاً {مِنْ بَعْدِ عَادٍ} أي ورثة تخلفون قوم عاد ورسولهم هود عليه السلام

{وَبِوَأَكُم فِي الْأَرْضِ} وجعلكم في الأرض ونعمكم وأعطاكم في الأرض سلطة وتصرفاً {تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا} أي تسكنون وتبنون قصوراً في سهولها أي سهول الأرض {وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا} وتنتحون وتحفرون في الجبال بيوتاً وكهولاً ومغارات {فَاذْكُرُوا} اذكروا وتفكروا ولا تنسوا {ءَالَاءَ اللَّهِ} أنعم وأفضال وخير الله تعالى عليكم {وَلَا تَعْتَوْا} ولا تسعوا ولا تنتشروا {فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} أي في أرض الله تعالى وفي جميع الأماكن والجهات تفسدوا وتنشروا الشر والفساد والمعصية.

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ قَالَوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾
 قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِءِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَصْلِحُ أَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقَوْمٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴿٧٩﴾

{قَالَ الْمَلَأُ} قال الجمع {الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا} وهم السادة والمتكبرون والمتغترسون {مِنْ قَوْمِهِ} أي من قوم صالح عليه السلام وهم قوم ثمود {لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا} لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ} وهم الضعفاء والفقراء من الذين آمنوا مع صالح من قوم ثمود {أَتَعْلَمُونَ} أي هل تعلمون وهو سؤال استنكاري على من آمن {أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ} أن صالحاً عليه السلام أرسله الله تعالى وهو مرسل من قبل الله تعالى {قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءِ مُؤْمِنُونَ} قال المؤمنون مع صالح إنا برسالة

صالح عليه السلام مؤمنون ومصدقون وموقنون {قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا} قال المتكبرون والمتعطرسون من قوم صالح {إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِءِ} أي برسالة صالح التي صدقتموها {كَفَرُونَ} نحن بها كافرون وجاحدون ومكذبون {فَعَقَرُوا} فقتلوا {النَّاقَةَ} وهي الناقة التي أرسلها الله إليهم مع صالح آية ومعجزة لهم {وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ} وخرجوا عن طاعة ربهم وعن أمره وعصوه {وَقَالُوا يَصْلِحْ} وقالوا لصالح عليه السلام وهو نبيهم ورسولهم {أَتَيْنَا} جننا وأنزل علينا {بِمَا تَعِدُّنَا} بما تتوعدنا وتهددنا به من العذاب {إِن كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} أي إن كنت رسولا حقا أرسلك الله مثل المرسلين السابقين {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} فأهلكتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض وزلزلة شديدة من تحتهم {فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ} فأصبحوا أي طلع الصباح عليهم وهم في دورهم وأماكنهم {جَثْمِينَ} أي هالكين وجثث هامدة {فَتَوَلَّى عَنْهُمْ} فأعرض عنهم وذهب عنهم {وَقَالَ} قال متحسراً عليهم {يَقَوْمِ} يا أهلي وعشيرتي وقومي وقبيلتي {لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي} لقد أخبرتكم وأعلمتكم برسالة ربي وهي عبادته وحده {وَنَصَحْتُ لَكُمْ} أي شددت في النصح لكم والوعظ {وَلَيْكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ} ولكن أعرضتم وكذبتم ولم تحبوا من ينصحكم ويرشدكم لطاعة الله وعبادته وحده.

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨٢﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ۗ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٨٣﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ۖ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾

{وَلَوْطًا} وهو نبي ورسول وهو ابن عم إبراهيم عليه السلام وأخو سارة زوجة إبراهيم عليه السلام وفي عصر إبراهيم عليه السلام وآمن بإبراهيم عليه السلام وهاجر معه من العراق إلى فلسطين {إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ} وهم قوم لوط الذين أرسل إليهم في زمانه وعصره {أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ} والفاحشة أصلها الزنا وهنا معناها اللواط وهو أن يأتي الذكر الذكر في الدبر {مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ} أي أنه لم يسبق قبلكم أحد أن جاء بها وهي اللواط ووضع الشهوة في أدبار الرجال ولا يضعونها في فروج النساء ولم يعمل بها أحد من السابقين {مِّنَ الْعَالَمِينَ} وهم السابقون والأولون من جميع الأمم السابقة ونسب اللواط إلى قوم لوط عليه السلام {إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ} أي إنكم تضعون شهوتكم في أدبار الرجال وليس فروج النساء كالعادة {بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ} أي قوم معتدون ومبالغون في إسراف الشهوة في غير موضعها ومعنى الإسراف التبذير والإنفاق في غير محله وجاوزتم الحد أي تجاوزتم حدود الله وأسرفتم في المعصية {وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا} وما كان جواب ورد قومه أي قوم لوط إلا أن أجابوا وقالوا {أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ} أي اطردهم أي اطردهم لوطاً ومن

آمن معه من قريبتكم وبلدتكم {إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} أي إنهم جماعة من الناس يتطهرون يترفعون ويتنزهون عن اللواط مثلكم وهنا قصدوا التطهر بالاستهزاء والسخرية بلوط ومن آمن معه عليه السلام {فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ أُمَّرَأَتَهُ} أي أنجيناً لوطاً عليه السلام من العذاب وأهله ممن آمن معه من أهل بيته إلا امرأته أي زوجته وعله التي كانت تخبر قومها عن ضيوف لوط عليه السلام حتى يأتوا ليلوطوا بهم {كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} أي كانت من الهالكين {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا} وأمطر الله عليهم مطراً بالحجارة {فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ} فاعلم وانظر وشاهد كيف كانت نهاية وما آل إليه نهاية ومصير المجرمين الذين أجرموا في حدود الله تعالى أي وقع عليهم الجرم لاعتدائهم على حدود الله وهو اللواط.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَبْنَؤُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّي غَيْرُهُ ۗ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ ۖ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۗ وَآذِكُرُوا ۖ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمُ ۗ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِآلِذِي أَرْسَلْتُ بِهِ ۖ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۗ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

{وَإِلَىٰ مَدْيَنَ} ولقد أرسل الله تعالى إلى أهل مدين وهم قبيلة قرب معان بالأردن {أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} أي رسولهم وهو شعيب عليه السلام والأخ كما أسلفنا تطلق على

كل أحد من أفراد القبيلة بالنسبة للآخر وكما قال تعالى: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ " وشعيب هذا عليه السلام هو نفسه والد زوجة موسى عليه السلام لقوله تعالى: " قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ " ٢٧ القصص. وكلمة ستجدني إن شاء الله من الصالحين لا يقولها إلا نبي وقد قالها إبراهيم عليه السلام نبي الله ورسوله: " رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ " ٨٣ الشعراء. وقال يوسف عليه السلام: " رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ " ١٠١ يوسف. وكما قال سليمان عليه السلام: " فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ " ١٩ النمل. وهذه الآيات الكريمة تدل على أن شعيباً النبي عليه السلام هو نفسه شعيب الذي ذهب إليه موسى عليه السلام وتزوج إحدى بناته وهي صفوريه لا كما يقول البعض أن شعيب الذي ذهب إليه موسى عليه السلام وتزوج إحدى ابنتيه ليس هو شعيب النبي عليه السلام { قَالَ يَنْقَوْمُ } أي قال لقومه وعشيرته { أَعْبُدُوا اللَّهَ } أي أدوا العبادة إلى الله تعالى جل جلاله وعظمت قدرته { مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } أي لا إله ولا معبود غير الله تعالى وحده لا شريك له { قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ } أي جاءكم بينة وحجة { مِّن رَّبِّكُمْ } أي من ربكم وخالفكم الله تعالى بإرسالي إليكم رسولاً لأخبركم وأنذركم بالآتي { فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ } وفاء الكيل أي تمامه وعدم نقصانه والميزان أي أوفوه حقه في الوزن ولا تنقصوا منه شيئاً. والكيل هو ما يكتال به من الحبوب وغيرها وهو

كالصاع وغيره والميزان هو الذي يوزن به الأشياء مثل الجرام والكيلو وغيرها من الأوزان {وَلَا تَبْخُسُوا} أي ولا تنقصوا ولا تخسروا ولا تعدموا ولا تقللوا ولا تخفضوا الميزان والتمن خفضاً شديداً بحيث لا يساوي عشر قيمتها الحقيقية {الْأَناسَ أَشْيَاءَهُمْ} أي حقوقهم وممتلكاتهم وبضاعتهم وجميع ما يقدمون للبيع {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ} ولا تخربوا في أرض الله والخراب هنا كل ما يفسد الدين والعقيدة والممتلكات والناس ومعناها العام أي لا تزنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تغشوا ولا تظلموا {بَعَدَ إِصْلَاحِهَا} بعد أن خلقها الله على الفطرة من الخير والتقوى والصلاح وإرسال الرسل بالهداية ودين الحق {ذَالِكُمْ} أي ذلك لكم {خَيْرٌ لَّكُمْ} أي ذلك خير وأفضل وأرجا لكم والخير في ذلك الإصلاح {إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} أي آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ} أي لا تجلسوا على كل طريق في الشوارع والأزقة والطرقات وجاء في الحديث عن ليلة الإسراء والمعراج أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثم مررنا على خشبة في الطريق لا يمر عليها ثوب إلا شقته ولا شيء إلا خرقتة فقلت ما هذا يا جبريل قال: قوم من أمتك يقطعون الطريق). [نزهة المجالس ص ٣٨٦]. وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إياكم والجلوس على الطرقات) قالوا: يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها ، قال: (فأما إذا أبيتم فأعطوا الطريق حقه) ، قالوا: وما حقه؟ قال: (غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ٢٠٥].

{تُوعِدُونَ} أي نوع من الإغراء بالمكافأة إذا تركوا شعيباً عليه السلام وما يدعو

إليه فالوعد هو وعد المكافأة والخير والثواب والإحسان وهو نوع من الإغراء في الترغيب والمعنى الآخر وهو التهديد والمنع بعيد حيث تدل عليه الكلمة التالية وهي {وَتَصُدُّونَ} وهي المنع والتهديد بالقتل وخلافه والكلمتان توعدون وتصدون أحدهما إغراء والأخرى تخويف كالمثل الذي يقول كالعصا والجزرة مرة يغري ومرة يخوف كما فعل أهل قريش مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا له إذا أردت مُلكاً ملكناك وإذا أردت مالاً أعطيناك ولكنه رفض إغراءهم وطلبهم وقال الكلمة المشهورة: (والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) {عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} وهو دين الله وطريق الهدى والرشاد {مَنْ ءَامَنَ بِهِ} وهو دين نبي الله ورسوله شعيب عليه السلام {وَتَبَّغُونَهَا} تريدونها {عِوَجًا} أي معوجة ومنحرفة وضالة عن الطريق المستقيم وعن الحق والهدى والصلاح وهي دعوة سيدنا شعيب عليه السلام {وَأَذْكُرُوا} وتفكروا ولا تنسوا فضل الله عليكم {إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمُ} أي كان عدد قبيلتكم قليلاً فكثركم وزادكم في الذرية والنسل والعدد {وَأَنْظُرُوا} وشاهدوا {كَيْفَ كَانَتْ عِقَبَةُ الْمُفْسِدِينَ} كيف كان مصير ونهاية المفسدين الذين أفسدوا دينهم وعبادتهم لله تعالى مثل الأقوام التي سبقتكم من قوم نوح وقوم هود وقوم صالح أهلكهم الله جميعاً وعذبهم في الدنيا ، وفي الآخرة عذاب عظيم {وَإِنْ كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنْكُمْ} أي جماعة {مِّنْكُمْ} أي منكم من قوم شعيب عليه السلام {ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ} أي صدقوا برسالتني التي أرسلت بها إليكم أي برسالة شعيب عليه السلام {وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا} وجماعة لم يؤمنوا ويصدقوا ويتبعوا رسالة شعيب عليه السلام {فَأَصْبِرُوا} أي اصبروا وانتظروا

الله من عبادتها وهي الأصنام والأوثان {وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا} ولا يمكن ولا يحق ولا يجوز أن نعود إلى عبادتكم من الأوثان والأصنام {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا} إلا إذا أراد الله لنا بالمعصية والكفر {وَوَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا} أي أحاط علم ربنا كل شيء ووسع علمه السموات والأرض وما بينهما وما بعدهما فهو علام الغيوب {عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا} على الله اعتمدنا وتوكلنا عليه بالهدى والنصر والحماية {رَبُّنَا أَفْتَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ} ربنا وإلهنا وخالقنا افتح ولا تغلق ما بيننا وبين قومنا بالعدل على اتباع الحق والهدى والنصح والرشاد ووقفنا بالنصح لهم واهديهم لاتباع الصراط المستقيم وهو الفتح عكس الإغلاق كما قال تعالى: " إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا " ١ الفتح. وكما قال تعالى: " إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ " ١ النصر. والفتح هو فتح القلوب المقفلة والعيون العمياء عن الحق وليس الفتح هنا الحكم لأن هذا المعنى بعيد {وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ} وأنت خير الفاتحين لقلوبهم للتصديق بالرسالة وعيونهم على اتباع الهدى فأنت خير وأفضل وأهل لذلك الفتح والهدى والرشاد.

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِيَنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿١٠﴾
 فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ
 يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿١٢﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ
 يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأُ عَلَى قَوْمٍ
 كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

{ وَقَالَ الْمَلَأُ } وقال القوم والجماعة من قوم شعيب عليه السلام { الَّذِينَ كَفَرُوا }
 الذين جحدوا وأنكروا رسالة شعيب عليه السلام { مِنْ قَوْمِهِ } من قومه وأهله
 وعشيرته { لِيَنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا } لئن آمنتكم وصدقتم شعيباً واتبعتم دينه واقتديتم
 بشعيب عليه السلام { إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ } ستكونوا عندها خاسرين تخسرون
 أنفسكم باتباعكم شعيباً لأن الآلهة والأوثان تضركم وتخسرون حياتكم وتهلكون
 { فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةُ } فاجأهم الزلزال الشديد فأخذهم من تحتهم { فَأَصْبَحُوا فِي
 دَارِهِمْ } فأصبحوا في ديارهم ومسكنهم { جِثْمِينَ } هالكين وجثث هامة أي
 ماتوا جميعاً { الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا } كل من كذب شعيباً عليه السلام ولم يصدقه ولم
 يتبع دينه ورسالته { كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا } كأنهم لم يوجدوا أحياءً في ديارهم قبل
 ذلك أي كأنهم لم يخلقوا ولم يوجدوا في الدنيا { الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا } كل من
 كذب شعيباً ولم يصدقه ولم يتبعه في رسالته { كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ } كانوا هم
 الهالكين والمعدبين والذين خسروا أنفسهم وأهليهم وأموالهم وممتلكاتهم { فَتَوَلَّى
 عَنْهُمْ } ذهب وابتعد عنهم وتركهم { وَقَالَ يَاقَوْمِ } قال أسفاً يا قوم ويا عشيرتي
 { لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ } لقد أخبرتكم { رِسَالَاتِ رَبِّي } أي أوامر ربي ورسالته من عدم

عبادة الأصنام وعدم نقص الكيل والميزان وتقوى الله وعبادته وحده {وَنَصَحْتُ لَكُمْ} وشددت بالنصح والإرشاد لكم {فَكَيْفَ ءَاسَىٰ} فكيف أحزن وآسف {عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ} على قوم كفروا بعبادة الله تعالى ووجدوا بها وأنكروا ما جاء به رسولهم شعيب عليه السلام وكان صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم هل بلغت فاشهد) ويكررها.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءِآبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

{وَمَا أَرْسَلْنَا} لم نرسل ولم نبعث {فِي قَرْيَةٍ} في بلدة {مِّن نَّبِيٍّ} من أحد من الأنبياء والرسل {إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا} إلا أهلنا أهل تلك القرية {بِالْبَأْسَاءِ} وهو الفقر والقحط والحروب {وَالضَّرَّاءِ} المصيبة والبلاء والمرض في النفس والأهل {لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ} لعلهم يدعون الله تعالى ويتوبون إلى الله تعالى وهو الدعاء الشديد والتضرع هو الإخلاص في الدعاء {ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ} ثم غيرنا بدل الشر والبلاء {الْحَسَنَةَ} الخير والرخاء والنعمة {حَتَّىٰ عَفَوْا} حتى ارتدوا وانقلبوا إلى المعصية من جديد {وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءِآبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ} وقالوا قد مس وأصاب آباءنا وأجدادنا مثل هذا العذاب والفقر والغنى والنعيم والسعادة فهذا حال الدهر ولم يتبينوا أنه اختبار وابتلاء لهم حتى يتوبوا ويتضرعوا

{فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً} فأهلكناهم فجأة {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} وهم لا يشعرون ولا يعلمون بعاقبة معصيتهم وذنوبهم فأهلكوا فجأة {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى} ولو أن أهل القرى والمدن والبلاد {ءَامَنُوا} صدقوا رسلهم {وَاتَّقَوْا} أي اتقوا معصية الله تعالى وخافوا عذابه وخشوه {لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم} لأنزلنا عليهم {بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ} وهو المطر والخير العميم {وَالْأَرْضِ} أي خصبها وبركتها بإنبات الزرع والحبوب والفواكه والعشب ليأكل منها الناس والحيوانات والطيور {وَلَكِن كَذَّبُوا} ولكن جحدوا وأنكروا ما جاء بهم رسولهم {فَأَخَذْنَاهُمْ} فأهلكناهم {بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} بما كانوا يعملون من المعاصي والآثام والذنوب والمحرمات وعبادة الأصنام والأوثان.

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

{أَفَأَمِنَ} هل آمن واطمأن ولم يخف {أَهْلُ الْقُرَى} أهل القرى والمدن والبلدات {أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا} أي أن يأتيهم عذابنا وانتقامنا وهلاكنا {بَيِّنًا} أي ليلاً {وَهُمْ نَائِمُونَ} أي غير مستيقظين ولا منتبهين {أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى} أو هل آمن واطمأن ولم يخف أهل القرى والمدن والبلدات {أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا} أن يأخذهم عذابنا وانتقامنا وهلاكنا {ضُحًى} وهو وقت الضحى ما بين طلوع الشمس وارتفاعها حتى الظهر هذا هو وقت الضحى أي في وضوح النهار {وَهُمْ يَلْعَبُونَ} وهم يلعبون ويلهون {أَفَأَمِنُوا} هل آمنوا واطمأنوا ولم يخافوا {مَكْرَ اللَّهِ} غضبه وعذابه وانتقامه

{فَلَا يَأْمَنُ} فلا يطمئن ولا يخاف {مَكْرَ اللَّهِ} غضب الله وعذابه وانتقامه {إِلَّا
الْقَوْمَ الْخَاسِرُونَ} إلا القوم الهالكون والخاسرون أنفسهم في الدنيا والآخرة.
﴿أَوْلَمَ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ
وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾

{أَوْلَمَ يَهْدِ} أولم يخطر ببالهم وفكرهم وعقولهم {لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ
أَهْلِهَا} وهم الورثة والخلفاء خلفاً بعد خلف وأمة بعد أمة وقوماً بعد قوم {أَنْ لَوْ
نَشَاءُ} لو أردنا {أَصَبْنَاهُمْ} أهلكناهم {بِذُنُوبِهِمْ} بمعصيتهم {وَنَطْبَعُ عَلَى
قُلُوبِهِمْ} ونختم على قلوبهم بالكفر {فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} أي لا يسمعون نصحاً
ولا هدى ولا إرشاداً ولا وعظاً.

﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقِصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا ۖ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ۚ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا
وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ۖ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾

{تِلْكَ الْقُرَى} وهذه القرى والمدن والبلدات المقصودة سواء مدن قوم عاد وقوم ثمود
باليمن أو قوم لوط وأهل مدين بفسطاطين وهم قوم شعيب عليه السلام {نَقِصُ عَلَيْكَ
مِنْ أَنْبَاءِهَا} أي نقص ونحكي لك أخبارها {وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم} رسلهم هود
عليه السلام أرسل لقوم عاد وصالح عليه السلام أرسل إلى ثمود وشعيب عليه
السلام أرسل إلى أهل مدين ولوط للمؤتفكات {بِالْبَيِّنَاتِ} الآيات الواضحة {فَمَا
كَانُوا لِيُؤْمِنُوا} فلم يؤمنوا ولم يصدقوا برسولهم الذي أرسل إليهم {بِمَا
كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ} حيث أنهم كانوا يعبدون الأصنام ولا يصدقون بآله واحد لا

شريك له {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ} أي وهكذا يختم الله {عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ} يختم على قلوب الذين كفروا بالكفر والجحود بالرسول {وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ} ولم يوجد لأكثر السابقين من الأقسام التي سبقت عهد ولا ميثاق ولا إيمان بالرسول ولا بالمعجزات {وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ} وجدناهم الأكثر والأغلبية لفاسقين ولعاصيين ومذنبين.

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ ۖ يَافِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولُ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٥﴾ ﴾

{ثُمَّ بَعَثْنَا} ثم أرسلنا {مِنْ بَعْدِهِمْ} من بعد هود إلى عاد وصالح إلى ثمود وشعيب عليهم الصلاة والسلام جميعاً أرسلنا شعيب إلى أهل مدين ومن بعدهم {مُوسَىٰ} عليه الصلاة والسلام وهو موسى بن عمران {بِآيَاتِنَا} بآيات التوراة والمعجزات {إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ} وهو فرعون ملك مصر وهو الوليد بن مصعب وقومه هم أهل مصر {فَظَلَمُوا بِهَا} أي ظلموا رسالة موسى عليه السلام بعدم تصديقها وتكذيبها {فَانظُرْ} فشاهد {كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ} كيف كان مصير وعاقبة ونهاية {الْمُفْسِدِينَ} الطاغين والمخربين والفاستدين والمجرمين الذين ينشرون الفساد والظلم والطغيان والمعاصي {وَقَالَ مُوسَىٰ} وهو نبي الله ورسوله موسى بن عمران {يَافِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ} أي يا فرعون أي الوليد بن مصعب إني رسول ونبي مرسل من قبل الله تعالى إليك {مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} من الله تعالى خالق جميع الكون

وسكانه من أهل السماء وأهل الأرض {حَقِيقٌ} صادق وصحيح وحق ومؤكد ولا كذب في ذلك {عَلَىٰ أَنْ لَّا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ} أرسلني على أن لا أقول إلا الحق والصدق والصواب من الله تعالى {قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ} قد جئتم وأتيتكم ببينة وآية ومعجزة ودلالة واضحة {مِّن رَّبِّكُمْ} من ربكم وخالقكم الله تعالى جل جلاله وعظمت قدرته وعلا شأنه {فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} فأرسل وأخرج معي بني إسرائيل وهم من سلالة يعقوب عليه السلام وهو اسمه إسرائيل ومعنى [إسرا] معناها عبد و[إيل] معناها الله أي عبد الله وهو يعقوب عليه السلام وبنو إسرائيل من ذريته حضروا إلى مصر أيام يوسف عليه السلام لما جاءه أبويه من فلسطين إلى مصر وخرّوا له ساجدين كما قال تعالى: " فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ " ٩٩ يوسف.

﴿ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴿١٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنّٰظِرِیْنَ ﴿١٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

{قَالَ} أي قال فرعون لموسى عليه السلام {إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ} إن كنت يا موسى جئت وأتيت بآية بدلالة أو بينة أو معجزة {فَاتِ بِهَا} أحضرها وبينها لنراها {إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ} إن كنت صادقاً مرسلًا من قبل الله تعالى {فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ} أي رمى موسى عليه السلام عصاه التي في يده {فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ} فإذا تنقلب عصاه ثعباناً مبيناً مخيفاً ومهيلاً وكبيراً جداً وواضحاً للعيان

{وَنَزَعَ يَدَهُ} أي وأخرج يده من جيبه {فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ} فإذا يده تنقلب من سوادها أو سمرتها الطبيعية وتنقلب بيضاء تتلألأ من شدة البياض والنور رآها جميع الناظرين والمشاهدين والحاضرين عياناً معجزة أخرى لفرعون وقومه {قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ} قال الجمع من الحضور والمشاهدين والحاضرين من قوم فرعون {إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ} أي إن موسى هذا ساحر وبجيد السحر وهو عليم أي متعلم وعالم في فنون السحر {يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ} قال القوم بعضهم لبعض يريد موسى عليه السلام أن يخرجكم ويطردهم وينفيكم من أرضكم أرض مصر {فَمَاذَا تَأْمُرُونَ} فماذا تفعلون في أمره وتأمرون لنوقفه عند حده.

﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١٣﴾ يَا تُولَكِ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٦﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٧﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءَ وَبِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٨﴾ ﴾

{قَالُوا أَرْجِهْ} أي اضرب له واجعل له ميعاداً وميقاتاً {وَأَخَاهُ} أي موسى عليه السلام وأخاه هارون عليه السلام لأنه نبي ورسول طلب موسى من الله تعالى أن يرسله معه ليشد به أزره {وَأَرْسِلْ} وابعث {فِي الْمَدَائِنِ} أي في جميع المدن والقرى المصرية {حَاشِرِينَ} جامعين {يَا تُولَكِ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٌ} أي يجلبوا لك يا فرعون بكل من تعلم السحر وأجاده من المشهورين {وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ} أي حضر السحرة إلى فرعون ملك مصر في ذلك الوقت {قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا} قال

السحرة لفرعون نريد لنا أجراً ومكافأة {إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ} إن فوزنا وغلبنا وانتصرنا على موسى وأخيه {قَالَ نَعَمْ} قال فرعون نعم أي وافق على طلبهم بالأجر والمكافأة {وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ} وسيكون لكم عندي قربي ومنزلة وشأن وخاصة لي أي إلى فرعون {قَالُوا يَمُوسَى} قال السحرة لموسى عليه السلام {إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ} أي خيروا موسى عليه السلام من يبدأ بالعرض وإلقاء أعمال السحر هم أم موسى عليه السلام {نَحْنُ الْمُلْقِينَ} نحن البادئين {قَالَ} أي موسى عليه السلام {أَلْقُوا} أي ابدؤوا بإلقاء سحركم {فَلَمَّا أَلْقَوْا} فلما بدأ السحرة وألقوا ما معهم ورموه على الأرض {سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ} موهوا وأوهموا وخدعوا أعين الناس وهم ينظرون ويشاهدون ذلك السحر وذلك أنهم أوهموا الناس أن الحبال والعصي فيها روح وحياة {وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ} أي خوفوهم {وَجَاءَ وَبِسِحْرِ عَظِيمٍ} أي عملوا وجاءوا بسحر عظيم وعجيب ومدهش ومنتقن وعلى أعلى مستوى وإتقان وهو أنهم عملوا حبالاً وعصياً وملأوها زئبقاً ووضعوها في الشمس وكان ذلك ضحى وفي يوم عيدهم ولما اشتدت الشمس بدأ الزئبق يتمدد وتتحرك معه العصي والحبال في جميع الاتجاهات حسب اتجاه إلقاءها وهذا هو استرهاب الناس وتخويفهم لما رأوا الحبال والعصي التي في داخلها الزئبق تتمدد وتتحرك من شدة حرارة الشمس وتتحرك نحوهم وهي في صفة حيات وأفاعي وثعابين ضخمة وكبيرة وهذه غريزة في الإنسان أن يخاف من الحيات والثعابين وأنه في العصر الحاضر وتقدم العلم والصناعة صنعت من المطاط على هيئة حيات وثعابين طبق الأصل مما يخيف كل من نظر إليها ولم يعرفها أنها ثعابين صناعية. والسحر نوعان سحر خيال وخدع وحيل (خفة اليد) وسحر حقيقي وهو ما نص عليه القرآن وهو التفريق

بين المرء وزوجه وهذا النوع لا يرى بل يرى تأثيره أما سحر الخيال فهو يرى بالعين كما هو في العصر الحالي من استعراضات السحرة في المهرجانات من خفة اليد والسحر الذي استخدمه سحرة فرعون هو من هذا النوع.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ إِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فغلبوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

{ وَأَوْحَيْنَا } هنا الوحي إلهام لأن الله تعالى هو الذي خاطبه بأن يذهب إلى فرعون وليس بواسطة جبريل كما في سائر الأنبياء يكون الوحي بواسطة جبريل { إِلَىٰ مُوسَىٰ } وهو موسى عليه السلام ابن عمران { أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ } أي ألق وارم عصاك التي في يدك { إِذَا هِيَ تَلْقَفُ } فإذا هي تبتلع { مَا يَأْفِكُونَ } ما يصنعون ويعملون ويخترعون من الأضاليل والتمويه والخداع من العصي والحبال التي وضعوا بها مادة الزئبق { فَوَقَعَ الْحَقُّ } فوقع العصا وهي الحق والمعجزة والبينة والدلالة الواضحة على حق رسالة ومعجزة موسى عليه السلام { وَبَطَلَ } وفسد { مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } أي ما عملوا من السحر والتمويه والإيهام والخداع من سحرهم { فغلبوا هُنَالِكَ } ففي ذلك الوقت غلبت سحرة فرعون { وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ } رجعوا مهزومين وفاشلين ومنكسرين { وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ } أي سجد السحرة وألقوا بأنفسهم على الأرض سجداً { قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } اعترفوا بقدرته الله تعالى وبرسالة موسى ومعجزته وآمنوا وصدقوا بالله تعالى هو رب العالمين وخالفهم { رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ } وأنه أيضاً رب وإله وخالق موسى وهارون عليهما السلام وهذا يدل

على أن السحرة أقرب لله تعالى من غيرهم لأنهم علموا وعرفوا قدرة السحر وقدرة الله تعالى التي هي أعظم وأكبر من السحر.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۗ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۗ فَسَوْفَ تَعْمُونَ ﴿١١٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ۖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١١٥﴾ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَأَمِنَّا بِقَايَتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ۗ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾

{ قَالَ فِرْعَوْنُ } قال فرعون ملك مصر وهو الوليد بن مصعب { ءَأَمِنْتُ بِهِ } صدقتم موسى ورسالته ومعجزته وهي معجزة العصا التي انقلبت إلى ثعبان عظيم وأبطلت عمل السحرة { قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ } قبل أن أسمح لكم { إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ } إن هذا لغدر وخيانة ومؤامرة أحكمتوها ومكيدة خدعتموني بها وهي المباراة الشكلية وقوله هذا دليل على فشله وعدم انتصاره على موسى عليه السلام ودليل على أنه ليس بإله وإلا لعلم بما مكر به ولأبطل معجزة موسى عليه السلام التي اعتبرها فرعون مكرًا به { فِي الْمَدِينَةِ } أي في مصر { لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا } والإجمالي العام بأن أهلها هم أهل مصر جميعاً ولكنه لم يقصد ذلك بل يقصد أهلها هم بنو إسرائيل الذي يستعبدهم ويستحيي نساءهم ويقتل أطفالهم { فَسَوْفَ تَعْمُونَ } وهذا تهديد لهم بأنه سينتقم منهم { لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ } أي يخالف في القطع وبالعكس اليد اليمنى يقطعها مع الرجل اليسرى والرجل اليمنى يقطعها مع اليد اليسرى وهذا معنى الخلاف { ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ } والصلب هنا بأن يربط الرجل وهو واقف على جذع شجرة أو نخلة ويمد يده على طولهما ويربط عليها أي تُفتح ذراعه وهو واقف ومربوط على الشجرة

حتى يموت بعد قطع يده ورجليه بعكس بعضهما وهذا هو أشد العذاب والعقاب والنكال {قَالُوا} أي السحرة الذين آمنوا مع موسى {إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ} أي النهاية والمصير نحن إلى ربنا منقلبون وراجعون فهو إليه المصير والمآل {وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا} أي ما تنقم منا وتعاقبنا {إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِمَا يَتَّبِعُنَا} إلا أننا آمننا وصدقنا بمعجزة ربنا الذي أرسلها وهي عصا موسى عليه السلام {لَمَّا جَاءَتْتَا} أي لما جاءت إلينا وحضرتنا وشاهدناها وصدقناها {رَبِّنَا أَفْرَغَ عَلَيْنَا صَبْرًا} ربنا صبرنا وقونا وامنحنا الثبات والصبر على عقاب وعذاب فرعون {وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ} أي وأمتنا مسلمين ومؤمنين بك وبرسولك موسى عليه السلام ولكن فرعون لم يتمكن من صلب السحرة كما توعدهم لهروب موسى وأخيه هارون عليهما السلام وقومهما بما فيهم السحرة ليلاً قبل أن يظفر بهم فرعون والدليل على ذلك أنه لم يصلب السامري وهو أحد أولئك السحرة.

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ

وَأَهْلِكَ قَالَ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٧٧﴾

{وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ} قال الجمع من الحاضرين والمشاهدين من قوم فرعون

من أهل مصر {أَتَدْرُ مُوسَىٰ} أنتترك موسى عليه السلام {وَقَوْمَهُ} وهم بنو إسرائيل

{لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ} ليخربوا في الأرض ويفسدوا فيها {وَيَذَرَكَ وَأَهْلِكَ}

ويتركك ويدعك أنت وأهلك من الأصنام والأوثان. وهنا يظهر الله تعالى الحقيقة

عند الصدمة وهي قولهم وأهلك وفي الأصل كان هو يدعي أنه إله كما قال تعالى:

"أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى" ولكنهم قالوا الحقيقة وكذبوه بأنه ليس إله بل هو رجل وملك

عادي من الملوك {قَالَ} أي قال فرعون رداً على قومه {سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ

وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ} أي سنقتل الأبناء والأطفال ونستحيي النساء أي نستحل فروجهم عنوة ولو كنّ متزوجات وهذا لا يدل على عدل من إله كما يدعي فرعون لأن الإله لا يستحيي النساء ولا يقتل الأطفال {وَأِنَّا فَوْقَهُمْ} أي أقوى منهم {قَاهِرُونَ} أي غالبون ومذلّوهم ومعذبوهم.

﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا ۗ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٣٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾

{قَالَ مُوسَى} قال موسى بن عمران عليه السلام نبي الله ورسوله {لِقَوْمِهِ} وهم اليهود وهم بنو إسرائيل {اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ} أي اطلبوا الاستعانة والحماية واطلبوا العون والنصر من الله تعالى {وَأَصْبِرُوا} لأن الفرج مع الصبر واصبروا على أذى فرعون وقومه حتى يجعل الله لكم مخرجاً {إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} وإن الأرض ملك لله تعالى وحده فهو يورثها ويملكها ويعطيها لمن يشاء ويريد من عباده أي من خلقه {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} والنهاية والنصر للمتقين الذين يتقون الله في محارمه ومعاصيه ويطيعونه ويعبدونه وحده {قَالُوا} أي بنو إسرائيل وهم قوم موسى عليه السلام {أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا} أُوذينا عذبا من قبل أن تأتينا وليداً يا موسى وهو أنه كان فرعون يقتل الأولاد الذكور الذين يولدوا حديثاً لأن الكهنة أخبروه بأن ملكه أي فرعون سينتهي ويزول على يد مولود ذكر من بني إسرائيل فأمر بأن يقتل كل من ولد ذكراً حتى ولد موسى عليه السلام

وأنجاه الله من فرعون عندما وضعت أمه في التابوت وهو صندوق معد لذلك وألقته في البحر ولما رآته زوجة فرعون قالت قرّة عين لي ولك سنتخذه ولداً حيث أنها لم تحمل قبل ذلك من فرعون وكذلك كان يعذب الرجال ويغتصب النساء وهذا هو الإيذاء الذي ذكروه {وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا} وحتى لا يزال العذاب مستمراً بعد ما جئتنا وأتينا بالرسالة لا يزال العذاب علينا {قَالَ} أي موسى عليه السلام إلى قومه من بني إسرائيل {عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ} أي عسى ولعل ربكم الله تعالى بعظمته وجلاله وقدرته وجبروته أن يهلك ويقتل عدوكم وهو فرعون لعنه الله {وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ} أي يورثكم الأرض والحكم من بعد فرعون وقومه {فَيَنْظُرْ} فيرى {كَيْفَ تَعْمَلُونَ} ماذا تعملون هل تتقون الله وتعبدوه وحده أم تعصوا الله وتخالفوه وترتكبوا الذنوب والمعاصي والآثام والمخالفة والمعصية.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾

{وَلَقَدْ أَخَذْنَا} أي أخذ الله بالعذاب {آلَ فِرْعَوْنَ} أي فرعون وقومه {بِالسِّنِينَ} القحط والجذب والمصائب والسنين هي سنوات الجوع والشدة {وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ} أي لا تحمل الأشجار ثماراً إلا قليلاً {لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} لعلهم يتعظون ويتوبون لله ويرجعون إليه {فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ} إذا جاءهم الخير والفرح والسرور {قَالُوا لَنَا هَذِهِ} أي جاءتنا من نفسها وشيء طبيعي وهذا رزقنا ليس

لله ولا لأحد من فضل {وإن تُصِيبهم سَيِّئَةٌ} إن أصابهم شر أو مصيبة {يَطِيرُوا} يتشائموا {بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ} أي بموسى عليه السلام وأخيه هارون ومن آمن معه {أَلَا إِنَّمَا طَبَّرَهُمْ} تشاؤمهم {عِنْدَ اللَّهِ} محفوظ عند الله يوم القيامة يحاسبهم ويعذبهم عليه {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ} أي أكثر الناس {لَا يَعْلَمُونَ} لا يعلمون عقاب ذلك وعذاب الله عليه {وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ} وقال قوم فرعون لموسى عليه السلام كل ما تأتينا به من معجزة وبيان ودلالة وإثبات (كعصاه التي انقلبت ثعباناً مبيناً) {لَتَسْحَرَنَّا بِهَا} لتخدعنا بها {فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} فلن نصدقك ولن نؤمن بك ولا برسالتك ولا بمعجزتك لأنهم يعتبرونها من فنون السحر.

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدمَّ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٦﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٧﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٨﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِآيِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾

{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ} فأرسل الله تعالى وبعث على فرعون وقومه {الطُّوفَانَ} والطوفان مطر ليل ونهار حتى أنهم لا يرون شمساً ولا قمراً {وَالْجَرَادَ} نوع من الحشرات يأكل النباتات والزرع فأكل النبات والأشجار والعشب حتى صار عند طيرانه يغطي الشمس من كثرتة {وَالْقُمَّلَ} وهو القمل والبراغيث وصار على أبدانهم كالجدري يمص دمهم {وَالضَّفَادِعَ} وهي برمائية وكانت كالليل الدامس من

كثرتها حتى دخلت على فراشهم وطعامهم وزرعهم {وَالدَّم} فجرت أنهارهم دماً
فمكثوا سبعة أيام يشربون الدم وقيل سلط الله عليهم الرعاف وهو نزول الدم من
الأنف {ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ} أي معجزات واضحة وبيّنات {فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا
قَوْمًا مُّجْرِمِينَ} فتعالوا وتكبروا وعنوا وكذبوا واستمروا عاصين طاغين ومذنبين
{وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ} لما وقع عليهم العذاب {قَالُوا} فرعون وقومه
{يَمُوسَى} أي يا موسى بن عمران {أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ} اطلب من
ربك وادعوه بما علمك {لَيْسَ كَشَفْتِ} لئن رفعت {عَنَّا الرِّجْزَ} عنا نحن فرعون
وقومه الرجز وهو العذاب {لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ} لنصدقك {وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ}
ولنبعثن معك بني إسرائيل وهم اليهود الموجودين في مصر {فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ
الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ} فلما رفعنا عنهم العذاب بعد المدة التي
عذبهم الله بها إذا هم ينكثون ويرجعون عن ما وعدوا به موسى من الإيمان به
والتصديق برسالته فبالنسبة للطوفان أمسكه الله عنهم وأوقف المطر وأرسل عليهم
الرياح فشقت الأرض فأخرجت نباتها بزيادة فقالوا هذا الذي جزعنا منه كان
خيراً لنا فكفروا فأرسل الله عليهم الجراد فلما استغاثوا بموسى ليدعوا ربه ويرفعه
عنهم فأرسل الله تعالى على الجراد ريحاً ألقته في البحر فقالوا ما بقي من زرعنا
فهو يكفيننا فكفروا فأرسل الله عليهم القمل فاستغاثوا إلى موسى فاستغاث إلى ربه
فأماتها وأرسل عليهم مطراً فاحتملها إلى البحر فكفروا فأرسل الله تعالى عليهم الدم
فقالوا يا موسى لئن كشفت عنا الرجز أي العذاب لنؤمنن لك فلما رفعه الله كفروا
ولم يصدقوا موسى {فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ} انتقم الله منهم بالعذاب {فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ}
أي أغرقنا فرعون وقومه في البحر {بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} كذبوا ولم يصدقوا بموسى

ولا برسالاته ولا معجزته {وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} كانوا عن تصديقها واتباعها غافلين لاهين معرضين ومكذبين.

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ ۖ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾

{وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ} أورث الله بني إسرائيل وهم المستضعفون والضعفاء {مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا} في أنحاء الأرض مشرقها ومغربها {الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا} وهي فلسطين وذلك في عهد سيدنا داود وسليمان عليهما السلام {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ} وتم فضل الله ورحمته {عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ} على اليهود وهم ذرية يعقوب عليه السلام وهو النصر والتمكين في الأرض {بِمَا صَبَرُوا} بصبرهم على أذى فرعون وقومه {وَدَمَّرْنَا} وأهلكنا {مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ} أي خربنا ما كان يصنع فرعون من المصانع والمزارع {وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ} وما كانوا يبنون من القصور والبنائيات أي انتهى ملكهم بموتهم وغرقهم كما قال تبارك وتعالى: " فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {٥٧} وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ {٥٨} " ٥٨، ٥٧ الشعراء. وكما قال تعالى: " كَمْ تَرَكَوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {٢٥} وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ {٢٦} وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِنِينَ {٢٧} " ٢٥-٢٧ الدخان.

﴿ وَجَنُوزَنَا بِنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتُوا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ قَالُوا
يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ
مَا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ
فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِذْ أَخْبَيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ
سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ
رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾

{ وَجَنُوزَنَا بِنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ } وتعدى وعبر بنو إسرائيل البحر وجازوه { فَاتُوا }
عَلَى قَوْمٍ { فَجَاءُوا عَلَى قَوْمٍ } يَعْكُفُونَ { يَعْبُدُونَ } عَلَى أَصْنَامِهِمْ { عَلَى تَمَاثِيلِ }
يعبدونها { قَالُوا يَمُوسَى } أي قوم موسى لرسولهم موسى عليه السلام أي بنو
إسرائيل { اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ } نريد أن تجعل لنا صنماً إلهاً نعبده كما
يعبد هؤلاء الأصنام { قَالَ } موسى عليه السلام { إِنَّكُمْ } يا بني إسرائيل { قَوْمٌ }
تَجْهَلُونَ { تَجْهَلُونَ حَقِيقَةَ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ } { إِنَّ هَؤُلَاءِ } أي عبدة
الأصنام { مُتَّبِعُونَ مَا هُمْ فِيهِ } أي خاسر وهالك كل ما يعبدون هؤلاء من الأصنام
{ وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } داحض وفساد وذهب وهالك ولا حقيقة له كل ما
يعملون من الأصنام وعبادتها { قَالَ } أي موسى عليه السلام { أَغَيْرَ اللَّهِ } هل غير
الله { أَبْغِيكُمْ إِلَهًا } أطلب إليكم وأعطيكم الإله من الأصنام غير الله تعالى جل
جلاله وعظمت قدرته وعلا شأنه { وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } وهو الله تعالى
فضلكم على العالمين بالرسالة والنبوة فأنتم خلاصة ذرية أنبياء سلسلة من إبراهيم
عليه السلام نبي ورسول وابنه إسحاق عليه السلام نبي ورسول وابن إسحق يعقوب

عليهما السلام نبي ورسول ويوسف بن يعقوب عليهما السلام نبي ورسول فهم خلاصة سلالة أنبياء وأغلب الأنبياء والرسل منهم وهذا هو فضلهم على العالمين {وَإِذْ أَخْبَرْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ} والله تعالى نجاكم من فضله واخترقتم البحر إلى الضفة الأخرى سالمين ناجين من فرعون وقومه {يَسْؤُمُونَكُمْ} أي يسقونكم ويذيقونكم {سُوءَ الْعَذَابِ} أشده {يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} أي يقتلون الأبناء ويغتصبوا النساء منكم {وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ} وذلك ابتلاء عليكم {مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ} مسلط عليكم من ربكم وهو امتحان وعذاب لمخالفتكم وعصيانكم.

﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مَّقَتُ رَبِّهِ - أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ - أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٥٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنِي وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

{وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ} واعد الله تعالى موسى عليه السلام لمناجاته {ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ} أي أربعين يوماً والثلاثون يوماً هي المدة التي نظف فيها بطن آدم عليه السلام بعد أكل الشجرة التي نهاه الله عنها في الجنة ثمكملها بعشرة أيام ليكون العدد أربعين ليلة {فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ} وهو الوقت الذي وعده الله أن يناجيه بعده {أَرْبَعِينَ لَيْلَةً} وهي مجموع الثلاثين ليلة والعشر {وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ - أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي} وطلب موسى من هارون أخيه أن يخلفه وينوب

عنه في بني إسرائيل في غيابه {وَأَصْلَحَ} أي اعمل الخير وأصلح بين من يتشاجر منهم أو يخاصم الآخر {وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} ولا تتبع طريق المفسدين والمخربين والمفرقين بين القوم {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا} ولما حضر موسى في الميقات أي الوقت والمكان لمناجاة الله تعالى وهو جبل الطور {وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} أي وحادثه بكلام {قَالَ} قال موسى عليه السلام {رَبِّ} إلهي وخالقي {أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ} اجعلني أشاهدك وأنظرك بعيني {قَالَ} قال الله تعالى له {لَنْ تَرِنِي} أي إنك لن تستطيع أن تراني لأن عيني الدنيا ليست مؤهلة لرؤيتي في الدنيا {وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي} ولكن قبل رؤيتي انظر إلى الجبل هل يستطيع رؤيتي فإن استقر مكانه أي بقي في مكانه ولم يتغير ولم يتحرك ولم ينهدم فسوف تراني فعندها تراني بعينيك {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ} فلما أظهر الله نوره للجبل {جَعَلَهُ دَكًّا} أي تصدع الجبل ودك ولم يبق على حاله بل انهار وتصدع وتفتت وفني {وَوَحَّى} ووقع {مُوسَى} أي موسى عليه السلام نبي الله ورسوله {صَعَقًا} أي مغشياً عليه وأغمي عليه من شدة هول ما رأى وسمع من دك الجبل وانهياره وتصدعه وانشقاقه وتفتته {فَلَمَّا أَفَاقَ} فلما أفاق موسى عليه السلام من الإغماء {قَالَ سُبْحَانَكَ} تنزهت وعلوت وعظم شأنك وجلالك {تُبْتُ إِلَيْكَ} أي ندمت ورجعت عن طلبي إليك بالرؤية {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} وأنا أول المؤمنين والمصدقين بعظمتك وجلالك وقدرتك وبساطع نور جمالك وبهائك وأنت خفي لا تراك العيون ولا تستطيع وصفك الألسن. قال صلى الله عليه وسلم: (احتجب الله عن أهل السماء كما احتجب عن أهل الأرض

واحتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وأنه تعالى ما حل في شيء ولا غاب عن شيء وأن الملائة الأعلى يطلبون الله تعالى كما تطلبونه أنتم). [نزهة المجالس ص ٤٠١]. وروى أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام هل ترى ربك؟ قال: (بيني وبينه سبعون حجاباً من نور). [نزهة المجالس ص ٤٠١]. قال وهب رضي الله عنه قرأت في كتب الله تعالى: (قال موسى عليه السلام لإبليس لم لا سجدت لآدم؟ فقال ما أردت أن أكون مثلك فإني ادعيت محبته فما أردت السجود لغيره واخترت العقوبة عن كذب دعواي وأنت ادعيت محبته فقال لك انظر إلى الجبل فنظرت ولو غمضت عينيك لنظرت إليه). [نزهة المجالس ص ٤٤].

﴿ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي أُصْطَفِيتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿٤٥﴾﴾

{ قَالَ } الله تعالى عز جلاله { يَمُوسَى } يا موسى بن عمران { إِنِّي أُصْطَفِيتُكَ } إني اخترتك { عَلَى النَّاسِ } أي على الناس جميعاً في عصرك ووقتك { بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي } وهي التوراة والألواح وهي كلام الله { فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ } فخذ ما آتيتك من الرسالة والتوراة واعمل بها { وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ } أي اشكر الله تعالى على أنعمه وفضله { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً } أي كتب الله في هذه الألواح كل شيء يحتاجونه في الدنيا وموعظة لهم على عبادة الله وحده { وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ } أي بياناً وتوضيحاً لكل شيء من الهدى والخير

{فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ} أي اعمل بها يا موسى بقوة اليقين والطاعة والاجتهاد في العبادة {وَأْمُرْ قَوْمَكَ} أي أمر قومك وهم بني إسرائيل {يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا} أي يأخذوا بما فيها من العبادة والطاعة والفضائل بأحسن ما يقربهم إلى الله كما في شرعنا أحسن ما يقرب إلى الله الصلاة وقت السحر وهو قيام الليل وذكر الله قياماً وقعوداً والجهاد وصيام التطوع والحج المبرور وغيرها من الطاعات {سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ} أي سأجعلكم تشاهدون مصر وكيف مصيرها وهي دار الفراعنة لأنه ادعى فرعون أنه إله وذلك لكفره كما قال تعالى: " فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ " ١٢ النمل. وقال تعالى: " فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ " ٣٢ القصص. وهذا المصير وهو موت فرعون غرقاً هو وقومه وبعد أن جاوز موسى البحر هو وقومه طلب منه قومه الثوم والبصل والعدس فقال لهم اهبطوا مصر كما قال تعالى: " وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلِهَا قَالَ آتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ " ٦١ البقرة. وكان مصير دار الفراعنة هو الخراب كما قال تعالى في الآية السابقة: " وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ " ١٣٧ الأعراف.

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

{سَأَصْرِفُ} سأطرد وأبعد {عَنْ آيَاتِي} عن معجزاتي ودلائلي وبياناتي وبراهيني وكراماتي {الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} وهم المتكبرون والمتعطرسون والمتعالون في الأرض بدون حق وخطأ وبغير صواب وعلى غير هدى {وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ} وإن يشاهدوا كل معجزة ودلالة وكرامة {لَا يُؤْمِنُوا بِهَا} لا يصدقوها {وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا} أي إذا شاهدوا الحق والصواب ابتعدوا عنه وتركوه ولم يأخذوا به {وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ} وإن يشاهدوا طريق الباطل والفساد {يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا} يذهبوا إليه ويسلكوه ويلتجئوا إليه {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} وذلك أنهم كذبوا بمعجزاتنا ودلائلنا {وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} كانوا غافلين لاهين غير مكثرئين ولا مهتمين بها أي لم يصدقوا رسلهم ولا معجزاتهم ولا رسالاتهم.

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} وهم كل من كذب بآيات الله ومعجزاته وهي عامة ولكنها خاصة ببني إسرائيل {وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ} ولقاء الله في الآخرة وكذبوا بها وبالجزاء والحساب والعقاب والجنة والنار {حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ} أي فسدت وخسرت أعمالهم وعبادتهم {هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} أي لا

يحاسبوا إلا ما عملوا إن كان شراً فعذاب وعقاب وإن كان خيراً فثواب وهو دخول الجنة فالجزاء من جنس عمل هل يجوزون سؤال استنكاري أي وهل يحاسبون إلا على قدر أعمالهم كما قال تعالى: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {٧} وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ {٨} " ٨،٧ الزلزلة.

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرَحْمَنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾

{ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ } اتخذ قوم موسى وهم بنو إسرائيل وعملوا وصنعوا { مِنْ بَعْدِهِ } أي من بعد ما ذهب موسى لمناجاة ربه على جبل طور سيناء للميقات الذي حدده ربه له { مِنْ حُلِيِّهِمْ } أي من الذهب الذي كان معهم واستلفوه من أهل مصر أو كان عندهم أمانة فقالوا كيف نرده إلى أهله بعد أن خرجنا من مصر وقال بعضهم أحرقوه ولكن السامري وهو من السحرة قال نحرقه ونجعله إلهاً نعبده { عِجَلًا } فحرقوا الذهب الذي معهم وصنعه السامري وهو من سحرة فرعون على شكل عجل { جَسَدًا } أي هيكلًا ومجسدًا { لَهُ خُورٌ } أي صوت عندما يدخله الهواء يدخل من طرف ويخرج من الآخر فيظهر له صوت كخوار البقر { أَلْمَ يَرَوْنَ } ألم يشاهدوا بأعينهم ويعلموا { أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا } أي أنه هذا العجل المجسد والمشكل من الحلي صنعه بأيديهم وهو لا يكلمهم لأنه تمثال لا روح فيه ولا دم ولا يهديهم سبيلاً أي لا يدلهم على الطريق المستقيم ولا على خير ولا هدى ولا على شيء { اتَّخَذُوهُ } أي اتخذ قوم موسى ممن نجا من فرعون هذا

العجل وهذا التمثال اتخذه وعبدوه إلهاً {وَكَاثُوا ظَلَمِينَ} وكانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر والشرك والمعصية {وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ} ولما ندموا على ما وقع منهم من صناعة العجل وعبادته {وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا} ولما رأوا أنهم قد تورطوا في هذه المصيبة وهذا الشرك وهذا العصيان وأنهم ضلوا الطريق المستقيم وهو عبادة الله وحده {قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا} وقال بنو إسرائيل بعد هذه المعصية وتبينهم الحق والرشاد بأنهم ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا وينجيننا من هذه المعصية {وَيَغْفِرَ لَنَا} ويغفر لنا ويتوب علينا ويسامحنا لهذا الشرك العظيم {لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} المفلسين ولنكونن من الهالكين بالعذاب في الدنيا والآخرة وفي عذاب جهنم يوم القيامة.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۗ أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۗ وَاللَّيْلِ لِلْأَلْوَاخِ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۗ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلَا خِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

{وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى} ولما عاد موسى عليه السلام من مناجاة ربه {إِلَى قَوْمِهِ} وهم من خرج معه من قومه من بني إسرائيل ونجوا من فرعون {غَضْبَانَ أَسِفًا} غضباناً وحنقاً على بني إسرائيل وأسفاً وحزيناً على عبادتهم العجل من دون الله وأشركوا بعبادتهم العجل بدلاً من الله تعالى {قَالَ} موسى عليه السلام {بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي} أي بئس وساء عملاً عملتموه من بعدي عندما ذهبتُ لمناجاة الله تعالى

وبقيتم خلفي تعبدون العجل من دون الله {أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ} أي هل استعجلتم أمر ربكم بالمناجاة لي وكلامي وتأخري عليكم فعبدتم العجل إشراكاً بالله تعالى {وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ} ورمى الألواح التي فيها كلام الله ووضعها على الأرض وهي ألواح فيها كلام الله وأوامره ونواهيته وهي مكتوبة وجاهزة {وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ رِئْيسَهُ} وأخذ بيد شعر رأس أخيه والأخرى بلحيته يجره إليه ويعنفه ظناً منه بأن هارون عليه السلام لم يمنعهم من عبادة العجل {قَالَ ابْنُ أُمِّ} قال يا أخي يا ابن أُمِّي وأبي وذكر الأم هنا فقط اختصاراً عن ذكر الأب مع الأم {إِنَّ الْقَوْمَ} أي الذين عبدوا العجل من بني إسرائيل {أَسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي} استضعفوني لأنني واحد وهم قوم كثيرون وكانوا على وشك أن يقتلوني لأنني أردت أن أمنعهم عن عبادة العجل ولأنني نهيتهم عن ذلك {فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ} فلا تفرح بي من لا يحبني منهم وعاداني {وَلَا تَجْعَلَنِي} ولا تساويني {مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} ولا تجعلني بمنزلة القوم الظالمين الذين أشركوا بالله وعبادة العجل ولا تساويني معهم {قَالَ} موسى عليه السلام {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي} دعا ربه بأن يغفر له بتعنيفه لأخيه هارون ، ولأخيه هارون أن يغفر له الله لأنه لم يستطع منع بني إسرائيل من عبادة العجل {وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِكَ} وأدخلنا في رحمتك وعفوك وكنفك {وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} وأنت يا الله أرحم الراحمين بنا أنا وهارون وأرحم الراحمين للمؤمنين يوم القيامة ترحمهم بالنجاة من العذاب وبدخول الجنة.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَاهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

{ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ } إن الذين اتخذوا العجل وعبدوه وهم بنو إسرائيل ممن نجا مع موسى من فرعون { سَيَنَاهُمْ } سيصيبهم ويحل عليهم { غَضَبٌ } سخط وعذاب وذلة وصغار { مِّن رَّبِّهِمْ } من الله تعالى ربهم وخالقهم ومعبودهم { وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } ومهانة وصغار وهوان { وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ } وكذلك نعاقب المفتريين وهم المكذبون والمفترون والمختلقون على الله ما لم ينزل وهي عبادة العجل { وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ } والذين عملوا المعاصي والذنوب والإشراك { ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا } ثم رجعوا وتابوا وعادوا عن الذنب الذي عملوه { وَءَامَنُوا } وصدقوا بالله رباً وبنبيهم رسولاً { إِنَّ رَبَّكَ } أي إن ربك يا محمد يا رسول الله وخالقك الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { مِّن بَعْدِهَا } أي من بعد التوبة على المعصية { لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } أي غفور يرحم عباده ويعفو عنهم ويصفح عنهم ويسامحهم فهو رحيم لمن تاب وآمن ويغفر لهم معصيتهم برحمته وكرمه وفضله ومثته.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ^ط وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ^ق لِلَّذِينَ هُمْ

لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾

{وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ} ولما سكن وذهب عن موسى عليه السلام الغضب وهي ثورة الغضب والانفعال {أَخَذَ الْأَلْوَابَ} أي أخذ الألواح التي أرسلها الله إليه بالأوامر والنواهي إلى بني إسرائيل والتي وضعها على الأرض معه ليهدي بها بني إسرائيل {وَفِي نُسْخَتِهَا} وفي كتابتها ومحتوياتها وأوامرها ونهيها {هُدًى} أي يهدي بها بني إسرائيل إلى الحق والعدل والرشاد وعبادة الله وحده {وَرَحْمَةٌ} أي حتى يرحمهم الله من عذابه وعقابه ومن عذاب جهنم يوم القيامة إذا اتبعوها {لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ} أي لمن آمن من بني إسرائيل وعبده وحده وخشيه وخافه وخاف عقابه وعذابه.

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا^ط فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّيَّ^ط أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا^ط إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي^ط مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا^ط وَأَنْتَ خَيْرُ

الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾

﴿وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُنَا إِلَيْكَ^ع قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ^ط وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ^ع فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ

الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

{وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ} لما طلب قوم موسى عليه السلام وهم بنو إسرائيل أن يسمعوا مناجاة ربهم حتى يعلموا صدق موسى عليه السلام فاختر موسى عليه

السلام من قومه {سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا} وهم سبعون رجلاً من أشرافهم ووجهائهم وكبرائهم اختارهم موسى عليه السلام لميقات الله وهو الوقت الذي حدده الله تعالى لموسى لمناجاته {فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} لما أهلكهم الله بالزلزلة بعد أن سمعوا كلام الله وحلاوته ولم يسمعوا مثله قط وسمعوا أوامره ونواهيه لموسى عليه السلام لم يصدقوا بهذه المعجزة بل طلبوا رؤية الله عياناً حتى يصدقوا موسى عليه السلام فلما أخذتهم وأهلكتهم الزلزلة والرجفة والصاعقة وأهلكوا عن آخرهم {قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ} عندها توجه موسى عليه السلام إلى ربه مبتهلاً وداعياً قائلاً لو أهلكتهم قبل قدومهم معي {وَإِنِّي أَتُكِّلُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا} أي لو أهلكتهم قبل حضورهم معي لأن بني إسرائيل الآن يظنون أنني أنا قتلتهم وأهلكتهم فهل تهلكننا ويقصد به السبعين رجلاً بما فعل وطلب السفهاء من القوم وهم بنو إسرائيل الذين هلكوا وماتوا بسبب طلبهم رؤية الله تعالى والسفيه هو من لم يلتزم بالأدب وخاصة مع الله تعالى {إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ} إن هي إلا ابتلاؤك {تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ} هذا الابتلاء الذي فَتَنْتَ به بني إسرائيل أن يطلبوا رؤية الله تعالى تضل بها وتبعده عن الحق والصواب من تشاء وتريد له الضلالة وتهدي وترشد إلى طريق الحق من آمن بك وصدق واتبع الأدب معك {أَنْتَ وَلِيُّنَا} أنت سندننا ومتولي أمرنا ومصيرنا بيدك {فَاغْفِرْ لَنَا} أي اغفر لنا خطايانا ومعصيتنا هذه {وَأَرْحَمْنَا} أي تجاوز عنا برحمتك الواسعة في هذه المصيبة والفتنة {وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ} وأنت أفضل من يغفر لنا عما فعل السفهاء منا أي من بني إسرائيل {وَأَكْتُبْ} واجعل {لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً} أي في هذه الدنيا خير ورزق وعمل صالح {وَفِي الْآخِرَةِ} أي وكذلك في الآخرة اكتب لنا واجعل لنا عمل

خير وأدخلنا الجنة {إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ} إنا رجعنا إليك وتبنا وأنبنا {قَالَ} قال الله عز وجل {عَذَابِي} أي عقابي {أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ} أصيب به من أشاء ممن يستحق ممن يصر على الإثم والمعصية لأن الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة لقوله تعالى: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ " وفي قراءة عذابي أصيب به من أساء أي عقاب الله تعالى لمن أساء وعصى {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} أي رحمة الله تصل إلى كل شيء حتى للكفار في الدنيا {فَسَاكُنْتُمُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} فسأكنبها يوم القيامة وأجعلها يوم القيامة فقط للذين يتقون ويخافون الله ويخشونه ويؤتون الزكاة أي يدفعونها للفقراء والمساكين ومن يستحقها {وَالَّذِينَ هُمْ بِعَائِتِنَا} والذين هم بآيات الله ودلائله وبراهينه ومعجزاته {يُؤْمِنُونَ} أي يصدقون بها أي رحمة الله في الدنيا لجميع الخلق ولجميع الكون وفي الآخرة للمؤمنين والمتقين والذين يطيعون الله في أوامره ونواهيه ويصدقون برسله وكتبه واليوم الآخر وباللائكة.

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
 وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ
 عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا
 بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾
 قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ۖ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ جَمِيعًا ۗ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي ۖ وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي
 يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ۖ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ} أي الذين يؤمنون به ويتبعوه ويقتدوا به في عبادته وهو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهو نبي الله ورسوله وهو أمي لم يتعلم القراءة ولا الكتابة لحكمة يعلمها الله تعالى وحتى لا يدعي أعداء الإسلام بأن القرآن من عنده وكلامه ولأنه متعلم أو جاء به عن موهبة أو نقله من كتب أخرى وديانات أخرى {الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ} وهم اليهود بنو إسرائيل يجدون صفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة في توراة موسى عليه السلام وإنجيل عيسى عليه السلام. وأما في التوراة قال ابن جرير حدثنا المثني حدثنا عثمان بن عمر حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا " وحرزاً للأمة أنت عبدي ورسولي اسمك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا [لا إله إلا الله] ويفتح به قلوباً غلفاً وآذاناً صماً وأعيناً عمياً قال عطاء ثم لقيت كعباً فسألته

عن ذلك فما اختلف حرفاً إلا أن كعباً قال بلغته قال [قلوباً غلوفياً وآذاناً صمومياً وأعيناً عمومياً]. وقد رواه البخاري في صحيحه عن محمد بن سنان عن فليح عن هلال بن علي فذكر بإسناده نحوه وزاد بعد قوله ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح. [ابن كثير ج ٢ ص ٢٥٣].

{وَالْإِنجِيلِ} أي وفي الإنجيل قال تعالى: " وَإِذِ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ " ٦ الصف. {يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ} يأمرهم بالخير والهدى والصالح والرشاد وجميع أعمال الخير مما تعارف عليه الناس {وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ} وينهاهم عن فعل كل منكر من الأعمال والأقوال والأفعال وما ينكره الشرع والقرآن الكريم وجميع أعمال الشر {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ} ويحلل لهم ويجعله حلالاً الطيب من الرزق والمأكول والمشرب والأموال {وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} ويجعل محرماً عليهم كل خبيث من مأكول ومشرب ومال {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ} يمحو عنهم ذنوبهم {وَالْأَغْلَالَ} وهي جمع غل وهي الطوق وهي المعتقدات والمحرمات {الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} أي كانت محرمة عليهم في معتقداتهم وطعامهم وشرابهم وعبادتهم فعلى سبيل المثال كان محرماً عليهم شحوم الحيوانات والأغنام وغيرها سواء أكلها أو بيعها {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ} الذين آمنوا وصدقوا بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم {وَعَزَّزُوهُ} ووقروه {وَنَصَرُوهُ} أي ساعدوه في تبليغ الرسالة {وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ} واتبعوا القرآن الكريم في أوامره ونواهيه {أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} هؤلاء هم الفائزون برضاء الله تعالى ودخول

الجنة {قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ} قل يا محمد للناس {إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} إنني نبي الله ورسوله إليكم جميعاً يهوداً ونصارى ومسلمين عرب وعجم لجميع بني آدم {الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} وهو رسول إلى الله تعالى جل جلاله إليكم الذي له ملك السموات والأرض وحده فهو الذي يملكهم فهو مالك الملك ومالك السموات والأرض {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} لا إله ولا معبود غيره {يُحْيِي} أي يخلق الخلق والأحياء {وَيُمِيتُ} أي يميت جميع الخلق والملائكة يميتهم يوم القيامة بما فيهم ملك الموت {فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} أي صدقوا بالله رباً وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً {النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ} وهو النبي والرسول الذي لم يتعلم القراءة ولا الكتابة وتشريعاً له وهو أمي نزل عليه القرآن الكريم {الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ} أي يصدق بالله تعالى أنه رب وخالق ومحي ومميت ورازق {وَكَلِمَاتِهِ} أي عبادة الله وحده وكل كلامه الذي جاء في الكتب السماوية السابقة وفي القرآن الكريم {وَاتَّبَعُوهُ} أي اقتدوا به واتبعوا أوامره ونواهيته وبما جاء به من الرسالة الكريمة {لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} أي تهتدون بهداه إلى طريق الله المستقيم وعبادة الله وحده لا شريك له وتهتدون إلى طريق الجنة.

﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ ﴿١٥١﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ
 أَسْبَاطًا أُمَّمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ
 ط فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ط قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ط وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ
 ط الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ط كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا
 ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٥٢﴾

{ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى } ومن بني إسرائيل وهم قوم موسى عليه السلام { أُمَّةٌ يَهْدُونَ
 بِالْحَقِّ } أي جماعة من الناس كأمثال الحبر عبد الله بن سلام وكعب الأحمبار وهو
 حبر أيضاً أي من علماء بني إسرائيل أي يهدون ويأمرون ويوعظون ويرشدون إلى
 الحق وهو اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام وجماعة من الناس غيرهم ممن آمن
 مع موسى عليه السلام فهم يأمرون بالحق وهو عبادة الله وحده { وَبِهِ يَعْدِلُونَ }
 وبه يحكمون وبه يسلكون { وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّمًا } وقطعناهم أي
 وجعلناهم اثنتي عشرة سبطاً أي سهماً أو جماعة أو قبائل من الأمم وهم من أولاد
 يعقوب عليه السلام الاثني عشر وكل سبط وقبيلة أصبحوا أمماً أي جماعات كثيرة
 من الناس { وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى } والوحي هنا إلى موسى عليه السلام أمر من الله
 تعالى { إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ } إذ طلب منه قومه الماء للشرب وما يلزم من الغسل
 وغيره فأمره الله تعالى { أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ } أي أن يضرب موسى
 الحجر بعصاه { فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ } فانفجرت منه أي من الحجر { اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا }
 عينا أي ينبوعاً من الماء { قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ } قد عرف كل من بني
 إسرائيل عين الماء التي تخصه للشرب { وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ } وأظل الله بني

إسرائيل بالغمام حتى لا تحرقهم الشمس وهم في صحراء سيناء {وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ
 الْمَنَّاءَ} وأنزل الله تعالى عليهم النحل حتى يشربوا منه العسل {وَالسَّلْوَى} وهو
 السمّان والفِرّ وهو طير يأتي من جهة البحر في منطقة العريش والأماكن المجاورة
 من سيناء وهو أشهى وأفضل أنواع لحم الطيور ويأتي في الصيف في شهر
 سبتمبر/أيلول من كل عام {كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} أي كلوا من أطيب
 شيء مما رزقكم الله من العسل والسمّان {وَمَا ظَلَمُونَا} أي لم يظلموا الله بكفرهم
 وعصيانهم ولم يؤثروا عليه {وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} ولكن ظلموا
 أنفسهم وحدهم لعقابهم وعذابهم على كفرهم يوم القيامة بما اقترفوا من الكفر
 والذنوب والمعاصي.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ

وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١١﴾ فَبَدَّلَ

الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ

بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١١٢﴾﴾

{وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ} إذ قيل لبني إسرائيل {اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ} أي اسكنوا بيت
 المقدس {وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ} كلوا من طبيباتها وثمارها ما أردتم {وَقُولُوا
 حِطَّةً} وادخلوا الباب سُجَّدًا أي قولوا مغفرة وحُطَّ عنا خطايانا وادخلوا بيت
 المقدس سجداً لله تعالى على فضله ونعمته عليكم {نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ} نغفر
 لكم ذنوبكم التي ارتكبتوها قبل ذلك {سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} سنزيد المحسنين
 أعمالهم وطاعتهم لله تعالى نعمة ومغفرة وثواباً {فَبَدَّلَ} غير {الَّذِينَ ظَلَمُوا

مِنْهُمْ} وهم من ظلم نفسه بالمعصية والمخالفة من بني إسرائيل {قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي
قِيلَ لَهُمْ} أي قالوا كلاماً غير الذي أمروا به وقالوا حنطة في شعيرة بدلاً من كلمة
حنطة وبعضهم قال حبة حنطة في شعرة {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ}
فأرسل الله عذاباً وعقاباً عليهم من السماء أي من الله تعالى وهذا الرجز هو الطاعون
أرسله الله تعالى عليهم {بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ} بما كانوا يظلمون أنفسهم بالكفر
والعصيان.

﴿ وَسَأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ
حَيْتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا
كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

{وَسَأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} وأسأل يا محمد اليهود عن
القرية التي كانت على البحر وقيل أنها إبلة بين مدين والطور {إِذْ يَعْدُونَ فِي
السَّبْتِ} إذ يعتدون ويعصون ويذنبون {إِذْ تَأْتِيهِمْ حَيْتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا} أي
تأتي الحيتان والسمك يوم السبت شرعاً أي ظاهرة وتظهر من سطح الماء زعانفها
وبكثرة {وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ} وفي غير يوم السبت من أيام الأسبوع لا
تأتيهم ولا يرونها {كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ} كذلك يبئليهم الله تعالى بهذا المنع وقلة
السمك في الأيام الأخرى من الأسبوع {بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} بعصيانهم وذنوبهم
والفسوق هو إظهار المعصية علناً.

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۗ قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْنَبْنَا ۗ الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِيسٍ بِّمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾

{وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ} أي جماعة كثيرة من الناس من بني إسرائيل للذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر {لِمَ تَعِظُونَ} لماذا تنصحون {قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا} والقوم هم من بني إسرائيل ممن كانوا يصطادون الحيتان والأسماك في يوم السبت وقد نهوا عن ذلك لأن هذا اليوم وهو يوم السبت هو عيدهم والله تعالى مهلكهم أي قاتلهم أو معذبهم أو معاقبهم عقاباً شديداً وقاسياً لأنهم عصوا الله تعالى بصيد الحيتان يوم السبت {قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ} حجة وبراءة لنا بوعظهم عن عدم الصيد عند خالفكم عند الله تعالى {وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} ولعلهم ينتهون ويخافون أن يتعدوا حدود الله {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ} فلما غفلوا عن الموعظة والنصح من القوم الذين نصحوهم من بني إسرائيل {أَجْنَبْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ} أنجا الله تعالى وخلصهم من العذاب والهلاك وهم الذين نصحوهم لعدم صيد الحيتان يوم السبت {وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِيسٍ} أي أخذ الله تعالى وعذب الذين ظلموا أنفسهم بصيد الحيتان يوم السبت من بني إسرائيل بعذاب بئيس أي بعذاب شديد وميؤوس فيه من النجاة {بِّمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} وكان هذا العذاب الذي أهلكهم الله به بسبب ما يفسقون ويعصون الله تعالى ويذنبون.

﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾

{فَلَمَّا عَتَوْا} فلما أعرضوا وتمردوا وتكبروا وعصوا {عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ} أي عن ما نهاهم الله عنه من صيد الحيتان والأسماك يوم سببتهم {قُلْنَا لَهُمْ} أي قلنا لهم عقاباً لهم {كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} أي ذليلين وحقيرين فمسخهم الله قردة عقاباً لهم على عصيانهم ولهذا قال بعض الملحدین أن أصل الإنسان هو القرد ولكن الحقيقة الذي يمسح لا تكون له ذرية أبداً {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ} أعلن وتعهّد وتوعد الله تعالى {لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ} ليرسلن عليهم وهم اليهود من بني إسرائيل {إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} إلى أن تقوم {مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} من يذيقهم أشد العذاب وأسوأه وهذا يعني أنه بعد كل فترة من الزمن عندما يعصون الله تعالى ويزيد إفسادهم في الأرض يسلط عليهم الله من يعذبهم كبختنصر والرومان والنصارى والروس وألمانيا حتى عصرنا الحاضر ما يقوم به الفدائيون الفلسطينيون من عمليات فدائية قوية {إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ} أي إن ربك وخالقك يا محمد ويا أيها المؤمن لسريع العقاب والانتقام ممن يعصاه {وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} وإنه يغفر ويرحم يوم القيامة من تاب وآمن وعمل صالحاً {وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ} مزقناهم وفرقناهم {أُمَمًا} أي جماعات متفرقة في جميع دول العالم {مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ} أي

منهم رجال صالحون كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار ومن آمن معهم بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم {وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ} ومنهم أي من اليهود غير ذلك أي عصاة ومذنبون {وَبَلَّوْنَهُمْ} ابتليناهم واختبرناهم وامتحانهم {بِالْحَسَنَاتِ} بالخير والرخاء والنعيم والأمن {وَالسَّيِّئَاتِ} أي والشر والمصائب وغير ذلك {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} لعلهم يتوبون ويرجعون إلى الله تعالى بالتوبة والإنابة. والحسنات أرسل عليهم المن والسلوى والسيئات نتق فوقهم الجبل كأنه ظلة كما سيأتي.

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَّارِ الْأَخْرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٦﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾

{فَخَلَفَ} أي ورث {مِنْ بَعْدِهِمْ} أي من اليهود {خَلْفٌ} أي خلف وورث {وَرِثُوا الْكِتَابَ} أي ورثوا الكتاب وهو التوراة بعضهم من بعض {يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ} أي يأخذون ثمن هذا الكتاب أدنى ثمناً وقليلاً في الدنيا وهو كالرشوة وغيرها {وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا} وإذا نصحهم أحد بعدم أخذ الرشوة قالوا سيغفر الله لنا ويعفوا عنا ولا يحاسبنا {وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ} وإن يأتهم أحد برشوة ثانية مثل الأولى {يَأْخُذُوهُ} أي يأخذوا الثمن الذي عرض عليهم من الرشوة {أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ} ألم يأخذ عليهم الله تعالى في ميثاق الكتاب في عهد الكتاب وميثاقه {أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} أن لا يحدثوا عن الله تعالى ولا يتكلموا

إلا بالحق والصدق والعدل {وَدَرَسُوا مَا فِيهِ} أي وتعلموا ما فيه هو كتاب التوراة من أحكام وشرائع بمنعهم من أخذ الرشوة وغيرها من الحرام {وَالدَّارُ الْآخِرَةُ} ويوم القيامة {خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ} أفضل للذين يطيعون الله في أوامره ويجتنبوا نواهيه ولا يتعدون حدوده وذلك لمن خافه {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} ألا يوجد عقل لديكم وتتعضون {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ} والذين يتمسكون بما جاء بكتاب التوراة لديهم {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} أي أدوا صلاة الفرض كما أمر الله بها {إِنَّا} وهي للتعظيم وهي الله تعالى جل جلاله يقول {لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ} أي لا نذهب ثواب المصلحين دينهم وعبادتهم لله تعالى.

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ

وَأذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧﴾

{وَأِذْ نَتَقْنَا} وإذ رفعنا {الْجَبَلَ} وهو جبل طور سيناء {فَوْقَهُمْ} أي فوق رؤوس بني إسرائيل {كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ} أي كأنه مظلة أو خيمة فوق رؤوسهم أي أمر الله تعالى الملائكة بأن ترفع الجبل فوق رؤوس اليهود {وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ} أي ظن اليهود واعتقدوا أن الجبل واقع عليهم لا محالة {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ} أي خذوا التوراة والألواح وما فيها من الأوامر والنواهي بقوة يقين واجتهاد وإيمان وطاعة وعبادة وبقوة الخوف من سقوط الجبل فوقكم {وَأذْكُرُوا مَا فِيهِ} أي اتعضوا بما فيه {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} لعلكم تخافون الله وحدوده وتطيعون الله في أوامره ونواهيه.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾
 أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
 الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾

{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} أخذ الله تعالى ربك يا محمد فأخرج من ظهور بني آدم جميعهم ذريتهم من أصلابهم أي من أصلاب الرجال وهم في ظهر آدم عليه السلام قيل في الجنة وهم كالذر وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع حدثنا أبي عن أبي هلال عن أبي حمزة الضبعي عن ابن عباس قال: (أخرج الله ذرية آدم من ظهره كهيئة الذر وهو في أذى من الماء). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٦٢].
 {وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ} وجعلهم يشهدون على أنفسهم بأن الله هو ربهم وخالقهم ولا إله غيره ولا معبود سواه {قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا} قال جميعهم شهدنا على ذلك بأن الله وحده لا شريك له {أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ} حتى لا تقولوا يوم القيامة يوم الحساب {إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} إنا كنا عن هذا الاعتراف وعن أن الله واحد لا شريك له غافلين وغير عالمين {أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ} أو تقولوا مدافعين عن أنفسكم لأنه أشرك آبأؤنا قبلنا ولم نعرف ونحن اقتدينا بهم من بعدهم ولم يرشدنا أحد بأنه لا إله إلا الله {أَفَتُهْلِكُنَا} أفتعذبنا {بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} بما فعل المنحرفون من قبلنا. وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير يعني ابن حازم عن كلثوم ابن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل

ذرية ذراها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلاً قال ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا - إلى قوله - المبطلون). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٦١]. وعن عمر رضي الله عنه أنه قبل الحجر وقال: (إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك) متفق عليه. وأخرج مسلم من حديث سويد بن غفلة أنه قال: رأيت عمر قبل الحجر والتزمه وقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بك حفياً. وأخرج البخاري أن رجلاً سأل ابن عمر عن استلام الحجر فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله قال: رأيت إن زحمت؟ رأيت إن غلبت؟ قال اجعل رأيت باليمن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله. وروى الأزرقى حديث عمر بزيادة وأنه قال له عليّ عليه السلام: بلى يا أمير المؤمنين هو يضر وينفع قال: وأين ذلك؟ قال: في كتاب الله ، قال: وأين ذلك من كتاب الله عز وجل؟ قال: قال الله: " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا " قال: فلما خلق الله آدم مسح ظهره فأخرج ذريته من صلبه ، فقررهم أنه الرب وهم العبيد ، ثم كتب ميثاقهم في رق وكان لهذا الحجر عينان ولسان ، فقال له: افتح فاك ، فألقمه ذلك الرق وجعله في هذا الموضع وقال: تشهد لمن وافك بالإيمان يوم القيامة قال الراوي: فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن. قال الطبري: إنما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام ، فخشى عمر أن يفهموا أن تقبيل الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لأن الحجر ينفع ويضر بذاته كما كانت الجاهلية تعتقده في

الأوثان. [سبل السلام ج ٢ ص ٢٠٥ ، ٢٠٦]. {وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ} كذلك
نفصل ونوضح الحجج والدلائل على وحدانية الله وحده {وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}
لعلهم يرجعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له والإقرار له بالوحدانية ويرجعون
عن الإشراك به أحداً.

﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَهُ آيَاتِنَا فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ
الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

{وَأْتَلُ} واقرأ واقصص يا محمد {عَلَيْهِمْ} على قومك وعلى بني إسرائيل {نَبَأٌ}
خبر {الَّذِي آتَيْنَهُ آيَاتِنَا} معجزاتنا وبيناتنا ودلائلنا وهي اسم الله الأعظم إذ
سئل به أعطى وهو بلعم بن بعوراء أو بلعام بن باعوراء وقيل إنه في زمن موسى
عليه السلام {فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا} فتركها وخرج منها للكفر والعصيان والضلال {فَاتَّبَعَهُ
الشَّيْطَانُ} فأغواه الشيطان واستحوذ عليه {فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ} فكان من
المفتونين والضالين قيل أنه دعا على موسى وقيل أنه قال لقومه جملوا النساء
واعطوهن السلع ثم أرسلوهن إلى جيش موسى فلا تمنع امرأة نفسها من رجل
أرادها فإنهم إن زنا رجل منهم واحد كفيتموهم ففعلوا وأرسل الله على قوم موسى
الطاعون لارتكابهم المعصية فسلبه الله اسمه الأعظم والله أعلم {وَلَوْ شِئْنَا} أي ولو
شاء الله وأراد {لَرَفَعْنَاهُ بِهَا} لرفعه الله تعالى درجات بالعلم الذي معه وهو اسم الله

الأعظم وكذلك اتّباعه موسى عليه السلام نبي الله ورسوله {وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى
 الْأَرْضِ} تثاقل وطمع في الدنيا ورضي بها ورغب فيها واطمأن إليها {وَاتَّبَعَ
 هَوَاهُ} اتبع شهواته ورغباته ونزواته ونفسه الأمارة بالسوء {فَمَثَلُهُ} ضرب الله
 مثلاً عنه {كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ} شبهه الله تعالى بالكلب إن
 تحمل عليه لتطرده أو تمنعه يلهث أي إن أردت أن تمنعه من المعصية يستمر
 عليها ولا ينفك عنها ويلهث في طلبها {أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ} وإن تتركه في مكانه
 يلهث أي إن تتركه على الضلالة فهو أيضاً يلهث مستمراً عليها لا فائدة منه أي
 سواءً نصحته أو تركته يستمر على المعصية ويلهث في طلبها {ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ
 الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا} وهذا مثل من كذب ولم يصدق بآيات الله ومعجزاته
 {فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} فاقصص يا محمد ويا أيها المؤمن وأخبر عن
 هذه القصص وعن مثيلاتها لعلهم يتعظون وينتصحون {سَاءَ مَثَلًا} بئس مثلاً وعملاً
 {الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا} بئس مثل هؤلاء القوم ومن على شاكلتهم الذين كذبوا
 ولم يصدقوا بآيات الله تعالى ومعجزاته {وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ} وبهذا العمل
 الكفر والعصيان لا يظلمون إلا أنفسهم في الدنيا وفي الآخرة عذاب شديد في جهنم.

﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ١٧٨ ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ ١٧٩ ﴿

{ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ } من يهده الله تعالى لطاعته وعبادته ويرشده لعمل الخير والأعمال الصالحة { فَهُوَ الْمُهْتَدَى } فهو الذي أرشده الله فاتبع الحق والطريق المستقيم وعبادة الله وحده لا شريك له فهو مهتد وعلى طريق مستقيم { وَمَنْ يُضِلِّ } ومن يغوي ويضله ويصرفه إلى المعاصي وارتكاب المحرمات فبضلاله هذا يزيده الله ضلالاً وغياً وكما قال تعالى: " فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ " ١٢٥ الأنعام. { فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } أولئك الضالون والعاصون هم الخاسرون لأنفسهم في الدنيا وفي الآخرة بالعقاب والعذاب { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ } ولقد خلقنا وخصصنا وجعلنا لنار جهنم { كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ } خلقاً كثيراً وأعداداً كثيرة من الجن وهم أبناء إبليس من الشياطين ، والإنس من ذرية آدم عليه السلام وهم من كفر منهم وعصى { لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا } أي لهم قلوب لا يعقلون بها ولا يؤمنون بالله ورسوله { وَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا } أي لا يبصرون طريق الله المستقيم وطاعة الله وحده لا شريك له { وَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا } أي لا يسمعون بآذانهم الهدى والرشاد وطاعة الله وعبادته وحده لا شريك له وهنا القلوب والأعين والآذان هو تشبيهه ومجاز فقط

بأنه واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد {سَيُجَزَوْنَ} سيعاقبون {مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} على أعمالهم وشركهم وتكذيبهم بالرسول وعبادة الله وحده لا شريك له {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا} أي ومن خلق الله تعالى {أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ} والأمة هي جماعة من الناس من الإنس والجن يهدون ويأمرون بالحق وهو عبادة الله وحده لا شريك له {وَبِهِ يَعْدِلُونَ} أي ويأمرون ويحكمون بأن الله واحد لا شريك له {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} والذين كذبوا وجحدوا وأنكروا ولم يصدقوا بآيات الله ومعجزاته {سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ} سنمد ونمهد لهم ونسهل لهم اقتراف المعاصي والفواحش والذنوب من حيث لا يعلمون ولا يدرون عاقبة ذلك من العذاب يوم القيامة بكفرهم وعنادهم وجحودهم بعبادة الله وحده لا شريك له والاستدراج هو أقصى أنواع الإمهال ليزدادوا معصية وإثماً {وَأُمْلِي لَهُمْ} وأقول لهم ولأمثالهم إلى يوم القيامة محذراً {إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ} إن عذابي قوي وشديد وأليم ولا أحد يستطيع تحمله أو منعه.

﴿ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ﴿١٨٦﴾ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

{أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا} أولم يتفكروا بعقولهم وينظروا في شأن محمد وهم أهل قريش {مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ} أنه ليس بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شيئاً من الجن ولم يكن مجنوناً {إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ} إن هو أي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما هو إلا نذير ناصح ومنذرهم عذاب الله تعالى لمن عصاه وخالفه {مُّبِينٌ} واضح وعظيم {أَوْلَمْ يَنْظُرُوا} أولم يشاهدوا وينظروا بأعينهم {فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} في خلق السموات والأرض أي ما في السماء من الشمس والقمر والنجوم وفي ضيائها والأرض ما فيها من جبال وبحار وأنهار وسهول وصحارى وطيور وحيوانات ونباتات {وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} وما خلق الله من إنس وجن وحيوانات ووحوش وحشرات وطيور وأشجار ونباتات وتراب وغيرها فهل خالق لذلك إلا الله وحده لا شريك له أي أفلم يعتبروا بالكون وما فيه من خلق الله تعالى ألا يستحق الله تعالى العبادة والشكر {وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ} لعل أن يكون أجلهم قد اقترب وانتهى وهم على هذه الحالة من كفرهم وعصيانهم وشركهم {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} فبأي حديث وكلام بعد هذا التوضيح وهذا القرآن يؤمنون ويصدقون {مَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ} فمن يضلله الله بعصيانه وكفره وإشراكه {فَلَا هَادِيَ لَهُ} فلا يستطيع أحد أن يهديه بعد ذلك

{وَيَذُرُهُمْ} ويدعهم ويتركهم {فِي طُغْيَانِهِمْ} في غيهم وضلالهم وكفرهم وجحودهم وإنكارهم {يَعْمَهُونَ} لا يرون حلالاً ولا حراماً ولا هدى يتبعوه ويستمروا في عصيانهم وكفرهم.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا تُجَلِّيها لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ ۗ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٨﴾﴾

{يَسْأَلُونَكَ} أي يسألونك يا محمد وهم أهل قريش وكذلك اليهود {عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا} عن يوم القيامة ومتى تقوم ويأتي يومها ووقتها {قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي} قل لهم يا محمد علم قيام الساعة أي يوم القيامة هو عند ربي وخالقي الله تعالى جل جلاله {لَا تُجَلِّيها لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ} لا يظهرها في وقتها ويأتي بها إلا هو الله تعالى وحده {ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ} عظمت خشيتها والخوف منها في أهل السماء عند الملائكة لأنهم سيموتون جميعاً يومها {وَالْأَرْضِ} أي كذلك يخشاها ويخاف منها أهل الأرض من الجن والإنس {لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً} لا تأتي إلا فجأة. وقال البخاري: حدثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب أنبأنا أبو الزناد عن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ، ولتقومن

الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليب حوضه فلا يسقي فيه ، ولتقومن الساعة والرجل قد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٧١]. {يَسْأَلُونَكَ} يسألونك يا محمد وطلبوا منك الإجابة {كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا} أي كأنك تحف بها علماً وتعلمها وتعلم وقتها {قُلْ} أي أجبهم وقل لهم يا محمد {إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ} أي لا يعلمها أحد إلا الله تعالى واستأثر بها علماً وهي سر من أسراره التي لم يطلع عليها ملك مقرب ولا نبي مرسل {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ} ولكن أغلب الناس {لَا يَعْلَمُونَ} أي لا يعلمون أنه لا أحد يعلمها إلا الله لا الملائكة المقربون ولا أحد من خلقه ولكن يعلمون أشراتها وعلاماتها الصغرى والكبرى {قُلْ} أي قل لهم يا محمد وحدثهم {لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا} أي لا يستطيع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن يجلب له نفعاً كأن يطيل عمره ويخلد إلى يوم القيامة ولا يمنع نفسه من الأعداء ولذلك هاجر من مكة إلى المدينة ولا يستطيع أن يهدي اليهود والنصارى ويسلموا جميعاً {وَلَا ضَرًّا} ولا يمنع نفسه من الموت ومن الأمراض ومن حرب الأعداء له إلى غير ذلك {إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} إلا ما أراد الله له نفعاً أو ضراً {وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ} ولو كان عندي علم الغيب {لَأَسْتَكْثِرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوْءُ} لكثرت أعمال الخير أضعافاً مضاعفة ولو حتى فوق تحملي وتحمل صحتي وكذلك لم يصبني الشر بأنواعه والمصائب والموت والأمراض ولتحاشيتها بقدر الاستطاعة {إِنِّ أَنَا} ما أنا محمد رسول الله {إِلَّا نَذِيرٌ} ما أنا إلا نذير أنذركم عذاب الله يوم القيامة في نار جهنم لمن عصاه وأشرك به {وَنَشِيرٌ} أبشر بالجنة من اتقى الله وعبده وحده لا

شريك له وأطاع الله ورسوله {لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} أي لقوم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه
ورسوله واليوم الآخر ويصدقون بذلك.

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا
تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْتَنَا
صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٦﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا
آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨٧﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٨٨﴾
وَلَا يَسْتَطِيعُونَ هُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾

{هُوَ} أي هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ
نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} خلقكم من آدم عليه السلام {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} وجعل من نفس
آدم عليه السلام زوجة له خلقها من ضلع آدم الأيسر (حواء) وعن أبي هريرة رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من
ضلع وإن أعوج شيء من الضلع أعلاه إذا ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل
أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً). [متفق عليه واللفظ للبخاري - سبل السلام ج ٣
ص ١٣٨]. وأخرج ابن إسحاق من حديث ابن عباس: (أن حواء خلقت من ضلع
آدم الأقصر الأيسر). [سبل السلام ج ٣ ص ١٣٩]. {لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} ليطمئن ويرتاح
ويهدأ ويعيش ويسكن معا وبها {فَلَمَّا تَغَشَّاهَا} فلما تغشى الزوج زوجته بالجماع
ولما أتاها وجامعها {حَمَلَتْ حَمْلًا} أي حبلى وحملت من زوجها بعد المعاشرة
حملاً {خَفِيفًا} سهلاً وخفيفاً في أول الحمل لأن الجنين ليس له وزن ولا
ثقل ولا ألم {فَمَرَّتْ بِهِ} مرت واستمرت بأطوار الحمل وبأشهر الحمل المتتالية

الذين عبدوها من دون الله تعالى لا تستطيع لهم نصراً ولا مساعدة ولا عوناً ولا ينصرونهم على الأعداء {وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ} ولا ينصرون أنفسهم على من أراد بهم سوءاً أو ذلاً أو هلاكاً.

﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِتُونَ ﴾ ﴿١١٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١١٥﴾

{وَأِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ} وإن تدعوا هؤلاء الأصنام والأوثان إلى الهدى إلى الطريق المستقيم وطريق الحق والصواب والهدى وإلى عبادة الله وحده لا يتبعوكم ولا يطيعونكم ولا يتبعون آثاركم {سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ} سواء سألتموهم ونصحتموهم {أَمْ أَنْتُمْ صَمِتُونَ} أو سكتتم وصمتم ولم تنصحوهم فهو سواء أي لو وعظتموهم أو تركتموهم بدون وعظ ولا نصيحة ولا إرشاد لا يتبعوكم ولا يطيعوكم {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} إن الذين تعبدون وتطلبون منهم قضاء حوائجكم من دون عبادة الله وحده {عِبَادٌ} أي مخلوقات لله تعالى {أَمْثَالِكُمْ} أي مخلوقات خُلِقُوا مثلكم خلقهم الله تعالى وحده لا شريك له {فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} فاطلبوا منهم حوائجكم فليلبوا دعاءكم وحوائجكم وجميع ما تطلبون منهم إن كنتم صادقين أنهم شركاء لله في ملكه {أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا} فهل لهؤلاء الأصنام والأوثان أرجل يمشون بها ويتحركون أم

هم جمادات ثابتة لا تتحرك ولا تعقل {أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا} أو هل لهم أيد قوية يضربون بها الأعداء وينصرونكم عليهم بها {أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا} أو لهم أعين يرون بها كل ما يدور حولكم ليحرسوكم بها وينصروكم على الأعداء قبل أن يحضروا إليكم {أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} أم لهم آذان يسمعون بها علم الغيب ويخبرونكم بها ويسمعون بها ما يحيك الأعداء ضدكم ومعنى هذه الآية أنه إذا لم يكون للأصنام أرجل يمشون ويتحركون بها وإذا لم يكن لهم أيد يدافعون عنكم وينصرونكم بها وليس لهم أعين يرون بها ويمنعون الضرر عنكم وليس لهم آذان يسمعون كل ما يدور حولكم فما فائدة عبادة تلك الآلهة التي لا تنفع ولا تضر {قُلْ} قل لهم يا محمد وأنت أيها المؤمن بعده {أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا} اسألوا من أشركتم بهم من دون الله ثم اجعلوهم يكيدون ويمكرون بي أي بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وافعلوا أنتم وهم ما يحلو لكم من الضرر لي {فَلَا تُنظِرُونَ} أي لا تنتظرون ولا تمهلون بالانتقام بي وهذا تحدي لشركهم وجحودهم وإنكارهم وغرورهم.

﴿ إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۗ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ ١١٦ ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ ١١٧ ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ آهْدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۗ وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ١١٨ ﴿

﴿ إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ ﴾ قل لهم يا محمد يا رسول الله إن الله متوليني بالرعاية والحماية والحفظ والعناية ﴿ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ﴾ الذي نزل علي القرآن الكريم لأنذر به الناس جميعاً يعبدوا الله وحده لا شريك له ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو الذي يتولى الصالحين ممن عبده حق العبادة والطاعة وصلحت نفوسهم وأعمالهم خالصة لله تعالى يتولاهم بالعناية والرعاية والحفظ وبالرضوان في الدنيا وفي الآخرة يدخلهم الجنة ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ والذين تعبدون وتطلبون منهم قضاء حوائجكم وتعبدونهم من دون الله تعالى ﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ ﴾ لا يقدر على نصركم بتلبية حوائجكم ولا نصركم على الأعداء ﴿ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ ولا يستطيعون نصر أنفسهم لو اعتدى عليهم أحد من الناس كما كسرهم إبراهيم عليه السلام من قبل ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ آهْدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ﴾ وإن تدعو يا محمد وتطلب من الكفار والمشركين أن يهتدوا ويتبعوا الحق والهدى والرشاد وعبادة الله وحده لا يسمعوا قولك ولا الحق ولا يتبعوه ﴿ وَتَرْتَهُمْ ﴾ وتشاهدهم يا محمد يا رسول الله ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ عيونهم مفتوحة ولكن قلوبهم مغلقة عن اتباع الحق وعبادة الله وحده ولكنهم لا يبصرون ولا يرون الحق ولا الطريق المستقيم أي أنهم ينظرون في الأمور

من دون تبصر قال تعالى: " فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ " ٤٦ الحج.

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

{ خُذِ الْعَفْوَ } أي يا محمد يا رسول الله وأنت أيها المؤمن بعده اصفح عمن ظلمك وتجاوز عنه وكما قال تعالى: " وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " ٢٢ النور. وكما قال تعالى: " وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ {٣٤} وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ {٣٥} " ٣٤، ٣٥ فصلت. وكما قال تعالى: " وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " ١٣٤ آل عمران.

{ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ } وأمر المسلمين بما تعارف عليه الناس من الأخلاق الحميدة ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن جميع العادات الحميدة والتي لا تخالف الشرع { وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } وابتعد عن الجاهلين وعن من لم يوقر كبيراً ولا يرحم صغيراً ولا أدباً في الحديث مع الناس ولا احتراماً ويجهل آداب الشريعة وأوامرها وحكمها وكما قال تعالى: " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا " ٦٣ الفرقان. وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لم يُجِلِّ كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه). عوارف المعارف ص ٤١٣. وما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم جميعاً: حدثنا يونس حدثنا سفيان هو ابن عيينة عن أبي قال: (لما أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم: " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا يا جبريل؟ قال: إن الله

أمرك أن تغفو عن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٧٧].

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾

{وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ} إذا أصابك واعتراك {مِنَ الشَّيْطَانِ} وهو إبليس أو أحد ذريته ومعنى شيطان أنه شاط وابتعد عن الحق {نَزْغٌ} وسوسة أو نزعة للمعصية {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ} أي اطلب المساعدة والعون من الله تعالى وقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم {إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} إنه سميع لمن استجار به وعليم ويمنع وسوسة الشيطان عنك وعليم بحالة المستعيز وعليم بالشيطان ووسوسته وعليم بمن استعاز به ودعاه واستجار به {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا} أي المتقون والذين يخشون الله ويخافون عقابه ويبتعدون عن معصيته {إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ} إذا أصابهم وسواس أو عمل معصية أو ذنب {مِّنَ الشَّيْطَانِ} أي من شيطان الجن {تَذَكَّرُوا} افتكروا وخافوا الله تعالى واتعظوا وابتعدوا عن المعصية {فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} فإذا هم متعظون ومبصرون حقيقة الشيطان ووسوسته والمعصية والابتعاد عنها وعبادة الله وحده.

﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢١٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِغَايَةٍ قَالُوا لَوْلَا
أَجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢١٣﴾﴾

{وَإِخْوَانُهُمْ} أي إخوانهم من شياطين الإنس من العصاة {يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ} يساعدونهم في الضلال والفساد والعصيان {ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ} ثم لا يوفرون جهداً بالإغراء والوقية بهم في المعصية بشتى الطرق {وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِغَايَةٍ} وإذا يا محمد يا رسول الله لم تأتي إلى الكفار بآية من القرآن يطلبونها أو بمعجزة يتفرجوا عليها {قَالُوا لَوْلَا أَجْتَبَيْتَهَا} لو اختلقتها أو اخترعتها وعملتها وأتيت بها لنا حتى نصدقك ونتبعك {قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي} قل لهم يا محمد إنما أنا رسول من قبل الله تعالى إليكم أتبع فقط ما يوحى إليّ من ربي فأبلغكم به وليس من عندي كما قال تعالى: " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ {٣} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ {٤} " ٣، ٤ النجم. {هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ} هذا القرآن وآياته هو بصائر وبيان وإرشاد ونصح وأوامر ونواهي من ربكم وخالقكم الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {وَهُدًى} أي يهديكم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وإلى اتباع الحق والهدى والإرشاد {وَرَحْمَةً} أي يرحم الله به من يتبع أوامره ويجتنب نواهيه يرحمه في الدنيا بالحياة الطيبة والهنئية ويرحمه يوم القيامة من عذاب النار ويدخله الجنة {لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} هذا القرآن أرسل لقوم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويصدقون به ويعملون به.

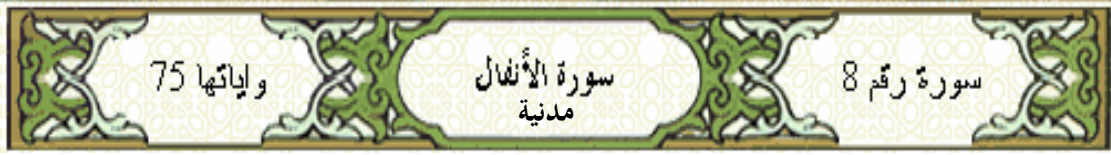
﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ إذا قرئ القرآن الكريم سواءً في الصلاة خلف الإمام أو في أي مكان فاستمعوا له أيها المؤمنون {وَأَنْصِتُوا} واسكتوا والإنصات زيادة في الانتباه والتسمع في أي مكان يقرأ فيه القرآن وخاصة في الصلاة وعند الإمام أبو حنيفة لا يجوز قراءة الفاتحة خلف الإمام ويكره تحريماً كما روى من قوله صلى الله عليه وسلم: (من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة). وهذا الحديث روي من عدة طرق وقد أثار منع المأموم من القراءة عن ثمانين نفرًا من كبار الصحابة منهم المرتضى والعبادلة. [فقه المذاهب الأربعة ص ١١٣]. وقال أبو حنيفة وأحمد ابن حنبل لا يجب على المأموم قراءة أصلاً في السرية ولا الجهرية بما ورد في الحديث: (من كان له إمام فقراءته قراءة له). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٠]. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ عسى الله أن يرحمكم بإنصاتكم للقرآن ويدخلكم الجنة وذلك بالعمل بكتاب الله تعالى وما جاء فيه.

﴿وَأَذْكُر رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ
وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

{وَأَذْكُر رَبِّكَ} أي اذكر الله وكرر ذكر اسم ربك يا محمد يا رسول الله {فِي نَفْسِكَ} سرا {تَضَرُّعًا} جهراً {وَخِيفَةً} أي خوفاً من عذاب الله تعالى له إذا عصاه {وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ} أي وسط بين العلو والارتفاع وبين السر وتضرعاً هي ابتهالاً وتوسلاً بذلة وخشوع {بِالْغُدُوِّ} أي صباحاً {وَالْآصَالِ} من بعد صلاة العصر إلى المغرب أي مساءً {وَلَا تَكُنْ} ولا تكن يا محمد يا رسول الله ويا أيها المؤمن من بعده {مِّنَ الْغَافِلِينَ} من اللاهين عن ذكر الله تعالى في جميع الأوقات وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله). [أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني بإسناد حسن - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفثاه). أخرجه ابن ماجه وصححه ابن حبان وذكره البخاري تعليقاً وهو في البخاري بلفظ قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣]. {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ} وهم الملائكة {لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ} لا يتعالون ولا يتكبرون عن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ولا يستطيعون أن

يعصوه {وَأُسْبِحُوا لَهُ} أي ينزهون الله تعالى ليلاً ونهاراً لا يفترون ولا يتعبون {وَالَهُ
يَسْجُدُونَ} أي يسجدون لله وحده لا شريك له ومنهم الساجد والقائم والمسيح
على الدوام.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾

هذه السورة مدنية ونزلت في بدر وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية ابن عمر أخبرنا أبو إسحاق عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن سليمان بن موسى عن أبي سلام عن أبي أمامة عن عبادة بن الصامت قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدت معه بدرًا فالتقى الناس فهزم الله تعالى العدو فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون ، وأقبلت طائفة على العسكر يحوزونه ويجمعونه وأحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب العدو منه غرة حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم نحن حويناها فليس لأحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا في طلب العدو لستم بأحق به منا نحن منعنا عنه العدو وهزمناهم وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به فنزلت " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ " فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين وكان رسول الله صلى

الله عليه وسلم إذا أغار في أرض العدو نفل الربع فإذا أقبل راجعا نفل الثلث وكان يكره الأنفال. [ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان الثوري عن عبد الرحمن ابن الحارث به نحوه قال الترمذي: هذا حديث صحيح - ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٣]. وروى أبو داود والنسائي وابن جرير وابن مردويه واللفظ له وابن حبان والحاكم من طرق عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا) فتسارع في ذلك شبان القوم وبقي الشيوخ تحت الرايات فلما كانت المغانم جاؤوا يطلبون الذي جعل لهم فقال الشيوخ: لا تستأثروا علينا فإننا كنا رداءً لكم لو انكشفتم لفتنتم إلينا فتنازعوا فأنزل الله تعالى: " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ - إِلَى قَوْلِهِ - وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ". [ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٤].

{يَسْأَلُونَكَ} أي يسألوك يا محمد يا رسول الله {عَنِ الْأَنْفَالِ} وهي المغانم في الحرب {قُلِ الْأَنْفَالُ} قل لهم يا محمد أي للمسلمين والمغانم {لِلَّهِ وَالرَّسُولِ} أي في سبيل الله وللرسول صلى الله يوزعها على المجاهدين بعد أن يأخذ له ولأهل بيته الخمس {فَاتَّقُوا اللَّهَ} اتقوا الله أيها المؤمنون وخافوه في أوامره بإطاعتها وإطاعة رسوله واجتناب نواهيه {وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} أصلحوا خلافاتكم فيما بينكم {وَأَطِيعُوا اللَّهَ} أي أطيعوا الله في أوامره ونواهيه {وَرَسُولَهُ} ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فيما أمركم وفيما قسم بينكم من المغانم ولا تخالفوه {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} إن كنتم مؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ومصديقين بالبعث والجزاء والعقاب يوم القيامة {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ} إن المؤمنين حقاً {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ} هم الذين إذا ذكر الله تعالى في القرآن الكريم وإذا ذكر

عند الذكر والتسبيح أو عند ارتكاب المعصية وجلت وخافت وارتجفت قلوبهم من خشية الله ومن عقابه وعذابه أي لا يرتكبون المعصية عند ذكر وتفكر الله تعالى {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ} وإذا قرئت عليهم أي المؤمنون آيات القرآن الكريم {زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} ازدادوا إيماناً وتصديقاً واتعاضاً {وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} وعلى ربهم في جميع أمورهم ومقاصدهم {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} أي يصلون الصلاة في وقتها بهيئتها وخشوعها {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} يؤدون زكاة أموالهم وصدقاتهم للفقراء والمحتاجين من المؤمنين {أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} هؤلاء من اتصفوا بهذه الصفات إذا ذكر الله وجلت قلوبهم واتعظوا وخافوا الله تعالى فلا يتعدون حدوده ويؤمنون بآيات الله ويقومون الصلاة ويؤدون الزكاة هؤلاء هم المؤمنون حقاً وصدقاً {هُمَّ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ} أي لهم منزلة رفيعة في الجنة عند الله تعالى يوم القيامة {وَمَغْفِرَةٌ} ويغفر الله لهم ذنوبهم {وَرِزْقٌ} في الدنيا حسن المعيشة وطيبها وفي الآخرة رزق الجنة {كَرِيمٌ} سعي لا ينقطع ودائم وبدون مشقة ولا مرض.

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٦٠﴾
 مُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦١﴾ وَإِذْ
 يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ
 لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٢﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ
 وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

{ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ بِالْحَقِّ } مثل ما أمرك الله جل جلاله وعظم قدره
 وعلا شأنه بالهجرة من مكة إلى المدينة يا محمد يا رسول الله كذلك أخرجك ربك
 يا محمد للقتال من بيتك بالمدينة بالحق والصدق والعدل { وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ
 لَكَرِهُونَ } وإن قسماً وفريقاً ومجموعة من المؤمنين لكارهون الخروج مع النبي صلى
 الله عليه وسلم لملاقاة العدو وهي قافلة أبو سفيان { مُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا
 تَبَيَّنَ } يناقشونك في حق هو لكم وهو سلب أهل مكة أموالكم في مكة وهي حق لكم
 وأنتم تريدون أن تراجعوها فلا ظلم في ذلك وهي الاستيلاء على قافلة أبي سفيان
 التي حضرت من الشام { كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ } وكأنهم أي
 المؤمنون بخروجهم من المدينة لملاقاة قافلة أبي سفيان وكأنهم بخروجهم يساقون
 إلى مشنقة الموت وهم ينظرون إلى الموت يأتيهم وهم ينظرون ويشاهدون { وَإِذْ يَعِدُكُمُ
 اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ } والله تعالى وعدكم بأنه سيكون لكم غنائم واحدة
 منها وهي إما قافلة أبي سفيان أو حرب أصحابها من كفار قريش { وَتَوَدُّونَ }
 وترغبون وتتمنون { أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ } أي تتمنون قافلة أبي
 سفيان التي حضرت من الشام وما فيها من التجارة والأموال وليست المعركة بينكم

وبينهم {وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ} ويريد الله أن يحق الحق أي يظهره بنصره وتأبيده لكم أيها المؤمنون {بِكَلِمَتِهِ} وهي إحقاق الحق ودحض الباطل ونصر رسوله والمؤمنين {وَيَقْطَعُ ذَابِرَ الْكَافِرِينَ} أي يهزمهم ويهلكهم {لِيُحِقَّ الْحَقَّ} ليظهر الحق وينصره {وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ} يزيل الظلم ويرجع الحق إلى أصحابه {وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ} ولو كره ورفض المجرمون كفار قريش الهزيمة.

وكان قد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه حتى بلغ وادياً يقال له ذفران فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن ثم قام عمر رضي الله عنه فقال فأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله به فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل فقال سعد: فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا وموathيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أمرك الله فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله

عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم. [ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٨، ٢٨٩].

﴿ إِذِ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ٢٨٨ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ٢٨٩ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٩٠ إِذِ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ٢٩١ ﴾

{ إِذِ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ } إذ تطلبون من ربكم يا رسول الله أنت والمسلمون في معركة بدر وتطلبون منه الغوث والمدد والنصر. قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نوح قراد حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفي أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيّف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلة وعليه رداؤه وإزاره ثم قال: (اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبداً) قال فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداؤه فرداه ثم التزمه من ورائه ثم قال: يا نبي الله كفك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل: " إِذِ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ". [ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٩]. { فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ } فاستجاب الله لكم الدعاء يا محمد يا رسول الله

بأنبي ممدكم ومُنجدكم بعدد ألف من الملائكة {مُرْدِفِينَ} أي نازلين متتابعين من السماء لنصرتكم ونجدتكم {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى} أي وما جعل الله هذا العدد الكبير وهو الألف من الملائكة إلا بشرى وفرحة لكم {وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ} أي لتنزل عليكم السكينة والاطمئنان بالنصر بهذا العدد من الملائكة وأن الملائكة لا تموت في الحرب وخلافه ولا تضعف ولا تهن ولا تنقص ولا تأكل ولا تشرب ولا تنام ولا تتعب ولا تجبن ولا تتقاعس ولا تخذل فجعلهم الله بشرى لكم على النصر ولتطمئن وترتاح ضمائرکم بنصر الله {وَمَا أَلْنَصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} وما هذا التأييد بالنصر إلا بإذن الله تعالى وإرادته ومشيئته فهو الذي ينصر وبيده النصر {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ} إن الله عزيز وقوي في نصره {حَكِيمٌ} حكيم في أفعاله وأقواله وفي نصره للمؤمنين {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ} إذ يلقي ويسلط عليكم أيها المؤمنون النعاس والنوم في الحرب {أَمَنَةً مِّنْهُ} اطمئناناً وأماناً لكم حتى لا تخافوا الحرب وما ينشأ عنها من قتل أو أسر أو خوف أو جبن {وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً} وينزل عليكم الله تعالى المطر من السماء {لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ} ليطهركم به بالغسل من الجنابة والحدث الأصغر والأكبر {وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْزَ الشَّيْطَانِ} وهو وسوسة الشيطان وتخويفه لكم بأنكم لا تنصرون لعدم وجود الماء ووجود الجنابة عليكم والحدث الأصغر والأكبر {وَلِيُرِبْطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ} بعدم الخوف من قلة الماء للشرب وإزالة الجنابة وغير ذلك {وَيُثَبِّتْ بِهِ الْأَقْدَامَ} أي يقوي ويثبت التراب تحت أقدامكم بالمطر أثناء المعركة. وكانت معركة بدر يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة وقتل من المشركين سبعون رجلاً ومنهم أبو جهل وأسر سبعون رجلاً.

﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلِقَىٰ فِي قُلُوبِ
الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿٣٠﴾ ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣١﴾
ذَلِكَ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿٣٢﴾ ﴾

{إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ} والإيحاء هنا هو الأمر أي إذ يأمر ربك وخالقك يا
محمد يا رسول الله الملائكة {أَنِّي مَعَكُمْ} أي إني أنا الله تعالى معكم أيها الملائكة
مؤيداً وناصرًا {فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا} فانصروهم وأيدوهم أي أيدوا المؤمنين
وثبتوهم وانصروهم على كفار قريش {سَأَلِقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ}
سأقذف في قلوب كفار قريش الرعب والذعر والخوف من المسلمين {فَأَضْرِبُوا فَوْقَ
الْأَعْنَاقِ} أي قطعوا رؤوس القوم من رقابهم بالسيوف {وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}
فاضربوا بسيوفكم على كل طرف ومفصل من الأعداء من كفار قريش ويمكن أن
يكون كل بنان ضرب كل صف من صفوف قريش في المعركة {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ} وهذا الضرب فوق الرؤوس وقطع المفاصل والأطراف ذلك لأنهم
خالفوا وعصوا الله ورسوله بعبادتهم الأصنام والأوثان وهذه الآيات تدل على أن
الملائكة اشتركت فعلاً في المعركة بالثبوت للمسلمين والضرب فوق أعناق وأطراف
المشركين. قال الربيع بن أنس: كان الناس يوم بدر يعرفون قتل الملائكة ممن
قتلوهم بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به. [ابن كثير ج ٢
ص ٢٩٣]. {وَمَنْ يُشَاقِقِ} ومن يخالف ويخاصم ويعادي {اللَّهَ وَرَسُولَهُ} أي الله
تعالى ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} فإن

الله تعالى عظيم وقاسي العذاب في الدنيا بالحرب والقتل والهلاك والأسر وفي الآخرة في جهنم وبئس المصير {ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ} أي ذلك العذاب والعقاب فذوقوه بالقتل والهلاك والأسر {وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ} وأن عقاب الكافرين يوم القيامة عذاب النار في جهنم.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿٥٦﴾ وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يأمر الله تعالى المؤمنين وهم من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وصدق به {إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا} إذا تقابلتم مع الكفار في الحرب {فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ} فلا تجبنوا وتهربوا {وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ} ومن يهرب في المعركة من العدو في أثناء القتال {إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ} إلا إذا كان يعمل خدعة في الحرب حتى يلتف خلف العدو أو لعمل مكيدة أو كمين حتى يوقع أكبر خسارة في العدو {أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ} أو لينضم إلى جماعة أخرى من المسلمين ليؤازرهم في المعركة أو قد هلكت جماعته فيهرب لينضم إلى فرقة أخرى من المسلمين ليجاهد معهم ومع سريتهم في الصف الثاني مثلاً لأنه لا فائدة من بقاءه لوحده {فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ} ومن يهرب لغير مكيدة أو لينضم إلى جماعة المجاهدين الأخرى لمجابهة العدو فقد باء واستحوذ على سخط الله تعالى وعلى غضبه ومقته {وَمَا أَوْلَاهُ جَهَنَّمُ} وجزاؤه جهنم يوم القيامة لفراره وجبنه {وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} وبئس وساء المصير والمنقلب والنهاية. قال الإمام أحمد: حدثنا حسن حدثنا زهير حدثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد

الله ابن عمر رضي الله عنهما قال كنت في سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناس حيصة فكنت فيمن حاص فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟ ثم قلنا لو دخلنا المدينة ثم بتنا ثم قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا ، فأتيناه قبل صلاة الغداة فخرج فقال: (من القوم؟) فقلنا نحن الفرارون فقال: (لا بل أنتم العكارون أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين) قال فأتيناه حتى قبلنا يده. [وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق عن يزيد بن أبي زياد - ابن كثير ج ٢ ص ٢٩٤]. روى البخاري ومسلم في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اجتنبوا السبع الموبقات ، قيل يا رسول الله وما هن؟ قال: (الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٩٤].

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَئِكَ بِأَلَلَّهِ قَتْلُهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَئِكَ بِأَلَلَّهِ رَمِيٌّ وَلِيُبَلِّغَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿٨﴾ ﴾

{ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَئِكَ بِأَلَلَّهِ قَتْلُهُمْ } لم تقتلوا الكفار يا محمد يوم بدر ولكن الله هو الذي قتلهم وهزمهم وأهلكهم بنصره لكم وبإمدادكم بالملائكة وتأييده ونصره لكم { وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَئِكَ بِأَلَلَّهِ رَمِيٌّ } وما هزمت الكفار يا محمد يوم بدر ولكن الله هزمهم. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه يعني يوم بدر فقال: (يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً) فقال له جبريل خذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم فما من المشركين

أحد إلا أصاب عينيه ومنخره وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين. [ابن كثير ج ٢ ص ٢٩٥]. {وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا} أي وليجاهد المؤمنين في معركة بدر جهاداً قوياً وعالياً ومتفوقاً ونصراً وعزاً بفضل الله وتأييده {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} إن الله سميع ويسمع دعاءكم يا محمد في بدر وعليم بكم ومجاهديكم فهو سميع لمن دعاه وعليم بمن أطاعه وطلب نصرته {ذَالِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ} وذلك أقول لكم وأبشركم أن الله تعالى موهن ومفسد ومضعف ومبطل كل مكيدة للكافرين لمخالفتهم أمر الله تعالى.

﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ

وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠﴾﴾

{إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ} إن تطلبوا النصر يا أهل قريش ويا أهل مكة ويا أيها الكفار على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاءكم نصر محمد عليكم لمخالفتكم أمر الله تعالى وعصيانه. قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد يعني ابن هارون أخبرنا محمد بن إسحاق حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة أن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة فكان المستفتح. [أخرجه النسائي في التفسير من حديث صالح بن كيسان عن الزهري به ، وكذا رواه الحاكم في مستدرکه من طريق الزهري به وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه - ابن كثير ج ٢ ص ٢٩٦]. {وإن تنتهوا فهو خير لكم} إن تنتهوا وتمتنعوا أيها الكفار عن الشرك والكفر والعصيان فهو خير وأفضل لكم

من العناد والجحود والإنكار { وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ } وإن تعودوا أيها الكفار للكفر والشرك والعصيان ومحاربة رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نعد ونعيد الكرة بنصر سيدنا محمد رسول الله عليكم { وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ } ولن تنفعكم جموعكم ولا كثرتكم في النصر على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كثرت جيوشكم وحشودكم { وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ } وأن الله ينصر المؤمنين عليكم لعبادتهم الله وحده ولعصيانكم وكفركم ومخالفتكم لله ولرسوله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا } يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ } أطيعوا الله فيما أمركم بعدم الفرار عند اللقاء للعدو في المعركة وأطيعوا رسوله بالجهاد وفيما يأمركم به { وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ } ولا تعرضوا عنه ولا تفروا عنه في الجهاد كمعركة أحد عند فراركم عنه وأنتم تسمعون نداءه لكم وهو يقول هلموا إلي أيها المؤمنون ويقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وكذلك لا تعرضوا عنه وأنتم تسمعون القرآن وآياته والإرشاد والنصح لكم وما جاء فيه من أوامر ونواهي { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ } ولا تكونوا مثل المنافقين الذين قالوا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سمعنا وأطعنا ما تأمرنا به وهم لا يسمعون ولا يطيعون الله فيما أمرهم به.

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ۗ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ} إن شر الدواب وأسوأهم وأحقرهم منزلة عند الله تعالى جل جلاله وعظم قدره {الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} أي الدواب وهي الحيوانات التي لا تعقل ولا تسمع ولا تنطق وهي أشر مخلوقات الله تعالى كالوحوش الضارية وهي أشر مخلوقات الله تعالى وأضرها وهكذا شبه الله تعالى الكفار الذين لا يسمعون الهدى والحق والبكم الخرس عن النطق بالحق والعدل والخير الذين لا يعقلون الخير من الشر والحق من الباطل والهدى من الضلال والحلال من الحرام ولا ما ينفعهم ولا يضرهم بل أشركوا وكفروا بالله ورسوله بدون تعقل وروية وفهم وتفكر {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ} ولو علم الله تعالى يا محمد في الكفار خيراً على الطاعة والعبادة وعدم الإشراك والكفر بالله تعالى لأسمعهم الهدى والقرآن الكريم وآياته {وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ} ولو أسمعهم القرآن الكريم وآياته وأوامره ونواهيهِ {لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ} لانصرفوا وأعرضوا عن الطاعة وعن اتباعك يا محمد يا رسول الله وهم عاصون مخالفون لك ولدينك وهو الإسلام.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا تَحْيِيكُمْ ۖ وَأَعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ تَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۖ وَأَنَّهُ رَإِيَهُ تَحْشُرُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا
 تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۖ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَأَذْكُرُوا
 إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ
 وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ ۖ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾

{ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا تَحْيِيكُمْ } يا من آمنتم
 بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وصدقتم بهم استجبوا وأطيعوا الله
 ورسوله عندما يدعوكم للإيمان والإسلام لما فيه من الحياة الطيبة لكم في الدنيا
 بالنصر والتوفيق والحياة الطيبة وفي الآخرة بالجنة ونعيمها { وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
 تَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ } واعلموا علم اليقين أن الله تعالى يجعل حاجزاً ومانعاً
 بين المرء وقلبه في ارتكاب المعاصي والشرك بالله والكفر والعصيان ويمنعه من ذلك
 لمن اتقى الله وخافه وذلك عند غفلته وكذلك إذا أراد الله طغيانه وعصيانه فهو
 يسلب منه العقل والقلب حتى يقع في شر أعماله. قال الإمام أحمد: حدثنا الوليد
 ابن مسلم قال سمعت ابن جابر يقول حدثني بشر بن عبيد الله الحضرمي أنه سمع
 أبا إدريس الخولاني يقول سمعت النواس بن سمعان الكلامي رضي الله عنه يقول
 سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من
 أصابع الرحمن رب العالمين إذا شاء أن يقيمه أقامه وإذا شاء أن يزيغه أزاعه) وكان
 يقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) قال: (والميزان بيد الرحمن يخفضه
 ويرفعه) [وهكذا رواه النسائي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر
 فذكر مثله - ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٨]. { وَأَنَّهُ رَإِيَهُ تَحْشُرُونَ } وأنكم إلى الله يوم

القيامة تحشرون تجمعون في مكان واحد وهو المحشر وإليه المصير وإليه تعودون وإليه ترجعون يوم القيامة {وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} وخافوا ابتلاء ومصيبة لا تصيب الظالمين منكم فقط بل تصيب الجميع بشروورها فعدم منع شرب الخمر مثلاً شارب الخمر لا تصيبه وحده بل تصيب بشروورها من حوله فهي أم الخبائث فلا يعرف عندها أمماً ولا أختاً ولا غيرها ما دام تحت المسكر والقاتل العمد يقع شره على أسرته وقبيلته ومن أوقد حرباً أصاب شررها أغلب أهل بلده وهكذا لا تصيب فاعلها بل تتعداه إلى جيرانه ومن حوله. قال الإمام أحمد: حدثنا سليمان الهاشمي أنبأنا إسماعيل يعني ابن جعفر أخبرني عمرو بن أبي عمرو عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهل عن حذيفة بن اليمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٩٩]. وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا يحيى بن سعيد عن زكريا حدثنا عامر رضي الله عنه قال: سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنه يخطب يقول - وأوماً بأصبعيه إلى أذنيه - يقول: مثل القائم على حدود الله والواقع فيها والمداهن فيها كمثل قوم ركبوا سفينة فأصاب بعضهم أسفلها وأوعرها وشرها وأصاب بعضهم أعلاها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فأذوهم فقالوا لو خرقتنا في نصيبنا خرقتنا فاستقيننا منه ولم نؤذ من فوقنا: فإن تركوهم وأمرهم هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً. [انفرد بإخراجه البخاري - ابن كثير ج ٢ ص ٢٩٩]. {وَأَعْلَمُوا} وتأكدوا {أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} أن الله قاسي العذاب وشديده وقويه لمن عصى {وَأَذَكُرُوا} واتعظوا وتفكروا أيها المؤمنون {إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ} أنتم عددكم قليل

وضعفاء في مواجهة الكفار في أرضكم {تَخَافُونَ} تخشون {أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ} أن يأخذكم الناس بالقتل والأسر {فَقَاوِنُكُمْ} فألجأكم إلى المدينة وحصنكم بها وحماكم فيها {وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ} ونصركم الله في معركة بدر وفي أغلب المواقع والمعارك {وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ} ورزقكم بالأرزاق والغنائم والطعام الحسن الطيب والحلال {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} حتى تشكروا الله تعالى وعسى أن تشكروه على نعمه وأفضاله عليكم.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾
وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾ يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٩﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ} لا تخونوا الله بانتهاك حرماته وعصيانه ولا الرسول وعدم اتباعه وتخونوه بنفاقكم وتكذيبكم عليه وعدم طاعتكم له وعدم تأييده ونصرته والجهاد معه ولا تخونوا أماناتكم وعهدكم وما أودع عندكم من أمانات للناس ولا تخونوا في إمارتكم له ممن جلب زكاة أموال الناس وغيرها في الحكم والرئاسة والقيادة والسلطة وفي عملكم {وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} وأنتم تعلمون خيانتكم وغدركم {وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} واعلموا وتحققوا بأن ما عندكم من أموال وأولاد هي فتنة لكم وامتحان واختبار لكم ومصيبة إذا لم تخرجوا زكاة أموالكم واستعملتموها في المحرمات من الزنا أو شرب الخمر ونحو ذلك وكذلك أولادكم إن أسأتم تعليمهم وتربيتهم أو في الانتقام لكم من الناس بالباطل

والظلم وابتزاز الأموال بالسحت والرشوة ففي ذلك فتنة ومصيبة وعذاب لكم يوم القيامة {وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} وإذا استعملتم أموالكم وأولادكم في طاعة الله تعالى فإن لكم عند الله يوم القيامة أجر عظيم وهو الجنة {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون {إِن تَتَّقُوا اللَّهَ} إن تخافوا الله في محارمه وأوامره وتطيعونه {تَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} يجعل لكم نوراً تعرفون به الحق من الباطل والضلال من الهدى والحلال من الحرام والخير من الشر ويعطيكم القوة على تأييد الحق واتباعه {وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} ويمحو عنكم سيئاتكم السابقة {وَيَغْفِرْ لَكُمْ} أي يغفر ويتجاوز لكم عن ذنوبكم الحالية وكما قال تعالى في آخر سورة البقرة: "وَأَعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" {وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} والله تعالى ذو الفضل والكرم والغفران والخير العظيم والجزيل لمن اتقاه وخافه وعبده وأطاعه.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ

وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا} وإذ يمكر ويكيد ويحيك المؤامرات لك ويتآمرون عليك يا محمد يا رسول الله كفار مكة {لِيُثْبِتُوكَ} ليسجنوك أو يحبسوك {أَوْ يَقْتُلُوكَ} أو يقتلونك {أَوْ يُخْرِجُوكَ} أو يطردوك من مكة {وَيَمْكُرُونَ} ويكيدون ويتآمرون عليك يا محمد وهم يمكرون ويكيدون بالقتل لك {وَيَمْكُرُ اللَّهُ} ويكيد الله ويبطل مكرهم وكيدهم ويفشلهم بأن يبلغ رسوله بكيدهم وينجيه الله تعالى من مؤامراتهم ويمكر بهم بالقتل في الدنيا كما قُتل أبو جهل في بدر ويعذبهم بالنار في جهنم يوم

القيامة {وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ} والله أفضل وخير من يكيّد للظالمين والمعتدين والكفار بإفشال مخططاتهم ومكائدهم ومؤامراتهم وهو بمكره لا يظلم أحداً بل ينتقم من الظالم وينجي المظلوم وهذا معنى "خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" وهو العدل في الحكم. وهذه الآية نزلت من الله تعالى إلى رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالهجرة وكما روى الإمام محمد بن إسحاق بن يسار صاحب المغازي عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: وحدثني الكلبي عن باذان مولى أم هانئ عن ابن عباس أن نفراً من قريش من أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل فلما رأوه قالوا له من أنت؟ قال شيخ من أهل نجد سمعت أنكم اجتمعتم فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم رأيي ونصحي قالوا: أجل ادخل فدخل معهم فقال: انظروا في شأن هذا الرجل والله ليوشكن أن يوثبكم في أمركم بأمره فقال قائل منهم: احبسوه في وثاق ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابغة إنما هو كأحدهم قال: فصرخ عدو الله الشيخ النجدي فقال: والله ما هذا لكم برأيي والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم قالوا: صدق الشيخ فانظروا في غير هذا قال قائل منهم: أخرجوه من بين أظهركم فتستريحوا منه فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم وكان أمره في غيركم فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأيي ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب ليجتمعن عليه ثم ليأتين إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم قالوا: صدق والله فانظروا رأياً غير هذا قال: فقال أبو جهل لعنه الله والله لأشيرن عليكم برأيي ما أراكم أبصرتموه بعد

لا أرى غيره قالوا: وما هو؟ قال: تأخذون من كل قبيلة غلاماً شاباً وسطاً نهداً ثم يعطى كل غلام منهم سيفاً صارماً ثم يضربونه ضربة رجل واحد فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها فما أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه قال: فقال الشيخ النجدي: هذا والله الرأي القول ما قال الفتى لا أرى غيره قال: فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فأمره أن لا يبیت في مضجعه الذي كان يبیت فيه وأخبره بمكر القوم فلم يبیت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته تلك الليلة وأذن الله له عند ذلك بالخروج وأنزل الله عليه بعد قدومه المدينة الأنفال يذكر نعمه عليه. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٠٣].

﴿ وَإِذَا تُلِّىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بَعْدَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

{ وَإِذَا تُلِّىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا } وإذا قرئت آيات من القرآن الكريم على الكفار { قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا } قال الكفار قد سمعنا وعلمنا وذلك تهكماً على كتاب الله { لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا } يقول الكفار لو نريد لقلنا مثل هذا القرآن وأحسن { إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } إنَّ هذا القرآن هو أساطير وقصص وخرافات السابقين من الأمم السابقة { وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ } وقالوا أيضاً عناداً وكفراً اللهم يا ربنا إن كان هذا القرآن هو الحق والصدق جاء من عندك حقاً وصدقاً وقول محمد هو الحق والصدق وبأمرك { فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} فهذا هو منتهى التكذيب والكبر والجحود والإنكار لرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وللقرآن الكريم وتحدياً لهما قالوا اللهم إن كان هذا حقاً فأمطر وأنزل علينا حجارة من السماء كما فعلت بأصحاب الفيل أو أرسل علينا بعذاب أليم وشديد وقاس وذلك تهكماً وسخرية وعناداً وكفراً وتكذيباً وتكبراً على الله ورسوله وعلى القرآن الكريم {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} وقد بين الله سبحانه وتعالى منزلة رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأنه معجزة وكرامة لأمته فلا يعذبهم الله تعالى ما دمت حياً بينهم يا محمد يا رسول الله لعلهم يتوبون ويهتدون للحق ويرجعون إلى الله وعبادته وحده ما دمت فيهم {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} وكذلك لا يعذب الله الكفار والمنافقين وهم يستغفرون الله تعالى على ذنوبهم ومعاصيهم وهذا هو فضل الاستغفار بأن الله يرفع به العذاب والهلاك والمسح والزلازل عن المستغفرين والتائبين.

﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا

أَوْلِيَاءَهُ ۗ إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾

{وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ} وكيف لا يعذب الله الكفار {وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} وهم يمنعون من أراد العبادة في المسجد الحرام {وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۗ} ولم يكن الكفار هم أولياء الله وخاصته {إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ} أي أولياء الله هم المتقون والمبتعدون عن محارم الله وعصيانه وعبادة غيره من الأصنام والأوثان {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} وإن أغلبهم لا يعلمون أنهم على باطل والمؤمنين على الحق والهدى والرشاد وأن الكفار هم أصحاب النار.

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
 تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ
 فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ
 مُحْشَرُونَ ﴿٣٧﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ
 فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

{ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ } وما كانت صلاة وعبادة كفار قريش عند البيت
 الحرام في مكة { إِلَّا مُكَاءً } التصفير { وَتَصَدِيَةً } وهي التصفيق. قال ابن أبي
 حاتم: حدثنا أبو خالد سليمان بن خالد حدثنا يونس بن محمد المؤدب حدثنا
 يعقوب يعني ابن عبد الله الأشعري حدثنا جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير عن
 ابن عباس في قوله: " وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً " قال: (كانت
 قريش تطوف بالبيت عراة تصفر وتصفيق ، والمكاء الصفير والتصديعة التصفيق).
 [وهكذا روى علي بن أبي طلحة والعمري عن ابن عباس ، وكذا روى عن ابن عمر
 ومجاهد ومحمد بن كعب وأبي سلمة بن عبد الرحمن والضحاك وقتادة وعطية
 العمري وحجر بن عنبس وابن أبيزى نحو هذا - ابن كثير ج ٢ ص ٣٠٧]. والمعنى
 العام أن صلاتهم كانت تصفيراً وتصفيقاً وذلك سخرية منهم ولعباً ومنعاً للمؤمنين
 من أداء عبادتهم وطوافهم { فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } أي يعذبهم الله
 في نار جهنم يوم القيامة بسبب كفرهم ومكائهم وتصديعتهم في البيت الحرام بمكة
 { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا } وهم من كفر ولم يصدق برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه
 وسلم { يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ } أي ينفقون ويصرفون أموالهم ليس
 لأعمال الخير والإصلاح ومنفعة الناس ولكن ليصدوا ويمنعوا المسلمين عن عبادتهم

ويمنعون كل من يقترب ويعبد الله وحده {فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً
ثُمَّ يُغْلَبُونَ} وفي الآخرة عذاب جهنم ثم يغلبون ويهزمون في الدنيا ولا ينصرون
بها ولا بإنفاقها فلم تنفعهم شيئاً ففي الدنيا تلحقهم الهزيمة وفي الآخرة عذاب
جهنم {وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ مُخْشَرُونَ} ومصير الكفار يوم القيامة يدخلون
جهنم {لِيَمِيزَ اللَّهُ} وليميز الله ويفرق ويحدد ويعين ويظهر {الْخَبِيثَ} العاصي
والكافر {مِنَ الطَّيِّبِ} المؤمن الصالح {وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ
فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا} ويجعل الله تعالى الخبيث من الأعمال من الذنوب والمعاصي
يجمعه مع بعض ليزداد خبثاً وذنوباً ومعصية ويجمعه جميعاً يوم القيامة {فَيَجْعَلُهُ
فِي جَهَنَّمَ} فيدخل الله تعالى من ارتكب الذنوب والمعاصي والكبائر يوم القيامة في
جهنم عقاباً وعذاباً له {أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} وهؤلاء من الكفار والعصاة هم
الخاسرون في الدنيا بالكفر والعصيان وفي الآخرة بإدخالهم في جهنم وعذاب النار.

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٤٠﴾ ﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {لِلَّذِينَ كَفَرُوا} للكفار وهم الذين لم يصدقوا رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكفروا وجحدوا بها {إِنْ يَنْتَهُوا} إن ينتهوا ويتوقفوا ويتركوا الشرك والكفر والعصيان {يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} يغفر الله ويتجاوز عن سيئاتهم وذنوبهم السابقة {وَإِنْ يَعُودُوا} وإن يعودوا ويرجعوا للشرك والكفر والعصيان {فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ} أي طبقت عليهم ما مضت سنة الله على الأولين من الأمم السابقة بالعذاب والهلاك والتدمير والزلازل والبلاء والمصائب والأمراض {وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} أي قاتلوا يا محمد ويا أيها المؤمنون الكفار والمشركين حتى لا تكون فتنة ومحنة ومصيبة ضد الدين وهي فتنة الشرك والكفر {وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} وحتى يكون الدين كله لله وحده لا شريك له {فَإِنْ أَنْتَهُوا} فإن تراجعوا عن الشرك والكفر {فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} فإن الله يعلم أفعالهم وأعمالهم وهو بصير ومطلع بهم وبأعمالهم {وَإِنْ تَوَلَّوْا} وإن أعرضوا عن اتباع دين الإسلام {فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ} فاعلموا يا محمد أنت والمؤمنون أن الله يتولاكم في الدنيا بالنصر والتأييد ويحفظكم ويمنعكم من أعدائكم وهو يعينكم عليهم {نِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ} فهو خير مولى لكم وخير نصير ومعين لكم في جميع أموركم.

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ
يَوْمَ التَّقَىٰ أَجْمَعِينَ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾

{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ} واعلموا وتأكدوا أيها المؤمنون أنه كلما غنمتم من شيء في الجهاد {فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ} فإن هذا المغنم يستخرج منه خمسة يوزع لله أي في بناء المساجد والمدارس والمستشفيات والجهاد في سبيل الله {وَلِلرَّسُولِ} أي للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وزوجاته وأهل بيته والآن بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم يوزع على باقي أصحاب الحقوق المذكورين في هذه الآية {وَلِذِي الْقُرْبَىٰ} أقارب النبي صلى الله عليه وسلم ممن لم يحضر تلك الغزوة {وَالْيَتَامَىٰ} يتامى المسلمين ممن مات والداهما أو أحدهما ولم يبلغ الحلم {وَالْمَسْكِينِ} وهم من لا يملك شيئاً ولا يستطيع طلب الصدقة لمسكنته وقلة حيلته {وَابْنِ السَّبِيلِ} المسافر وعابر الطريق ولا يجد ما يكفيه لسفره فهؤلاء الستة أصناف هم شركاء في خمس المغنم أو الغنائم التي يحصل عليها المسلمون ، وروى الإمام أحمد قال: حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا إسماعيل بن عياش عن أبي بكر بن عبد الله ابن أبي مريم عن أبي سلام الأعرج عن المقدم بن معد يكرب الكندي أنه جلس مع عبادة بن الصامت وأبي الدرداء والحارث بن معاوية الكندي رضي الله عنهم فتذكروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو الدرداء لعبادة: يا عبادة كلمات رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة كذا وكذا في شأن الأخماس فقال عبادة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم في غزوة إلى بعير من المغنم فلما سلم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتناول وبرة بين أنمليته فقال: (إن

هذه من غنائمكم وإنه ليس لي فيها إلا نصيبي معكم الخمس والخمس مردود عليكم فأدوا الخيطة والمخيطة وأكبر من ذلك وأصغر ولا تغلوا فإن الغلول عار ونار على أصحابه في الدنيا والآخرة وجاهدوا الناس في الله القريب والبعيد ولا تبالوا في الله لومة لائم وأقيموا حدود الله في السفر والحضر فإن الجهاد باب من أبواب الجنة عظيم ينجي الله به من الهم والغم). [ابن كثير ج ٢ ص ٣١١]. {إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ} إن كنتم آمنتم وصدقتم بالله تعالى رباً وبالرسول صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا} وآمنتم بما أنزلنا على عبدنا من الملائكة {يَوْمَ الْفُرْقَانِ} يوم بدر {يَوْمَ التَّقَى} يوم التقى وتقابل {الْجَمْعَانِ} وهم الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون من جهة ومن جهة أخرى كفار قريش وعلى رأسهم أبو جهل في معركة بدر التي نصر الله فيها رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين على كفار قريش {وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره هو على كل شيء قادر بإنزال الملائكة ونصر المؤمنين.

﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ٤٢

﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكٍ قَلِيلًا وَلَوْ أَرْنَكُهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ٤٣

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيْتِمِ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ ٤٤

{ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا } إذ أنتم أيها المؤمنون ببدر في العدو الدنيا بالمكان القريب من جانب الوادي القريب إلى المدينة من بطن يئيل { وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى } أي وهم كفار قريش بالعدوة القصوى أي البعيدة من المدينة وبالقرب من جهة مكة ببطن الوادي { وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ } والقافلة قافلة أبي سفيان أسفل منكم عن طريق ساحل البحر { وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ } ولو تواعدتم أيها المؤمنون أنتم والمشركون من قريش في هذا المكان وهو بدر وفي الزمان لاختلفتم في الميعاد { وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا } ولكن لينفذ الله أمراً مقدراً ومحكماً ومنظماً ولا بد منه { لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ } ليهلك أبو جهل ويموت من قريش من مات منهم وهم قد قتل منهم سبعون وأسر سبعون وهذا الهلاك عن بينة من الله تعالى وحجة على نصره للمؤمنين على كفار قريش { وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ } وينجو من نجا عن بينة وعن دلالة واضحة { وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ } وإن الله لسميع لدعاء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

واستجاب دعاءه ونصره، وعليم بمن أطاعه من المسلمين ومن عصاه من كفار قريش وكانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان في بدر صبيحة ليلة الجمعة لسبع عشر مضت من شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة. وفي حديث كعب بن مالك قال: إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، وقال ابن جرير: حدثني يعقوب حدثني ابن عليّة عن ابن عون عن عمير ابن إسحاق قال: أقبل أبو سفيان في الركب من الشام وخرج أبو جهل ليمنعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فالتقوا ببدر ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء ولا هؤلاء بهؤلاء حتى التقى السقاة ونهد الناس بعضهم لبعض، وقال محمد ابن إسحاق في السيرة: ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه ذلك حتى إذا كان قريباً من الصفراء بعث بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء الجهنيين يلتزمان الخبر عن أبي سفيان فانطلقا حتى إذا وردا بدرًا فأناخا بعيريهما إلى تل من البطحاء فاستقيا في شن لهما من الماء فسمعا جاريتين يختصمان تقول إحداهما لصاحبتهما اقضيني حقي، وتقول الأخرى إنما تأتي العير غداً أو بعد غد فأقضيك حقلك فخلص بينهما مجدي بن عمرو وقال صدقت فسمع بذلك بسبس وعدي فجلسا على بعيرهما حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه الخبر وأقبل أبو سفيان حين وليا وقد حذر فتقدم أمام غيره وقال لمجدي بن عمرو هل أحسست على هذا الماء من أحد تنكره؟ فقال: لا والله إلا أنني قد رأيت راكبين أناخا إلى هذا التل فاستقيا من شن لهما ثم انطلقا فجاء أبو سفيان إلى مناخ بعيريهما فأخذ من أبعارهما ففته فإذا فيه النوى فقال هذه والله علائف يثرب، ثم رجع سريعاً فضرب وجه غيره فانطلق بها فساحل حتى إذا رأى أنه قد أحرز غيره إلى قريش فقال: إن الله قد نجى عيركم وأموالكم ورجالكم

فارجعوا فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نأتي بدرأً وكانت بدر سوقاً من أسواق العرب فنقيم بها ثلاثاً فنطعم بها الطعام وننحر بها الجزر ونسقى بها الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا فلا يزالون يهابوننا بعدها أبداً فقال الأخنس ابن شريق: يا معشر بني زهرة إن الله قد أنجى أموالكم ونجى صاحبكم فارجعوا فرجعت بنو زهرة فلم يشهدوها ولا بنو عدي، قال محمد بن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال: وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دنا من بدر علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص والزبير ابن العوام في نفر من أصحابه يتجسسونه الخبر فأصابوا سقاة لقريش غلاماً لبني سعيد بن العاص وغلاماً لبني الحجاج فأتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوه يصلي فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونهما لمن أنتما؟ فيقولان: نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من الماء فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما فلما أزلقوهما قالوا: نحن لأبي سفيان فتركوهما وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدة ثم سلم وقال: (إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما صدقا والله إنهما لقريش أخبراني عن قريش) قالوا هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى، والكثيب والعنقل فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كم القوم؟) قالوا: كثير قال: (ما عدتهم؟) قالوا ما ندري قال: (كم ينحرون كل يوم؟) قالوا يوماً تسعاً ويوماً عشراً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (القوم ما بين التسعمائة إلى الألف) ثم قال لهما: (فمن فيهم من أشرف قريش؟) قالوا: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختری ابن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة ابن عدي بن نوفل والنضر ابن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأميمة

ابن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ود فأقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على الناس فقال: (هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها) قال محمد ابن إسحاق رحمه الله تعالى: وحدثني عبد الله ابن أبي بكر بن حزم أن سعد بن معاذ قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: لما التقى الناس يوم بدر يا رسول الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه وننيخ إليك ركائبك ونلقى عدونا فإن أظفرنا الله عليهم وأعزنا فذاك ما نحب وإن تكن الأخرى فتجلس على ركائبك وتلحق بمن وراءنا من قومنا فقد والله تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد لك حبا منهم لو علموا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ويوازرونك وينصرونك فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له به فبني له عريش فكان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ما معهما غيرهما. قال ابن إسحاق: وارتحلت قريش حين أصبحت فلما أقبلت ورآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العنقل وهو الكثيب الذي جاءوا منه إلى الوادي فقال: (اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم أحنهم الغداة). [ابن كثير ج ٢ ص ٣١٥]. {إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرْنٰكُهُمْ كَثِيرًا لَّفَشَلْتُمْ ۖ وَتَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ} إذ يجعلك الله يا محمد يا رسول الله ترى كفار قريش في معركة بدر في نومك عددهم قليل ولو الله جعلك تراهم كثير عددهم في نومك لفشلتم خسرتم المعركة واختلفتم في أمرهم ومحاربتهم وهذا دليل على أن الرؤيا هي دليل من الله على ما يحدث لابن آدم فرؤية عدد العدو كثير فهذا يدل على الهزيمة والفشل أما قلة العدو للعدو في المنام فدليل النصر وألا يهتم بأمرهم {وَلٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ} ولكن الله تعالى سلم رسوله ونصره برؤيته قلة عدد الكفار ببدر {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} إن الله تعالى عليم بما يدور في صدر النبي صلى الله

عليه وسلم من الهزيمة لا سمح الله وخاصة أنها أول معركة بين المسلمين وكفار قريش وجهاً لوجه {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّكْوِينِ فِيَ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِيَ أَعْيُنِهِمْ} وعند معركة بدر عندما تواجهتم يا محمد يا رسول الله مع كفار قريش أبي جهل وزبانيته رأيتموهم عددهم قليل وهم رأوكم عددكم قليل فكلاً منكم رأى الآخر عدده قليل {لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} لينفذ الله ويقضي أمراً وحكماً كان لا بد منه {وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} وإلى الله ترجع عاقبة الأمور ونهاية الأمر ومصيره بيد الله تعالى وحده وفي سورة آل عمران قال تعالى: " قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ " ١٣ آل عمران.

ولا تعارض بين الآيتين لأن هذه الآية أثناء المعركة جعل الله المؤمنين ضعف الكفار في نظر الكفار بتأييد من الله بالملائكة الألف المردفين أما آية الأنفال فهي قبل معركة بدر حتى لا يجبن المسلمون لدخول المعركة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في معركة بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً والمشركون بين الألف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على السبعين وأسر منهم مثل ذلك. وقال أبو إسحاق السبيعي عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي تراهم سبعين؟ قال بل هم مائة حتى أخذنا رجلاً منهم فسالناه فقال كنا ألفاً. [رواه ابن أبي حاتم وابن جرير - ابن كثير ج ٢ ص ٣١٥، ٣١٤].

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِتْحُكُمْ وَأَصْبِرُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۗ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ﴿٤٨﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يا من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً} إذا تقابلتم مع جماعة من الأعداء في الحرب {فَاثْبُتُوا} فامكثوا في مكان المعركة ولا تهربوا في الحرب والمنازلة {وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا} واذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وكبروه وهللوه وكرروا اسمه كثيراً أي توكلوا على الله واستعينوا به ، وذكر الله دائماً يجلب النصر والمساعدة من الله تعالى وأنهم يتفكرون ويذكروه وحده ويتوكلوا عليه {لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} لعلكم تفوزون بنصر الله وتأبيده. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفاته). أخرج ابن ماجه وصححه ابن حبان وذكره البخاري تعليقاً وهو في البخاري بلفظ: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣]. وقال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن

عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاثبتوا واذكروا الله فإن صخبوا وصاحوا فعليكم بالصمت). [ابن كثير ج ٢ ص ٣١٦]. وثبت في الصحيحين عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظر في بعض أيامه التي لقي فيها العدو حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال: (يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف) ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (اللهم منزل الكتاب ، ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم). [ابن كثير ج ٢ ص ٣١٦]. وقال أبو الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا إبراهيم بن هاشم البغوي حدثنا أمية بن بسطام حدثنا معتمر بن سليمان حدثنا ثابت بن زيد عن رجل عن زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً قال: (إن الله يحب الصمت عند ثلاث عند تلاوة القرآن ، وعند الزحف ، وعند الجنازة). [ابن كثير ج ٢ ص ٣١٦]. {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} وأطيعوا الله فيما أمركم من الثبات في المعركة وذكره عند اللقاء مع العدو والصبر والثبات وإطاعة رسوله فيما يرشدكم إليه من الذهاب للحرب ومنازلة العدو {وَلَا تَنْزِعُوا فَتَفْشَلُوا} ولا تختلفوا كما انصرف قسم ولم يخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في معركة بدر فتفشلوا في تخلفكم مع النبي صلى الله عليه وسلم ولم تحصلوا على المغانم في معركة بدر وهي آية عامة يرشد الله تعالى أهل الإسلام أن لا يختلفوا في جميع أمورهم وخاصة في الحرب فيفشلوا وينهزموا إذا تخاصموا وتشاحنوا واختلفوا {وَتَذَهَبَ رِجَالُكُمْ} وتذهب قوتكم ومنعتكم وجاهكم وسطوتكم بالهزيمة عند اختلافكم وتفرقكم {وَأَصْبِرُوا} واصبروا في المعارك ومنازلة العدو وفي كافة أموركم

{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} إن الله مع من صبر وجالد وصابر وتحمل تبعات الحرب والجهاد بتأييد الله ونصره وفوزه {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ} ولا تكونوا أيها المؤمنون في جهادكم وحربكم مثل كفار قريش {بَطْرًا} كبراً وغطرسة وصلفاً {وَرِثَاءَ النَّاسِ} تفاخراً أمام الناس كما قال أبو جهل لما قيل له إن العير قد نجا فارجعوا فقال: (لا والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر وننحر الجزر ونشرب الخمر وتعزف علينا القيان وتتحدث العرب بمكاننا فيها يومنا أبداً). [ابن كثير ج ٢ ص ٣١٧]. {وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ} ويمنعون من يريد الإسلام من الدخول فيه أو يمنعون من يريد الجهاد في سبيل الله {وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} والله محيط وعليم بأعمالهم {وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} وإذ زين وزخرف وحسن وجمل الشيطان وهو إبليس أعمال الكفار في معركة بدر {وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ} وقال إبليس لكفار قريش لا يستطيع أحد أن يغلبكم من الناس أي من المسلمين لكثرتكم وقوتكم {وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ} وقال إبليس للمشركين وهو في صفة رجل من المشركين اسمه سراقه بن مالك بن جعشم سيد بني مدلج إني معين لكم ومساعد وناصر {فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ} فلما ظهرت الجماعتان كفار قريش والمسلمون أمام بعضهما البعض ورأى كل الآخر {نَكَصَ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ} هرب إبليس وفر من المعركة {وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} وقال إبليس لعنه الله في معركة بدر عندما هرب من المعركة قال للمشركين إني بريء منكم أليس أي ليس لي شأن بكم وبريء من حربكم هذه للنبي صلى الله عليه وسلم إني أرى ما لا ترون أشاهد الآن نزول الملائكة مع النبي

صلى الله عليه وسلم وإنني أخاف الله وأخشى عقابه وعذابه عليّ حيث أنزل ملائكته لنصرة سيدنا محمد والله شديد العذاب والعقاب والانتقام. قال محمد بن عمر الواقدي أخبر عمر بن عقبة عن شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال: لما تواقف الناس أغمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم كشف عنه فبشر الناس بجبريل في جند من الملائكة ميمنة الناس ، وميكائيل في جند آخر ميسرة الناس ، وإسرافيل في جند آخر ألف ، وإبليس قد تصور في صورة سراقبة بن مالك ابن جعشم المدلجي وكان من أشرف بني كنانة يدبر المشركين ويخبرهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس فلما أبصر عدو الله الملائكة نكص على عقبيه وقال إنني بريء منكم إنني أرى ما لا ترون فتشبت به الحارث بن هشام وهو يرى أنه سراقبة لما سمع من كلامه فضرب في صدر الحارث فسقط الحارث وانطلق إبليس لا يرى حتى سقط في البحر ورفع ثوبه وقال يا رب موعدك الذي وعدتني. [ابن كثير ج ٢ ص ٣١٧].

﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَتُّوْلَاءٌ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١١١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١١٢﴾ ﴾

{ إِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ } وهم المذبذبون { وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ } ضعف وجبن وقلة إيمان وهم أعداء الإسلام ممن أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر { غَرَّ هَتُّوْلَاءٌ } دِينُهُمْ } اغتر هؤلاء المسلمون بدينهم وافتتنوا به وظنوا أن دينهم سينصرهم على كفار قريش لقلة عدد المسلمين وكان عددهم ثلاثمائة وبضعة عشر والمشركون من

تسعمائة إلى الألف وهذا جهل بالإسلام ورب الإسلام فالله ينصر جنده وبالملائكة ويزيد قلة عددهم بواسطة كثرة الملائكة {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} ومن يعتمد على الله في أمره كله {فإنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} فإن الله سينصره لأن الله عزيز وقوي في ملكه وحكيم في نصره للمسلمين على الكفار {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ} ولو تشاهد وتنظر يا محمد كيف يتوفى الكفار الملائكة وكيف يصنعون بهم عند موتهم {يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} تضرب الملائكة الكفار عند موتهم تضرب وجوههم وظهورهم وهكذا قد يظهر الضرب والسواد على جسم من مات من الكفار والملائكة تعذبهم عند خروج الروح وضرب الشياطين على أجسادهم كأنه كي النار ولذلك قال تعالى: " ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ " وهذا العذاب بسياط من نار في الدنيا عند الموت وفي الآخرة في جهنم وبئس المصير، وكما جاء في حديث البراء أن ملك الموت إذا جاء الكافر عند احتضاره في تلك الصورة المنكرة يقول: أخرجي أيتها النفس الخبيثة إلى سموم وحميم وظل من يحموم فتفرق في بدنه فيستخرجونها من جسده كما يخرج السفود من الصوف المبلول فتخرج معها العروق والعصب ، ولهذا أخبر تعالى أن الملائكة تقول لهم ذوقوا عذاب الحريق. [ابن كثير ج ٢ ص ٣١٩]. {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمُ أَيِّدِيكُمْ} وذلك بما قدمتم من كفر ومعاصي {وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ} ذلك بأن الله عادل لا يظلم أحداً من عباده إلا بذنب ومن كفر فجزاؤه النار ومن أطاعه فله الجنة.

﴿ كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ ۗ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾

{ كَذَّابٍ } كمثل وكعادة { ءَالٍ فِرْعَوْنَ } وهم فرعون وقومه وهو فرعون موسى واسمه الوليد بن مصعب ملك مصر { وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } ومثلهم قوم نوح ومن سبقهم من الأمم السابقة مع رسلهم { كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ } جحدوا وأنكروا آيات الله ودلائله ومعجزاته { فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ } وأخذ الله تعالى بمعاصي الكفار انتقامه وهلاكه للكفار بالحرب والزلازل والصواعق { إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ } قادر وقوي في حكمه ولا يُسأل عما فعل { شَدِيدُ الْعِقَابِ } أي شديد العذاب والانتقام ممن عصاه في الدنيا بالزلازل والحروب والمصائب والأمراض والهلاك ويوم القيامة عذاب أليم في نار جهنم { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } وعلى ذلك لا يبدل الله تعالى نعمته التي أنعمها على قوم حتى يغيروا ويبدلوا ما بأنفسهم وما في صدورهم وقلوبهم من الإيمان إلى الكفر وإلى العصيان ومن الخير إلى الشر ومن الحسنات إلى الذنوب ومن الفضل إلى السوء ومعنى ذلك أن الله تعالى لا يعاقب إلا بذنب ولا يغفر إلا بتوبة ولا يأتي بنعمة وفضل ورحمة إلا بطاعة ، وقال الأعمش وشعبة بن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير ابن الأقرم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الفحش فإن الله لا

يحب الفحش وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالفجور ففجروا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا). [رواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة والنسائي من طريق الأعمش كلاهما عن عمرو بن مرة - ابن كثير ج ٤ ص ٣٣٩].

وجاء في الحديث الصحيح عن مسلم رحمه الله من رواية أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه). [ابن كثير ج ٢ ص ٣١٩]. {وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} وأن الله سميع لما يقولون عليهم بجميع أفعالهم {كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ} كعادة واستمرار فرعون وقومه {وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} ومن سبقهم من الأمم السابقة {كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ} كذبوا بآيات الله وحججه وبياناته ومعجزاته ولم يصدقوا بها وأنكروها وجحدوها {فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ} فأهلكهم الله عز وجل وأماتهم وقضى عليهم بذنوبهم وأوزارهم {وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ} وأغرق الله تعالى فرعون وقومه {وَكُلٌّ} وكل من فرعون وآل فرعون وقوم فرعون ومن سبقهم ممن كفر من الأمم السابقة {كَانُوا ظَالِمِينَ} كانوا ظالمين لأنفسهم بكفرهم وتكذيبهم وجحودهم ومعصيتهم لله تعالى وظالمين لأنفسهم بدخولهم النار يوم القيامة.

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ
 ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثَقَفْتَهُمْ فِي
 الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ
 خِيَانَةً فَاَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 سَبْقُوا أَيُّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾

{إِنَّ شَرَّ} إن أسوأ {الدَّوَابِّ} وهو كل ما دب على الأرض من الحيوانات وغيرها
 {عِنْدَ اللَّهِ} عند الله تعالى عز جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا
 يُؤْمِنُونَ} من استمر على الكفر وأنكر ووجد رسل الله وملائكته وكتبه واليوم الآخر
 {الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ} الذين عاهدت
 منهم يا محمد وهم اليهود من بني قريظة وأخذت عليهم العهود والمواثيق والشروط
 وينقضونها في كل مرة {وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ} وهم لا يتورعون في نقض العهود
 والشروط والمواثيق التي أخذتها عليهم {فَأِمَّا تَثَقَفْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ} فإذا ظفرت بهم
 في الحرب وانتصرت عليهم وهزمتهم واستوليت عليهم {فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ}
 فاجعل كل من يسمع ويعلم بحربك عليهم ونصر الله لك عليهم بأخذهم وهلاكهم
 وأسرهم وجعلهم عبرة يخافك كل من سمع وعلم من انتصارك وعقابك لهم يخشاك
 ويخافك ولا يقدم على حربك ومعاداتك {لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ} لعلهم يخافون
 ويتعظون {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً} فإذا خفت غدرًا ونقضاً للعهود والمواثيق
 التي أخذتها عليهم {فَاَنْبِذْ إِلَيْهِمْ} فارفض عهدهم وأبطل شروطهم وأعلمهم بالغاء
 العهد بينك وبينهم {عَلَى سَوَاءٍ} على كل شروطه {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ} إن

الله يبغض من يخون عهداً وينقض شرطاً فالغدر ليس شيمة العظماء وهذا توبيخ للكفار لنقض عهدهم وشروطهم وموآثيقهم مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا} ولا يظن الكفار بأنهم سبقوا بنقض العهد مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأنهم قد نجوا من عذاب الله تعالى لهم في حروب قادمة ويوم القيامة في عذاب جهنم {إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ} إنهم لا يفلتون من انتقام الله تعالى منهم وفي تعذيبه لهم سواء في الدنيا بالحرب والهلاك والأسر والمصائب ويوم القيامة في عذاب جهنم.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾

{وَأَعِدُّوا لَهُمْ} أمر الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ومعه المؤمنون بأن يعدوا ويحضروا ويجهزوا {مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} أي كل ما استطعتم وهي أقصى أنواع الاستعداد والتحضير والتجهيز للقوة والحرب من جميع أنواع الأسلحة والمعدات والإمكانيات من القوة في كل عصر أحدث أنواع الأسلحة وفي عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم السيوف والدروع والرماح وفي عصرنا الحاضر من المدافع والصواريخ والطائرات الحربية والأساطيل والغواصات وما تحتاجه المعارك الحديثة من أنواع القوة والأسلحة {وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ} ومن الخيول الكثيرة التي ترابط في سبيل الله وهذه في أيام النبي محمد صلى الله عليه وسلم واليوم في عصرنا الحاضر تقوم مقامها الدبابات الثقيلة والمجنزرات والمصفحات والأساطيل والطائرات الحربية الحديثة وغيرها مما تحتاجه المعارك الحديثة

{تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} تخوفون بهذه التحضيرات والتجهيزات وإعداد هذه القوة تخوفون كل عدو لله من الكفار وكل عدو لكم يريد بكم الشر والهلاك {وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} وهناك آخرين غير أعدائكم الظاهرين الذين يتربصون بكم الدوائر طمعاً في أرضكم وطمعاً فيما تملكون واستعماراً لكم وحسداً وحقداً عليكم فهم سواء المنافقون أو المستعمرون الذين يرغبون في أخذ خيراتكم في باطن الأرض أو في ظاهرها فالله سبحانه وتعالى يعلمهم وأنتم لا تعلمونهم {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} وما تصرفوا وتنفقوا وتتصدقوا من أي شيء من الأموال لشراء الأسلحة والمعدات في الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ورد الحقوق إلى أصحابها والدفاع عن النفس والمال والعرض والأرض والجهاد في سبيل الله هو في مرضاة الله تعالى وليس الاعتداء أو الظلم والسيطرة والاستعباد {يُوفِّ إِلَيْكُمْ} هذه الأموال التي تنفقونها وتصرفونها في سبيل الله ومرضاته توفى إليكم وترد عليكم بالخير والسعادة في الدنيا بالنصر وفي الآخرة في جنات النعيم {وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ} أي لا تظلمون في الدنيا بالهزيمة والاستعمار وفي الآخرة لا تظلمون بدخول النار لأن الله تعالى عادل لا يظلم أحداً كما قال تعالى: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ " ٨،٧ الزلزلة.

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿٦٦﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٨﴾

{ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا } وَإِنْ مَالُ الْكُفَّارِ لِلسَّلَامِ وَمَوَادِعَتُكَ يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا يُرِيدُونَ لَكَ حَرْبًا فَاجْنَحْ وَوَافِقْ لِعَمَلِيَةِ السَّلَامِ { وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ } اعْتَمِدْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَفُوضْ أَمْرَكَ إِلَيْهِ { إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } إِنْ اللَّهُ تَعَالَى جَلَّ جَلَالُهُ سَمِيعٌ لِمَنْ أَرَادَ السَّلَامَ وَالْأَمَانَ وَعَلِيمٌ بِمَنْ جَنَحُوا لَهُ وَعَلِيمٌ بِأَحْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَمَا تَخْفَى الصُّدُورَ { وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ } وَإِنْ أَرَادَ الْكُفَّارُ بِجَنُوحِهِمْ لِلسَّلَامِ الْخُدْعَةَ لَكَ وَالْغَدْرَ بِكَ وَالْمَكِيدَةَ لَكَ { فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ } فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِيكَ وَيَقِيكَ شَرَّهُمْ وَكَيْدَهُمْ وَغَدْرَهُمْ وَمَكَائِدَهُمْ { هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ } وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى جَلَّ جَلَالُهُ هُوَ الَّذِي نَصَرَكَ بِنَصْرِهِ الْمُؤَزَّرَ عَلَى الْكُفَّارِ وَسَاعَدَكَ بِالْمُؤْمِنِينَ عَلَى النَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ وَالتَّأْيِيدِ { وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ } وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ قَدْرَهُ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الْمَحَبَّةَ وَالوِثَامَ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ يَتَوَادُونَ وَيَتَحَابُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ { لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ } لَوْ أَنْفَقْتَ وَصَرَفْتَ كُلَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَمْوَالٍ وَغَيْرِهَا مَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تُؤَلِّفَ وَتُلْقَ الْمَحَبَّةَ وَالْمُودَةَ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ { وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ } وَلَكِنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَهُمْ بِالْمَحَبَّةِ وَالْمُودَةِ وَالْأَلْفَةِ وَالتَّرَابُطِ { إِنَّهُ عَزِيزٌ } إِنَّهُ عَزِيزٌ قَوِيٌّ فِي مَلِكِهِ { حَكِيمٌ } وَحَكِيمٌ فِي تَأْلِيفِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَحَكِيمٌ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ.

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦٤﴾ يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ حَرِضِ
 الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ
 مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٦٥﴾

{يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ} يا أيها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهي كلمة تبجيل للنبي
 محمد صلى الله عليه وسلم حيث لم يذكره باسمه عند مخاطبته تبجيلاً وتعظيماً له
 من دون الأنبياء {حَسْبُكَ اللَّهُ} كافيك الله وواقيك وناصرك ومؤيدك {وَمَنْ اتَّبَعَكَ
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} أي وكل من آمن وصدق بك وعبد الله وحده يحفظهم الله
 وينصرهم ويؤيدهم {يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ} يا أيها الرسول محمد {حَرِضِ الْمُؤْمِنِينَ} عَلَى
 الْقِتَالِ {حَثَمَ} واستنفر فيهم روح القتال والجهاد في سبيل الله وفي الحق {إِنْ يَكُنْ
 مِنْكُمْ} أي إن يكن منكم أيها المؤمنون {عَشْرُونَ صَابِرُونَ} عشرون رجلاً صادقون
 ومجاهدون ثابتون في أرض المعركة ويجاهدون بإخلاص وقوة وعزيمة {يَغْلِبُوا
 مِائَتِينَ} أي يغلبوا مائتين من الكفار أي كل واحد من المؤمنين يغلب عشرة من
 الكفار {وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} أي المائة من
 المؤمنين تغلب ألفاً من الكفار أي كل واحد من المؤمنين يغلب عشرة من الكفار
 {بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} بأنهم قوم لا يفهمون وأن الله ناصر الحق وهازم
 الباطل وهم على باطل.

﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾

{الَّذِينَ} من اليوم وطالع أي من اليوم وما بعده {خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا} أي خفف الله عنكم حمل الحرب وحمل العدد الواحد منكم أيها المؤمنون يغلب عشرة من الكفار وعلم الله أي أظهر علمه في الحقيقة بعد علمه من الأزل وهو علام الغيوب أنكم ضعفاء ولا تستطيعون المواجهة في الحرب مع عدوكم مع قلة عددكم وهو الواحد يقابل عشرة {فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ} فكل عدد مائة شخص صابر وصادق ومجاهد وثابت في المعركة ويجاهد بإخلاص وقوة وعزيمة {يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ} فالمائة تغلب مائتين من الكفار والألف من المؤمنين يغلبوا ألفين من الكفار أي كل واحد من المؤمنين يغلب اثنين من الكفار وهذا هو التخفيف بدل الواحد من المؤمنين يغلب عشرة من الكفار ولا يجوز له الهرب ولا الجبن والآن بعد أن خفف الله على المؤمنين الواحد من المؤمنين يغلب اثنين من الكفار فقط {بِإِذْنِ اللَّهِ} بأمر الله وإرادته وروى البخاري عن علي بن عبد الله عن سفيان به نحو هذا التفسير ، وقال محمد بن إسحاق: حدثني ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين ومائة ألفاً فخفف الله عنهم فنسخها بالآية الأخرى فقال: "الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا" الآية فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم يسغ لهم أن يفروا من عدوهم ، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم. [ابن كثير ج ٢

ص ٣٢٤]. {وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره مع الصابرين

المجاهدين الصادقين المخلصين في الجهاد فإنه ينصرهم على عدوهم من الكفار.

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ رَاسْرَى حَتَّى يُتَخْرَبَ فِي الْأَرْضِ تَرِيدُونَ عَرَضَ

الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كَتَبَ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ

فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي

قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ

يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

{ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ رَاسْرَى حَتَّى يُتَخْرَبَ فِي الْأَرْضِ } ما كان لنبي ولا

لرسول أن يأخذ أسرى في الحرب حتى يتمكن من العدو ولا قبل أن يحكم ويسيطر

عليهم وينشر دعوته ويبليغ رسالته وهذا نقد من الله تعالى لحكم النبي محمد صلى

الله عليه وسلم والمؤمنين قبل نزول الحكم من السماء في الأسرى { تَرِيدُونَ عَرَضَ

الدُّنْيَا } تريد يا محمد يا رسول الله أنت والمؤمنين الفداء في الدنيا عن الأسرى

{ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ } والله يريد لكم القوة والمنعة والتمكين في الأرض بالنصر في

الدنيا أو الشهادة في سبيل الله ودخول الجنة { وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } والله عزيز

وقوي بنصره وحكيم في أوامره ونواهيهِ { لَوْلَا كَتَبَ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ } لولا أن الله تعالى

كتب في اللوح المحفوظ " وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا " وهذا عدل الله في

حكمه لا يأخذ بالذنب قبل أن ينزل الحكم وهذا هو كتاب الله وليس كما قال

البعض أنه كتب في اللوح المحفوظ تحليل المغانم وهذا بعيد عن السياق وتأكيدي ذلك

ما جاء بعد هذه الآية قوله تعالى {لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} لمسكم وأصابكم وأخذكم بما أخذتم فداء الأسرى عذاب شديد وأليم وتأكيد ذلك أيضاً الآية التي قبلها وهي " مَا كَانَ لِنَبِيٍِّّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ " {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا} فكلوا وخذوا يا رسول الله أنت والمؤمنون من الغنائم التي استوليتم عليها في حرب الكفار والمشركين فهي لكم حلالاً وطيبة بعد أن أنزل الله تحليلها {وَاتَّقُوا اللَّهَ} أي خافوه وأطيعوه في حدوده وأوامره {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} فالله غفور لمن تاب وأناب وأطاعه وهو رحيم به لا يعذبه ويدخله الجنة يوم القيامة {يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ} يا رسول الله يا محمد {قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا} وقل يا محمد لمن عندكم من الأسرى الذين وقعوا في الأسر عندكم إن يعلم الله في قلوبكم وهو علام الغيوب خيراً وهو دخول الإسلام وعدم محاربة النبي محمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم خيراً وفضلاً. وقصة الأسرى قال الأعمش عن عمر ابن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما تقولون في هؤلاء الأسارى؟) فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستتبعهم لعل الله أن يتوب عليهم ، وقال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فقدمهم فاضرب أعناقهم ، وقال عبد الله ابن رواحة: يا رسول الله أنت في واد كثير الحطب فأضرم الوادي عليهم ناراً ثم ألقهم فيه قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئاً ثم قام فدخل فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (إن الله ليلين قلوب رجال

حتى تكون ألين من اللبن وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام قال: " فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى عليه السلام قال: " إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " وإن مثلك يا عمر كمثل موسى عليه السلام قال: " رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ " وإن مثلك يا عمر كمثل نوح عليه السلام قال: " رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا " أنتم عالة فلا ينفكن أحد منهم إلا بفداء أو ضربة عنق. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٢٥]. {يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ} مما أخذ من أموالكم فداءً لكم فإذا دخلتم الإسلام تأخذوا غنائم أكثر مما أخذ منكم {وَيَغْفِرْ لَكُمْ} ويغفر ويتجاوز عن ذنوبكم الماضية وعن شرككم {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} والله غفور ويتجاوز ويعفو عن تاب وأناب وأطاع الله ورسوله رحيم بهم ويرحمهم بدخول الجنة يوم القيامة وعن ابن عباس قال: لما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر والأسارى محبوبسون بالوثاق بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساهراً أول الليل فقال له أصحابه يا رسول الله ما لك لا تنام؟ وقد أسر العباس رجل من الأنصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سمعت أنين عمي العباس في وثاقه فأطلقوه) فسكت فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال محمد بن إسحاق: وكان أكثر الأسارى يوم بدر فداء العباس ابن عبد المطلب وذلك أنه كان رجلاً موسراً فافتدى نفسه بمائة أوقية ذهباً. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٢٧]. وقال العباس يا رسول الله قد كنت مسلماً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الله أعلم بإسلامك فإن يكن كما تقول فإن الله يجزيك ، وأما ظاهره فقد كان علينا فافتد نفسك وابني أخيك نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل

ابن أبي طالب بن عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو أخي بني الحارث بن فهر قال ما ذاك عندي يا رسول الله قال: (فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل؟ قلت لها إن أصبت في سفري هذا فهذا المال الذي دفنته لبني الفضل وعبد الله وقتم) قال: والله يا رسول الله إني لأعلم أنك رسول الله إن هذا لشيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل فاحسب لي يا رسول الله ما أصبتم مني عشرين أوقية من مال كان معي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا ذاك شيء أعطانا الله تعالى منك) ففدى نفسه وابني أخويه وحليفه فأنزل الله عز وجل: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَٰعَلِمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " قال العباس فأعطاني الله مكان العشرين الأوقية في الإسلام عشرين عبداً كلهم في يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٢٧]. وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد ابن هلال قال بعث ابن الحضرمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البحرين ثمانين ألفاً ما أتاه مال أكثر منه لا قبل ولا بعد قال فنثرت على حصير ونودي بالصلاة قال وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فمثل قائماً على المال وجاء أهل المسجد فما كان يومئذ عدد ولا وزن ما كان إلا فيضاً وجاء العباس بن عبد المطلب فحثا في خميصة عليه وذهب يقوم فلم يستطع قال فرفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ارفع علي قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خرج ضاحكه أو نابه وقال له: (أعد من المال طائفة وقم بما تطيق) قال ففعل وجعل العباس يقول: وهو منطلق أما إحدى اللتين وعدنا الله فقد أنجزنا ، وما ندري ما يصنع في الأخرى "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ" الآية ثم قال: هذا خير مما أخذ

منا وما أدري ما يصنع الله في الأخرى فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماثلاً على ذلك المال حتى ما بقي منه درهم وما بعث إلى أهله بدرهم ثم أتى الصلاة فصلى. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٢٨]. {وإن يريدوا خيانتك فقد خاؤا الله من قبل فأمكن منهم} وإن يريدوا خيانتك وغدرك يا محمد يا رسول الله فقد خانوا الله من قبل بحربهم لله ولرسوله وبكفرهم فأمكن منهم بأن انتصر عليهم المسلمون فقتلوا منهم البعض وأسروا الآخر {والله عليم حكيم} والله بما يفعلون ويمكرون عليم بذلك وحكيم في أن نصرهم عليهم وحكيم في أوامره ونواهيته وأفعاله.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

{إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} إن الذين آمنوا وصدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله وهاجروا من مكة إلى المدينة أو الحبشة وهم المهاجرون والمجاهدون في سبيل الله وإعلاء كلمة الله ولمرضاة الله بأموالهم وممتلكاتهم وأنفسهم {وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا} والأنصار وهم أهل المدينة الذين نصروا النبي محمد صلى الله عليه وسلم وآووه هو والمؤمنين {أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} بعضهم نصر وأخو الآخر في الله تعالى ولهم جميع الحقوق ما عدا الميراث. قال الحافظ أبو يعلى حدثنا سفيان حدثنا عكرمة يعني ابن إبراهيم الأزدي حدثنا عاصم عن شقيق عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (المهاجرون والأنصار ، والطلقاء من قريش والعنقاء من ثقيف بعضهم أولياء

بعض في الدنيا والآخرة) هكذا رواه في مسند عبد الله بن مسعود. وقد أثنى الله ورسوله على المهاجرين والأنصار في غير ما آية في كتابه فقال: " وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ " الآية. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٢٩]. ولذلك آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، وكان عدد المهاجرين حوالي ثلاثمائة بين رجل وامرأة وكانت المؤاخاة بين سعد بن الربيع مع عبد الرحمن بن عوف حيث عرض سعد زوجته الثانية على عبد الرحمن ليختار منهن أجمل واحدة ليطلقها ويتزوجها فقال له عبد الرحمن بن عوف بارك الله لك في زوجك وقد ذكرهم الله تعالى في قوله: " وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " ٩ الحشر. قال محمد بن إسحاق: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تآخوا في الله أخوين أخوين). [سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٥٠]. وأخذ صلى الله عليه وسلم بيد علي بن أبي طالب فقال: (هذا أخي) ، وآخى بين حمزة بن عبد المطلب (أبو عمار) أسد الله وبين زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآخى بين جعفر بن أبي طالب (ذو الجناحين) وبين معاذ بن جبل ، وآخى بين أبي بكر (عبد الله بن أبي قحافة) وبين خارجة بن زهير ، وآخى بين عمر ابن الخطاب وبين عتبان بن مالك ، وآخى بين أبي عبيدة بن الجراح وبين سعد ابن معاذ ، وآخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع الأنصاري الذي طلب من عبد الرحمن بن عوف أن يناصفه في ماله وزوجته وأن يختار أحسنها فقال له عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك ولكن دلني على السوق حتى

يعمل على التجارة ، وأخى بين الزبير بن العوام وبين سلمة بن سلامة بن وقش ، وقيل عبد الله بن مسعود ، وأخى بين عثمان بن عفان وبين أوس بن ثابت ابن المنذر ، وبين طلحة بن عبيد الله وبين كعب بن مالك ، وبين سعد بن زيد وأبي ابن كعب ، وبين مصعب بن عمير وبين أبي أيوب الأنصاري ، وبين أبي حذيفة ابن عتبة بن ربيعة وبين عباد بن بشر بن وقش ، وبين عمار بن ياسر وبين حذيفة ابن اليمان العبسي ، وبين أبي ذر الغفاري (برير بن جنادة) وبين المنذر بن عمرو ، وبين سلمان الفارسي وبين أبي الدرداء (عويمر بن ثعلبة) ، وبين بلال الحبشي وبين أبي رويحة (عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي). [سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٥٣]. وبهذه المؤاخاة كانوا يتوارثون حتى نسخ ذلك الله تعالى بالمواريث وثبت ذلك في صحيح البخاري عن ابن عباس. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٢٨]. {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنَ وَبَالِكُمْ مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا} والمؤمنون الذين لم يهاجروا مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ليس عليكم في تولية شؤونهم شيء حيث لم يكونوا تحت ولايتكم ولا سيطرتكم لأنهم تحت حكم كفار قريش وليس لهم في المغانم ولا في المؤاخاة حتى يهاجروا إليكم {وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ} وإن طلبوا مساعدتكم ونجدتكم في دين الله فعليكم نصرهم ومساعدتهم {إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ} فالنصر لهم واجب عليكم ما عدا من جعلتم بينكم وبينهم ميثاق وعهد بعدم الغدر {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره بما تفعلون بصير ومطلع ويرى ويعلم القول والفعل.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ

كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ والذين كفروا يا محمد يا رسول الله وأنت يا أيها المؤمن الكفار أولياء وأنصار وورثة ومحبة ومودة بعضهم لبعض كما أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض. وفي الصحيحين من رواية أسامة بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٣٠]. ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ إن لم تفعلوا ذلك وهو المؤمنون يوالون بعضهم والكفار يوالوا بعضهم ولا يوالى المؤمنون الكافرين افعلوا ذلك وإلا تكن فتنة وبلاء ومصيبة وفساد في الأرض لأنه يصير التجسس والعدو والخيانة والفساد وإظهار عورات المؤمنين للكفار وهذا الفساد ينتشر عند ذلك ويتفاحش ويكبر ويعظم.

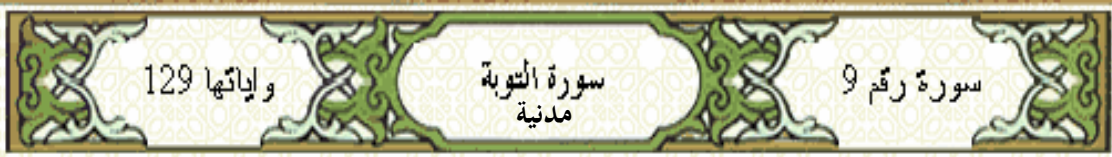
﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَكَ

هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ

إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ والمؤمنون المهاجرون الذين جاهدوا مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحاربوا معه في سبيل الله وإعلاء كلمة الدين ﴿وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ والأنصار وهم أهل المدينة الذين استقبلوا النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو والمؤمنين عندهم ونصروه وساعدوه ووقفوا معه في الحرب والسلام هم جميعاً المهاجرون والأنصار هم

المؤمنون حقاً وهم الصادقون وهم من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
 {هُم مَغْفِرَةٌ} لهم من الله توبة على ما قدموا قبل أن يسلموا {وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} أي
 وحياء سعيدة وطيبة ورزق يأتي من المغنم في الحرب حلال طيب {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
 مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ} وكل من هاجر بعد الهجرة
 الأولى مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم وجاهد معه وحارب معه فأولئك من
 المؤمنين فهم منكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم {وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى
 بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} وأولوا الأرحام وهم كل رحم يخص الشخص فهو له حق
 فأهل المواريث لهم الميراث حسب ما نص عليه الشرع وهم أهل الفرائض في الميراث
 وكذلك باقي الأرحام لهم صلة الرحم كما هو لأهل المواريث وهم أولى بالمعروف
 وبكل خير وذلك كما أمر الله تعالى في كتابه القرآن الكريم. وأخرج الترمذي
 وصححه عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أنا الرحمن
 خلقت الرحم وشققت له اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته).
 [ابن كثير ج ١ ص ٢٠]. {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} إن الله تعالى بكل شيء في ملكه
 عليم به ومحيط به وخبير به وبأفعالكم وأعمالكم فاحذروه.



﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ
 أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِّمُوا أَنْكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴿٢﴾ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكٰفِرِينَ ﴿٣﴾ وَأَذَانٌ مِّنَ
 اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ
 فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ
 كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ
 شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ أَوْ فَاتَمَّوْا إِلَيْهِمْ عَاهَدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُتَّقِينَ ﴿٥﴾ ﴾

{ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ } هذه السورة لم تبد
 بالبسملة في أولها ولذلك سميت بسورة براءة أو التوبة لأن فيها تهديد للمشركين
 وبراءة منهم من الله ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك في العام
 التاسع للهجرة وقد نزلت من آخر ما نزل من القرآن وقد نزلت بعد غزوة تبوك
 وقال علي بن أبي طالب على أن البسملة أمان وبراءة نزلت لرفع الأمان ومعنى
 براءة هي التحلل من كل العهود والمواثيق التي أخذها سيدنا محمد صلى الله عليه
 وسلم بينه وبين المشركين. وقال الترمذي: حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى ابن
 سعيد ومحمد ابن أبي جعفر وابن عدي وسهيل بن يوسف قالوا حدثنا عوف ابن
 أبي جميلة أخبرني يزيد الفارسي أخبرني ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان ما
 حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المثنين وقرنتم
 بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع

الطوال ما حملكم على ذلك فقال عثمان: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أول ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها وخشيت أنها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال. [وكذا رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من طرق أخر عن عوف الأعرابي به - ابن كثير ج ٢ ص ٣٣١]. وأول هذه السورة الكريمة نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج ثم ذكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عادتهم في ذلك وأنهم يطوفون بالبيت عراة فكره مخالطتهم وبعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميراً على الحج تلك السنة ليقوم للناس مناسكهم ويعلم المشركين أن لا يحجوا بعد عامهم هذا وأن ينادي في الناس (براءة من الله ورسوله) فلما قفل أتبعه بعلي بن أبي طالب ليكون مبلغاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه عصبه له. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٣١]. وقال أبو معشر المدني: حدثنا محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميراً على الموسم سنة تسع وبعث علي بن أبي طالب بثلاثين آية أو أربعين آية من براءة فقرأها على الناس يؤجل المشركين أربعة أشهر يسيحون في الأرض فقرأها عليهم يوم عرفة أجلهم عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشرا من ربيع الآخر وقرأها عليهم في منازلهم وقال: (لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٣٢].

{ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ } فانتشروا وسيروا في الأرض وهي أرض الإسلام أربعة أشهر وهي من يوم عرفة أجلهم من عشرين ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشراً من ربيع الآخر وهي فترة أمان لهم من المسلمين لا يمسه فيها بأذى ولا يتعرض لهم من المسلمين بسوء ولا شر { وَأَعْلَمُوا أَنَكُمْ غَيْرُ مَعْجِزِي اللَّهِ } واعلموا أيها المشركين أنكم لا تعجزوا الله بشرككم ولا تظنوا أنكم قد نجوتم وسلمتم من عذاب الله تعالى وعقابه وانتقامه إن بقيتم على كفركم وشرككم { وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكٰفِرِينَ } وأن الله مخزي ومذل وفاضح الكافرين إن بقوا على كفرهم في الدنيا بالقتل والأسر والجزية وفي الآخرة عذاب عظيم في جهنم { وَأُذِّنُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ } وأذان وبلاغ وبيان وتوضيح من الله تعالى ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة { يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ } وهو يوم النحر وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: (الحج الأكبر يوم النحر). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٣٤]. والحج الأكبر هو يوم النحر ويوم الحلق أو التقصير ثم طواف الإفاضة وهو آخر مناسك الحج من التحلل من الإحرام { أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } وَرَسُولُهُ } فالله تعالى بريء من عمل المشركين وما يترتب عليهم من نقض عهدهم هو ورسوله وتحللت ذمة الله ورسوله منهم ومن عملهم ومما يترتب عليهم من عذاب وعقاب { فَإِنْ تُبْتِغُوا خَيْرًا لَكُمْ } فإن تابوا ورجعوا عن عبادة الأوثان وعن شركهم وعبادة الله وحده لا شريك له فهو خير وأفضل لهم من أسرهم وحرابهم ودفعتهم الجزية وفي الآخرة دخول الجنة { وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَكُمْ غَيْرُ مَعْجِزِي اللَّهِ } وإن توليتم وأعرضتم أيها المشركون فاعلموا وتأكدوا وتحققوا أنكم لم تعجزوا الله ولن تفروا ولن تغلتوا من عذابه إذا بقيتم على شرككم { وَبَشِّرِ } والبشارة

هنا للتهكم والسخرية لأن البشارة تأتي دائماً بالفرح والسرور ولكن هنا معناها العذاب {الَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار {بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} بعذاب شديد وقاس وموجع إذا لم يتوبوا ويرجعوا عن شركهم وكفرهم {إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا} إلا من عاهدتم من المشركين ولم ينقضوا لكم عهداً ولا ميثاقاً ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يتركوا شرطاً من عهدكم {وَلَمْ يُظْهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا} ولم ينصروا أحداً عليكم ولم يساعده ولم يحرضوه عليكم {فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ} فلا تنقضوا عهدهم وميثاقهم الذي عاهدتموهم عليه حتى تنقضي مدتهم {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} وهم الذين يخافون من الله تعالى وعذابه وعقابه ويتقون الله في حدوده وأوامره ونواهيه ولا يتعدون حدود الله ويقون أنفسهم من عذاب الله.

﴿ فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحَرَّمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ

وَاحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ

فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾

{فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحَرَّمَ} إذا انقضت مدة الأشهر الحرم ، والأشهر الحرم هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ} وَاَحْصُرُوهُمْ} فقاتلوا المشركين واقتلوهم في أي مكان وجدتموهم وخذوهم بالقتل والأسر واحصروهم أي حاصروا حصونهم وحاصروهم في أرض المعركة {وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ} أي ارسدوا حركاتهم وارقبوا تحركاتهم وأعمالهم وما يدبروا لكم في الخفاء من كل مكيدة أو غدر وترصدوهم في الأماكن المختلفة وفي أي مكان وزمان ما داموا يقاتلونكم ويعادونكم {فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا

سَبِيلَهُمْ} فَإِنْ تَابُوا عَنْ شُرْكِهِمْ وَكَفَرُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ أَي صَلَّوْا الْأَوْقَاتَ الْخَمْسَةَ فِي أَوْقَاتِهَا وَآتَوْا الزَّكَاةَ لِأَمْوَالِهِمْ وَزَكَاةَ فِطْرَةِ رَمَضَانَ فَخَلَوْا سَبِيلَهُمْ وَاتْرَكُوهُمْ وَلَا تَضَيِّقُوا عَلَيْهِمْ فَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْكُمْ وَلَهُمْ مَا لَكُمْ {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْفُو وَيَتَجَاوَزُ لِمَنْ تَابَ وَأَنَابَ وَأَطَاعَهُ وَعَبَدَهُ {رَحِيمٌ} يَرْحَمُ كُلَّ مَنْ تَابَ وَلَا يَعْذِبُهُ وَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ مُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٦٨﴾﴾

{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ

مَأْمَنَهُ} وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ سِوَاكَ كَانَ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً مِمَّنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَعَبَدَ غَيْرَهُ مِنَ الْأَوْثَانِ وَطَلَبَ مِنْكَ الْإِجَارَةَ وَالْأَمَانَ فَأَجِرْهُ وَأَمِّنْهُ وَطَمِّئْنِهُ حَتَّى يَسْمَعَ الْقُرْآنَ وَمَاذَا أَمَرَ وَمَاذَا نَهَى وَمَا يَطْلُبُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ وَعِبَادَتَهُ وَحَدَهُ وَأَلَّا يَشْرَكَ بِهِ شَيْئًا وَيَتَّبِعَ رَسُولَهُ فَأَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ وَأَمِّنْهُ فِي تِلْكَ الْفِتْرَةِ وَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ أَيْنَمَا يَكُونُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى وَطَنِهِ أَوْ يَرِاجِعَ نَفْسَهُ فِي دُخُولِ الْإِسْلَامِ أَوْ الصَّلَاحِ مَعَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَذَلِكَ مَدَّةَ مَنَاقِشَتِهِ وَاسْتَفْسَارِهِ عَنْ أَيِّ مَوْضِعٍ كَانَ وَيُرَادُ بِهِ التَّوْبَةُ وَدُخُولُ الْإِسْلَامِ وَوَقْتُ الْأَمَانِ هَذَا الَّذِي يُعْطَى لَهُ مِنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ هُوَ لِلتَّفَكُّرِ وَالِاتِّعَازِ وَالرَّجُوعِ إِلَى الْحَقِّ {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ} لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقِيقَةَ بِأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ قَدْ كَفَرُوا وَأَشْرَكُوا وَأَنَّكَ عَلَى الْحَقِّ وَأَنَّهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ {كَيْفَ} سؤَالِ اسْتِنكَارِيٍّ عَنِ

المشركين {يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ} لا يكون لهم وهم أشركوا به أي ليس للمشركين عهد ولا ميثاق ولا ذمة لأنهم أشركوا بالله تعالى وعصوه {وَعِنْدَ رَسُولِهِ} وكذلك ليس لهم عهد عند رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يصدقوا به وكذبوه {إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} إلا في صلح الحديبية سنة ست من ذي القعدة عندما عاهدتم أهل قريش بعدم محاربتكم لهم مدة عشر سنوات وقد عاهدكم النبي محمد صلى الله عليه وسلم عندما أراد العمرة ومنعوهم من دخول المسجد الحرام وعملوا صلح الحديبية على أن يعودوا للمسجد الحرام في العام التالي {فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَأَسْتَقِيمُوا لَهُمْ} فما دام كفار قريش على عهدهم الذي أخذوه على أنفسهم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم واستقاموا عليه ولم ينقضوه ولم يحاربوكم ولم يحرضوا أحداً عليكم على حربكم فاستقيموا لهم ووفوا لهم عهدهم حتى ينقضوه وهكذا لقد نقضوه بمساندة بني بكر على خزاعة حلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فغزاهم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في رمضان سنة ثمان للهجرة وفتح مكة منتصراً وأمكنه الله منهم {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} إن الله تعالى يحب المتقين لحدوده والخائفين من الله تعالى وعذابه وعقابه ويتقوا الله في حدوده وأوامره ونواهيه ولا يتعدون حدود الله ويقوا أنفسهم عذاب الله تعالى بعدم مخالفته {كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ} كيف لو أنهم انتصروا عليكم في المعركة فلا يرقبوا فيكم ولا تأخذهم فيكم {إِلَّا} عهداً {وَلَا ذِمَّةً} ولا ميثاق ولا شرف ولا شفقة ولا قرابة ولا رحمة {يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ} يرضونكم يا رسول الله هؤلاء المشركون

بمعسول الكلام كذباً ونفاقاً وتأبى وترفض قلوبهم إلا معاداتكم ومخالفتكم وتكذيبكم
 {وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ} وأكثرهم فاسقون عاصون مذنبون ومجاهرون بالمعاصي.
 ﴿أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۗ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
 ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَّلَا ذِمَّةً ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٦﴾ فَإِنْ تَابُوا
 وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
 ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ
 إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٧﴾﴾

{أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ} اشترى الكفار بآيات الله أي بما أمرت به آيات الله من
 الحلال والحرام {ثَمَنًا قَلِيلًا} وهو متاع الدنيا ولهوها وزخرفها وحرامها {فَصَدُّوا
 عَنْ سَبِيلِهِ} أي انحرفوا عن طريق الهدى والحق والعدل {إِنَّهُمْ سَاءَ} قبح {مَا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ} ما كانوا يعملون من الضلال والغي والباطل وعبادة الأوثان
 وارتكاب المحرمات {لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَّلَا ذِمَّةً} لا تأخذهم في مؤمن عهد
 ولا ميثاق ولا رحمة ولا شفقة ولا قرابة ولا فضيلة {وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ}
 وهؤلاء هم المعتدون على حدود الله وهم الباغون {فَإِنْ تَابُوا} فإن رجعوا وندموا
 {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ} فإن صلوا صلواتهم الخمس وأدوا زكاة أموالهم
 {فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} فعندها يكونوا مثلكم إخواناً في دين الله تعالى {وَنُفِصِلُ
 الْآيَاتِ} نوضحها ونبينها {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} لقوم يعلمون بأن الله واحد أحد فرد
 صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له شريك في الملك وأن الله هو المحيي
 والمميت والرزاق وببيده ملكوت كل شيء وأن العبادة لله وحده لا شريك له وأن

محمداً عبده ورسوله ويعلمون أن الله رب والإسلام دين ومحمداً صلى الله عليه وسلم نبي ورسول والقرآن هو كتاب الله يأمرهم بالحق وينهاهم عن الباطل والظلم {وَأِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ} نقضوا عهدهم وميثاقهم معكم {مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ} من بعد ما عاهدوكم عليه وعلى شروطكم {وَوَطَعُوا فِي دِينِكُمْ} أي أنهم كذبوا وجحدوا بدينكم وكذبوه {فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ} فقاتلوا وحاربوا أئمة الكفر وهم رؤساء وعتاولة وزعماء وأعلام وكبراء وعظماء أهل الكفر والشرك وصناديدهم {إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ} لا عهد ولا ميثاق لهم ولا شروط تردعهم {لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ} لعلهم يرجعون ويتوبون ويندمون أو لعلهم يقتالهم يُقتلون ويهلكون وتستريحوا منهم كما حدث لأبي جهل وعتبة وشيبة وأمّية بن خلف وغيرهم من كفار قريش قتلوا في معركة بدر.

﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَٰئِكَ مَرَّةً كَرِهَ اللَّهُ فَأَلَّهِ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٢﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٣﴾ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

{أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا} أفلا تقاتلون قوماً وهم كفار قريش {نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ} أخلوا بشروطهم وبعهدهم مع النبي صلى الله عليه وسلم {وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ} وهموا وأرادوا إخراج وطرد النبي والرسول محمد صلى الله عليه وسلم من مكة {وَهُمْ} أي كفار قريش {بَدَءُوكُمْ أُولَٰئِكَ مَرَّةً} بحربكم في معركة بدر {أَتَخْشَوْنَهُمْ} فهل تخافونهم من دون الله {فَأَلَّهِ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ} فالله أحق بهذا الخوف لأن الدنيا والآخرة بيده والموت والحياة بيده فهو أولى وأحق أن تخافوه

وتطيعوه {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} إن كنتم مؤمنين بالله تعالى وبكتبه ورسله واليوم الآخر {قَاتِلُوهُمْ} حاربوهم وجاهدوهم في سبيل الله وفي إعلاء كلمته ودينه {يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ} يعذبهم الله في الدنيا بأيديكم بحربهم وهلاكهم {وَيُخْزِيهِمْ} بالهزيمة والأسر {وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ} فالله تعالى يجعلكم تنتصرون عليهم رغم تفوقهم عدداً وعدة عليكم {وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ} ويشف ويشرح ويفرح صدور المؤمنين بنصرهم على أعدائهم وبأخذ الغنائم منهم والسيطرة عليهم {وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ} ويذهب الله عن المؤمنين غيظهم وغضبهم بهزيمة الكفار والنصر عليهم وأخذ عوض ما أخذ منهم من أموال وغيرها ويذهب غلهم وحقدهم من قلوبهم بسبب النصر عليهم ورد ما افتقدوه من أموال وترك الديار {وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ} ويتوب الله ويعفو على من أسلم منهم ودخل في دين الإسلام ممن يشاء الله له الهداية والتوبة {وَاللَّهُ عَلِيمٌ} واللّه تعالى عز جلاله وعظم قدره عليم بمن تاب ودخل الإسلام ومن سيحسن عمله وتوبته وعبادته وإخلاصه وإطاعته لله تعالى {حَكِيمٌ} في أوامره ونواهيه وأفعاله وهدايته لمن يشاء من عباده.

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ

اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٦﴾

{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا } هل ظننتم أن تتركوا بدون امتحان وبدون فتنة وابتلاء واختبار { وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ } وحتى يعلم الله تعالى من جاهد منكم وعلم الله هنا ليس أنه لا يعلم ولكن ليكون علمه حجة عليكم بالفعل والعمل { وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ } ولم يتخذوا سبيلاً غير سبيل الله ورسوله والمؤمنين { وَلِجَنَّةٍ } ملجأ وسبيلاً وطريقاً ومخرجاً يفرون إليه ويلتجئون إليه دون سبيل الله ورسوله والمؤمنين { وَاللَّهُ خَبِيرٌ } عليم ومطلع على أعمالكم وأفعالكم وجميع شؤونكم { بِمَا تَعْمَلُونَ } بما تفعلون.

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ ﴿٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ ﴿٨﴾

{ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ } لم يكن شيمة ولا طريق ولا عمل المشركين عمارة مساجد الله تعالى وبنائها لأنه ليس هدفهم ولا طريقهم ولا سبيلهم ولا هو عملهم عمارة وبناء المساجد للمسلمين { شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ } وعلى ذلك هي شهادة منهم أنهم كفار لا يعبدون الله تعالى ولا يطيعونه { أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ } أولئك خسرت وبطلت وذهبت { أَعْمَالُهُمْ } ما يقومون به من أعمال أخرى حتى ولو كانت أعمال خير فأعمالهم كسراب بقية ولا جدوى منها لأنها

لغير وجه الله تعالى ولا يثابون عليها في الآخرة بل في الدنيا وهي في الدنيا سمعة حسنة فقط {وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ} ويوم القيامة سيدخلون جهنم خالدين فيها لكفرهم وشركهم {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ} إنما يبني مساجد الله تعالى للعبادة وكذلك يتعبد بها {مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ} من آمن بالله تعالى رباً وخالقاً ورازقاً ومحيباً ومميتاً {وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} هو يوم القيامة من بعث وجزاء وثواب وعقاب وعذاب وجنة ونار {وَأَقَامَ الصَّلَاةَ} وصلى الأوقات الخمس في أوقاتها {وَأَتَى الزَّكَاةَ} وأدى زكاة أمواله للفقراء والمساكين {وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ} ولم يخف إلا من الله تعالى وعذابه يوم القيامة فلا يتعدى حدوده ويطيعه في أوامره ونواهيه {فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} فربما أن يكون هؤلاء من هذه صفاتهم وهم من يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وصلى فرضه وأدى زكاة أمواله ويخشى أن ينتهك حدود الله فربما من تكون هذه صفاتهم أن يكونوا من المهتدين الطائعين والعابدين لله تعالى فما بالك بالمشركين وكفرهم فما هو مصيرهم وعاقبتهم.

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [١١] الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [١٢] يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ
 مُّقِيمٌ ﴾ [١٣] خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [١٤]

{ أَجَعَلْتُمْ } هل جعلتم أيها الناس { سِقَايَةَ الْحَاجِّ } أي نقل المياه للحجاج حتى
 يشربوا فهل سقايتهم وكذلك { وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } بالقيام على المسجد من
 نظافة وغيرها { كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ } كم آمن بالله رباً وعبده ولم يسجد لصنم قط ولم
 يشرك به أحداً { وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } وآمن كذلك بيوم القيامة والبعث والجزاء والثواب
 والعقاب والعذاب والجنة والنار { وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } وحارب وجاهد في سبيل
 الله تعالى وإعلاء كلمته { لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ } لا تستوي منازلهم ولا تتعادل يوم
 القيامة درجاتهم. وسبب نزول هذه الآية قال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن
 وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي صخر قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول
 افتخر طلحة بن شيبه من بني عبد الدار وعباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي
 طالب فقال طلحة أنا صاحب البيت معي مفتاحه ولو أشاء بت فيه وقال العباس:
 أنا صاحب السقاية والقائم عليها ولو أشاء بت في المسجد فقال علي رضي الله
 عنه: ما أدري ما تقولان لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب
 الجهاد فأنزل الله عز وجل " أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ " الآية كلها. [ابن كثير ج ٢
 ص ٣٤٢]. { وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا
 شأنه لا يهدي ولا يدل على الخير ولا يهديهم إلى السبق بالإيمان بالله تعالى

وباليوم الآخر والجهاد في سبيله وطاعته وعبادته والفوز برضوان الله تعالى ولكفرهم
 وشركهم لا يهديهم فهم قوم ظلموا أنفسهم بالشرك والكفر {الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا
 وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} من آمن بالله تعالى رباً وهاجر من مكة
 إلى المدينة وجاهد في سبيل الله وحارب لإعلاء كلمته بأموالهم وممتلكاتهم وأنفسهم
 {أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ} هم أعظم وأكبر درجة ومنزلة عند الله تعالى في الجنة
 {وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} وأولئك هم الفائزون بالجنة يوم القيامة وبرضوان الله تعالى
 {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ} يبشرهم ربهم الله تعالى ببشارة فرح وسرور وهناء
 وسعادة برحمة منه وفضل وثواب {وَرِضْوَانٍ} أي رضاء الله تعالى عليهم ولا
 يغضب عليهم {وَجَنَّاتٍ} أي الجنان عددها ثمانية أعلاها الفردوس الأعلى {لَهُمْ
 فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ} لهم فيها نعيم وسعادة وهناء دائم {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} أي
 أهل الجنة مخلدون فيها دائماً {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ} إن الله تعالى جل جلاله
 وعظم قدره عنده ثواب {عَظِيمٌ} كبير وواسع لا ينتهي أبداً.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يا من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ} لا توالوا سواء آباءكم أو إخوانكم (أولياء) أحباب إن اختاروا الكفر وتركوا الإيمان بالله تعالى أي أنه لا ولاية ولا محبة ولا ود لمن يكفر بالله حتى لو كان والداً أو أخاً إذا كفروا {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ} ومن يتولى ويحب من كفر من دون المؤمنين {فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} فهؤلاء عندها يكونوا ظالمين لأنفسهم وظالمين للدين الإسلامي لأنهم يساعدون أهل الباطل على الحق وأهل الكفر على أهل الإيمان {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله للناس كافة {إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا} إن كان أيها الناس آباؤكم أو أبنائكم أو إخوانكم أو زوجاتكم أو (عشيرتكم) قبيلتكم أو أموال وممتلكات حزتموها وأخذتموها أو ورثتموها {وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا} وتجارة تخافون كسادها وبوارها وخسارتها {وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا} ومسكن وبيوت رافهة ودور تنعمون بها وتسعدون {أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ} أحب وأغلى وأثمن من الله تعالى جل جلاله وعظم قدره ومن عبادته وحده لا شريك له وطاعته {وَرَسُولِهِ} وهو النبي محمد صلى الله عليه

وسلم {وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ} والجهاد والحرب في سبيل الله وطاعته ورضوانه وإعلاء كلمة الدين {فَتَرْتَضُوا} فراقبوا وانتظروا {حَتَّى يَأْتِيََ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} حتى يأتيكم عذاب الله في الدنيا بالهلاك والموت أو في الآخرة عذاب جهنم {وَاللَّهُ} وتعالى جل جلاله وعظم قدره {لَا يَهْدِي} لا يهدي ولا يدل {الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} العاصين والمذنبين لا يدلهم على طريق الهدى والرشاد والصلاح والتقوى.

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾

{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ} لقد نصركم الله تعالى أيها المسلمون في مواطن كثيرة ومختلفة ومنها على سبيل المثال معركة بدر والأحزاب وخيبر وغيرها وفتح مكة كذلك {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ} وكانت وقعة حنين بعد فتح مكة في شوال سنة ثمان من الهجرة {إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ} وهي عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب ومعهم الذين أسلموا من أهل مكة وهم الطلقاء في ألفين من أهل مكة بعد فتحها {فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا} فلم تنفعكم هذه الكثرة من جيش المسلمين الجرار {وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ} ومن شدة المعركة ومفاجأة العدو لكم ضاقت عليكم أرض المعركة أي أصابكم خوف وذعر شديد {ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ} ثم هربتم وفررتم من أرض المعركة مع كثرتكم {ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ

سَكِينَتُهُ عَلَى رَسُولِهِ} ثم أنزل الله تعالى طمأنينةً وثباتاً واطمئناناً على رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} وعلى المؤمنين من جيش المسلمين ممن ثبت معه وقيل أنهم ثمانون رجلاً {وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا} وهي الملائكة لم يرها المسلمون ولكن رآها الكفار {وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا} وعذب الله الكفار بالقتل والأسر {وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} وذلك عقاب الكفار على حربهم للنبي محمد سيدنا صلى الله عليه وسلم. وقد كانت وقعة حنين بعد فتح مكة في شوال سنة ثمان من الهجرة وذلك لما فرغ صلى الله عليه وسلم من فتح مكة وتمهدت أمورها وأسلم عامة أهلها وأطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه أن هوازن جمعوا له ليقاتلوه وأن أميرهم مالك بن عوف النضري ومعه ثقيف بكمالها وبنو جشم وبنو سعد بن بكر وأوزاع من بني هلال وهم قليل وناس من بني عمرو بن عامر وعون بن عامر وقد اقبلوا ومعهم النساء والولدان والشاء والنعم وجاءوا بقضهم وقضيضهم فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيشه الذي جاء معه للفتح وهو عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب ومعه الذين أسلموا من أهل مكة وهم الطلقاء في ألفين فسار بهم إلى العدو فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقال له حنين فكانت فيه الوقعة في أول النهار في غلس الصبح انحدروا في الوادي وقد كمنت فيه هوازن فلما تواجهوا لم يشعر المسلمون إلا بهم قد بادروهم ورشقوهم بالنبال وأصلتوا السيوف وحملوا حملة رجل واحد كما أمرهم ملكهم فعند ذلك ولى المسلمون مدبرين كما قال الله عز وجل وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب يومئذ بغلته الشهباء يسوقها إلى نحر العدو والعباس عمه أخذ بركابها الأيمن وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب أخذ بركابها الأيسر يثقلانها لئلا تسرع السير وهو ينوه باسمه عليه الصلاة والسلام ويدعو المسلمين إلى

الرجعة ويقول : (إليَّ يا عباد الله إليَّ أنا رسول الله) ، ويقول في تلك الحال :
(أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب) وثبت معه من أصحابه قريب من مائة
ومنهم من قال ثمانون فمنهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما والعباس وعلي والفضل
ابن عباس وأبو سفيان بن الحارث وأيمن بن أم أيمن وأسامة ابن زيد وغيرهم رضي
الله عنهم ثم أمر صلى الله عليه وسلم عمه العباس وكان جهير الصوت أن ينادي
بأعلى صوته يا أصحاب الشجرة يعني شجرة بيعة الرضوان التي بايعه المسلمون
من المهاجرين والأنصار تحتها على أن لا يفروا عنه فجعل ينادي بهم يا أصحاب
السمة ويقول تارة يا أصحاب سورة البقرة ، فجعلوا يقولون يا لبيك يا لبيك
وانعطف الناس فترجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أن الرجل منهم
إذا لم يطاوعه بغيره على الرجوع لبس درعه ثم انحدر عنه وأرسله ورجع بنفسه
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اجتمعت شذمة منهم عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم أمرهم عليه السلام أن يصدقوا الحملة وأخذ قبضة من التراب بعد
ما دعا ربه واستنصره وقال : (اللهم أنجز لي ما وعدتني) ثم رمى القوم بها فما
بقي إنسان منهم إلا أصابه منها في عينه وفمه ما شغله عن القتال ثم انهزموا فاتبع
المسلمون أقباءهم يقتلون ويأسرون وما تراجع بقية الناس إلا والأسرى مجندلة بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٣، ٣٤٤]. وقال محمد
ابن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه
جابر بن عبد الله قال : فخرج مالك بن عوف بمن معه إلى حنين فسبق رسول الله
صلى الله عليه وسلم إليه فأعدوا وتهيئوا في مضائق الوادي وأحنائه وأقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى انحط بهم الوادي في عماية الصبح فلما
انحط الناس ثارت في وجوههم الخيل فشدت عليهم وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل

أحد على أحد وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين يقول: (أيها الناس هلموا إليّ أنا رسول الله أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله) فلا شيء وركبت الإبل بعضها بعضاً فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس قال: (يا عباس اصرخ يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة) فأجابوه لبيك لبيك فجعل الرجل يذهب ليعطف بعييره فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه في عنقه ويأخذ سيفه وقوسه ثم يؤم الصوت حتى اجتمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة فاستعرض الناس فاقتتلوا وكانت الدعوة أول ما كانت بالأنصار ثم جعلت آخراً بالخزرج وكانوا صبراء عند الحرب وأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركابه فنظر إلى مجتلد القوم فقال: (الآن حمي الوطيس) قال: فوالله ما راجعه الناس إلا والأسارى عند رسول الله ملقون فقتل الله منهم من قتل وانهمز منهم ما انهزم وأفاء الله على رسوله أموالهم وأبناءهم. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٤].

وقال الإمام أبو جعفر ابن جرير حدثني الحسن بن عرفة قال حدثني المعتمر ابن سليمان عن عوف هو ابن أبي جميلة الأعرابي قال سمعت عبد الرحمن مولى ابن برثن حدثني رجل كان مع المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة قال: فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فتلقنا عنده رجال بيض حسان الوجوه فقالوا لنا "شاهت الوجوه" ارجعوا قال فانهمزنا وركبوا أكتافنا فكانت إياها. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٥]. {ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَيَّ مَنْ يَشَاءُ} أي إن الله تعالى يقبل توبة من أسلم من هوازن وممن كان معهم وبقي حياً بعد الأسر والقتل

{وَاللَّهُ غَفُورٌ} يغفر ويتجاوز لمن تاب وندم {رَحِيمٌ} ويرحمهم يوم القيامة ويدخلهم في رحمته بإدخالهم الجنة يوم القيامة.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ فَنِتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر {إِنَّمَا} إن ما نخبركم به هو {الْمُشْرِكُونَ} وهم من أشرك بالله غيره وجعل له شركاء من الأوثان والأصنام فهم {نَجَسٌ} فهم نجس في ذاتهم ومخالطتهم وفي جسمهم حيث تتراكم عليهم الجنابة ولم يغتسلوا منها وأن باطنهم نجس من أكل الميتة والمحرمات والشرك فاجتنبوهم كما يُجتنب لعاب الكلب لنجاسته أو البول والغائط وذلك حتى لا تنقل عدوى النجاسة بالشرك إلى المسلمين {فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} فلا تجعلوهم يدخلوا المسجد الحرام بمكة بعد هذا العام وهو في سنة تسع هجري. قال أبو معشر المدني: حدثنا محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميراً على الموسم سنة تسع وبعث علي بن أبي طالب بثلاثين آية أو أربعين آية من براءة فقرأها على الناس يؤجل المشركين أربعة أشهر يسبحون في الأرض فقرأها عليهم يوم عرفة أجَّلهم عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشراً من ربيع الآخر وقرأها عليهم في منازلهم وقال: (لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفن

بالبيت عريان). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٣٢]. {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً} وإن خفتم على أنفسكم فقراً أو نفقة أو إعالة لكم ولأهلكم إذا منعتم المشركين من دخول المسجد الحرام ومن عدم الحصول على أموالهم التي ينفقونها عندكم {فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ - إِنْ شَاءَ} فسوف يغنيكم الله تعالى ويرزقكم من كرمه وفضله وعطائه إن شاء وأراد فعلاً شاء الله باستخراج البترول فهو من فضل الله تعالى ومن رحمته {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ} إن الله تعالى عليم بما أمر وعليم بالمشركين وأحوالهم وعليم بما ينفعكم وما تحتاجون إليه من رزق وخلافه {حَكِيمٌ} حكيم في أوامره ونواهيه "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" {قَاتِلُوا} حاربوا وجاهدوا في سبيل الله {الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} الذين لا يصدقون بالله جل جلاله وعظم قدره رباً وخالقاً ورازقاً وهم المشركون والكفار {وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} ولا يؤمنون ولا يصدقون بيوم القيامة من جزاء وثواب وعقاب وعذاب وجنة ونار {وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ} ولا يمتنعون عن ما حرم الله تعالى في كتابه القرآن الكريم وتعدوا حدوده وعصوا أوامره ونواهيه {وَرَسُولُهُ} وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من القرآن والسنة {وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ} ولا يتبعون دين الإسلام وهو الحق من ربهم كما قال تعالى: "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" ١٩ آل عمران. وكما قال تعالى: "وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ" ٨٥ آل عمران. {مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} من اليهود (أتوا التوراة) والنصارى (أوتوا الإنجيل) {حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} حتى إذا لم يدخلوا في الإسلام وانتصرت عليهم في الحرب واستوليتهم عليهم وعلى أرضهم عليهم عندها دفع الجزية عن يد مهزومة ومستسلمة وعن قهر وغلبة وهم صاغرون

حقيرون ذليلون. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وأمرني أن آخذ من كل حالم ديناراً أو عدله (معاثياً) وهي معاثر وهي بلدة باليمن تصنع فيها الثياب فنسبت إليها فالمراد أو عدله ثوباً معاثياً. [أخرجه الثلاثة ، وصححه ابن حبان والحاكم وقال الترمذي حديث حسن - سبل السلام ج ٤ ص ٦٦].

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٢٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ } وقال اليهود أن عزيزاً ابن الله لأن الله تعالى أماته هو وحمارة مائة عام ثم بعثه ولذلك قالت اليهود عنه أنه ابن الله { وَقَالَتِ النَّصْرَى } وهم أتباع عيسى عليه السلام { الْمَسِيحُ } وهو عيسى ابن مريم هو { ابْنُ اللَّهِ } لأنه يحيي الموتى { ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ } وهذا هم يقولونه بألسنتهم { يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ } أي يشابهون الكفار من الأمم السابقة قبلهم أشركوا بالله تعالى { قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ } أي أهلكهم الله بذنوبهم في الدنيا بالحرب والأسر ويوم القيامة في جهنم { أَنَّى يُؤْفَكُونَ } متى ينصرفون عن هذا القول وعن هذا الشرك بأن العزيز ابن الله كما قالت اليهود والمسيح ابن الله كما

قالت النصارى { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ } اتخذت اليهود أحبارهم وعلماءهم والنصارى عبّادهم ورهبانهم وقسيسيهم { أَرْبَابًا } آلهة يطيعونهم { مِّن دُونِ اللَّهِ } غير الله تعالى بإطاعتهم لهم في فتاواهم من تحليل الحرام وتحريم الحلال. روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير من طرق عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه لما بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرّ إلى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه ثم من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أخته وأعطاهما فرجعت إلى أخيها فرغبتة في الإسلام وفي القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم عدي إلى المدينة وكان رئيساً في قومه طيء وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم فتحدث الناس بقدمه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنق عدي صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية " اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ " قال فقلت إنهم لم يعبدوهم فقال: (بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا عدي ما تقول؟ أضرارك أن يقال الله أكبر؟ فهل تعلم شيئاً أكبر من الله ما يضرك أضرارك أن يقال لا إله إلا الله فهل تعلم إلهاً غير الله؟) ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق قال فلقد رأيت وجهه استبشر ثم قال: (إن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون) وهكذا قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما في تفسير: " اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ " إنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٩]. { وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ } واتخذوا عيسى ابن مريم وسمي المسيح لأنه كان يمسح بيده على المريض فيشفى بإذن الله تعالى واتخذوا عيسى رباً وإلهاً وهم النصارى { وَمَا أُمِرُوا } اليهود والنصارى { إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } وما أمروا من الله تعالى ومن

رسلهم إلا عبادة الله وحده لا إله ولا معبود إلا هو الله تعالى {سُبْحٰنَهُ} تنزه
وتعالى {عَمَّا يُشْرِكُونَ} عن كل ما يشركون ويتخذون له شركاء وأنناد
{يُرِيدُونَ} يريد اليهود والنصارى بشركهم {أَنْ يُطْفِئُوا} أن يبطلوا ويغيروا
{نُورَ اللَّهِ} وهو علم الله وحكم الله في كتابه القرآن الكريم والإسلام {بِأَفْوَاهِهِمْ}
بقولهم وألسنتهم بأن الله تعالى له شريك {وَيَأْتِي اللَّهَ} ويرفض الله تعالى ولا يقبل
{إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ} إلا أن يتم دينه دين الإسلام وهو نور للبشرية وهو هدى
ورحمة للعالمين {وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} بالرغم من أنهم ولو كره الكافرون ولم
يوافقوا على رفع كلمة دين الله الإسلام.

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ
كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَكْثَرِ مَنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ
بِالْبَطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا
يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ يَوْمَ تُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ
فَتَكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا
كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾

{هُوَ} هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره {الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ} الله تعالى هو
الذي أرسل وبعث رسوله ونبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {بِالْهُدَىٰ}
بالقرآن الكريم {وَدِينِ الْحَقِّ} وهو الإسلام {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} ليعليه
ويرفع ذكره ويلغي به الأديان السابقة وهي اليهودية والنصرانية وغيرها من

الصابئة وغيرها {وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} ولو لم يقبل المشركون بسيطرة الدين الإسلامي وإعلائه على الأديان كلها فهذا أمر من الله تعالى ومن عصى منهم يكون في حكم إبليس عندما أمره الله تعالى بالسجود لآدم ورفض السجود لأن الله هو الذي أرسل رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذي أظهر دينه وأعلاه على جميع الأديان السابقة {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يا أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر {إِنَّ كَثِيرًا} إن عدداً كثيراً وغير قليل {مِّنَ الْأَحْبَارِ} وهم علماء بني إسرائيل {وَالرَّهْبَانِ} وهم القسيسون من النصارى {لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ} ليأخذون أموال الناس ويأكلونها بغير حق وبالباطل من الرشوة والكذب والزور {وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ} ويمنعون من أراد أن يدخل الإسلام من دخوله واتباع الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} والذين يكتنون الذهب والفضة ويدخرونها ويكدسونها ولا يخرجون زكاة أموالهم منها {فَبَشِّرْهُمْ} والبشارة هنا للتهكم والسخرية بهم لأن البشارة تأتي دائماً بالفرح والسرور ولكن هنا بالعذاب {بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} بعذاب شديد وقاس وروى البخاري من حديث الزهري عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبد الله ابن عمر فقال هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرة الأموال. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٥٠]. {يَوْمَ} يوم القيامة {تُحْمَىٰ عَلَيْهَا} أي يكوى ويحرق عليها أي على أمواله من الذهب والفضة التي كنزها ولم يخرج زكاتها {فِي نَارِ جَهَنَّمَ} أي يحرق في نار جهنم {فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ} أي يكوى ويحرق في جبهته وجنبه

وظهره أي جميع جسده { هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ } هذا العذاب من الكي والحرق في نار جهنم هو ما كنزتموه وادخرتموه وما خبأتموه لكم { فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ } فذوقوا عذاب ما كنتم تكنزون وتخبئون. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة هي أسماء بنت يزيد ابن السكن أتت النبي صلى الله عليه وسلم ومعها ابنة لها وفي يد ابنتها مسكتان (وهي الإسورة والخلاخيل) من ذهب فقال لها: (أتعطين زكاة هذا؟) قالت لا قال: (أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟) فألقتهما. [رواه الثلاثة وإسناده قوي ورواه أبو داود من حديث حسين المعلم وهو ثقة - سبل السلام ج ٢ ص ١٣٥]. وصححه الحاكم من حديث عائشة أخرجه الحاكم وغيره ولفظه: أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى في يدها فتخات من ورق فقال: (ما هذا يا عائشة؟ فقلت صغتهن لأتزين لك بهن يا رسول الله فقال: أنؤدين زكاتهن؟ قالت لا قال: هن حسبك من النار. [قال الحاكم: إسناده على شرط الشيخين - سبل السلام ج ٢ ص ١٣٥].

والأحاديث عن كنز الذهب والفضة ولم تؤدى زكاتها: في صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل له يوم القيامة صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبهته وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٥٢].

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ
وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ
﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا تَحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ
عَامًا لِيُؤْاطِعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾

{ إِنَّ عِدَّةَ } إن عدد { الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا } الشهور الهجرية عند الله
تعالى اثنا عشر شهراً في كل سنة { فِي كِتَابِ اللَّهِ } وهو القرآن الكريم { يَوْمَ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ } منذ يوم خلق السموات والأرض وحتى الآن وإلى يوم
القيامة لا تتغير ، والأشهر العربية هي محرم - صفر - ربيع أول - ربيع ثاني -
جمادى أول - جمادى ثاني - رجب - شعبان - رمضان - شوال - ذو القعدة -
ذو الحجة { مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ } من هذه الأشهر أشهر السنة بها أربعة أشهر حرم
يحرم فيها القتال والصيد في مكة إلا في حالة الدفاع عن النفس قال تعالى:
" يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ " وهي ثلاثة أشهر
متوالية (ذو القعدة وذو الحجة والمحرم) ورجب (ورجب هو بين جمادى الآخر
وشعبان ، وأما أشهر الحج فهي ثلاث وهي (شوال وذو القعدة وعشرة ذي
الحجة). قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل أخبرنا أيوب أخبرنا محمد بن سيرين
عن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجته فقال: (ألا إن الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة
حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى

وشعبان) ثم قال: (ألا أي يوم هذا؟) قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: (أليس يوم النحر؟) قلنا بلى ثم قال: (أي شهر هذا؟) قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: (أليس ذا الحجة؟) قلنا بلى ثم قال: (أي بلد هذا؟) قلنا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: (أليست البلدة؟) قلنا بلى قال: (فإن دماءكم وأموالكم - وأحسبه قال - وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا لا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض ألا هل بلغت؟) ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب فلعل من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه). [رواه البخاري في التفسير وغيره. ومسلم من حديث أيوب عن محمد بن سيرين عن عبد الرحمن ابن أبي بكره عن أبيه به - ابن كثير ج ٢ ص ٣٥٣]. {ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} هذا هو الدين الصحيح والعدل والغالي والثمين والحق وعلى ما ينفع الناس ويقيم عبادتهم على الحق والعدل وحفظ أنفسهم وممتلكاتهم وعقيدتهم وقيم على حفظ حياتهم وممتلكاتهم وعقيدتهم {فَلَا تَظَلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} فهذه الأربعة أشهر الحرم لا تظلموا فيهن أنفسكم بالقتال فهو محرم عليكم فيهن وذلك التحريم لقيامهن بمناسك الحج فحرم شهر ذي القعدة قبل الحج بشهر لأنه تقعد فيه الناس عن القتال لتستعد للسفر للحج وتحريم ذي الحجة لقيامهم فيه بالحج ومناسكه وحرم بعده شهر المحرم ليرجع فيه الناس إلى أوطانهم وإلى أقصى بلادهم آمنين مطمئنين على أنفسهم وأمتعتهم وأموالهم وأعراضهم وحرم رجب في وسط العام لأجل زيارة البيت والاعتماد به لمن يقدم من أقصى جزيرة العرب فيزور ويعتمر ثم يعود فيه إلى وطنه وبلاده آمناً سالماً مطمئناً وهذا هو الدين القيم والسليم والصحيح والعدل والذي يحفظ الحياة والنفس

والمال لكافة الناس {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً} وقاتلوا أيها المسلمون المشركين كافة أي جميعهم كما هم يقاتلونكم كلهم - أي أن كل المشركين جميعاً مستحقون للقتل لأنهم كلهم مشتركون في قتالكم - وهذه نزلت في كفار قريش عندما كانوا يقاتلون المسلمين جميعهم وفي كل مكان {وَأَعْلَمُوا} واعلموا أيها المسلمون {أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} إن الله تعالى مع الخائفين الذين يقون أنفسهم من المعاصي والذنوب ومن عقابه ويتقون الله في حدوده وأوامره ونواهيه ولا يتعدون حدوده ويقون أنفسهم من عذاب الله تعالى بعبادته وحده وبعدم مخالفته والطائعين لله ولحدوده {إِنَّمَا النَّسِيءُ} يقدمون الأشهر الحرم أو يؤخرونها بناءً على رغبتهم وطلبهم وهذا التغيير والتبديل والتقديم والتأخير على حسب شهواتهم ونزواتهم ورغباتهم {زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ} وهذا التغيير والتبديل هو زيادة في كفرهم وشركهم وإصرارهم وضلالهم {يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا} ويضل الله بهذا التغيير والتبديل الكفار فقط لمخالفتهم أمر الله تعالى وتعيينه للأشهر الحرم وهي معروفة كما ذكرناها آنفاً {تُحِلُّونَهُ عَامًا} يجعلون ذلك الشهر الحرام في عام حلالاً {وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا} ويجعلونه في العام التالي حراماً {لِيُؤَاطِعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ} أي ليجعلوا عدة الأشهر الحرم هي أربعة كما أمر الله تعالى ولكن يجعلونها في عام حلالاً وفي العام الآخر حراماً على ألا يتغير عدد الأشهر وليس ميقاتها {فِيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ} فيجعلون الشهر الحرام الأصلي ليس محرماً بل حلالاً أي يغيرونه ولا يجعلونه من الأشهر الحرم {زِينَ لَهُمْ} زين لهم في أعينهم طبقاً لأهوائهم وشهواتهم {سُوءَ أَعْمَلِهِمْ} سيء وقبح أعمالهم من تغيير وتبديل وقت الأشهر الحرم {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي} أي لا يدل على الهدى وعلى الحق وعلى أوامر الله تعالى

وعبادته {الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} من كفر بالله وهم الكفار الذين لا يطيعون الله في أوامره ونواهيه ويخالفونه ولا يطيعونه ولا يصدقون بالقرآن ولا بالرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يا أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وآمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ما لكم وما دهاكم وما جد لكم وما حصل لكم إذا قيل لكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب منكم الجهاد ودُعيتم له {أَتَأْقَلْتُمْ} أي تباطأتم وتقاعستم وأخذتم {إِلَى الْأَرْضِ} أي إلى أرضكم ودوركم ومتاعكم وحياتكم المترفة في دياركم {أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ} هل رضيتم بالدنيا والحياة فيها من رغد عيشها ومع قلته وعدم دوامه ونكده من الآخرة ومن يوم القيامة التي فيها نعيم مقيم ودائم بدون تعب ولا مشقة وبدون ألم ولا حزن {فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ} فكل متاع الدنيا بالنسبة للآخرة قليل وقته وزمنه وقليل في نفسه بالنسبة إلى الآخرة ودوامها ونعيمها الذي فيه لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وكما قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع ويحيى ابن سعيد قالوا: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن المستورد أخي بني فهر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل

أحدكم أصعبه هذه في اليم فليُنظر بم ترجع؟) أشار بالسبابة. [انفرد بإخراجه مسلم - ابن كثير ج ٢ ص ٣٥٨]. {إِلَّا تَنْفِرُوا} إن لم تخرجوا للجهاد وتحاربوا الأعداء {يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} يعذبكم الله تعالى عذاباً شديداً بالهزيمة والأسر والقتل والذلة والمسكنة وسلب الأوطان والأعراض منكم في الدنيا وفي الآخرة عذاب أليم وشديد في نار جهنم لمعصيتكم ولمخالفتكم الله ورسوله بعدم تلبية الجهاد {وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ} ويستبدلكم الله تعالى بقوم غيركم وبجيل آخر من الشباب يجاهدون في سبيله ولا يخشون في الله لومة لائم {وَلَا تَضُرُّهُ شَيْعًا} ولا تضروا الله لا قليلاً ولا كثيراً بتخلفكم عن الجهاد في سبيل الله {وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} والله قادر على أن يستبدل قوماً غيركم أفضل منكم يجاهدون في سبيل الله وقادر على عذابكم في الدنيا والآخرة وقادر على كل شيء أراد.

﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا ۗ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٠﴾﴾

{إِلَّا تَنْصُرُوهُ} إن لم تنصروه أيها الناس وتوازرروه وتساعدوه أي رسول الله صلى الله عليه وسلم على دينه {فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ} فقد أيده ونصره على أعدائه وأعلى شأنه ورفع ذكره {إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا} إذ أخرجه من مكة كفار قريش في هجرته من مكة إلى المدينة {ثَانِيَ اثْنَيْنِ} أي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الثاني مع أبو بكر هما الاثنان {إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ} عندما دخلا غار ثور في

هجرتهما اختفيا عن أعين كفار مكة {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ} إذ يقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم لصاحبه أبا بكر {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} وبينما هما في الغار إذ لحق بهم على آثارهم كفار مكة ففرع أبو بكر خوفاً على النبي محمد صلى الله عليه وسلم منهم فطمأنه النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقال له لا تحزن ولا تخف إن الله معنا بنصره وتأييده وحمايته لنا. قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا همام أنبأنا ثابت عن أنس أن أبا بكر حدثه قال: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه قال فقال: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما). [أخرجاه في الصحيحين - ابن كثير ج ٢ ص ٣٥٨]. {فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ} فأنزل الله تعالى السكينة والطمأنينة على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا} وأيده الله ونصره وحماه بجنود من الملائكة لم تروها لأنكم لستم معهم وكذلك الملائكة لا يراها جمهور الناس إلا من أراد الله له ذلك لأنها أجساد نورانية والجن كذلك لا يرى في العام وغالباً {وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى} فجعل الله تعالى كفار قريش يفشلون ولا يحققون مآربهم بالنيل من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا من هجرته ولا من دينه {وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا} وكلمة الله هي نصر رسوله وإعلاء دين الإسلام وهكذا وكلمة الكفار هي الشرك ورفع شأنه والسفلى هي الخاسرة وكلمة الله هي الإيمان وهي العليا وهي الفائزة {وَاللَّهُ عَزِيزٌ} قوي بنصره وفي ملكه وفي أمره وحكمه {حَكِيمٌ} والحكمة تكون في أوامره ونواهيه وأفعاله وهدايته لمن يشاء.

﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

{أَنْفِرُوا} أخرجوا للجهاد أيها المؤمنون {خِفَافًا} أي شباباً ذوي خفة ورشاقة وقوة أو لم تتزوجوا بعد ولم يكن لكم أسرة تعيلونها {وَّثِقَالًا} أي شيوخاً وكهولاً ومثقلين من الضعف أو من كثرة الأسرة والعيال التي تعيلونها وهذا النفي العام مع رسوله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك لقتال الروم وهذه الآية عامة عندما تنتهك أرض المسلمين ويدخلها العدو يصبح الجهاد فرضاً على كل رجل وامرأة وكل شاب وشيخ حتى يذودوا عن حياض المسلمين وعن ديارهم وأرضهم وممتلكاتهم {وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} وحاربوا وقاتلوا بالمال والنفس في سبيل إعلاء كلمة الله. وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٥٩]. {ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ} ذلك الجهاد في سبيل الله هو خير لكم بعدم استحلال العدو لأرضكم وانتهاك حرمتكم ودياركم وأعراضكم هذا في الدنيا وفي الآخرة ثواب الجهاد الجنة والشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} لو كنتم تعلمون هذا الفضل للشهداء ولدخول الجنة والنصر في الدنيا وحفظ الأعراض.

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۗ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَعِذُّنَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَعِذُّنَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۖ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ۝

{لَوْ كَانَ} لو كان يا محمد ما تدعوهم إليه من الجهاد في سبيل الله {عَرَضًا} متاعاً من الدنيا {قَرِيبًا} قريب المنال سهل المطلب لا مشقة فيه قريب المسافة {وَسَفَرًا قَاصِدًا} وسفراً هادفاً وفيه منفعة لهم وليس فيه هلكة {لَاتَّبَعُوكَ} لذهبوا معك وأطاعوك لأن فيه غنيمة لهم {وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ} ولكن بعد عليهم نوال طلبهم من الغنيمة وطالت عليهم المسافة وعظمت عليهم المشقة لأن الجهاد فيه هلاك وموت لهم {وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ} وسيقسمون بالله لك يا محمد يا رسول الله {لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ} لم نستطع الخروج لأنه شغلنا أموالنا وأولادنا وزوجاتنا ولذلك لم نستطع الخروج للجهاد معكم يا رسول الله أنت والمؤمنون {يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} والله يعلم أن هؤلاء الخوالب لكاذبون في الخروج للجهاد وفي قتل أنفسهم في سبيل الله ولو خرجوا للجهاد لصدقوا ولكنهم تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجهاد في سبيل الله ولذلك

تبيين كذبهم بعدم الخروج للجهاد {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ} سبق عفو الله تعالى عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أذن لهم في التخلف عن الجهاد وذلك قبل أن يعاتبه في ذلك الإذن وكأنه يقول له سامحك الله بإذنك لهم {حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ} حتى تعلم وتتحقق وتتبين وحتى يتضح لك من صدق منهم في الخروج للجهاد ومن يكذب منهم ويتخلف قبل الإذن لهم بالعود والتخلف {لَا يَسْتَعِذُ نٰلِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} لا يطلب منك الإذن يا محمد يا رسول الله المؤمنون وهم المؤمنون بالله رباً {وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} يوم القيامة وهو يوم البعث والنشور والجزاء والثواب والعذاب والعقاب والجنة والنار {أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} أن يحاربوا ويجاهدوا ويقاتلوا معك الكفار بأموالهم وممتلكاتهم وأنفسهم يقاتلون في سبيل الله وإعلاء كلمة الله {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} والله يعلم بمن يتقيه ويخافه ويطيعه في أوامره ونواهيه {إِنَّمَا يَسْتَعِذُ نٰلِكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} إنما يطلب منك الإذن يا محمد يا رسول الله غير المؤمنين بالله تعالى رباً وخالقاً ومحياً ومميتاً ولا يصدقون باليوم الآخر وهو يوم القيامة ولا بالبعث ولا بالجنة ولا بالنار {وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ} أي شكت وكذبت قلوبهم بالجهاد في سبيل الله والبعث يوم القيامة إذا قتلوا وماتوا فهم في ريبهم وشكهم {يَتَرَدَّدُونَ} أي متحيرون بين التصديق والتكذيب في البعث يوم القيامة إذا قتلوا في الجهاد وهم دائمون على ذلك {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ} ولو أراد هؤلاء الخوالم الخروج معك يا محمد يا رسول الله {لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً} لجهزوا وأعدوا للحرب عدته وما يلزمه من السيوف والدروع والخيل وما تحتاجه

الحرب ولأعدوا واستعدوا {وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ} ولكن الله تعالى من تخاذلهم واستئذنانهم كره لهم الخروج معك يا رسول الله خوفاً من أن يثبطوا هم المسلمين معك ويضعفوا عزيمتهم {فَثَبَطْنَاهُمْ} أي كسلهم الله عن الجهاد وجعلهم يتقاعسون عن الخروج {وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} وقال بعضهم لبعض اقعدوا وتخلفوا مثل القاعدين والمتخلفين أمثالكم مثل عبد الله بن أبي سلول ومن على شاكلتهم من المنافقين ولا تخرجوا للجهاد مع رسول الله.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَوُا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ

وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا

لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُوا ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ

أُذِّن لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ

﴿٤٩﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ

قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

{لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ} لو خرجوا فيكم أي خرجوا معكم هؤلاء المنافقون يا

محمد يا رسول الله ما زادوكم {إِلَّا خَبَالًا} إلا خساراً وخذلاناً {وَلَا أُضْعَوُا} ولا وقعوا

{خِلَالَكُمْ} أي بينكم فساداً وتثبيطاً {يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ} يريدون بينكم

الفساد والوقيعه والمصيبة والهلكه والخذلان {وَفِيكُمْ} وفيكم يا محمد يا رسول الله

ممن معك ضعفاء النفوس والإيمان {سَمَّعُونَ لَهُمْ} يسمعون ما يقال لهم ويصدقونه

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} والله عليم بالمفسدين والظالمين لأنفسهم بالنفاق والخداع

وبالهزيمة في الدنيا وفي الآخرة عذاب النار {لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ} لقد جاءوا الفتنة والوقية {مِنْ قَبْلُ} أي من ابتداء قدومك إلى المدينة وأرادوا التحريض بعدم اتباعك وتصديقك {وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ} أي صعبوها وعقدوها بتحريضهم وإفسادهم ونفاقهم {حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ} حتى جاء النصر من عند الله " وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ " {وَوَظَّهَرَ أَمْرُ اللَّهِ} أي ظهر دين الله وارتفع شأنه {وَهُمْ كَرِهُونَ} وهم كارهون مبغضون لذلك الظهور على جميع الأديان {وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أُوذِّنَ لِي وَلَا تَفْتِنِي} ومنهم من يقول ائذن لي يا رسول الله وأعطني الإذن في عدم الخروج للجهاد ولا تفتني بالنساء الجميلات. نزلت هذه الآية في الجد بن قيس وهو سيد بني سلمة ومن أشرافهم وكما قال محمد بن إسحاق عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن قتادة وغيرهم قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه للجد بن قيس أخي بني سلمة: (هل لك يا جد العام في جلال بني الأصفر؟) فقال يا رسول الله أوتأذن لي ولا تفتني فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجباً بالنساء مني وإنني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن. فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (قد أذنت لك). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٦٢]. {أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا} ألا في المصيبة والمخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفة أمر الله تعالى في الجهاد سقطوا ووقعوا {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} وإن جهنم لواسعة وتنتظرهم وهي محيطة ومغلقة عليهم أي على الكافرين يوم القيامة وكما قال تعالى: " إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا " ٢٩ الكهف. وكما قال تعالى: " عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ " ٢٠ البلد. {إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ} وإن يحصل لك يا محمد يا رسول

الله نصر أو غنيمة {تَسُوهُمْ} أي تحزن الكفار وتنكد عليهم {وإن تُصِبْكَ} وإن أصابك يا رسول الله {مُصِيبَةٌ} هزيمة أو استشهاد {يَقُولُوا} يقول هؤلاء المنافقون {قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ} أخذنا حذرنا واحتياطنا من قبل المعركة بعدم الخروج مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم {وَيَتَوَلَّوْا} وينصرفوا ويتفرقوا إلى شؤونهم {وَهُمْ فَرِحُونَ} وهم مسرورون بعدم الخروج للجهاد وبهزيمة المسلمين {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {لَنْ يُصِيبَنَا} لن يحصل لنا ولا يصيبنا {إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا} إلا ما كتب الله لنا من الأزل في اللوح المحفوظ من الخير والشر ونحن نصدق بالقضاء والقدر {هُوَ مَوْلَانَا} هو الله تعالى عز جلاله وعظم قدره وعلا شأنه متولي أمرنا وناصرنا وحافظنا وحامينا {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} وعلى الله تعالى فليتوكل ويعتمد المؤمنون الصادقون الذين يؤمنون بالله رباً وبالإسلام ديناً ويؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى.

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ۖ وَخُنُّنَ تَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٦﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِن كُنتُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٧﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ ﴿٥٨﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٩﴾ وَخَالِفُونَ بِأَلَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٦٠﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغْرَاتٍ أَوْ مَدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

{قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا} هل تترقبون وتنتظرون وتظنون أن يقع بنا {إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ} إلا إحدى الخيرين والأفضلين وهما إما النصر عليكم وعلى الأعداء وإما الشهادة في سبيل الله ودخول الجنة {وَخُنُّنَ تَرَبَّصُ بِكُمْ} ونحن نتوقع ونتربص وننتظر بكم {أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ} أن يصيبكم الله ويقهركم ويسلط عليكم عذاباً من عنده أي بأمره من الزلازل والصواعق والهلاك والقتل والموت {أَوْ بِأَيْدِينَا} أو موتكم وأسركم بأيدينا نحن المسلمين {فَتَرَبَّصُوا} فانتظروا وارقبوا {إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ} إنا مثلكم نتربص بكم الدوائر من الله تعالى بعذاب من عنده أو بأيدينا قتلاً وأسراً وسلباً {قُلْ أَنْفِقُوا} قل للمنافقين يا محمد يا رسول الله أنفقوا وتصدقوا {طَوْعًا} أي برضاكم {أَوْ كَرْهًا} رغماً عنكم وغصباً {لَّن يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ} فلن يقبل الله منكم صدقاتكم ونفقاتكم {إِن كُنتُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ} لأنكم قوم فاسقون وعاصون

وطاغون وخارجون ومخالفون عن أمر الله ورسوله وعن طاعته {وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ} وسبب عدم تقبل منهم وهم المنافقون عدم تقبل نفقاتهم وصدقاتهم {إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} وسبب ذلك أنهم كفروا وجحدوا ولم يصدقوا وكذبوا وأنكروا بالله رباً وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً ونبياً {وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ} ولا يأتون إلى الصلاة ليصلوها إلا وهم {كُسَالَى} إلا وهم متخاذلون مقصرون ولا يصلونها على هيئتها وتمامها وكمالها {وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ} ولا ينفقون نفقة ولا صدقة إلا وهم مكرهون عليها كافرون بها ومغضوبون عليها {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ} فلا تعجب ولا تغتر يا محمد يا رسول الله بكثرة أموالهم ولا أولادهم {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} بل إنما يريد الله تعالى ليعذب هؤلاء المنافقين بأموالهم وأولادهم في الدنيا بأن يجعلها حسرة وعذاباً عليهم بالهلاك والقتل والموت والسبي والغنيمة والأسر للمسلمين {وَتَزَهَقَ أَنفُسُهُمْ} وتهلك أنفسهم بالموت أو القتل {وَهُمْ كَافِرُونَ} وهم مكذبون وناكرون وجاحدون بالله تعالى وبرسوله {وَمُخَلَّفُونَ بِاللَّهِ} ويقسمون بالله تعالى {إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ} إنهم لمنكم مسلمون {وَمَا هُمْ مِنْكُمْ} وليس هم منكم مسلمون فهم كافرون {وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ} قوم يخالفون ويخلطون الكفر والنفاق بالإيمان {لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً} لو يجدون حصناً أو مكاناً آمناً يلتجئون إليه {أَوْ مَغْرَاتٍ} أو مغارات أو كهوف في جبال {أَوْ مُدْخَلًا} أو نفقاً في الأرض آمناً {لَوَلَّوْا إِلَيْهِ} لفروا إليه وذهبوا إليه {وَهُمْ يَجْمَعُونَ} وهم يسرعون إليه ويندفعون يمنعوا أنفسهم من اتباعكم والجهاد معكم وفراراً منكم.

﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

{ وَمِنْهُمْ } ومن المنافقين يا محمد { مَّن يَلْمِزُكَ } من يتهمك { فِي الصَّدَقَاتِ } في قسمة وتوزيع الصدقات من الغنائم وغيرها { فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا } فإن أعطاهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شيئاً من الغنائم رضوا عنه ولم يعترضوا على توزيعها { وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا } وإن لم يأخذوا نصيباً من الغنائم ولم توزع عليهم { إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ } إذا هم يغيظون ويعترضون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتهموه بعدم العدل ومن ذلك ما رواه الشيخان من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد في قصة ذي الخويصرة واسمه (حرقوص) لما اعترض على النبي صلى الله عليه وسلم حين قسم غنائم حنين فقال له اعدل فإنك لم تعدل فقال: (لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رآه مقفياً: (إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإنهم شر قتلى تحت أديم السماء). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٦٣].

{ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ } ولو أنهم قبلوا ما أعطاهم الله تعالى وما قسم لهم وما أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنائم { وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ } وقالوا كفاية سيكفينا الله مؤنتنا وعيشنا { سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ } سيرزقنا الله من فضله وكرمه { وَرَسُولُهُ } ورسوله ونبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

سيوزع علينا غنائم قادمة {إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ} وإنا فيما عند الله راغبون من الثواب والعطاء والجزاء والجنة يوم القيامة.

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي

الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ ﴿٦﴾

{إِنَّمَا الصَّدَقَتُ} وهي الزكاة وهي فرض على المسلم إذا وجد معه نصاب ومضى عليه حول كامل وهو زيادة على نفقة عياله خلال العام وقد فرضت الزكاة في السنة الثانية من الهجرة وزكاة الذهب نصابها عشرون مثقالاً أي ما يعادل ٨٤,٧ جرام وعند الإمام أبو حنيفة بالوزن وليس بالقيمة ونصاب الفضة مائتا درهم أي ما يقابل ٥٩٥ جرام وإخراج الزكاة ربع العشر لمن ملك نصاباً وهو اثنان ونصف في المائة. وفي شرح مراقبي الفلاح ص ٣٠٢: (يلاحظ أن الفلوس إذا تعومل بها وبلغت قيمة نصاب الذهب أو الفضة وجبت فيها الزكاة). وهذه الزكاة لها ثمانية أصناف من المصارف التي تصرف إليها وهم {لِلْفُقَرَاءِ} والفقير هو الرجل الذي لا يستطيع سد نفقاته الضرورية من المأكل والمشرب والملبس {وَالْمَسْكِينِ} والمسكين وهو الذي لا يسأل الناس ولا يستطيع السؤال لمسكنته فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمر والتمرتان) قالوا فما المسكين يا رسول الله؟ قال: (الذي لا يجد غنى يغنيه ، ولا يفتن له فيتصدق عليه ، ولا يسأل الناس شيئاً). [رواه الشيخان - ابن كثير ج ٢ ص ٣٦٤]. {وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا} وهم الجباة الذين عينتهم الدولة لأخذ الزكاة {وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ} وهم من دخل في الإسلام حديثاً وفي

إسلامه ضعف حتى يحب الإسلام ويبقى فيه مثل (صفوان بن أمية) من غنائم حنين وقد شهدها مشركاً كما قال الإمام أحمد: حدثنا زكريا بن عدي أنا ابن المبارك عن يونس عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال: (أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وإنه لأبغض الناس إليّ فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ). [ورواه مسلم والترمذي من حديث يونس عن الزهري به - ابن كثير ج ٢ ص ٣٦٥]. {وَفِي الرِّقَابِ} في عتق الرقيق ولفك رقاب الأرقاء المكاتبين {وَالْغَرَمِينَ} الذين عليهم دين ولم يستطيعون سداده {وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ} للفقراء المنقطعين للغزو في سبيل الله ولا يجوز صرفها في بناء مسجد أو مدرسة أو في حج أو غير ذلك فهي للفقير المجاهد فقط {وَأَبْنِ السَّبِيلِ} المسافر الذي انقطعت به السبل عن بلده ولم توجد معه نقود للنفقة عليه في سفره {فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ} أي هذه الزكاة فريضة من الله تعالى للأصناف الثمانية المذكورة في هذه الآية {وَاللَّهُ عَلِيمٌ} بما أمر وبأحوال الناس وما ينفعهم وما يحتاجون إليه في دنياهم {حَكِيمٌ} في أوامره ونواهيه " أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " وهو حكيم في أمره وشرعه ومنفعة الناس وفي فرض الزكاة على الأغنياء للفقراء.

﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ ﴿١١﴾ تَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ
 كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن تَحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَأَنْ لَهُ نَارَ
 جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾

{ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ } ومن المنافقين من يؤذون النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالغيبة والنميمة والكذب { وَيَقُولُونَ هُوَ } يقول هؤلاء المنافقون أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو { أُذُنٌ } أي يتسمع ويستمع لما يقال له عن الناس وأنهم يوشون به أنه يتجسس على الناس ويتحسس أخبارهم { قُلْ } يا محمد يا رسول الله { أُذُنٌ خَيْرٌ } أي يتسمع عن الفقراء ويساعدهم ويعينهم ويلبي طلب من سأله وكما قالت خديجة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم عندما نزل عليه الوحي جبريل في غار حراء قوله تعالى: " اقرأ " وذهب إلى خديجة وقال: (زملوني - زملوني) قالت له عندها خديجة رضي الله عنها: (كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق). رواه البخاري. { لَكُمْ } لكم أيها المنافقون فخيره لكم يهديكم للإسلام ويعينكم على مصائب الدهر وعبادة الله تعالى وتقواه { يُؤْمِنُ بِاللَّهِ } يؤمن بالله رباً وخالقاً ومحياً ومميتاً ويصدق به وبالبعث والجزاء والثواب والعذاب والعقاب يوم القيامة { وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ } ويصدق المؤمنين في أقوالهم وأفعالهم وعبادتهم لله تعالى { وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ } ويرحم ويعطف على من آمن منكم

أيها الناس جميعاً كما قال تعالى في نفس هذه السورة في آخر الآية " حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ " ١٢٨ التوبة. {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ} والذين يؤذون ويغضبون رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالكلام أو الأفعال أو التكذيب {هُمَّ عَذَابُ أَلِيمٌ} لهم عذاب أليم موجع وشديد في جهنم يوم القيامة {تَحْلِفُونَ بِاللَّهِ} يقسمون بالله تعالى هؤلاء المنافقون {لَكُمْ} أيها المؤمنون {لِيُرْضَوْكُمْ} حتى ترضوا عنهم وتصدقوهم في نفاقهم {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه أحق هو ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بذلك الإرضاء والطاعة {إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ} إن كانوا مصدقين بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً {أَلَمْ يَعْلَمُوا} أفلا يعلم هؤلاء المنافقون {أَنَّهُ مَن تُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} أنه من يعادي الله ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا} فإن مصيره نار جهنم يخلد فيها ويعذب {ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ} ذلك هو الخزي والفضح الكبير والذل يوم القيامة على رؤوس الأشهاد.

﴿ تَحَذِرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوْا
 إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحَذِرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ
 وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ
 كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا
 مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

{ تَحَذِرُ الْمُنَافِقُونَ } يخاف المنافقون { أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي
 قُلُوبِهِمْ } أن ينزل الوحي جبريل عليه السلام بسورة من القرآن تخبر رسول الله
 سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بما في قلوب المنافقين بالاستهزاء برسول الله
 صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين معه { قُلِ اسْتَهِزُّوْا } قل لهم يا محمد يا رسول الله
 اسخروا من الله ورسوله والمؤمنين { إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ } إن الله تعالى مظهر ومعلن { مَا
 تَحَذِرُونَ } ما تخافون من نزول القرآن يفضحك الله به وما في قلوبكم وهذه
 الآيات دلالة على ذلك النزول { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ } وإن سألتهم يا محمد يا رسول الله
 عن ذلك الاستهزاء والقول { لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ } سيجيبون إنما
 كنا نخوض ونلعب أي نضحك ونلهو { قُلِ } قل لهم يا محمد يا رسول الله { أَبِاللَّهِ
 وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ } فهل تستهزئون وتضحكون وتسخرون بالله
 تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وبآيات القرآن العظيم وبرسوله الكريم
 والجليل تستهزئون وتسخرون { لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } لا تتأسفوا فقد
 كفرتم بعد أن كنتم مؤمنين فلا يتقبل اعتذاركم { إِنْ نَعَفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ
 طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ } إن يعف الله عن جماعة منكم أيها المنافقون فلا

بد أن يعذب الجماعة الأخرى من المنافقين منكم المصممون على النفاق فهم مجرمون وهم مذنبون في حق الله تعالى ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. والقصة هي: قال ابن إسحاق وقد كان من جماعة من المنافقين منهم ودیعة ابن ثابت أخو بني أمية بن زيد بن عمرو بن عوف ورجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له مخشي بن حمير يسيرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض أتحسبون جلاذ بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الحبال إرجافاً وترهيباً للمؤمنين فقال مخشي بن حمير والله لو ددت أن أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وإننا نغلب أن ينزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني لعمار بن ياسر: (أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فاسألهم عما قالوا فإن أنكروا فقل بلى قلتكم كذا وكذا) فانطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه فقال ودیعة بن ثابت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على راحلته فجعل يقول وهو آخذ بحقيبها يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب فقال مخشي بن حمير يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي فكان الذي عفي عنه في هذه الآية مخشي بن حمير فتسمى عبد الرحمن وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم بمكانه فقتل يوم اليمامة ولم يوجد له أثر. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٦٧].

﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٨﴾ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

{الْمُنْفِقُونَ} هم الذين يخفون ما لا يظهرون ويبطنون ما لا يعلنون {وَالْمُنْفِقَاتُ} وهم مثلهم هم اللاتي لا يظهرن ما يكتمن من كره الإسلام {بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ} مثل بعضهم البعض في النفاق والكره للإسلام {يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ} يأمرن بدلاً من المعروف بالمنكر والمعاصي ومخالفة الإسلام {وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ} ويصدون ويمنعون عن عمل الخير للناس {وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ} ويمسكون ويمنعون أنفسهم من الإنفاق في سبيل الله تعالى وفي الجهاد وفي أعمال الخير وفي الطاعات {نَسُوا اللَّهَ} نسوا الله بالطاعة {فَنَسِيَهُمْ} فنسيهم بالمغفرة والخير والرضوان ودخول الجنة {إِنَّ الْمُنْفِقِينَ} إن هؤلاء المنافقين جميعهم وهم الذين يخفون ما لا يظهرون من عداوة الإسلام ورسولهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {هُمُ الْفَاسِقُونَ} هم العاصون والخارجون عن طاعة الله تعالى ومخالفة أوامره ونواهيه {وَعَدَّ اللَّهُ} توعد الله المنافقين وحضر لهم وجهز لهم ووعدهم {الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ} الرجال والنساء من المنافقين ممن أبطن ما لا

يظهر من عداوة الإسلام ورسول الإسلام {وَالْكَفَّارَ} من كفر وأنكر وجحد برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن {نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا} بإدخالهم وعذابهم في نار جهنم خالدين ودائمين فيها يوم القيامة {هِيَ حَسْبُهُمْ} هي مقرهم ومصيرهم وجزاؤهم {وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ} غضب الله عليهم وعذبهم {وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} ولهم عذاب دائم في جهنم يوم القيامة لا ينفك عنهم {كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} مثل الأمم السابقة التي كانت قبلكم اليهود والنصارى وغيرهم. وكما قال ابن جريج: وأخبرني زياد بن سعد عن محمد بن زياد بن مهاجر عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراعاً وباعاً بباع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ أهل الكتاب قال: (فمن؟). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٦٨]. {كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً} كانوا أقوى منكم جسداً {وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً} وأكثر مالاً لأن قارون لعنه الله كانت مفاتيح خزائنه لتنوء بحملها العصابة أولي القوة {وَأَوْلَادًا} فكانوا أكثر منكم إنجاباً أيها المسلمون وذلك لكثرة عدد الزوجات في الأمم السابقة وعلى سبيل المثال تزوج داود عليه السلام مائة زوجة {فَأَسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ} فاستمتعوا بشهواتهم {فَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ} فاستمتعتم بنصيبيكم وبشهوَاتكم {كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ} كما استمتع من كان قبلكم بشهوَاتهم ورغباتهم بدون رادع لا من دين ولا من أخلاق {وَوَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا} وانغمستم في المحرمات كما خاض وانغمس من كان من قبلكم في الشهوات والملذات والمحرمات والمعاصي والمخالفة {أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} أولئك خسرت وهلكت أعمالهم القبيحة والمشينة

والبعيدة عن طاعة الله تعالى وعبادته وحده { فِي الدُّنْيَا } في الحياة الدنيا بالسمعة والسيرة السيئة { وَالْآخِرَةِ } ويوم القيامة بالعذاب في نار جهنم { وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } وأولئك هم من خسروا أنفسهم بدخول نار جهنم يوم القيامة.

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمُ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

{ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ } ألم يأتهم علم وخبر { الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } من كان قبلهم من الأمم السابقة { قَوْمِ نُوحٍ } عندما كذبوا نوحاً عليه السلام وكان في شرعه أن نسخ زواج الأخ للأخت كما كان من قبله أيام أولاد آدم عليه السلام لقلّة الذرية وكان يتزوج الأخ أخته من البطن الثاني فلما كذّبوه أغرقهم الله تعالى وأغرق الأرض كلها { وَعَادٍ } وهم قوم هود عليه السلام أهلكتهم اله تعالى بالريح العقيم { وَثَمُودَ } وهم قوم صالح عليه السلام أهلكتهم اله بالصيحة والرجفة { وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ } وهم أهل العراق وهم قوم النمرود بن كنعان فلما ألقى النمرود إبراهيم عليه السلام في النار ليحرقه وأنقذه الله منها ولم تؤثر فيه لقوله تعالى: " يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ " أهلك الله ملكهم النمرود ببعوضة دخلت في أنفه فقتلته { وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ } وهم قوم شعيب عليه السلام الذي من خوفه من الله تعالى وكثرة بكائه أصبح أعمى ضريراً فحفروا له نفقاً وأوقعوه فيه فقتل فلما قتل أصابهم عذاب الرجفة وعذاب الظلة حتى أهلكتهم عن آخرهم { وَالْمُؤْتَفِكَاتِ } وهم قوم لوط عليه السلام كانوا يسكنون في مدائن وقيل في سدوم وهي قرب معان بالأردن وهم أصحاب الأيكة [الشجر المتراكم بعضه على بعض] وكانوا يأتون الفاحشة في الأدبار

بالرجال دون النساء فأهلكهم الله فجعل قريتهم عاليها سافلها {أَتَّهَمُ} جاءتهم {رُسُلُهُمْ} أنبياءهم {بِالْبَيِّنَاتِ} بالرسالات والدلائل والحجج الواضحة ولكنهم أنكروا وكذبوا ووجدوا برسولهم {فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ} فلم يشأ الله تعالى أن يظلمهم بدون إرسال الرسل لهم فأرسل الرسل والأنبياء لهم فعصوا وأنكروا فأهلكهم الله تعالى {وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} ولكنهم ظلموا أنفسهم بمعصيتهم فأهلكهم الله تعالى بذنوبهم فهم ظلموا أنفسهم بالإنكار والجحود والتكذيب لرسولهم.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧٦﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٧﴾﴾

{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ} المصدقون والمصدقات بالله رباً وبالإسلام ديناً وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ويؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر {بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} بعضهم سند لبعضهم الآخر ويتبع بعضهم بعضاً في عبادة الله تعالى {يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ} يأمرون بالخير والطاعة لله تعالى وكل معروف وخير لم ينكره أصحاب العقول والأخلاق الحميدة {وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} وينهون عن كل شيء تنكره الشريعة الإسلامية من الظلم والشرك والكفر والبغي والفساد وكل ما حرمه الله تعالى وأنكره دين الإسلام {وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} يؤدون الصلاة في أوقاتها {وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} ويؤدون زكاة أموالهم كلما مر عليها عام

كامل إذا بلغت النصاب وزادت عنه للفقراء والمساكين وفي أبوابها الثمانية المعروفة
 {وَيُطِيعُونَ اللَّهَ} ويطيعون الله تعالى فيما أمر ونهى عنه وفيما فرض عليهم
 {وَرَسُولَهُ} سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به من عند الله تعالى
 {أُولَئِكَ} وهم من يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون
 الزكاة ويطيعون الله ورسوله {سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ} سينجيهم الله تعالى من عذابه يوم
 القيامة ويدخلهم جنته {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ} عزيز في ملكه وقوي في سلطانه وفي ملكه وفي
 أمره {حَكِيمٌ} ذو حكمة في أوامره ونواهيهِ وفي ملكه ولا يخطئ أبداً {وَعَدَّ اللَّهُ}
 وعدهم والله لا يخلف الميعاد {الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} المصدقين والمصدقات بالله
 رباً وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً {جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} جنات يدخلونها يوم القيامة تجري من تحتها الأنهار ومن
 خلالها {خَالِدِينَ فِيهَا} دائمون فيها {وَمَسَكِنٍ ظَبِيَّةٍ} مساكن ودور وغرف حسنة
 وطيبة وهادئة ومريحة لا نصب ولا وصب فيها {فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ} وهي إحدى
 الجنان وهي عدن يوم القيامة {وَرِضْوَانٍ} ورضاء ومحبة من الله تعالى لمن يدخل
 الجنة {مِّنَ اللَّهِ} من الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَكْبَرُ}
 أعظم وأعلى يوم القيامة في الجنة {ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} ذلك الرضوان من الله
 تعالى هو الفوز العظيم والكبير والذي لا يشابهه فوز ولا نجاح.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَبْسُ
 الْمَصِيرُ ﴿٧٦﴾ تَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ
 إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ
 فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا
 لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٧﴾﴾

{يَأْتِيهَا النَّبِيُّ} يا أيها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهنا لم يذكر اسمه
 تشريفاً وتعظيماً وتكريماً له {جَاهِدِ} حارب {الْكُفَّارَ} ممن أنكروا ووجدوا
 وكذبوا بالله وبرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن {وَالْمُنَافِقِينَ}
 الذين يخفون ما لا يظهرون ويبطنون ما لا يعلنون من عداوة الإسلام حاربهم
 بالسيف وبالحنة وبالوعظ {وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} وشدد عليهم الحرب والوعظ {وَمَاوَاهُمْ
 جَهَنَّمُ} ومصيرهم ونهايتهم يوم القيامة إلى جهنم {وَيَبْسُ الْمَصِيرُ} ساءت العاقبة
 والنهاية والمآل في نار جهنم {تَخْلِفُونَ بِاللَّهِ} يقسمون بالله {مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا
 كَلِمَةَ الْكُفْرِ} وقد قالوا هؤلاء كلمة كفروا بها {وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ} وكفروا
 ووجدوا وكذبوا بعد أن دخلوا الإسلام {وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا} أرادوا الإيذاء
 للرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وللمؤمنين ولكن الله خذلهم فلم يستطيعوا ذلك
 {وَمَا نَقَمُوا} وما غضبوا على الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى
 المؤمنين {إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} إلا بعد أن أغناهم الله تعالى بالإسلام
 وبالغنائم وبالرفعة وكذلك رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {مِنْ فَضْلِهِ}
 من فضل الله تعالى هذا الغنى والكرم لهم وهم المنافقون {فَإِنْ يَتُوبُوا} فإن يتوبوا

ويرجعوا عن الكفر والإيذاء للنبي محمد صلى الله عليه وسلم {يَكُ خَيْرًا لَهُمْ} فهو أفضل لهم في دخول الإسلام والدوام عليه {وَإِنْ يَتَوَلَّوْا} وإن يعرضوا وينصرفوا ويتكبروا ويجحدوا {يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا} يعذبهم الله تعالى في الدنيا بالمصائب والفتن والأمراض والقتل والهلاك {وَالْآخِرَةِ} يعذبهم الله في نار جهنم يوم القيامة {وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} ولا أحد من أهل الأرض يتولاهم وينصرهم ويساعدهم على كفرهم وضلالهم ونفاقهم ومعصيتهم ويحفظهم ويحرسهم من عذاب الله تعالى ومن هلاكه لهم. والقصة هي: قال قتادة: نزلت هذه الآية "يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ" نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول وذلك أنه اقتتل رجلان جهني وأنصاري فعلا الجهني على الأنصاري - فقال عبد الله للأنصار ألا تنصروا أحاكم؟ والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سَمَّنْ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ. وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فسعى بها رجل من المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليه فسأله فجعل يحلف بالله ما قاله فأنزل الله فيه هذه الآية. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٧١].

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ خَلَوْا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْتَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْمَوْا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾

{ وَمِنْهُمْ } ومن المنافقين { مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ } وهو ثعلبة بن حاطب الأنصاري وقد نزلت فيه هذه الآية لأنه طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بالمال الكثير فدعا له وقال: (اللهم ارزق ثعلبة مالاً) فاتخذ ثعلبة غنماً فنمت حتى ضاقت بهم المدينة ولما طلب منه النبي صلى الله عليه وسلم الزكاة قال ما هذه إلا جزية وما هذه إلا أخت الجزية ورفض إخراج الزكاة علماً أنه عاهد الله أمام رسوله صلى الله عليه وسلم بالصدقة إن أعطاه الله مالاً بقوله لنصدقن { وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ } أي لنكونن من الصالحين المتصدقين { فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ خَلَوْا بِهِ } فلما أعطاهم الله المال والغنى بخلوا ولم يتصدقوا ولم يعطوا الزكاة { وَتَوَلَّوْا } أي ذهبوا ورفضوا وأعرضوا وامتنعوا { وَهُمْ مُّعْرِضُونَ } وهم مصرون على الإعراض والامتناع عن دفع الزكاة { فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ } فزادهم نفاقاً على نفاقهم { إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْتَهُ } إلى يوم القيامة { بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ } بما نقضوا عهدهم لله تعالى بدفع الزكاة والصدقات { وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } وبسبب كذبهم على الله ورسوله بادعائهم نية دفع الزكاة والصدقات إذا ما آتاهم الله من فضله { أَلَمْ يَعْمَوْا } ألم يعرفوا وبتحققوا { أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ } أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يعلم سرهم

وما يخفون وما يعلنون {وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبَ} وأن الله تعالى يعلم الغيب كله سره وعلايته ويعلم ما تخفي نفوسهم من النفاق والخداع والكذب وعدم دفع الزكاة وأنهم منافقون. والقصة هي ما رواه ابن جرير ههنا وابن أبي حاتم من حديث معان بن رفاعة عن علي بن يزيد عن أبي عبد الرحمن القاسم ابن عبد الرحمن مولى عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية عن أبي أمامة الباهلي عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع الله أن يرزقني مالاً قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه) قال ثم قال مرة أخرى فقال : (أما ترضى أن تكون مثل نبي الله؟ فوالذي نفسي بيده لو شئت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت) قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالاً لأعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم ارزق ثعلبة مالاً) قال فاتخذ غنماً فتمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة وهي تنمى كما ينمى الدود حتى ترك الجمعة! فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الأخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما فعل ثعلبة؟) فقالوا يا رسول الله اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره فقال : (يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة) وأنزل الله جل ثناؤه : " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ " الآية ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة من المسلمين رجلاً من جهينة ورجلاً من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما : (مراً بثعلبة وبفلان - رجل من بني سليم - فخذوا صدقاتهما) فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية ما أدري ما هذه؟ انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلي فانطلقا وسمع بهما السلمى فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بهما فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد أن نأخذ هذا منك فقال: بلى فخذوها فإن نفسي بذلك طيبة وإنما هي له فأخذها منه ومرا على الناس فأخذوا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال: أروني كتابكما فقرأه فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال: (يا ويح ثعلبة) قبل أن يكلمهما ودعا للسلمى بالبركة فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمى فأنزل الله عز وجل: " وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ " الآية قال وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال: ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: (إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك) فجعل يحثو على رأسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني) فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقته رجع إلى منزله فقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقبل منه شيئا ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الأنصار فأقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى أن يقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال: يا أمير المؤمنين أقبل صدقتي فقال: لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر وأنا أقبلها منك؟ فقبض ولم يقبلها فلما ولي عثمان رضي الله عنه أتاه فقال: أقبل

صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر وأنا أقبلها منك؟ فلم يقبلها منه فهلك ثعلبة في خلافة عثمان. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٧٤].

﴿ الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا
يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

{الَّذِينَ يَلْمُزُونَ} الذين يسخرون ويستهزئون ويضحكون على
{الْمُطَّوِّعِينَ} المتبرعين {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} ممن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر {فِي الصَّدَقَاتِ} في التبرعات من الصدقات وأعمال الخير وهو عبد
الرحمن بن عوف {وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ} والفقراء من المسلمين الذين
يتصدقون على قدر جهدهم وما عندهم من القليل وعلى قدر استطاعتهم {فَيَسْخَرُونَ
مِنْهُمْ} فيستهزئون ويضحكون عليهم {سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} استهزأ الله
من هؤلاء المنافقين الساخرين بقولهم ولهم عذاب شديد وقاس يوم القيامة. وسبب
نزول هذه الآية: قال العوفي عن ابن عباس إن رسول الله خرج إلى الناس يوماً
فنادى فيهم أن اجمعوا صدقاتكم فجمع الناس صدقاتهم ثم جاء رجل من آخرهم
بصاع من تمر فقال يا رسول الله هذا صاع من تمر بت ليلتي أجر بالجرير الماء
حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات فسخر منه رجال وقالوا إن الله ورسوله لغنيان
عن هذا وما يصنعون بصاعك من شيء ثم إن عبد الرحمن بن عوف قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم: هل بقي أحد من أهل الصدقات؟ فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم: (لم يبق أحد غيرك) فقال له عبد الرحمن بن عوف فإن عندي
مائة أوقية من ذهب في الصدقات فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمجنون

أنت؟ قال ليس بي جنون قال أفعلت ما فعلت؟ قال: نعم مالي ثمانية آلاف أما أربعة آلاف فأقرضها ربي وأما أربعة آلاف فلي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت) ولمزه المنافقون فقالوا والله ما أعطى عبد الرحمن عطيته إلا رياء وهم كاذبون إنما كان به متطوعاً فأنزل الله عز وجل وعذره وعذر صاحبه المسكين الذي جاء بالصاع من التمر فقال تعالى في كتابه: " الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ " الآية. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٧٥].

﴿ اَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَعَذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَلِيفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

{ اَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ } قال الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه للنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سواء استغفرت للمنافقين أو لم تستغفر لهم { إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ } فالله سبحانه وتعالى هو علام الغيوب فيخبر رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بشدة نفاق المنافقين وإصرارهم على النفاق وتكذيبهم وعظيم كرههم للإسلام ولذلك قال لهم لو استغفرت

لهم سبعين مرة فلن يغفر الله تعالى لهم وهذا العدد كان يضرب به المثل لكثرتة في ذلك العصر أي عدم توبة الله عليهم لعلمه بهم بإصرارهم على دوام النفاق والكفر {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} لأنهم كفروا وجحدوا وأنكروا بالله وما أنزل على رسوله وهو القرآن الكريم وقد كذبوا وجحدوا وأنكروا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأنه مرسل من الله تعالى {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} العاصين والخارجين عن طاعته وعبادته {فَرِحَ} فرح وسرّ {الْمُخَلَّفُونَ} من تخلف عن الخروج للجهاد مع النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك {بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ} أي خالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقوا خلفه وبعده في المدينة ولم يخرجوا معه للجهاد {وَكْرَهُوا} ولم يقبلوا ولم يستسيغوا ولم يحبوا {أَنْ تُجَاهِدُوا} أن يخرجوا للجهاد ويحاربوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك {بِأَمْوَالِهِمْ} بما معهم من مال {وَأَنْفُسِهِمْ} بذاتهم وحياتهم {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} في مرضات الله تعالى بالجهاد في سبيله وإعلاء كلمة الدين {وَقَالُوا} وقال المخلفون وهم المنافقون لبعضهم البعض {لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ} أي لا تخرجوا للجهاد في حر الصيف وشدته {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله لهؤلاء المنافقين {نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا} إن نار جهنم وهي مصيرهم فهي أشد حراً يوم القيامة لدوام عذابها وشدته وقساوته كما قال الإمام مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (نار بني آدم التي توقدونها جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم) فقالوا يا رسول الله إن كانت لكافية فقال: (فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً). أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به وقال الإمام أحمد

حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وضربت في البحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد). [وهذا أيضاً إسناده صحيح - ابن كثير ج ٢ ص ٣٧٧]. وقال الأعمش عن أبي إسحاق عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لمن له نعلان وشراكان من نار جهنم يغلي منهما دماغه كما يغلي الرجل لا يرى أن أحداً من أهل النار أشد عذاباً منه وإنه أهونهم عذاباً). أخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش وقال مسلم أيضاً حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثنا زهير بن محمد عن سهيل بن أبي صالح عن النعمان بن أبي عياش عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن أدنى أهل الأرض عذاباً يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٧٧]. {لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} لو كانوا يفهمون ويدركون ذلك {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً} فليستهزئوا ويسخروا قليلاً في الدنيا ويضحكوا لصغر وقتها ولقلته {وَلْيَبْكُوا كَثِيراً} وليبكوا يوم القيامة كثيراً لطول العذاب في جهنم وشدته {جَزَاءً} عقاباً وعذاباً {بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} بما كانوا يعملون في الدنيا من النفاق والكفر والإنكار والجحود والتكذيب لرسولهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ} فإن أعادك الله تعالى سالماً إلى المدينة ومنتصراً {إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ} إلى جماعة من المنافقين والخوالف {فَأَسْتَعِذُّوكَ لِلْخُرُوجِ} فطلبوا منك الخروج للجهاد في سبيل الله معك يا محمد يا رسول الله {فَقُلْ} فقل لهم يا محمد يا رسول الله لهؤلاء الخوالف {لَنْ تَخْرُجُوا} لن تذهبوا {مَعِيَ أَبَدًا} إطلاقاً

{وَلَنْ تُقْبِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا} ولن تجاهدوا أي عدو {إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوْلَ مَرَقٍ} إنكم رضيتم وقبلتم بالقعود والجلوس وعدم الخروج للجهاد في أول مرة قبل ذلك {فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَلْفَيْنِ} فاجلسوا وتخلفوا عن الجهاد مع من تخلف منكم قبل هذه {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ} ولا تصل صلاة الجنازة على أحد من المنافقين عند موته ولا تدعو له {أَبَدًا} إطلاقاً ودائماً {وَلَا تُقِمَّ} أي ولا تقم وتدعو الله لهذا المنافق وهو عبد الله بن أبي بن سلول {عَلَى قَبْرِهِ} عند قبره {إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ} إنهم جحدوا وأنكروا بأن الله تعالى جل جلاله هو الذي نزل القرآن {وَرَسُولِهِ} ورسوله ونبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنكروا رسالته وبعثته له {وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ} وماتوا وهم عاصون خارجون عن طاعة الله ورسوله. وسبب نزول الآية في عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين كما قال البخاري: حدثنا عبيد ابن إسماعيل عن أبي أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما خيرني الله فقال "اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ" وسأزيده على السبعين) قال إنه منافق قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل آية "وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ" وكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة حماد بن أسامة به ثم رواه البخاري عن إبراهيم بن المنذر عن

أنس بن عياض عن عبيد الله وهو ابن عمر العمري به وقال صلى عليه وصلينا معه وأنزل الله " وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا " الآية. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٧٨].

وقال الشعبي لما ثقل عبد الله بن أبي انطلق ابنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أبي قد احتضر فأحب أن تشهده وتصلي عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (ما اسمك؟) قال: الحباب بن عبد الله قال: (بل أنت عبد الله ابن عبد الله إن الحباب اسم شيطان) فانطلق معه حتى شهده وألبسه قميصه وهو عرق صلى عليه فقيل له أتصلي عليه؟ فقال: (إن الله قال "إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً" ولأستغفرن لهم سبعين و سبعين وسبعين) وكذا روي عن عروة بن الزبير ومجاهد بن جبير وقتادة بن دعامة ورواه ابن جرير بأسانيده. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٧٦].

وقوله تعالى: " وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ " هذا أمر من الله تعالى لرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للمنافقين فقط أما زيارة القبور للمسلمين فهي سنة وكذلك الدعاء للأموات فعن بريدة بن الخصيب الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها). رواه مسلم زاد الترمذي أي من حديث بريدة: (فإنها تذكروا الآخرة). [سبل السلام ج ٢ ص ١١٤]. وعن أنس أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنا نتصدق عن موتانا ونحج عنهم وندعو لهم فهل يصل ذلك إليهم فقال: (نعم إنه ليصل ويفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق إذا أهدي إليه). [رواه أبو حفص العكبري - فقه مراقي الفلاح ص ٢٤١]. وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: (إن أمتي افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: (نعم). [البخاري ج ٤ ص ١٢٧]. وعن ابن عباس أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت:

إن أمني نذرت أن تحج ولم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: (نعم حجي عنها، رأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء). [رواه البخاري - سبل السلام ج ٢ ص ١٨٢]. وقال أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم) في الدعاء إلى شيخه أبي حنيفة: إني لأدعو لأبي حنيفة قبل أبوي. [فقه المذاهب الأربعة للدكتور مصطفى الشكعة ص ١٤٧].

﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامِنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾

{ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ } ولا تدهشك ولا تغريك كثرة أموالهم وأولادهم يا محمد يا رسول الله { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا } إنما يريد الله استدراجهم ليعذبهم بأموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا بالسبي أو القتل أو الجزية وبأن تكون وبالاً وهماً عليهم فالأموال بالهلاك والأولاد بالعقوق وغير ذلك من أنواع البلاء والمصائب والهموم والغموم في الدنيا ليعذبهم بها { وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ } وتخرج أرواحهم بالموت والهلاك والقتل { وَهُمْ كَافِرُونَ } جاحدون منكرون مكذبون بالله تعالى وبالقرآن العظيم ورسوله الكريم وبالإسلام { وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً } وإذا أنزلت سورة بأمر الله تعالى من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا وبواسطة

جبريل عليه السلام إلى النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ} أن آمنوا وصدقوا بالله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه رباً وخالقاً وإلهاً ومحيباً ومميتاً ورازقاً وقادراً على كل شيء ومنزلاً للقرآن العظيم على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ} وجاهدوا في سبيل الله وحاربوا مع رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والأعداء والكفار {أَسْتَعِدَّنَا} طلب الإذن والسماح بعدم الخروج معك يا محمد يا رسول الله للجهاد في سبيل الله وحرب الأعداء والكفار {أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ} أصحاب الجاه وكبار القوم والأغنياء والأثرياء من المنافقين {وَقَالُوا ذَرْنَا} دعنا واتركنا {نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ} نبقى مع الخوالم من الشيوخ والأطفال والنساء وذوي العاهات جبناً وخوفاً وطمعاً في الدنيا وشهواتها وملذاتها ونعيمها وترفها ومخالطة النساء الجميلات {رَضُوا} أي قبلوا ووافقوا {بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ} بأن يكونوا في صف النساء والشيوخ والأطفال وذوي العاهات {وَطَبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ} ختم على قلوبهم النفاق والتخلف عن الجهاد في سبيل الله {فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} فهم لا يفهمون ولا يدركون ولا يتدبرون ما فائدة الجهاد في سبيل الله والاستشهاد والشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته ومصيره إلى الجنة {لَكِنِ الرَّسُولُ} لكن الرسول والنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ} والمؤمنون معه ممن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {جَاهِدُوا} حاربوا الأعداء والكفار {بِأَمْوَالِهِمْ} بما معهم من مال {وَأَنْفُسِهِمْ} بذاتهم وحياتهم وأرواحهم {وَأَوْلِيَّكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ} وهؤلاء لهم خيرات الدنيا ونعيمها بالنصر والغنائم والفوز برضاء الله تعالى وفي الآخرة

الجنة { وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } وأولئك هم الفائزون والمكافؤون بالجنة ورضوان الله تعالى { أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } أعد الله للمؤمنين المجاهدين في سبيل الله تعالى والشهداء جنات وهي ثمان جنان وتجري من تحتها وخلالها الأنهار { خَالِدِينَ فِيهَا } دائمين فيها { ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } ذلك هو الفوز الكبير والنجاح بالفوز بالجنة ورضوان الله تعالى لهم. وجاء في الصحيحين من حديث أبي عمران الجوني عن أبي بكر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٦٩].

﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩١﴾ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٢﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رِضْوَانًا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ

الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

{ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ } وجاء أصحاب الأعدار. وقال الضحاك عن ابن عباس إنه كان يقرأ وجاء المعذرون بالتخفيف ويقول هم أهل العذر. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٨١].

{ مِنْ الْأَعْرَابِ } من البدو حول المدينة وهم نفر من بني غفار { لِيُؤْذَنَ لَهُمْ }
ليسمح لهم بالتخلف عن الجهاد لأنهم أصحاب عذر { وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ } وجلس عن الجهاد وجلس ولم يخرج من كذب بالله ورسوله ولم
يصدقوهما ولم ينفروا للجهاد ولم يعتذروا { سَيُصِيبُ } سيلحق { الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْهُمْ } من كفر من هؤلاء المنافقين والمتخلفين { عَذَابٌ أَلِيمٌ } عذاب شديد وقاس
وموجع في جهنم يوم القيامة { لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى } ليس على
الضعفاء من النساء والشيوخ والأطفال والمقعدين من ذوي العاهات ولا على المرضى
ممن لا يستطيعون القتال بسبب مرضهم { وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا
يُنْفِقُونَ } ولا على الفقراء الذين لا يستطيعون شراء السلاح ولا الخيل ولا الإبل
ولا يجدون مالا ينفقونه على الجهاد في سبيل الله { حَرَجٌ } مخالفة ومؤاخذه وإثم
وعقوبة ولوم أي ليس عليهم مسؤولية الجهاد { إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ } إذا
أخلصوا لله تعالى العبادة ولسوله بالطاعة { مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ } ليس على
المحسنين أعمالهم وعبادتهم لله تعالى وطاعته وهم المخلصون لله ولسوله في العبادة
وفي الطاعة { مِنْ سَبِيلٍ } من حرج ومن ومؤاخذه ومن لوم { وَاللَّهُ غَفُورٌ } لمن تاب
وأتاب وأطاعه { رَحِيمٌ } رحيم به لا يعذبه يوم القيامة { وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا
أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ } ولا على الذين يأتوك يا محمد يا رسول الله لتنقلهم على شيء
من الخيل أو الإبل ليخرجوا للجهاد معك { قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ } قلت
لهم يا محمد يا رسول الله مجيباً لهم بأنك لا تجد زيادة الراحلة لتركبهم وتحملهم
عليها من الخيل والإبل { تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ } انصرفوا وهم يبكون

{حَزَنًا} حزناً وألماً {أَلَّا سَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ} بسبب أنهم لا يجدون المال ولا الراحلة حتى يجاهدوا معك فهؤلاء ليس عليهم حرج في عدم الخروج للجهاد معك. وفي الصحيحين من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن بالمدينة أقواماً ما قطعتم وادياً ولا سرتهم سيراً إلا وهم معكم) قالوا وهم بالمدينة؟ قال: (نعم حبسهم العذر). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٨٢]. {إِنَّمَا السَّبِيلُ} إنما المؤاخظة والحكم واللوم {عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ} على الذين يطلبون منك الإذن وهم أغنياء وأثرياء وعندهم المال والراحلة والصحة {رَضُوا} قبلوا {بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ} بأن يتخلفوا مع النساء والأطفال والشيوخ والعجزة والمرضى وأصحاب العاهات {وَطَبَعَ اللَّهُ} وختم الله تعالى {عَلَى قُلُوبِهِمْ} بأن جعل قلوبهم مغلقة بالنفاق ومغلقة عن الجهاد وعن طاعة الله ورسوله {فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} فهم لا يعلمون أنهم نافقوا وتخلفوا وهم أصحاب النار والمجاهدون هم أصحاب الجنة يوم القيامة.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا
 اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ
 وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٥﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ
 لَتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَنُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ ﴿٦٦﴾ تَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ
 عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٦٧﴾﴾

{يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ} يتأسفون إليكم ويتحججون بالأعذار الواهية والكاذبة إليكم
 يا رسول الله أنت والمؤمنون {إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ} إذا عدتم إليهم بعد الجهاد في
 سبيل الله وحرب الكفار {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ
 نُؤْمِنَ لَكُمْ} لا تتأسفوا بالاعتذارات الكاذبة فلن نصدقكم {قَدْ نَبَأْنَا} قد
 أخبرنا {اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه عن
 خبركم وعن تخلفكم وعن كذبكم {وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ} وسيرى الله تعالى
 عملكم وهو يرى أعمالكم قبل وقوعها ومن الأزل ولكن هنا فرؤيته هي تأكيد على
 عملكم الحقيقي الذي ستقومون به من النفاق والكذب والتخلف ورسوله سيدنا
 محمد صلى الله عليه وسلم سيرى عملكم بأمر عينيه حتى يكون شاهداً عليكم
 بالنفاق والتخلف عن الجهاد والكذب {ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ} ثم ترجعون
 يوم القيامة وكذلك بالموت إلى الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه فهو عالم
 الغيب يعلم الغيب كله من الأزل ويعلم ما كان وما يكون وما هو كائن فسبحان
 الذي علم كل شيء بغير تعلم والغيب هو كل ما غاب عن الإنسان من علم الله

تعالى الذي لا يعلمه غيره من الجنة والنار والآخرة وغيرها {وَالشَّهَدَةِ} العالم المنظور والمعلوم والمشاهد بالعين {فَيُنذِرُكُمْ} فيخبركم {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} بما كنتم تعملون في الدنيا من الخير والشر والطاعة والعبادة والمعصية والمخالفة والتخلف عن الجهاد وعن كل ما عملتموه وكما قال تعالى: " وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا " ٤٩ الكهف. {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ} سيقسمون بالله لكم حالفين {إِذَا أَنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ} إذا عدتم من الجهاد ثانية إليهم {لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ} لتعفوا عنهم وتسامحوهم وتقبلوا عذرهم وتعرضوا عن معاتبتهم وتتركوهم بدون عتاب ولا تأنيب ولا مراجعة {فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ} فقاطعوهم {إِنَّهُمْ رِجْسٌ} إنهم نجس وخبث وبلاء ومرض ووباء {وَمَا أَوْلَاهُمْ} ومصيرهم ومآلهم {جَهَنَّمَ} إلى جهنم وبئس المصير {جَزَاءٌ} عقاباً وعذاباً لهم {بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} بما كانوا يعملون من المعاصي والذنوب والتخلف عن الجهاد في سبيل الله ومعصية الله تعالى ورسوله {سَيَحْلِفُونَ لَكُمْ} يقسمون لكم بالله حالفين {لَتَرْضُوا عَنْهُمْ} لترضوا عنهم وتقبلوا عذرهم وتصدقوهم على كذبهم {فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى} فإن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه لا يرضى ولا يقبل ذلك {عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} عن القوم العاصين والخارجين عن طاعة الله تعالى ومخالفة أوامره ونواهيه ومخالفة رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمِ الدَّوَابِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ ۖ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾

{الْأَعْرَابُ} وهم قسم من البدو الرحل سكان الصحارى والخلاء والجبال وهم المتكشفون من البدو {أَشَدُّ} أعظم وأخطر وأقوى {كُفْرًا} جحوداً ونكراناً وتكذيباً لله ولرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَنِفَاقًا} وخداعاً {وَأَجْدَرُ} وأحسن وأفضل {أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ} أن لا يعرفوا شرع الله تعالى وما أنزل على رسوله من الحدود والأوامر والنواهي ومن القرآن والسنة لأنهم منافقون ولا يصدقون بكتاب ولا سنة لأنهم خلقوا متكشفين صعب الخلق أصحاب غلظة وشدة وجفاء وغدر فهم مثل الوحوش الكاسرة في غلظتهم وتكشفتهم وجفائهم عن المدينة وعدم مخافة الله وعدم معرفة حدوده لعدم حضورهم مجالس العلم ولا صلاة الجماعة ولا الجمعة لانفتاحهم في الصحراء دائماً ولو حضروا مرة واحدة مجالس العلم لنفعهم وهذا طبعاً بعضهم وليس كلهم {وَاللَّهُ عَلِيمٌ} والله يعلمهم ويعلم أخلاقهم ومنبتهم وجفائهم وطبائعهم وكفرهم ونفاقهم وعدم اتباعهم لحدود الله {حَكِيمٌ} في عدم تعليمهم لحدوده لمعرفة معرفته بهم وبشدة كفرهم ونفاقهم وغدرهم فلا عهد لهم ولا ذمة ولا دين ولا ورع. قال الأعمش عن إبراهيم قال: جلس أعرابي إلى زيد بن صوحان وهو يحدث أصحابه وكانت يده قد أصيبت يوم نهاوند فقال الأعرابي: والله إن حديثك ليعجبني ، وإن يدك لتريبني

فقال زيد: ما يربيك من يدي إنها الشمال؟ فقال الأعرابي: والله ما أدري اليمين يقطعون أو الشمال، فقال زيد بن صوحان: صدق الله ورسوله "الأعراب أشدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ". وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن أبي موسى عن وهب بن منبه عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن) ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن سفيان الثوري به. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٨٣]. {وَمِنَ الْأَعْرَابِ} قسم من الأعراب وجزء منهم وليس كلهم {مَنْ يَتَّخِذْ مَا يُنْفِقُ} من يتصدق منهم أو من يدفع الزكاة {مَغْرَمًا} أي غرامة وضريبة وجزية وليس زكاة {وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ} يراقب وينتظر بكم أن تحل بكم {الذَّوَابِرِ} المصائب والبلاء والهزيمة والقتل والهلاك {عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ} فعليهم تقع المصائب والبلاء والمحن والهلاك {وَاللَّهُ سَمِيعٌ} الله تعالى جل جلاله سميع يسمع قولهم ونفاقهم {عَلِيمٌ} بمن يتربص بكم الدوائر ومن ينفق ماله مغرمًا ويعلم جميع أحوالهم {وَمِنَ الْأَعْرَابِ} والقسم الثاني من الأعراب من البدو ممن يسكنون البادية {مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ} من يؤمن ويصدق بالله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه رباً وخالقاً ومحياً ومميتاً ورازقاً وقادراً على كل شيء {وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} يوم القيامة من الموت والبعث والجزاء والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار {وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ} وما يتصدق به من أعمال الخير والصدقات والزكاة {قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ} هي قربة تقربه بها عند الله تعالى حتى يدخله بها الجنة وهي طاعات وعبادات وحسنات يقدمها عند الله تعالى يوم القيامة {وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ} ودعوات الرسول عليه الصلاة والسلام لهم

بالخير والبركة والرحمة والهدى من النبي محمد صلى الله عليه وسلم {أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ} أنها فعلاً قرينة يتقربون بها عند الله تعالى يوم القيامة {سَيَدْخُلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ} سيدخلهم الله تعالى بدعوات الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في رحمة الله تعالى بعفوه عنهم ولم يعذبهم وسيدخلهم الجنة بها {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يغفر ويعفو ويتجاوز لمن تاب وأناب وأطاعه وعبده ولمن تقرب إليه {رَّحِيمٌ} يرحم كل من تاب ولا يعذبه ويدخله الجنة يوم القيامة.

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ} وهم أول من آمن وصدق بالله ورسوله واتبعوا رسوله وهم كبار المهاجرين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وغيرهم وكذلك الأنصار وهم أهل المدينة الذين نصره مثل أبي أيوب الأنصاري ومن حضر بيعة الرضوان ومعركة بدر ومن صلى إلى القبلتين {وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ} والصحابة الآخرون الذين اتبعوهم على دين الإسلام {بِإِحْسَانٍ} بإخلاص وصلاح وتقوى إلى يوم القيامة {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} أي رضي الله عنهم وأحبهم ولم يغضب عليهم {وَرَضُوا عَنْهُ} رضوا بالثواب الذي أعطاه الله تعالى لهم ودخول الجنة {وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ} وحضر لهم جنات وعددها ثمانية {تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} تجري خلالها الأنهار ومن تحت قصورها وأشجارها {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} دائمون

فيها دائماً ما دام عرش الله {ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} هو الفوز العظيم والكبير والذي لا يشبهه فوز ولا نجاح وهو دخول الجنة.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ ۖ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۗ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۗ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١١﴾ ۖ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ۖ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾ ۖ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ۖ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٤﴾﴾

{وَمِمَّنْ حَوْلَكُم} وجزء ممن حول المدينة وحولكم يا محمد يا رسول الله {مِمَّنْ} {الْأَعْرَابِ} أي جزء منهم {مُنْفِقُونَ} مخادعون ويظهرون ما لا يبطنون وما لا يعلنون {وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ} ومن سكان المدينة المنورة {مَرَدُوا} خُلِقُوا وَجُبِلُوا {عَلَى النِّفَاقِ} على الخداع {لَا تَعْلَمُهُمْ} لا تعلمهم يا محمد يا رسول الله {نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ} نحن للجمع وهي للتعظيم لله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه فهو يعلمهم ويعلم نفاقهم دون رسوله صلى الله عليه وسلم {سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ} الأولى بفضيحة القرآن لهم وإنزال آيات فيهم والثانية منع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي عليهم أو يقوم على قبورهم أو يستغفر لهم {ثُمَّ يُرَدُّونَ} ثم يرجعون يوم القيامة {إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ} والعذاب في الدرك الأسفل من النار {وَآخَرُونَ} غيرهم {اعْتَرَفُوا} أقروا {بِذُنُوبِهِمْ} بمعاصيهم {خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا} عملوا عملاً صالحاً {وَآخَرَ سَيِّئًا} أي عملوا خيراً وشرّاً وطاعات ومعاصي

{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} لعل الله تعالى برحمته يتوب عليهم ويتجاوز عنهم لعملهم أعمال الخير ، والطاعات تزيد عن السيئات في الميزان {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} يغفر لمن تاب وأتاب وأطاعه وتقرّب إليه وعبده {رَحِيمٌ} يرحم كل من تاب ولا يعذبه ويدخله الجنة {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً} خذ يا محمد يا رسول الله من أموال الناس زكاة عن أموالهم اثنان ونصف في المائة {تُطَهِّرُهُمْ} تنظفهم من الذنوب {وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} تُبرئهم بها من شح النفس ومن الكفر والعصيان {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} وصل عليهم يا رسول الله صلاة الجنازة {إِنَّ صَلَاتَكَ} إن صلاتك يا محمد يا رسول الله سواء صلاة الجنازة أو الدعاء لهم {سَكَنُ هُمْ} اطمئننا لهم {وَاللَّهُ سَمِيعٌ} والله يسمع دعاءك لهم {عَلِيمٌ} بك وبدعائك وبأحوالهم وشؤونهم وعليم بكل شيء {أَلَمْ يَعْلَمُوا} ألم يعلم هؤلاء المنافقون والناس جميعاً {أَنَّ اللَّهَ} أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ} هو الذي يتقبل التوبة من عباده ممن تاب منهم {وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ} ويتقبل الصدقات والزكاة ويأمر بأخذها للفقراء والمساكين والمحتاجين {وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ} وأن الله تعالى هو الذي يتوب على المذنبين ويعفو عنهم ويغفر لهم ويتجاوز عن سيئاتهم ويصفح عنهم {الرَّحِيمُ} ورحيم بعباده فلا يعذبهم لتوبتهم. قال الترمذي ووكيع كلاهما عن عباد بن منصور عن القاسم بن محمد أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيريها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره حتى أن التمرة لتكون مثل أحد). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٨٦].

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ۝ وَأَخْرُوجَنَّ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ
وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٦﴾ ۝ ﴾

{وَقُلِ} قل يا محمد يا رسول الله {اعْمَلُوا} افعلوا ما شئتم أيها الناس كافة
{فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ} فالرؤية لله تعالى من الأزل وإلى يوم القيامة هي واحدة لا
تتغير ولكن ليراها في عالم الحقيقة تتحقق وتعمل وتُفعل من الناس وينظرها الله
تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه في عالم الحقيقة في الدنيا من أصحابها
حتى تكون أفعالهم شاهدة عليهم خيرا كانت أو شراً {وَرَسُولُهُ} سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم وحتى يشهد عليهم يوم القيامة على أعمالهم خيراً أو شراً
آمنوا أو كفروا {وَالْمُؤْمِنُونَ} وكذلك ينظرها ويراها المؤمنون حتى يشهدوا عليها
يوم القيامة {وَسَتُرَدُّونَ} وسترجعون بالموت {إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ} إلى الله تعالى
جل جلاله فهو عالم الغيب يعلمه ، والغيب ما غاب عن الإنسان من الموت
والجنة والنار ويوم القيامة وما يحدث فيه {وَالشَّهَادَةِ} وهي ما تشهده بعينيك في
الدنيا وهو كل ما يدور في الحياة الدنيا فالله تعالى عالم به ويشهده {فَيُنَبِّئُكُمْ}
فيخبركم ويعلمكم {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} بما تعملون في الدنيا من خير أو شر ومن
إيمان وكفر وغير ذلك {وَأَخْرُوجَنَّ مُرْجُونَ} وآخرون من المتخلفين راجعون
{لِأَمْرِ اللَّهِ} لحكم الله تعالى {إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ} إما الله تعالى يقيم عليهم العذاب
والحجة ويعذبهم يوم القيامة في نار جهنم {وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ} وإما يعفو عنهم
ويصفح ويتجاوز عن سيئاتهم وتخلفهم عن الجهاد {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله

وعظم قدره وعلا شأنه {عَلِيمٌ} عليم بأحوالهم وشؤونهم وعلیم بكل شيء في كونه {حَكِيمٌ} ذو حكمة في أوامره ونواهيهِ ولا يخطئ أبداً ونزلت هذه الآية في المتخلفين الثلاثة كما قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وغير واحد تخلفوا عن التوبة وهم مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية قعدوا عن غزوة تبوك في جملة من قعد كسلاً وميلاً إلى الدعة والحفظ وطيب الثمار والظلال. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٨٧].

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارُ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا} وهم الذين بنوا مسجداً أيام النبي محمد صلى الله عليه وسلم ضاراً أي مضره ضد المسلمين والذي أمرهم ببناء المسجد وهو أبو عامر الراهب رجل من الخزرج وكان قد تنصر في الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجراً إلى المدينة بارز بالعداوة للإسلام وخرج فاراً إلى كفار مكة وقد عاد مع مشركي قريش في عام أحد وكان هذا الفاسق المارق قد حفر حفائر فيما بين الصفيين فوقع في إحداهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصيب ذلك اليوم فجرح وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه

واستمال قومه إلى نصرته ولكنهم سبوه فرجع وهو يقول والله لقد أصاب قومي بعدي شر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعاه إلى الله قبل فراره وقرأ عليه من القرآن فأبى أن يسلم وهرب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي صلى الله عليه وسلم فوعده ومناه وأقام عنده وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق يعدهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم أن يتخذوا مسجداً يكون مرصداً له إذا قدم عليه بعد ذلك فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك وجاءوا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي إليهم فيصلح في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشتائية فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: (إنا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله) فلما قفل عليه السلام راجعاً إلى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم نزل عليه جبريل بخبر مسجد الضرار وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم ومسجد قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٨٨]. وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً: خدام بن خالد من بني عبد بن زيد أحد بني عمرو ابن عوف ومن داره أخرج مسجد الشقاق وثعلبة بن حاطب من بني عبيد وموالي بني أمية بن زيد ومعتب بن قشير من بني ضبيعة بن زيد وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بني عمرو بن عوف وحارثة بن عامر وابناه مجمع بن حارثة وزيد بن حارثة ونبتل الحارث وهم من بني ضبيعة ومخرج وهم من بني ضبيعة وبجاد بن عمران وهو من بني ضبيعة ووديعة بن ثابت وموالي بني أمية رهط أبي

لبابة بن عبد المنذر. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٨٨]. {وَكُفْرًا} أي الذين بنوه هم كفار ولمن يكفر معهم وبنوه كفراً منهم {وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ} حتى يجعلوا المؤمنين طوائف وأحزاب ويختلفوا فيما بينهم على الفرائض والسنن والمستحبات ودقائق الأمور وفروعها وعلى القشور {وَأِرْصَادًا} أي رصداً ومراقبة وعيناً وتجسساً على المسلمين {لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} وهذا المسجد هو لمن حارب الله ورسوله أي لمن عادى الله ورسوله {مِنْ قَبْلُ} من قبل أن يبنيوا مسجدهم فهم أعداء لله ولرسوله {وَلِيَحْلِفْنَ} وليقسمن {إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى} أي ما أردنا ببناء هذا المسجد إلا طاعة لله ولرسوله وعبادة {وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} والله تعالى جل جلاله يشهد بإخبار الحقيقة والصدق إن هؤلاء المنافقين الذين بنوا المسجد الضرار لكاذبون في حلفهم وكاذبون في أنهم بنوا المسجد طاعة لله تعالى {لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا} أمر الله تعالى نبيه ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يصلي في هذا المسجد الضرار أبداً وإطلاقاً ونهائياً {لَمَسْجِدٍ أُسَسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ} وهذا المسجد الذي أسس على التقوى من بداية إقامته وهو مسجد قباء الذي بناه النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أول مسجد أقيم في الإسلام في المدينة وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (صلاة في مسجد قباء كعمرة). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٨٩]. {أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ} أولى أن تصلي فيه من مسجد الضرار {فِيهِ رِجَالٌ مُتَّحِبُونَ} في مسجد قباء رجال مؤمنون يحبون {أَنْ يَتَطَهَّرُوا} يتنظفوا من الذنوب والأدران {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {تُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ} يحب الذين يطهرون وقال

الطبراني: حدثنا الحسن بن علي العمري حدثنا محمد بن حميد الرازي حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: " فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا " بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عويم بن ساعدة فقال ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم؟ فقال يا رسول الله ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط إلا غسل فرجه أو قال مقعدته فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (هو هذا). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٨٩]. {أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ} فهل من بنى أساس المسجد وأقامه {عَلَى تَقْوَى مِنْ رَبِّهِ} على ورع وتقوى وخوف من الله تعالى {وَرِضْوَانٍ} وحتى يرضى الله تعالى عليه {خَيْرٌ} أفضل {أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ} أم هل من بنى أساسه {عَلَى شَفَا} على حافة {جُرْفٍ} على تل أو كثيب من الرمل {هَارٍ} ساقط أو آيل للسقوط وقابل للانهيار {فَأَنْهَارٍ بِهِ} فانهار وسقط به {فِي نَارِ جَهَنَّمَ} أي عمله السيء يطيح به ويوقعه في نار جهنم يوم القيامة {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي} لا يدل على عمل الخير ولا إلى طريق الجنة {الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} الظالمين لأنفسهم بالكفر والشرك والذنوب والمعاصي والمخالفة فهم ظلموا أنفسهم بالمعصية في الدنيا وفي النار يوم القيامة {لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا} لا يزال المسجد الضرار الذي بنوه {رِيْبَةً فِي قُلُوبِهِمْ} نفاقاً وشكاً يحيك في قلوب من بنوه {إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ} حتى يموتوا {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَلِيمٌ} يعلم أحوالهم وشؤونهم ويعلم بكل شيء في كونه {حَكِيمٌ} في أوامره ونواهيه وذو حكمة في أفعاله وفي ملكه ولا يخطئ أبداً ويتدبر كل شيء ويدبره.

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٩)

الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠)

{إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} وهم من آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وصدق بهم اشترى منهم صفقة وهي {أَنفُسَهُمْ} ذاتهم وحياتهم وأرواحهم {وَأَمْوَالَهُمْ} بما معهم وما يمتلكون من مال {بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ} وثمان ذلك الشراء هو الجنة يدخلونها يوم القيامة {يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} يجاهدون ويحاربون ويقاتلون العدو بأنفسهم جهاداً في سبيل الله تعالى {فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ} فيقتلون العدو ويقتل العدو منهم من انتهى أجله وعمره {وَعَدًّا عَلَيْهِ} وعداً وعهداً وميثاقاً {حَقًّا} صدقاً {فِي التَّوْرَةِ} وذلك في كتاب التوراة الذي أنزله الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه على سيدنا موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل {وَالْإِنْجِيلِ} وهو كتاب الله تعالى أنزله على عيسى بن مريم عليه السلام إلى النصارى بعد التوراة {وَالْقُرْآنِ} وهو المصحف الشريف الذي أنزله الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه على سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم إلى الأمة الإسلامية وهو آخر الكتب

المنزلة من الله تعالى إلى آخر أمة وإلى يوم القيامة وأثبت الله تعالى الجهاد في كتبه تلك إلى جميع الأديان اليهودية والنصرانية وأمة الإسلام {وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ} ومن أبر ومن هو أوفى بالعهد والوعد والميثاق {مَنْ أَلَّفَهُ} تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه فلا أحد غيره ومثله يوفي بالعهد والوعد والمواثيق {فَأَسْتَبْشِرُوا} فبشرى من الله تعالى والبشرى خبر سار ويأتي بالسرور والأفراح أي يبشرهم الله تعالى بخبر {بِئْبَعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ} بما بعتم أيها المؤمنون أنفسكم وأرواحكم وأموالكم جهاداً في سبيل الله تعالى فالبايع هو المؤمنون والمشتري هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} وذلك البيع بالنفس والمال بالجهاد في سبيل الله هو الفوز الكبير والنجاح بالفوز بالجنة وبرضوان الله تعالى {الْتَّائِبُونَ} وهذه الصفة صفة المؤمنين الذين اشترى الله تعالى منهم أنفسهم وأموالهم وهم التائبون والنادمون والراجعون بالتوبة عن الذنوب والنادمون عليها {الْعَبِيدُونَ} الذين يعبدون الله دائماً ليلاً ونهاراً ويؤدون الفرائض والنوافل والصوم والزكاة والحج من استطاعه منهم والعبادة ليلاً ونهاراً {الْحَمِيدُونَ} الذين يحمدون الله تعالى ويشكرونه على نعمه في السراء والضراء {الْسَّائِحُونَ} وهم الصائمون زيادة على الفرض النوافل وكما أن السائح يتجول دائماً في البلاد التي تعجبه ويقيم فيها وكذلك الصائم يكون سائحاً ومتجولاً في الجنة ويقيم في المكان الذي يعجبه ويريده ولذلك سمي سائحاً. قال القرطبي في تفسيره: وروي عن عائشة أنها قالت: سياحة هذه الأمة الصيام أسنده الطبري ورواه أبو هريرة مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (سياحة أمتي الصيام). وصيام النافلة كيوم الخميس والاثنين وكذلك ثلاثة أيام من كل شهر وهم الأيام البيض الثالث

عشر والرابع عشر والخامس عشر وأفضل الصيام صوم داود عليه السلام كان يصوم يوماً ويفطر يوماً {الرَّاكِعُونَ السَّجِدُونَ} وهم المصلون الفرائض والنوافل كقيام الليل وصلاة الضحى وغير ذلك من النوافل {الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ} من يأمر بالخير كالعلماء وأهل الوعظ والإرشاد والناصحين والصالحين من هذه الأمة {وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ} هم العلماء والحكام وأصحاب الأمر والنهي {وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ} وهم من يحفظ وينهى نفسه عن الهوى واتباع الشهوات في المحرمات والملذات من شرب الخمر ومن القتل والسرقة والزنا وكل المحرمات والمنهي عنها شرعاً {وَدَشِّرِ} وخبر يا محمد يا رسول الله بشارة خير وسرور وفرح وهي دخول الجنة يوم القيامة إلى كل من حفظ حدود الله وعبد الله واتبع أوامر الله واجتنب نواهيه {الْمُؤْمِنِينَ} وبشر كل واحد من المؤمنين من يفعل ذلك بالجنة يوم القيامة.

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمَ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ سُبْحٰنَ ۖ وَيُمِيتُ ۖ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ ﴾

{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ} ليس للنبي محمد صلى الله عليه وسلم إذن {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا} والمؤمنون معه لن يسمح لهم ولا يؤذن لهم {أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ} أن

يستغفروا ويطلبوا المغفرة للمشركين الذين أشركوا مع الله غيره واتخذوا من دون الله
 آلهة وعبدوا معه غيره فلا يطلبوا المغفرة لهم لأنهم لا يستحقوا ذلك {وَلَوْ كَانُوا
 أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ} ولو كانوا من أقرب الأقرباء وأولي الأرحام {مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ} من بعد ما اتضح وتحقق لهم {أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} أنهم أصحاب جهنم
 وأصحاب النار وأهلها يوم القيامة لكفرهم وإشراكهم {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ
 لِأَبِيهِ} وكان استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر {إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ} كان
 عن وعد وعد به إبراهيم عليه السلام أباه آزر بأن يستغفر له ويدعو له {فَلَمَّا
 تَبَيَّنَ لَهُ رَبُّهُ} فلما اتضح له {أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ} أنه يعادي الله تعالى بالشرك والكفر {تَبَرَّأَ
 مِنْهُ} تبرأ من مخالفة أبيه لله تعالى بالشرك والكفر والعصيان وتخلي عن دعائه له
 {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ} إن إبراهيم عليه السلام لمسبح ومتضرع بالدعاء لله تعالى دائماً.
 قال ابن جرير: حدثني المثنى حدثنا الحجاج بن منهال حدثني عبد الحميد ابن
 بهرام حدثنا شهر بن حوشب عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال بينما النبي صلى
 الله عليه وسلم جالس قال رجل يا رسول الله ما الأواه؟ قال: (المتضرع). [ابن كثير
 ج ٢ ص ٣٩٥]. {حَلِيمٌ} بطيء الغضب ويعفو ويسامح عن الزلات مع شدة ما لاقاه
 من التعذيب من والده وعبادته للأصنام. قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق
 حدثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة
 دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية
 فقال: (أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله عز وجل) فقال أبو
 جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال: أنا
 على ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لأستغفرن لك ما لم أنه

عنك) فنزلت: " مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ " قال ونزلت فيه: " إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ " أخرجاه. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا الحسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا زييد بن الحارث الياامي عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن في سفر فنزل بنا ونحن قريب من ألف راكب فصلى ركعتين ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان فقام إليه عمر بن الخطاب وفداه بالأب والأم وقال: يا رسول الله مالك؟ قال: (إني سألت ربي عز وجل في الاستغفار لأمي فلم يأذن لي فدمعت عينايا رحمة لها من النار وإني كنت نهيتكم عن ثلاث: نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها لتذكركم زيارتها خيراً ونهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث فكلوا وأمسكوا ما شئتم ونهيتكم عن الأوعية فاشربوا في أي وعاء شئتم ولا تشربوا مسكراً). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٣]. وروى ابن جرير من حديث علقمة ابن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى رسم قبر فجلس إليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبراً فقلنا يا رسول الله إنا رأينا ما صنعت قال: (إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي) فما رئي باكياً أكثر من يومئذ. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٣]. { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتُهُمْ } لن يضل الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه قوماً هداهم للإسلام والإيمان { حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ } إلا بعد أن يقيم عليهم الحجة ويبين لهم { مَا يَتَّقُونَ } ما يجتنبون من الذنوب والمعاصي ويجتنبون ما حرم الله وما نهى عنه وهذا حجة على الكفار والمشركين بعد إذ هداهم الله بالأنبياء والرسل والكتب المنزلة على رسله وبذلك قام

عليهم الدليل والحجج والبراهين على أوامره ونواهيه واجتناب المحرمات {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه عليم بكل شيء خلقه وعليم في إرسال الرسل وتبليغ رسالتهم للناس ونصحهم لهم بعدم الإشراك والكفر بالله وعدم العصيان والمخالفة وعليم بمن ضل عن سبيله وعليم بأوامره ونواهيه وعليم بكل شيء في كونه ما ينفعهم وما يضرهم {إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه له وحده ملك السموات السبع وما فيهن وملك الأرض وما فيهن وما بينهم وما بعدهم {تُحْيِي ۖ وَيُمِيتُ} يحيي من العدم الناس والخلق والبشر وجميع المخلوقات والكائنات {وَيُمِيتُ} ويميت جميع خلقه بما فيهم الملائكة يوم القيامة وبيده الموت وحده لا شريك له {وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ} وما لكم أيها الناس والخلق جميعاً غير الله تعالى رباً وخالقاً ورازقاً ومحيباً ومميتاً {مِن وَّلِيٍّ} يتولى أمركم وشؤونكم ومصيركم وحياتكم وموتكم {وَلَا نَصِيرٍ} ولا أحد ينصركم غير الله تعالى وينجيكم من عذاب جهنم يوم القيامة.

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ
 الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ
 رَّحِيمٌ ﴿١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ
 وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا
 إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ
 الصَّادِقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

{لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ} لقد عفا الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه
 عن الرسول النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى {وَالْمُهَاجِرِينَ} الذين
 هاجروا معه من مكة إلى المدينة {وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ} وهم أهل المدينة ممن
 خرج معه {فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ} في ساعة الضيق في العيش وشدة المؤنة وشدة الحر
 وقساوة السفر في غزوة تبوك إلى الشام {مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ} من بعد ما كان
 يتحول وينقلب بعض الناس عن الإسلام {قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ} أي قلوب قسم من
 المهاجرين والأنصار في تلك الغزوة من شدة الحر والمجاعة حتى أنه كان يتقاسم
 التمرة نفران لقلّة الزاد والطعام والشراب وكذلك الراحلة {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ} ثم تاب
 الله تعالى عنهم وعفا عنهم لضيقهم وشكهم في الله ورسوله من شدة ما لاقوا في تلك
 الغزوة وتاب الله عليهم بأن لا يعيدها ومثلها عليهم بعد ذلك {إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ}
 إنه الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه بالمسلمين المجاهدين رءوف وشفوق
 عليهم {رَّحِيمٌ} يرحمهم ولا يعذبهم وسيدخلهم الجنة يوم القيامة. قال ابن
 جرير: حدثني يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث

عن سعيد بن أبي هلال عن عتبة بن أبي عتبة عن نافع بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب في شأن العسرة فقال عمر ابن الخطاب: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً فأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع وحتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبتة ستنقطع وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيراً فادع لنا فقال: (تحب ذلك؟) قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى سألت السماء فأهطلت ثم سكنت فملؤوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجد ما جاوزت العسكر. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٦]. {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلْفُوا} وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع تخلفوا عن غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم عام تبوك إلى الشام {حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ} ضاقت عليهم الأرض وصغرت مع وسعها واتساعها لمقاطعة الأهل والأصدقاء والناس لهم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم لتخلفهم عن الجهاد معه في غزوة تبوك {بِمَا رَحِبْتَ} بما اتسعت {وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ} قهراً وضيقاً وحرزاً وألماً لتخلفهم عن غزوة تبوك ولقاطعة الناس لهم والأهل {وَوَظَنُوا} واعتقدوا وتأكدوا وتحققوا {أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ} لا التجاء ولا مساعدة ولا مساندة إلا من الله تعالى ولا أحد غيره يساعدهم ويعفو عنهم {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ} ثم تاب الله عليهم بعد خمسين ليلة {لِيَتُوبُوا} ليندموا ويرجعوا عن التخلف عن الجهاد بعد ذلك {إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ} إن الله تعالى هو الذي يتوب ويقبل التوبة عن عباده {الرَّحِيمُ} يرحم كل من تاب وندم ورجع عن المخالفة ولا

يعذبه ويدخله الجنة يوم القيامة. قال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن أخي الزهري محمد بن عبد الله عن عمه محمد ابن مسلم الزهري أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله ابن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمي قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال كعب ابن مالك: لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة غزاها قط إلا في غزاة تبوك غير أنني كنت تخلفت في غزاة بدر ولم يعاتب أحد تخلف عنها وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توثقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها وأشهر وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفاوز وعدواً كثيراً فخلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فأخبرهم وجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان - قال كعب: فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفى عليه ما لم ينزل فيه وحى من الله عز وجل وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزاة حين طابت الثمار والظلال وأنا إليها أصغر فتجهز إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض من جهازي

شيئاً فأقول لنفسي أنا قادر على ذلك إذا أردت فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً وقلت أتجهز بعد يوم أو يومين ثم ألحقه فعدوت بعدما فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض من جهازي شيئاً ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو فهممت أن أرتحل فألحقهم وليتني أني فعلت ثم لم يقدر ذلك لي فطفقت إذا خرجت في الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق أو رجلاً ممن عذره الله عز وجل ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك: (ما فعل كعب بن مالك؟) فقال رجل من بني سلمة: حبسه يا رسول الله برده والنظر في عطفه فقال معاذ ابن جبل: بنسما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلاً من تبوك حضر بتي وطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غداً وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادماً زاح عني الباطل وعرفت أني لم أنج منه بشيء أبداً فأجمعت صدقه فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلاً فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ويستغفر لهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى حتى جئت فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال لي: (تعال) فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: (ما خلفك ألم تكن قد اشتريت ظهراً؟) فقلت يا رسول الله إنني

لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلاً ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم بحديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي ولئن حدثتك بصدق تجد علي فيه إني لأرجو عُقْبِي ذلك من الله عز وجل والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك) فقمتم وقام إلي رجال من بني سلمة واتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ولقد عجزت إلا أن تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلفون فقد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك قال: فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لقيت معي هذا أحداً؟ قالوا نعم لقيه معك رجلان قالوا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت فمن هما؟ قالوا مرارة بن الربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرأ لي فيهما أسوة قال فمضيت حين ذكروهما لي فقال ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض فما هي بالأرض التي كنت أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان وأما أنا فكانت أشد القوم وأجلدهم فكانت أشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالأسواق فلا يكلمني أحد وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مجلسه بعد الصلاة فأسلم وأقول في نفسي أحرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي فإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال علي ذلك من هجر المسلمين مشيت حتى تسورت حائط أبي قتادة

وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت له :
يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلم أنني أحب الله ورسوله قال فسكت قال فعدت له
فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فسكت فقال الله ورسوله أعلم. قال ففاضت
عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا أنا ببنبطي
من أنباط الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل علي كعب بن مالك
قال فطفق الناس يشيرون له إلي حتى جاء فدفع إلي كتاباً من ملك غسان وكنت
كاتبةً فإذا فيه : أما بعد فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك وإن الله لم يجعلك في دار
هوان ولا مضیعة فالحق بنا نواسك. قال فقلت حين قرأته وهذا أيضاً من البلاء قال
فتيممت به التنور فسجرت به حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا برسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني يقول : يأمرك رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن تعتزل امرأتك قال فقلت أطلقها أم ماذا أفعل؟ فقال : بل اعتزلها ولا
تقربها قال وأرسل إلي صاحبي بمثل ذلك قال فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فكوني
عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما يشاء قال فجاءت امرأة هلال ابن أمية
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن هلالاً شيخ ضعيف ليس
له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ قال : (لا ولكن لا يقربك) قالت وإنه والله ما به من
حركة إلى شيء وإنه والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا قال
فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد
أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه قال فقلت والله لا أستأذن فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما أدري ما يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
استأذنته وأنا رجل شاب قال فلبثنا عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين
نهى عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الصبح صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من

بيوتنا فبيننا أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صارخاً أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته: أبشر يا كعب بن مالك قال فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء الفرج من الله عز وجل بالتوبة علينا فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض إلي رجل فرساً وسعى ساع من أسلم وأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنني نزعته له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته له والله ما أملك يومئذ غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنوني بتوبة الله يقولون ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد والناس حوله فقام إلي طلحة بن عبد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور: (أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك) قال قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: (لا بل من عند الله) قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر حتى يعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله قال: (أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك) قال فقلت فإني أمسك سهمي الذي بخيبر وقلت يا رسول الله إنما نجاني الله بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت قال فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني الله

تعالى والله ما تعدمت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا وإنني لأرجو أن يحفظني الله عز وجل فيما بقي. (قال) وأنزل الله تعالى: " لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رءُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ " إلى آخر الآيات قال كعب:

فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوه فإن الله تعالى قال للذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال الله تعالى: " سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ " قال وكنا أيها الثلاثة الذين خلفنا عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله أمرنا حتى قضى الله فيه فلذلك قال عز وجل " وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَّفُوا " وليس تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا الذي ذكر مما خلفنا بتخليفنا عن الغزو وإنما هو عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه. هذا حديث صحيح ثابت متفق على صحته رواه صاحبها الصحيح البخاري ومسلم من حديث الزهري بنحوه فقد تضمن هذا الحديث تفسير هذه الآية الكريمة بأحسن الوجوه وأبسطها وكذا روي عن غير واحد من السلف في تفسيرها كما رواه الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله في قوله تعالى: " وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ

خُلِّفُوا " قال: هم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكلهم من الأنصار وكذا قال مجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد وكلهم قال مرارة ابن ربيعة وكذا في مسلم ابن ربيعة في بعض نسخه وفي بعضها مرارة بن الربيع وفي رواية عن الضحاك مرارة بن الربيع كما وقع في الصحيحين وهو الصواب وقوله فسموا رجلين شهدا بدرًا قيل إنه خطأ من الزهري فإنه لا يعرف شهود واحد من هؤلاء الثلاثة بدرًا والله أعلم. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٩]. {يَتَأَيُّمُوا الَّذِينَ آمَنُوا} يا أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر {اتَّقُوا اللَّهَ} خافوا الله واخشوه وابتعدوا عن معاصيه {وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} وهم المؤمنون ومن صدق ولم يكذب بالله ولا برسله ولا بكتبه ولا باليوم الآخر. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا). [أخرجاه في الصحيحين - ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٩].

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

{ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ } ما كان لأهل المدينة حق لهم ومن حولهم من الأعراب البدو المتنقلين { أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ } أن لا يجاهدوا مع رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأن لا يخرجوا معه للحرب والقتال والجهاد في سبيل الله { وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ } ولا يبذوا ولا يفضلوا أنفسهم عن نفس النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم { ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ } وأنه لا يصيبهم عطش { وَلَا نَصَبٌ } ولا تعب ولا مشقة { وَلَا مَخْمَصَةٌ } ولا مجاعة ولا شدة ولا قحط { فِي سَبِيلِ اللَّهِ } في الجهاد في سبيل الله وفي طاعته وإعلاء شأن الدين { وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا } ولا يقفون موقفاً يصلونه وتصله أقدامهم { يَغِيظُ الْكُفَّارَ } يغضبهم ويزعجهم ويقهرهم { وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا } ولا يقهرونه وينتصرون عليه ويسلبونه المال والنفس { إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ } إلا كتب وسجل في صحيفة حسناتهم عمل صالح وعمل خير ويثابون عليه حسنات { إِنَّ اللَّهَ } إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { لَا يُضِيعُ } لا يذهب { أَجْرَ } ثواب { الْمُحْسِنِينَ } المخلصين جهادهم وأعمالهم

وطاعتهم لله تعالى {وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً} ولا يتصدقون بصدقة {صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً} صغرت أو كبرت قلت أو كثرت {وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا} ولا يعبرون ولا يتجاوزون وادياً من الوديان والوادي هو منحدر ومنخفض من الأرض تجري فيه مياه الأمطار في الشتاء {إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ} إلا سجل لهم في صحائفهم عمل صالح {لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ} ليثيبهم الله ويكافئهم {أَحْسَنَ} أفضل {مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} مما عملوا في الدنيا.

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

{وَمَا كَانَ} لا يحق {الْمُؤْمِنُونَ} وهم من آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً {لِيَنْفِرُوا كَافَّةً} ليجاهدوا في سبيل الله كلهم وخاصة إذا بقي النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ولم يخرج للجهاد {فَلَوْلَا} فهلا {نَفَرَ} ذهب واستعد وتجهز {مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ} من كل مجموعة مقاتلة {مِّنْهُمْ} أي من المؤمنين {طَائِفَةٌ} أي جماعة أو عدد قليل {لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ} ليتعلموا فقه الشريعة وأصول الدين وما ينزل من القرآن عند نزوله ويتعلموه {وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ} وليبلغوا قومهم ما نزل من القرآن ويحذروهم من مخالفة أمر الله تعالى ومن المعصية {إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ} إذا عادوا إليهم من المعركة والجهاد {لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} لعلهم يجتنبون محارم الله ومعصيته. وفي الصحيحين من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن بالمدينة أقواماً ما قطعتم وادياً ولا سرتهم سيراً إلا وهم معكم) قالوا وهم بالمدينة؟ قال: (نعم حبسهم العذر). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٨٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً
وَءَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿١١٣﴾

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا } يا أيها المؤمنون يا من آمنتُم بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر { قَاتِلُوا } جاهدوا وحاربوا { الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ } الذين
يواجهونكم ويكونون أقرب إليكم ممن كفر ووجد بالله وبرسوله وكتبه واليوم الآخر
{ وَلِيَجِدُوا } وليشاهدوا ويروا في حربكم لهم { فِيكُمْ غِلْظَةً } فيكم قوة وشدة
وشجاعة وعنفة { وَءَعْلَمُوا } أي تأكدوا أيها المؤمنون { أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } مع
الصابرين الذين يتقون الله ويخافون عقابه وعذابه ويطيعونه في أوامره ونواهيه
ويبتعدوا عن معاصيه.

﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ءِيمَنًا فَأَمَّا الَّذِينَ
ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ ءِيمَنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ ﴿١١٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١١٥﴾ أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ
يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ
﴿١١٦﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ
أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ﴿١١٧﴾

{ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ } وإذا ما أنزل الله تعالى سورة من القرآن الكريم بواسطة
جبريل عليه السلام من بيت العزة في السماء الدنيا حسب الأحداث والوقائع. لأن
القرآن الكريم وجد في ثلاثة أماكن مختلفة وكلها محفوظة من الله تعالى: الأولى في
اللوحة المحفوظة كما قال تعالى: " بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ " ٢١، ٢٢
البروج. والثانية في السماء الدنيا في بيت العزة وكما قال تعالى: " إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ

الدُّنْيَا بَزِيئَةِ الْكُؤَاكِبِ {٦} وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ {٧} " ٧، ٦ الصافات. ثالثاً حفظه في الأرض كما قال تعالى: " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " ٩ الحجر. وتلك الأماكن المتفرقة وحفظ الله تعالى فيها لعظمة شأن القرآن الكريم ومنزلته عند الله تعالى {فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ يُقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا} فمن المنافقين والكفار من يقول بعضهم لبعض استهزاءً وسخرية بكتاب الله تعالى منكم ازداد إيماناً وصدق بهذه السورة التي نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا} فالمؤمنون الذين آمنوا وصدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا} زادتهم إيماناً وبقيناً وتصديقاً {وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} وهم يفرحون ببشارة دخول الجنة لطاعتهم لله تعالى {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ} وأما الذين في قلوبهم مرض النفاق والكفر والعصيان والمخالفة والجحود والإنكار {فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ} فزادتهم نجاسة على ما هم فيه من نجاسة وذنباً فوق ذنب الكفر أي زادتهم كفرًا إلى كفرهم ونفاقاً إلى نفاقهم وذنباً إلى ذنبهم وإثماً إلى إثمهم وشركاً إلى شركهم وخبثاً زيادة على خبثهم {وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ} وجاءهم الموت وقبضت أرواحهم وهم على الكفر ولم يؤمنوا {أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ} أُولَٰئِكَ يشاهدون بأعينهم {أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ} أنهم يصابون بالمصائب والحروب والأمراض والبلاء {فِي كُلِّ عَامٍ} في كل سنة تمر عليهم من حياتهم {مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ} أي يصابون بأنواع البلاء والحروب مرة أو مرتين في العام الواحد {ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ} ثم لا يندمون ولا يرجعون عن كفرهم وشركهم ونفاقهم {وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ} ولا هؤلاء الكفار والمنافقون والمشركون يتعظون وينفكرون في المصائب وأنواع البلاء والحروب التي تأتيهم عذاباً على كفرهم ونفاقهم وجحودهم

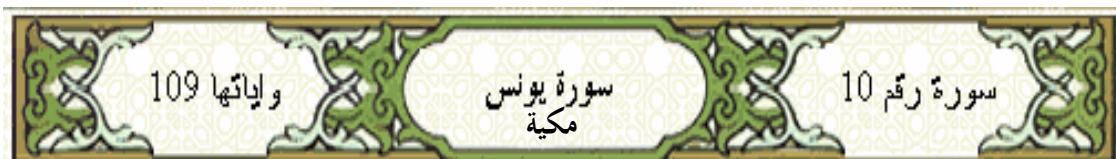
وإنكارهم بدين الإسلام {وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ} وإذا أنزل الله تعالى بواسطة جبريل عليه السلام سورة من القرآن بالأحداث التي يذكر فيها شأنهم {نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ} نظروا إلى بعضهم نظراً أي يشير بعضهم إلى بعض بعينيه {هَلْ يَرَنكُمْ مِنْ أَحَدٍ} يسأل بعضهم بعضاً هل رآكم أحد من المسلمين أو الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم دلالة على عصيانهم وتخلفهم عن الجهاد وعن طاعة الله ورسوله وعن كفرهم ونفاقهم وجحودهم وإنكارهم لما نزل من القرآن {ثُمَّ أَنْصَرَفُوا} ثم انصرفوا إلى شأنهم ولم يؤمنوا ولم يصدقوا ولم يطيعوا الله ورسوله {صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} أبعدهم عن الطاعة وعن الإيمان {بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} فإنهم قوم لا يفهمون ويجهلون الحق والصواب وما ينفعهم في الدنيا والآخرة.

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾

{لَقَدْ جَاءَكُمْ} لقد أتاكم بالرسالة ودين الإسلام والقرآن الكريم {رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ} رسول مرسل من قبل الله تعالى من أنفسكم من بني آدم وليس من الجن أو الملائكة وعربي منكم وبلغتكم {عَزِيزٌ عَلَيْهِ} يعز عليه ويحز في نفسه ويعظم عليه {مَا عَنِتُّمْ} ما اختلفتم وتباغضتم وتعاديتم عليه {حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} أمين عليكم ويخاف عليكم السوء والشر والعصيان والمخالفة لله تعالى {بِالْمُؤْمِنِينَ} بمن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر

{رَّءُوفٌ} يتراءف عليكم وشفوق ويخاف عليكم من كل سوء ومن كل شر {رَّحِيمٌ} يرحم الضعفاء وبالمؤمنين عموماً يرحمهم ويشفق عليهم ويخاف عليهم ولا يحملهم ما لا يطيقون {فَإِنْ تَوَلَّوْا} فإن الكفار أعرضوا عنك يا محمد يا رسول الله وعن الإيمان والجهاد في سبيل الله والطاعة لك والله تعالى {فَقُلْ} فقل يا محمد يا رسول الله {حَسْبِيَ اللَّهُ} فهو كافيني وناصرني الله تعالى {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} لا إله غيره ولا معبود سواه هو وحده لا شريك له {عَلَيْهِ} على الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {تَوَكَّلْتُ} اعتمدت في الأمر كله وفي جميع أموري وشؤوني {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {رَبُّ} رب وخالق وإله {الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} عرش الله تعالى الكبير والعظيم الذي هو أجل وأعظم وأكبر مخلوقات الله تعالى. وفي الحديث: (ما السموات السبع والأرضون السبع وما بينهن وما فيهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وإن الكرسي بما فيه بالنسبة إلى العرش كتلك الحلقة في تلك الفلاة). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٣]. وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد ابن أبي بكر حدثنا بشر بن عمر حدثنا شعبة عن علي ابن زيد عن يوسف ابن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما عن أبي بن كعب قال: هي آخر آية نزلت في القرآن. [ابن كثير ج ٢ ص ٤٠٥]. وفي الصحيح أن زيدا قال فوجدت آخر سورة براءة مع خزيمة بن ثابت أو أبي خزيمة وقد روى أبو داود عن يزيد بن محمد عن عبد الرزاق بن عمر - وقال كان من ثقات المسلمين من المتعبدين - عن مدرك ابن سعد قال يزيد شيخ ثقة عن يونس بن ميسرة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال من قال إذا أصبح وإذا أمسى: (حسبي الله لا إله إلا

هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) سبع مرات إلا كفاه الله ما أهمه. [ابن كثير ج ٢ ص ٤٠٥].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾

{الر} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وبنفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وباللغة التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جعلت في أول سور القرآن الكريم حتى يعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة

إلى تَكُونِ الْقُرْآنِ من هذه الحروف العربية لَدُكِرَتْ في أوائل جميع سور القرآن. وليست كذلك طلاسماً لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢٠١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢٠١ لقمان. وعليه فمعنى (الر) هي قوله تعالى: " اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ " ٢ الرعد. {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ} وهنا جلاله التوضيح والتفصيل من لدن حكيم خبير بأن تلك الأحرف في أوائل السور في القرآن الكريم هي عبارة عن آيات قرآنية وهذه الأحرف اختصارات لتلك الآيات من كتاب الله تعالى وهو القرآن {الْحَكِيمِ} أي كتاب ذو حكمة في أوامره ونواهيه ولا يخطئ أبداً والمحكم في آياته وبياناته {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا} بعد أن بيّن سبحانه وتعالى للناس معجزاته: (الأولى) اللفظية وهي عظيم وجليل فصاحة وبلاغة ومعجزة أوائل حروف السور في قرآنه وهي مجمل واختصارات لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة (والثانية) المعجزة الكونية وهي قدرة الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه في خلق السموات ورفعها بغير عمد ترونها وتسخير الشمس والقمر وهي جمادات تسير في مداراتها وأوقاتها لا تتقدم ولا تتأخر لحظة واحدة

بأمره تعالى وهي جمادات فهل عَجِبَ النَّاسُ مِنْ {أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ} أَنْ أُرْسِلَ اللَّهُ تَعَالَى جَلْ جَلَالِهِ وَعَظْمَ قَدْرِهِ وَعَلَا شَأْنَهُ أَوْحَى إِلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَسْطَةِ جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَجُلٍ مِنَ النَّاسِ وَلَيْسَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى يَكُونَ رَجُلًا مِنْهُمْ يَتَسَاوَى مَعَهُمْ فِي الْخَلْقَةِ وَالْعَمَلِ يَجُوعُ كَمَا يَجُوعُونَ وَيَتَعَبُ كَمَا يَتَعَبُونَ وَيَعْبُدُ اللَّهَ كَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ صَوْمٍ وَصَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ {أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ} حَذَرَ النَّاسِ مِنْ مَخَالَفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنَ الْإِشْرَاقِ بِهِ وَعِبَادَتِهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَمَنْ يَخَالَفُ وَيُنْكَرُ وَيُجْحَدُ ذَلِكَ يَعْذِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَبئسَ الْمَصِيرُ {وَدَبِّشِرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا} وَبَشِّرِ يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِبَشَارَةِ فَرَحٍ وَخَيْرٍ وَسُرُورٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَصَدَقُوا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا وَرَسُولًا وَآمَنُوا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ {أَنْ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ} أَنْ لَهُمْ سَابِقَةَ خَيْرٍ وَمَنْزِلَةَ وَمَكَانَةَ بِمَا قَدَمُوا مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى رَبِّهِمْ وَخَالَقَهُمْ {قَالَ الْكَافِرُونَ} قَالَ الْكَافِرُونَ وَهُمْ مِنْ جَحْدٍ وَأَنْكَرَ رِسَالَةَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {إِنَّ هَذَا نَبِيُّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} لَسَاحِرٌ مُبِينٌ} لَسَاحِرٌ عَظِيمٌ يَسْحَرُ النَّاسَ بِكَلَامِهِ وَبِالْقُرْآنِ وَلِذَلِكَ يُؤْمِنُ مَعَهُ مَنْ آمَنَ. وَهَذَا نَزْدٌ عَلَيْهِمْ وَنَقُولُ: فَلَمَّا ذَا لَا يَسْحَرُهُمْ فَيُؤْمِنُونَ كَمَا آمَنَ النَّاسُ كَمَا يَدْعُونَ أَنَّهُ سَاحِرٌ فَحَجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ وَقَوْلُهُمْ مُرَدُّدٌ عَلَيْهِمْ فَهُوَ رَسُولٌ وَلَيْسَ سَاحِرًا.

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۗ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٢﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۗ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۗ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝٣﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٤﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٥﴾

{إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ} إن ربكم وخالقكم ومحبيكم ومميتكم ورازقكم هو الله تعالى جل جلاله وعظ قدره وعلا شأنه {الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ} هو الذي خلق السموات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهما وهذا يدل على عظيم قدرته في خلق السموات وارتفاعها وخلق ما فيها من ملائكة وهم الملائكة الأعلى وما فيها من شمس وقمر ونجوم وكواكب وشهب والأرض وما فيها من إنس وجن وحيوانات وطيور وأشجار وبحار وأنهار وسيول وجبال وغير ذلك وكما قال تعالى: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ" ١٢ الطلاق. {فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} خلق الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه السموات والأرض في ستة أيام من أيام الأسبوع واليوم عند الله تعالى مقداره ألف سنة مما تعدون وكما قال تعالى: "يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" ه السجدة. وقال تعالى: "وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" ٤٧ الحج. {ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ} وهنا الاستواء ليس الجلوس ومعنى الاستواء هو بدأ بتدبير شؤون كونه بتدبير الأمر من خلق وحياة وموت ورزق وغير ذلك وكما قال تعالى: " هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " ٢٩ البقرة. وهنا نُذَكِّرُ بأن كل كلمة في القرآن يكون لها عدة معاني مختلفة حسب موقعها من الكلام في الجملة وفي الآية وعلى سبيل المثال لا الحصر فكلمة (أُمَّة) في القرآن تعني مرة أنها جماعة من الناس وفي مرة أخرى معناها مدة من الزمن ، فالأولى وتعني جماعة من الناس كما قال تعالى: " وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ " ٢٣ القصص. والمعنى الثاني وهي مدة من الزمن كما قال تعالى: " وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ " ٤٥ يوسف. وهكذا يتغير المعنى.

وقال ابن جرير: حدثنا هناد بن السرى حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال هناد قرأت سائر الحديث أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال صلى الله عليه وسلم: (خلق الله تعالى الأرض يوم الأحد ويوم الإثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الأربعاء - الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب - فهذه أربعة " قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءٍ لِّلسَّائِلِينَ " لمن سأله قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة) ثم قالت اليهود ثم ماذا يا

خالد قال: (ثم استوى على العرش) قالوا قد أصبت لو أتممت قالوا: ثم استراح. فغضب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غضباً شديداً فنزل: " وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ * فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ". [هذا الحديث فيه غرابة كما قال ابن كثير في كتابه ج ٤ ص ٩٤]. وأنا أبو أحمد أراه صحيحاً لأنه مطابق للآيات القرآنية. وفي الحديث الآخر لابن جريج عن إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال: (خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الإثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل). [رواه مسلم والنسائي في كتابيهما من حديث ابن جريج به وهو من غرائب الصحيح وقد علله البخاري في التاريخ فقال رواه بعضهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الأحبار وهو الأصح - ابن كثير ج ٤ ص ٩٤]. ومن هذه الأحاديث أنه تعالى في معنى (الاستواء) أنه منزّه عن فوق يرفعه وعن تحت ينزله وعن عرش يحمله وعن سماء تكتنفه وعن غمام يُظلّه وعن جهة تُحدّه وعن مكان يُقلّه كما قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه لما سُئل عن قوله تعالى: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى" قال: من حصر الله تعالى في الجهة الفوقية أو التحتية فقد كفر. [نزهة المجالس ص ٧]. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه من زعم أن الله تعالى في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك به إذ لو كان على شيء لكان محمولاً ولو كان من شيء لكان محدثاً ولو كان في شيء لكان محصوراً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. [نزهة المجالس ص ٨]. وقال الإمام أحمد: حدثنا

يزيد بن هارون أخبرنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عابس عن عمه أبي رزين واسمه لقيط بن عامر بن المنفق العقيلي قال: قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: (كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق العرش بعد ذلك). [وقد رواه الترمذي في التفسير وابن ماجه في السنن من حديث يزيد بن هارون به وقال الترمذي: هذا حديث حسن - ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٧]. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقبلوا البشرى يا بني تميم) قالوا: قد بشرتنا فأعطنا قال: (اقبلوا البشرى يا أهل اليمن) قالوا قد قبلنا فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان؟ قال: (كان الله قبل كل شيء وكان عرشه على الماء وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء) قال: فأتاني آت فقال: يا عمران انحلت ناقتك من عقالها قال فخرجت في إثرها فلا أدري ما كان بعدي وهذا الحديث مخرج في صحيح البخاري ومسلم بألفاظ كثيرة فمنها قالوا: جنناك نسألك عن أول هذا الأمر فقال: (كان الله ولم يكن شيء قبله وفي رواية - غيره - وفي رواية - معه - وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض) وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٧]. {مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ} لا أحد يشفع يوم القيامة للناس إلا بعد أن يأذن الله بذلك كما قال تعالى: " مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ " ٢٥٥ البقرة. وكما قال تعالى: " يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا " ٣٨ النبأ. وكما قال تعالى: " يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ

أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا " ١٠٩ طه. والشفاعة يوم القيامة تكون بعد إذن الله تعالى لهم فيشفع الأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء والصالحون والمؤذنون والأولاد الذين لم يبلغوا الحلم. [خزينة الأسرار ص ١٣٢]. {ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ} ذلك هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه فهو ربكم وخالقكم ومحييكم ومميتكم ورازقكم وحده لا شريك له فاعبدوه وحده وأطيعوه واتقوه {أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} أفلا تعتبرون وتتفكرون في خلق الله تعالى السموات والأرض وخلقكم من العدم أفلا تذكرون نعمه عليكم وخلقكم لكم وخلق السموات والأرض وما فيهن وما بينهما فتذكروه بالعبادة والتقوى والطاعة {إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا} إليه مصيركم ترجعون إليه يوم القيامة ليحاسبكم على أعمالكم {وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا} وعد الله ببعثكم يوم القيامة للحساب والجزاء والثواب والجنة والنار هو حق وصدق {إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} إن الله تعالى وحده لا شريك له هو الذي بدأ الخلق من العدم وأحياه ثم يميتة ثم يعيده حياً يوم القيامة {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} ليثيب المؤمنين الذين عملوا الصالحات من الأعمال الخيرية والبر والعبادة والطاعة {بِالْقِسْطِ} بالعدل {وَالَّذِينَ كَفَرُوا} والذين أنكروا ووجدوا ممن كفر ووجد وأنكر بسيدنا محمد نبياً ورسولاً وأنكر دين الإسلام {لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ} لهم شراب يشربونه ويسقونه يوم القيامة من ماء مغلي شديد الحرارة والغليان {وَعَذَابٌ أَلِيمٌ} وعذاب في نار جهنم موجع وأليم وشديد {بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} بكفرهم وجحودهم وإنكارهم برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وبدين الإسلام {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً} هو الله

تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه الذي خلق الشمس وجعلها ضياء في النهار للناس بشعاع قوي {وَالْقَمَرَ نُورًا} والقمر جعل ضياءه نوراً أي شعاعه لا يحرق كالشمس وهو كالمرآة ينعكس عليه شعاع الشمس فيضيء في الليل {وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ} وقدره الله تعالى وجعله بقدرته في منازل متعددة في أول الشهر يكون هلالاً وفي منتصف الشهر بدرًا وهكذا {لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ} لتعلموا ولتعرفوا أيها الناس بطلوع الشمس عدد الأيام وظهور القمر في أول كل شهر ليعلم بهلال الشهر حتى يعلم عدد السنين لأن السنة عددها ثنا عشر شهرًا كما قال تعالى: " إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ " ٣٦ التوبة {وَالْحِسَابَ} أي حساب الشهر وعدد أيامه والسنة وعدد شهورها وأيامها {مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ} ما خلق الله الشمس والقمر وجعله منازل إلا بالحق والصدق والعدل والصواب وحتى تعلموا أوقات الصلاة والصوم والحج والأشهر الحرم التي ليس بها قتال إلا من اعتدى عليكم أيها المسلمون {يُفَصِّلُ الْآيَاتِ} يفسر ويوضح ويبين ويعين آيات القرآن الكريم {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} لقوم يعلمون أمور دينهم وحياتهم وآخرتهم ويعلمون أنه الحق من ربهم فلا يظلمون أنفسهم بالمعاصي والذنوب والآثام ويعبدون الله تعالى وحده لا شريك له ويعلمون قدرة الله تعالى وحكمته في ذلك {إِنَّ فِي آخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} إن في دوام تبادل الليل والنهار وتعاقبهما {وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ} وما خلق الله تعالى في السموات السبع من الملائكة وخلق الشمس والقمر والنجوم والكواكب والشهب والأفلاك {وَالْأَرْضِ} وما فيها من بحار وأنهار وجبال وسهول وإنس وجن وحيوانات وطيور وأشجار ونباتات وفواكه شتى {لآيَاتٍ} لدلائل وبيانات

ومعجزات على قدرة الله تعالى وعلى عظيم خلقه وقدرته جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ} لقوم مؤمنين يخافون الله ويخشونه ويطيعونه ويعبدونه وحده ويبتعدون عن معاصيه والإشراك والكفر به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَاٰخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾

{إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا} إن الذين لا يأملون لقاء الله تعالى يوم القيامة وهم المشركون والكفار والجاحدون والمنكرون برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا} وقبلوا بالدنيا دون الآخرة {وَاطْمَأَنُّوا بِهَا} واطمأنوا وقبلوا بالدنيا وملذاتها وزينتها وشهواتها وزخرفها وارتاحوا لنعيمها وتركوا الآخرة وعبادة الله وحده خلف ظهورهم {وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ} ومن منهم غفل وسها عن آيات الله ودلائله وبياناته ومعجزاته ولا يلتفتون وساهون عنها وتركوها ولم يؤمنوا بها {أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ} أولئك مصيرهم نار جهنم يوم القيامة {بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} يقتربون المعاصي والشهوات والملذات من المحرمات {إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا} إن المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} عملوا الأعمال الصالحة من الخير والبر والعبادة لله تعالى وطاعته {يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ} يدلهم الله تعالى ويرشدهم على أعمال الخير

والصلاح وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له وذلك ثمرة إيمانهم وتصديقهم بربهم أنه الخالق والمحيي والمميت والرازق سبحانه وتعالى {تَجْرِي مِنَ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ} تجري أنهار الجنة تحت قصورهم وأشجارهم {فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ} وهنا الجنات بالجمع لأن كل مؤمن له جنة خاصة به ونعيم دائم {دَعَوْنَهُمْ فِيهَا} طلبهم وسؤالهم فيها {سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ} تنزيهاً لك اللهم استجب {وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا} التحية عند المقابلة لبعضهم البعض في الجنة {سَلِّمٌ} لأن فيها الأمان ولا خوف فيها ولا اعتداء {وَأَخْرَجُوا دَعَوْنَهُمْ} ونهاية طلبهم وسؤالهم بعد استجابة الله تعالى لهم {أَنْ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} يشكروا الله تعالى ويحمدوه ويثنوا عليه بتلك الاستجابة والنعيم المقيم.

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ ۗ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

{وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ} ولو يعجل الله بالاستجابة للناس في دعاء الشر على أنفسهم كما يستعجلون في استجابة طلب الخير لهم كما قال تعالى: " وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا " ١١ الإسراء. {لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ} لاستجاب الله تعالى لهم وقضى عليهم بالموت وأهلكهم {فَنَذَرُ} فنترك وندع {الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا} الذين لا يأملون في بعثهم بعد موتهم يوم القيامة والرجوع إلى الله تعالى للحساب يوم القيامة وهم الكفار

والمنافقون والمشركون { فِي طُغْيَانِهِمْ } في عصيانهم وكفرهم { يَعْمَهُونَ } يتخبطون ويزدادون معصية وذنباً وإثماً { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ } وإذا أصاب الإنسان ونزل عليه { الضُّرُّ } الشر والبلاء والمصيبة { دَعَاَنَا لِحَبِيبِهِ } طلب منا من الله تعالى الاستجابة والوقوف معه في محنته وكما قال تعالى: " وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ " ٥١ فصلت. { أَوْ قَاعِدًا } أي مريضاً ولا يستطيع الذهاب أو التصرف أو الحركة أو محصوراً أو مسجوناً أو أسيراً أو غير ذلك { أَوْ قَائِمًا } أي يقوم بعمله أو مجاهداً أو مشغولاً بأمر من الأمور أو ساعياً في الرزق أو في التوجه لقضاء الحاجات أو في السفر في ضيق ألم به وكذلك الدعاء يجوز أن يدعو الله تعالى باسماً يديه إلى السماء يدعوه وهو جالس أو واقف حسب حالته { فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ } فلما أذهبنا عنه الشر والضيق الذي نزل به واستجبنا له دعاءه { مَرًّا } ذهب وانصرف بعد رفع الضيق والمحنة والمصيبة التي أصابته من قبل { كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ } إلى شر وضيق قد وقع به من قبل ونسي ذلك وكأنه رُفِعَ عنه بمحض الصدفة أو بدون دعاء من الله تعالى أي جحد وأنكر فضل الله تعالى عليه { كَذَلِكَ } وهكذا { زِينٍ } زخرف { لِلْمُسْرِفِينَ } للمذنبين والعاصين وغير المبالين بعبادة الله وطاعته وعدم الإيمان والتصديق بكرامات ومعجزات وفضل الله تعالى عليهم { مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ما عملوا في الدنيا من المعاصي والذنوب والآثام والكفر وفرحوا بها وبملذاتها.

﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تَتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنتِ بِفِرْعَوْنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾

{وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ} ولقد أهلك الله تعالى الأمم السابقة في القرون الماضية ممن جاء قبلكم من الأمم أهلكهم الله وقتلهم إما بالحروب وإما بالزلازل والصواعق وإما بالغرق كقوم نوح {لَمَّا ظَلَمُوا} عندما ظلموا أنفسهم بالشرك والكفر والمعاصي والذنوب والآثام والطغيان وتكذيب الرسل {وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} وجاءتهم رسلهم بالدلائل والبراهين والبيانات والمعجزات وأنه المعبود وحده لا شريك له {وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا} ولكنهم لم يؤمنوا ولم يصدقوا رسلهم {كَذَلِكَ} وهكذا {نَجْزِي} نعاقب ونعذب ونهلك {الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} الذين أجزموا بالمعاصي والطغيان والكفر والشرك وعدم طاعة الله تعالى وعدم عبادته {ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ} ورثة {فِي الْأَرْضِ} في ملك الأرض وتوارثها جيلاً بعد جيل {مِنْ بَعْدِهِمْ} من بعد أمم القرون السابقة {لِنَنْظُرَ} لنرى {كَيْفَ تَعْمَلُونَ} كيف تعملون في الدنيا طاعة أو معصية لله تعالى {وَإِذَا تَتَلَىٰ} تُقرأ {عَلَيْهِمْ} على الكفار {آيَاتُنَا} آيات القرآن

الكريم التي تنزل تَتَرَى {بَيَّنْتِي} واضحات الدلائل {قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا} وهم الذين لا يأملون بالبعث يوم القيامة ولقاء الله تعالى والرجوع إليه ليحاسبهم على أعمالهم وهم الكفار {أَنْتِ} هات {بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ} بقرآن وكتاب غير هذا الذي جئتنا به يا محمد يا رسول الله أو غيره حتى يأتي على مثل رغباتهم وشهواتهم وملذاتهم وطابقاً لعقيدتهم في عبادة الأصنام والأوثان {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ} لا يحق لي أن أغیره {مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي} من ذات نفسي وعلى هواي {إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ} فأنا متبع ما ينزل إليّ من وحي الله تعالى بواسطة جبريل عليه السلام وأنا متبع وغير مبتدع {إِنِّي أَخَافُ} إني أخشى {إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي} وخالفته واتبعت هواي {عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} عقاب يوم القيامة وهو عظيم وشديد وأليم {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {لَوْ شَاءَ اللَّهُ} لو أراد الله تعالى غير ذلك {مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ} ما قرأته عليكم {وَلَا أَدْرِنَكُمْ بِهِ} ولا أعلمكم ولا أخبركم به {فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ} فقد عشت فيكم من عمري أربعين سنة من قبل أن ينزل عليّ القرآن وأتلوه عليكم فلم أخبركم بشيء من هذا القبيل طيلة عمري السابق {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} أفلا تفهمون وتدركون ذلك {فَمَنْ أَظْلَمُ} من هو أكثر ظلماً وتعدياً {مِمَّنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} ممن افتري واختلق كذباً أنه رسول أو أنزل عليه قرآناً مثل مسيلمة الكذاب {أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ} أو كذب وأنكر وجحد آيات ودلائل وبراهين ومعجزات الله تعالى وقدرته وكذب بالقرآن

{إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ} لا ينجح ولا يفوز يوم القيامة {الْمُجْرِمُونَ} الذين أجمروا بالمعاصي والطغيان والكفر والشرك وعدم طاعة الله تعالى وعدم عبادته.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا آيَةً مِنْ رَبِّنَا فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾

{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ} ويعبدون أي الكفار والمشركون غير الله تعالى من الأصنام والأوثان وغيرها من لا يضرهم ولا ينفعهم بشيء لأنهم جمادات وأحجار وتمائيل وهياكل {وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا} ويقول الكفار والمشركون هؤلاء الأصنام والتماثيل وغيرها هم يشفعون لنا {عِنْدَ اللَّهِ} عند الله تعالى يوم القيامة {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ} أتعلمون وتخبرون الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} بما لا يعلم ولا يعرف أن له شريكاً في السموات السبع ولا في الأرض {سُبْحَانَهُ} تنزهه وتقديسه {وَتَعَالَى} وارتفع وعلا {عَمَّا يُشْرِكُونَ} عن كل ما يشركون من الأصنام والأوثان والأنداد وغيرها {وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً} ولم يكن الناس في بداية الخلق إلا جماعة واحدة تعبد الله وحده لا شريك له حيث كانوا من أب واحد وأم واحدة وهما آدم وحواء

{فَاخْتَلَفُوا} فاختلَفوا من بعدهم وتفرقوا وأشركوا بالله غيره {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ} ولولا كلمة وهي رحمته سبقت غضبه وأخر لهم العذاب إلى يوم القيامة ليتوبوا كما قال تعالى: " وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا " ٥٨ الكهف. {لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} لحكم الله تعالى بينهم أي بين الكفار وبين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته ودين الإسلام بهلاكهم وعذابهم عاجلاً وبسرعة وأظهر لهم ما اختلفوا فيه وحكم بالحق والعدل وأن الكفار في ضلال وأن المسلمين على حق وهدى ورشاد وطريق مستقيم ودين حق وسليم {وَيَقُولُونَ} أي يقول الكفار {لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ} أفلا أنزل عليه معجزة من عند ربه حتى نصدقه مثل معجزة موسى عليه السلام وهي معجزة العصا وغيرها من المعجزات التي جاءت بها رسل الله السابقين {فَقُلْ} فقل لهم يا محمد يا رسول الله {إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ} إنما غيب المعجزات فهو بأمر الله تعالى وبإذنه فهو يفعل ما يشاء {فَأَنْتَظِرُونَ} وراقبوا {إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ} يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إنني معكم ومثلكم أيها الكفار أنتظر إما أن يرسل الله لكم معجزة حتى تصدقوني أو عذاب من عنده يأخذكم بسبب كفركم وعنادكم وجحودكم وتكذيبكم وإنكاركم لدين الإسلام.

﴿ وَإِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّيْتَهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿١٠﴾ هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْأَبْرِ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُخِجْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَخَجْتَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

{ وَإِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ } وإذا أعطينا وأفضنا وجلبنا على الناس { رَحْمَةً } نعمةً وخيراً وفضلاً { مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ } من بعد ضيق وشدة وقحط وبلاء { مَّسَّيْتَهُمْ } أصابتهم ونزلت بهم أي أنه بعد أن أتاهم فرج الله ونعمته ورحمته وفضله بعد فقر وشدة ومحنة وقحط وبلاء وعذاب { إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا } إذا لهم إيذاء وخصومة ومعاداة وكفر وشرك واستهزاء وسخرية وجحود وإنكار واختلاق وتكذيب لآيات الله تعالى ودلائله وبراهينه ومعجزاته { قُلِ } قل لهم يا محمد يا رسول الله { اللَّهُ } الله سبحانه وتعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { أَسْرَعُ مَكْرًا } أسرع انتقاماً وعذاباً منكم لكفركم وجحودكم وإنكاركم وتكذيبكم بدين الإسلام { إِنَّ رُسُلَنَا } إن الحفظة من الملائكة الذين معكم { يَكْتُبُونَ } يسجلون { مَا تَمْكُرُونَ } ما تفعلون من الشر والسوء وما تفسدون وتختلقون وتكذبون على الله ورسوله { هُوَ } الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْأَبْرِ وَالْبَحْرِ } هو الذي يريعاكم في سيركم ويسهله لكم بفضلته ورحمته في سفركم في البر والبحر { حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ

فِي الْفُلِّ { حتى إذا ركبتم السفن والمراكب { وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ { وسارت
 بهم السفن وأتى عليهم هواء وريح طيب عليل هادئ { وَفَرِحُوا بِهَا { أي فرحوا
 بالهواء العليل في سفرهم في البحر وسرُّوا به واطمأنوا بهدوء البحر وهدوء الهواء
 والريح { جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ { جاءت سفنهم ريح عاصف شديدة وقوية مهلكة
 { وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ { وعلا موج البحر وتلاطم عليهم وعلى سفنهم
 وارتفع عليهم الموج من كل مكان وهم في عرض البحر { وَظَنُّوا { واعتقدوا وتحققوا
 وتأكدوا { أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ { أنه أحاط بهم الهلاك والموت ولا مفر منه { دَعَوْا اللَّهَ {
 تضرعوا إلى الله ودعوه واستجاروا به { مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ { مخلصين له الدعاء بيقين
 خالص { لَئِن أَنْجَيْتَنَا { إن أنقذتنا يا الله { مِنْ هَذِهِ { من هذه المصيبة وهذه السفرة
 من الغرق والموت والهلاك { لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ { لنكونن من الحامدين لك يا
 الله والمعترفين بفضلك ونجاتك لنا واستجابة دعائنا { فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ { فلما أنقذهم من
 الغرق والموت والهلاك المحقق { إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ { إذا هم ينقلبوا على
 أعقابهم يفسدون ويظلمون في الناس في أرض الله تعالى { بِغَيْرِ الْحَقِّ { بغير حق
 وبظلم وبالفساد والطغيان { يَتَأْتِيهَا النَّاسُ { يا أيها الناس جميعاً ويا أيها
 الطوائف والملل والأحزاب { إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ { إنما ظلمكم على أنفسكم
 بالكفر والشرك والعصيان وظلمكم بعضكم على بعض ظلماً وطغياناً وبدون حق
 { مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا { هو من باب المتعة في الدنيا بشهواتها وملذاتها ومحرماتها
 وزخرفها { ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ { ثم إلينا مصيركم ومآلكم ونهايتكم { فَنُنَبِّئُكُمْ {
 فنخبركم ونعلمكم { بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ { بما عملتم في الدنيا من الخير والشر

والإيمان والكفر والشرك فمن اتقى وعبد الله وحده دخل الجنة ومن عصاه وأشرك به وعبد غيره دخل النار يوم القيامة.

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهِمْ أُنزِلْنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي

مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

{ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } إن مثل الدنيا والحياة فيها { كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ } كالمطر نزل من السماء إلى الأرض { فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ } فخرج به نبات الأرض والشجر { مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ } من الفواكه والثمار والحبوب { وَالْأَنْعَامُ } وما تأكل الحيوانات من النباتات والأعشاب { حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ } حتى إذا نبت الزرع والعشب واخضرت الأرض وأصبحت ذات زينة وبهجة بنباتاتها وأشجارها وثمارها وفواكهها { وَظَنَّ } واعتقد { أَهْلُهَا } أصحاب الأرض والثمار والفواكه { أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهِمْ } أنهم قادرون على حصادها وجناية ثمارها لنضوجها { أُنزِلْنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا } جاءها أمر الله وقضاؤه وحكمه بالعذاب والحرق والمحق والهلاك إما بالصواعق أو الثلج والبرد أو الريح العاصف يحرقها ويجعلها هباءً منثوراً { كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ } كأنها لم توجد قبل ذلك لأنها أصبحت تبنياً وهباءً منثوراً وهكذا الدنيا بين ليلة وضحاها يذهب نعيمها وترفها ولذاتها بالموت والهلاك

{كَذَلِكَ} وهكذا {نُفِصِلُ الْآيَاتِ} نوضحها ونبينها للناس {لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} لقوم يتعظون ويتذكرون ذلك وهو الموت والهلاك لكل شيء {وَاللَّهُ} سبحانه وتعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ} يدعو الناس ويطلب منهم أن يعبدوه ليدخلوا دار السلام وهي الجنة يوم القيامة {وَيَهْدِي} والله تعالى يهدي ويدل ويرشد {مَنْ يَشَاءُ} من يريد له الهدى ممن يطلب الهدى والرشاد والطريق المستقيم بعبادة الله وحده لا شريك له يزده هدى إلى هداه {إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} إلى طريق الحق والعدل والصواب والهدى ودين الإسلام.

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۗ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن عَاصِمٍ ۗ كَانَمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۗ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴿١٨﴾ فَكْفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ ﴿١٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلَأُونَ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۗ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ۗ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا} للذين أحسنوا وجودوا أعمالهم وحسنوا عبادتهم لله تعالى {الْحُسْنَىٰ} الجنة يوم القيامة وفي الدنيا زيادة الحسنات والثواب من عشرة إلى سبعمئة ويضاعف الله لمن يشاء {وَزِيَادَةٌ} وهي النظر إلى وجه الله الكريم يوم القيامة. روى الإمام أحمد: حدثنا عفان أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية " لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ " وقال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل موازيننا؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟) - قال - فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه ، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقرّ لأعينهم). [وهكذا رواه مسلم وجماعة من الأئمة من حديث حماد بن سلمة به - ابن كثير ج ٢ ص ٤١٤]. وقال ابن جرير: حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني شبيب عن أبان عن أبي تميم الهجيمي أنه سمع أبا موسى الأشعري يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يبعث يوم القيامة منادياً ينادي يا أهل الجنة - بصوت يسمع أولهم وآخرهم - إن الله وعدكم الحسنَى وزيادة ، فالحسنَى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن عز وجل). [ورواه أيضاً ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر الهذلي عن أبي تميم الهجيمي به - ابن كثير ج ٢ ص ٤١٤]. {وَلَا يَرَهُقُ} ولا يصيب ولا يقهر {وَجُوهَهُمْ قَتْرٌ} أي ولا يعلو وجوههم عبوس ولا سواد {وَلَا ذِلَّةٌ} ولا مسكنة {أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ} هؤلاء هم أصحاب وأهل الجنة لأنهم أحسنوا عبادتهم وأعمالهم في طاعة الله تعالى {هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} وهم في الجنة دائمون {وَالَّذِينَ كَسَبُوا} والذين اجترحوا وفعلوا وعملوا {السَّيِّئَاتِ} الشر والمعاصي والذنوب والمحرمات {جَزَاءُ} عقاب وعذاب {سَيِّئَةٍ} ذنب وشر ومعصية {بِمِثْلِهَا} بقدرها تكون العقوبة يوم القيامة {وَتَرَهُقُهُمْ} وتعلوهم وتقهرهم {ذِلَّةٌ} مسكنة {مَا هُمْ مِنَ اللَّهِ} ما لهم من الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه

{مِنْ عَاصِمٍ} واق وناصر {كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ} علت وغطت {وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ}
 مُظْلِمًا {سوداء كقطع الليل المظلم من سوء ما عملوا في الدنيا سواداً} {أُولَئِكَ}
 هؤلاء {أَصْحَابُ} أهل {النَّارِ} نار جهنم يوم القيامة {هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} هم فيها
 دائمون {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا} ويوم القيامة نحشر الخلق جميعاً في المحشر في
 القدس فوق الصخرة حيث يمدها الله تعالى {ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا} ثم يقول
 الله تعالى للمشركين {مَكَانَكُمْ} للعذاب أي امكثوا في مكانكم لا تتحركوا
 {أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ} أنتم أيها المشركون حتى تأخذوا العقاب الذي تستحقونه
 {فَزَيَّلْنَا} ربطنا وجمعنا {بَيْنَهُمْ} بين المشركين وشركائهم في نار جهنم {وَقَالَ}
 شُرَكَائُهُمْ} وقال الذين أشركوهم وعبدوهم من دون الله تعالى {مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا
 تَعْبُدُونَ} أي لم نطلب منكم عبادتنا ولم تعبدونا من دون الله بطلبنا {فَكَفَىٰ بِاللَّهِ
 شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} فكفاية نقبل شهادة الله يحكم بيننا وبينكم بأنا لم نطلب
 منكم عبادتنا {إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ} لقد كنا ساهين لاهين جمادات
 ولا نعلم عن عبادتكم لنا شيئاً وخاصة لم نطلبها منكم {هُنَالِكَ} عند ذلك {تَبَلَّوْا}
 تصاب {كُلُّ نَفْسٍ} كل واحد بنفسه وبذاته {مَا أَسْلَفَتْ} ما قدمت في الدنيا من
 الشر والخير ومن الإيمان والكفر {وَرُدُّوْا} ورجعوا وعادوا {إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ} إلى
 الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه فهو مولاهم وهو الذي يتولى أمرهم
 بالثواب والعقاب حسب عمل كل منهم {الْحَقِّ} العدل والصحيح والحق والصواب
 {وَوَضَّلَ عَنْهُمْ} بعد عنهم وذهب ولم يجدوا له أثراً {مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} ما كانوا
 يختلقون ويكذبون ويجحدون من الشركاء.

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ
أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠﴾ فذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَلُ فَأَنَّى
تُصْرَفُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿١٢﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ
فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ
أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ ﴿١٤﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

{قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {مَنْ يَرْزُقُكُمْ} من هو الذي يأتي لكم بالرزق
{مِنَ السَّمَاءِ} من المطر {وَالْأَرْضِ} من الثمار والفواكه والخضروات والبذور
والحبوب والمعادن والبتروال ومن اللحوم والأسماك وغيرها {أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَرَ} ومن هو الذي يملك خلق السمع والأبصار والعيون غير الله تعالى {وَمَنْ
يُخْرِجُ} ومن هو الذي يستطيع أن يخلق مثل الله تعالى ويخرج {الْحَيَّ} من
النباتات والأشجار والدجاج وغيرها {مِنَ الْمَيِّتِ} فالأشجار من البذور وكأنها
ميتة وكذلك الدجاج الحي من البيض وكأنه ميت وكذلك الإنسان الحي من المني
وكانه ميت وهذا إشارة إلى قدرة الله تعالى {وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} وكذلك
الميت كالبيضة والحي الدجاجة وكذلك الميت هو البذور والحي هو الأشجار وكذلك
في الإنسان الميت هو الحيوان المنوي والحي هو الإنسان. وأيضاً عند حدوث

الكوارث كالزلازل والأعاصير وغيرها يحدث أن يخرج فرد حي من بين الموتى ومن تحت الأنقاض والخراب والدمار وبالعكس {وَمَنْ يُدْبِرِ الْأَمْرَ} ومن يدبر أمر السموات والأرض من شمس وقمر وليل ونهار وبحار وأنهار وأمطار وأمر الحياة والموت والحروب والرزق وغيرها {فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ} فيجيبونك يا محمد يا رسول الله فوراً أنه هو الله تعالى {فَقُلْ} فقل لهم يا محمد يا رسول الله {أَفَلَا تَتَّقُونَ} أفلا تتعظون وتخافون الله وتخشوه وتطيعونه وتعبدونه وحده لا شريك له {فَذَلِكُمْ} فذلك {اللَّهُ رَبُّكُمْ} هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو ربكم وخالقكم ومحييكم ومميتكم ورازقكم {الْحَقُّ} العدل والصحيح والصواب والصدق {فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ} فما هو الذي يأتي بعد الحق والصواب ويكون غيره {إِلَّا الضَّلَالُ} إلا الفساد والكفر والعصيان والمخالفة والجحود والإنكار والباطل {فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} فمتى تبعدون وتذهبون عن الضلال والباطل والعصيان والمخالفة والجحود والإنكار {كَذَلِكَ حَقَّتْ} كذلك وجبت {كَلِمَتُ رَبِّكَ} أي كلام الله تعالى بقوله " ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا " ١٧ الكهف {عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا} على العصاة والمذنبين {أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} بأنهم لا يصدقون برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا بدين الإسلام {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ} هل ممن تعبدون من دون الله من الأصنام والأنداد {مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} أي يحيي الخلق ويخلقهم من العدم ثم يميتهم ثم يعيدهم أحياء {قُلْ} قل لهم يا رسول الله {اللَّهُ} الله جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} هو

الذي بدأ الخلق للكون كله وما فيه ثم يعيده حياً من جديد يوم القيامة {فَأَنى
تُؤَفِّكُونَ} فمتى تصرفون وتذهبون وتبعدون عن الباطل والفساد والجحود والإنكار
والإشراك بالله تعالى {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ} هل
ممن تعبدون من دون الله غيره من الأصنام والأنداد {مَنْ يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ} من يدل
الخلق والناس للحق والهدى والرشاد {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {أَللَّهُ}
الله جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَهْدِيَ لِلْحَقِّ} يدل على الحق والهدى
والرشاد والخير والصلاح وذلك بإنزال الكتب السماوية على رسله ليهدي بها
الناس {أَفَمَنْ يَهْدِي} أفمن يدل {إِلَى الْحَقِّ} العدل والصواب والهدى {أَحَقُّ}
أولى {أَنْ يُتَّبَعَ} أن يقتدى به ويطاع {أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي} أو هل من لا يستطيع
هدى نفسه ولا غيره {إِلَّا أَنْ يَهْدِي} إلا أن يدل ويهدي إلى الصواب كالأعمى
الذي لا يبصر بنفسه بل يقوده غيره {فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} فما بالكم كيف
تحكمون وكيف تقولون بعبادة من لا يضر ولا ينفع من الأصنام والأنداد والجمادات
وتتركوا عبادة الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وهو الذي يحيي ويميت
ويهدي ويرزق ويخلق {وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ} وليس يتبع أكثرهم {إِلَّا ظَنًّا} إلا
اعتقاداً وشكاً {إِنَّ الظَّنَّ} إن الشك {لَا يُغْنِي} لا ينفع {مِنَ الْحَقِّ} من الصحيح
{شَيْئاً} أي شيء {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ} إن الله يعلم ويعرف {بِمَا يَفْعَلُونَ} بما يعملون في
الدنيا من الخير والشر ومن الإيمان ومن الكفر والشرك والمعاصي والذنوب.

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
 وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا
 بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا
 لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ طَبَقَ فَانظُرْ كَيْفَ
 كَانَ عِقَابُ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ
 وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

{ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى } ولا يمكن أن يكون هذا القرآن مختلقاً { مِنْ
 دُونِ اللَّهِ } من غير الله تعالى أنزله على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
 بواسطة الوحي جبريل عليه السلام لأنه لا يستطيع أحد من البشر أن يأتي
 ببلاغته وفصاحته ومضمون معانيه في هديه للبشرية كافة وما ينفعهم وما يضرهم
 وما فيه إعجاز ودلائل على خلق الكون وتفاصيل ذلك والإخبار عن الموت والبعث
 والجنة والنار والحساب والعقاب { وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ } والقرآن الكريم
 هو تصديق للكتب السابقة وللرسل السابقين قبله كما قال تعالى: " إِنَّ هَذَا لَفِي
 الصُّحُفِ الْأُولَى {١٨} صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى {١٩} " ١٨، ١٩ الأعلى. وكما قال
 تعالى: " وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا
 بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونَ {٤١} وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ {٤٢} وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّكَعِينَ {٤٣} أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ
 بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ {٤٤} " ٤١-٤٤ البقرة.
 { وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ } فصل الله تعالى القرآن الكريم تكلم عن الزراعة كما قال تعالى:
 " قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ "

٤٧ يوسف. وتكلم عن الشفاء في العسل كما قال تعالى عن النحل: "يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ" ٦٩ النحل. وكما قال تعالى: "وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا" ٨٢ الإسراء. وتكلم وفصل عن بعض قصص الأنبياء السابقين وعن أهل الكهف وعن خلق الكون وخلق السموات والأرض في ستة أيام وخلق الشمس والقمر والنجوم وتكلم عن إبليس ومما خُلق وعصيانه عن السجود لآدم وخلقه من نار السموم وخلق آدم من طين وتكلم عن الحروب والجهاد والقتال وقوانينها وفصل عن المواريث وضرب أمثلة كما قال تعالى: "وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا" ٥٤ الكهف. والسنة المشرفة فصلت وفسرت ووضحت ذلك ما فيه الكفاية وزيادة {لَا رَيْبَ فِيهِ} لا شك في القرآن الكريم {مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} إنه من رب العالمين من الله تعالى خالق الكون كله وما فيه من العوالم من إنس وجن وملائكة وجميع الخلق {أَمْ يَقُولُونَ} أو يقول الكفار {أَفْتَرَنَاهُ} اختلقه وكذبه من عنده {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ} فأتونا وهاتوا واختلفوا سورة مثل القرآن تشببه في الفصاحة والبلاغة والحكم والهدى والبيان والهدف {وَادْعُوا مِنِ اسْتَطَعْتُمْ} وادعوا واطلبوا المساعدة ممن تريدون مساعدتكم {مِن دُونِ اللَّهِ} غير الله تعالى {إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ} إن كنتم تقولون صدقاً وحقاً {بَلْ كَذَّبُوا} بل أنكروا ووجدوا {بِمَا لَمْ تُحِيطُوا بِعِلْمِهِ} بما لم يعلموا من علم الله تعالى وأقله أنهم لا يعلمون عن الروح والموت والبعث والعقاب والعذاب والثواب والجنة والنار يوم القيامة {وَلَمَّا يَأْتِهِمْ} لم يصلهم ولم يعلموا {تَأْوِيلَهُ} تفسيره وتوضيحه وخاصة وقفوا أمام تفسير أوائل حروف سور القرآن وهذا هو

إعجاز القرآن {كَذَلِكَ} وهكذا {كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} كذب وجحد وأنكر ممن سبقهم من الأمم السابقة كذبوا رسلهم {فَانظُرْ} فانظر يا محمد يا رسول الله وتري بعينك وتشاهد {كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ} كيف كان مصير ونهاية {الظَّالِمِينَ} الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك والبغي والفساد ومعصية الله تعالى {وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ} ومن الكفار والمنافقين من يؤمن ويصدق بالقرآن الكريم ويدخل الإسلام {وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ} ومنهم من يبقى على الشرك والكفر ولا يؤمن بالقرآن ولا يصدق به {وَرَبُّكَ} وربك يا محمد يا رسول الله وخالقك الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ} يعلم بالمشككين في دين الإسلام والمعادين له.

﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيْعُونَ مِمَّا آَعَمَلُوا وَأَنَا بَرِيْعٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ تَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيْنَاكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

{وإن كذبوك} وإن كذبوك وجحدوا بك وأنكروك يا محمد يا رسول الله {فقل} فقل لهم ورد عليهم {لي عملي ولكم عملكم} لي عملي وشأني وديني وعبادتي لنفسي ولكم أنتم عملكم وعبادتكم للأصنام فأنتم ستحاسبون عليها {أنتم بريعون}

غير مسئولين {مِمَّا أَعْمَلُ} على عملي وعبادتي وديني {وَأَنَا} محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم {بَرِيءٌ} أنا غير مسئول {مِمَّا تَعْمَلُونَ} مما تفعلون من الكفر والشرك وعبادة الأوثان والأصنام والأنداد {وَمِنْهُمْ} ومن الكفار والمشركين {مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ} من ينصت إلى قولك بدون تصديق ما جاء به القرآن الذي أنزل عليك {أَفَأَنْتَ} فهل أنت يا محمد يا رسول الله {تَسْمَعُ الصُّمَّ} تسمع من بأذنه صمم أو طرش {وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ} ولو كانوا مثل البهائم والحيوانات لا يعقلون ولا يفهمون ما تقول لهم وما تقرأ عليهم من القرآن {وَمِنْهُمْ} من الكفار {مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ} من ينظر إليك بعينه بدون تبصر ووعي وفهم وعقل {أَفَأَنْتَ} فهل أنت يا محمد يا رسول الله {تَهْدِي الْعُمَى} تهدي وترشد من كان أعمى بمجرد الإرشاد وبدون قيادته من يده {وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ} ولو كانوا لا يبصرون الحقيقة ولا يبصرون الطريق فكيف تهديهم ليسلكوا الطريق وكلها حفر {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه لا يظلم أحداً بدون ذنب وبدون معصية {وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} ولكن الناس يظلمون أنفسهم بالمعاصي والذنوب والكفر والشرك فسيحاسبون عليها يوم القيامة بما قدمت أيديهم وظلمهم لأنفسهم بالشرك ولغيرهم بالبغي والطغيان {وَيَوْمَ} وهو يوم القيامة {تَحْشُرُهُمْ} يوقفهم الله تعالى في المحشر للحساب {كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا} كأنهم لم يبقوا ويعيشوا في الدنيا كل عمرهم {إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ} إلا ساعة واحدة من اليوم لأن الوقت بالموت يتوقف ولا يعلم الميت بطول السنين والأيام {يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ} أي في المحشر يعرف الناس بعضهم بعضاً {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا} قد

خسر من كذب وجحد خسر نفسه بعذاب جهنم ولم ينج {بِلِقَاءِ اللَّهِ} كذبوا بالبعث ولقاء الله تعالى يوم القيامة والرجوع إليه للحساب والعقاب والعذاب والجزاء والثواب {وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} ولم يهتدوا في الدنيا لا بالرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا بالقرآن ولا بالهدى ولا بالحجة ولا المعجزة ولا البرهان {وَأَمَّا نُزِيرُكَ} وإما نجعلك تشاهد بعينك {بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ} وبعضه هو القتل والأسر والعذاب والهلاك والموت {أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ} أو تموت بدون أن ترى بعض عذابهم في الدنيا {فَالْيَوْمَ مَرْجِعُهُمْ} فالينا مصيرهم يوم القيامة ونحاسبهم على أعمالهم في الدنيا {ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ} وهكذا الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه فهو شاهد ويرى ويعلم على كل ما يفعلون في الدنيا من الخير والشر والكفر والعصيان أو الإيمان وما يعملون.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا

نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا

يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ رَبِّيًّا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ

الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ ؕ ءَاَلَكُنَّ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ ؕ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ

قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾

{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ} ولكل قوم رسول ونبي يرسله الله تعالى إلى قومه {فَإِذَا جَاءَ

رَسُولُهُمْ} إذا أرسل الله تعالى إلى قوم نبيهم ورسولهم بالرسالة والهدى {قُضِيَ

بَيْنَهُمْ} حكم الله بينهم يوم القيامة {بِالْقِسْطِ} بالعدل {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} فلا

يظلم الله تعالى أحداً إلا بذنب أو معصية أو كفر أو شرك فيحاسبه الله ويعذبه على ذلك ومن آمن فله الجنة يوم القيامة. روى مسلم في الحديث المختصر عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا). [مختصر خطب بن خطيب ص ١٦٠ ، الأحاديث النووية ص ٧].

{ وَيَقُولُونَ } ويقول الكفار { مَتَى هَذَا الْوَعْدُ } متى هذا العذاب الذي تُهدّدون به بأنه سيقع علينا من الله تعالى على شركنا { إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } إن كنتم صادقين في وعدكم لنا بوقوع العذاب علينا { قُلْ } قل لهم يا محمد يا رسول الله وأجبهم { لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا } لا أستطيع منع الضر والسوء على نفسي ولا جلب النفع لي { إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ } إلا ما أراد الله وأذن بذلك { لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ } لكل قوم وقت معين للموت { إِذَا جَاءَ } إذا حضر وقت { أَجْلُهُمْ } موتهم { فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً } فلا يتأخرون عن عمرهم ساعة واحدة من الوقت { وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } ولا يتقدمون عن وقت موتهم المحدد ولا ساعة وبلاحظ هنا أنه تعالى قدم التأخير على تقدم الموت ليُعلم أن الموت لا مفرّ منه ولا تأخير فيه لجميع الخلق { قُلْ } قل لهم يا محمد يا رسول الله { أَرَأَيْتُمْ } أعلمتم { إِنْ أَنْتُمْ } إن جاءكم { عَذَابُهُ } عذاب الله تعالى وعقابه { بَيْنَاتًا } مساءً أو في أي وقت من الليل { أَوْ نَهَارًا } أو في أي وقت من النهار { مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ } فعندها فيما إذا يستعجلون العذاب إذا وقع عليهم ولا فرار منه { الْمُجْرِمُونَ } العاصون والمذنبون { أُنْتُمْ } فهل بعد ذلك { إِذَا مَا وَقَعَ } إذا ما أصابهم ونزل بهم العذاب والهلاك من

الله تعالى {ءَامَنْتُمْ بِهِ} صدقتم به {ءَأَلَّيْنِ} فهل هذه اللحظة عندما نزل بكم العذاب صدقتم {وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ} وقد كنتم تستعجلون العذاب وتطلبونه أن يأتيكم سريعاً وعلى عجل {ثُمَّ قِيلَ} ثم بعد ذلك قيل {لِلَّذِينَ ظَلَمُوا} للذين أشركوا وظلموا أنفسهم بالشرك والكفر {ذُوقُوا} خذوا العذاب الذي يليق بكم {عَذَابَ الْخُلْدِ} عذاب الله تعالى الدائم والمستمر {هَلْ تُجْزَوْنَ} فلا تجزون ولا تعاقبون ولا تعذبون {إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ} إلا بما كنتم تفعلون وتعملون في الدنيا من المعاصي والذنوب والآثام والشرك والكفر والعصيان.

﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۗ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ تَحِيَّ ۗ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

{وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ} ويستخبرونك يا محمد يا رسول الله ويطلبون منك أن تؤكد لهم هل يوم البعث حق وصدق وفيه جزاء وحساب وعقاب وجنة ونار {قُلْ} لهم يا محمد يا رسول الله {إِي} نعم {وَرَبِّي} والله خالقي أي قسم {إِنَّهُ لَحَقٌّ} إنه لصدق يوجد حساب وعقاب وعذاب يوم القيامة {وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} ولا أنتم بمانعين ولا عائقين ولا سالمين ولا ناجين ولا مغيرين ذلك {وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ} ولو أن لكل نفس ولكل شخص ولكل واحد نفسه {ظَلَمَتْ} بغت وأشركت {مَا فِي الْأَرْضِ} ملك جميع ما في الأرض {لَافْتَدَتْ بِهِ} لدفعته فداءً عن نفسها

حتى تنجو من عذاب الله تعالى {وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ} وأكدوا الندم {لَمَّا رَأَوْا
 الْعَذَابَ} لما شاهدوا نار جهنم وعذابها وحرها ولهيبها رعباً وخوفاً وفزعاً وهلعاً
 {وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ} حُكْم بين الناس يوم القيامة {بِالْقِسْطِ} بالعدل {وَهُمْ لَا
 يُظْلَمُونَ} وهم لا ينقصون حقوقهم ولا يغبنون {أَلَّا} هي للتنبيه والإعلام لما بعدها
 {إِنَّ لِلَّهِ} إن لله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ} ملك كل ما في السموات السبع من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وكواكب
 وأفلاك وبروج وكل ما في الأرض من جن وإنس وحيوانات وطيور وأشجار وبحار
 وأنهار وجبال وما فيها من مخلوقات فهي ملك لله تعالى جل جلاله وعظم قدره
 وعلا شأنه {أَلَّا} وهي تنبيه آخر لما بعدها {إِنَّ وَعَدَ اللَّهُ} إن ما وعد الله به
 الخلق والناس بالبعث يوم القيامة والحساب والعقاب والعذاب والثواب والجنة
 والنار {حَقٌّ} حق وصدق ولا ريب فيه {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ} ولكن أكثر الناس وهم
 الكفار وهم الأغلبية {لَا يَعْلَمُونَ} لا يعلمون ذلك وجحدوا وأنكروا به {هُوَ} هو
 الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وهو اسم إشارة {سُحِّيءٌ} يخلق من
 العدم ويجعل فيه الروح والحياة {وَيُمِيتُ} يميته ويهلكه وتخرج منه الروح
 والحياة {وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ} إليه تعودون يوم القيامة للحساب والجزاء فإما الثواب
 والنعيم في الجنة أو العقاب والعذاب في النار.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى
 وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
 يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا
 قُلْ ءَا لِلَّهِ آذُنٌ لِّكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى
 اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا
 يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ } يا أيها الناس جميعاً مسلمون وكفار { قَدْ جَاءَ تَكُم } قد أرسل
 إليكم { مَّوْعِظَةٌ } نصيحة { مِّن رَّبِّكُمْ } من ربكم وخالقم من الله تعالى جل
 جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وهي القرآن الكريم { وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ } وهو
 يبرئ ما في الصدور من الشرك والكفر والنفاق والعصيان { وَهُدًى } وهداية إلى
 عبادة الله تعالى وإلى الطريق المستقيم { وَرَحْمَةٌ } يرحم الله تعالى به من آمن وصدق
 به ويجيره وينقذه ويعصمه من عذاب الله تعالى يوم القيامة لاتباعه وأوامره واجتناب
 نواهيه { لِّلْمُؤْمِنِينَ } للمصدقين به ويؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
 الآخر { قُلْ } قل لهم يا محمد يا رسول الله { بِفَضْلِ اللَّهِ } بجود الله وكرمه أنزل
 عليكم القرآن { وَبِرَحْمَتِهِ } ورحمة منه ورحمة لكم من العذاب يوم القيامة لمن اتبع
 هداه وصدقوا به { فَبِذَلِكَ } فبذلك القرآن وما جاء فيه { فَلْيَفْرَحُوا } فليسرُوا
 وليمتثلُوا فرحاً وبهجة وسروراً بذلك القرآن الذي أنزل على رسول الله سيدنا
 محمد صلى الله عليه وسلم { هُوَ } القرآن الكريم { خَيْرٌ } أفضل وأجود وأحسن
 { مِّمَّا يَجْمَعُونَ } مما يجمعون ويحصدون من الدنيا وملذاتها وشهواتها وما فيها

{قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {أَرَأَيْتُمْ} أشاهدتم {مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ} ما أنزل الله عليكم من رزق رزقكم إياه {فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا} فجعلتم من الحلال حراماً ومن الحرام حلالاً {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله ومن بعده أيها المؤمن {ءَأَلَّهِ} هل الله تعالى {أَذِنَ لَكُمْ} أعطاكم الإذن وسمح لكم في تحريم الحلال وتحليل الحرام {أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ} أو على الله تكذبون وتختلقون من أنفسكم ، وعليه لا يجوز أن يحرم ويشكك أي شخص مهما علت منزلته وعلمه في الإفتاء بدون علم ويحرم الحلال لأن فيه شك وربما يقع فيه الناس ولو كان كذلك لكان الإفتاء من باب الحيطة والحذر قطع اللسان مثلاً لأنه ربما يكذب أو قلع العين وربما تنظر إلى المحرمات فلا يفتي إلا بالنص فمثلاً الرسول صلى الله عليه وسلم أجاز زيارة القبور وفي الحديث الذي رواه مسلم عن بريدة ابن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها). [رواه مسلم وزاد الترمذي: (فإنها تذكر الآخرة - سبل السلام ج ٢ ص ١١٤)]. فلا يحق لأحد بعدها أن يمنع أو يحرم زيارة القبور خوفاً من الفتنة بعد أن رخص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أحرص الناس على اتباع الحق {وَمَا ظُنُّنَّا} وما اعتقاد {الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ} الذين يختلقون ويكذبون على الله ويحرموا الحلال ويحللوا الحرام من تلقاء أنفسهم بدون نص أو يخالفون النص حرصاً من أنفسهم على دين الله وشرعه {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} ما هو مصيرهم يوم القيامة عندما يسألهم الله تعالى هل هم أولى في التشريع من الله ورسوله وأحرص من رسوله على الرخصة من عدمها في الدين والشرع {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه

{لَذُو فَضْلٍ} لذو كرم وفضل وجود {عَلَى النَّاسِ} بأن حلل لهم الحلال ولم يحرمه وحرّم الحرام ولم يحلله للناس {وَلَيْكِنَّا أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ} ولكن أكثرهم لا يشكرون نعمة الله ولا يحمدون الله عليها بتوسيعها عليهم فيحرمون الحلال منعاً للشبهة ولا يشكرون الله على الرخصة التي منحها الله تعالى لهم بل يضيّقون على أنفسهم وعلى الناس منعاً للوقوع في الشبهة وهذا مخالف لنعمة الله تعالى وفضله وكرمه وتوسعته على الناس وكما جاء في الحديث: (ما شاد الدين أحد إلا غلبه) وفي حديث آخر (يسروا ولا تعسروا).

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾

{وَمَا تَكُونُ} وما تكون يا محمد يا رسول الله {فِي شَأْنٍ} في أي موقع أو أي مجال وفي أي موضوع تطرحه على الناس {وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ} وما تقرأ من القرآن الكريم {وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ} ولا تفعلون من عمل تعملونه {إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا} إلا يشهد عليهم الله تعالى ويراهم ويسمعهم ويعلم شأنهم ومجال حديثهم {إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ} إذا تتوسعون فيه وتطول فيه المناقشة والجدل أو الجدل أو أخذ الرأي فيه واستغراق الوقت الطويل والكافي {وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ} وما يغرب وما يخفى عن ربك يا محمد وعن خالقك الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ} من وزن ذرة أو حجم ذرة كما قال تعالى: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {٧} وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ {٨} " ٨،٧ الزلزلة.

{فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} سواء الذرة وجدت في الأرض في جبالها وسهولها

وبحارها وأنهارها أو في السموات السبع كلها {وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ} ولا أصغر من الذرة وهي الجزيء أو النواة أو جزيئاتها {وَلَا أَكْبَرَ} ولا أكبر من ذلك أي شيء من الأشياء {إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} إلا ومكتوبة في اللوح المحفوظ.

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾

{أَلَا} للتنبيه لما بعدها {إِنَّ} للتوكيد {أَوْلِيَاءَ اللَّهِ} وهم الصالحون من الناس وهم من تولى إلى الله بالطاعة فتولاه الله بالعناية والرعاية وهم خاصة الله وأحابه، وكما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يقول تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني ل أعطينه ولئن دعاني لأجيبنه ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٧٩]. وكما قال البزار: حدثنا علي بن حرب الرازي حدثنا محمد بن سعيد ابن سابق حدثنا يعقوب ابن عبد الله الأشعري وهو القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رجل يا رسول الله من أولياء الله؟ قال: (الذين إذا رؤوا ذُكر الله). ثم قال البزار وقد روي عن سعيد مرسلًا. [ابن كثير ج ٢ ص ٤٢٢]. وقال ابن جرير: حدثنا أبو هشام الرفاعي حدثنا ابن فضيل

حدثنا أبي عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير البجلي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من عباد الله عبداً يغبطهم الأنبياء والشهداء) قيل من هم يا رسول الله لعلنا نحبيهم؟ قال: (هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب، وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس) ثم قرأ " أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " ثم رواه أيضا أبو داود من حديث جرير عن عمارة ابن القعقاع عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وهذا أيضا بإسناد جيد إلا أنه منقطع بين أبي زرعة وعمر بن الخطاب والله أعلم. [ابن كثير ج ٢ ص ٤٢٣]. {لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} لا خوف عليهم في الدنيا ولا يخافون من عذاب الله تعالى لهم لطاعتهم له في الدنيا {وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} في الآخرة لا يحزنون لأنهم قدموا بين أيديهم طاعة وعبادة لله تعالى. قال تعالى: " جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ {٣٣} وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ {٣٤} الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ {٣٥} " ٣٣-٣٥ فاطر. وقال تعالى: " لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ " ١٠٣ الأنبياء. وقال تعالى: " يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ " ٦٨ الزخرف. {الَّذِينَ آمَنُوا} الذين صدقوا رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وهذا من صفتهم وهو الإيمان {وَكَانُوا يَتَّقُونَ} والصفة الثانية هي أنهم يتقون الله ويخافونه ويخشونه ويطيعونه ويعبدونه وحده لا شريك له ولا يعصونه أبداً {لَهُمْ} للأولياء والصالحين {الْبُشْرَى} بشارة خير وفرح

وسرور في الدنيا كرامة تدل على صلاحهم وأنهم صالحون وكما قال تعالى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ" ٩ العنكبوت. وقال تعالى: " وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا " ١١٢ طه. وقال تعالى: " وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا " ٦٩ النساء. وقال تعالى: " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا " ٥٥ النور. وقال تعالى: " وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ " ١٩ الحديد. **{ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }** والبشرى تكون في الدنيا كرامة للرجل الصالح وتبشره إذا دعا مثلاً استجاب الله تعالى دعاءه كما جاء في الحديث آنفاً وإذا دعا لمريض شفاه الله تعالى وإذا دعا بنزول المطر أو دعا على عدو في الحرب أو في الجهاد استجاب الله دعاءه وهذه من أبواب البشرى وكذلك الكرامات للأولياء كلها وكذلك بالرؤية الصالحة يراها في الدنيا وتكون كفلق الصبح. قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن الأعمش عن ذكوان بن أبي صالح عن رجل عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله " لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ " قال: (الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٢٣].

{ وَفِي الْآخِرَةِ } وبشراهم في الآخرة يوم القيامة بالجنة ودخولها. قال ابن جرير: حدثني أبو السائب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن عطاء ابن يسار عن رجل من أهل مصر عن أبي الدرداء في قوله " لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ " قال سألت رجل أبا الدرداء عن هذه الآية فقال: لقد سألت عن

شيء ما سمعت أحدا سأل عنه بعد رجل سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له بشره في الحياة الدنيا وبشره في الآخرة الجنة). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٢٣]. وهنا نذكر قصة عن الأولياء: قال أبو هريرة رضي الله عنه: (كنا مع العلاء بن الحضرمي في مفازة فحصل لنا عطش شديد فأخبرناه بذلك ، فصلى ركعتين ثم قال: يا حلیم يا حلیم يا عليُّ يا عظیم اسقنا. فجاءت سحابة فأظلتنا حتى أتينا على غدیر ، فطلبنا سفينة فلم نجدها ، فقال: يا حلیم يا حلیم يا عليُّ يا عظیم أجزئنا. ثم أخذنا بعنان فرسه ثم قال: جوزوا باسم الله. فوالله لقد مشينا على الماء فما ابتل قدم ولا خف بغير وكان الجيش أربعة آلاف ثم مات فدفناه فخشينا من كلب أو سبع أن ينبش قبره فكشفنا عنه التراب فلم نجده في قبره رضي الله عنه. [نزهة المجالس ص ١٥٥].

{ لَا تَبْدِيلَ } لا تغيير { لِكَلِمَاتِ اللَّهِ } للقرآن الكريم وخاصة هذه الآية لا تبديل ولا تغيير فيها فهي من الآيات المحكمة والمثبتة ولم تنسخ وهذا دليل على منزلة الأولياء عند الله تعالى وهم خاصته وأحابه { ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } ذلك الخير والبشرى ومنزلة الأولياء وكرامتهم وعدم خوفهم في الدنيا ولا حزنهم في الآخرة هو الفوز والنجاح العظيم والكبير يوم القيامة وخاصة دخول الجنة.

﴿ وَلَا تَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۗ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ
 فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 شُرَكَاءَ ۗ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
 اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۗ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾
 قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ الْغَنِيُّ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِنْ
 عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا ۗ اتَّقُولُونَ ۗ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ
 يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ
 نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴿

{ وَلَا تَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ } ولا يغضبك ولا يؤلمك ولا يثيرك ما يقولون من الكفر والشرك
 { إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ } إن القوة والمنعة والعظمة لله جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه
 { جَمِيعًا } كلها مجتمعة لله وحده لا شريك له { هُوَ } الله تعالى { السَّمِيعُ } يسمع
 النداء والدعاء والقول والعمل وكل شيء ودبة النملة السوداء في الليلة الظلماء على
 الصخرة الصماء { الْعَلِيمُ } يعلم ويدري ويعرف بكل شيء في ملكه ومحيط به وخبير
 به وبأفعالكم وبأعمالكم وعليهم بمن تاب ودخل الإسلام ومن يحسن عمله وتوبته
 وعبادته وإخلاصه وطاعته لله تعالى { أَلَا } للتنبيه لما بعدها { إِنَّ } للتوكيد { لِلَّهِ }
 لله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي
 الْأَرْضِ } لله تعالى ملك كل ما في السموات السبع من ملائكة ومن شمس وقمر
 ونجوم وكواكب وأبراج وكل شيء وله ملك كل من في الأرض من شيء من جن
 وإنس وحيوانات وطيور وجبال وأشجار وبحار وأنهار وما فيها لله تعالى وحده لا

شريك له {وَمَا يَتَّبِعُ} وما يقنفي أثر من قبلهم {الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ
 اللَّهِ} وهم المشركون الذين يدعون أصنامهم وأوثانهم آلهة غير الله تعالى {شُرَكَاءُ}
 يعبدونهم كشركاء في الربوبية مع الله تعالى {إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ} أي اتباعهم
 لما قبلهم في عبادة الأصنام ما هو إلا ظن وشك وعدم يقين {وَإِنَّ هُمُ إِلَّا
 مَحْرُصُونَ} وإن هم إلا يكذبون ويختلقون {هُوَ} هو الله تعالى جل جلاله وعظم
 قدره وعلا شأنه {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ} الله تعالى خلق الليل
 وعمله للنوم والسكون والهدوء والراحة بعد دوام عمل شاق طيلة النهار {وَالنَّهَارَ
 مُبْصِرًا} جعل النهار به تطلع الشمس وتضيء النهار حتى يعمل الناس وحتى
 يُسَيِّرُوا أعمالهم وشؤونهم في نهار مشرق مضيء {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في ذلك الليل
 الذي فيه راحة والنهار الذي فيه عمل {لآيَاتٍ} دلائل وبيان وحجة {لِّقَوْمٍ
 يَسْمَعُونَ} لقوم يسمعون النصيحة ويتعظون بها بأن الله تعالى جل جلاله وعظم
 قدره وعلا شأنه هو الخالق وهو الذي يستحق العبادة والطاعة {قَالُوا} قال الكفار
 والمشركون {اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا} فقالت اليهود اتخذ الله العزيز ولداً ويقولون هو ابن
 الله وقالت النصارى اتخذ الله عيسى ولداً وقالوا عيسى ابن الله {سُبْحٰنَهُ} تنزهه
 وتقدس وتعالى وترفع عن الولد {هُوَ} الله تعالى {الْغَنِيُّ} هو غني عن الولد لأنه لا
 يحتاج إلى أحد يعينه أو ينفق عليه إذا شاخ وكبر فهو لا يشيخ ولا يهرم سبحانه
 {لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ} له ملك كل ما في السموات السبع من الملائكة {وَمَا فِي
 الْأَرْضِ} وله ملك كل ما في الأرض من إنس وجن وغيرهم فهو لا يحتاج إلى معين
 ولا مساعد ولا نائب وكما قال تعالى: " وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ

لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا " ١١١ الإسراء. {إِنَّ
عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ يَهْدٰآ} إِنْ كَانَ عِنْدَكُمْ عِلْمٌ وَبَيَانَ بِهَذَا الْقَوْلِ وَهُوَ قَوْلُهُمْ
"اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا" فَجَوَابُهُ هَاتُوا سُلْطَانَكُمْ وَبَيَانَكُمْ وَأَثْبِتُوا هَذَا {أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ} كَيْفَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَهُوَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ فَهَلْ
رَأَيْتُمُوهُ وَقَالَ لَكُمْ أَنْ هَذَا هُوَ وَلَدُهُ فَكَيْفَ عَلِمْتُمْ {قُلْ} قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ
اللَّهِ {إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ} إِنْ الَّذِينَ يَخْتَلِقُونَ {عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ} يَكْذِبُونَ عَلَى
اللَّهِ بِأَنْ لَهُ وَلَدًا {لَا يُفْلِحُونَ} لَا يُوفِقُونَ وَلَا يَنْجِحُونَ فِي الدُّنْيَا فَيُضِلُّوهُ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ فِي جَهَنَّمَ {مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا} تَمَتَّعَ بِالْمَلَذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ
وَالْمَحْرَمَاتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا {ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ} ثُمَّ إِلَيْنَا مَصِيرُهُمْ وَعَاقِبَتُهُمْ وَمَأَلَهُمْ
وَنَهَايَتُهُمْ {ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ} ثُمَّ نَطْعَمُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ وَالْقَوِي
وَالْأَلِيمِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ {بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} وَهَذَا الْعَذَابُ هُوَ بِسَبَبِ
كُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ وَإِنْكَارِهِمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

﴿ وَآتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٧﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَجَعَلْنَاهُمْ حُلَفَاءَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾

﴿ ٧٦ ﴾

{ وَآتَلُّ عَلَيْهِمْ } اقرأ وقص عليهم { نَبَأُ } خبر { نُوحٍ } وهو نوح عليه السلام الأب الثاني بعد آدم وهو نبي الله ورسوله أرسله إلى قومه { إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ } أي بني جلدته وعشيرته وأهل بلده وقبيلته وأمهته { يَنْقُومِ } يا أهلي وعشيرتي { إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ } إن كان عظم عليكم وثقل { مَقَامِي } إقامتي بينكم { وَتَذَكِيرِي } ونصحي وعظتي لكم { بِآيَاتِ اللَّهِ } بدلائل الله وبراهينه وبياناته ومعجزاته على قدرته تعالى وأنه المعبود وحده لا شريك له { فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ } على الله تعالى اعتمدت واستعنت واستنصرت { فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ } اجمعوا كيدكم { وَشُرَكَاءَكُمْ } ومن أشركتم به تعالى { ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً } ثم لا يكون اجتماعكم تعب ومشقة ومصيبة عليكم فلا تغتموا بسببي بل افعلوا ما شئتم { ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ } ثم احكموا علي بما شئتم من العذاب { وَلَا تُنظِرُونِ } ولا تتمهلون { فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ } فإن أعرضتم وانصرفتم عن نصحي لكم وعن إرشادكم { فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ } فلم أطلب منكم أجراً على هداي ونصحي لكم { إِنْ أَجْرِيَ } إن أجري وثوابي { إِلَّا عَلَى اللَّهِ } إلا من الله تعالى آخذه يوم القيامة وهو دخول الجنة { وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ }

الْمُسْلِمِينَ} وأمرت من الله تعالى أن أكون من المسلمين باتباع دين الإسلام فهو لجميع الرسل كما للناس قال تعالى: " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ " ١٩ آل عمران. {فَكَذَّبُوهُ} فلم يصدقوه وأنكروا وجحدوا ما جاء به نوح عليه السلام {فَنَجَّيْنَاهُ} فأنقذناه {وَمَنْ مَعَهُ} ومن أسلم معه وصدقوه واتبعوه {فِي الْفُلِّ} فركبوا في السفينة التي صنعها نوح عليه السلام بأمر الله تعالى فنجا الله من آمن مع نوح واتبعوه وركب معه في السفينة {وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَةً} أي يخلفون ذرية من بقي من أولاد آدم بعد أن أغرق الله في الطوفان كل من كفر بالله ولم يصدق ولم يتبع نوحاً عليه السلام {وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} فأغرق الله تعالى كل من كفر وكذب بنوح عليه السلام وبرسالته وكذب بمعجزة الله تعالى {فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ} فشاهد عاقبة ومصير {الْمُذْرِبِينَ} المكذبين برسالة نوح عليه السلام ولم يصدقوا تحذيره لهم ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا

كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾

{ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ} ثم أرسلنا من بعد نوح عليه السلام {رُسُلًا} رسلاً وأنبياء أرسلهم الله تعالى {إِلَىٰ قَوْمِهِمْ} إلى أمتهم {فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} فجاءوا إليهم بالدلائل والبراهين والحجج {فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ} فلم يصدقوا ما كذبوا به {مِنْ قَبْلُ} من قبل أن يأتيهم رسولهم فكذبت الأمم السابقة وذريتهم اتبعتهم بالكذب والجحود والإنكار بالرسالات السابقة {كَذَلِكَ} وهكذا {نَطْبَعُ} نختم ونقفل {عَلَىٰ قُلُوبِ} على أفئدة {الْمُعْتَدِينَ} الباغين والمعتدين على الرسالات والمعادين لها والمنكرين بها.

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا خُنَّا لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾

{ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ} ثم أرسلنا من بعد الأقوام والأمم السابقة {مُوسَىٰ وَهَارُونَ} موسى عليه السلام ابن عمران وأخاه هارون {إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ} فرعون مصر وهو الوليد بن مصعب وإلى قومه أهل مصر {بِآيَاتِنَا} بدلائلنا وحججنا ومعجزاتنا {فَاسْتَكْبَرُوا} فتعالوا ولم يصدقوا {وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ} وكانوا قوماً عاصين ومذنبين وطاغين {فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ} فلما أتاهم موسى عليه السلام وهو رسول الله حقاً وصدقاً بآيات الله ومعجزاته {مِنْ عِنْدِنَا} من عند الله تعالى وبأمره وبإذنه {قَالُوا} فرعون وقومه {إِنَّ هَذَا} إن هذا العمل من إلقاء العصا لموسى عليه السلام ثم قلبها إلى حية وثعبان عظيم {لَسِحْرٌ} لعمل من أعمال السحر وجاء به ساحر وليس رسول {مُبِينٌ} عظيم وكبير {قَالَ مُوسَىٰ} قال لهم موسى عليه السلام رداً على قولهم أنه ساحر {أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ} أتقولون على الصدق الذي أتاكم وهي معجزة العصا من الله وانقلابها إلى ثعبان مبين {أَسِحْرٌ هَذَا} هل هذا هو سحر {وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ} ولا ينجح كهذا ولا يستطيعه السحرة لأنه معجزة من عند الله تعالى {قَالُوا} قال فرعون وقومه لموسى عليه السلام {أَجِئْتَنَا} هل أتيت إلينا {لِنَلْفِتَنَّا} لتردنا ولتحولنا وتبعدنا وتمنعنا

{عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا} على ما وجدنا وشاهدنا ورأينا وأخذنا عن آبائنا
وأجدادنا {وَتَكُونُ لَكُمْ} ويكون لكما أنت يا موسى ولأخيك هارون {الْكِبْرِيَاءُ}
الغلبة والعظمة والسيطرة {فِي الْأَرْضِ} أي في أرض مصر {وَمَا نَحْنُ} فرعون وقومه
{لَكُمْ} أنت يا موسى وهارون {بِمُؤْمِنِينَ} بمصدقين.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا
مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٨﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ
وَمَا لِإِيْهِم أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٠﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْقَوْمٍ إِن كُنتُمْ ءَامَنتم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴿٨١﴾ فَقَالُوا عَلَى
اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٢﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِّنَ الْقَوْمِ
الْكٰفِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ} قال فرعون مصر وهو ملك مصر قال لقومه {أَتُتُونِي} هاتوا لي
وأحضروا {بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ} بكل واحد من السحرة ماهر في السحر وخبير به
{فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ} فلما حضر السحرة عند فرعون {قَالَ لَهُمْ مُوسَى} قال موسى
عليه السلام للسحرة عند المناظرة والمواجهة التي أيهم يغلب فيها فيتبعوه {أَلْقُوا
مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ} أي ارموا وألقوا ما بحوزتكم من أعمال السحر التي جئتم بها
{فَلَمَّا أَلْقَوْا} فلما رموا ما بحوزتهم من أعمال السحر من الحبال والعصي التي
حشوها بمادة الزئبق حتى إذا وصلت حرارة الشمس إليها تمددت فنتحرك فيظن

الناس أنها تمشي {قَالَ مُوسَى} عليه السلام للسحرة وما جاءوا به من السحر {مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ} ما أتيتم وقدمتم من سحر {إِنَّ اللَّهَ سَبَّطِلُهُ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه سيبطله ولا يجدي أمام قدرته وعظمته {إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ} إن الله تعالى لا ينجح ولا يوفق {عَمَلِ الْمُفْسِدِينَ} عمل الباغين والمذنبين والطاغين وهم السحرة {وَوُحُقُ} ويظهر {اللَّهُ الْحَقُّ} سبحانه وتعالى سيظهر الحق ويعليه {بِكَلِمَتَيْهِ} بمعجزاته وكلامه أنه " لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا " {وَلَوْ كَرِهَ} ولو غضب وأبى ورفض ولم يقبل {الْمُجْرِمُونَ} العاصون والمذنبون {فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى} فما صدق ولم يتبع موسى عليه السلام {إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ} إلا عدد قليل من قوم فرعون وهم: (امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٢٧]. {عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ} آمنوا وهم خائفون من فرعون وقومه أن يبطشوا بهم ويعذبوهم {أَن يَفْتِنَهُمْ} أن يعذبهم فرعون لأنه ملك مصر وجبار وطاغية ولكن بني إسرائيل آمنوا كلهم إلا قارون {وَإِنَّ فِرْعَوْنَ} وإن فرعون الوليد بن مصعب فرعون مصر وملكها {لَعَالٍ} لجبار ومتعال وظالم {فِي الْأَرْضِ} في أرض مصر {وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ} الباغين والطاغين والظالمين {وَقَالَ مُوسَى} قال موسى عليه السلام {يَنْقَوْمُ} يا أهلي يا جماعتي وهم بنو إسرائيل {إِن كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ} إن آمنتم وصدقتم برسالتني والمعجزة التي أتيتكم بها وآمنتم وصدقتم {بِاللَّهِ} أي صدقتم به وبمعجزته وبرسالته {فَعَلَيْهِ} فعلى الله تعالى {تَوَكَّلُوا} اعتمدوا {إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ} إن أسلمتم ودخلتم في ديني وهو دين الإسلام لجميع الأنبياء والرسل لأنه كما قال تعالى: " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ

الإسلام " ١٩ آل عمران. {فَقَالُوا} فقال كل من آمن بموسى ورسالته ومعجزته
 {عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا} على الله اعتمدنا {رَبَّنَا} ربنا وإلهنا ورب كل شيء {لَا تَجْعَلْنَا
 فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} لا تُعَرِّضْنَا للعذاب على يد القوم الطاغين والباغين
 وفرعون وقومه {وَجِنَّا} وأنقذنا منهم وعذابهم {بِرَحْمَتِكَ} برحمة منك وفضل
 {مِنَ الْقَوْمِ الكَافِرِينَ} من فرعون وقومه لأنهم كفروا وجحدوا بك وبرسالة نبيك
 ورسولك موسى عليه السلام.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ
 وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ
 أَمْوَالَهُمْ وَأَشْدِّدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ
 أُحِيبَت دَعْوَتُكُمْ فَأَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

{وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ} وأخبر الله تعالى موسى عليه السلام وأخاه هارون
 بواسطة الوحي جبريل عليه السلام {أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكُمَا} أن اتخذوا لقومكما وهم
 بنو إسرائيل {بِمِصْرَ} بمدينة مصر وهي جمهورية مصر العربية حالياً {بُيُوتًا} أي
 مساجداً {وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً} واجعلوا لمساجدكم قبلة وهي بيت المقدس لأنها
 أولى القبلتين وهي بفلسطين وعاصمتها ، وجميع الأنبياء اتخذوها قبلة في الصلاة
 بما فيهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صلى إليها ما يقرب من ستة
 عشر شهراً أو ثمانية عشر شهراً قبل أن يأمره الله تعالى بتحويل القبلة
 إلى الكعبة {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} أي صلوا في هذه البيوت وهي بيوت الله

{وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} وبشر بشارة خير وسرور وفرح لمن آمن معك بأن لهم الجنة
 {وَقَالَ مُوسَى} وقال موسى عليه السلام مناجياً ربه {رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ
 فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ رُحْمًا وَأَعْطَيْتَ فِرْعَوْنَ مِصْرَ وَقَوْمَهُ فِي مِصْرَ {زِينَةً} زخرف وبهجة
 {وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} وأموالاً طائلة في حياتهم الدنيا {رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن
 سَبِيلِكَ} ربنا بهذه الأموال وهذه الزينة ضلوا وطغوا وبغوا وبعثوا عن عبادتك
 وطاعتك وعن طريقك المستقيم وعن الهدى {رَبَّنَا أَطْمَسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ} ربنا أهلك
 أموالهم وأذهبها عنهم {وَأَشَدُّدَ عَلَى قُلُوبِهِمْ} وأكثر على قلوبهم الهموم والفقر
 والبلاء والمصائب وضيق عليهم {فَلَا يُؤْمِنُونَ} فلا يؤمنوا بك ولا يصدقوا {حَتَّى يَرَوْا
 الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} حتى يقع بهم العذاب ويروه بأبصارهم وأعينهم عذاباً شديداً
 وقاسياً {قَالَ} قال الله تعالى له {قَدْ أَجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا} قد أجاب الله لكما
 أنت يا موسى وهارون دعوتكما التي دعوتما بها على فرعون وقومه وهو أنه كان
 موسى عليه السلام يدعو الله تعالى وهارون يؤمن على دعائه {فَأَسْتَقِيمَا} فاستقيما
 على عبادة الله وطاعته أنت يا موسى وهارون {وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا
 يَعْلَمُونَ} ولا تنحرفا مثل الذين لا يعلمون وأن مصيرهم إلى النار وهم فرعون وقومه.

﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا
 أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِء بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ ﴿١٠﴾ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ
 بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ ءَايَتِنَا لَغٰفِلُونَ
 ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا أَحْتَلَفُوا حَتَّى
 جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

{ وَجَوَزْنَا } وعبرنا ودخلنا واقتحمنا وتعدينا { بَنِي إِسْرَائِيلَ } وهم أبناء يعقوب
 عليه السلام ابن إسحاق ابن إبراهيم عليهم السلام ويعقوب عليه السلام اسمه
 إسرائيل وهم اليهود الذين كانوا يسكنون مصر من أيام يوسف عليه السلام وهم
 اتباع موسى عليه السلام وقومه { الْبَحْرُ } هو البحر الأحمر ليعبروا منه إلى جهة
 سيناء قاصدين بيت المقدس في فلسطين { فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ } فلحق بهم
 فرعون مصر وهو الوليد بن مصعب وجنوده وعساكره { بَغْيًا } ظلماً وطغياناً
 { وَعَدُوًّا } وعداءً لموسى ولبنِي إِسْرَائِيلَ الذين هربوا مع موسى وتركوا فرعون
 واتبعوا موسى عليه السلام { حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ } حتى إذا صار في سكرات
 الموت وبدأ يغرق وعرف أنه غارق وهالك لا محالة { قَالَ ءَأَمِنْتُ } قال فرعون لعنه
 الله صدقت وآمنت وتحققت { أَنَّهُ لَا إِلَهَ } أنه لا إله ولا رب ولا معبود { إِلَّا
 الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِء } إلا الله تعالى الذي آمننت وصدقت به { بَنُو إِسْرَائِيلَ } وهم
 اليهود { وَأَنَا } أي فرعون { مِّنَ الْمُسْلِمِينَ } دخلت في دين الإسلام الذي
 يتبعه موسى عليه السلام { ءَأَلْتَنَ } الآن في هذا الوقت عند غرقك وهلاكك

{وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ} وقد عصيت وأجرت وأذنبت {وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} الباغين والمذنبين والطاغين والمعتدين والظالمين والمعادين لموسى ورسالته {فَالْيَوْمَ} يوم هلاكك يا فرعون وغرقك في البحر {نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ} نُنَقِّدُ جِسْمَكَ مِنَ الْغَرَقِ بدون روح ونخرجه للساحل حتى يتحقق الناس من موتك {لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ} لتصبح لمن يأتي بعدك ممن يفسد في الأرض ويتجبر ويدعي الألوهية {ءَايَةً} عبرة وعظة {وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ} وإن أغلب الناس {عَنَّا آيَاتِنَا} عن عظاتنا ومعجزاتنا ودلائلنا {لِغَافِلُونَ} لساھون ولم يعتبروا ولم يتعظوا {وَلَقَدْ بَوَّأْنَا} ولقد أعطينا وأنزلنا {بَنِي إِسْرَائِيلَ} اليهود {مُبَوَّأً صَدَقٍ} منزلة رفيعة صدقاً وحقاً حيث جعلهم الله أبناء سلاله أنبياء وهم يوسف عليه السلام نبي ورسول وأبوه يعقوب عليه السلام نبي ورسول ويعقوب ابن إسحاق نبي ورسول وإسحاق ابن إبراهيم عليه السلام نبي ورسول وهو سلاله أنبياء بدون فاصل بينهم {وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ} ورزقهم الله تعالى بأطيب الطعام والشراب وهو المن والسلوى {فَمَا اخْتَلَفُوا} فما اختلفوا في الدين وجحدوا وأنكروا الرسل واختلفوا ولم يصدقوا ما جاء في كتابهم التوراة من صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ} حتى بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم برسالة الإسلام وبالقرآن الكريم الذي يثبت ويصدق بالتوراة وهو طبقاً لعلمهم الذي جاء في كتابهم التوراة لموسى عليه السلام {إِنَّ رَبَّكَ} إن ربك يا محمد وخالقك الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَقْضِي بَيْنَهُمْ} يحكم بين بني إسرائيل {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} يوم البعث يوم أن تقوم القيامة يحكم بينهم {فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} في

تكذيبهم لك ولرسالتك يا محمد يا رسول الله وفي مخالفتهم لموسى عليه السلام وما جاءهم به من الأمر بدخول بيت المقدس وفي مخالفتهم له وعبادتهم العجل وسيحاسبهم ويدخلهم جهنم.

﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَيِّنَاتٍ مِنَ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٤٧﴾ ﴾

{ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ } إن كنت يا محمد يا رسول الله في شك وريب { مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ } من آيات القرآن التي أنزلناها عليك لتبلغ بها الناس { فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ } فسأل من يقرؤون ويعلمون كتاب التوراة وكتاب الإنجيل اللذين أنزلا من قبلك على اليهود والنصارى وأسأل عن صفتك في كتبهم وأسأل من آمن منهم بك { لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ } لقد جاءك القرآن وهو حق وصدق من عند ربك لأن صفتك في التوراة وكما قال ابن جرير: حدثنا المثني حدثنا عثمان ابن عمر حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله ابن عمرو فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي اسمك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به قلوباً غلفاً وآذاناً صماً وأعيناً عمياً. قال عطاء ثم لقيت كعباً فسألته عن ذلك فما اختلف حرفاً إلا أن كعباً قال بلغته قال قلوباً غلوفياً وآذاناً صمومياً وأعيناً عمومياً.

وقد رواه البخاري في صحيحه عن محمد بن سنان عن فليح عن هلال بن علي فذكر بإسناده نحوه وزاد بعد قوله ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح. [ابن كثير ج ٢ ص ٢٥٣]. وفي الإنجيل كما قال تعالى: " وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ " ٦ الصف. {مِنْ رَبِّكَ} من الله تعالى ربك وخالفك يا محمد {فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} فلا تكونن من المكذبين والمشككين {وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ} ولا تكن يا محمد يا رسول الله ممن شكوا وكذبوا بآيات الله من القرآن الكريم بأنك رسول الله {فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} فتكون مع الذين خسروا أنفسهم يوم القيامة وأهلكوها لتكذيبهم وكفرهم فيدخلون جهنم ويهلكون فيها كلما نضجت جلودهم بدلناها غيرها {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ} إن الذين وجبت عليهم {كَلِمَاتُ رَبِّكَ} بالكفر والشرك والعذاب {لَا يُؤْمِنُونَ} فهم لا يصدقون برسالتك {وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ} ولو جئت لهم بكل حجة وبكل معجزة علماً بأن المعجزات كلها بين أيديهم من شمس وقمر ونجوم وسماء وأرض وبحار وثمار الأشجار وعسل النحل وحليب الحيوانات والنساء فكلها وغيرها آيات ومعجزات لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً {حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} فلم يؤمنوا ولم يصدقوا حتى يموتوا ويدخلوا جهنم ويروا بأعينهم عذابها الأليم والشديد والقوي والموجع.

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمُنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ
 عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٦٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي
 الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٩﴾ وَمَا كَانَ
 لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَجْعَلَ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٧٠﴾
 قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا
 يُؤْمِنُونَ ﴿٧١﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا
 إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

{فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ} أفلا كانت ولو قرية واحدة من كل الأمم السابقة آمنت
 وصدقت برسولها {فَنَفَعَهَا إِيمُنُهَا} فكان نفعها وحماها وحفظها إيمانها وتصديقها
 برسولها ونجاها من عذاب الله تعالى فكل القرى السابقة لم تؤمن برسولها مثل قوم
 نوح وقوم لوط وقوم هود وقوم صالح {إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ} إلا قوم يونس وأمه وهو
 يونس بن متى والقرية هي نينوى في الموصل بالعراق كانوا هم القوم الوحيديين من
 تلك القرى السابقة {لَمَّا ءَامَنُوا} لما صدقوا برسولهم ورسالة يونس بن متى عليه
 السلام بخلاف الأقوام السابقين الذين كفروا برسولهم {كَشَفْنَا عَنْهُمْ} رفعنا عنهم
 ولم ننزل عليهم {عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} عذاب الفضيحة والذل
 بمعصيتهم في الدنيا لأنهم آمنوا جميعهم وعن بكرة أبيهم ما يقرب من مائة ألف أو
 يزيدون وهذا هو السبب في نجاة هذه القرية أما القرى الأخرى فكان يؤمن البعض
 ويكفر أكثرهم {وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ} وامتعمهم الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا
 شأنه بتصديقهم برسالة رسولهم يونس عليه السلام ولم يعذبهم إلى وقت موتهم

الطبيعي وعاشوا حياتهم الطبيعية ولم يعذبوا حتى موتهم {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ} ولو أراد ربك يا محمد يا رسول الله {لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا} أي لجعل كل أهل الأرض مؤمنين مثل الملائكة في السماء لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ولكنه جعل الأرض امتحاناً للناس من يؤمن بالله ويعبده وحده ويعمل صالحاً يدخله الجنة ومن عصاه وكفر به وعبد غيره أدخله النار يوم القيامة {أَفَأَنْتَ} فهل أنت يا محمد يا رسول الله {تُكْرَهُ النَّاسَ} تجبر الناس {حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} أي هل تجبر الناس وتغصبهم عنوة حتى يؤمنوا بالله ويعبدوه لأن من عصى وخالف وأذنب وكفر فالنار تنتظره يوم القيامة في جهنم {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ} ولا يمكن أن أي شخص يؤمن ويصدق {إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} إلا بإرادة الله وتوفيقه وهداه لطاعته وعبادته {وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ} ويجعل الذنب والمعاصي والعذاب {عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} على الذين لا يفهمون أن الله تعالى هو الخالق والرازق والمحيي والمميت وهو الرب ولا معبود سواه {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {أَنْظُرُوا} انظروا أيها الناس جميعاً بأعينكم وشاهدوا {مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ} ما في السموات من آيات حتى تصدقوا وتؤمنوا من شمس وقمر ونجوم وسماء {وَالْأَرْضِ} وما في الأرض من جبال وبحار وأنهار وإنس وجن وحيوانات وطيور وأشجار وغيرها الكثير {وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ} وما فائدة هذه الآيات التي ذكرنا بعضها آنفاً والتحذير من الرسل {عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} إلى قوم لا يؤمنون ولا يصدقون لا برسول ولا بمعجزة ولا بحجة {فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ} فهل ينتظرون ويراقبون ما يحل بهم من العذاب {إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ

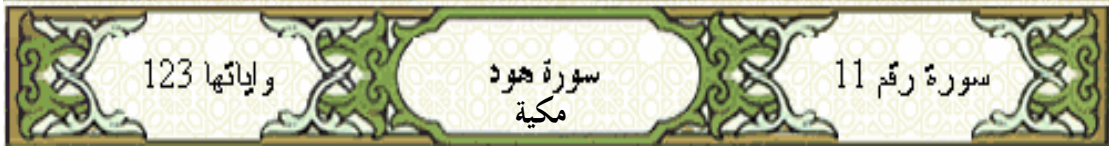
قَبْلِهِمْ} إلا مثل أيام عاد وثمود والأمم السابقة من أيام العذاب فهلكت عاد بريح
صرصر عاتية كما قال تعالى: " فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ {٥} وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا
بِريحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ {٦} سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ
فِيهَا صَرَغِي كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ {٧} فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ {٨} " ٥-٨
الحاقة. {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {فَأَنْتَظِرُونَ} انتظروا وراقبوا {إِنِّي}
إني أنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم {مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنْتَظِرِينَ} معكم
ومثلكم أراقب العذاب أو الموت لكم ومتى يحل بكم في الحياة الدنيا أو في الآخرة
عذاب جهنم وبئس المصير.

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قُلْ يَتَأْتِيهَا
النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكِّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ
اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا
يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ
لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۗ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ ۗ
وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن
أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَن ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
بِوَكِيلٍ ﴿١٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ
الْحَاكِمِينَ ﴿١٩﴾

{ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا} ثم بعد انتظار العذاب الذي ينزله الله على
قوم الرسل وأمتهم والذي ينتظره الرسل والكفار سواءً بسواءً عندها يهلك الله الكفار
والمشركين والعاصين وينجي الله تعالى رسله ومن آمن معهم في تلك اللحظة
{كَذَلِكَ} وكذلك {حَقًّا عَلَيْنَا} وعد من الله تعالى {نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ} فينجي الله
تعالى بوعده المؤمنين في كل عصر وفي كل مكان وفي كل وقت مثل ما نجى الله تعالى
الرسل ومعهم من آمن بهم من العذاب الذي أرسله على قومهم {قُلْ} قل يا محمد
يا رسول الله {يَتَأْتِيهَا النَّاسُ} يا أيها الناس جميعاً من مسلمين ويهود ونصارى
ومجوس وجميع الملل وكل بني آدم {إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكِّ} إن شككتم وارتبتم وظننتم
{مِّنْ دِينِي} من دين الإسلام الذي أرسلني الله تعالى به {فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ { فلا أعبد من أشركتم به الله تعالى من الأصنام والأوثان والأنداد
 وغيرهم { وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ } ولكن أعبد الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه
 { الَّذِي يَتَوَفَّنُكُمْ } الذي يميتكم بعد أن أحياكم وخلقكم من العدم { وَأُمِرْتُ }
 وأمرني الله تعالى { أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } أن أكون ممن صدق وآمن بالله
 وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { وَأَنْ أقيمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ } واجعل همتك في
 إتباع الناس لدين الإسلام { حَنِيفًا } مستقيماً أي ادع لنشر الإسلام واتبعه وأمر
 الناس بذلك { وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } ولا تكن مع من أشرك بالله غيره
 { وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ } ولا تتخذ غير الله ولا تعبد ولا تطلب من
 غير الله أحداً من هذه الأصنام والأنداد التي لا تنفعك بشيء لأنها جمادات { وَلَا
 يَضُرُّكَ } وهذه لا تضر أيضاً فهي جمادات ولأنها أصنام وأنداد وتماثيل لا تتحرك
 { فَإِنْ فَعَلْتَ } فإن عبادتها مثل المشركين الذين لا يصدقونك أنت ودينك { فَإِنَّكَ إِذَا
 مِنَ الظَّالِمِينَ } فإنك تكون من الخاسرين والظالمين لأنفسهم بتعذيبهم في جهنم يوم
 القيامة { وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ } وإن يصبك الله تعالى { بِضُرٍّ } بشر وبلاء ومصيبة { فَلَا
 كَاشِفَ لَهُ } فلا رافع لذلك البلاء والشر والمصيبة { إِلَّا هُوَ } إلا هو الله تعالى
 وحده { وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ } وإن يعطك ويرزقك الله تعالى بخير ورزق حسن وفضل
 منه { فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ } فلا يمنع فضله وكرمه وعطاءه أحد من خلقه { يُصِيبُ بِهِ }
 مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } ينزل الخير والشر على من يريد من عباده ومن خلقه
 { وَهُوَ } وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { الْغَفُورُ } فهو يغفر
 ويعفو ويتجاوز لمن تاب وأناب وأطاعه وعبده ولمن تقرب إليه { الرَّحِيمُ } يرحم كل

من تاب ولا يعذبه ويدخله الجنة يوم القيامة {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله
{يَتَأْتِيهَا النَّاسُ} أيها الناس جميعاً من ذكر وأنثى مسلم ويهودي ونصراني
ومجوسي وجميع الملل وكل الناس {قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ} قد جاء إليكم وأتاكم
الحق والصدق والعدل وهو القرآن الكريم ودين الإسلام {مِنْ رَبِّكُمْ} من خالقكم
ورازقكم وإلهكم الله جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {فَمَنْ أَهْتَدَى} فمن رشد
واتبع الحق وعبد الله وحده لا شريك له {فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ} فهذا الهدى
راجع بالخير على نفسه وذاته {وَمَنْ ضَلَّ} ومن ابتعد عن الحق وغوى {فَإِنَّمَا
يَضِلُّ عَلَيْهَا} فضلاله وغيه وفساده راجع عقابه على نفسه {وَمَا أَنَا} أنا محمد
رسول الله ليس لي {عَلَيْكُمْ} عليكم أيها الناس ممن كفر وعصى وضل وغوى
{بِوَكِيلٍ} وأنا غير مسؤول عن تصرفكم وكفركم وعصيانكم وغير حافظ ولا مانع
لكم عما ترتكبوه من الذنوب {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ} وخذ ما يوحى إليك الله تعالى
من القرآن واتبعه ونفذه واترك غيره {وَأَصْبِرْ} واصبر وجالد وداوم على طاعة الله
تعالى بعبادته وتنفيذ أمره {حَتَّىٰ تَحْكُمَ اللَّهُ} حتى ينفذ الله أمره بنشر الإسلام أو
بانتقالك إلى الرفيق الأعلى {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه
{حَيْرٌ} أفضل {الْحَاكِمِينَ} وهو أفضل من حكم من الحاكمين بين الناس لعدله
ولأنه لا يظلم أحداً.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ كِتَبٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾

{الر} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل السور في القرآن الكريم وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وبنفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وبالله التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جعلت في أول سور القرآن الكريم حتى يُعلم أنّ القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تكوّن القرآن من هذه الحروف العربية لذكرت في أوائل جميع سور القرآن.

وليست كذلك طلاس لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢، ١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢، ١ لقمان. وعليه فإن معنى (الر) هو قوله تعالى: " ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ " ٢ البقرة. والله أعلم مع ملاحظة كون التفسير هو تقريب المعنى للقارئ كما أشرنا {كِتَابٌ} هو القرآن الكريم {أَحْكَمَتْ} اختيرت بعناية {ءَايَاتُهُ} أي آيات القرآن الكريم أَحْكَمَتْ في نصها وبلاغتها ومعانيها {ثُمَّ فَصَّلَتْ} ثم بينت ووضحت الأحكام والأوامر والنواهي {مِن لَّدُنِّ} من عند {حَكِيمٍ} ذو حكمة في أوامره ونواهيه وفي ملكه ولا يخطئ أبداً {خَيْرٍ} عليم ومطلع على أعمالكم وأفعالكم وجميع شؤونكم وما تحتاجونه في الدنيا وفي الآخرة وما ينفعكم ويصلحكم فيهما.

﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ ﴿١﴾ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَّتَعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٢﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣﴾

{ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ } لا تعبدوا أيها الناس إلا الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه اعبدوه وحده لا شريك له { إِنِنِّي } إنني محمد رسول الله { لَكُم مِّنْهُ } أرسلت لكم أيها الناس جميعاً من عند الله تعالى بإذنه وبأمره { نَذِيرٌ } أحذركم من عذاب الله تعالى ومن مخالفة أوامره ونواهيه وعبادة غيره وعدم طاعته { وَبَشِيرٌ } أبشركم بشارة فرح وسرور ونعيم دائم في الجنة لمن أطاعه وعبده وحده لا شريك له { وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ } اطلبوا منه المغفرة وأن يسامحكم على مخالفتكم وعصيانكم وذنوبكم السابقة { ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ } ثم ارجعوا إليه بالندم وعدم الرجوع للذنوب والمعصية مرة أخرى { يُمَتِّعْكُمْ مَّتَعًا حَسَنًا } ينعمكم في عيش حسن وطيب { إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى } إلى أجل الموت { وَيُؤْتِ } ويعطي { كُلَّ ذِي فَضْلٍ } كل ذي عمل خير { فَضْلَهُ } ثوابه وجزاءه { وَإِنْ تَوَلَّوْا } وإن أعرضوا وجحدوا وأنكروا { فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ } أخشى عليكم { عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ } عذاب يوم عظيم وهو عذاب جهنم يوم القيامة { إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ } إلى الله تعالى مصيركم ومآلكم ورجوعكم بالبعث يوم القيامة وتحشرون للعذاب والعقاب والجزاء والثواب كل حسب ما قدم إن كان خيراً فله الجنة وإن كان شراً وكفراً فله النار { وَهُوَ } وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } على عمل كل شيء في الدنيا وفي الآخرة فهو يقدر ويستطيع فعل ذلك بقوله كن فيكون.

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا

يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١﴾

{أَلَا} إنها للتنبيه لما بعدها {إِنَّهُمْ} الكفار والعصاة والمذنبون {يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ} أي يخفض صدره ويحني ظهره خوفاً من أن يراه الرسول عليه الصلاة والسلام أو أحد من الناس على المخالفة أو المعصية أو الذنب والمعنى الثاني وهم يكتُمون ويسرون في صدورهم المنكر والذنب والمعصية التي سيفعلونها {لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ} حتى لا يراهم ولا يعلمهم الله تعالى ولا رسوله ولا أحد من الناس عند قيامهم بالمخالفة والمعصية والذنب {أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ} أي بعد أن يتموا المعصية ويلبسون ثيابهم بعد جريمة الزنا مثلاً أو أنهم يغطوا رؤوسهم وأجسامهم بثيابهم حتى لا يعلمهم ولا يراهم أحد {يَعْلَمُ} والله تعالى يعلم {مَا يُسِرُّونَ} ما يكتُمون في صدورهم وما يخفونه عن الناس {وَمَا يُعْلِنُونَ} وما يظهرون من المعصية أو الذنب وما يجهرون به {إِنَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} عليم بما تخفي الصدور وما تحتويه من خير أو شر منذ الأزل وحتى تموتون.

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي

كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾

{ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ } وما من مخلوق من المخلوقات يدب على الأرض ويمشي عليها أو يزحف من إنس وجن وحيوانات وحشرات وطيور وأسماك في البحار في الأرض والدنيا وهو حي { إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا } إلا والله تعالى متكفل برزقها من طعام وشراب ما دامت حية وتدب فيها الروح { وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا } ما تصل إليه من مكان في طلب الرزق وكذلك مستقرها في الأرحام من آدم عليه السلام إلى ولادتها وموتها { وَمُسْتَوْدَعَهَا } وبيتها وملجأها التي تبيت وتسكن فيه وكذلك مستودعها في الأرحام من حواء عليها السلام إلى ولادتها وموتها وقبرها ومكانها { كُلٌّ } كل الرزق والطعام والشراب والمأكول والمشرب والملبس والحياة والموت { فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } في كتاب عظيم وهو اللوح المحفوظ وكما جاء في الحديث: (فيه ذكر كل شيء).

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ

لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ

لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾

{ وَهُوَ } الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ } الله تعالى وحده هو الذي خلق السموات السبع وما فيهن والأرض وما

فيها { فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ } في عدد ستة أيام من أيام الدنيا لكن كل يوم منها عند الله

تعالى بألف سنة مما تعدون { وَكَانَ عَرْشُهُ } عرش الله تعالى وهو عرش

حقيقي كما قال تعالى: " وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ " ١٧ الحاقة.

وقوله تعالى: " فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ " ١٢٩ التوبة. وقوله تعالى: " ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ " ١٥ البروج. وقال تعالى: " وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " ٧٥ الزمر. { عَلَى الْمَاءِ } أي جعل عرشه فوق الماء. وكما قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن جامع ابن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقبلوا البشرى يا بني تميم) قالوا: قد بشرتنا فأعطنا قال: (اقبلوا البشرى يا أهل اليمن) قالوا: قد قبلنا فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان؟ قال: (كان الله قبل كل شيء وكان عرشه على الماء وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء) قال: فأتاني آت فقال يا عمران انحلت ناقتك من عقالها ، قال فخرجت في إثرها فلا أدري ما كان بعدي وهذا الحديث مخرج في صحيح البخاري ومسلم بألفاظ كثيرة فمنها قالوا جئناك نسألك عن أول هذا الأمر فقال: (كان الله ولم يكن شيء قبله ، وفي رواية - غيره - وفي رواية - معه - وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض) وفي صحيح مسلم عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء) وقال البخاري في تفسير هذه الآية: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب أخبرنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله عز وجل أنفق أنفق عليك) وقال: (يد الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سخاء الليل والنهار) وقال: (أفرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغيض ما في يمينه وكان عرشه على الماء وببده الميزان يخفض ويرفع). [ابن كثير

ج ٢ ص ٤٣٧]. وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا حماد بن سلمة عن يعلى ابن عطاء عن وكيع بن عابس عن عمه أبي رزين واسمه لقيط بن عامر بن المنفق العقيلي قال: قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: (كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق العرش بعد ذلك) وقد رواه الترمذي في التفسير وابن ماجه في السنن من حديث يزيد بن هارون به وقال الترمذي: هذا حديث حسن. [ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٧]. وقال الربيع بن أنس: وكان عرشه على الماء فلما خلق السموات والأرض قسم ذلك الماء قسمين فجعل نصفاً تحت العرش وهو البحر المسجور. [ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٧]. {لِيَبْلُوكُمْ} ليختبركم ويمتحنكم {أَيُّكُمْ} من منكم {أَحْسَنُ عَمَلًا} أن يحسن عمله وهو طاعة الله وعبادته وحده {وَلَيْسَ قُلْتِ} ولو قلت لهم يا محمد يا رسول الله {إِنَّكُمْ} أيها الناس عموماً {مَّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ} أي تحيون مرة أخرى وتبعثون يوم القيامة للحساب والعقاب والجزاء والثواب فمن عمل صالحاً وأطاع الله وعبده وحده دخل الجنة ومن عصاه وكفر به دخل النار {لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} ليقول ويجيبك الكفار ومن كفر وجحد وأنكر رسالتك وأنكر البعث بعد الموت في الآخرة يوم القيامة {إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ} إن هذا البعث لا يفعله إلا من يعمل سحراً عظيماً أي لم يصدقوا بالبعث في الآخرة ولا بيوم القيامة.

﴿وَلَيْنَ أَخْرَنَّا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا تَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ وَلَيْنَ أَذْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَيْفُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَيْنَ أَذْقَنَّهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۚ إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

{وَلَيْنَ أَخْرَنَّا} ولئن أمهلنا ولم نعجل {عَنْهُمْ} الكفار والعصاة {الْعَذَابِ} العقاب {إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ} إلى الأمد والزمن والوقت المعين لهم والمعد. والأمة هنا تعني الأجل كما قال تعالى: " لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ " وكما قال تعالى: " وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ " ٤٥ يوسف. والمعنى الثاني: (إلى أمة) إلى قوم وجماعة من الناس كما قال تعالى: " وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ " ٢٣ القصص. (معدودة) محددة ومعينة ومعروف عددهم أي أمة محددة ومعروف عددهم ومعدودة أيامهم وأجلهم {لَيَقُولُنَّ} ليقول الكفار والمشركون {مَا تَحْبِسُهُ} ما يمنعه ولماذا لم ينزل علينا أي تهكماً وتكذيباً وجحوداً وإنكاراً وسخرية {أَلَا} للتنبيه {يَوْمَ يَأْتِيهِمْ} يوم ينزل الله تعالى عليهم العقاب والعذاب ويُرسله عليهم {لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ} ليس مبعداً عنهم ولا أحد يستطيع صرفه ومنعه عنهم أي عن الكفار {وَحَاقَ} وأحاط ووقع عليهم ورجع عليهم {بِهِمْ} بالكفار والمشركين وهو العذاب الذي ينزل بهم ويقع عليهم {مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} ما كانوا به يسخرون ولا يصدقون {وَلَيْنَ أَذْقْنَا الْإِنْسَانَ} ولئن أنزلنا وأرسلنا على الإنسان {مِنَّا} من الله تعالى والجمع هنا للتعظيم لجلاله

{رَحْمَةً} خيراً ونعمة ومنتعة {ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ} ثم أخذناها منه {إِنَّهُ لَيُؤَسُّ} إنه لييأس من رحمة الله أن تنزل عليه مرة أخرى أو ينزل غيرها خيراً منها {كَفُورٌ} جحود منكر لأنعم الله وأفضاله عليه {وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ} ولئن أعطيناه {نَعْمَاءً} نعمة وخيراً ومنتعة {بَعْدَ ضُرِّآءٍ مَسَّتْهُ} بعد ضيق وشدة {لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي} يقول عندها ذهبت عني المصائب والشور والفقير والمرض والقحط {إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ} إنه لفرح بهذه النعمة وفخور على أقرانه وإخوانه وهذا ليس فرح شكر لربه على هذه النعمة بل فرح فخر وكبر {إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا} إلا الذين صبروا على النعمة وأعطوا حق الله فيها من الزكاة والصدقات وصبروا وأداموا الطاعة والعبادة لله في شدتهم ومحنتهم {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} عملوا الأعمال الصالحة وأعمال الخير وعبدوا الله تعالى بالأعمال الصالحة {أُولَئِكَ} هؤلاء من كانت صفتهم {لَهُمْ} لهم من الله تعالى يوم القيامة {مَغْفِرَةٌ} يغفر الله تعالى لهم ذنوبهم ويجاوز عن سيئاتهم {وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} وثواب عظيم يوم القيامة وهو دخول الجنة.

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ ۖ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٣٣٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ ۗ مُفْتَرِيَةٍ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٤٠﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٣٤١﴾ ﴾

{ فَلَعَلَّكَ } فرېما يا محمد يا رسول الله { تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ ۖ إِلَيْكَ } فعسى أن تريد يا محمد يا رسول الله أن تترك وتدع بعض وجزء مما يوحي ويرسل إليك { وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ } وتضيق به صدراً وتتضايق في نفسك من بعض آيات القرآن وذلك لما تلقى من جحودهم وإنكارهم وعنادهم وكفرهم وسخريتهم { أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ } لما يقولون لك لو أنزل عليه كنز من الذهب ويكون ثرياً يبهرنا به حتى نصدقه { أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ } أو جاء مرافقاً له ملك من الملائكة يثبت لنا قوله ورسالته ويؤكد لنا ذلك بأنه رسول مرسل من قبل الله تعالى { إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ } إنما أنت منذر ومحذر من عصى وأشرك بالله غيره بعذاب جهنم يوم القيامة وكما قال تعالى: " لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ " { وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ } والله تعالى هو المتصرف في كل شيء وهو المعتمد والمساند في كل شيء يقوله ويبلغه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى أمته { أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ } أو يقولون اختلقه وكذبه { قُلْ } قل لهم يا محمد يا رسول الله وأجبهم على ادعائهم وإنكارهم وجحودهم { فَأْتُوا } هاتوا { بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ } عشر سور مثل هذا القرآن الكريم { مُفْتَرِيَةٍ } مختلقات وكذبات { وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ } واطلبوا من تريدون وتستطيعون حتى

يساعدكم على ذلك {مِن دُونِ اللَّهِ} غير الله تعالى {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} إن كنتم صادقين في ادعائكم وجحودكم وإنكاركم {فَاللَّمَّ يَسْتَجِيبُوا} فإن لم يستطيعوا أن يأتوا بهذه السور المختلفة والمتشابهة مثل القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على رسوله {لَكُمْ} أيها المؤمنون {فَاعْلَمُوا} فاعلموا علم اليقين وتأكدوا وتحققوا {أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ} أن القرآن الكريم أنزل من الله تعالى بعلمه وحكمته وأمره وإرادته وبإذنه ومن علمه وهو كلامه {وَأَنَّ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} وأنه لا إله ولا رب ولا معبود غير الله تعالى إلا هو وحده لا شريك له {فَهَلْ أَنْتُمْ} فهل أنتم أيها الناس جميعاً والكفار خاصة {مُسْلِمُونَ} طائعون وعابدون الله تعالى وحده لا شريك له وداخلون في دين الإسلام.

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٠٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾

{مَن كَانَ يُرِيدُ} من كان يطلب {الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} العيش في الدنيا {وَزِينَتَهَا} وزخرفها ومتاعها وشهواتها وملذاتها وغرورها {نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ} نستكمل لهم ونستوفيهم حقوقهم وثواب أعمالهم وأجرهم {فِيهَا} في الدنيا {وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ} وفي الدنيا يعطيهم الله تعالى ثواب عملهم لا ينقصون ولا يمنعون ولا يظلمون شيئاً منه حتى لا يكون لهم أي ثواب يوم القيامة {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ} وهؤلاء الذين أخذوا ثواب أعمالهم في الدنيا ولم يبق لهم ولا حسنة ليس لهم يوم القيامة إلا دخول النار وعذابها لأنهم استوفوا أجورهم في

الدنيا بالسمعة الحسنة على أعمالهم ومخترعاتهم وكل أعمالهم وليس لهم في الآخرة من نصيب في الجنة بل يدخلون النار {وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا} وخسر ما صنعوا في الدنيا وهلك وذهب عنهم {وَبَطِلَ} هالك ولا فائدة منه {مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ما عملوا في الدنيا للسمعة فقط وليس لمرضاة الله تعالى ولا لعبادته.

﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّنَ الْأَحْزَابِ فَالِنَارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِّن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

{أَفَمَنْ كَانَ} فهل من هو {عَلَىٰ بَيِّنَةٍ} على دليل وحجة {مِّن رَّبِّهِ} من الله تعالى ربه وخالقه جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه والبينة هي القرآن الكريم {وَيَتْلُوهُ} ويقراه {شَاهِدٌ مِّنْهُ} وهو جبريل عليه السلام فهو شاهد لأنه هو الذي نزل بالقرآن وكان في الأصل في اللوح المحفوظ كما قال تعالى: " بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ {٢١} فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ {٢٢} " ٢٢، ٢١ البروج. ومن اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام منجماً على فترات وعلى حسب الوقائع {وَمِن قَبْلِهِ} ومن قبل نزول القرآن {كَتَبَ مُوسَىٰ} وهو التوراة نزل على موسى عليه السلام {إِمَامًا} يؤتم ويقتدى به {وَرَحْمَةً} يرحم الله به من يقتدي به ويعمل به من بني إسرائيل في عهد موسى عليه السلام {أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} أولئك من يقتدون به وينفذون ما أمر الله به وما نهى عنه فهم يؤمنون ويصدقون به من دون

غيرهم فالذين يؤمنون به ويصدقون به هم على بينة من ربهم {وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ} ومن يكفر ويجحد وينكر بالقرآن الكريم {مِنَ الْأَحْزَابِ} من جميع الملل من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة النار ومن أي حزب كان وينكر القرآن الكريم ويجحد به {فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ} فنار جهنم تنتظره فهي مصيره يوم القيامة {فَلَا تَكُ} فلا تكن يا محمد يا رسول الله {فِي مَرِيَّةٍ مِّنْهُ} في شك منه {إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} إنه لحق وصدق وعدل وحقيقي نزل من عند ربك وخالقك الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ} ولكن أغلب الناس {لَا يُؤْمِنُونَ} لا يصدقون به {وَمَنْ أَظْلَمُ} ومن أكثر ظلماً واعتداءً {مِمَّنْ اخْتَلَقَ} على الله كذباً {كذب على الله تعالى وأنكر نزول القرآن وجحد به {أُولَئِكَ} هؤلاء المكذوبون والجاحدون والناكرون للقرآن الكريم {يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ} يعرضون هؤلاء يوم القيامة على ربهم {وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ} ويقول الشهود سواء الرسل أو الناس أو الملائكة الحفظة الذين يكتبون الحسنات والسيئات {هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ} هؤلاء الذين كذبوا بأن الله تعالى له شريك ولم ينزل القرآن ولم يرسل رسولاً {أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} ألا غضب الله وعذابه على الظالمين لأنفسهم بالشرك والمعتدين على حدود الله تعالى. وفي صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٤٠].

﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١١﴾
 أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ
 يُضَعِفُ لَهُمُ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿١٢﴾ أُولَئِكَ
 الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
 هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿١٤﴾﴾

{الَّذِينَ يَصُدُّونَ} الذين يمنعون الناس ويتردونهم {عَن سَبِيلِ اللَّهِ} عن عبادة
 الله تعالى وإطاعته والعمل بما جاء به رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من
 السنة المشرفة {وَيَبْغُونَهَا} ويريدونها {عِوَجًا} انحرافاً وميلاً وبعداً وانصرافاً عن
 الحق وعن عبادة الله وحده لا شريك له {وَهُمْ} الكفار {بِالْآخِرَةِ} يوم القيامة
 {هُمُ كَافِرُونَ} جاحدون ومنكرون ولا يصدقون {أُولَئِكَ} أي الكفار {لَمْ يَكُونُوا
 مُعْجِزِينَ} لم يكونوا مانعين لعذاب الله تعالى عليهم ولا قادرين على النجاة من
 عقاب وعذاب الله تعالى لهم {فِي الْأَرْضِ} في الحياة الدنيا وهم أحياء {وَمَا كَانَ
 لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ} وليس لهم غير الله تعالى {مِن أَوْلِيَاءَ} من أنصار ينصرونهم
 ويمنعونهم من عذاب الله تعالى لهم {يُضَعِفُ لَهُمُ الْعَذَابَ} يشدد ويقوى ويزاد
 عذاب الله تعالى لهم {مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ} لأنهم لم يسمعوا النصيحة ولم
 يأخذوا بها في عبادة الله تعالى وطاعته وطاعة رسوله {وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ} وما
 كانوا يرون الحقيقة بأن الله تعالى الخالق لكل شيء ويستحق العبادة وحده لا
 شريك له وأن الموت حق والبعث حق ويوم القيامة حق والحساب والعقاب والجزاء
 والثواب يوم القيامة هو حق والموت يرى بأعينهم ويشاهدونه حقيقة ولكنهم عموا

عن رؤية ذلك وتصديقه {أُولَئِكَ} هؤلاء {الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ} أهلكوا أنفسهم
 وافتقدوها في جهنم يوم القيامة {وَضَلَّ عَنْهُمْ} غاب عنهم وذهب وانصرف ولم
 يجدوا له أثراً وفقدوه يوم القيامة {مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ} يختلقون ويكذبون من
 عبادة الشركاء والأصنام والأوثان والأنداد غير الله تعالى {لَا جَرَمَ} لا شك {أَنَّهُمْ}
 الكفار {فِي الْآخِرَةِ} يوم القيامة {هُمُ الْآخِسُونَ} هم الذين خسروا أنفسهم
 وافتقدوها وأهلكوها بعذاب جهنم يوم القيامة.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ

فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٢﴾

﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۗ أَفَلَا

تَذَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴿

{إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا} إن المؤمنين وهم من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
 الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} عبدوا الله تعالى وأطاعوه وعملوا الخير وأعمال البر
 والأعمال الصالحة في مرضاة الله تعالى {وَأَخْبَتُوا} والتجؤوا وعبدوا الله تعالى
 وأطاعوه ولم يعصوه في أوامره ونواهيه {إِلَىٰ رَبِّهِمْ} أي أطاعوا الله تعالى وعبدوه ولم
 يشركوا به أحداً ولم يعصوه لأنه ربهم وخالقهم وإلههم {أُولَئِكَ} هؤلاء من كانت
 صفتهم الطاعة وعمل الصالحات {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ} هم أهل الجنة وسكانها يوم
 القيامة {هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ} هم في الجنة ونعيمها دائمون {مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ} أي
 الكفار والمؤمنون {كَالْأَعْمَى} فالكفار شبههم الله تعالى بالرجل الأعمى الذي لا
 يرى الحق والطريق المستقيم وهي عبادة الله تعالى وحده {وَالْأَصْمَى} وهو الذي لا

يسمع نداءً ولا نصيحةً ولا هدى {وَالْبَصِيرُ} هو الرجل المؤمن الذي يرى الطريق المستقيم فيتبعه وهو دين الإسلام {وَالسَّمِيعُ} وهو الذي يستمع للنصيحة ويأخذ بها بعد سماعها {هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا} فهل يستوي الرجل الأعمى الذي لا يبصر والأصم الذي لا يسمع ويستوي ويكون مثل البصير الذي يرى الخير ويتبعه والسميع الذي يسمع النصيحة والهدى والرشاد فلا يستويان في الصفات وفي المكانة والمنزلة والمثل {أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} أفلا تتعظون بذلك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا نَزَّلَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ آرَاءَ يَتَمَّ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْلِزُكُمْ مُمُوهَا وَأَنْتُمْ هَا كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَتَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُّلَقُوا رَبِّهِمْ وَلِكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا جَاهِلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَتَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا} ولقد بعثنا رسولاً ونبياً {نُوحًا} وهو نوح عليه السلام وهو الجد الثاني بعد آدم عليه السلام. ونوح عليه السلام اسمه شاعر وإنما سمي نوحاً لكثرة نوحه وبكائه من خوف الله تعالى وكان أول من أمر بنسخ الأحكام وأمر بالشرائع

وكان من قبله نكاح الأخت مباحاً وحرم ذلك على عهده فكذبه قومه فأرسل الله عليهم الطوفان فغرقت الدنيا كلها إلا من كان معه في السفينة. [تنبية الغافلين ج ٢ ص ٦٦]. {إِلَى قَوْمِهِ} إلى قومه وأمته {إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ} إني لكم محذر من عذاب الله تعالى يوم القيامة {مُبِينٌ} واضح وحق ومُبين لكم الأحكام والشرائع {أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} أن لا تعبدوا غير الله تعالى {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ} إني أخشى عليكم {عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ} عذاب يوم القيامة أليم وشديد وموجع {فَقَالَ الْمَلَأُ} فقال الجمع {الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ} كفار قومه ممن جحدوا وأنكروا رسالة نوح عليه السلام {مَا نَرْنَكَ} لا نشاهدك {إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا} أنك من بني آدم مثلنا وليس ملكاً نزل من السماء إلينا {وَمَا نَرْنَكَ} ولا نشاهد {أَتَّبَعَكَ} اتبعك وصدقك ووافقك {إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَن كُفِرُوا بِهِمْ} إلا من هم سفهاؤنا وضعفاؤنا {بَادِيَ الرَّأْيِ} أول شيء {وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا} وما لكم علينا {مِنْ فَضْلٍ} منزلة أو درجة {بَلْ نَظُنُّكُمْ} بل نعتقد أنكم {كَاذِبِينَ} تكذبون علينا وتختلقون أشياء غير موجودة {قَالَ} نوح عليه السلام {يَنْقَوْمِي} يا أمتي ويا عشيرتي ويا جماعتي ويا أهلي {أَرَأَيْتُمْ} أعلمتم {إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ} على دلالة وهدى وبيان وبصيرة وعلم {مِنْ رَبِّي} من الله تعالى ربي وخالقي {وَأَتَانِي} وأعطاني {رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ} هدى وعلم ورسالة ورحمة يرحم الله بها من عبده وأطاعه من فضله {فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ} أخفيت {أَنْزَلْنَاهَا} أنزلكم عليها ونغصبكم بها {وَأَنْتُمْ هَاهُنَا} وأنتم لها مبغضون وغير موافقين على اتباعها {وَيَنْقَوْمِي} يا أمتي وجماعتي ويا أهلي وعشيرتي {لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا} لا أسألكم عليه أجراً ومكافأة ومالاً

{إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ} إن ثوابي وأجري من الله تعالى آخذه يوم القيامة {وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ} وما أنا بمبعد {الَّذِينَ ءَامَنُوا} من آمن وصدق برسالتي {إِنَّهُمْ مُلْتَقُوا رَبِّهِمْ} إنهم سيرجعون للحساب إلى الله تعالى ويقابلوا الله تعالى يوم القيامة {وَلَكِنِّي أَرْسَلْتُكُمْ} ولكني أشاهدكم {قَوْمًا تَجْهَلُونَ} قوماً لا تعلمون الحقيقة ولا تعلمون عذاب الله تعالى لكم يوم القيامة {وَيَقَوْمٍ} ويا أهلي وعشيرتي {مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ} من يحميني ويمنعني من عذاب الله تعالى لي {إِنْ طَرَدْتُهُمْ} إن أبعدتهم ولم أقبلهم {أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} أفلا تتعظون {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ} ولا أكذب عليكم وأقول أن خزائن الله وأمواله عندي وببيدي أنفق على من اتبعني {وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ} ولا أعلم غيب الله كله إلا ما أراد الله لي من الرسالة بواسطة جبريل عليه السلام {وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ} ولا أكذب عليكم وأقول لكم أنني ملك من الملائكة نزل إليكم من السماء وأنتم تعرفونني أنني بشر مثلكم {وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ} ولا أقول لمن تحتقر أعينكم ممن اتبعني وتسخرون منهم {لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا} لن يعطيهم الله أجراً وثواباً ويدخلون الجنة يوم القيامة {اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ} الله يعلم بهم وبأنفسهم وبايمانهم {إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} إنني إن طردتهم أكون من الظالمين لأنفسهم بعذاب الله تعالى لي وأكن من المعتدين على حدود الله تعالى.

﴿ قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ
 الصّٰدِقِيْنَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ
 نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ
 تُرْجَعُونَ ﴿٣٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا
 تُجْرَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

{قَالُوا} قال الكفار {يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا} يا نوح قد ناقشتنا ونصحتنا {فَأَكْثَرْتَ
 جِدَالَنَا} فزدت عن الحد في مناقشتنا {فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا} فأتنا بالعذاب الذي
 توعدنا به سريعاً ولا تتمهل {إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ} إن كنت رسولاً حقاً
 وصادقاً فأرسل علينا عذاب الله ولا تتمهل فيه {قَالَ} قال نوح عليه السلام {إِنَّمَا
 يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ} إن الله يأتي به إن شاء وأراد ومتى شاء لأن الأمر أمره
 والحكم حكمه {وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} وما أنتم براديين ولا دافعين عذابه ولا مانعين
 له ولا قادرين على منعه {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي} ولا ينفعكم نصحي وإرشادي لكم
 ولا فائدة منه {إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ} إن أردت نصحكم وفائدتكم فلا جدوى
 من نصحي لكم {إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ} إن كان الله تعالى لا يريد لكم
 الهداية ويضلكم ولم يشرح صدوركم للإيمان لكفركم وجحودكم وإنكاركم وغوايتكم
 فالله لا يريد أن يجبركم على الهدى {هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} هو الله تعالى
 ربكم وخالفكم وإلهم سترجعون إليه وتبعثون يوم القيامة للحساب {أَمْ يَقُولُونَ
 أَفْتَرَنَاهُ} أو يقولون افتراه وكذبه واختلقه وهو نصحه لهم بعبادة الله تعالى وحده لا
 شريك له وطاعته {قُلْ} قل لهم يا نوح يا رسول الله {إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ} إن اختلقته

وَكَذَّبَتْ هَذَا النَّصِاحَ مِنْ عِنْدِ نَفْسِي وَلَيْسَ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِي أَنْ آمُرَكُمْ بِهِ وَتَطِيعُونِي {فَعَلَىٰ إِجْرَامِي} فَيَقَعُ عَلَيَّ عِقَابٌ وَعَذَابٌ جَرَمِي بِتَكْذِيبِي عَلَيْكُمْ {وَأَنَا بَرِيءٌ} وَأَنَا غَيْرُ مَسْئُولٍ {مِمَّا تُجْرِمُونَ} مِمَّا تَذُنِبُونَ وَتَعْصُونَ وَتَقْعُونَ فِي جَرَمِ الْمَعْصِيَةِ وَالْمُخَالَفَةِ.

﴿ وَأَوْحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٦﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٦٧﴾ وَيَصْنَعِ الْفُلَّكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٦٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٧٠﴾ ﴾

{وَأَوْحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ} وَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَىٰ بِوَسْطَةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامِ {أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ} أَنَّهُ لَا أَحَدٌ جَدِيدٌ يُؤْمِنُ وَيَصْدُقُ بِرِسَالَتِكَ وَأَنْكَ رَسُولَ اللَّهِ إِلَىٰ قَوْمِكَ وَأَمْتِكَ وَعَشِيرَتِكَ إِلَّا فَقَطْ مِنْ آمَنَ وَصَدَقَ وَاتَّبَعَكَ {فَلَا تَبْتَئِسْ} فَلَا تَحْزَنْ وَلَا تَغْضَبْ {بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ وَالْمُخَالَفَةِ وَالْكَفْرِ {وَأَصْنَعِ الْفُلَّكَ} وَأَصْنَعِ السَّفِينَةَ {بِأَعْيُنِنَا} بِمُشَاهَدَتِنَا وَتَحْتَ نَظْرِنَا وَبِأَمْرِنَا وَبِمُؤَافَقَتِنَا وَقَدْ صَنَعَهَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَلَاثَ طَبَقَاتٍ فَالسُّفْلَىٰ لِلدُّوَابِّ وَالْوُحُوشِ وَالْوَسْطَىٰ لِلْإِنْسِ وَالْعُلْيَا لِلطُّيُورِ وَكَانَ بَابُهَا فِي عَرْضِهَا وَلِهَا غَطَاءٌ مِنْ فَوْقِهَا مُطَبَّقٌ عَلَيْهَا كَمَا فِي تَفْسِيرِ ابْنِ

كثير ج ٢ ص ٤٤٤ {وَوَحِينَا} والوحي هو جبريل عليه السلام وتحت مراقبته {وَلَا تُخْطِئُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا} ولا تسألني في شأن الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والعصيان {إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ} لأنهم سيغرقون جميعاً ويهلكون ويموتون {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ} وعندما كان يصنع السفينة وفي أثناء ذلك {وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ} كلما مر عليه وجاء عليه جماعة من عشيرته ومن قومه {سَخِرُوا مِنْهُ} استهزءوا به ومن صنعه للسفينة لأنه بعيد عن البحر فماذا يفعل بها {قَالَ} نوح عليه السلام {إِنْ تَسَخَرُوا مِنِّي} إن تستهزئوا بنا من صنع السفينة في مكان ليس به ماء ولا بحر ولا هو صياد للسمك يصطاد بها ولذلك سخروا منه {فإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ} فإننا نستهزئ بكم عند استعمالها وركوبها كما تسخرون وتستهزئون بنا الآن لأنكم تنكرون هذه المعجزة فهي معجزة من الله تعالى وهي أول المعجزات في الأرض للرسول {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} من يأتيه عذابٌ مخزبه في المستقبل وبعد الانتهاء من صنعها وفي وقتها تعلمون الحقيقة ومن يأخذه عذاب يخزيه عذاب يذله ويفضحه ويغرقه أي ستعلمون مصيركم وعذابكم وهلاككم عندما تغرقون {وَسَجَّلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} ويأتي عليه عذاب دائم بالغرق والهلاك والموت في الدنيا وعذاب جهنم يوم القيامة دائم لا يفتر عنهم ولا يرفع ولا يخفف {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا} حتى إذا جاء وعد الله تعالى وأمره بالغرق والهلاك {وَفَارَ الْتُورُ} وظهرت بداية المعجزة وإشارة وعلامة خروج الماء من مكان مستوقد النار. وخروج الماء من مكان النار شيء غير معتاد ولكنه إشارة وعلامة ودليل لنوح عليه السلام {قُلْنَا} قال الله تعالى إلى نوح عليه السلام بواسطة جبريل عليه السلام الآن وفوراً

{أَحْمَلُ فِيهَا} أي حَمَلٌ في السفينة {مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ آثْنَيْنِ} أي من كل نوع اثنان ذكر وأنثى من جميع الحيوانات والطيور وغيرها {وَأَهْلَكَ} وهم أهل بيتك أولادك {إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ} إلا من سبق عليه القول أنه لن يؤمن ولن يصدقك وهي زوجتك واسمها (راعدة) وولدها كنعان لم يؤمنا معه {وَمَنْ ءَامَنَ} واحمل كذلك معك من آمن وصدق بك وبرسالتك {وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} ولم يؤمن معه إلا عدد قليل قيل إنهم أربعون رجلاً وأربعون امرأة ذكر ذلك في تنبيه الغافلين ج ٢ ص ٦٦ حيث قام نوح عليه السلام في قومه وبين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يهديهم ولم يؤمنوا فأغرقهم الله تعالى.

﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرئَهَا وَمُرْسئَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ

تَجْرئُ بِهِمْ فِي مَوْجِ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْرَلٍ يَبْنئُ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَاءَ وئى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرُقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَتَّارِضْ أَبْلغِي مَاءَكَ وَيَسْمَأْءَ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

{وَقَالَ} نوح عليه السلام لمن آمن معه وصدق به {ارْكَبُوا فِيهَا} أي اركبوا في السفينة لأن الله أعطاني إشارة وعلامة بدء الغرق لكل من كان في خارج السفينة {بِسْمِ اللَّهِ مَجْرئَهَا} بسم الله سيرها لأنها تسير بسم الله وبإذنه وبأمره وبحكمه وبرعايته وبتوفيقه وحمایته وتأييده {وَمُرْسئَهَا} وإرساؤها ووقوفها وكله بإذن الله وبأمره {إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ} قال نوح عليه السلام إن ربي سيغفر لكم ذنوبكم السابقة

بعد توبتكم وإيمانكم {رَحِيمٌ} ويرحمكم لأنه رحيم بكم وسينجيكم من الغرق لأنكم مؤمنون {وَهِيَ} أي السفينة التي صنعها نوح عليه السلام والتي ركبها نوح عليه السلام ومن آمن معه {تَجْرِي} تسير بإذن الله تعالى {بِهِمْ} بنوح عليه السلام ومن آمن معه وأنواع الحيوانات والطيور التي أمره الله بحملها معه في السفينة {فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ} حتى أصبح الماء فوق رؤوس الجبال موجاً وارتفع عليها بخمسة عشر ذراعاً والله أعلم وكما جاء في تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٤٦ : وأنه تلاطم موج الماء في الأرض اليابسة من كثرة تدفق الماء من ينابيع الأرض ومن مطر السماء والسفينة تسير في حفظ الله ورعايته وكأنها تسير في حرير بإذن الله تعالى. {وَنَادَى نُوحٌ أَبْنَاهُ} ونادى نوح عليه السلام ابنه وقيل اسمه يام أو كنعان وهو الابن الرابع لنوح عليه السلام وهو الذي لم يؤمن مع والده بعكس إخوته الثلاثة الآخرين الذين آمنوا وهم سام وحام ويافث ونساؤهم كما قال تعالى: " وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ " ٧٧ الصافات. فتوالدوا حتى كثروا فالعرب والفرس والروم كلهم من ولد سام والحبش والسند والهند كلهم من ولد حام ويأجوج ومأجوج والصقالبة والترك كلهم من ولد يافث ذكر ذلك في تنبيه الغافلين ج ٢ ص ٦٦ {وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ} وكان معتزلاً عن أبيه نوح عليه السلام ومعتزلاً عن ركوب السفينة ولم يركب فيها لكفره وعناده وجحوده وعدم تصديق والده نوح عليه السلام بالرسالة {يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ} قال له نوح عليه السلام مخاطباً وملاطفاً له يا ابني ويا ولدي اركب معنا في السفينة حتى لا تغرق ولا تكن مع الكافرين والمعاندين والجاحدين لأمر الله تعالى ولحكمه وإرادته {قَالَ} قال كنعان رداً على أبيه {سَعَاوِي} سألتجئ {إِلَى جَبَلٍ يَعْصُمُنِي مِنَ الْمَاءِ} إلى جبل يحميني ويحفظني ويمنعني

من غرق الماء الذي تدعيه لأن الجبل عال وشاهق ولا يصله الماء ولا الغرق {قَالَ} قال له نوح عليه السلام {لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} لا منقذ ولا ملجأ في هذا اليوم ولا حامي من الغرق لمن لا يركب في السفينة بحكم الله تعالى على ذلك وهي إرادته وأمره {إِلَّا مَنْ رَحِمَ} إلا من رحمه الله وحفظه من الغرق بأمره وبإذنه وإرادته {وَحَالَ} وفصل وحجز {بَيْنَهُمَا} بين نوح عليه السلام وابنه كنعان الذي كفر بالله ووجد وأنكر ولم يؤمن بالله {الْمَوْجُ} تلاطم موج الماء وارتفاعة وعلوه {فَكَانَ} فكان مصير كنعان أنه {مِنَ الْمُغْرَقِينَ} أنه غرق في الطوفان ولم ينفعه النصح فأغرقه الله تعالى في الماء مع من كفر من قوم نوح عليه السلام {وَقِيلَ} من قِبَلِ اللَّهِ تعالى قِيلَ {يَتَأْرَضُونَ لِمَاءِكِ} يا أرض اشربي وجففي الماء الذي عليك وتوقفي يا ينابيع الماء عن التدفق والنبع {وَيَسْمَأُ أَقْلِي} ويا سماء أوقفي المطر وهطول الماء ونزوله وتوقفي وكوني صحوة {وَوَغِيضَ الْمَاءِ} وبدأ يقل الماء وينقص بعد شدته وغزارته الشديدة وتوقف وامتنع وانحصر عن النزول من السماء والفوران من الأرض {وَقُضِيَ الْأَمْرُ} وانتهى الأمر بغرق وهلاك وموت كل من كفر برسالة نوح عليه السلام ونجا نوح عليه السلام ومن آمن معه وكل من في السفينة {وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ} ورسى على جبل الجودي بالعراق بسلام وأمان ونجاة من الغرق {وَقِيلَ بُعْدًا} وقيل هلاكاً وموتاً وعدم نجاة {لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} للقوم المعاندين والعاصين والباغين والظالمين لأنفسهم بالشرك والكفر والعصيان والإنكار والجحود.

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ
 الْحَكَمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا
 لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ
 أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾
 قِيلَ يَنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ
 ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ
 تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾

{وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ} النداء من نوح عليه السلام لربه الله تعالى نداء الملهوف
 والمستجير لغرق ابنه حتى ينقذه الله تعالى من الغرق وفيه طلب ودعاء والسرعة
 واللهفة والعجلة لضيق الوقت ، أما المناجاة فهي على مهل وعلى غير عجلة كما
 في الحديث الذي سأل موسى عليه السلام ربه قائلاً: (يا رب أقرب أنت
 فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ فأوحى الله إليه: (أنا جليس لمن ذكرني) فقال: (يا
 رب إنا نكون على حال نجلك أن نذكرك بالجنابة) قال: (اذكرني على كل
 حال). [ذكره في الإحياء - نزهة المجالس ج ١ ص ١٧]. وهذه المناجاة تكون أثناء
 ذكر الله تعالى {فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي} فقال في دعائه واستجارته ودعاء
 الأب وحبه لولده يا رب ويا خالقي ويا إلهي إن هذا الذي يغرق هو من أهلي أي
 ابني من صلبي وأنت تعلم حب الوالد لولده {وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ} وإن ما وعدتني
 من نجاة أهلي هو الحق وذلك عندما قال له تعالى: " حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ
 التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ " {وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ}
 وأنت أصدق القائلين وأعدل من حكم بنجاة ابني لأنه يظن أنه له منزلة عند الله

وشفاعة وسيترأف به وبحاله وبحال ابنه وينقذه {قَالَ} قال الله تعالى له رداً على ندائه ودعائه واستجارته بالله {يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} يا نوح هذا كنعان ليس ممن يُعد من أهل بيتك لأنه {إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ} إن عمله أي ابنك كنعان الذي خالفك وكفر بالدعاء له عمل غير صالح الدعاء له وفي تفسير آخر لا تدعو له لأنه عمل عملاً غير صالح أي كفر بالله تعالى {فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} أي لا تطلب مني ما لا تعلمه وهو أن المشرك ليس له شفاعة عند الله تعالى كما قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ" {إِنِّي أَعْظَمُكَ} إني أنصحك {أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} أن تكون مثل الجاهلين بحكم الله تعالى لأن الله تعالى أخذ على نفسه وعداً بعقاب وعذاب كل من كفر وهكذا الله تعالى يريد براءته من ولده لكفره كما تبرأ إبراهيم عليه السلام من والده كما قال تعالى: "فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ" ١١٤ التوبة. {قَالَ} قال نوح عليه السلام {رَبِّ} ربي وإلهي وخالقي ومعبودي يا الله {إِنِّي أَعُوذُ بِكَ} قال نوح عليه السلام متأسفاً ومسترجعاً ومستغفراً ربي إني أعوذ بك وأستجير بك {أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ} لن أطلب منك وأدعوك ما لا أعرف ولا أعلم في دعائي {وإِلَّا تَغْفِرْ لِي} وإن لم تغفر لي هذا الذنب في دعائي {وَتَرَحَّمْنِي} برحمتك من عذاب خطيئتي في دعائي بنجاة ولدي الذي كفر {أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ} أكون عندها ممن خسروا أنفسهم يوم القيامة بعذاب الله تعالى لهم في جهنم وهذا تأييد قوله تعالى: "مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ" ١١٣ التوبة. {قِيلَ} أي قال الله تعالى

أي قال الله تعالى لنوح عليه السلام بواسطة الوحي جبريل عليه السلام {يَنُوحُ} أيها الرسول نوح {أَهْبِطْ} انزل وارس بسفينتك على الأرض بعد جفافها من الماء {بِسَلْمٍ مِّنَّا} بأمان وطمأنينة من الله تعالى ورحمته ونجاته لك ولمن معك في السفينة فلا خوف الآن عليك وانتهت مدة الغرق والخوف {وَبَرَكَتٍ عَلَيْكَ} ورحماتٍ ونعمٍ وخيرٍ من الله ينزل عليك {وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَّعَكَ} وعلى جماعات ممن ركبوا معك في السفينة وذريتهم ستمتعهم بهذه النعم والخيرات في الدنيا {وَأُومَمٍ} وجماعات أخرى ممن سيكفرون فيما بعد {سَنُمَتِّعُهُمْ} نعيشهم في رغد من العيش في الدنيا {ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} ثم لكفرهم يعذبهم الله تعالى يوم القيامة عذاباً أليماً شديداً وموجعاً وقاسياً لكفرهم وجحودهم وإنكارهم لرسولهم وعدم عبادة الله تعالى وحده لا شريك له {تِلْكَ مِنْ أُنْبَاءِ الْغَيْبِ} هذه القصة من علم الغيب يا محمد يا رسول الله {نُوحِيهَا إِلَيْكَ} نُقِصُّهَا عَلَيْكَ ونعلمك بها بواسطة الوحي جبريل عليه السلام بقرآن يقرأ وهذا يدل على أن القرآن من عند الله تعالى وليس من عند سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا} أي أن هذه القصة وغيرها مما جاء في القرآن الكريم لم يعلمها النبي صلى الله عليه وسلم لا في قراءة كتب سابقة ولا قصص ولا أحد له علم بها لا هو ولا قومه من قريش لأنهم جميعاً لا يعرفونها قبل ذلك وهي من علم الله تعالى أنزلها في كتابه القرآن الكريم ليكون حجة على الناس أن هذا القرآن وهذه القصص من عند الله تعالى ولا يعلمها أحد غيره قبل هذا الوقت {فَاصْبِرْ} فاصبر يا محمد يا رسول الله على طاعة الله تعالى وداوم عبادته وطاعته وتبليغ الرسالة {إِنَّ الْعَقِيبَةَ} إن نهاية كل أمر يكون في نتيجته وعاقبته

{لِلْمُتَّقِينَ} لمن اتقى الله تعالى وعبده وحده فهو الذي يفوز بالجنة ورضوان الله تعالى يوم القيامة.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ إِنَّا أَنتم إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥١﴾ يَنْقَوْمِ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۗ إِنَّا أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَنْقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٣﴾ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهِتِنَا ۗ عَنِ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٤﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا أَعْرَبْنَاكَ بَعْضُ آلِهِتِنَا بِسُوءِ ۗ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ بِاللَّهِ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٥﴾ مِن دُونِهِ ۗ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۗ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۗ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٧﴾﴾

{وَإِلَىٰ عَادٍ} إلى قوم وقبيلة عاد {أَخَاهُمْ هُودًا} هوداً عليه السلام أخاً لهم وهو نبيهم ورسولهم ويطلق القرآن على الرسول اسم أخ وليس أب لقومه. وأرسله الله تعالى إلى قومه كما أرسل الرسل جميعهم كل إلى قومه {قَالَ} قال هود عليه السلام نبي الله ورسوله لقومه {يَنْقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ} قال لهم يا قومي ويا عشيرتي أطيعوا الله واعبدوه وحده لا شريك له {مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ} ليس يوجد إله غير الله تعالى ولا معبود سواه {إِنَّا أَنتم إِلَّا مُفْتَرُونَ} إن أنتم عبدتم غيره أو أشركتم به أحداً إنكم مختلقون ومكذبون على الله تعالى {يَنْقَوْمِ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا} يا قوم لن آخذ منكم أجراً ولا عطاءً ولا مكافأة على نصحي لكم بعبادة الله وحده لا شريك له {إِنَّا أَجْرِي إِلَّا عَلَى} إن أجري وثوابي على رسالتي إليكم آخذ الأجر والثواب

من الذي {الَّذِي فَطَرَنِي} من الله تعالى الذي خلقني {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} أفلا تفهمون وتعرفون الحق هو الله تعالى الخالق والمحيي والمميت والرازق والذي خلق كل شيء أفلا تعقلون ذلك وتفهمونه وتعرفونه {وَيَنْقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ} اطلبوا منه المغفرة أن يسامحكم على مخالفتكم وعصيانكم وذنوبكم السابقة {ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ} ثم ارجعوا إليه بالندم وعدم الرجوع للذنوب والمعصية مرة أخرى {يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} ينزل المطر عليكم كثيراً لتسقون منه وتسقون دوابكم وينبت الله به الزرع وبذلك تكثر عليكم الخيرات والرزق الوفير من الثمار والحبوب والفواكه {وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} ويزيدكم منعة إلى منعتكم وخيراً إلى خيركم ومالاً إلى مالكم وجاهاً إلى جاهكم وغناً إلى غناكم وثروة إلى ثروتكم وصحة إلى صحتكم ويزيدكم الله قوة وصحة من كثرة الخير في الفواكه والثمار والمأكول والمشرب {وَلَا تَتَوَلَّوْا} ولا تذهبوا ولا تعرضوا {مُجْرِمِينَ} عاصين ومذنبين وباغين وطاغين {قَالُوا} قالت قوم عاد إلى رسولهم هود عليه السلام {يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ} قالوا يا هود لم تأت لنا ببينة ولا دلالة ولا حجة ولا برهان ولا معجزة وتكون واضحة حتى نصدقك {وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا} ولا نحن نترك عبادة آلهتنا إطلاقاً {عَنْ قَوْلِكَ} بمجرد قولك لنا أن هناك إلهاً واحداً {وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} ولا نحن لك بمصدقين بما تقول لنا {إِنْ نَقُولُ} لا نقول {إِلَّا أَعْرَبْنَاكَ} إلا مسك وأصابك {بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ} أصابك من بعض آلهتنا وأصنامنا وأوثاننا بعض السوء وهو الجنون {قَالَ} قال هود عليه السلام لقومه رداً عليهم {إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوكُمْ} إني أجعل الله شاهداً عليّ واشهدوا أنتم كذلك عليّ {أَنِّي بَرِيءٌ} أني

غير مسؤول وأبرأ { مِمَّا تُشْرِكُونَ } من جميع الشركاء والأصنام والأوثان والأنداد الذين تشركون بهم في عبادة الله وحده لا شريك له { مِنْ دُونِهِ } أي تعبدونهم من دون الله وتشركونهم في عبادته { فَكَيْدُونِي جَمِيعًا } فاعملوا ما استطعتم من المكائد لي لعدم عبادتي أصنامكم وأوثانكم وأندادكم من دون الله تعالى { ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ } لا تتأخروا ثم لا تتمهلون واستعجلوا ما استطعتم في كيدي { إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ } إني اعتمدت على الله في عبادتي وطاعتي وفي نصرتي وفي نجاتي من عبادة أصنامكم ومن عذاب الله تعالى لي { رَبِّي وَرَبِّكُمْ } وهو ربي وربكم وخالقي وخالقكم ورازقي ورازقكم ومميتني ومحييني ومميتكم ومحييكم { مَا مِنْ دَابَّةٍ } ما من مخلوق ولا شيء يدب على وجه الأرض حياً من إنس وجان وحيوان وطير وأسماك في البحار { إِلَّا هُوَ } إلا هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { ءَأَخِذُ بِنَاصِيَتِهَا } إلا هو الله تعالى آخذ بناصيتها ممسك زمامها ومصيرها فالله تعالى هو المتصرف في شؤونها { إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } إن ربي على طريق مستقيم أي عادل في حكمه ولا يجور ولا يظلم ولا يحيد عن الحق والعدل والصواب.

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ءَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ ءَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّءَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾

{فَإِنْ تَوَلَّوْا} فإن أعرضتم ولم تصدقوا ولم تأخذوا برسالتي أنا هود رسول الله {فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ} فقد بلغت رسالة ربي إليكم وهي عبادة الله وحده لا شريك له وطاعته في أوامره واجتناب نواهيه {وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ} ويأتي ربي وخالقي وإلهي الله تعالى بقوم غيركم يطيعونه ويعبدونه أفضل منكم إن أنتم أعرضتم وأنكرتم وحدثتم رسالتي {وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا} ولا تستطيعون ضر الله تعالى بكفركم وعنادكم وجحودكم وفي الحديث القدسي: (يا عبادي إنكم لن تبغوا ضري فتضروني ولن تبغوا منفعتي فتنفعونني). [والحديث مطول وذلك في خطب ابن الخطيب ص ١٦٠ - رواه مسلم الأحاديث النووية ص ٧]. {إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ} إن ربي محيط بكل شيء ولا ينسى بل يحصي جميع الأعمال ويحفظها لأصحابها وكما جاء في الحديث المطول: (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه). [خطب ابن الخطيب ص ١٦٠ ، رواه مسلم الأحاديث النووية ص ٧]. {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا} ولما أتى عذاب الله على قوم عاد {نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ} أنقذنا نبي الله ورسوله هوداً عليه السلام ومن آمن معه وصدق

برسالته {بِرَحْمَةٍ مِّنَّا} بفضل ومعجزة من الله تعالى {وَنَجِّينَاهُمْ} وأنقذهم الله تعالى كذلك {مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} من عذاب قاس وشديد في الدنيا وفي يوم القيامة وهو شديد وعنيف وأليم وموجع {وَتِلْكَ} وهؤلاء {عَادٌ} وهم قوم هود عليه السلام {جَحَدُوا} أنكروا ولم يصدقوا {بِآيَاتِ رَبِّهِمْ} بحجج وبراهين ودلائل وإرشادات ومعجزات ربهم وخالفهم الله تعالى {وَعَصَوْا رُسُلَهُ} وخالفوا متابعة رسلهم {وَاتَّبَعُوا} واقتدوا {أَمَرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} اتبعوا أمر الجبابرة والطغاة والعصاة في قومهم {وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ} ولحقهم في الدنيا لعنة العذاب والهلاك ويوم القيامة يعذبون في نار جهنم {أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ} يخبر الله تعالى عن قوم عاد بأنهم كفروا وجحدوا وأنكروا عبادة ربهم {أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ} ألا هلاكاً في الدنيا وفي الآخرة لقوم عاد وهم قوم هود عليه السلام وذلك لكفرهم بالله تعالى وإنكارهم وجحودهم برسالة نبي الله ورسوله هود عليه السلام.

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ۗ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَنْصَلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَدُنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَآتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ۗ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ ﴾

{وَإِلَى ثَمُودَ} وأرسل الله تعالى إلى قوم ثمود {أَخَاهُمْ صَالِحًا} أرسل الله تعالى إليهم نبيهم ورسولهم صالح عليه السلام ويطلق على الرسول اسم أخ لقومه وليس أب كما قال تعالى: " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا " ٤٠ الأحزاب. وكلمة الأخ هنا مجازاً ويحق للرسول الزواج من بنات قومه ولو كان أبوهم لحرم عليه الزواج قطعياً من قومه وهذا خلاف الطبيعة وقوانين الحياة وهذا اللفظ يثبت بلاغة القرآن وحكمته ولذلك لما ذكر الله تعالى أن زوجات الرسول عليه السلام بأنهن أمهات للمؤمنين قد حُرِّموا بهذا اللفظ على جميع المؤمنين علماً بأنهن ليست أمهاتهم الحقيقيين لا من الولادة ولا من الرضاعة بقوله تعالى: " النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ " ٦ الأحزاب. ولذلك حرمت نساء الرسول عليه الصلاة والسلام على المؤمنين بالزواج منهن لأنهن أصبحن أمهات للمؤمنين ولذلك حرمن على المؤمنين بقوله تعالى: " وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا " ٥٣ الأحزاب. {قَالَ} قال صالح عليه السلام {يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} يا قومي ويا عشيرتي ويا أهلي ويا أمتي

اعبدوا الله وحده لا شريك له ليس لكم إله ولا خالق ولا معبود غير الله تعالى
 {هُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَنْشَأَكُمْ} هو خلقكم {مِنْ
 الْأَرْضِ} أي من طين الأرض وتراب الأرض كما قال تعالى: " إِذِ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ
 إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ " ٧١ ص. وكما قال تعالى: " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
 سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ " ١٢ المؤمنون. وكما قال تعالى: " الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ
 خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ " ٧ السجدة. وكما قال تعالى: " هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ
 قَضَىٰ أَجَلَ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ " ٢ الأنعام. {وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}
 جعلكم عماراً وورثة وسكاناً في الأرض وتفلحون وتزرعون الأرض وتخرجون ثرواتها
 {فَأَسْتَغْفِرُوهُ} اطلبوا من الله المغفرة وأن يسامحكم على مخالفتكم وعصيانكم
 وذنوبكم السابقة {ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ} ثم ارجعوا إليه بالندم وعدم الرجوع أبداً للذنوب
 والمعصية مرة أخرى {إِنَّ رَبِّي} إن ربي وخالقي الله تعالى جل جلاله وعظم قدره
 وعلا شأنه {قَرِيبٌ مُّجِيبٌ} قريب للداعي ومجيب دعواه إذا دعاه بقلب خاشع
 ومطيع ومنيب {قَالُوا يَنْصَلِحْ} قال قوم صالح لرسولهم صالح عليه السلام {قَدْ
 كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا} أي لقد كنت فينا يرجى منك الخير {قَبْلَ هَذَا} قبل هذا اليوم
 الذي أرسلت إلينا فيه لنعبد إلهاً واحداً {أَتَنْهَدِنَا} أتمنعنا {أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ
 آبَاؤُنَا} أن نعبد الأصنام التي عبدها آباؤنا من قبل {وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ} وإننا لفي
 ظن {مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ} مما تدعوننا وتأمرونا وتنصحنا {مُرِيبٍ} بالغ الشك والظن
 {قَالَ} قال صالح عليه السلام {يَنْقَوْمٍ} يا قومي ويا أمتي ويا عشيرتي ويا قبيلتي
 {أَرَأَيْتُمْ} أعلمتم {إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ} على برهان ودلاله {مِنْ رَبِّي} من ربي

وخالقي الله تعالى {وَأَتَنِي مِنْهُ رَحْمَةٌ} وأعطاني الله تعالى منه فضلاً ورحمة
يرحمني ويرحمكم من عذاب يوم القيامة وهي رحمة الرسالة لأنقذكم وأنقذ نفسي
من عقاب الله وعذابه في الدنيا وفي الآخرة {فَمَنْ يَنْصُرُنِي} فمن يحفظني {مِنْ
اللَّهِ إِنَّ عَصِيَّتُهُ} من عذاب الله تعالى إن أنا عصيته وخالفته {فَمَا تَزِيدُونِي} فلا
تزيدوني {غَيْرَ تَخْسِيرٍ} غير خسارة وحسرة وندم عليكم لمعصيتكم لله تعالى وعبادة
غيره ولو أظعنكم أنال خسارة نفسي وعذاب الله تعالى لي يوم القيامة.

﴿ وَيَقَوْمٍ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا

بُسْوَةً فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٣٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ

ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْذُوبٍ ﴿٣٧﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ

بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٣٨﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ

ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٣٩﴾ كَانُوا يَمْسُوهَا فِيهَا آيَةٌ لِلَّذِينَ

أَنبَأُوا بِآيَاتِنَا لِيُذَكَّرُوا ﴿٤٠﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَذَرْهُمْ عَلَىٰ مَا يَسُوءُونَ سَاءً إِنَّهُمْ

{وَيَقَوْمٍ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ} وقد كان قوم

صالح عليه السلام نبي الله ورسوله قد سأله أن يخرج لهم ناقة من صخرة في جبل

معجزة له على رسالته ففعل ذلك وقال لهم صالح عليه السلام يا قومي هذه ناقة

الله أرسلها الله لكم معجزة فذروها ودعوها تأكل في أرض الله تعالى حيث شاءت

{وَلَا تَمْسُوهَا بُسْوَةً} ولا تصيبوها بأذى {فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ} وإذا أصبتموها

بشرّ فسينزل عليكم عذاب الله سريعاً وعاجلاً. وكانت الناقة تشرب من البئر

يوماً ومواشيهم تشرب يوماً وكانت تحلب لبناً لجميع أهل البلد وتكفيهم

جميعاً من اللبن {فَعَقَرُوهَا} فقتلوها {فَقَالَ} فقال لهم صالح عليه السلام

{ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ } أي تمتعوا بالأكل والشرب في دياركم وقريتكم { ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ } أي حياتكم تمكث ثلاثة أيام فقط وبعدها تموتون { ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْذُوبٍ } وهذا وعد حق وصدق ولا كذب فيه وقصة عقر الناقة أنه كانت امرأة لها مواشي كثيرة فخافت على مواشيتها من الناقة تأكل طعامهم وتشرب ماءهم فطلبت من يقتل الناقة لها وستزوجه بابنتها وهي ذات جمال عظيم وستغدق عليه الأموال الكثيرة إذا قتل الناقة فاتفق تسعة نفر من أشرف القوم وأشهرهم وأفسدهم معها على قتل الناقة فلما عقروا الناقة وقتلوها صرخ ابنها ثلاث صرخات وهرب في جحر في الجبل فقال لهم صالح عليه السلام كل صرخة بيوم أي تمتعوا أحياءً لمدة ثلاثة أيام وهي آخر أيامكم في الدنيا وبعدها تموتون وهذا وعد حق وصدق ولا كذب فيه ولا مفر منه { فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا } فلما أتى أمر الله تعالى بإنزال العذاب على ثمود قوم صالح عليه السلام { نَجِيًّا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ } نجياً الله تعالى سيدنا صالح عليه السلام نبي الله ورسوله وكل من آمن معه من هذا الهلاك والعذاب والعقاب الذي أنزله الله تعالى عليهم { بِرَحْمَةٍ مِّنَّا } بفضل من الله تعالى رحم الله بها من آمن مع صالح عليه السلام { وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ } ومن فضيحة ذلك اليوم وما يستتبعه من فضيحة وخزي يوم القيامة ينجي الله تعالى ويرحم رسوله سيدنا صالح عليه السلام وكل من آمن معه زيادة على نجاتهم في الدنيا من غضب الله تعالى وعذابه { إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ } إن ربك يا محمد يا رسول الله هو القوي ، وشديد القوة ، ولا شيء أقوى منه ، والقادر على هلاكهم هم وجميع خلقه { الْعَزِيزُ } العزيز الجانب القوي في سلطانه وفي نصره وفي ملكه وفي أمره وفي حكمه { وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا } ونزل بالذين ظلموا { الصَّيْحَةَ } هي عذاب الله تعالى

والصيحة هي الرجفة وهي الزلزلة وقد صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة رجفت منها قلوبهم وماتوا من شدة الخوف والفرع والرجفان وكما قال تعالى: "فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ" ٧٨ الأعراف. {فَأَصْبَحُوا فِي دَيْرِهِمْ جَاثِمِينَ} فأصبحوا بعد نزول عذاب الله تعالى عليهم جثثاً هامدة في ديارهم في قريتهم وفي أماكن سكناهم ووجودهم وأهلكوا وما توا عن آخرهم {كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا} كأنهم لم يوجدوا في الدنيا قبل ذلك ولم يتمتعوا فيها ولم يعيشوا فيها لأنهم هلكوا وماتوا وكانوا هباءً {أَلَا إِنَّ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ} يُعَلِّمُ اللَّهُ تَعَالَى سَيِّدَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتَهُ أَنَّ تَمُودَ قَوْمٍ صَالِحٍ كَفَرُوا وَمَاتُوا كُفْرَارًا وَهَذِهِ شَهَادَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى كُفْرِهِمْ وَمَوْتِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ {أَلَا بُعْدًا لِتَمُودَ} ألا هلاكاً لتمود يوم القيامة هلاكاً وعذاباً كما أهلكهم في الدنيا.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا رِءَا أَيْدِيهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ ﴿٦٧﴾ وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴿٦٨﴾ قَالَتْ يَنْبَغِي لِي إِذْ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٠﴾﴾

{وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا} ولقد أرسل الله تعالى الملائكة رسلاً مرسلين إلى {إِبْرَاهِيمَ} أرسل الله تعالى الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل إلى إبراهيم عليه السلام نبي الله ورسوله {بِالْبُشْرَى} البشري دائماً تأتي بالفرح والسرور والخير

{قَالُوا} قالت الملائكة عليهم السلام لسيدنا إبراهيم عليه السلام {سَلِّمْ} أي ردوا عليه التحية تحية الإسلام وهي السلام وهي الأمان والطمأنينة وعدم الخوف ممن يلقيها {قَالَ} قال إبراهيم عليه السلام {سَلِّمْ} أي رد التحية عليهم بالسلام {فَمَا لَبِثَ} فما مكث في ضيوفه حتى {أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَيْنِذٍ} أتى لهم بطعام بعجل مشوي {فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ} فلما نظر إبراهيم عليه السلام إلى ضيوفه ولم يأكلوا من الطعام الذي قدمه إليهم وهو عجل مشوي وهو أشهى أنواع الطعام وأفضله ولما لم يأكلوا منه {نَكَرَهُمْ} أنكر سيدنا إبراهيم عليه السلام على الضيوف الذين لم يحركوا أيديهم لتناول الطعام ظناً منه أنهم يريدون شراً لعدم تناولهم الطعام وكان يظن أنهم رجال من بني آدم ولا يعرف أنهم ملائكة وهذا يدل على أن الملائكة تأتي على صفة رجال أي أنهم يتمثلون بأشكال مختلفة حتى أن نبي الله ورسوله إبراهيم عليه السلام لم يعرفهم أنهم ملائكة وهذا هو سبب إنكاره لهم {وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} حدثته نفسه خوفاً وشكاً وظناً فيهم أنهم يريدون شراً به وبأهله لأن عادة العرب لا تخون من تأكل طعامه وفي المثل يقال: (مالِحْنَا) أي كل من ملح طعامنا حتى لا يخونهم إذا أكل طعامهم وهذا هو الذي جعل سيدنا إبراهيم عليه السلام يوجس منهم خيفة ويشك فيهم وفي قدومهم وما هو سببه {قَالُوا} قالت الملائكة عندها حتى يطمئنوه {لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ} لا تخاف ولا تخشى يا إبراهيم إنا قد أرسلنا من قبل الله تعالى إلى قوم لوط لنهلكهم وليس لك {وَأَمْرًا تُهْرُ} وهي زوجة إبراهيم عليه السلام سارة رضي الله عنها {قَائِمَةً} قائمة في خدمة الضيوف مع زوجها إبراهيم عليه السلام. ولما أمر الله تعالى جبريل أن يقلب مدائن قوم لوط عليه السلام قال للملائكة إن لله خليلاً

فزوروه فدخلوا على إبراهيم ليلاً فقرب لهم عجلاً حنيذاً أي مشويماً وكان العجل عزيزاً عند سارة رضي الله عنها لأنها ربته ولم يكن لها ولد فنظر إليها إبراهيم من شق الباب وهي قائمة فسألها عن ذلك فقالت أقوم في خدمة الضيفان فقال إنهم لم يروك قالت ربهم يراني فلما لم يأكلوا منه شيئاً بكت سارة فسألها إبراهيم عن ذلك فقالت لا العجل ولا الأجر حصل؟! فقال جبريل يا إبراهيم بشر سارة بإسحاق ثم وضع يده على العجل فقام حياً بإذن الله تعالى وقال: (القادر على رد العجل قادر على الولد سبحانه). {فَضَحِكَتْ} فضحكت سارة رضي الله عنها استبشاراً بالخير أولاً: بإحياء العجل لهم وثانياً: فرحت لهلاك قوم أخيها لوط لأن سارة زوجة إبراهيم عليه السلام هي أخت لوط عليه السلام ولوط كان ابن عم سيدنا إبراهيم عليه السلام [انظر بستان العارفين للسمرقندي ص ٦٧] فضحكت استبشاراً بنصرة أخيها لوط على قومه الذين يعملون الفاحشة ثالثاً: وضحكت ببشارة أنها سترزق بولد وولد الولد وهو إسحاق عليه السلام ابنها وسيأتي ولد وهو يعقوب عليه السلام والضحك يأتي غالباً بالبشارة وقبل حصولها والقرآن فيه تقديم وتأخير {فَبَشَّرْنَاهَا} فبشرها الله تعالى بواسطة جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة {بِإِسْحَاقَ} وهو إسحاق نبي الله ورسوله ابن سارة وابن إبراهيم عليه السلام {وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} ويولد لإسحاق عليه السلام مولود ذكر سيكون اسمه يعقوب وهذه الآية تدل على أن الله تعالى أعلم سارة عليها السلام هي وزوجها إبراهيم عليه السلام بالغيب بأنه سيولد لهما إسحاق ويعقوب لأنه قال سبحانه وتعالى: " وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ " ٢٥٥ البقرة. {قَالَتْ} قالت سارة رضي الله عنها {يَوَيْلَ لِيَءِ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ} وقالت سارة متعجبة كيف ألد وأنا امرأة

عجوز وارتفع عنها دم الحيض {وَهَذَا بَعْلِي} وهذا زوجي إبراهيم عليه السلام {شَيْخًا} أي شاخ وكبير سنه {إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ} فقالت إن الولد الذي سيأتييني وأنا عجوز كبيرة في السن أمر عجيب وغريب ومستغرب بالنسبة لقانون وناموس الطبيعة والحياة وعادة النساء إذا ارتفع عنهن الحيض فإنهن لا ينجبن بعد ذلك وهذه بشارة أخرى رابعة بأنها ستبقى سارة رضي الله عنها حية حتى ترى ولدها إسحاق ويولد له ابنه يعقوب عليهم السلام جميعاً {قَالُوا} قالت الملائكة جبريل عليه السلام ومن معه من رسل الله تعالى {أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} هل تستعربين أمر الله وحكمه وإرادته بالولد لكم {رَحِمْتُ اللَّهُ} رحمة الله تنزل دائماً بكم وعليكم {وَبَرَكَاتُهُ} وخيراته ونعمه {عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ} عليكم تنزل أنتم يا أهل البيت بيت النبوة أهل إبراهيم عليه السلام {إِنَّهُ} الله تعالى {حَمِيدٌ} حميد الصفات {مَجِيدٌ} مجيد الأفعال فلا يعجزه أمر وفضله كبير وخيره عميم.

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجْنِدُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَتَابِرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴿

{فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ} فلما ذهب عن إبراهيم عليه السلام الخوف من الضيوف بعد معرفتهم أنهم ملائكة لا من الإنس كما تصور وظن في بادئ الأمر فلما انصرف عنه ذلك الخوف والرعب {وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى} وبشرته الملائكة بأنه ستلد له سارة إسحاق عليه السلام ومن وراء إسحاق يعقوب أي ابناً لإسحاق {يُجْنِدُنَا} بدأ إبراهيم عليه السلام نبي الله ورسوله يجادل ويناقش جبريل عليه السلام ومن

معه من الملائكة في عذاب قوم لوط قائلاً أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن؟ قالوا لا ، قال أفهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا لا ، قال أفهلكون قرية فيها أربعون مؤمناً؟ قالوا لا ، قال ثلاثون؟ قالوا لا ، حتى بلغ خمسة قالوا لا قال رأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها؟ قالوا لا ؟ فقال إبراهيم عليه السلام عند ذلك : (إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته) الآية فسكت عنهم واطمأنت نفسه كما قال سعيد بن جبير. [ابن كثير ج ٢ ص ٤٥٢]. {فِي قَوْمِ لُوطٍ} في هلاك الملائكة لقوم لوط عليه السلام لأنهم يعملون الفاحشة يأتون في الأدبار الرجال بالرجال {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ} إن إبراهيم عليه السلام فيه صفة الحلم والحلم هو الأناة وعدم الغضب والتسرع والطمأنينة في الحكم وبعده البصيرة في الأمور {أَوَاهُ} كثير التأوه ، والتأوه هو عدم حبس الألم والحزن والغضب في قلبه وهو كآنين المريض في مرضه بقوله آه آه لينفس عن نفسه ويخفف عنها في مرضه وحزنه وهو خلاف السخط والقنوط بل فيه التسليم لقضاء الله والترويح عن النفس بهذا اللفظ {مُنِيبٌ} راجع في جميع أموره إلى حكم الله تعالى وقضائه {يَتَابِرَاهِيمُ أُعْرِضْ} كف وامتنع ولا تجادل {عَنْ هَذَا} عن هذا العذاب الذي سيصيب وينزل على قوم لوط عليه السلام {إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ} إنه قد انتهى حكم الله وقدره تعالى فيهم بالعذاب وأمر ربك الله تعالى جاء وحضر {وَأَنبَأَهُمْ} قوم لوط {ءَاتِيهِمْ} واقع بهم {عَذَابٌ} عقاب الله تعالى {غَيْرُ مَرْدُودٍ} غير ممنوع عنهم ولا يستطيع أحد أن يردده ويمنعه عنهم لأنه قضاء وقدر.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾
 وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴿٧٨﴾ قَالَ يَنْقَوْمِ هَتُّوْلَاءِ
 بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴿٧٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُونِ فِي ضَيْفِي ۗ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ
 ﴿٨٠﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٨١﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ
 لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٢﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوَا إِلَيْكَ
 فَاسْرِبِ بِاهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ ۗ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا
 أَصَابَهُمْ ۗ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۗ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا
 عَلَيْهِمَا سَافِلِهَآ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٤﴾ مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ
 وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٥﴾﴾

{وَلَمَّا جَاءَتْ} ولما حضرت {رُسُلُنَا} الملائكة جبريل عليه السلام ومن معه من
 الملائكة فهم رسل مرسلون من قبل الله تعالى {لُوطًا} إلى لوط عليه السلام {سِيءَ
 بِهِمْ} كره لوط عليه السلام وحزن بقدمهم وساءه قدموهم {وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا} حصل
 له ضيق شديد ونكد لا يحسد عليه وضاق بهم صدرًا ومكاناً {وَقَالَ} لوط عليه
 السلام {هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ} هذا يوم شديد المصائب والهموم والأحزان بقدم
 الملائكة رسل الله تعالى عليه لأنه رآهم على شكل فتیان مُرد وعلى جمال وحسن
 أخاذ فخاف عليهم من قومه أن يفعلوا الفاحشة بهم لجمالهم وحسنهم وهو لا
 يعرفهم أنهم ملائكة ورسل الله تعالى إليه لينقذوه من شرورهم وقبح أعمالهم
 {وَجَاءَهُ قَوْمُهُ} وعندما أخبرت زوجته (وَعَلَّه) قومها بقدم أضياف على لوط
 عليه السلام مُرد وفي جمال وحسن لم يوصف جاءه قومه {يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ} يُسرعون

إلى بيته {وَمِنْ قَبْلُ} ومن قبل هذه المرة دائماً {كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ} كانوا يعملون إتيان الذكور بالذكور دون النساء في الأدبار والسيئات هي سيء الأعمال وأقبحها {قَالَ} قال لوط عليه السلام نبي الله ورسوله إلى قومه الذين جاءوا مسرعين يريدون فعل الفاحشة بضيوفه وهو إتيان الذكران في الأدبار {يَنْقَوْمِرْ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي} قال يا قومي ويا عشيرتي هؤلاء بناتي دونكم {هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ} هن أفضل وأطهر وتزوجهن خير لكم وأفضل {فَاتَّقُوا اللَّهَ} خافوا الله {وَلَا تَحْزُونِ فِي صَيْفِي} ولا تفضحوني في ضيوفي {أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ} أليس منكم رجل عاقل {قَالُوا} قال قومه له {لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ} لقد علمت أن لنا حق المصاهرة في الزواج من بناتك {وَأَنَّكَ لَتَعَلَّمُ مَا تُرِيدُ} وإنك لتعلم مرادنا وما نبغي {قَالَ} قال لوط عليه السلام {لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ} لو أنه عندي قوة جسمانية {أَوْءَاوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ} أو عندي سند يحميني وينصرني أنا وضيوفي ويمنعكم من فضيحتي بعملكم المنكر في ضيوفي {قَالُوا يَلْبُوطُ} قال ضيوفه وهم الملائكة {إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ} إنا ملائكة مرسلون من قبل ربك الله تعالى {لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ} لن يستطيعوا أن يصلوا إليك بأذى أي لا تخف حيث مسح جبريل عليه السلام بجناحه على وجوههم فلم يروا شيئاً فتوعدوه إلى الصباح حتى يروه في وضح النهار وكما قال تعالى: "وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ" ٣٧ القمر. {فَأَسْرَبَ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ} أخرج وسافر ورحل من هذه القرية بأهل بيتك {بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ} في جزء من الليل {وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ} ولا يبق أحد منكم في قريته {إِلَّا أَمْرًا تَكُ} أي اخرج بجميع أهل بيتك ما عدا زوجتك رَعْلَةً

{ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ } إنه مصيبها العذاب الذي يصيب قوم لوط { إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ } إن موعد العذاب في الصباح مع طلوع أول النهار { أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ } أليس موعد الصبح لعذابهم قريب وقته أي لا تستعجل الصبح فهو قريب بعد بضع ساعات يأتيهم العذاب { فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا } فلما جاء أمر الله تعالى وحان وقت نزول العذاب عليهم { جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا } جعل الله تعالى ظاهر البلدة في أسفلها وقلبها داخل الأرض وهو أن جبريل عليه السلام حمل القرية على جناحه وهي سدوم حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب وصياح الديوك وأهلها نائمون ثم قلبها رأساً على عقب { وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً } وفي حال نزولها تهوي من السماء أمطرها الملائكة بالحجارة { مِّن سَجِيلٍ مَّنضُودٍ } من طين مشوي وصلب ومتحجر وشديد القساوة والقوة والصلابة والسجيل هو الطين كما قال تعالى: " لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ " ٣٣ الذاريات. { مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ } معلمة بإذن ربك كل رجل مكتوب عليها اسمه { وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ } وليس هي ببعيدة عن هلاك وعذاب أحد من الباغين والطاغين وغير ممنوعة عنهم ولا بعيدة عنهم أي أنها ممكن أن تقع على أي شخص يظلم ويظلم ويبغي على الناس أو يشرك بالله تعالى فهي لا تبعد عنه فهي قريبة منه قد تنزل في أي وقت عليه أو في أي لحظة عقاباً وعذاباً.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أُرِيدُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمِ أَوفُوا بِالْقِسْطِ ۗ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ ﴾

{وَإِلَىٰ مَدْيَنَ} وأرسل الله تعالى إلى أهل مدين بالأردن وهي قرية قريبة من معان {أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} يطلق على الرسول وهو شعيب عليه السلام اسم أخ لقومه وليس أب كما قال تعالى: " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا " ٤٠ الأحزاب. وكلمة الأخ هنا مجازاً ويحق للرسول الزواج من بنات قومه ولو كان أبوهم لحرم عليه الزواج قطعياً من قومه وهذا خلاف الطبيعة وقوانين الحياة وهذا اللفظ يثبت بلاغة القرآن وحكمته ولذلك لما ذكر الله تعالى أن زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام أمهات للمؤمنين حرّموا بهذا اللفظ على جميع المؤمنين من الزواج منهم علماً بأنهن لسن أمهاتهم الحقيقيات لا من الولادة ولا من الرضاعة بقوله تعالى: " النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ " ٦ الأحزاب. ولذلك حرمت نساء الرسول عليه الصلاة والسلام على المؤمنين بالزواج منهم لأنهم أصبحوا أمهات للمؤمنين ولذلك حرّموا على المؤمنين بقوله تعالى: " وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا " ٥٣ الأحزاب. {قَالَ} قال شعيب عليه السلام لقومه {يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ} قوموا بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له واجعلوا أعمالكم كلها خالصة لله تعالى {مَا لَكُمْ} ليس لكم

{مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} ليس لكم إله ولا معبود غير الله تعالى وحده لا شريك له {وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ} لا تجعلوا الكيل وهو كالصاع والإردب ينقص ولا يخس عن مقداره {وَالْمِيزَانَ} وهو ما يوزن فيه من الأشياء بالدرهم والجرام والكيلو وغيرها أي لا تنقصوا هذه الأشياء المكيال والميزان إذا بعتم {إِنِّي أَرْبُكُمْ} قال شعيب عليه السلام إني أراكم وأشاهدكم بعيني {بِخَيْرٍ} بنعمة وفضل وترف ومعيشة طيبة ورعدة وحسنة {وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ} وإني أخشى عليكم {عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ} عذاب نازل بكم وحاصل لكم ومدرككم لا محال {وَيَنْقُومِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ} ويا قومي أكملوا المكيال حقه سواء الصاع أو الإردب أو غيره ولا تنقصوه ولو كان شيئاً قليلاً إذا كلتم أو بعتم لغيركم {وَالْمِيزَانَ} وأوفوا الميزان حقه ولا تنقصوه في الوزن لغيركم إذا بعتم ولا تنقصوه ولو شيئاً قليلاً {بِالْقِسْطِ} أي بالعدل {وَلَا تَبْخُسُوا} ولا تنقصوا ولا تخسروا ولا تمحقوا {النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ} الناس حقوقهم في أشياءهم عند شرائها {وَلَا تَعْتُوا} ولا تنتشروا {فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} في أرض الله تعالى وفي كل مكان باغين وطاغين وظالمين بأكل حقوق الناس {بَقِيَّتُ اللَّهِ} باقيات الله وثوابه {خَيْرٌ لَّكُمْ} أفضل لكم عند الله تعالى يوم القيامة {إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ} إن كنتم مؤمنين بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ومصدين بذلك {وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} وما أنا بحافظ لكم من ارتكاب المعاصي والذنوب والظلم ولا أستطيع أن أمنعكم عن المعاصي والذنوب.

﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَنْقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَنْقَوْمِ لَا تَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾

{قَالُوا يَشْعِيبُ} قال قوم شعيب إلى شعيب عليه السلام {أَصَلَوْتُكَ} هل صلاتك وعبادتك {تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} أي هل عبادتك وصلاتك أمرتك أن نترك وندع ما يعبد آباؤنا من الأصنام والأوثان والأنداد {أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُا} وهل صلاتك وعبادتك تمنعنا من فعل أي شيء في أموالنا وما نريد سواءً أنقصنا الكيل والميزان أو لا فنحن أحرار في بيعنا وشرائنا وفي أموالنا نتصرف كيفما نريد {إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ} إنك أنت الحلیم المؤدب ذو الرأي السديد {الرَّشِيدُ} العاقل قالوها بسخرية وتهكم واستهزاء ولكنه رغماً عنهم لهو الحلیم الرشید {قَالَ} قال شعيب عليه السلام رداً عليهم {يَنْقَوْمِ} يا أهلي ويا عشيرتي {أَرَأَيْتُمْ} أعلمتم {إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ} على دلالة وهدى وبيان {مِّن رَّبِّي} من خالقي ورببي الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {وَرَزَقَنِي مِنْهُ} ورزقني الله من فضله وكرمه {رِزْقًا حَسَنًا} وهو الرسالة وكذلك كل مال وخير طيب وحلال كله من فضل الله تعالى عليّ {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ}

وما أريد أن آمركم وأخالفكم فيه أي لا أحرم عليكم شيئاً وأحله على نفسي بل
أحرمه على نفسي كما حرّمته عليكم {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ} لا أريد غير الإصلاح
لكم والهدى لكم {مَا أَسْتَطَعْتُ} ما قدرت على هداكم {وَمَا تَوْفِيقِي} وما سداذي
في إرشادكم ونصحكم وهدايتكم {إِلَّا بِاللَّهِ} إلا بتوفيق الله لي وبمساعدي ونصرتي
{عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} عليه اعتمدت في نصحكم وهدايتكم وفي كل أموري وشؤوني {وَالِيهِ
أُنِيبُ} وإليه أرجع في الأمر كله {وَيَنْقُومُ} يا أهلي وعشيرتي {لَا تَجْرِمَنكُمْ} لا
يزيدكم طغياناً وإجراماً {شِقَاقِي} عداوتي {أَنْ يُصِيبَكُمْ} أن ينزل عليكم عذاب
الله تعالى {مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ} مثل ما أنزل الله
العذاب والهلاك على قوم نوح عليه السلام بالغرق وقوم هود وقوم صالح بالموت
والهلاك {وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُمْ} وليس عذاب قوم لوط بأن جعل قريتهم عاليها
سافلها {بِبَعِيدٍ} بزمان طويل ومدة كبيرة {وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ} اطلبوا من الله
تعالى ربكم وخالفكم المغفرة وأن يسامحكم على مخالفتكم وعصيانكم وذنوبكم
السابقة {ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ} ثم ارجعوا إليه بالندم وعدم الرجوع بالذنوب والمعصية مرة
أخرى {إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ} إن ربي الله تعالى يرحم من تاب وندم ورجع وصدق
وآمن {وَدُودٌ} يحب الناس ويتودد إليهم ليتوبوا ويعبدوه وحده لا شريك له.

﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِيْنَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٣١﴾ قَالَ يَبْقَوْمِ اأَرْهَطِيْ- اَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اَللّٰهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وِرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا ۗ اِنَّ رَبِّيْ بِمَا تَعْمَلُوْنَ مُحِيْطٌ ﴿٣٢﴾ وَيَبْقَوْمِ اَعْمَلُوْا عَلٰى مَكَانَتِكُمْ ۗ اِنِّيْ عَمِلٌ ۗ سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ ۗ مَن يَّاتِيْهِ عَذَابٌ تُخْزِيْهِ وَمَن هُوَ كَذِبٌ ۗ وَاَرْتَقِبُوْا اِنِّيْ مَعَكُمْ رَقِيْبٌ ﴿٣٣﴾ وَاَمَّا جَاءَ اَمْرُنَا نَحِيْنَا شُعَيْبًا وَاَلَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَاَخَذَتِ اَلَّذِيْنَ ظَلَمُوْا الصَّيْحَةَ فَاَصْبَحُوْا فِيْ دِيْرِهِمْ جَثِمِيْنَ ﴿٣٤﴾ كَاَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيْهَا ۗ اَلَا بُعْدًا لِّمَدِيْنٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُوْدُ ﴿٣٥﴾ ﴾

{قَالُوا يَشْعِيبُ} قال قوم شعيب يا شعيب ولم يقولوا يا رسول الله لأنهم لم يصدقوا رسالته {مَا نَفَقَهُ} ما نفهم {كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ} أي أكثر قولك لا نفهمه ولا نصدقه {وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِيْنَا} وإنا لنراك بيننا {ضَعِيفًا} ضعيف الجسم وليس بك قوة جسمانية وعضلية حتى نخافك أو نرهبك {وَلَوْلَا رَهْطُكَ} ولولا جماعتك من عشيرتك {لَرَجَمْنَاكَ} لقتلناك {وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ} وليس أنت لك عندنا معزة ولا غلاوة في قلوبنا حتى نحترمك ونعزك ونقدرك {قَالَ} قال شعيب عليه السلام رداً عليهم {يَبْقَوْمِ} يا قومي ويا عشيرتي {أَرْهَطِيْ} أقبيلتي وجماعتي {أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اَللّٰهِ} أشد حباً ومنعة من الله تعالى عليكم {وَاتَّخَذْتُمُوهُ وِرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا} وجعلتموه وراء ظهركم ليس له أي اعتبار ولا خوف منه ولا وجل {اِنَّ رَبِّيْ بِمَا تَعْمَلُوْنَ} إن ربي الله تعالى بكل عملكم {مُحِيْطٌ} أي يعلمه {وَيَبْقَوْمِ اَعْمَلُوْا عَلٰى مَكَانَتِكُمْ} ويا قومي اعملوا ما شئتم {اِنِّيْ عَمِلٌ} أي إنني عامل في عبادة الله وحده لا شريك له وفي طاعته وفي عبادته على أحسن وجه

{سَوْفَ تَعْلَمُونَ} سوف تعلمون وتُخبرون وتُنَبِّؤون {مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ مُخْزٍ مِنْهُ} من ينزل عليه عذاب الله تعالى يفضحه في الدنيا بالهلاك وفي الآخرة في جهنم {وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ} وستعلمون من هو الذي يكذب أنا برسالتي أو أنتم بجحودكم وإنكاركم {وَأَرْتَقِبُوا} وانتظروا من يأتيه العذاب {إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ} وإني معكم أراقب وأنظر من يأتيه عذاب الله تعالى فهو الذي يكذب {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا} ولما أتى أمر الله تعالى بالعذاب {لَنَجِيَّنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ} أنقذنا من العذاب شعيباً عليه السلام نبي الله ورسوله وكل من آمن معه {بِرَحْمَةٍ مِنَّا} برحمة من الله تعالى وفضله رحمهم الله تعالى بها وأنقذهم من عذابه {وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ} فنزلت على الذين عصوا من قوم شعيب صيحة العذاب ونزول العذاب بالزلزلة والرجفة {فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ} فأصبحوا في أماكنهم وسكناتهم ودورهم وأماكنهم {جَثِمِينَ} هالكين {كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا} كأن لم يعيشوا في الدنيا ولم تنفعهم حياتهم وترفهم وملذاتهم وطغيانهم {فِيهَا} في الدنيا {أَلَّا بُعْدًا لِلْمَدِينِ} ألا هلاكاً لأهل مدين {كَأَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ} كما هلكت ثمود من قبلهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٦٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ ۚ فَاتَّبَعُوْا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيْدٍ ﴿٦٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُوْدُ ﴿٦٨﴾ وَأَتَّبَعُوْا فِي هٰذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ ۚ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُوْدُ ﴿٦٩﴾﴾

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ} ولقد أرسل الله تعالى موسى نبي الله ورسوله عليه السلام
 {بِآيَاتِنَا} بمعجزاتنا {وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ} وبرهان عظيم وهو انقلاب عصا موسى عليه
 السلام إلى حية تسعى {إِلَىٰ فِرْعَوْنَ} وهو فرعون مصر وهو الوليد بن مصعب
 {وَمَلَإِيْهِ} إلى قوم فرعون وجماعته وحاشيته {فَاتَّبَعُوْا أَمْرَ فِرْعَوْنَ} اقتدوا بفرعون
 واتبعوه وأطاعوا أمره {وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ} وليس أمر فرعون لقومه {بِرَشِيْدٍ}
 بصائب ولا حكيم {يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ} يتقدم قومه يوم القيامة {فَأَوْرَدَهُمُ
 النَّارَ} فأدخلهم معه النار لضلالهم وكفرهم {وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُوْدُ} وساء وقبح
 المكان الذي يأتونه ويدخلونه يوم القيامة لشركهم وكفرهم وجحودهم وهو جهنم
 وبئس المصير {وَأَتَّبَعُوْا} ولحق بهم {فِي هٰذِهِ} أي الدنيا {لَعْنَةُ} عذاب وغضب
 ولعن {وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ} يوم تقوم القيامة ويبعث الناس من قبورهم للحساب {بِئْسَ}
 ساء وقبح {الرَّفْدُ الْمَرْفُوْدُ} العطاء الذي يُعْطُوْنَه يوم القيامة وهو النار وعذابها.

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِمَّا قَابَئُومٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخَذْنَا مِنَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُمْ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ ﴿١٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٧﴾ ﴾

{ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ} ذلك من علم وأخبار {الْقُرَىٰ} سكان وأقوام القرى من الأمم السابقة كقوم نوح وهود وصالح {نَقُصُّهُ عَلَيْكَ} نحكيه لك يا محمد يا رسول الله {مِمَّا قَابَئُومٌ} من القرى وأهلها {قَابَئُومٌ} لا يزال حي سواء سكانه أو ذريتهم {وَحَصِيدٌ} وهالك وميت من الأقوام والأمم السابقة {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ} ولم نظلمهم عندما أهلكناهم {وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ} ولكن عذبناهم لأنهم ظلموا أنفسهم وخسروا أنفسهم لشركهم وعنادهم وكفرهم وعصيانهم وجحودهم وإنكارهم لرسولهم وما جاءوهم به من عبادة الله وحده وطاعته {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ} فما منعت {عَنْهُمْ} آلهتهم {عَنْهُمْ} عنهم أصنامهم وأوثانهم وأندادهم لم يمنعوا عنهم عذاب الله تعالى لهم ولم ينصروهم {الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} التي يعبدونها من دون الله تعالى ويشركونها مع الله تعالى {مِنْ شَيْءٍ} لم تستطع لهم شيئاً لا نفعاً ولا ضراً {لَمَّا جَاءَ} لما حضر {أَمْرُ رَبِّكَ} حكم ربك بالعذاب لهم {وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ} وما

زادوهم غير خسارة وهلاك وعذاب {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ} وهكذا عذاب ربك يا محمد يا رسول الله {إِذَا أَخَذَ الْقُرَى} إذا عذب أهل القرى {وَهِيَ ظَلَمَةٌ} وهي مشركة وعاصية وطاغية وباغية وناكرة وجاحدة لأمر الله تعالى {إِن أَخَذَهُ} إن عذابه {الْيَمْرُ} موجع {شَدِيدٌ} قوي وقاس {إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ} إن في ذلك لعبرة وعظة {لَمَنْ خَافَ} لمن خشى {عَذَابَ} عقاب {الْآخِرَةِ} يوم القيامة {ذَلِكَ يَوْمٌ} يوم القيامة {مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ} يجمع في هذا اليوم جميع الناس في المحشر {وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ} وذلك يوم عظيم يشهده جميع الخلق والإنس والجن والملائكة وسبحانه وتعالى للقضاء بين الخلق والناس {وَمَا تُؤَخِّرُهُ} وما يؤخر الله تعالى يوم القيامة {إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ} إلا لأجل محدود ومعين وقته عند الله تعالى ولا يعلمه غيره وكما قال تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ" ٢ الأنعام. {يَوْمَ يَأْتِ} يوم يحضر وقته وهو يوم القيامة {لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ} لا تنطق نفس {إِلَّا بِإِذْنِهِ} إلا بأمره وإرادته كما قال تعالى: "هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ" {٣٥} وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ {٣٦} " ٣٦، ٣٥ المرسلات. وكما قال تعالى: "يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا" ٣٨ النبأ. {فَمِنْهُمْ} من الناس {شَقِيٌّ} تعيس بائس لأعماله القبيحة فيشقى في العذاب يوم القيامة {وَسَعِيدٌ} هنيء ومسرور وذلك بأعماله الطيبة فيسعد في الجنة {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا} فأما الذين ساءت أعمالهم وقبحت {فَفِي النَّارِ} فمصيرهم في نار جهنم يوم القيامة {هُمْ فِيهَا} يكون لهم في جهنم {زَفِيرٌ} خروج النَّفْسِ {وَشَهيقٌ} أخذ النَّفْسِ بضيق وشدة وعذاب في نار

جهنم لأنهم يتنفسون دخان نار جهنم عذاباً لهم أي يتنفسون ، خروج النفس ودخوله بضيق شديد وعذاب أليم {خَالِدِينَ فِيهَا} مخلدون ودائمون في جهنم {مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ} أي ما دام ملك الله تعالى قائم وهي السموات السبع والأرضون السبع وهذه الآية تدل على أن السموات والأرض يبقون قائمين يوم القيامة ولا يزولا بعد أن يبدلا بغيرهما كما تبدل الموتى بأجساد جديدة {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} إلا ما أراد ربك غير ذلك لمن أراد أن يرحمه برحمته وبشفاعة الشافعين وبشفاعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويخرجه من النار بعد العذاب ويدخله الجنة بإرادته ورحمته وفي الحديث المطول: (فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم إلى تحت العرش فيخر ساجداً ويثني على الله تعالى ثناء لم يثن عليه أحد مثله فيقول الله تعالى ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيقول يا رب الأشقياء من أمتي قد أنفذت فيهم حكمك وانتقمت منهم فشغفني فيهم فيقول الله تعالى قد شفعتك فيهم فانت النار فأخرج منها من قال لا إله إلا الله فينطلق النبي صلى الله عليه وسلم فإذا نظر مالك النبي صلى الله عليه وسلم قام تعظيماً له فيقول يا مالك ما حال أمتي الأشقياء فيقول ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم فيقول محمد صلى الله عليه وسلم افتح الباب وارفع الطباق فإذا نظر أهل النار إلى محمد صلى الله عليه وسلم صاحوا بأجمعهم فيقولون يا محمد أحرقت النار جلودنا وأحرقت أكبادنا فيخرجهم جميعاً وقد صاروا فحماً قد أكلتهم النار فينطلق بهم إلى نهر بباب الجنة يسمى نهر الحيوان فيغتسلون منه فيخرجون منه شباباً جرداً مرداً مكحليين وكأن وجوههم مثل القمر مكتوب على جباههم الجهنميون عتقاء الرحمن من النار فيدخلون الجنة فإذا رأى أهل النار أن المسلمين قد أخرجوا منها قالوا يا ليتنا كنا مسلمين وكنا نخرج من النار وهو قوله تعالى: "رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا

مُسْلِمِينَ". [تنبيه الغافلين ص ٢٥]. {إِنَّ رَبَّكَ} إن ربك يا محمد {فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ} يفعل ما يريد وما يشاء وفعال هي مبالغة للفعل.

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوزٍ ﴿١٨﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيحِهِمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاحْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَى بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ كَلَّا لَمَا لِيُوفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

{وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا} فالذين سعدوا وفرحوا وسروا بأعمالهم الحسنة والطيبة {فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا} ففي الجنة دائمين فيها {مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ} ما بقيت السموات والأرض وهذه الآية وتكرارها يدل على أن السموات والأرض بعد تبديلها وتغيرهما تبقى ولا تزولا {إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ} إلا ما أراد ربك يا محمد لأنه قادر وفعال لما يريد وليس معناه أنه يخرج أحداً من المؤمنين من الجنة ولكن يعني أنه قادر على فعل ذلك لو أراد سبحانه وتعالى {عَطَاءٌ} عطاء من نعيم الجنة للمؤمنين {غَيْرَ مَجْذُوزٍ} غير منقوص ولا ممنوع {فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ} فلا تكن في شك يا محمد يا رسول الله ويا أيها المؤمن {مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ} مما يعبد هؤلاء الكفار من الأصنام والأوثان والأنداد {مَا يَعْبُدُونَ} إلا كما يعبدون آبائهم من قبل فهم

يعبدون هذه الأصنام والأوثان والأنداد كعادة ورثوها من آباؤهم قبلهم { وَإِنَّا لَمُوقُوهُمْ } وإن الله تعالى سيعطيهم { نَصِيحَتَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ } سيحاسبهم ويعذبهم ولا ينقصهم من ثواب أعمالهم في الدنيا وثوابهم لا يكفي لدخولهم الجنة بعد شركهم بل يدخلهم النار { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى } ولقد أعطينا موسى بن عمران رسول الله ونبيه { الْكِتَابَ } وهو التوراة { فَأَخْتَلَفَ فِيهِ } فاختلقت اليهود في كتاب التوراة بعضهم صدقه وبعضهم كذبه أو حرّفه { وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ } وهي أن رحمته سبقت غضبه وهي تأخير العذاب لهم لعلهم يتوبون كما قال تعالى: "وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَّ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا" ٥٨ الكهف. { لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ } لحكم الله عليهم سواءً بالعذاب أو بالرحمة { وَإِنَّهُمْ } أهل التوراة وهم اليهود { لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ } لفي شك وظن من كتاب التوراة { مُرِيبٍ } عظيم الظن { وَإِن كُلا } وكل واحد وكل شخص سواء المؤمن أو الكافر { لَمَّا لِيُؤْفِقِيَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ } أي يعطي كل شخص ثواب عمله إن كان خيراً وحسناً فله الجنة وإن كان شراً وسوءاً فله النار { إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ } إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه بما يفعل الناس من خير أو شر { خَبِيرٌ } فهو به عليم ويعلمه قبل فعله وعمله وما هي نيته في عمله { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ } فداوم يا محمد يا رسول الله على العبادة والطاعة وتبليغ الرسالة كما أمرك الله تعالى بها { وَمَنْ تَابَ مَعَكَ } أي والمؤمنون معك وهم كل من تاب وندم ورجع عن عبادة الأصنام والأوثان والأنداد { وَلَا تَطْغَوْا } ولا تظلموا ولا تفسدوا في الأرض { إِنَّهُ } إنه هو الله سبحانه وتعالى { بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }

مشاهد ومطلع عليكم وعلى أعمالكم {وَلَا تَرَكَنُوا} ولا تطمئنوا {إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} إلى المشركين الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والعناد والجحود والإنكار وعبادة الأوثان والأصنام والأنداد {فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ} فيصيبكم الله بعذاب النار يوم القيامة مثلهم {وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ} وليس لكم غير الله {مِنَ أَوْلِيَاءَ} من أنصار يتولونكم ويرعونكم وينصرونكم ويحفظونكم {ثُمَّ لَا تَنْصُرُونَ} فلا أحد ينصركم ولا يجيركم من عذاب الله تعالى.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ

ذَكَرْنِي لِلذِّكْرِ إِنَّهُ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾

{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ} أي صلِّ صلاة الفريضة يا محمد يا رسول الله ويا أيها المؤمن {طَرَفِي النَّهَارِ} أول النهار وآخره وهي صلاة الصبح والظهر والعصر {وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ} المغرب والعشاء وهي بعض من الليل {إِنَّ الْحَسَنَاتِ} وهي أعمال الخير التي يثاب عليها وهي حسنات من الصلوات والصدقات وأعمال الخير والبر {يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} تذهب المعاصي والذنوب وتكفرها كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال: (كنت إذا سمعت من رسول الله حديثاً نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه ، وإذا حدثني عنه أحد استحلفته فإذا حلف لي صدقته ، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من مسلم يذنب ذنباً فيتوضأ ويصلي ركعتين إلا غفر له). وفي الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان أنه توضأ لهم كوضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وقال: (من توضأ وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه

غفر له ما تقدم من ذنبه). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٦٢]. وفي الصحيح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أرأيتم لو أن بباب أحدكم نهراً غمراً يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يُبقي من درنه شيئاً؟) قالوا: لا يا رسول الله قال: (كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الذنوب والخطايا). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٦٢]. وقال البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله: " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مَنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ " فقال الرجل يا رسول الله ألي هذا؟ قال: (لجميع أمتي كلهم). [هكذا رواه في كتاب الصلاة وأخرجه في التفسير عن مسدد عن يزيد بن زريع بنحوه ورواه مسلم وأحمد وأهل السنن إلا أبا داود من طرق عن أبي عثمان النهدي واسمه عبد الرحمن بن مل به - ابن كثير ج ٢ ص ٤٦٢]. وقال مسلم في صحيحه: حدثنا أبو الطاهر وهو ابن سعد قال حدثنا ابن وهب عن أبي صخر أن عمر ابن إسحاق مولى زائدة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٦٢].

{ذَلِكَ ذِكْرِي} هذه عظة {لِلذَّاكِرِينَ} للمتعظين وهم الذاكرون الله كثيراً والراجعون إليه والتائبون. قال أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شمر ابن عطية عن أشياخه عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله أوصني؟ قال: (إذا عملت سيئة فأتبعها بحسنة تمحوها) قال قلت يا رسول الله: أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: (هي أفضل الحسنات). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٦٤]. {وَأَصْبِرْ} وداوم على عبادة الله وحده لا شريك له وعلى طاعته {فَإِنَّ اللَّهَ} فإن الله تعالى جل

جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَا يُضِيعُ} لا يذهب {أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} أجر المخلصين أعمالهم في طاعة الله تعالى.

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾
 وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾

{فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ} فلولا أنه كان من القرون السابقة من قبلكم من الأمم السابقة {أُولُوا بَقِيَّةٍ} لهم بقية من الأعمال الصالحة وأصحاب معروف وفضل وخير وصلاح {يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ} يأمرون الناس بعدم الفساد بين العباد في أرض الله وعدم الطغيان والظلم والكفر {إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ} ما عدا قليل ممن أنجيناهم من الكفر وهم المؤمنون {وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ} واتبع الظالمون الهوى والبغي والكفر واتباع الشهوات والملذات في المحرمات {وَكَانُوا مُجْرِمِينَ} وكانوا عاصين مذنبين في حقوق الله بشركهم وفي حقوق الناس أجزموا بظلمهم وطغيانهم {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ} وما كان ربك ليعذب ويدمر {الْقُرَىٰ} أهل القرى وأهل المدن {بِظُلْمٍ} بعباد وظلم منه {وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ} وأهلها يعملون الخير والأعمال الصالحة في مرضاة الله {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ} ولو أراد ربك يا محمد يا رسول الله {لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً} لجعل الناس كلهم أمة واحدة مؤمنة كما جعل الملائكة يعبدونه ويطيعونه ولا يعصونه

وكذلك لو أراد لجعل الناس كذلك ولكن ليمتحنهم {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} ولا يزال الناس بعضهم مؤمن وبعضهم كافر {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} إلا من رحمه الله تعالى يا محمد بالهداية واتباع الحق والدخول في دين الإسلام {وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} ولذلك خلقهم الله تعالى قسمين مختلفين أحدهم مؤمن ويعمل بالطاعات وفي مرضاة الله تعالى والآخر كافر يتبع هواه وشهواته وملذاته في المحرمات {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ} وانتهت كلمة ربك يا محمد يا رسول الله {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ} لأجعلن جهنم تمتلئ ممن أشرك وكفر {مِنَ الْجِنَّةِ} من الجن والشياطين وذرية إبليس ممن كفر منهم {وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} والناس كلهم كل من كفر منهم وأشرك وعصى ووجد وأنكر عبادة الله تعالى وحده وأذنب فهم جميعاً مصيرهم إلى جهنم يوم القيامة.

﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٢﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٣﴾ وَأَنْتَظِرُونَ ﴿١٤﴾

{وَكُلًّا} وكل هذه القصص وهذه الأمم السابقة {نَقُصُّ عَلَيْكَ} نحكي لك {مِنَ أَنْبَاءِ} من خبر {الرُّسُلِ} الرسل والأنبياء السابقين في أقوامهم من الأمم السابقة {مَا نُثَبِّتُ بِهِ} ما نطمئن به ونؤيد به {فُؤَادَكَ} قلبك حتى تطمئن ويطمئن قلبك يا محمد يا رسول الله على ما تلقاه من صدود عنك وإعراض وكفر ومعصية وعناد وجحود برسالتك وما لاقاه من قبلك الرسل السابقون من الإنكار والجحود وثباتهم على تبليغ الرسالة {وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ} وجاءك في هذه القصص {الْحَقُّ} الحق والصدق {وَمَوْعِظَةٌ} وعظة ونصح {وَذِكْرَى} وتذكرة ومنفعة {لِلْمُؤْمِنِينَ} للمؤمنين

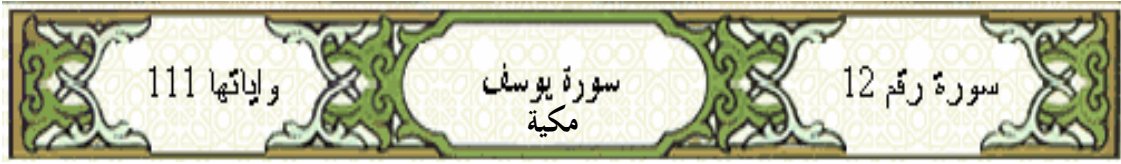
معك وهم من صدقك وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} وقل يا محمد يا رسول الله للكفار والمشركين {أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ} اعملوا على عبادتكم للأصنام وما شئتم من المعاصي والإنكار والجحود {إِنَّا عَمِلُونَ} أنا محمد رسول الله والمؤمنون معي إنا عاملون على طاعة الله وعبادته وحده لا شريك له وعلى مرضاته {وَأَنْتَظِرُونَ} وانتظروا حتى يأتي الله بأمر من عنده إما عذابكم في الدنيا أو هلاككم بالموت أو يؤخركم إلى عذاب يوم القيامة {إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} إنا مراقبون ما يفعل الله بكم من العذاب والخزي في الدنيا أو يؤخره إلى يوم القيامة.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

{وَلِلَّهِ} ولله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وحده {غَيْبٌ} كل ما غاب عن الناس وعن الخلق علمه {السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي كل ما غاب في السموات والأرض فالله تعالى يعلمه سواء في السموات السبع أو في الأرض وما فيهما فهو يعلمه ولا يغيب عنه وأنه يعلم ويسمع دبة النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء وكما قال تعالى: " يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ " ١٦ لقمان. {وَالِإِلَيْهِ} وإلى الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يُرْجَعُ} يعود {الْأَمْرُ كُلُّهُ} أمر الناس والخلق من حياة وموت ورزق وآجال والدنيا والآخرة كلها بيد الله تعالى وحده يفعل ما يشاء وما يريد {فَاعْبُدْهُ} فأد له العبادة والطاعات

وأعمال الخير لله وحده لا شريك له {وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} واعتمد عليه في الأمر كله صغيره وكبيره {وَمَا رَبُّكَ} وما ربك وخالقك وإلهك يا محمد يا رسول الله {بِغَفْلٍ} بلاه ولا مشغول {عَمَّا تَعْمَلُونَ} عما تفعلون أيها الناس والخلق جميعاً والله تعالى يعلمه ويحيط به علماً فمن يعبده ويطيعه ويعمل الصالحات والطاعات فهو يعلمه ويدخله بها الجنة ومن يعمل السوء والشر والشرك والمعاصي والذنوب فهو يعلمه ويدخله النار يوم القيامة ويعلم رسالتك وما تقوم به من تبليغ رسالتك للناس ويعلم جميع أمورك.

قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا خلف بن هشام البزار حدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن عكرمة قال: قال أبو بكر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شيبك؟ قال: (شيبتني هود والواقعة وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت). وقال أبو عيسى الترمذي: حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا معاوية بن هشام عن شيبان عن أبي إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال أبو بكر يا رسول الله قد شبت قال: (شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت). وفي رواية (هود وأخواتها). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٥].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾﴾

{الر} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وبنفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وبالله التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جعلت في أول سور القرآن الكريم حتى يُعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تكوّن القرآن من هذه الحروف العربية لذكرت في أوائل جميع سور القرآن. وليست كذلك طلاس لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ

قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢، ١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢، ١ لقمان. وعليه فإن معنى (الر) هو قوله تعالى: " وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ " ١ الرعد. مع ملاحظة كون التفسير هو تقريب المعنى للقارئ والله أعلم {تِلْكَ آيَاتُ} هذه أي أوائل سور القرآن هي آيات {الْكِتَابِ} القرآن {الْمُبِينِ} العظيم والواضح وهذا ما يثبت أن حروف أوائل سور القرآن الكريم والعظيم هي آيات مختصرة لآيات أخرى سابقة أو لاحقة والله أعلم لقوله تعالى: " تِلْكَ آيَاتُ " .

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٦﴾ خُنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ

بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ} أنزله الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه أنزله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منجماً أي مفرقاً حسب الوقائع والأحداث وكما قال تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ " {قُرْآنًا عَرَبِيًّا} أي نزل القرآن باللغة العربية الفصحى على الرسول العربي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه عربي والكتب تنزل على الرسل بلغات قومهم وكذلك كرامة للنبي سيدنا محمد صلى الله

عليه وسلم ولأن لغة أهل الجنة باللغة العربية ورب سائل يسأل لماذا لم ينزل القرآن على الأعجميين بدل العرب والجواب في قوله تعالى: " وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ {١٩٨} فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ {١٩٩} " ١٩٨، ١٩٩ الشعراء.

{لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} لعلكم تفهمون ما فيه وتأخذون به {نَحْنُ} للتبجيل والتعظيم لله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {نَقُصُّ عَلَيْكَ} نحكي لك يا محمد يا رسول الله {أَحْسَنَ} أفضل {الْقَصَصِ} الحكايات {بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ} بواسطة ما أوحينا إليك وأرسلنا إليك هذا القرآن العظيم بواسطة الملك جبريل عليه السلام {وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ} وإن كنت قبل نزوله {لَمِنَ الْغَافِلِينَ} من اللاهين الذين لا يعلمونه ولا يعلمون قصصه ولا أخباره ولا أوامره ولا نواهيته.

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٥١﴾ قَالَ يَبْنَىٰ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتَكَ فَيُكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ نَجْتَبِيكَ رُتَبًا وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آئَالِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

{إِذْ قَالَ يُوسُفُ} إذ قال يوسف عليه السلام قبل أن تنزل عليه الرسالة وهو صبي غلام ابن سبع سنين {لِأَبِيهِ} لوالده يعقوب عليه السلام نبي الله ورسوله {يَتَأْتِبْتُ} يا أبي ويا والدي {إِنِّي رَأَيْتُ} ليس رؤيا عين ومشاهدة بل رؤيا منام وليس في اليقظة بل في النوم. وقال دانيال عليه السلام: اسم الملك الموكل بالرؤيا

صديقون ومن شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام فهو الذي يضرب الأمثال للآدميين فيريهم بضياء الله تعالى من علم غيبه في اللوح المحفوظ ما هو كائن من خير أو شر ولا يشتبه عليه شيء من ذلك ومثل هذا الملك كمثل الشمس إذا وقع نورها على شيء أبصرت ذلك الشيء به كذلك يعرفك هذا الملك بضياء الله تعالى معرفة كل شيء ويهديك ويعلمك ما يصيبك في دنياك وآخرتك من خير أو شر ويبشرك بخير قدمته أو تقدمه وينذرك بمعصية قد ارتكبتها أو تريد ارتكابها فإذا أراك رؤيا منذرة فإنها تخرج في وقت تراها لثلاث تكون مغموماً وإذا أراك رؤيا حسنة فإنها تخرج بعد ذلك بأيام لتكون في نعمة وسرور وأصدق الرؤيا ما كان بالأسحار وأصدق الرؤيا بالنهار وقال جعفر الصادق رضي الله عنه أصدقها القيلولة وقال المعبرون من المسلمين الرؤيا يراها بالروح ويفهمها بالعقل ومستقر الروح نقطات دم في وسط القلب في رسوم الدماغ والروح معلق بالنفس فإذا نام الإنسان امتد روحه مثل السراج أو الشمس فيرى نور الله وضياءه تعالى ما يريه ملك الرؤيا وذهابه رجوعه إلى النفس مثل الشمس إذا غطاها السحاب وانكشف عنها فإذا عادت الحواس باستيقاظها إلى أفعالها ذكر الروح ما أراه ملك الرؤيا وخيل له. [تعطير الأنام في تعبير المنام ج ١ ص ٥]. وأنه لا يجوز الكذب في ما لم يره ويكذب بأنه رأى الرؤيا. فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من كذب في الرؤيا كلف يوم القيامة عقد شعيرة ومن كذب على عينيه لا يجد رائحة الجنة وإن أعظم الفرية أن يفتري الرجل على عينيه يقول رأيت ولم ير شيئاً). [تعطير الأنام في تعبير المنام ج ١ ص ٧]. ويجب التصديق بالرؤيا قال صلى الله عليه وسلم: (الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة). [تعطير الأنام في تعبير المنام ج ١ ص ٢ بالهامش]. وكما قال صلى الله عليه وسلم: (الرؤيا من الله والحلم من

الشیطان). [تعطیر الأنام فی تعبیر المنام ج ١ ص ٢ بالهامش]. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الرؤيا تقع على ما عبرت) وروي أنه قال: (الرؤيا على رجل طائر ما لم يحدث بها فإذا حدثت بها وقعت). [تعطیر الأنام فی تعبیر المنام ج ١ ص ١٩ بالهامش]. والرؤيا تنقسم إلى ثلاثة أجزاء كما قال صلى الله عليه وسلم: (الرؤيا ثلاثة فرؤيا بشرى من الله تعالى ورؤيا من الشيطان ورؤيا يحدث بها الإنسان نفسه فيراها). [تعطیر الأنام فی تفسير المنام ج ١ ص ٦ بالهامش]. وعن عائشة رضوان الله عليها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يبقى من بعدي من النبوة إلا المبشرات) قالوا يا رسول الله وما المبشرات قال: (الرؤيا الصالحة يراها الرجل لنفسه أو ترى له). [تعطیر الأنام فی تعبیر المنام ج ١ ص ١٥ بالهامش]. وقال ابن جرير: حدثني أبو السائب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر عن أبي الدرداء في قوله: "لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ" قال سأل رجل أبا الدرداء عن هذه الآية فقال: لقد سألت عن شيء ما سمعت أحداً سأل عنه بعد رجل سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له بشرها في الحياة الدنيا وبشرها في الآخرة الجنة). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٢٣]. وقال أحمد أيضاً: حدثنا حسن يعني الأشيب حدثنا بن لهيعة حدثنا دراج عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ("لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ" - قال - الرؤيا الصالحة يبشرها المؤمن جزء من تسعة وأربعين جزءاً من النبوة فمن رأى ذلك فليخبر بها ومن رأى سوى ذلك فإنما هو من الشيطان ليحزنه فلينفث عن يساره ثلاثاً وليكبر ولا يخبر بها أحداً). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٢٣]. وروي عن أبي الدرداء قال: إذا نام

الرجل عرج بروحه إلى السماء حتى يؤتى بها العرش فإن كان طاهراً أذن له بالسجود وإن كان جنباً لم يؤذن لها في السجود. [تعطير الأنام في تعبير المنام ج ١ ص ٦ بالهامش]. {أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا} رأى في المنام أحد عشر كوكباً من كواكب السماء أي نجومها وتعبيرها إخوته الأحد عشر أخاً {وَالشَّمْسَ} أي أمه {وَالْقَمَرَ} يعقوب عليه السلام والده {رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} رآهم يوسف عليه السلام يسجدون له أي خاضعين ومعترفين له بالفضل وهي علامة السجود في الرؤيا فلما علم هذه الرؤيا والده يعقوب عليه السلام {قَالَ يَبْنِي لِي لَأَقْصَصَ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ} قال يعقوب عليه السلام آمراً ابنه يوسف عليه السلام خوفاً وشفقة ورحمة على يوسف عليه السلام من هذه الرؤيا ألا يقصصها على إخوته {فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا} فيحسدوك ويكيدوا لك بالمؤامرات والدسائس {إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} لأن الشيطان عدو للإنسان فيجعلهم يحقدون على يوسف عليه السلام لمنزلته عند والديه وخاصة أن والده يعقوب عليه السلام كان يحبه حباً كثيراً وإذا علموا بهذه الرؤيا وما تصبح منزلته من هذه الرؤيا فيزداد حنقهم وغضبهم فيحيكوا له الدسائس والمؤامرات والشيطان يسول لهم ذلك ولا يريد لهم الخير وبأخذهم من طريق الحسد لأخيهم يوسف عليه السلام {وَكَذَلِكَ تَجْتَبِيكَ رُبُّكَ} وبهذه الرؤيا من سجود واعتراف والديه وإخوته له بالفضل والمنزلة برؤية الكواكب والشمس والقمر فلا يرى هذه الكواكب العظيمة والشمس والقمر إلا من له منزلة عظيمة مثلهم ولذلك علم يعقوب عليه السلام وقال له إن الله اصطفاك بالرسالة والنبوة من هذه الرؤيا {وَيُعَلِّمُكَ} ويعلمك الله تعالى {مِن تَأْوِيلِهِ} من تعبير {الْأَحَادِيثِ} الرؤيا التي ترى في المنام وذلك من علمه لأن يوسف عرف

وعلم أن هذه التي رآها في المنام هي رؤيا وليست حلم وحفظها ولم ينساها ولم يتركها بل قصها على والده عليه السلام فعلم من ذلك يعقوب عليه السلام أنه سيكون له شأن في تعبير الرؤيا زيادة عن المنزلة وهي منزلة النبوة {وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ} ويكمل الله تعالى نعمة النبوة وتعبير الرؤيا على يوسف عليه السلام {وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ} وعلى أهل يعقوب عليه السلام وهي الرسالة والنبوة ليوسف عليه السلام كما أن يعقوب عليه السلام هو نبي الله ورسوله {كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ} كما تممها وهي الرسالة والنبوة وأكملها وأعطها من قبلك يا يوسف على أبويك {إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ} إبراهيم عليه السلام وهو خليل الله وابنه إسحاق عليه السلام وجميعهم أنبياء ورسول. والقرآن هنا أطلق على الجد وجد الجد أبوين حيث والد يوسف هو يعقوب ووالد يعقوب إسحاق ووالد إسحاق إبراهيم عليهم جميعاً السلام {إِنَّ رَبَّكَ} إن ربك وخالقك وإلهك يا يوسف {عَلِيمٌ} يعلم بكل شيء خلقه وعليم في إرسال الرسل ومن يستحق الرسالة كما قال تعالى: " اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ " ١٢٤ الأنعام. وكما قال تعالى: " أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " ١٤ الملك. {حَكِيمٌ} ذو حكمة في أوامره ونواهيهِ وفي أفعاله وفي ملكه لا يخطئ أبداً ويدبر كل أمر وشيء بحكمة وسداد.

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلسَّالِئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ
إِلَىٰ آبِنَا مِنَّا وَحَنُّ عُصْبَةٍ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطَّرَحُوهُ
أَرْضًا سَخْلًا لَّكُمْ وَجْهٌ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا
تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي عَيْبَتِ الْجَبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

{لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ} لقد كان في قصة يوسف عليه السلام وإخوته الأحد عشر وجميعهم أبناء يعقوب عليه السلام وكلهم إخوة يوسف من أم أخرى غير أم يوسف باستثناء أخيه بنيامين فهو أخوه من أمه وأبيه {ءَايَاتٍ لِّلسَّالِئِلِينَ} في قصتهم بينات وحكم ومواظ للسائلين عن أخبارهم وقصصهم وعبر وعظات لمن يتعظ من الناس {إِذْ قَالُوا} قال إخوة يوسف العشرة وهم إخوته من أبيه دون أمه {لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ} إن يوسف عليه السلام وأخاه بنيامين وكما أسلفنا فإن بنيامين هو أخوه من أمه وأبيه {أَحَبُّ إِلَىٰ آبِنَا مِنَّا} هما الاثنان (يوسف وأخوه بنيامين) أكثر حبا إلى قلب أبينا يعقوب عليه السلام نبي الله ورسوله منا نحن العشرة (إخوة يوسف من أبيه فقط) {وَحَنُّ عُصْبَةٍ} ونحن جماعة أكثر. لأن عددهم عشرة بينما يوسف وأخوه بنيامين اثنان فقط فهم الأكثرية {إِنَّ أَبَانَا} إن والدنا يعقوب عليه السلام {لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} وصفوا أباهم بالضلال والتوهان والغى والخطأ العظيم والبعد عن الصواب لأنه لم يساو بينهم وهم الأكثر والأقوى وبين يوسف عليه السلام وأخيه بنيامين وهما الأقل والأضعف لصغر سنهما. وقد كان هذا الاتهام منهم لأبيهم في غير محله لأن أباهم مع محبته لولديه يوسف وأخيه بنيامين لم يظلم أحداً منهم في ميراث أو قسمة أو حق لهم أما المحبة فلا يملك تغييرها أو منعها لأنها من الله تعالى ومحلها القلب وهو لا يملك قلبه

{أَقْتُلُوا يُوسُفَ} عندها حسدوا يوسف عليه السلام لمحبة والده يعقوب عليه السلام له فأرادوا قتله فقالوا لبعضهم البعض اقتلوه {أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا} أي ألقوه في أرض بعيدة ونائية بحيث لا يستطيع العودة منها إلى داره وإلى والده {تَحُلُّ لَكُمْ وَجَّهُ أَبِيكُمْ} عندها يخلو لكم المكان ولا يوجد فيه أحد ينافسكم عند أبيكم فيصبح قلب أبيكم ومحبتة لكم دون غيركم بعد موت يوسف أو نفيه وطرحه في أرض بعيدة {وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ} وتصبحوا بعد موت يوسف أو طرده خارجاً ونفيه {قَوْمًا صَالِحِينَ} أي محبوبين وصالحين لمحبة أبيكم لكم وحدكم فلا ينافسكم أحد في محبة أبيكم وتستحقوا المكانة الصالحة عند أبيكم {قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ} قال أحدهم {لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ} إذا أردتم أن تتخلصوا وتستريحوا من يوسف فلا تقتلوه ولكن ألقوه وارموه في البئر فهو سجن له لعمقه وظلمته فهو يصلح لإخفائه وتغييبه {يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ} تأخذه بعض القوافل المسافرة إذا وجدوه في البئر عندما يطلبون الماء للشرب ويبيعهوه في بلاد بعيدة فنستريح منه {إِنْ كُنْتُمْ فَعِيلِينَ} إن أردتم تنفيذ جريمتكم وأردتم أن تنفذوا قتله أو طرده أو نفيه.

﴿ قَالُوا يَتَّابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنْصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَب وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

{قَالُوا} إخوة يوسف إلى أبيهم يعقوب عليه السلام نبي الله ورسوله {يَتَّابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ} سألوا أباهم يعقوب عليه السلام لماذا لم يأمّنهم برعاية يوسف عليه السلام وأخذه معهم خارجاً للمراعي وهذا إثبات عليهم أنهم غير أمناء على رعاية وأخذ يوسف عليه السلام ليخرج معهم إلى المرعى {وَإِنَّا لَهُ لَنَنْصِحُونَ} وإنا سننصحه ونرشده ونعلمه كيف يكون الرعي والخروج في الأماكن البعيدة لوحده دون أن يضل الطريق {أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا} ابعته معنا غداً {يَرْتَع} أي يرعى معنا الغنم ويتنشط {وَيَلْعَب} يتريض ويلعب رياضة في الهواء الطلق في المراعي وخارج المضارب {وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ} وإنا له لحافظون له من كل سوء ونحميه ونحرسه ونحافظ عليه من كل شر أو سوء {قَالَ} قال أبوهم يعقوب عليه السلام رداً على طلبهم {إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ} أي يحزنني فراقه ولا أستطيع الصبر عن بعباده وفراقه طوال اليوم وأنتم خارجاً في المراعي {وَأَخَافُ} وأخشى {أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ} أن يأكله الذئب المفترس والذئب هو يأكل الماشية ويشبه الكلب وهو حيوان مفترس {وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ} وأنتم في غفلة عنه في المراعي تتلهون بأشياء أخرى عنه وقيل أن سبب ما قاله يعقوب عليه السلام من قوله: " وَأَخَافُ

أَن يَأْكُلَهُ الذُّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ " أنه رأى رؤية في المنام أنه على رأس جبل وأن يوسف في أسفله فأتت الذئاب على يوسف عليه السلام لتأكله إلا أن الأرض انشقت فبلعته ولم تصل له الذئاب ولذلك قال لهم ذلك {قَالُوا لَئِنِ أَكَلَهُ الذُّبُّ} قال إخوة يوسف لأبيهم يعقوب عليه السلام إن أكله الذئب {وَنَحْنُ عُصْبَةٌ} ونحن جماعة كثيرة عشرة رجال {إِنَّا إِذَا لَخْسِرُونَ} إنا إذا لفاشلون ولا نستحق بكثرتنا أن كون رجالاً يعتمد علينا ونكون جبناً لا نستحق الشجاعة والقوة والغلبة مع كثرتنا {فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ} فلما أخذوا يوسف معهم إلى المراعي {وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ} واتفقوا جميعهم أن يجعلوه {فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ} في سجن وظلمة البئر ويخفوه فيه {وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ} بواسطة جبريل عليه السلام الذي كان أنيسه في ظلمة سجن البئر {لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا} ستخبرهم يا يوسف بفعلتهم هذه وغدرتهم هذه {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} ستخبرهم بكل ما صنعوه معك يا يوسف وهم لا يشعرون بأنك لا تزال حياً ترزق ولا يعرفونك وقيل أنه كان عمره اثنتي عشرة سنة وأقام في الجب ثلاثة أيام.

﴿ وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ
عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴿١٧﴾ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ وَجَاءُوا
عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴿١٩﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴿٢٠﴾ وَاللَّهُ
الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

{ وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ } وفي الليل في وقت العشاء رجعوا من مرعاهم إلى دارهم وإلى أبيهم يعقوب عليه السلام يبكون كذباً ونفاقاً { قَالُوا } أي قال أبناء يعقوب عليه السلام إخوة يوسف لأبيهم يعقوب عليه السلام وهم يبكون { يَتَأَبَّانَا } أي يا والدنا { إِنَّا } إنا العشرة إخوة { ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ } ذهبنا نتسابق في الجري أينما يسبق الآخر في العدو { وَتَرَكْنَا } وتركنا يوسف عند ملابسنا وأمتعتنا وأكلنا وشربنا { فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ } فجاءه الذئب وأكله ولم يُبق منه شيئاً ولا عظمة { وَمَا أَنْتَ } ولا أنت يا أبانا يعقوب { بِمُؤْمِنٍ لَنَا } بمصدق لنا { وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ } ولو كنا صادقين في قولنا فهم يعلمون أنهم غير صادقين وكذابون لأنه أولاً جاءوا في وقت العشاء ولم يأتوا فور ما أكله الذئب ووقت العشاء ليس فيه سباق ولا عدو ولا جري بل رجعوا في الموعد المحدد من وقت الرعي ثانياً أن الذئب الذي ادعوا أنه أكله لم يُبق منه شيئاً من عظامه ولا يستطيع الذئب أن يأكل لحمه كله في فترة بسيطة وهي مقدار السباق فأين ذهبت العظام وثالثاً أنهم جاءوا بقميصه ولم يأتوا بأثرٍ للحم أو عظم كما سيأتي رابعاً أنهم علموا أن أباهم لم يصدقهم وقالوا لو كنا صادقين أي أنهم غير صادقين فهذا جميعه يدل على كذبهم { وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ } وجاءوا بقميص يوسف عليه السلام وعليه دم وهو كذب لأن قميصه لم يمزقه الذئب كما يدعون قال يعقوب عليه السلام بعد أن

رأى قميص يوسف ملطخاً بدم وهو سليم وغير ممزق علم بسلامة يوسف عليه السلام وقال: ما أحلم الذئب مع يوسف أكله ولم يمزق قميصه. ولذلك قال لهم {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ} بل وسوست وزخرفت وزينت {لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً} حدثتكم أنفسكم بأمر من الأمور بالغدر بيوسف عليه السلام {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} صبر طيب لا شكاوى معه ولا معصية فيه ولا قنوط من رحمة الله ولا ضجر ولا يأس معه {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْمُسْتَعَانُ} المعين بالصبر {عَلَى مَا تَصِفُونَ} على ما وصفتم وما تقولون وما تدعون.

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَى هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ نَخَسٍ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْأَتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

{وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ} وجاءت قافلة مسافرة {فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ} فأرسلوا أحد السقاة لجلب الماء للقافلة للشرب وخلافه {فَأَدْلَى دَلْوَهُ} فأنزل دلو الماء إلى البئر وهو إناء مربوط في آخر الحبل أو سطل ينزله في البئر ليمتلئ بالماء ثم يسحبوه إلى أعلى وهو مملوء بالماء فيفرغوه في الآنية أو أوعية السقاء أو القرب التي بحوزتهم ليشربوا ويسقوا دوابهم وإلى غير ذلك فلما أنزل دلوه إلى البئر وهو الساقى {قَالَ} قال الساقى {يَبُشْرَى هَذَا غُلْمٌ} يا فرحتي ويا سروري ويا بشارتي هذا غلام وصبي

موجود في البئر حياً والفرحة كانت لسببين أحدهما وجود الغلام حياً والثانية أنه تجارة يباع كرقيق {وَأَسْرُوهُ بِضَعَةً} أسروه وأخذوه كالبضاعة التي تباع في الأسواق وهي نوع من أنواع التجارة والربح وهي تجارة بيع الرقيق {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَلِيمٌ} يعلم ويدري ويعرف بأحوالهم وشؤونهم ويعلم كل شيء يقع في ملكه {بِمَا يَعْمَلُونَ} بما يفعلون بيوسف عليه السلام وبدلاً من أن يرجعوه إلى أهله ووالده أخذوه سلعة رقيقاً يباع {وَشَرُّوهُ} باعوه {بِثَمَنِ بَخْسٍ} ثمن قليل لأنهم لم يشتروه ولم يدفعوا ثمنه بل وجدوه في البئر وأخذوه بدون مقابل {دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ} دراهم قليلة جداً معدودة أي تعد على أصابع اليدين {وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} وكانت القافلة التي وجدته ثم باعوه كانوا زاهدين في بيعه ولم يطلبوا ثمناً كثيراً فيه لأنهم لم يشتروه بل وجدوه وأخذوه مجاناً وهذه الكلمة تدل على أن الشراء هنا معناه البيع لقوله تعالى: "وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ" وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنهم اشتروه من إخوته بثمان بخص وهذا خلاف نص هذه الآية لأن معنى شروه هنا باعوه وليس اشتروه وهناك كثير من الكلمات التي لها أكثر من معنى ولفظها واحد ولكن موقعها في الجملة يدل على معناها {وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ} وقال الرجل الذي اشتراه ودفع ثمنه لأهل القافلة أي اشترى يوسف عليه السلام {مِنْ مِصْرَ} أي الذي اشتراه هو من أهل مصر وهو العزيز {لِامْرَأَتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ} لزوجته زليخا أكرمي مثواه أنزليه منزلاً كريماً أي راعيه بلطف ورحمة وحنينة وأكرميته بالحنان والشفقة والمحبة والمودة والحفظ والحماية والرعاية {عَسَى} لعل {أَنْ يَنْفَعَنَا} ينفعنا الله تعالى به ويعيننا في متقلبات الدهر حيث لا يوجد لهم أبناء ولا أولاد

{أَوْ نَتَّخِذْهُ وِلْدًا} أو نتبناه كولد لنا حيث لا ولد لهم {وَكَذَلِكَ} وهكذا
 {مَكَّنَّا لِيُوسُفَ} ثبتنا ليوسف عليه السلام {فِي الْأَرْضِ} في أرض مصر فأصبح بعد
 أن كان رقيقاً يباع أصبح ولداً يُعْتَنَى به ويُفْرَق به ويُدَلَّل كابن وليس رقيقاً ولا
 خادماً {وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} وعلمه الله تعالى بتأويل الرؤيا وتفسيرها
 {وَاللَّهُ غَالِبٌ} والله منفذ حكمه وأمره {عَلَىٰ أَمْرِهِ} أي ينفذ أمره فيما يريد ويفعل
 ما يريد وحكمه نافذ وأمره نافذ ولا معقب لحكمه ولا راد لحكمه {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
 وَلَكِن أَغْلَبَ} {الْإِنْسَانِ لَا يَعْلَمُونَ} ولكن أغلب الناس لا يعلمون ولا يدرون ولا
 يفهمون حكمة الله في قضائه وفي أمره وفي حكمه وفي الحديث: (لو اطلعتم على
 الغيب لاخترتم الواقع).

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَءَاهُ أَتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَوَدَتْهُ
الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ
إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا
لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ۗ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۗ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُخْلِصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ
رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي ۖ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ
فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ
عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ} ولما بلغ الحلم وهي سن الرجولة والشباب وعنفوان القوة التي يعطيها الله للشباب {ءَاتَيْنَهُ} أعطاه الله تعالى {حُكْمًا} أمراً نافذاً في الحكم لأنه في حكم ابن وزير الملك وهو العزيز وكذلك حكماً في الدين يميز بين الحق والباطل {وَعِلْمًا} وهو علم الدين وتأويل الرؤى وعلم الدين هو دين يعقوب عليه السلام وهو نبي الله ورسوله {وَكَذَلِكَ} وهكذا {نُجْزِي} نكافئ {الْمُحْسِنِينَ} المخلصين في عبادتهم وطاعتهم لله تعالى {وَرَوَدَتْهُ} طلبت منه المعاشرة وأغرته ودعته إلى ما تطلب المرأة من زوجها إلى فراشها {الَّتِي} وهي زليخا زوجة العزيز وزير ملك مصر {هُوَ} يوسف عليه السلام {فِي بَيْتِهَا} الذي ينام في دارها وبيتها وموجود معها

{عَنْ نَفْسِهِ} أن يأتيها نفسه كما يأتي الزوج زوجته {وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ} وأقفلت أبواب الدار والبيت {وَقَالَتْ} وقالت زليخا ليوسف عليه السلام بعد أن راودته وأغفلت الأبواب وأقفلتها {هَيْتَ لَكَ} هلم وتعال بعد أن تهيأت أطلب منك المضاجعة والمعاشرة والجماع {قَالَ} قال يوسف عليه السلام {مَعَاذَ اللَّهِ} استعاذ بالله مستنكراً عليها ذلك وهو لا يصدق ذلك {إِنَّهُ رَبِّي} إنه سيدي ورب بيتي يعني زوجها ورب نعمتي وهو عزيز مصر وزير الملك الريان بن الوليد {أَحْسَنَ مَثْوَايَ} أحسن معاملتي ومصيري ومكانتي ومنزلتي {إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ} لا ينجح ولا يفوز {الظَّالِمُونَ} المعتدون على الأعراس والظالمون لأنفسهم بالزنا {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ} ولقد اندفعت إليه ليضاجعها وأرادت معانقته وضمه على صدرها للجماع {وَهُمَّ بِهَا} وأرادها ووافقها على ذلك لأنه من البشر وفي عنفوان شبابه {لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} نسي لولا أن تداركه برهان الله وهو إشارة يراها الأنبياء والصالحون يرسلها لهم الله تعالى كل على قدر منزلته وعلى قدر الموقف الموجود فيه. وهنا نوضح لماذا همَّ بها يوسف عليه السلام ووافقها في بادئ الأمر قبل أن يرى برهان ربه وليس في ذلك إهانة له ولا تحقير لشأنه ولكن الله تعالى أنساه في هذه اللحظة لحكمة يريد بها الله تعالى وإن الله بالغ أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون فأولاً لقد همَّ بالقبول بالمضاجعة لأنه نسي العقاب كما قال تعالى: " وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً " ١١٥ طه. وثانياً أن الله تعالى أعطاه شطراً من الحسن والجمال وأنه لولا أنه همَّ بزليخا لقال المبطلون بأن جمال يوسف وحسنه الفتان لا ينفع لمعاشرة النساء وأنه أنثوي وأنه يُتخذ كمثل ما يأتي قوم لوط لجماله فإعلاءً ليوسف عليه السلام وليس تحقيراً له ولا لمنزلته أراد الله

بحكمته بذلك الهم أي القبول بالمضاجعة من يوسف عليه السلام أن يدفع عنه ذلك ويبين بأنه رجل يستطيع معاشره النساء وخاصة أنه كان قوم لوط ليس ببعيد عن عصره بزمن يسير وثالثاً أن الذي يهم بالسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة وذلك الهم بالمضاجعة من يوسف عليه السلام ليس عليه عقاب بعد أن رأى برهان ربه فامتنع ومثله كمثل من وضع يده على الطعام أو الشراب في شهر رمضان وفي نهار رمضان وهو صائم فتذكر صومه فرفع يده فلا يحاسب لأنه امتنع ولم يفطر. وبرهان ربه جاءه بإشارة من الله تعالى ليمتنع وهذا هو سياق هذه الآية هنا وليس عيباً والله تعالى هو الذي ذكر ذلك كما ذكر عن موسى عليه السلام عندما وكز الفرعوني فقتله وكذلك آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة وعصى ربه كما قال تعالى: " وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى " ١٢١ طه. وهنا الخطأ للأنبياء ليست تصغيراً من شأنهم ولكن أرادها الله تعالى لهم حتى لا يُؤَلَّهُوا وَيُعْبَدُوا من دون الله تعالى كما قال لعيسى بن مريم في قوله تعالى: " وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ .. " ١١٦ المائدة. وذهب بعض المفسرين دفاعاً عن يوسف عليه السلام بأن الهم لتضربه وهو أراد أن يضربها وهو مخالف لسياق الآيات وتأكيدياً على ذلك قال يوسف عليه السلام فيما بعد: " وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ " ٣٣ يوسف. فما معنى الضرب من امرأة تحبه حباً وشغفاً عظيماً فماذا ينفع الضرب من امرأة فهل يخوف رجلاً وهذا بعيد كل البعد عن هذا السياق. مع ملاحظة أن الأنبياء لا يعصون الله في الشرك فهم معصومون من الشرك فقط وليس معصومون من الوقوع في الخطأ كما أخطأ آدم وموسى عليهما السلام كما أسلفنا آنفاً { كَذَلِكَ } وهكذا رأى يوسف برهان ربه. وهنا نريد أن نوضح أمثلة على البرهان إما أن الشخص يرى رجلاً أو شخصاً يشبه

أحداً يعرفه عندما يريد الفاحشة أو الوقوع في المعصية ، يرى شخصاً يعرفه أو يسمع صوتاً يظن بأن أحداً قادم عليه وفي الحقيقة لا يوجد شيء ولا أحد وهذا غالباً يكون مع عامة الناس ولكن الأنبياء والصالحين يرون خلاف ذلك البرهان فمثلاً يعقوب عليه السلام وجد ريح يوسف من القميص الذي بعثه إليه ولده يوسف عليه السلام ووجد يعقوب عليه السلام الرائحة ليوسف والقافلة ما زالت عند خروجها من أول مصر وهو بالشام في فلسطين كما قال تعالى: " وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفَنَّدُونَ " ٩٤ يوسف. هذا نوع من البرهان والإشارات الأخرى ، وكذلك تكون الإشارة نور يلعب كالبرق من أمام عينيه بسرعة خاطفة وتأتي إذا كان الرجل ذاكرةً أو قارئاً للقرآن وفي الأعمال الصالحة التي يريد أن يفعلها فتؤكد له هذه الإشارات والأمارات والبرهان على صلاح القول أو الفعل وهذه إشارات نورانية يعطيها الله تعالى لمن أراد من عباده الصالحين ، وكذلك يرى إشارة سوداء خاطفة كلمح البرق وهي لتنبهه إلى أن الشيطان يوشك أن يوقعه في خطأ أو في معصية أو قد وقع فيتنبه الرجل الصالح لعمله أو قوله فيرجع عنه كما قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ " وهذه بعض الإشارات والبراهين من الله تعالى وهي كثيرة ولا تحصى وهي خاصة بالصالحين وكل على قدر منزلته ومكانته لتذكره إذا نسي {لِنَصْرِفَ} لنبعد ونمنع ونذهب {عَنهُ السُّوءَ} عنه الشر والمعصية والذنب {وَالْفَحْشَاءَ} إتيان الزنا وهذه الكلمة تؤيد ما شرحناه بأن الله تعالى صرف عنه الفاحشة ببرهان ربه ولولا ذكر هذه الكلمة (الفحشاء) لكان تفسير (وهم بها) هو الضرب ولكن قوله (لنصرف عنه السوء والفحشاء) دل على أنه هم بها فعلاً وأرادها كما أرادته لولا أن ذكره الله تعالى ورأى برهان ربه فصرف الله تعالى عنه الفحشاء لأنه

{إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} إنه من عباد الله تعالى الصالحين والطيبين والمخلصين لعبادة الله تعالى وحده وطاعته {وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ} فهرب إلى الباب فراراً منها بعد أن رأى برهان ومعجزة وإشارة ربه له وقد حاولت الإمساك به أثناء هروبه وفراره {وَقَدَّتْ} مزقت {قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ} ثوبه من وراء ظهره {وَأَلْفَيْتَا} ووجدا {سَيِّدَهَا} زوجها {لَدَا الْبَابِ} عند الباب {قَالَتْ} قالت زليخا لزوجها العزيز {مَا جَزَاءُ} ما عقاب وما عذاب {مَنْ أَرَادَ} من أراد ورغب وحاول {بِأَهْلِكَ} بزوجتك {سُوءًا} شراً ومعصية {إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ} فلا بد أن يسجن على فعلته {أَوْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} أو عقاب شديد وقاس وموجع ومؤلم {قَالَ} يوسف عليه السلام {هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي} هي طلبت مني أن أعمل الفاحشة معها وأنا امتنعت ورفضت وهنا يجب على المسلم أن يدافع عن نفسه ولا يسكت {وَشَهِدَ} أفتى وأخبر {شَاهِدٌ} أي قاضي أو أحد شهد وحضر في تلك اللحظة أو ذلك الوقت {مَنْ أَهْلَهَا} أي من قومها وعشيرتها حضر هذه الواقعة وأراد أن يفصل فيها بينهم فقال {إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ} إن كان ثوبه {قُدًّا} مُزَّقًا {مِنْ قُبُلٍ} من أمام {فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} فتكون عندها صادقة وهو كاذب {وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ} إن كان ثوبه {قُدًّا} مُزَّقًا {مِنْ دُبُرٍ} من خلف على ظهره {فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ} فكذبت وكذبت عليه وهو صادق في دفاعه عن نفسه وهنا نلاحظ ونشاهد أن هذا الشاهد بدأ بها وبصدقها إن كان قميصه مُزَّقًا من قُبُلٍ وأخَّرَ صِدْقَ يوسف وكذَّبها وهذا يدل على تقوى هذا الرجل وحكمته في الحكم وفي براءة يوسف وهذه قد فعلها يوسف عليه السلام عندما أخفى صاع الملك في وعاء أخيه بنيامين

وأخّر تفتيشه إلى الآخر حتى يجد فيه الصاع وهذه مكيدة علمها الله تعالى له {فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ} فلما رأى ثوبه {قَدْ} مُزَّقٌ {مِنْ دُبُرٍ} من خلف على ظهره {قَالَ} هذا القاضي وهذا الشاهد {إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ} إنه من مكرن {إِنَّ كَيْدَكُنَّ} إن مكرن وخداعكن وغدركن {عَظِيمٌ} قوي متين وكبير وهنا يدل على أنه رجل كبير في السن حكيم وهو الشاهد والقاضي وليس صبياً في المهد لأن هذا القول لرجل عاقل بالغ حكيم الذي يقول ذلك ويبينه إلا إذا كانت معجزة من عند الله تعالى لتبرئة نبيه ورسوله يوسف عليه السلام.

﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنَّا هَذَا وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْبِكِ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢١﴾﴾

{يُوسُفُ} قال الشاهد أو هو القاضي الذي حكم {أَعْرَضَ} يا يوسف لا تقبل {عَنَّا هَذَا} الذي دعوتك إليه زليخا زوجة العزيز بالمعاشرة فأعرض عنه ولا تقبله ولا تأتبه وهذا نص آخر على أن هذا الذي يقول هذا القول ليس صبياً بل رجلاً عاقلاً وبالغاً وحكيماً {وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْبِكِ} وأنت يا زليخا استغفري الله تعالى على ذنبك هذا الذي تطلبين فيه الفاحشة والزنا والمرادة ليوسف عليه السلام {إِنَّكَ} إنك يا زليخا {كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ} كنت من المذنبين بفعلتك هذه وهي مراودة يوسف عليه السلام عن نفسه.

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْلَهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۗ
 إِنَّا لَنَرُّهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ
 مُتَّكِنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ
 وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ
 فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ ۖ عَنْ نَفْسِهِ ۖ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا
 ءَامُرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا
 يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾
 فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾

{ وَقَالَ نِسْوَةٌ } قال بعض النساء { فِي الْمَدِينَةِ } مدينة مصر وهي مدينة عزيز مصر
 التي يسكن بها { امْرَأَتُ } زوجة { الْعَزِيزِ } وهو وزير ملك مصر الريان بن الوليد
 { تُرَاوِدُ فَتْلَهَا عَنْ نَفْسِهِ } تطلب من خادمها يوسف عليه السلام الجماع والمعاشرة
 وتستمر وتزيد في الطلب { قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا } أي عشقته وتولعت بحبه وملك حبه
 شغاف قلبها { إِنَّا } نحن معشر النساء في مصر في وقتها { لَنَرُّهَا } لنرى زوجة
 العزيز وهي زليخا { فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } في غي وبعد عن الحق والهدى وعمى عظيم
 { فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ } فلما علمت بعداوتهن وكلامهن واتهامهن لها { أَرْسَلَتْ }
 بعثت { إِلَيْهِنَّ } إلى نساء أهل المدينة بالحضور إليها { وَأَعْتَدَتْ } وحضرت وأعدت
 وجهزت { لَهُنَّ } لנסاء مصر في المدينة { مُتَّكِنًا } شيئاً يجلس عليه من الوسائد
 والفراش { وَآتَتْ } وأعطت { كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ } كل واحدة من النساء اللاتي
 حضرن عندها { سِكِّينًا } وهو ما يقطع به من الفاكهة وغيرها وهو مصنوع من

الحديد وشفرته حادة يستعمل في ذبح الطيور والحيوانات وقطع بعض الفواكه وغيرها {وَقَالَتْ} وقالت زليخا زوجة عزيز مصر قالت ليوسف عليه السلام بعد أن ألبسته ثياباً أنيقة ونظيفة {أَخْرَجَ} مرَّ {عَلَيْهِنَّ} بين أيديهن أي امش أمامهن {فَلَمَّا رَأَيْتَهُ} فلما رآته النسوة نسوة المدينة ورأين حسنه وجماله وأناقته وقد أوتي شطراً من الجمال {أَكْبَرْتَهُ} أعظمته ودهشن من جماله وأناقته وحسنه {وَقَطَّعْنَ} أيديهن {وَجَرَحْنَ} أيديهن من شفرة السكاكين الحادة وهن يقطعن بعض الفواكه في أيديهن لانشغالهن بالنظر إلى يوسف عليه السلام وجماله وحسنه ونسبين السكاكين التي بأيديهن {وَوَقَلْنَ} وقالت النساء عند رؤية يوسف عليه السلام {حَسْبَ لِلَّهِ} معاذ الله وتنزه الله وهي كلمة تقال عند الاستغراب والدهشة وقيلت هنا من شدة جمال يوسف عليه السلام {مَا هَذَا} يوسف عليه السلام {بَشَرًا} أي ليس من البشر من ذرية آدم عليه السلام أي ليس من رجال الدنيا لحسنه ولجماله {إِنْ هَذَا} إن هذا يوسف {إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} إلا أن يكون ملكاً من الملائكة الكرام والمرفعين عن خلقه البشر أي لا يمكن أن يكون يوسف عليه السلام من البشر لشدة جماله وحسنه بل هو ملك كريم أي ملك جميل من الملائكة أكرمه الله تعالى بهذا الجمال وهذا اعتراف صريح وواقعي منهن بجمال يوسف وبما فعلته زليخا عليها السلام من مراودته لنفسها. قالت عائشة رضي الله عنها: أهو أحسن أم أنت يا رسول الله فقال: (هو أحسن خلقاً وأنا أحسن خلقاً) فقالت: ولم لا تخبر الناس فقال: (لو لم أقل فقد أوحى الله إليّ: " وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ "). [نزهة المجالس ج ٢ ص ٦٦]. {قَالَتْ} قالت زليخا عندها للنساء اللاتي قطعن أيديهن {فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ} فذلك هو الذي اعترضتم عليّ في حبه ومراودته عن

نفسه وقد أوقعتم اللوم عليّ في مراودته {وَلَقَدْ زَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ} ولقد طلبت منه فعلاً المعاشرة والمضاجعة لحسنه وجماله وحلاوته {فَأَسْتَعْصِمَ} فأبى عليّ ولم يقبل بالمعاشرة والمضاجعة {وَلَيْنَ} وإذا {لَمْ يَفْعَلْ} لم يقبل المضاجعة والمعاشرة {مَا أَمْرُهُ} ما أطلب منه الجماع فإذا لم يقبل وأبى {لَيْسَجَنَّ} ليدخل السجن {وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ} وسيكون من المذلولين والمحقرين والمعذبين وهذا الكلام قالته زليخا زوجة العزيز أمام هؤلاء النسوة اللاتي قطعن أيديهن وأمام يوسف عليه السلام وفي حضرته ولذلك {قَالَ} قال يوسف عليه السلام عندها {رَبِّ} إلهي وخالقي {السَّجْنِ} الحبس {أَحَبُّ إِلَيَّ} أفضل إلي {مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} أفضل مما طلب مني النسوة اللاتي قطعن أيديهن بالموافقة على المعاشرة والمضاجعة لهن {وَالْأَلَا} وإن لم {تَصْرِفْ عَنِّي} تمنع وتذهب عني {كَيْدَهُنَّ} فتنتهن وإغراءهن وتحريضهن على الموافقة على الزنا {أَصْبُ إِلَيْهِنَّ} أوافق على طلبهن جميعاً بمواقعتهن بما فيهم زليخا {وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ} وأكن من الذين لا يعلمون أوامر الله ولا حدود الله والجهل بالشريعة ولذلك أمر الله تعالى بغض البصر فقال تعالى: " وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ " ٣١ النور. وروى الطبراني عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن النظر سهم من سهام إبليس مسموم من تركه مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٨٢]. وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله كتب على ابن آدم حفظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق وزنا الأذنين الاستماع وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين الخطى والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه).

[رواه البخاري - ابن كثير ج ٣ ص ٢٨٢]. ولهذا ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (سبعة يظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٧٧].

{فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ} فقبل الله دعاءه {فَصَرَفَ عَنْهُ} فمنع عنه وأذهب عنه {كَيْدَهُنَّ} مكرهن وإغراءهن وطلبهن منه الفاحشة {إِنَّهُ هُوَ} إنه هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّسَّمِيعُ} يسمع النداء والدعاء والقول والعمل وكل شيء ودبة النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء {الْعَلِيمُ} يعلم ويدري ويعرف بكل شيء في ملكه ومحيط به وخبير به وبأفعال وأعمال الناس.

﴿ ثُمَّ بَدَأْهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنْدُهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ ٢٥ ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْنِي آعَصِرُ خَمْراً وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْراً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ٢٦ ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ ٢٧ ﴿ وَاتَّبَعَتْ مَلَّةَ آبَائِي إِتْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ٢٨ ﴿

{ ثُمَّ بَدَأْهُمْ } ثم ظهر لأهل زليخا وأهل زوجها وأتى لهم خاطر وحاك في أنفسهم { مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ } من بعد ما شاهدوا البيئات والدلائل على براءة يوسف عليه السلام وصدقه وهي قميصه قد من دبر وهم أهل زليخا وجماعة زوج زليخا { لَيْسَ جُنْدُهُمْ } ليحبسنه { حَتَّىٰ حِينٍ } لوقت ينسى فيه هذه الفضيحة وعقاباً ليوسف عليه السلام { وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ } وأدخل السجن والحبس يوسف عليه السلام ومعه شابان من أهل مصر { قَالَ أَحَدُهُمَا } قال واحد من الاثنين اللذين سجنا معه { إِنِّي أَرْنِي آعَصِرُ خَمْراً } إني أرى رؤيا منام أنني أعصر خمراً أي أحضره للشرب وهو ساقى الملك { وَقَالَ الْآخَرُ } وقال من الثاني من الفتيين { إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْراً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ } إني أرى أنني أحمل فوق رأسي طبقاً فيه خبز وتأكل طير السماء هذا الخبز { نَبِئْنَا } خبرنا { بِتَأْوِيلِهِ } بتفسيره وما معناه وما معنى تلك الرؤيا { إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } إنا نراك من المحسنين قولاً والصادقين والمعبرين الذين يجيدون تفسير الرؤيا

{ قَالَ } قال يوسف عليه السلام لهما { لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ } لا يأتي إليكم طعام أو رزق ترزقانه من قبل الله تعالى ويأتيكما { إِلَّا نَبَأْتُكُمَا } إلا أخبرتكما { بِتَأْوِيلِهِ } بتفسيره { قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا } قبل أن يأتي إليكم وينزل عليكم ويرزقكم الله تعالى به إذا رأيتم رؤيا منام به { ذَلِكَمَّا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي } ذلك الذي أخبركم به عن الرؤيا وتأويلها وتفسيرها هو ما علمني ربي بتفسير الرؤيا في المنام وهذا ما أعلمه به والده يعقوب عليه السلام عندما قال له: " وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ " ٦ يوسف. { إِنِّي تَرَكْتُ } إني امتنعت وبعدت عن { مِلَّة } دين { قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } كل قوم لا يصدقون بعبادة الله وحده { وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ } وهم بيوم القيامة كافرون مكذبون جاحدون ومنكرون { وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ } واتبعت دين { ءِآبَاءِي } أجدادي { إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ } وهو دين إبراهيم عليه السلام وولده إسحاق وولد إسحاق يعقوب والدي وهم أنبياء الله ورسله { مَا كَانَتْ لَنَا } ما كان لنا أنا وأجدادي إبراهيم وإسحاق ووالدي يعقوب عليهم السلام { أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ } أن نشرك بالله ونجعل له أنداداً من الأصنام والأوثان غير الله تعالى فهو لا شريك له { ذَلِكَ } ذلك التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له { مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ } من كرم الله تعالى علينا وفضله ورحمته وعلى الناس بأن هدانا وهداهم لعبادته وحده لا شريك له { وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ } ولكن أغلب والأكثرية من الناس { لَا يَشْكُرُونَ } لا يحمدون نعمة الله ولا يشكرون الله تعالى على فضله وكرمه وجوده علينا وعلى الناس جميعاً فهو المستحق الشكر على الهدى والنعمة والفضل.

﴿يَصْصِحِي السِّجْنَءَ رَبَّابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٦﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ يَصْصِحِي السِّجْنَءَ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيسْقَى رَبُّهُ حَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ﴿٦٨﴾ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٦٩﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٧٠﴾﴾

{يَصْصِحِي السِّجْنَءَ} يا أصحابي الاثنين في السجن معي {ءَ رَبَّابٌ مُتَفَرِّقُونَ} آلهة مختلفة وكثيرة {خَيْرٌ} أفضل {أَمِ اللَّهُ} أم الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْوَحِدُ} الذي ليس له ثان {الْقَهَّارُ} الذي يقهر خلقه بالموت ويقهر الجيوش بالهزيمة والأسر ويقهر الشعوب بالفقر والقحط والأمراض والجوع فهو مالك الملك وخالق الخلق ورازقهم ومحبيهم ومميتهم {مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ} ولا تعبدون أحداً غيره من الأصنام والأنداد والأوثان {إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ} مثل ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر كما قال تعالى: " وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا " ٢٣ نوح. وهذه الأسماء التي عبدوها من دون الله تعالى أخذوها عن آبائهم وأجدادهم {مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} ما أنزل الله بها من حكم ولا علم ولا بيان بل هي من إغراء وفتن الشيطان {إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} إن الأمر والحكم هو لله وحده لا شريك له يحكم ويأمر بما يريد {أَمْرٌ} حكم الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه

{أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} أمر الله تعالى الناس جميعاً الثقيلين الإنس والجن ألا يعبدوا إلا الله وحده لا شريك له {ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} ذلك الدين الصحيح والحق والعدل والمستقيم ودين الإخلاص بعبادة الله وحده لا شريك له {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ} ولكن أغلب {النَّاسِ} الخلق {لَا يَعْلَمُونَ} لا يعلمون ولا يفهمون أن الله تعالى هو الذي يستحق العبادة وحده لأنه هو الخالق والرازق والمحيي والمميت {يَنْصَحِي السِّجْنَ} أي يا أصحابي الاثنين في السجن والحبس معي {أَمَّا أَحَدُكُمْ} أما الأول منكما {فَيَسْقِي رَبَّهُ} فيسقي سيده وهو ملك مصر (الريان ابن الوليد) {خَمْرًا} وهو كل شراب مسكر ويخمر العقل ويغيبه يسمى خمراً أي الأول يكون ساقى الملك خمراً {وَأَمَّا الْآخَرُ} وأما الثاني الذي يحمل الخبز فوق رأسه {فَيُصَلَّبُ} فيقتل مصلوباً {فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ} أي يصلب ويمكث وهو مقتول مدة طويلة بحيث تأكل الطيور الجارحة والنسور رأسه ولحمه {قُضِيَ الْأَمْرُ} انتهى الحكم والقضاء والقدر من الله تعالى لأن الرؤيا تخبر عن الغيب والمستقبل للرأي {الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ} الذي فيه تطلبان الفتوى والتفسير للرؤيا {وَقَالَ} وقال يوسف عليه السلام وهو في سجنه {لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ} الذي علم عنه من تأويل رؤياه بأنه سينجو ويخرج من السجن {مِنْهُمَا} من صاحبيه في السجن {أَذْكُرْنِي} اذكر شأني وحالتي وظلمي وسبب سجنني وأني بريء {عِنْدَ رَبِّكَ} عند سيدك وهو ملك مصر الريان بن الوليد. و(عند ربك) تقال هذه الكلمة عن السيد والرئيس والملك في ذلك الزمان {فَأَنْسَهُ الشَّيْطَانُ} فنسي ذلك السجين صاحب يوسف عليه السلام من الشيطان {ذَكَرَ رَبَّهُ} أن يُذكَر سيده ملك مصر

بشأن يوسف عليه السلام {فَلَبِثَ} فمكث {فِي السِّجْنِ} في الحبس يوسف عليه السلام {بِضَعِ سِنِينَ} قيل أنه سبع سنين. وقال مجاهد وقتادة ما بين الثلاث إلى التسع وقال وهب بن منبه مكث أيوب في البلاء سبعاً ويوسف في السجن سبعاً وعذب بختنصر سبعاً. [ابن كثير ج ٢ ص ٤٨٠].

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَةٍ ^ط يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُءُوسِهِ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءُوسِ يَافِعُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضَعْتُ أَحْلَمٍ ^ط وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَلَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَةٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

{وَقَالَ الْمَلِكُ} قال ملك مصر وهو الريان بن الوليد {إِنِّي أَرَى} إني رأيت في المنام {سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ} عدد سبع بقرات سمان ذوات شحم ولحم كثير {يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ} قد أكلهن سبع بقرات {عِجَافٌ} ضعاف وهزيلات {وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ} ورأيت عدد سبع سنبلات من سنابل الزرع أي من سنابل الحبوب {خُضْرٍ} أي ذوات خضرة ولمعان وبهجة وهي لا تزال رغبة وطرية وخضراء اللون {وَأُخَرَ يَابِسَةٍ} يَابِسَةٍ} وسبع سنابل أخرى يابسات وناشفات {يَأْتِيهَا الْمَلَأُ} أيها الجمع والقوم

{أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ} أعطوني الفتوى بتعبير رؤيا المنام التي رأيتها هذه {إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ} إن كنتم تعلمون وتعرفون تعبیر وتفسير الرؤيا {قَالُوا} قالوا جميعاً قالوا جميعاً من رهبان وكهنة {أَضْغَثُ أَحْلَامٍ} أي أخلاط أحلام رديئة {وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ} وما نحن بتفسير {الْأَحْلَامِ} جمع حُلْم وهو ما يراه النائم من أحلام مفزعة وكاذبة يخوف بها الشيطان الناس والحلم بعكس الرؤيا لأن الرؤيا صادقة من الله تعالى. وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب حدثني عمرو ابن الحارث أن دراجاً أبا السمع حدثه عن عبد الرحمن بن جبر عن عبد الله ابن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لهم البشرى في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يبشرها المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٢٣]. وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا حسن يعني الأشيب حدثنا بن لهيعة حدثنا دراج عن عبد الرحمن بن جبیر عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) - قال - الرؤيا الصالحة يبشرها المؤمن جزء من تسعة وأربعين جزءاً من النبوة فمن رأى ذلك فليخبر بها ومن رأى سوى ذلك فإنما هو من الشيطان ليحزنه فلينفث عن يساره ثلاثاً وليكبر ولا يخبر بها أحداً). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٢٣]. {بِعَلَمِينَ} بعارفين ولا يوجد عندنا علم بتعبير الرؤيا {وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا} وقال الذي نجا من السجن من الاثنين صاحبي يوسف عليه السلام الذي قال له اذكرني عند ربك بعد خروجك من السجن {وَأَذَكَّرْ} وافتكر وتذكر {بَعْدَ أُمَّةٍ} بعد مدة من الزمن طويلة وهنا كلمة أمة معناها مدة وتأتي في سياقات أخرى حسب موقعها بمعنى جماعة من الناس أما هنا فمعناها مدة من الزمن {أَنَا أَنْبِئُكُمْ} قال المسجون صاحب

يوسف للملك أنا أخبركم {بِتَأْوِيلِهِ} بتفسير هذه الرؤيا رؤية الملك في المنام {فَأَرْسَلُونِ} فابعثون إلى السجن وسآتيكم بتفسيرها {يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ} يوسف أيها الصادق القول والمعبر للرؤيا {أَفْتِنَا} عبّر لنا وفسّر {فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ} في عدد سبع بقرات ذوات شحم ولحم كثير {يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ} يأكلهن سبع بقرات هزيلات وضعيفات {وَسَبْعُ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ} وسبع سنابل خضراء اللون وخضراء ولم تيبس بعد {وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ} وسبع سنبلات غيرها يابسات وجافّات {لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ} عسى أن أعود إلى الناس وأخبرهم بتأويلها لعلهم يعرفون تفسيرها وتأويلها {قَالَ} قال يوسف عليه السلام معبراً ومفسراً لها {تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا} تزرعون سبع سنين متواصلة تكون خصاباً {فَمَا حَصَدْتُمْ} فبعد حصد الغلال والحبوب والزرع {فَذَرُوهُ} فدعوه واتركوه {فِي سُنبُلِهِ} أي أبقوه في السنابل ولا تقطعوه من سنابله وأبقوه في سنبله وعنقوده وذلك ليحفظ من التسوس أكبر مدة وهذا من علم يوسف عليه السلام في الزراعة والاقتصاد والادخار وهذا مما علمه الله قال الله تعالى: " وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ " ٢٢ يوسف. {إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ} ما عدا ما تأكلونه فوراً والباقي ادخروه {ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} ثم بعد السنين السبع الخصبه يأتي بعدها {سَبْعُ شِدَادٍ} سبع سنين قحط ومحل وضيق وشدة {يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ} تأكلوا فيه كل ما ادخرتم في السنين السبع القحط التالية {إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْصِنُونَ} فلا يبقى بعد ذلك إلا قليلاً مما تدخرون {ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} ثم يأتيكم بعد هذه السبع الشداد ذوات القحط {عَامٌ فِيهِ يُمْغَثُ النَّاسُ} يأتي بعد

هذا القحط وهذه السبع سنين المُجدبات عام يُغاث فيه الناس أي يرزقون برزق وفير وخصب ورغد عيشٍ {وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} أي يشربون عصير الفواكه والأعناب والزيتون وغيرها من كثرة الخصب. وهذا قانون الاقتصاد في الإسلام وعلى أهل الاقتصاد اتباعه في الادخار والاقتصاد. وتؤكد من رؤية يوسف الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر ومن رؤية ملك مصر السبع بقرات السماء يأكلهن سبع عجاف ومن رؤية إبراهيم عليه السلام أنه يذبح ابنه إسماعيل ومن رؤية محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: " لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ " ٢٧ الفتح. وهذا يدل على أن الرؤيا هي حق وهي سواء للمسلم أو للكافر كملك مصر فهي حق وتخبر عن المستقبل. وأنه وبلا فخر أنني رأيت رؤيا شجعتني على تفسير القرآن وإتمامه وملخصها أنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ومعني قطعة من الجُمَار والتي تُستخرج عند قص جذع النخل وشقها واستخراج ما في بطنها ولونه أبيض وطري كالزبد وحلو ولذيذ الطعم وقد أطمعته رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أقطع كل قطعة على قدر ظفر الإصبع وأطعمها للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يأكل ولم يعترض على صغرها وأكل حتى أشار بكف يده لي بأنه قد شبع وفي كل مرة أقول له كل يا رسول الله وهو يشير بكف يده ويقول لي كفى وهكذا ثلاث مرات وأنا أقول له كل يا رسول الله وهو يشير بكف يده ويقول كفى أي أنه قد شبع تماماً والله شهيد على هذه الرؤيا فلما استيقظت علمت بأن الله تعالى سيعلمني أصغر التفاصيل وأدقها وشرحها وتفصيلها وتوضيحها في كتاب الله العزيز مما يرضى عنه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين.

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ ۗ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاودْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۗ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۗ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ لَأَنْ كُنَّ حَاصِصَ الْحَقِّ أَنَا وَرَاوِدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ ۗ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۗ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾

{ وَقَالَ الْمَلِكُ } وقال ملك مصر وهو الريان بن الوليد { أَتُتُونِي بِهِ } أحضروا يوسف عليه السلام من السجن لأسمع منه تأويل رؤيائي { فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ } فلما جاء رسول الملك ومبعوثه إلى يوسف عليه السلام وهو في السجن ليحضره للملك { قَالَ } قال يوسف عليه السلام لمبعوث الملك { ارْجِعْ } عُدْ { إِلَىٰ رَبِّكَ } إلى سيدك الملك { فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ } أسأل الملك وهو ملك مصر الريان ابن الوليد واطلب منه أن يستفسر عن براءتي والدليل على ذلك لماذا نسوة المدينة قطعن أيديهن وهن أكثر من واحدة وفي وقت واحد والجواب مستتر هو عندما شاهدوا حسني وجمالي قطعن أيديهن { إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ } إن ربي الله تعالى بمكرهن وتهمتهن وبمؤامرتهن وفتنتهن { عَلِيمٌ } أي يعلم أني بريء من هذه المكيدة ومن هذه التهمة وهي تهمة الاعتداء على عرض زليخا زوجة عزيز مصر { قَالَ } قال ملك مصر وهو الريان بن الوليد { مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاودْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ } جمع النساء اللاتي قطعن أيديهن وسألهن عن اتهام يوسف عليه السلام لأن الدليل قاطع على

كيدهن ليوسف بقطع أيديهن فلا بد من الاعتراف فقال لهن ما هي قصة مراودة يوسف وطلب فاحشة الزنا منه {قُلِّبَ} قالت النسوة جميعهن اللاتي قطعن أيديهن {حَسَّ لِلَّهِ} معاذ الله {مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ} ما عرفنا عليه أنه فعل فاحشة الزنا ولا اغتصاب ولا التعرض إلى زليخا زوجة وزير الملك وهو عزيز مصر {قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ} عندها تكلمت زليخا زوجة عزيز مصر الذي هو وزير الملك {الَّذِينَ حَصَّصَ الْحَقُّ} الآن ظهر وبان ووضح الحق والصدق ولا مجال للكذب لأن جميع النساء اللاتي قطعن أيديهن اعترفن ببراءته فلا بد أن تعترف كذلك زوجة عزيز مصر بالحق وبالواقعة الصحيحة وهي قولها {أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ} أنا التي طلبت منه المعاشرة والمواقعة وليس هو كما ادعيت سابقاً {وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} وإنه هو لصادق في قوله وفعله وهو من الصادقين القليلين الذين لا يكذبون {ذَلِكَ} وذلك {لِيَعْلَمَ} حتى يعلم يوسف عليه السلام {أَنِّي لَمَ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ} أنني لم أكذب عليه وأخفي ما غاب من هذه التهمة عن الناس جميعاً ما عدا النسوة اللاتي قطعن أيديهن ولم أخفي حقيقة الأمر بل أعترف به الآن علماً أنه من الغيب ولم يكن عندنا أحد سواي وإياه فقط في تلك اللحظة {وَأَنَّ اللَّهَ} وأن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَا يَهْدِي} لا يؤدي ولا ينصر ولا يتم {كَيْدٍ} مؤامرة {الْخَائِبِينَ} المتهمين الناس بالباطل والخائنين لدينهم وعرضهم وأزواجهم (لا يهدي) لا يصلح عمل وكيد ومؤامرة (الخائنين) الكائدين والغادرين والمكذبين والمتهمين غيرهم بفعل ما لم يقترفوه {وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي} ولا أدافع عن نفسي حتى أبرئها من هذه الخيانة والتهمة التي ألصقتها بيوسف عليه السلام بل

أنا فعلت ذلك وبعد أن ظهر الحق وعلا {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ} لأن النفس البشرية والطبيعة البشرية لتأمر صاحبها {بِالسُّوءِ} بالرديلة والوقوع في الفاحشة {إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي} إلا ما عصم ربي الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه ولا بد أن يكون هذا إما نبي أو رسول أو من الصالحين أو ممن يريد الله أن يرحمه وينجيه من هذه الفتن والمعاصي والذنوب {إِنَّ رَبِّي} إن ربي وخالقي الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَفُورٌ} يغفر ويعفو ويتجاوز لمن تاب وأناب ورجع إليه وأطاعه وتقرب إليه وعبده وحده لا شريك له {رَحِيمٌ} وهو رحيم لمن أطاع وتاب ولا يعذبه ويدخله الجنة يوم القيامة.

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٧﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا جُرْأَلَاءُ خِرَّةٍ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

{وَقَالَ الْمَلِكُ} وقال ملك مصر الريان بن الوليد بعد أن استفسر من نسوة المدينة وامرأة العزيز وهي زليخا وقصة اتهامه بالتعرض لعرض زليخا واعترفت زليخا ونسوة المدينة ببراءة يوسف عليه السلام وتأكد من ذلك وعلم كذلك بتفسير رؤياه البقر السمان والبقر العجاف وعلم صدق يوسف وعلمه ونزاهته قال {أَتُؤْتِنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي} آخذه لي وخاصة بي واجعله من خاصتي ومستشاري المخلصين أي يقربه منه ويجعله من خاصته المقربين {فَلَمَّا كَلَّمَهُ} فلما حضر يوسف عليه السلام عند الملك وكلمه أن يكون من خاصته والمقربين منه {قَالَ} قال

المَلِكُ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ {إِنَّكَ أَلْيَوْمَ} إِنَّكَ مِنْ هَذَا الْيَوْمِ {لَدَيْنَا} عِنْدَ الْمَلِكِ {مَكِينٌ} قَوِي لَا يُخَافُ عَلَيْكَ مِنْ ظَلْمٍ أَوْ اِعْتِدَاءٍ أَوْ جُورٍ أَوْ ظَلْمٍ {أَمِينٌ} مُؤْتَمَنٌ عِنْدَنَا {قَالَ} قَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ {أَجْعَلْنِي} ضَعْنِي {عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ} عَلَى خَزَائِنِ الدَّوْلَةِ وَمَسْتَوْدَعَاتِهَا مِنَ الْحُبُوبِ وَالغَلَالِ {إِنِّي حَفِيزٌ} إِنِّي سَاحِفُظْهَا مِنْ الْهَلَاكِ وَالنَّهْبِ وَالضِّيَاعِ وَالتَّبْدِيدِ وَالسَّرِقَةِ وَأَعْرِفْ وَأَعْلَمْ كَيْفَ حَفِظْهَا حَتَّى لَا تَضِيْعَ وَلَا تَسْرُقَ وَلَا تُخْرَبَ أَثْنَاءَ الْحَفِظِ {عَلَيْمٌ} عِنْدِي عِلْمٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِحَفِظْهَا وَعَدَمِ خَرَابِهَا وَعَدَمِ تَلْفِهَا {وَكَذَلِكَ} وَهَكَذَا {مَكَّنَّا} ثَبَتْنَا {لِيُوسُفَ} لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامِ ابْنَ يَعْقُوبَ ابْنَ إِسْحَاقَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَمِيعاً {فِي الْأَرْضِ} فِي أَرْضِ مِصْرَ بَعْدَ أَنْ أَخَذَهُ الْمَلِكُ وَجَعَلَهُ مِنْ خَاصَّتِهِ وَالْمُقْرَبِينَ إِلَيْهِ {يَتَّبِعُوا} يَخْتَارُ {مِنْهَا} مِنْ خَزَائِنِ أَرْضِ مِصْرَ {حَيْثُ يَشَاءُ} حَيْثُ يَرِيدُ وَيُرِغِبُ {نُصِيبُ} نُنْزِلُ {بِرَحْمَتِنَا} بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَهِيَ فَضْلُهُ وَعَطَاؤُهُ وَرِزْقُهُ وَمِنْحُهُ {مَنْ نَشَاءُ} مَنْ يَرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ خَيْراً وَهُوَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ {وَلَا نُضِيعُ} وَلَا نَذْهَبُ {أَجْرٌ} عَمَلٌ وَثَوَابٌ {الْمُحْسِنِينَ} الْمُخْلِصِينَ أَعْمَالَهُمْ وَعِبَادَتَهُمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَدِّهِ وَهِيَ عَامَةٌ لِكُلِّ الْمُحْسِنِينَ أَعْمَالَهُمْ وَالْمُقْتَدِينَ بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامِ وَإِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ {وَلَأَجْرٌ} وَلِثَوَابٍ {الْآخِرَةِ} يَوْمِ الْقِيَامَةِ {خَيْرٌ} أَفْضَلُ {لِلَّذِينَ ءَامَنُوا} لِكُلِّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا وَرَسُولاً وَآمَنُوا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ {وَكَانُوا يَتَّقُونَ} وَكَانُوا يَخْشَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى وَيَخَافُونَهُ وَيَمْتَنِعُونَ عَنِ مَعَاصِيهِ وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ وَيَعْبُدُونَهُ وَيَطِيعُونَهُ وَيَتَّقُونَ اللَّهَ فِي مُحَارَمِهِ وَلَا يَتَعَدُونَ حُدُودَهُ.

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ ۖ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَتَرُوْهُ عَنْهُ آبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ آجِعُلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾

{ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ } وحضر إخوة يوسف إلى مصر { فَدَخَلُوا عَلَيْهِ } دخلوا على يوسف عليه السلام { فَعَرَفَهُمْ } فعرف يوسف إخوته الذين حضروا إليه إلى مصر { وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ } وهم غير عارفين له لطول المدة التي فقدوا فيها يوسف بعد أن أوقعوه في البئر ولأنهم لم يتصوروا ولم يتخيلوا بأن أخاهم في هذه البلاد ووصل إلى هذه المكانة والمنزلة وذلك بعد أن مضت سنو الخصاب السبع وأتت بعدها سنو القحط والجذب في جميع البلاد في مصر وجيرانها من أهل فلسطين فجاءوا لطلب المؤونة وأن يتزودوا بها من مصر { وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ } ولما أوفاهم يوسف عليه السلام بأحمال إبلهم من الحبوب وما يحتاجون إليه فكان قد أكرمهم وسألهم يوسف عليه السلام أسئلة حتى يخفي عليهم نفسه ويعلم خبر والده يعقوب عليه السلام وخبر أخيه من أمه وأبيه (بنيامين) وقيل أنه اتهمهم بأنهم أرسلوا من قبل الأعداء ليموه عليهم أسئلته ونفسه حتى لا يعرفوه فقال لهم أنتم جواسيس وعيون للأعداء حضرتم عندنا من فلسطين قالوا لا بل نحن أولاد نبي الله ورسوله يعقوب ونحن كنا اثني عشر ولداً وأكل الذئب منا واحداً وكان أخانا إلى أبينا فقال أعطوني الأمانة والعلامة والدليل هل له إخوة من أمه غيركم قالوا نعم واحداً اسمه (بنيامين) بقي عند أبينا فأمر خدمه أن يكيلوا لهم ما يحتاجون من الحبوب

والبضاعة {قَالَ أَتُّونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ} قال لهم يوسف عليه السلام بعد أن موه عليهم بأنه عرف أن لهم أخاً من أبيهم وأمهم غيرهم ولم يأت معهم وقال لهم اتتوني بأخ لكم من أبيكم ولم يقل من أمكم لأنه يوحي إليهم بأنه لا يعرف شيئاً عنهم إلا ما قد حدثوه به وقال لهم أحضروا أخاكم من أبيكم الذي ذكرتموه حتى أعلم صدقكم حتى أزيدكم الكيل عن الناس {أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ} ألا ترون وتشاهدون أنني أوفي الكيل وأزيدة لكم {وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} وأنا أفضل المنفقين والمعطين وخير من يكرمكم وينزلكم منزل الضيافة والكرم {فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ} فإن لم تحضروا أخاكم وهو (بنيامين) حتى تثبتوا صدق ادعائكم بأن لكم أخاً آخر صغيراً لم يحضر معكم {فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي} فلا عطاء لكم عندي ولا أكيل لكم ولا أبيع أي شيء لكم {وَلَا تَقْرَبُونِ} ولا تأتونني ولا تصلوني لأنني لا أبيعكم ولا أعطيكم شيئاً {قَالُوا} قال إخوة يوسف ليوسف عليه السلام وهم لا يعرفوه {سَنُرَوِّدُ} سنحاول الطلب من أبينا {عِنْتَهُ} عن إحضار أخيه (بنيامين) معهم إلى مصر عند يوسف عليه السلام {أَبَاهُ} يعقوب عليه السلام {وَأِنَّا لَفَاعِلُونَ} وإننا سنفعل ذلك ونطلب من أبيه يعقوب عليه السلام أن يرسله معنا إليك لترى بنيامين بعينك {وَقَالَ} قال يوسف عليه السلام {لِفِتْيَانِهِ} لخدمته {أَجْعَلُوا بِضَعَتَهُمْ} اجعلوا أي ضعوا ثمن ما اشتروه من الحبوب من عند يوسف عليه السلام سواء بضاعة عينية أو مادية {فِي رِحَالِهِمْ} في حمالهم التي يحملونها على إبلهم أي يضعوا كل ما جاءوا به من ثمن لشراء البضاعة من مصر من عند يوسف عليه السلام في أكياسهم داخل حبوبهم وبضاعتهم التي اشتروها {لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا} عسى أنهم عندما يرونها يعرفون أن ثمنهم الذي قدموه ليوسف عاد إليهم في

رحالهم {إِذَا أَنْقَلَبُوا} إذا رجعوا {إِلَىٰ أَهْلِهِمْ} إلى ديارهم وعند أهلهم وفي بيوتهم عندما يفتحون بضاعتهم {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} لعلهم وعسى أن يعودون ليدفعوا ثمن ما شروه بعد أن وجدوه رجع في أمتعتهم وهذه مكيدة أولى من يوسف عليه السلام ليجبر إخوته على العودة إليه ثانياً لأنه يعلم أن أباهم يعقوب عليه السلام نبي الله ورسوله لا يأكل حراماً وسيعودون قطعاً لأداء ثمن بضاعتهم التي قد اشتروها وأخذوها وحتى يعودوا بأخيهم بنيامين إلى يوسف عليه السلام وهذا من علم وذكاء يوسف عليه السلام وهي حيلة شرعية قد قام بها يوسف عليه السلام ليرى أخاه بنيامين.

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَ نَكْتَلْ
وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ
فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ
رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَحَفَظُ
آخَانَ وَنَزَدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿١٤﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُتُونَ
مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتَنِّي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا
نُقُولُ وَكَيْلٌ ﴿١٥﴾ ﴾

{فَلَمَّا رَجَعُوا} فلما عاد إخوة يوسف {إِلَىٰ أَبِيهِمْ} إلى أبيهم يعقوب وإلى وطنهم فلسطين {قَالُوا} قال إخوة يوسف {يَا أَبَانَا} يا والدنا يعقوب {مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ} منع الكيل علينا حتى نُحضر أخانا بنيامين معنا إلى عزيز مصر أي إلى يوسف عليه السلام {فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَ} فابعث معنا أخانا بنيامين {نَكْتَلْ} حتى يُكتال لنا ويُباع لنا ما نريد {وَإِنَّا} وإنا إخوة يوسف {لَهُر} لأخيهم بنيامين

{لَحْفِظُونَ} سنحفظه من كل شر وسوء {قَالَ} قال يعقوب عليه السلام لهم {هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُمْ} هل أطمئن لكم على سلامته وآمن عليه كما فعلت وآمنت {عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ} على أخيه يوسف قبل ذلك عندما قلت أكله الذئب {فَاللَّهُ} فالله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {حَيْرٌ} أفضل منكم ومن غيركم {حَافِظًا} يحفظه ويحميه ويحرسه ويرعاه أي وافق لهم على أخذ بنيامين معهم لشراء البضاعة من مصر {وَهُوَ} وهو الله تعالى {أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} من يرحم أكثر رحمة ممن يرحم من غيره وهو أرحم الراحمين بي وبه {وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَعَهُمْ} ولما فتحوا أمتعتهم وأكياسهم والأحمال التي حملوها وجاءوا بها من مصر {وَجَدُوا بِضَعَتَهُمْ} وجدوا داخل أمتعتهم ثمن البضاعة التي اشتروها من مصر {رُذِّتْ إِلَيْهِمْ} عادت إليهم ولم يأخذها يوسف عليه السلام ثمنًا لِمَا باع لهم من البضاعة والحبوب {قَالُوا} قال إخوة يوسف عندها {يَتَأَبَّانَا} يا والدنا يعقوب {مَا نَبْغِي} ما نطلب {هَذِهِ بَضْعَتُنَا رُذِّتْ إِلَيْنَا} هذه ثمن البضاعة السابق قد عاد إلينا {وَنَمِيرُ أَهْلَنَا} ونطعم أهلنا ونبضعهم ونشبعهم ونزود أهلنا بالبضاعة والحبوب {وَنَحْفَظُ أَخَانَا} ونحمي أخانا ونحفظه من كل سوء أي أخاهم بنيامين الذي هو أبيهم وليس من أمهم {وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ} ويزاد لنا في شراء البضاعة حمل جمل من الحبوب زيادة لبنيامين {ذَلِكَ كَيْلٌ يُسِيرٌ} وهذا شيء بسيط وسهل نأخذه زيادة وبكل سهولة ويسر {قَالَ} قال يعقوب عليه السلام نبي الله ورسوله وهو والدهم {لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ} لن أبعثه معكم {حَتَّىٰ تُوْتُونَ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ} حتى تعاهدون الله تعالى وتقسموا أيماناً مغلظة وموثقة {لَتَأْتِنِي بِهِ} لترجعوه لي

وتأتوا به إليّ سالماً {إِلَّا أَنْ تُحَاطَ بِكُمْ} إلا أن يقع بكم شر خارج عن نطاقكم وعن قدرتكم وحمایتكم أي قضاءً وقدرًا من الله تعالى وليس لكم فيه أمر ولا حول ولا قوة {فَلَمَّا آتَوْهُ} فلما أعطوه {مَوْتَقَهُمْ} عهدهم وحلفهم وقسمهم {قَالَ} قال يعقوب عليه السلام {اللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ} قال لهم يعقوب قولوا في آخر عهدكم وقسمكم الله على ما نقول ونعاهد ونقسم {وَكَيْلٌ} شاهد ومتوكل فهو الوكيل والشهيد والحفيظ.

﴿ وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَحْكُمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾

﴿ ١٧ ﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ١٨ ﴾

{وَقَالَ} قال يعقوب عليه السلام لأبنائه ناصحاً {يَبْنَى} يا أبنائي {لَا تَدْخُلُوا} من بابٍ واحدٍ {لا تدخلوا على عزيز مصر جميعكم دفعة واحدة من باب واحد {وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ} وتفرقوا على أبواب متفرقة وادخلوا منها متفرقين وذلك خوفاً من العين والحسد {وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ} وما ينفع نصحي عنكم {مِنْ} من الله من شَيْءٍ} من أمر الله تعالى ومن حكمه ومن قضاؤه وقدره لا ينفع شيئاً {إِنْ أَحْكُمُ} إن الحكم والأمر في النهاية {إِلَّا لِلَّهِ} فهو لله وحده {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} عليه وبه استعنت واعتمدت {وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ} وعلى الله فليعتمد {الْمُتَوَكِّلُونَ} المعتمدون على الله تعالى. أي أنتم يا أبنائي توكّلوا على الله واعتمدوا عليه فإنه لا يضيعكم ويحفظكم {وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ} ولما دخلوا على يوسف

متفرقين ومن أبواب متفرقة ومختلفة بناء على نصيحة أبيهم يعقوب عليه السلام {مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ} لا يغني ولا ينفع ولا يبعد عنهم {مِنَ اللَّهِ} من قضاء الله وقدره {مِنْ شَيْءٍ} من شيء من الأشياء فالقضاء والقدر كالموت لا مفر منه وإذا قضى الله أمراً كان مفعولاً {إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ} إلا لشيء كان يحييك في نفس يعقوب وخاف منه على أبنائه {فَضَلَّهَا} نفذها وأمر بها ونصح بها أبناءه وهي الخوف عليهم من العين والحسد {وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ} وإن يعقوب عليه السلام صاحب علم ودراية ومعرفة {لَمَّا عَلَّمْنَاهُ} بما علمه الله تعالى كيف لا وهو نبي الله ورسوله وهذا العلم هو علم العين والحسد. روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين). [زاد المعاد ج ٣ ص ١١٦]. وفي الصحيحين عن عائشة قالت: (أمرني النبي صلى الله عليه وسلم أو أمر أن نسترقى من العين). [زاد المعاد ج ٣ ص ١١٦]. وفي صحيح مسلم عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص في الرقية من الحمة والعين والنملة). [زاد المعاد ج ٣ ص ١١٦]. وعن جابر يرفعه: (أن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر). [زاد المعاد ج ٣ ص ١١٧]. {وَلَيْكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ} ولكن أغلب الناس وأكثريتهم {لَا يَعْلَمُونَ} لا يعلمون ذلك ولا يعلمون ولا يعرفون ما هو الحسد وما هو مفعوله وما هو إيذاؤه لأنه لا يرى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عن جابر يرفعه: (إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر). [زاد المعاد ج ٣ ص ١١٧].

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْعَيْرِ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ حَمْلٌ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٦٩﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا فَمَا جزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧١﴾ قَالُوا جزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

{وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ} ولما وصل مصر إخوة يوسف ومعهم بنيامين دخلوا على يوسف ليشتروا البضاعة {ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ} أخذ يوسف عليه السلام أخاه بنيامين عنده {قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ} قال يوسف عليه السلام لأخيه بنيامين أنا أخوك يوسف {فَلَا تَبْتَئِسْ} فلا تحزن {بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} بما أوقعوا يوسف عليه السلام في غيابة الجب أي حدثه بالقصة كاملة {فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ} فلما أعطاهم يوسف عليه السلام البضاعة التي يحتاجونها ووضعها في أكياسهم {جَعَلَ السَّقَايَةَ} وضع الصاع والمكيال الذي يُكَالُ بِهِ {فِي رَحْلِ أَخِيهِ} أي في حمل بعير أخيه بنيامين متفقاً في ذلك مع أخيه بنيامين على هذه الحيلة {ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ} ثم نادى مناد {أَيُّهَا الْعَيْرُ} أيها القافلة صاحبة (العين) الإبل أي المقصود بها إبل إخوته {إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ} إنكم سرقتمكم {قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ} قالوا

وهم مقبلون عليهم أي على خدم وموظفي يوسف عليه السلام {مَاذَا تَفْقِدُونَ} ماذا فقدتم وما سُرق لكم {قَالُوا نَفَقِدُ صُوعَ الْمَلِكِ} قال خدم يوسف عليه السلام فقدنا صواع الملك الذي نكيل به للناس بضاعتهم {وَلَمَن جَاءَ بِهِ} ولمن أحضره أو وجده أو دل عليه له {حِمْلُ بَعِيرٍ} له مكافأة مقدارها تحميل واحد من الإبل {وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ} وقال يوسف عليه السلام أنا بهذا حمل البعير والمكافأة هذه أنا بها كفيل أي أتكفل بذلك {قَالُوا} قال إخوة يوسف {تَأَلَّه} أقسموا بالله تعالى {لَقَدْ عَلِمْتُمْ} لقد تأكدتم علم اليقين {مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ} وهذا رد على ما نوه به يوسف عليه السلام عندما اتهمهم سابقاً في المرة الأولى بأنهم عين للأعداء وحتى يثبتوا ذلك يحضروا معهم أخاً من أبيهم الذي قالوا بأنهم تركوه عند أبيه والآن عندما أحضروه ليؤكدوا أنهم ليسوا عيناً للأعداء قالوا ليوسف (لقد علمتم) لقد تأكدتم الآن بعد إحضار أخينا بنيامين ما جئنا وما حضرنا إلى هنا لنخرب ونفسد في الأرض {وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ} ولم نكن نسرق قبل ذلك وما هي عادتنا ولا طباعنا {قَالُوا} قال خدم يوسف وموظفوه {فَمَا جَزَاؤُهُ} فما عقابه إذن {إِنْ كُنْتُمْ كَذِبِينَ} إن وجد الصاع معه وفي حمل بعيره وتبين كذبكم وأنكم سارقون ماذا نفعل به ونعاقبه {قَالُوا} قال إخوة يوسف رداً عليهم {جَزَاؤُهُ} عقابه {مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ} من وجد صاع الملك في أحماله ومتاعه {فَهُوَ جَزَاؤُهُ} فهو يؤخذ ويسجن جاء فعلته وخذوه عندكم رهينة على فعلته {كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} وهكذا نعاقب السارقين والمذنبين في شريعتنا وهي شريعة أبينا يعقوب عليه السلام أي أنهم هم الذين حكموا على أنفسهم بأخذ من سرق أن يؤخذ رهينةً وأسيراً بدل

فعلته {فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ} فبدأ يوسف عليه السلام بتفتيش متاعهم وأحمالهم وبضاعتهم وأكياسهم التي يحملون فيها بضاعتهم قبل أن يفتش وعاء ومتاع وأكياس أخيه بنيامين وهذه حيلة وتمويه عليهم حتى يؤكد لهم بأن التفتيش طبيعي والسرقة طبيعية وليست مفتعلة {ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ} ثم أخرجها بعد تفتيش حمل أخيه وأكياسه أخرج صاع الملك الذي خبأه في حمل أخيه. وهذا التفتيش وطريقته التي تم بها بتفتيش أوعية إخوته أولاً ثم أخيراً فتش أمتعة أخيه بنيامين حتى لا يُشك في ذلك {كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ} كذلك علمنا يوسف بهذه المكيدة وهذه الحيلة ولولاها {مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ} ولولا هذه المكيدة والحيلة لما تمكن يوسف عليه السلام من أخذ أخيه بنيامين عنده وهذا يدل أن المكيدة في إرجاع الحق جائزة {فِي دِينِ الْمَلِكِ} في موطن الملك وفي ملكه وفي قانونه وشريعته ونظامه وحكمه {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} إلا ما يريد الله {تَرْفَعِ دَرَجَاتٍ مِّنْ نُّشَاءٍ} ترفع مكانة وشأن من يشاء ويريد الله تعالى له ذلك ، وهذه الدرجات هي مكانة يوسف عليه السلام من ملك مصر وعلمه الذي علمه الله تعالى له وقربه من الملك وجعله من خاصته يحكم بأمره في كل ما يريد {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} وعلم الله تعالى فوق وأعلى وأجل وأعظم من كل ذي علم من العلماء المتعلمين فهو الله تعالى علمه أعلى من كل عالم فهو عليم يعلم العالم وعليم بكل شيء والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه فوق كل صاحب علم ودراية وفن فهو أعلم منه وأكثر علماً وما عِلْمُ أهل الأرض وأهل السماء في علم الله تعالى إلا كما المخيط يغمس في البحر ثم يستخرج وكما قال تعالى: " وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا " فَعِلْمُ اللَّهِ

تعالى لا يُنازع ولا يوصل إليه ولا يُرقى إليه فهو أعلى وأجل وأعظم وأكبر وأكثر
 "وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا".

﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا
 لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَّانًا ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَتَّيِّبُهَا الْعَزِيزُ إِنْ لَهُ
 أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۗ إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ
 اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعْنَا عِنْدَهُ ۗ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا
 مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ
 اللَّهِ وَمَنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ تَحْكُمَ اللَّهُ
 لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَتَّيَّبَانَا إِنْ أَبْتَكَّ سَرَقَ وَمَا
 شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَأَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا
 وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

{قَالُوا} قال إخوة يوسف {إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ} فعندما أخرج صاع
 الملك من متاع بنيامين قال إخوة يوسف نافين التهمة عنهم وحتى يُعلموا يوسف
 أنه ليس بأخيهم بل من أم ثانية حتى يبرئوا ساحتهم فقالوا عن بنيامين إن يسرق
 بنيامين الآن فقد سبقه بالسرقة أخ له من أمه يعنون يوسف عليه السلام وسببه كما
 قيل أنه في صغره سرق صنماً من ذهب لوالد أمه أي من جده وكسره وهو يلعب به
 ومع صغره لصقوا له هذه التهمة {فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ} فأخفاها يوسف عليه
 السلام في نفسه {وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ} ولم يظهرها وبيبين لهم أنه كان طفلاً صغيراً ولم
 يعقل فلم يسرق ولكنه أخذها يلعب بها كطبيعة الأطفال يعبثون بكل شيء يجدوه
 وليس سرقة لأنهم لا يعلمون في ذلك السن ما معنى السرقة {قَالَ} قال يوسف

{أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا} وكأنه لا يعرفهم ويجيبهم بالواقع الذي حصل وقال لهم أنتم أشر وأسوأ منه {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ} والله أعلم بما تدعون هل صدق أم كذب ما تدعون {قَالُوا} قال إخوة يوسف {يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ} نسبه إلى عزيز مصر أي وزيرها وهو الذي رباه ولذلك نسبه إليه ولم يعرفوا أنه يوسف {إِنَّ لَهُ رَبًّا} إن له والداً {شَيْخًا كَبِيرًا} أي رجل شاخ وكبر سنه ولا يتحمل فراق ابنه الصغير {فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ} تطف بكبر سن أبيه وبما له من منزلة عنده فخذ واحداً منا مكانه {إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} إنا نراك من أهل الفضل والإحسان وأهل المعروف والجميل {قَالَ} قال يوسف عليه السلام {مَعَاذَ اللَّهِ} أعوذ بالله {أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَنَا عِنْدَهُ} أن نأخذ غير الذي سرق ووجدنا صاعنا عنده {إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ} إنا إذا لعتدون وغاصبون وهذا ليس من حكمنا ولا طبعنا ولا شريعتنا {فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ} فلما ينسوا وفشلوا من خلاص بنيامين {خَلَصُوا نَجِيًّا} تشاوروا فيما بينهم في كيفية الخلاص من هذه المشكلة {قَالَ كَبِيرُهُمْ} قال أكبر الإخوة لهم {أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ} ألم تذكروا بأن أباكم أخذ عليكم عهداً بالحفاظ على بنيامين وإرجاعه له سالماً {وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَطْتُمْ} ما عملتم وما ضيعتم {فِي يُوسُفَ} في إلقائه في غيابت الجب وقتلتم أكله الذئب {فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ} فلن أغادر الأرض أي أرض مصر {حَتَّى يَأْذَنَ لِي} حتى يسمح لي {أَبِي} والدي يعقوب عليه السلام {أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي} أو يجعل الله لي فرجاً أو مخرجاً {وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} وهو أفضل الحاكمين المنفذين الحكم علي بالعتو والمغفرة والتوبة {ارْجِعُوا} عودوا {إِلَى آبَائِكُمْ} إلى يعقوب عليه السلام

في فلسطين {فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّا بَنَّاكَ سَرَقًا} فقولوا يا والدنا إن ابنك بنيامين قد سرق صاع الملك {وَمَا شَهِدْنَا} ولم نشهد {إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا} إلا بما شاهدنا بأعيننا ورأينا سرقة {وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ} وما كنا للقدر وعلم الغيب بما يحصل من هذه السرقة {حَافِظِينَ} مانعين وحاجزين ومباعدين {وَسَأَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا} وأسأل المدينة التي كنا فيها وهي مصر أي اسأل أهلها {وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا} والقافلة التي وصلنا معها {وَأَنَا لَصَادِقُونَ} وأنا لصادقون في القول ومشاهدة الواقعة وهي واقعة السرقة ولم نكذب إطلاقاً وهنا تبين صدقهم لأنهم قالوا وأنا لصادقون ولكنهم لما ادّعوا أن يوسف أكله الذئب قالوا (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين).

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٤٧﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفِي عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبِيسْتَ عَيْنَاهُ مِنَ الْحَزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٤٩﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ يَبْنِي أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

{قَالَ} قال يعقوب عليه السلام {بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا} ولأن المصيبة تكررت مع يعقوب عليه السلام فمرة فقد يوسف والأخرى فقد بنيامين فمن تكرر ذلك أخذ بالظاهر وحكم بأنه قد وسوست وحدثتكم أنفسكم سوءاً وشرأ وشيئاً ما عملتموه ببنيامين مثل أخيه يوسف {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} فصبر طيب لا قنوط معه من

رحمة الله {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا} لعل الله بأخذه أبنائي كلهم أن يرجعهم لي جميعاً أي يوسف وبنيامين والثالث أخوهم الكبير الذي أقام بديار مصر واسمه روبيل كما ذكر ابن كثير ج ٢ ص ٤٨٧. ولم يرجع مع القافلة ومع إخوته بعد فقد بنيامين وحبسه في مصر {إِنَّهُ هُوَ} إنه هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْعَلِيمُ} يعلم ويدري ويعرف بكل شيء يقع في ملكه ومحيط وخبير به وبأفعالكم وبأعمالكم {الْحَكِيمُ} ذو حكمة في حكمه وأوامره ونواهيه وفي ملكه ولا يخطئ أبداً {وَتَوَلَّى عَنْهُمْ} وأعرض عنهم وعن كلامهم وما يقولون ويدافعون عن أنفسهم {وَقَالَ} وقال عندها يعقوب عليه السلام {يَتَأَسَفَا عَلَى يُوسُفَ} وقال بحزن وألم يا حسرتي على فراق يوسف لأنه تذكر في هذه اللحظة فقدان ولده يوسف عليه السلام بعد أن فرط الآن في ولده بنيامين {وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ} وعميت عيناه ولم يعد يرى شيئاً {مِنَ الْحُزَنِ} من شدة الحزن والألم والبكاء والفراق {فَهُوَ كَظِيمٌ} فهو حزين متألم ومكروب وكيف لا وقد فقد أعز أبنائه وأحبهم إلى قلبه ثم فقد الثاني بنيامين وفقد معه ابنه الكبير روبيل فهو مكتوم الحزن في قلبه من شدته {قَالُوا تَاللَّهِ} أقسم له أولاده وقالوا تالله {تَفْتُوًا} والله لا تزال مستمراً {تَذَكُرُ يُوسُفَ} تتفكر يوسف الذي مات من مدة طويلة {حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا} حتى تكون مصاباً أو مريضاً {أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ} أو تهلك وتموت {قَالَ} قال يعقوب عليه السلام {إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي} إنما أشكو مصيبتني وهمي {وَحُزْنِي} وشدة حزني وغضبي وألمي {إِلَى اللَّهِ} إلى الله تعالى فهو الذي ينقذني من ذلك {وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ} وأعلم من علم الله تعالى

{ مَا لَا تَعْلَمُونَ } ما لا تخبرون ولا تعرفون بأن يوسف عليه السلام لا يزال حياً وذلك بوحي الرؤيا وهي أنه رأى نفسه على رأس جبل ويوسف في أسفل الجبل فأنت الذئب على يوسف لتأكله فانشقت الأرض وبلعته ولم تستطع أن تأكله الذئب فعلم بذلك نجاة يوسف وأخبرهم عندما أرادوا أخذه وأن يرتع ويلعب معهم قال أخاف أن يأكله الذئب بناءً على تلك الرؤيا ورؤيا الأنبياء والرسل حق وهذا هو علمه من الله تعالى والثاني علمه لأنه رأى قميص يوسف الذي عليه الدم لم يمزق فعلم بسلامة يوسف كذلك والرؤية الثالثة رؤيا يوسف عليه السلام بأنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين وأنها لم تتحقق بعد حيث أن يعقوب عليه السلام متأكد من ذلك لأنه عندما أولها ليوسف قال له: " وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ " ٦ يوسف. وكرر تأكيده بذلك عندما أخبره أبناؤه بأن الذئب قد أكل يوسف فقال لهم: " بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا " ١٨ يوسف. والتأكيد الثالث في قوله: " يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ " ٨٧ يوسف. وهذا هو علم الله له وهم لا يعلمون بهذه الثلاثة علوم التي يعلمها يعقوب عليه السلام { يَبْنِي } يا ابنائي { اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ } اخرجوا واستفسروا من أمر يوسف وأخيه بنيامين وابتحثوا عنهما { وَلَا تَأْيِسُوا } ولا تقنطوا ولا تفقدوا الأمل { مِنْ رَوْحِ اللَّهِ } من كرم الله تعالى ورحمته { إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ } لا يقنط ولا يمل { مِنْ رَوْحِ اللَّهِ } من رحمة الله وكرمه { إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ } إلا الكفار الذين لا يؤمنون برحمة الله أما المؤمنون فلا يقنطون وكما قال تعالى: " إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ " ٥٦ الأعراف.

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّلَةٍ ﴿٨٧﴾ فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ تَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أءَنْتَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يُغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

{ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ } فلما وصلوا مصر ودخلوا على يوسف { قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ } ويطلق على يوسف عليه السلام العزيز لأخذه لقب العزيز الذي رباه وهو وزير الملك قالوا له { مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ } أصابنا وأهلنا الجوع { وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّلَةٍ } أي مجزئة وتكفي ما تطلبه منا من ثمن { فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ } فأكمل لنا البضاعة وحمل بنيامين المحجوز عندك لأنه أصابنا الضر والجوع { وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا } وتصدق علينا بإخراج بنيامين من السجن وأعطه لنا { إِنَّ اللَّهَ تَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ } إن الله تعالى يثيب ويكافئ المتصدقين العافين عن الناس لأن العفو عند المقدرة صدقة { قَالَ } قال يوسف عليه السلام عندها { هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ } هل تتذكروا وتفكروا ما عملتم بيوسف من إلقائه في الجب { وَأَخِيهِ } بنيامين الذي اتهمتموه بالسرقة هو وأخاه بقولكم: " إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ " { إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ } إذ أنتم خاطئون ولا تفهمون وقليلو العلم والدراية والحكمة والروية ولا

إدراك لديكم بل جهل وعمى {قَالُوا} قال إخوة يوسف له {أَيْنَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ} إنك أنت يوسف لأنه لا يعلم القصة غيره {قَالَ أَنَا يُوسُفُ} قال يوسف عليه السلام أنا يوسف أخوكم {وَهَذَا أَخِي} وهذا بنيامين هو أخي {قَدْ مَنَّ اللَّهُ} قد تفضل الله {عَلَيْنَا} أنا وأخي حيث جمعنا {إِنَّهُ مَن يَتَّقِ} إنه من يخف الله وَيَخْشَهُ {وَيَصْبِرْ} أي يجالد على طاعة الله وعبادته وعلى هموم الدنيا ومصائبها {فَارَبَّ اللَّهِ} فإن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَا يُضِيعُ} لا يذهب {أَجْرُ} ثواب {الْمُحْسِنِينَ} المخلصين طاعتهم وعبادتهم لله تعالى {قَالُوا تَاللَّهِ} قالوا والله {لَقَدْ أَثْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا} لقد فضلك الله علينا {وَأِنْ كُنَّا لَخَاطِبِينَ} وإن كنا لمدنبيين معك {قَالَ} قال يوسف عليه السلام {لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ} لا لوم عليكم {الْيَوْمَ} في هذا اليوم الذي التقينا فيه ولم شملنا جميعاً {يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ} سامحكم الله وغفر لكم {وَهُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} خير وأفضل من يرحم من الراحمين في الكون كله {أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا} أعطاهم قميصه وقال ارجعوا إلى أبيكم بثوبي هذا {فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي} فاطرحوه على وجه أبي يعقوب عليه السلام نبي الله ورسوله {يَأْتِ بِصِيرًا} يرجع إليه بصره ويرى من جديد كما كان أولاً صحيحاً. وهنا بنظرة فاحصة لماذا لم يدع يوسف عليه السلام وهو نبي الله ورسوله لأبيه يعقوب برد بصره بل أرسل له قميصه وكذلك لماذا لم يدع نبي الله ورسوله يعقوب عليه السلام برد بصر نفسه ودعاء الأنبياء مستجاب ومن هنا تكون البدائل أن شيئاً من أثره يحل محل الدعاء في رد بصره وهكذا عمل النبي محمد صلى الله عليه

وسلم عندما وضع الجريدة على القبرين الذَّين يعذب صاحباهما في قبريهما وقال هذان يعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة وأمر بجريدة خضراء وقطعها نصفين ووضع على كل قبر منهما جزءاً وقال لا يزال يخفف عنهما ما لم ييبسا وهذا حتى لو مات النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون هناك بديل عن دعائه المستجاب وكانت عائشة رضي الله عنها تغسل ثوب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتعطيه لمن أراد أن يشفى من مرضه أن يغتسل بمائه وهذا فضل ورحمة من الله تعالى في البدائل ولذلك قال الله تعالى: " وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا " ١٨ النحل. {وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ} وأحضروا لي جميع أهلکم وهم جميع الأسرة الأب والإخوة والأمهات يحضروهم إلى مصر عند يوسف عليه السلام ليقیموا عنده.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٤٤﴾﴾ قَالَُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٤٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴿٤٦﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ قَالَُوا يَا أَبَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٤٨﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٥٠﴾ وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٥١﴾﴾

{وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ} ولما خرجت إبل القافلة التي فيها قميص يوسف مع إخوته وانفصلت عن حدود مصر متجهة إلى فلسطين {قَالَ أَبُوهُمْ} قال يعقوب عليه السلام لأبنائه وهم من بقي من إخوة يوسف عنده {إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ} إني أجد الآن وأنا بينكم رائحة ابني يوسف {لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ} لولا أن تكذبون وتسخرون مني وتستهنئون بي لأنه يعلم أنهم لا يصدقون ذلك لأنهم لم يصلوا إلى منزلة نبي الله ورسوله أبيهم يعقوب عليه السلام من الكشف وهنا نوضح شيئاً عن هذه الرائحة علماً بأن يعقوب عليه السلام قد شم رائحة قميص يوسف من مسافة بعيدة تستغرق حوالي سبعة أيام من حدود مدينة مصر وحتى فلسطين بالشام وهذه هي حقيقة يعلم بها كذلك الصالحون بعضهم عن بعض وهي كرامة للأولياء كما هي معجزة للأنبياء والرسل وقد أظهرها الله تعالى على لسان يعقوب وفي القرآن حتى لا يشك بها بعض من لا يعرفها وهذه الرائحة مشهورة عند جميع الأولياء

والصالحين وهي كرامة لمن يداوم على ذكر الله تعالى وعلى التسبيح وهي بشرى للأولياء والصالحين كما قال تعالى: " لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " وهي رائحة جميلة جداً أزكى من رائحة المسك وليس لها رائحة مشابهة في الدنيا حتى لا يلتبس الأمر على الولي أو العارف أو الصالح أو المؤمن ولكن تتفاوت وتختلف هذه الرائحة الصادرة من كل شخص حسب منزلته وورده الذي يداوم عليه وكذلك تختلف قوة هذه الرائحة ومسافتها بحسب منزلة الولي الصالح الذي تأتبه هذه الرائحة فالنبي والرسول بلا شك تكون أبعد في المسافة وفي الزمن كما أن يعقوب عليه السلام لما فصلت العير من مصر وهو في فلسطين ولمدة سبعة أيام وإذا أردنا أن نشبهها بمثل في الدنيا فهي كنظر الإنسان بعضهم يرى على مدى بصره وبعضهم لا يرى إلا بين يديه وبعضهم أعمى لا يبصر ولا يرى وهي كمثل التلغاز أو جهاز المذياع إذا كان سليماً يأتي بمشاهدة أو بسماع المحطة المطلوبة وإذا كان تالفاً أو به خراب لا يأتي بشيء ولذلك قال يعقوب عليه السلام لأبنائه " إِنِّي لِأَجْدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ " أي لولا تكذبون ولا تصدقون للران الذي على قلوبهم قال تعالى: " بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " ١٤ المطففين. والرائحة هي نوع من أنواع الكرامة والفراسة للمؤمن والرجل الصالح وكما أكدها النبي محمد صلى الله عليه وسلم كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا محمد ابن كثير العبدى عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد مرفوعاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله). ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم " إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ". [رواه الترمذي وابن جرير من حديث عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد وقال الترمذي لا نعرفه إلا من هذا الوجه - ابن كثير ج ٢ ص ٥٥٥]. وقال ابن جرير: حدثني أحمد

ابن محمد الطوسي حدثنا الحسن بن محمد حدثنا الفرات بن السائب حدثنا ميمون بن مهران عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتقوا فراسة المؤمن فإن المؤمن ينظر بنور الله) وقال ابن جرير: حدثني أبو شريحيل الحمصي حدثنا سليمان بن سلمة حدثنا المؤمل بن سعيد بن يوسف الرحبي حدثنا أبو المعلى أسد بن وداعة الطائي حدثنا وهب بن منبه عن طاوس بن كيسان عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ويتوفيق الله). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٥٥]. مع ملاحظة أن لكل قادم رائحة زكية غير الآخر حتى يعرف بها وبشدتها ورائحتها على قدر صلاح الرجل وتقواه وتسبيحه حتى يميز بها كل شخص عن غيره ، وأن هذه الرائحة من الجنة ، وكذلك يعرفون بالطعام الذي يأتيهم قبل عدة أيام كما قال تعالى في عيسى عليه السلام: " وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ". مع ملاحظة أيضاً أن الرجل القادم العاصي والمرتكب الفواحش أو الغيبة والنميمة أو الزنا أو من عليه جنابة ولم يغتسل تظهر له وهو قادم رائحة كريهة جداً ولذلك يعرف بهذه الرائحة الصالحون والأولياء وبعض المؤمنين ممن يكشف الله له عن بصيرته ويعطيه بعض الكشف يعرف بها القادم. والسبب في عدم شم يعقوب عليه السلام ريح يوسف في الجب مع قرب مسافته وشم رائحة يوسف من مسافة أبعد وأطول منها من مصر عندما فصلت العير قادمة إلى فلسطين أن يوسف وهو في الجب لم يكن يقبل عليه حتى يشم رائحته بل كان مدبراً عنه والرجل الصالح سواءً النبي والرسول أو الولي والصالح لا يشم إلا رائحة المقبل عليه فهي بشارة له عن القادم أما المدبر فهو ليس له به شأن وعندها لا يجد له رائحة ولا بشارة وأما قميص يوسف فكان مقبلاً وليس مدبراً فهي البشارة للإقبال ولذلك وجد يعقوب عليه السلام ريح يوسف

ورائحته وبشر الحاضرين من إخوته بذلك وممن بقي عنده منهم {قَالُوا} قال من بقي من أبنائه عنده وهم إخوة يوسف {تَاللَّهِ} أي أقسموا بالله {إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ} إنك يا أبانا لفي شططك وتخريفك السابق فيوسف انتهى وأكله الذئب وتكذيبهم هذا كان تظاهراً منهم ليخفوا مكيدتهم مع يوسف {فَلَمَّا أَنْ جَاءَ} فلما حضر {الْبَشِيرِ} الذي يحمل البشارة وهي قميص يوسف وأنه حي يرزق {أَلْقَنَهُ} رماه {عَلَىٰ وَجْهِهِ} على وجه يعقوب عليه السلام {فَأَرْتَدَّ بُصِيرًا} فرجع إليه بصره ونظره يرى ويبصر كما كان أولاً قبل أخذ بصره وعمى عينيه وهنا الضد ونده أي شدة حزن يعقوب أفقده بصره على فراق يوسف عليه السلام وشدة فرحه بسلامة يوسف رد عليه بصره {قَالَ} قال يعقوب عليه السلام {أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ} ألم أتحدث لكم وأخبركم {إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} إني أعلم من الله تعالى علم الكشف وهو شم رائحة يوسف ابنه قبل قدوم القميص عليه بمسافة طويلة وزمن طويل وهي بعد المسافة من مصر عندما فصلت العير إلى فلسطين وهي مسافة طويلة وهذا العلم هو من الله تعالى يعطيه لرسله وأنبيائه وكذلك خاصته من الصالحين والأولياء ولمن يرد الله تعالى بهم خيراً بهذا الكشف وهذه الفراسة هي نوع من البرهان على صحة تقوى وصلاح الرجل الذي يُعطاها وهي كالترموتر للرجل الصالح إذا أذنب أو أخطأ ثم تاب فإذا رجعت إليه يعلم أن الله تعالى بفضله ورحمته قد قبل توبته وتجاوز عن خطئه أو أفتى أو قال شيئاً يظنه خطأ ثم وجد الرائحة أو البرهان الذي يعطيه الله تعالى كما فسرناه آنفاً في رؤية يوسف عليه السلام برهان ربه فإنه عندها يعلم أنه لا يزال على جادة الطريق وعلى الطريق المستقيم ولم تسلب منه هذه الكرامة {قَالُوا} قال إخوة يوسف وهم أبناء

يعقوب عليه السلام {يَتَأَبَانَا} يا والدنا يعقوب {أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا} ادع الله أن يغفر لنا ذنوبنا ومعصيتنا وذنوبهم كثيرة ومنها أنهم ألقوا أخاهم في الجب ثانياً كذبوا على أبيهم بأن يوسف أكله الذئب وجاءوا على قميصه بدم كذب وأخيراً كذبوه في شم ريح يوسف ولم يصدقوه واتهموه بالتخريف والضلال القديم تظاهراً منهم وليس حقيقة كما قال تعالى: " وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا " {إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ} اعترفوا بخطئهم وذنوبهم بقتل يوسف عندما ألقوه في الجب وكذبهم على والدهم يعقوب عليه السلام {قَالَ} قال يعقوب عليه السلام {سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي} سأقوم بالاستغفار لكم فيما بعد بعد أن أرى يوسف حقيقة وأشاهده بعيني وبعدها أستغفر لكم ربي {إِنَّهُ هُوَ} إنه الله تعالى هو {الْغُفُورُ} الذي يغفر الذنوب لمن ندم وتاب {الرَّحِيمُ} الرحيم عليه بالصفح عنه وإدخاله الجنة. وليس كما قيل أنه سيستغفر لهم ويؤخر الاستغفار إلى وقت السحر وهذا مخالف للحقيقة لأن يعقوب عليه السلام نبي ورسول فهل يضمن عمره حتى يأتي وقت السحر علماً أن باب التوبة مفتوح لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها بل يريد يعقوب عليه السلام أن يطمئن أولاً برؤية يوسف عليه السلام ويريد أن يطمئن كجده إبراهيم عليه السلام كما قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام: " أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَ لَكِن لِّيُطْمَئِنَّ قَلْبِي " {فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ} فلما أتى يعقوب عليه السلام وجميع أهل بيته {ءَأْوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ} أخذ والديه والده ووالدته طرفه عنده في قصره {وَقَالَ} وقال يوسف عليه السلام {أَدْخُلُوا مِصْرَ} أي ادخلوا مصر للإقامة الدائمة والعيش فيها {إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ} بمشيئة الله تعالى ستكونون سالمين وآمنين من كل سوء وشر وحتى من القحط والجوع والفقر ولا أحد يصلكم

بسوء {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ} وجعل أبويه والده ووالدته أي والديه في عرش ومملكة مصر وجعلهم بطرفه مكرمين معززين وأكرمهم ورفع شأنهم في عرش مصر ومملكة مصر {وَوَخَّرُوا لَهُ سُجْدًا} وسجدوا له تحية وإجلالاً وإعزازاً لولدهم البار دليلاً على رضاهم عنه وحبهم وطاعتهم له أي اعترفوا له بالطاعة وسجدوا له لأنه أصبح ملكاً على مصر كما قيل في بعض الروايات {وَقَالَ} وقال يوسف عليه السلام {يَتَأْتِي} يا أبي ويا والدي العزيز {هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ} هذا تفسير وتعبير الرؤيا التي رأيتها في صغري وأخبرتك عنها وهي رؤية الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر. والسجود هنا هو الطاعة والانقياد وقيل أنه كان في عصرهم احترام الملوك هو الجلوس والسجود بين يديه {قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا} قد جعل الله تعالى لي الرؤيا يتحقق تفسيرها وهي تتحقق حقيقة وعلى الواقع بقدمكم وسجودكم لي جميعاً {وَقَدْ أَحْسَنَ بِي} وقد أحسن الله إليّ وتفضل عليّ {إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ} بعد أن سجنْتُ ظلماً واتهاماً أخرجني الله تعالى لأكون على خزائن الأرض حتى تأتوا عندي {وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ} وجاء بكم إليّ من بادية الشام من فلسطين {مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ} من بعد أن فرق الشيطان بالعداوة {بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي} الذين ألقوا بي في الجب {إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ} إن ربي لطف بي ورحمني وأنقذني {لِمَا يَشَاءُ} فهو بما يشاء ويريد قادر ويحققه {إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ} العليم بحالي وحالكم وأحوال الخلق والناس أجمعين {الْحَكِيمُ} ذو حكمة في قضائه وأمره وحكمه وحكيم في كل أفعاله.

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ ﴿١٢﴾

{ رَبِّ } قال يوسف عليه السلام مناجياً ربه بقوله ربي وإلهي وخالقي { قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ } قد أعطيتني من ملك مصر حيث أصبح خازن الملك على جميع مخازن ومستودعات وحبوب وأغلال مصر ثم أصبح ملكاً على مصر فيما بعد في بعض الروايات { وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ } وكذلك زدتنى علماً من تعبير الرؤى التي تُرى في المنام { فَاطِرَ } خالق { السَّمَوَاتِ } السموات السبع { وَالْأَرْضِ } والأرضين السبع كلها { أَنْتَ وَلِيِّّ } أنت وليي في جميع أموري ومتولي شأني كله { فِي الدُّنْيَا } في الحياة الدنيا { وَالْآخِرَةِ } يوم القيامة { تَوَفَّنِي } أمتني { مُسْلِمًا } على دين الإسلام لأن جميع الرسل السابقين دينهم الإسلام { وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } واجعلني مع الصالحين الطائعين الطيبين والعابدين والمصلحين أعمالهم وعبادتهم في طاعة الله تعالى وحده لا شريك له.

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

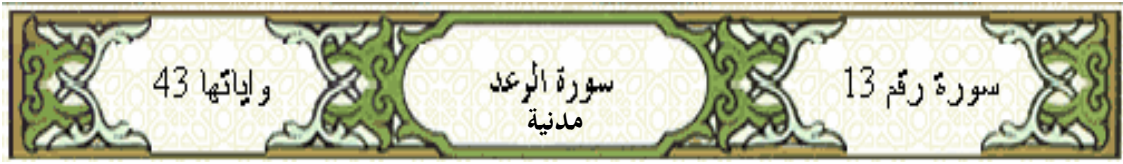
{ذَلِكَ} هذه القصة وهذه الأحداث التي سردناها {مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ} هي من علم الغيب ومن أخبار الغيب {نُوحِيهِ إِلَيْكَ} نخبرك به بآيات من القرآن بواسطة جبريل عليه السلام {وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ} وما كنت معهم يا محمد يا رسول الله {إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ} إذ اجتمعوا واتفقوا فيما بينهم {وَهُمْ} إخوة يوسف عليه السلام {يَمْكُرُونَ} يخفون الشر في صدورهم وفيما بينهم على التخلص من يوسف عليه السلام وإلقائه وطرحه وإيقاعه في الجب {وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ} وليس أغلب الناس {وَلَوْ حَرَصْتَ} ولو اجتهدت يا محمد يا رسول الله في إصلاحهم {بِمُؤْمِنِينَ} فما هم بمؤمنين ولا مصدقين لك ولا برسالتك {وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ} ولا تطلب على رسالتك ونصحك وهداك لهم من أجر {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ} إن هو إلا نصح وإرشاد وذكرى ومنفعة لهم {لِلْعَالَمِينَ} للإنس والجن ولجميع العالم في البر والبحر {وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ} وكم من معجزة وبينة ودلالة {فِي السَّمَوَاتِ} من شمس وقمر ونجوم وأفلاك وأبراج بما فيها المطر والسحاب {وَالْأَرْضِ} وكل ما في الأرض من

آيات الله ومعجزاته من بحار وأنهار وجبال وسهول ووديان وأشجار وإنس وجان ووحوش وحيوانات وطيور وزواحف {يَمُرُونَ عَلَيْهَا} يمشون ويتجاوزون ويذهبون عنها بعد رؤيتها {وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ} وهم عن هذه الآيات يعرضون عنها وعن حكمتها فلا يعتبرون بها ولا يصدقون بها ولا يتعظون بها {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ} ولا يؤمن أغلبهم بالله تعالى {إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} إلا وهم يشركون به الأصنام والأنداد وغيرها {أَفَأَمِنُوا} فهل اطمأنوا وأصبحوا آمنين {أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ} من أن تصيبهم وتنزل عليهم مصيبة ونوع {مِنْ عَذَابِ اللَّهِ} من عقاب الله تعالى {أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ} أو تحل بهم يوم القيامة بالموت {بَغْتَةً} فجأة {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} وهم لا يشعرون بقيامها وهم لاهون عنها {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {هَذِهِ سَبِيلِي} هذه طريقي ومسلكي ودعوتي {أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ} أهدني إلى الله تعالى بالنصح والإرشاد وبيان طريق الحق وطريق الهدى إلى الصراط المستقيم {عَلَىٰ بَصِيرَةٍ} على بينة وعلم ونور وهدى من الله تعالى {أَنَا} أنا محمد رسول الله {وَمَنْ اتَّبَعَنِي} ومن اقتفى أثري واقتدى بي {وَسُبَّحَانَ اللَّهِ} وجل الله وتنزهه عن الشرك والند {وَمَا أَنَا} وما أنا محمد عبد الله ورسوله {مِنَ الْمُشْرِكِينَ} مع المشركين ولست منهم ولن أقتفي أثرهم ولن أقتدي بهم وهم الذين أشركوا بالله غيره وجعلوا معه شركاء من الأصنام والأوثان والأنداد وغير ذلك كاليهود الذين قالوا عزير ابن الله ولا من النصارى الذي قالوا عيسى ابن الله أو هو الله أو هو ثالث ثلاثة.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّى مَنْ نَشَاءُ ۗ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ } وما أرسلنا من قبلك يا محمد يا رسول الله ولا بعثنا { إِلَّا رِجَالًا } إلا رجالاً فقط وليس نساءً حيث أنه لم يرسل امرأة قط ولا أحداً من الملائكة بل رجالاً ذكوراً من بني آدم إلى الإنس والجن { نُوحِيَ إِلَيْهِمْ } نرسل إليهم ونبعث إليهم الكتب السماوية بواسطة جبريل عليه السلام { مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ } من أهل المدن وليس من الأعراب ولا من البدو { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ } أفلا يسيروا ويمشوا في أرض الله { فَيَنْظُرُوا } فيشاهدوا بأعينهم { كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ } كيف كان مصير ونهاية { الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } الذين سبقوهم من الأمم السابقة الذين أماتهم الله تعالى وأهلكهم بالصواعق والزلازل والغرق وغير ذلك { وَلَدَارُ الْآخِرَةِ } وهي الجنة في يوم القيامة { خَيْرٌ } أفضل وأحسن { لِلَّذِينَ اتَّقَوْا } للذين خافوا الله تعالى وأطاعوه في أوامره ونواهيه وعبادته وحده لا شريك له { أَفَلَا تَعْقِلُونَ } أفلا تتعقلون وتفهمون ذلك وتعوه بعقول مفتوحة { حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ } حتى إذا يئس { الرُّسُلُ } رسل الله تعالى وأنبيأؤه الذين بعثهم إلى أقوامهم { وَظَنُّوا } وتأكدوا بما يقرب إلى اليقين { أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا } أنهم لم يُصدِّقوا من قومهم عندها

{جَاءَهُمْ} أتاهم {نَصَرْنَا} نصر الله تعالى لهم وفرجه عليهم بعداب من كذب
 وجدد وأنكر {فَنَجَّيْ مَنْ نَشَاءُ} فينقذ الله تعالى من يريد من هؤلاء الأقوام وهم من
 آمن بالرسل {وَلَا يُرَدُّ} ولا يمنع ولا يبعد ولا يوقف {بِأَسْنَا} عذابنا {عَنِ الْقَوْمِ
 الْمُجْرِمِينَ} عن هؤلاء القوم الذين أجرموا وارتكبوا المعاصي والذنوب والمخالفة
 للرسل والطاغين والباغين والظالمين {لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ} لقد كان في قصص
 السابقين الأوائل بما فيها قصة يوسف عليه السلام وإخوته {عِبْرَةٌ} عظة وبيننة
 وحكمة {لِلأُولَى الْأَلْبَابِ} لأصحاب العقول السليمة والصالحة والتقية والفاهمة
 والعاقلة {مَا كَانَ حَدِيثًا} ما كان كلاماً ولا قصة تسرد {يُفْتَرَى} يُخْتَلَقُ وَيُكْذَبُ
 {وَلَكِنْ تَصَدِيقٌ} ولكن تأكيد وتأييد وعدم تكذيب {الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} الذي
 سبقه من الكتب السماوية التي سبقته {وَتَفْصِيلٌ} وبيان وتوضيح {كُلِّ شَيْءٍ} كل
 كل شيء من الأوامر والنواهي وأمر الدنيا والآخرة {وَهُدًى} وهداية لمن أراد
 الإيمان وصدق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَرَحْمَةً} ورحمة يرحم الله
 بها المؤمنين في الدنيا من الضلال والأمراض والذنوب والمعاصي ويوم القيامة
 يرحمهم بدخول الجنة {لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} لقوم يصدقون ويؤمنون بالله وملائكته
 وكتبه ورسله واليوم الآخر.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَرْ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾

{المر} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وبنفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وبالله التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جعلت في أول سور القرآن الكريم حتى يُعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تكوّن القرآن من هذه الحروف العربية لذكرت في أوائل جميع سور القرآن.

وليست كذلك طلاس لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢، ١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ١، ٢ لقمان. وعليه فإن معنى (المر) هو قوله تعالى: " وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ " ٣٩ مريم. والله أعلم {تِلْكَ آيَاتُ} هذه أي أوائل سور القرآن هي آيات {الكتب} القرآن. وهذا ما يُثبت أن حروف أوائل سور القرآن الكريم والعظيم هي آيات مختصرة لآيات أخرى سابقة أو لاحقة لقوله تعالى عنها " تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ " والله أعلم {وَالَّذِي أَنْزَلَ} من القرآن ومن آيات الله {إِلَيْكَ} يا محمد {مِنْ رَبِّكَ} من الله تعالى {الْحَقُّ} هو الحق والصدق والصحيح {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ} ولكن أغلب الناس والأكثرية منهم {لَا يُؤْمِنُونَ} لا يصدقون بالقرآن الكريم لجهلهم وتكذيبهم وعنادهم وكفرهم وجحودهم.

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ
 الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ
 رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿١٤﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ
 الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
 يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَبِّرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ
 وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي
 ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾

{الله} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ} هو
 وحده الذي رفع السموات وأعلاها عن الأرض {بِغَيْرِ عَمَدٍ} بدون أعمدة ترفعها
 وتسندها {تَرَوْنَهَا} تشاهدونها بأعينكم {ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ} وهنا الاستواء
 ليس الجلوس بل معنى الاستواء هو أنه بدأ بتدبير شؤون كونه بتدبير الأمر من
 خلق وحياة وموت ورزق وغير ذلك وكما قال تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي
 الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"
 ٢٩ البقرة. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: (من زعم أن الله تعالى في شيء أو
 من شيء أو على شيء فقد أشرك به إذ لو كان على شيء لكان محمولاً ولو كان من
 شيء لكان محدثاً ولو كان في شيء لكان محصوراً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً).
 [نزهة المجالس ص ٨]. وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا حماد ابن
 سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عابس عن عمه ابن رزين واسمه لقيط ابن
 عامر بن المنفق العقيلي قال قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟
 قال: (كان في عماء ما تحته هواء وما فوّه هواء ثم خلق العرش بعد ذلك). [وقد

رواه الترمذي في التفسير وابن ماجه في السنن من حديث يزيد بن هارون به وقال الترمذي: هذا حديث حسن - ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٧]. (ومعنى الاستواء) أنه منزله عن فوق يرفعه وعن تحت ينزله وعن عرش يحمله وعن سماء تكتنفه وعن غمام يظله وعن جهة تحده وعن مكان يقله كما قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه لما سئل عن قوله تعالى " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى " قال: من حصر الله تعالى في الجهة الفوقية أو التحتية فقد كفر. [نزهة المجالس ص ٧]. ومعنى " اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ " أي بدأ في المرحلة الثانية بخلق السماء بعد الأرض ، وأما قوله " اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ " فالاستواء هو البدء في تدبير الأمر في المرحلة الثالثة وهي أن يدبر الأمر لملكه السموات والأرض وما تحت العرش من موت وحياة وخلق ورزق وغير ذلك وبالحكم والقدرة وينفذ حكمه وأمره وقدرته وقضائه في خلقه وكونه. وهنا نوضح أن العرش هو حقيقي بنص القرآن الكريم كما قال تعالى: " الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ " ٧ غافر. وقال تعالى: " وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ " ١٧ الحاقة. وفي الحديث: (ما السموات السبع والأرضون السبع وما بينهن وما فيهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وإن الكرسي بما فيه بالنسبة إلى العرش كتلك الحلقة في تلك الفلاة). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٣]. (والاستواء) على العرش كما أوضحنا هي حُكْمُهُ وَقُدْرَتُهُ وَإِرَادَتُهُ وتدبيره كما قال تعالى: " ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ " ٣ يونس. {وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ} وجعل لنا الله تعالى الشمس مسخرة ومذللة وتضيء النهار للسعي على العيش والقمر يضيء لنا ظلام الليل {كُلُّ نَجْمٍ يَجْرِي} كل من الشمس والقمر يجري في دورانه وفي فلكه

{لِأَجَلٍ مُّسَمًّى} أي لوقت معلوم وهو وقت يوم القيامة {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ} يدبر الله تعالى شؤون كونه في السموات والأرض ولا أحد يستطيع ذلك غيره من حياة وموت ورزق وغير ذلك {يُفَصِّلُ} يوضح ويبين {الْآيَاتِ} الحجج والبراهين والبيانات والدلالات والمعجزات {لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ} لعلكم أيها الناس بلقاء الله تعالى للحساب والعقاب والثواب والجزاء يوم القيامة {تُوقِنُونَ} تصدقون {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ} الذي فرش الأرض وبسطها ومدّها وكبرها {وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ} وجعل في الأرض الجبال رواسي وتثبيتاً للأرض حتى لا تميد ولا تتحرك وحتى تثبت {وَأَنْهَارًا} وجعل في الأرض أنهاراً ليشرب الناس ويغتسلوا ويسقوا حقولهم ومزارعهم وأشجارهم وحيواناتهم {وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ} وجعل في الأرض من جميع الثمرات والفواكه ليأكل الناس {جَعَلَ فِيهَا رِجَالًا مِّنْ نَّسْتِ} أي جعل في الأرض من كل نوع وصنف زوجين اثنين ذكراً وأنثى {يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ} يُتْبَعُ اللَّيْلَ بِالنَّهَارِ يزيله وبضوئه يُذْهِبُ ظُلْمَهُ فَهُوَ يَعْقِبُهُ بِنُورِهِ {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في كل ذلك {لَآيَاتٍ} لحجج وبراهين ودلائل ومعجزات {لِّقَوْمٍ} لكل قوم {يَتَفَكَّرُونَ} يتعظون ويتذكرون قدرة الله تعالى وأنعامه عليهم {وَفِي الْأَرْضِ} وهناك في قطع من الأرض ومناطق من الأرض فيها {قِطْعٌ مُّتَجَبِّرَاتٌ} قطع من الأرض بجوار بعضها مزروعة {وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ} وبساتين كثيرة بها أعناب {وَزُرْعٌ} وزرع مختلف من الحبوب {وَنَخِيلٌ} وأشجار نخيل {صِنَوَانٌ} متشابهة في النوع والجنس {وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ} وغير متشابهة الأصل والجنس والنوع {يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ} هذه الأعناب والزرع

والنخيل والجنات تسقى بنفس الماء سواء ماء البئر أو العين أو النهر أو المطر
 {وَتُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ} ونختار بعضها على بعض ونفضله {فِي الْأَكْلِ}
 عند الأكل يختلف طعمه وذوقه وحلاوته علماً بأن الأرض والماء واحد ولكن نفضل
 بعضها على بعض في الجودة والحسن والأكل والذوق والطعم والرائحة {إِنَّ فِي
 ذَلِكَ} إن في ذلك الاختلاف والتفضيل {الآيَاتِ} لدلائل وبراهين وحجج
 ومعجزات {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} لقوم يعون ذلك بعقول مفتوحة وفهم وإدراك
 ويتعظون من ذلك وبذلك.

﴿ وَإِن تَعَجَبَ فَعَجِبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۗ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۗ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
 ﴿٦٠﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ
 لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦١﴾ ﴾

{وَإِن تَعَجَبَ} وإن تعجب يا محمد يا رسول الله من هذه القدرة قدرة الله تعالى
 بهذه الحكمة والمعجزات وتستغرب ذلك على هذه القدرة العظيمة على تفضيل الثمار
 بعضها على بعض من نفس النوع ومن نفس الصنف وفي نفس المكان في الأكل
 {فَعَجَبٌ} فغريب {قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا} قول الكفار كيف يكون عندما نموت ونكون
 {تُرَابًا} يتحلل جسمنا ولحمنا ويصبح مثل التراب لا فائدة منه {أَعْنَا لَفِي خَلْقٍ
 جَدِيدٍ} فهل نحن سنحيا من جديد {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ} هؤلاء الذين
 يقولون ذلك بعدم الحياة والبعث بعد الموت هم من كفر بالله تعالى وبقدرته
 {وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ} وأولئك جزاؤهم أن توضع الأغلال والسلاسل في

رقابهم عذاباً لهم وتجرهم الملائكة وتسحبهم بها { وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ } وهؤلاء هم أهل النار وهم من يدخلها يوم القيامة وهم من سكانها { هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } هم الكفار في جهنم خالدون ودائمون يوم القيامة { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ } ويطلبون منك يا محمد العذاب أن ينزل بهم على كفرهم وعنادهم وجحودهم وإنكارهم { قَبْلَ أَحْسَنَةِ } قبل المغفرة والتوبة عناداً وكفراً { وَقَدْ حَلَّتْ } وقد سبقت ومرت { مِنْ قَبْلِهِمْ } أي قبلهم { الْمَثَلْتُ } الأمثال والأمثلة من الأمم السابقة ممن كفر وأهلكه الله تعالى { وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ } وإن ربك الله يا محمد ذو مغفرة وعفو ورحمة للناس { عَلَى ظُلْمِهِمْ } على طغيانهم وكفرهم وبغيهم وعنادهم وجحودهم حتى يتوبوا ويرجعوا عن غيهم وكفرهم وعنادهم بعد ظلمهم أنفسهم بالكفر والمعاصي والشرك { وَإِنَّ رَبَّكَ } وإن ربك الله يا محمد { لَشَدِيدٌ } لقاسي { الْعِقَابِ } العذاب.

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۗ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ ۗ مِّن أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۗ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

{ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا } ويقول الكفار الذين جحدوا وأنكروا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم { لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ } أفلا أنزل عليه { آيَةٌ } معجزة { مِّن رَّبِّهِ } من ربه الله تعالى حتى نؤمن بها ونصدقها كما جاء الرسل السابقون بالمعجزات { إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ } إن عملك هو أن تنذرهم وتحذرهم وليس عملك أن تأتي لهم بالمعجزات علماً بأنهم لم يصدقوا المعجزات السابقة { وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ } ولكل قوم من الأقسام رسول يهديهم ويرشدهم لعبادة الله تعالى وطاعته { اللَّهُ } الله تعالى رب الكون ورب العالم وخالقهم ومحييهم ومميتهم ورازقهم سبحانه وتعالى { يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ } يعلم بما تحمل كل أنثى من النساء أو الحيوانات أو الطيور وغيرها هل تحمل ذكراً أم أنثى سيعيش أم يموت شقي أم سعيد { وَمَا تَغِيضُ } وما تسقط بالإجهاض أو غير ذلك { الْأَرْحَامُ } أرحام النساء الخاصة بالحمل والولادة { وَمَا تَزْدَادُ } وما تزداد من حمل مرة بعد أخرى أي كثرة الأولاد { وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ } وكل شيء عند الله تعالى { بِمِقْدَارٍ } بقدر معين لا يزيد ولا ينقص كما هو

في اللوح المحفوظ {عَلِمُ الْغَيْبِ} والله تعالى هو الذي يعلم الغيب كله في السموات والأرض والغيب هو كل ما غاب عن الناس من علم الله تعالى ومن كونه في الدنيا وفي الآخرة {وَالشَّهَادَةِ} ويعلم كذلك كل ما في هذا العالم المنظور والمعلوم والمشاهد بالعين {الْكَبِيرِ} الذي ليس شيء أكبر منه {الْمُتَعَالِ} المرفَّع والمترفع عن الشريك والند {سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ} والله تعالى يعلم من أسر وأخفى قوله {وَمَنْ جَهَرَ بِهِ} ومن أعلنه وأظهره والله يعلم ذلك كله {وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأَلِيلٍ} ومن هو متخفي في ظلمة الليل حتى لا يراه أحد في ظلمة الليل وهو يريد تنفيذ جريمته أو ذنبه أو معصيته {وَسَارِبٌ} وسائر أو مسافر {بِالنَّهَارِ} أي في ضوء الشمس وفي وضوح النهار فالله تعالى يعلم كل ذلك {لَهُ} لله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {مُعَقَّبَتٌ} ملائكة حفظة يتعقبونه ويسيرون معه {مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ} يسيرون أمامه {وَمِنْ خَلْفِهِ} ومن ورائه {مُحَفِّظُونَهُ} يحرسونه {مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} مبعوثون ومرسلون من أمر أمره الله تعالى لهم أي يحفظونه بأمر الله تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ} إن الله تعالى لا يغير ولا يبدل ما بقوم من نعمة إلى نقمة ولا من نقمة إلى نعمة {حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} حتى يغيروا أنفسهم إن كان بأنفسهم شر غير الله تعالى النعمة إلى زوال وإن كان بأنفسهم خير غير الله وبدل ما بهم من شر إلى خير ونعمة ورغد من العيش {وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا} وإذا أراد الله تعالى بقوم من الأقوام شراً وسوءاً وهو أي نوع من الشر والعذاب سواء القحط والفقر والمرض والزلازل والصواعق والموت والهلاك والهزيمة والأسر في الحرب وغير ذلك {فَلَا مَرَدَّ لَهُ} فلا مانع له ولا راد لحكمه وأمره وقضائه فلا أحد يستطيع

رفع أو منع ذلك عنهم إلا هو { وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ } وليس لهم غيره { مِن وَالٍ }

من يتولاهم ويرعاهم ويحفظهم ويمنعهم ويحميهم غير الله تعالى.

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ١٣ ﴾ وَيُسَبِّحُ

الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ

مُجْتَدِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ١٤ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن

دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ

بِالْبَلْغِ ١٥ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰٓلٍ ١٦ ﴾

{ هُوَ } هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ }

الذي يجعلكم ترون البرق يخرج من السحاب في فصل الشتاء { خَوْفًا } خوفاً من

الصواعق وخوفاً من صوت الرعد الذي ينشأ عنه البرق بتفريغ الشحنات السالبة

والموجبة وخوفاً من الغرق من كثرة نزول الأمطار كقوم نوح عليه السلام { وَطَمَعًا }

في نزول المطر وفي خصب الأرض من الزروع والثمار والحبوب والفواكه والخضروات

ويعم الرخاء ورغد العيش { وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ } ويخلق ويكون الله تعالى

السحاب والغيم المليء والمحمل بالمطر ليسقي الأرض والزرع وتخصب الزروع

والثمار والأشجار والفواكه والنباتات ويأكل منها الإنسان والحيوان والطيور بأن

يرسل الله الرياح فتحمل ذرات بخار الماء ويتجمع بعضه على بعض في طبقات فوق

الأرض وتحت السماء في مكان معين ومسار معين وعندما تتجمع هذه قطرات

البخار بعضها على بعض بالغيم الذي نراه وعندما تصل درجة الجو إلى درجة

معينة من الحرارة تتجمع وتتكثف قطرات الماء بعضها على بعض فتنزل على هيئة

المطر { وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ } ويسبح الرعد بحمد الله تعالى وينزهه فكما يسبح

كل شيء الله تعالى فالرعد كذلك يسبح بحمد الله تعالى وكما قال تعالى: " تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا " ٤٤ الإسراء. ولما سأل اليهود النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: أخبرنا ما هذا الرعد قال: (ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيده أو في يده مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمره الله عز وجل) قالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع؟ قال: (صوته). [نزهة المجالس ج ١ ص ١٦]. وهذا الحديث يفسر أن الذي يُسَيَّرُ الغمام والسحاب هو ملك موكل بالسحاب يسوقه بأمر الله تعالى لينزل في مكان معين وفي يد الملك مخراق من نار يزجر به السحاب أي يسوقه إلى حيث يشاء الله تعالى ولما سأل اليهود النبي صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا الصوت أي صوت الرعد قال صلى الله عليه وسلم: (صوته) أي صوت تصادم غيمتان أو سحابتان إحداهما سالبة الشحنة والأخرى موجبة الشحنة فيحصل بينهما الاحتكاك فيخرج من تلك العملية البرق الذي نراه ويسمع صوت الرعد بعد ذلك وهو اصطدام سحابتين مع بعضهما البعض أحدهما شحنة سالبة والثانية شحنة موجبة ويحصل هذا التفريغ الكهربائي الهائل ولذلك لا تعارض بين الحديث ولا بين العلم الحديث لأن البعض ظن أن ذلك الصوت هو صوت الملك وليس المقصود ذلك وهذا هو سبب عدم الفهم لهذا الحديث {وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ} ويسبح الملائكة بحمده وهم في حالة الخوف من الله تعالى ومن عظمته وجلاله {وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ} ويرسل الله تعالى على من يشاء الصواعق التي تصعق وتحرق من تصيبه {فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ} فيرسلها الله تعالى على من يريد أن تصيبه تلك الصواعق من الكفار {وَهُمْ مُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ} والكفار يجادلون بأن الله له شريك وليس واحداً فرداً صمداً {وَهُوَ} الله تعالى جل

جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {شَدِيدٌ} قاسي وقوي {الْمِحَالِ} الأخذ والهلاك والدمار والعقاب على تخرصهم وكذبهم {لَهُمْ} لله تعالى {دَعْوَةُ الْحَقِّ} دعوة إلى الدين الإسلامي وهو الحق والصدق والعدل بعبادة الله تعالى {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ} والذين يطلبون المساعدة من غيره من الأصنام والأوثان والأنداد الذين يشركونهم مع الله تعالى {لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ} لا يلبون لهم طلباً ولا يستطيعون لهم منفعة ولا ضراً {إِلَّا كَبَسِطَ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ} إلا كرافع كفي يديه إلى المطر عند نزوله من السماء {لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ} ليصل الماء إلى فمه حتى يشرب وهو ظمآن ولكنه لم يستطع أن يمسك ويجمع ماء المطر في يديه لأنه لا يثبت في يديه لشدة نزوله وارتداده بسرعة إلى أعلى فلا يبقى ولا يمكث شيء من ماء المطر وهذا مثل الذي يرفع يديه ويطلب من الأصنام والأوثان الاستجابة له والطلب منها لمساعدته {وَمَا دُعَاءُ} وما طلب الاستعانة {الْكٰفِرِينَ} الكفار الذين ينكرون ويجحدون رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم {إِلَّا فِي ضَلٰلٍ} إلا في بعد عن الحق وفي غي وفي ظلام وفي توهان وعمى.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَلُهُمْ بِالْغُدُوِّ

وَالْأَصَالِ ﴿٤٦٩﴾

{وَلِلَّهِ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَسْجُدُ} يصلي له ويركع ويسجد كل {مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} يسجد له وحده كل من في السموات السبع من الملائكة وكل من في الأرض {طَوْعًا} طاعة وعبادة وهم الملائكة {وَكْرَهًا} وهو الإنسان (طوعاً) طاعة لأوامره وطلباً في جنته (وكرهاً) خوفاً من عذابه ومن ناره وهم المسلمون أما الكفار فلا يسجدون ولذلك سيعذبون يوم القيامة ويخلدون في نار جهنم {وَوَظِلُّنَّهُمْ} وكذلك ظلهم يسجد لله تعالى لأنه من ملك الله تعالى {بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴿٤٦٩﴾} صباحاً ومساءً فالغدو هو الصباح من طلوع الشمس إلى الظهر حتى آخره والأصال من صلاة العصر إلى المغرب. كذلك يسجد هذا الظل له تعالى ويُرى ذلك في بعض الحالات عندما يصلي الإنسان تحت الشمس فيرى ظله يتحرك معه في ركوعه وسجوده وكذلك يسجد حقيقة كما أن النجم والشجر يسجدان كذلك بظلهم كما قال تعالى: " وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ " ٦ الرحمن. والسجود يعلمه الله تعالى كما أنه يسبح له كل شيء ولكن لا نفقه تسبيحه وكما قال تعالى: " وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَّا تُفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا " ٤٤ الإسراء. وسجود الظل كذلك لا نعلم كيفيته والله تعالى هو الذي يعلمه.

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَهَ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٣﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أوديةً بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعِ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٤﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسَنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ هُمْ سُوءَ الْحِسَابِ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٥﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للكفار {مَنْ رَبُّ} من خالق {السَّمَوَاتِ} السموات السبع {وَالْأَرْضِ} والأرض كلها وما فيها {قُلِ} قل لهم يا رسول الله {اللَّهُ} هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {أَفَاتَّخَذْتُمْ} هل اتخذتم {مِنْ دُونِهِ} غير الله تعالى {أَوْلِيَاءَ} أنصار من الأصنام {لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا} وهذه الأصنام والأوثان من الجمادات فهم لا يستطيعون لأنفسهم منفعة ولا ضراً لأنهم جمادات لا تتحرك {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {هَلْ يَسْتَوِي} هل يتعادل {الْأَعْمَى} الذي لا يبصر ولا يهتدي إلى طريق {وَالْبَصِيرُ} والذي يرى ويبصر الطريق وكل شيء فلا يستوي مع الأعمى {أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ} وهل تستوي وتتعدل الظلمات وهي

ظلمة الليل وعمته {وَالنُّورُ} والنور وضياؤه فلا يستوي مع الظلمة {أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ} أم جعلوا لله شركاء له في الملك من الأصنام والأوثان والأنداد {خَلَقُوا كَخَلْقِهِ} فهل خلقوا هؤلاء الآلهة والأصنام والأوثان شيئاً من الخلق كما خلق {فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ} فاشتبه عليهم الخلق أي أنهم ظنوا بأن هؤلاء الخلق هم خلق الأصنام والأوثان والأنداد ولذلك لم يميزوا بين خلق الله وبين هؤلاء الأصنام {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو خالق كل شيء ولم يخلق أحد غيره شيئاً من المخلوقات {وَهُوَ الْوَاحِدُ} وهو الواحد الوحيد الأحد الذي يخلق وحده الكون كله وما فيه {الْقَهْرُ} فهو الذي يقهر الكون كله وما فيه من إنس وجن وملائكة يقهرهم بالموت ومن لم يمت الآن يمت يوم القيامة بما فيهم الملائكة {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} الله تعالى وحده أنزل المطر من السماء من السحاب {فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا} فسالت هذه الأودية ملؤها بماء المطر {فَأَحْتَمَلَ السَّيْلُ} فحمل معه الوادي وهو سيل المطر {زَبَدًا} أي رغوة طافية على وجه الماء الذي يسيل بسرعة وبشدة ولذلك يظهر له وفوقه زبدًا وهي الرغوة كـرغوة الصابون {رَابِيًا} أي كثيراً {وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ} ومما يوقدون من الحطب والخشب والعيدان وغيرها مما يحمله ماء الوادي {أَبْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ} وهذا الحطب اليابس الذي يوقدونه الناس على الذهب والفضة حتى يجعلها خالصة من الشوائب أو حتى يصنعها على أي شكل أو طريقة ليتخذونها حلية كالأساور والخواتم والعقود المختلفة {أَوْ مَتَعٍ} وهو يوقد هذا الحطب للطهي كذلك أو لصناعة الأمتعة من السلاح والآلات والأدوات الأخرى

{زَبْدٌ مِّثْلُهُ} ويخرج عندما يوقد على أنواع الحلي والحديد زبد مثل زبد الماء وهو الصدا والخبث وهو عندما يصهر الذهب والفضة والحديد ويصبح هذا الصلب سائلاً وعندها يكون له زبد وخبث {كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ} وهكذا يضرب الله تعالى مثل الحق وهو الحلية التي يستفاد منها عندما يوقد تحتها النار {وَالْبَطِلَ} الخطأ وهو الزبد والخبث الذي يخرج منه {فَأَمَّا الزَّبَدُ} فأما رغوة الماء {فَيَذْهَبُ جُفَاءً} فيجف وينشف ويصبح هباءً لا وجود له {وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ} وأما الذي تحت الرغوة من الماء أو حلية الذهب والحديد عند صهرهما وهما ما ينفعان الناس {فَيَمَكُثُ} فيبقى بمنفعته {فِي الْأَرْضِ} فالماء يبقى في الأرض ينفع الزرع بعكس الزبد الذي يجف ويذهب هباءً {كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} وهكذا يضرب الله هذه الأمثال حتى تفهموا ذلك وتعقلوه وتتعضوا به {لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا} للذين لبوا {لِرَبِّهِمْ} أطاعوا الله تعالى بالعبادة له وحده {الْحُسْنَى} لهم الجنة والخير يوم القيامة {وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ} والذين لم يطيعونه ولم يعبدونه {لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} لو أن لهم ملك كل شيء في الأرض {وَمِثْلَهُ مَعَهُ} ومثل ما في الأرض أي لهم مضاعف ما في الأرض {لَافْتَدَوْا بِهِ} لجعلوه فداءً لهم يوم القيامة حتى لا يعذبوا {أُولَئِكَ هُمْ سُوءٌ} لهم شدة {الْحِسَابِ} العذاب والعقاب {وَمَا أُولَئِكَ مِنْهُمْ جَهَنَّمُ} ومصيرهم يوم القيامة إلى جهنم ونارها وعذابها {وَبِئْسَ الْمِهَادُ} وقبح المصير والمآل والمرجع والنهاية والقرار.

﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ ﴿١٤﴾ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ هُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿١٥﴾ جَنَّتْ عَدْنٌ يَدَّ خُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدَّ خُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿١٦﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿١٧﴾ ﴾

{ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ } فهل من يعلم بأن الذي أنزل إليك وهو القرآن الكريم { مِنْ رَبِّكَ } من عند ربك وخالقك الله تعالى { الْحَقُّ } هو حق وصدق ولا كذب فيه ولا ريب فيه { كَمَنْ هُوَ أَعْمَى } مثل الأعمى الذي لا يبصر وهو الذي لا يصدق بنزول القرآن من الله تعالى إلى رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو أعمى عن الحق والهدى والرشاد وليس أعمى العينين بل أعمى البصيرة لعدم تصديقه وإنكاره وجحوده بالقرآن الكريم { إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ } إنما يتعظ { أُولُو الْأَلْبَابِ } أصحاب الإدراك السليم والعقل السليم { الَّذِينَ يُوفُونَ } الذين يُتمون وينفذون { بِعَهْدِ اللَّهِ } بالميثاق والعهد الذي أخذوه على أنفسهم { وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ } ولا يهدرون وينقضون العهد والقسم الذي أخذوه على أنفسهم { وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ } والذين يتواصلون بالأرحام وهو ما أمرهم الله تعالى به أن يصلوا أرحامهم { وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ } ويخجلون ويخافون الله تعالى فلا ينتهكون محارمه ولا حدوده { وَيَخَافُونَ } ويخشون { سُوءَ } شدة { الْحِسَابِ } العقاب والعذاب يوم

القيامة {وَالَّذِينَ صَبَرُوا} والذين تجالدوا على طاعة الله وصبروا عن معصيته {أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ} طلباً لرضاء الله تعالى عليهم وطاعة له {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} وصلوا جميع الصلوات الخمس في أوقاتها الخمس {وَأَنْفَقُوا} وتصدقوا {مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ} مما رزقهم الله وأعطاهم المال {سِرًّا} خفية {وَعَلَانِيَةً} وجهراً {وَيَذَرُونَ} ويدفون {بِالْحَسَنَةِ} بعمل الحسنة من أعمال الخير من النوافل من صوم وزكاة وصدقة وصلاة {السَّيِّئَةِ} وهي الذنب والمعصية يمحوها بالحسنات من الصدقات والصوم والصلاة والاستغفار والتسبيح وبأي عمل من أعمال الخير كما قال تعالى: " إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ " ١١٤ هود. {أُولَئِكَ} هؤلاء الذين يتصفون بهذه الأعمال الحسنة والخيرة {هُمَّ عُقْبَى الدَّارِ} لهم يوم القيامة عاقبة دار الدنيا وهي الجنة يوم القيامة {جَنَّاتٍ عِدْنٍ يَدْخُلُونَهَا} يدخلون يوم القيامة جنات عدن والجنات هنا جمع جنة أي أن لكل رجل في عدن جنة لوحده ولذلك سميت جنات لكثرتها وكثرة من يدخلها {وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ} ويدخل معهم كذلك كل الآباء الصالحون المؤمنون الذين صلحت أعمالهم في طاعة الله تعالى وعبادته وحده {وَأَزْوَاجِهِمْ} وكذلك تدخل الجنة من صلح من أزواجهم ممن عبدت الله تعالى وحده وصدقت برسوله {وَذُرِّيَّتِهِمْ} وكذلك أبناؤهم وأحفادهم {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ} يزورونهم في الجنة ويدخلون عليهم {مِنْ كُلِّ بَابٍ} من أبواب غرفهم في الجنة ليحيونهم ويهنئونهم بدخول الجنة {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} ويقولون لهم سلام عليكم وهي تحية الإسلام وتحية أهل الجنة وتحية الملائكة لهم

{بِمَا صَبَرْتُمْ} بسبب صبركم على طاعة الله تعالى وعدم معصيته {فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ} فحسن عاقبة ونهاية دار الدنيا بدخول دار الآخرة وهي الجنة يوم القيامة. ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿١٦﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿١٧﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿١٨﴾﴾

{وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ} والذين يلغون وينتهكون ويخربون ويحرقون ويفسدون {عَهْدَ اللَّهِ} وهو الميثاق والعهد والقسم الذي أخذوه على أنفسهم وهم المنافقون والكفار {مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ} من بعد أخذه عليهم وتأكيده عليهم وارتباطهم وتشديدهم عليه {وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ} ويقطعون أرحامهم التي أمرهم الله تعالى بوصالها وهم الوالدين والأخوات والعمات والخالات {وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ} ينتهكون محارم الله تعالى ويتعدون حدوده {أُولَئِكَ} هؤلاء من هذه صفتهم {لَهُمُ اللَّعْنَةُ} لهم غضب الله ويلعنهم الناس {وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} ولهم عذاب جهنم يوم القيامة {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه إله الكون وخالقه {يَبْسُطُ الرِّزْقَ} يعطي ويمنح الرزق {لِمَنْ يَشَاءُ} لمن يريد من عباده {وَيَقْدِرُ} ويمنح ويقلل ويضيق على من يشاء {وَفَرِحُوا} وسروا وتمتعوا وتنعموا {بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا} بالمعيشة في الدنيا {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ} وما الحياة الدنيا بالنسبة إلى يوم القيامة {إِلَّا مَتَاعٌ} إلا متعة قليلة لأن عمر الدنيا قليل وعمر الآخرة

طويل ودائم {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا} ويقول الكفار {لَوْلَا} أفلا {أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ} لو أنزل عليه معجزة {مِّن رَّبِّهِ} من عند ربه الله تعالى حتى نصدقها ونؤمن بها {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى {يُضِلُّ مَن يَشَاءُ} يبعده عن الحق بسبب معصيته وإنكاره وجحوده وعدم تصديقه بالقرآن {وَيَهْدِي إِلَيْهِ} ويرشد إليه أي إلى القرآن الكريم يصدقه ويؤمن به ويهتدي به {مَن أَنَابَ} من تاب وندم ورجع إلى عبادة الله تعالى وطاعته.

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْر الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾

{الَّذِينَ ءَامَنُوا} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يهدي إلى طاعته وعبادته من أناب ورجع إليه وهم الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَتَطْمَئِنُّ} تأمن وترتاح وتهدا {قُلُوبُهُمْ} أنفسهم {بِذِكْرِ اللَّهِ} بمداومة ترديد أي اسم من أسماء الله تعالى وتسبيحه والذكر يطلق أيضاً على قراءة القرآن والاستغفار {أَلَا} أليس {بِذِكْرِ اللَّهِ} بتلاوة وترديد أسماء الله الحسنى في جميع الأحوال {تَطْمَئِنُّ} ترتاح وتأمن وتهدا {الْقُلُوبُ} الأنفس وذلك الاطمئنان لسببين أحدهما روعي ونفسي والثاني مادي أما الروحي أو النفسي فاطمئنان ينزله الله تعالى على قلب ونفس الرجل المؤمن فيرتاح ويطمئن بأن الله تعالى قد رضي عنه بذكره وأما الثاني وهو المادي فإن الرجل والذاكر عندما يذكر الله تعالى ينشغل عن همومه وأحزانه وبذلك ينسى همومه وأحزانه وخاصة إذا تمعن أو استغرق في الذكر {الَّذِينَ ءَامَنُوا} المؤمنون الذين آمنوا وصدقوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

{وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا من الأعمال الصالحات في طاعة الله تعالى وعبادته وأعمال الخير من الصدقات والصوم والصلاة والزكاة {طُوبَىٰ لَهُمْ} جائزة لهم ومكافأة لهم وخير لهم ، وطوبى شجرة في الجنة كما دلت عليه الأحاديث. روى البخاري ومسلم جميعاً عن إسحاق بن راهويه عن مغيرة المخزومي عن وهيب عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها). [ابن كثير ج ٢ ص ٥١٢]. وقال الإمام أحمد: حدثنا شريح حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عبد الرحمن ابن أبي عمرة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرأوا إن شئتم " وظل ممدود "). [أخرجاه في الصحيحين - ابن كثير ج ٢ ص ٥١٣]. وقال الإمام أبو جعفر ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن أشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (طوبى شجرة في الجنة يقول الله لها تفتقي لعبدي عما شاء فتفتق له عن الخيل بسروجها ولحمها وعن الإبل بأزمتها وعما شاء من الكسوة). [ابن كثير ج ٢ ص ٥١٣]. وقال إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام الأسود قال سمعت أبا أمامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى فتفتح له أكمامها فيأخذ من أي ذلك شاء إن شاء أبيض وإن شاء أحمر وإن شاء أصفر وإن شاء أسود مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن). [ابن كثير ج ٢ ص ٥١٣]. {وَحُسْنُ} وخير {مَغَابٍ} مرجع وهي دخول الجنة يوم القيامة.

﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِعٌ ﴿١٣﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِ الْبَشَرِ الْأَمْنُونَ أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿١٥﴾ ﴾

{ كَذَلِكَ } وهكذا { أَرْسَلْنَاكَ } جعلناك رسولاً وبعثناك هادياً { فِي أُمَّةٍ } في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهي آخرة الأمم { قَدْ خَلَتْ } قد سبقت ومرت { مِنْ قَبْلِهَا } من قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم { أُمَمٌ } أقوام سابقة سبقت ومرت واندثرت { لِيَتْلُوا } لتقرأ { عَلَيْهِمُ } على أمة المسلمين أمتك يا محمد يا رسول الله { الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ } الذي أرسلناه بواسطة الوحي جبريل وأنزلناه إليك من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ليلة القدر مرة واحدة ثم أنزلناه إليك متفرقاً حسب الأحداث والوقائع وهو القرآن الكريم { وَهُمْ } الكفار والمشركون { يَكْفُرُونَ } ينكرون ويجحدون ولا يصدقون { بِالرَّحْمَنِ } بالله تعالى الذي يرحمهم في الدنيا فلا يمنع طعاماً ولا شراباً في الدنيا لكافر وهم يعصونه فهو يرحمهم مع كفرهم وعصيائهم لعلهم يتوبون ويرجعون إلى طاعة الله تعالى وعبادته { قُلْ } قل يا محمد يا رسول الله { هُوَ } هو الله تعالى { رَبِّي } ربي وخالقي ومحييني ومميتني ورازقني { لَا إِلَهَ } لا إله من الآلهة ولا معبود { إِلَّا هُوَ } إلا الله تعالى هو وحده لا

شريك له {عَلَيْهِ} على الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {تَوَكَّلْتُ} اعتمدت واستعنت {وَالِيهِ مَتَابِ} وإليه أتوب وأرجع وأطيعه {وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا} يا محمد يا رسول الله لو كان قرآنًا يتلى أو كتاباً يقرأ {سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ} أي تسير به وتنقل الجبال من مكانها إلى مكان آخر {أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ} أو تشققت به الأرض وإخراج كنوزها ومعادنها ويجوز أن يكون معنى آخر بأنه قطعت به المسافات البعيدة في الأرض وهو الطيران أو طي الأرض كما طويت لذي القرنين حتى وصل مغرب الشمس ومشرقها {أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتَى} أو أحيا به الأموات فإنه يكون هذا القرآن هو من يفعل ذلك بأمر الله تعالى. وهناك أمثلة على ذلك فتسيير الجبال مثله هو الذي عنده علم من الكتاب أتى بعرش بلقيس وهو كل قصرها من اليمن إلى فلسطين لسيدنا سليمان عليه السلام وذلك باسم الله الأعظم وكذلك قطعت به الأرض أي قطعت به المسافات البعيدة من طي الأرض لذي القرنين وأما تكليم الموتى فقد كان عيسى عليه السلام يحيي الموتى بدعائه باسم الله الأعظم وكلم النبي محمد صلى الله عليه وسلم قتلى بدر من الكفار أهل القلب وهو البئر الذي دفن فيه كفار قريش أبو جهل ومن قتل معه فهذا القرآن هو أولى بجميع ذلك من تسيير الجبال أو قطع الأرض أو تكليم الموتى {بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا} بل يرجع الأمر كله لله تعالى حسب مشيئته وإرادته. وهنا ننبه بأن القرآن هو زيادة على القانون والدستور والهدى للناس فهو أيضاً ينفع لكل شيء للشفاء من الأمراض وغيرها من منفعة المسلمين ورد كيدهم وخاصة إذا كان الرجل الذي يقوم بذلك صالحاً وموقناً بالإجابة ، وينفع بدعائه الموتى وخاصة إذا أهدى لهم كسورة الفاتحة وقل هو الله أحد وسورة يس وغيرها. قال ابن أبي حاتم: ثنا يحيى ابن نصير الخولاني ثنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي هبيرة عن حسن ابن عبد الله أن رجلاً مصاباً

(أي مصاباً بمس من الجن) مر به على عبد الله بن مسعود فقرأ في أذنه هذه الآية: " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالى الله الملك الحق " حتى ختم السورة فبرأ فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بماذا قرأت في أذنه؟) فأخبره فقال له: (إنها إذا قرئت في أذنه أحرقتة) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٩]. {أَفَلَمْ يَأْيَسْ} أفلم يقنط ويفقد الأمل ولم ينتهوا ولم يملوا {الَّذِينَ ءَامَنُوا} المؤمنون وهم الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله {أَنْ لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ} لو أراد الله {لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا} فإن المؤمنين لم ييأسوا ولم يملوا ولم يقنطوا بالاستمرار في هدى الناس طمعاً في هداهم وهم يعلمون لو أراد الله بقدرته وهدايته لهدى جميع الناس للدين الإسلامي وإلى طاعته وعبادته وحده لا شريك له كما هدى الملائكة جميعهم فهم عليهم الهدى وعلى الله القبول {وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا} ولا يزال وباستمرار وعلى الدوام الكفار {تُصِيبُهُمْ} أي تقع عليهم وتنزل عليهم وتحل بهم {بِمَا صَنَعُوا} بما كفروا وعملوا من الذنوب والمعاصي والجحود والإنكار {قَارِعَةً} مصيبة {أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ} أو تنزل قريباً منهم وبجوارهم هذه المصائب {حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ} حتى يأتي أمر الله تعالى إما بالحرب والأسر أو الموت والهلاك {إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ} إن الله لا يغير {الْمِيعَادَ} الوقت المعين لهلاكهم وموتهم {وَلَقَدْ آسْتَهْزِئُ} ولقد سخر {بِرُسُلِهِ} بأنبياء ورسول أرسلهم الله تعالى إلى أقوامهم {مِّن قَبْلِكَ} ممن سبقك من الأمم السابقة {فَأَمَلَيْتُ} فاستدرجت {لِلَّذِينَ كَفَرُوا} للكفار وهم من

جحدوا وأنكروا رسالة الرسل السابقين {ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ} ثم أهلكتهم {فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} فكيف كان العذاب ألم يكن عذابي شديداً وقاسياً.

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۖ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ۚ أَمْ بَيِّنُهُ مِنَ الْقَوْلِ ۚ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ هُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿١٣﴾ ﴾

{أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ} فهل من هو عالم وراقب ومستمر ودائم وقائم {عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} على كل شخص وعلى كل نفس من الأنفس بما عملت من حلال وحرام وخير وشر - وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه - كمن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً من الأصنام والأوثان والأنداد والشركاء {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ} واتخذ الكفار وجعلوا لله تعالى أنداداً وجعلوا له شركاء من الأصنام والأوثان والأنداد وهي جمادات لا تنفع ولا تضر {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {سَمُّوهُمْ} قولوا لنا ما هي أسماء هؤلاء الشركاء لله تعالى إذا كنتم تعلمون أن له شركاء من الآلهة غيره وأخبرونا عنهم وعن أسمائهم {أَمْ تُنَبِّئُونَهُ} أو هل تخبرونه {بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ} بما لا يعلم ولا يدري بهؤلاء الشركاء من الآلهة لعدم معرفته بما في الأرض عندهم لأنه هو في السماء ولا يعلم بشيء أهذا ظنكم {أَمْ بَيِّنُهُ مِنَ الْقَوْلِ} أو هل تدعون ظاهراً وليس من قلوبكم بل بالسنتكم كذباً وسخريّةً وضحكاً ولستم بجادين في ذلك القول {بَلْ زَيْنٌ} بل زخرف {لِلَّذِينَ كَفَرُوا} للكفار وهم من أنكروا وجحدوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله

عليه وسلم نبياً ورسولاً {مَكْرُهُمْ} عداوتهم وتكذيبهم وجحودهم وإنكارهم {وَصُدُّوا} وأبعدوا ومنعوا {عَنِ السَّبِيلِ} عن سبيل الإسلام وعن طريقه والدخول فيه {وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ} ومن يبعد الله تعالى ويضله عن الحق وعن الهدى ويغويه ويعميه عن طريق الإسلام وعن عبادة الله تعالى وحده وطاعته {فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} فما له من مرشد وليس له من ناصح ولا واعظ {هُمَّ عَذَابٌ} لهم عقاب {فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} في دنياهم وهم أحياء وهو الحرب والأسر والمصائب والأمراض والفتن وغير ذلك {وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ} وعذاب يوم القيامة {أَشَقُّ} أشد وأعظم لأنه يخلد في نار جهنم {وَمَا هُمْ} وليس لهم {مِنَ اللَّهِ} من عذاب الله تعالى {مِنْ وَاقٍ} من مانع ولا ناصر ولا مدافع ولا حافظ.

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ طَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿١٥﴾ ﴾

{مَثَلُ الْجَنَّةِ} إن مثل الجنة يوم القيامة وصفتها {الَّتِي وَعَدَ} التي وعد الله تعالى بها وبدخولها ومن هم أهلها يوم القيامة {الْمُتَّقُونَ} الصابرون على طاعة الله تعالى والعابدون له والذين لا يتعدون حدوده ولا ينتهكون محارمه وهم الذين يخشونه ويخافونه ويطيعونه فيما أمر ونهى {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} تجري الأنهار والعيون خلالها ومن تحت أشجارها وقصورها {أُكُلُهَا دَائِمٌ} طعامها وشرابها وفواكهها ولحومها ونعيمها دائم ومستمر في جميع الأوقات فهي لا مقطوعة ولا ممنوعة وعن عتبة بن عبد السلمي أن أعرابياً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الجنة فقال فيها عنب؟ قال: (نعم) قال فما عظم العنقود؟ قال:

(مسيرة شهر للغراب الأبقع ولا يفتر). [رواه الإمام أحمد - ابن كثير ج ٢ ص ٥١٧]. وعن جابر ابن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون طعامهم ذلك جشاء كريح المسك ويلهمون التسبيح والتقديس كما يلهمون النفس). [رواه مسلم - ابن كثير ج ٢ ص ٥١٧]. وروى الإمام أحمد والنسائي من حديث الأعمش عن تمام بن عقبة سمعت زيد بن أرقم قال: جاء رجل من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: (نعم والذي نفس محمد بيده إن الرجل منهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة) قال إن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى؟ قال: (تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كريح المسك فيضمر بطنه). [رواه الإمام أحمد والنسائي - ابن كثير ج ٢ ص ٥١٧]. وقال الحسن بن عرفة: حدثنا خلف ابن خليفة عن حميد ابن الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فيخر بين يديك مشوياً) وجاء في بعض الأحاديث أنه إذا فرغ منه عاد طائراً كما كان بإذن الله تعالى. [ابن كثير ج ٢ ص ٥١٧]. {وَوَظَلُّهَا} وكذلك ظل الجنة دائم ومستمر حيث لا شمس ولا قمر فيها لقوله تعالى: "مُتَّكِّبِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا" ١٣ الإنسان. وفي الصحيحين من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب المجد الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها) ثم قرأ "وَوَظَلٌّ مَمْدُودٍ". [ابن كثير ج ٢ ص ٥١٨]. {تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا} ذلك هو مصير ومآل ونهاية ومرجع الذين أطاعوا الله تعالى وخافوه فيما أمر وفيما نهى {وَعُقْبَى} نهاية

ومصير {الْكَافِرِينَ} الكفار الذين جحدوا وأنكروا رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأنكروا وجحدوا بالقرآن الكريم {النار} أي مصيرهم العذاب في نار جهنم يوم القيامة.

﴿ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَأْبِئٌ ﴿١٧﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿١٨﴾ ﴾

{وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ} والذين أعطيناهم وأنزلنا إليهم {الْكِتَابَ} كتاب التوراة والإنجيل {يَفْرَحُونَ} يسرون {بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} بالقرآن الذي أنزل إليك يا محمد يا رسول الله وهم مثل عبد الله بن سلام وكعب الأحبار وغيرهم وهم من أحبار وعلماء اليهود الذين آمنوا ودخلوا دين الإسلام لأن ذلك مكتوب في كتبهم برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكما قال عيسى عليه السلام: " وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ " ٦ الصف. {وَمِنَ الْأَحْزَابِ} ومن الأمم ومن الأديان وممن تحزبوا وأيدوا فئة أخرى أي ومن الفئات الأخرى {مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ} من يجحد وينكر ويكذب بعض القرآن ومن ينكر أو يجحد أو يكذب ببعض القرآن فهو يعتبر في حكم الكافر كما قال تعالى: " أَفْتَوُمُنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ " ٨٥ البقرة. {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {إِنَّمَا أُمِرْتُ} إن ما أمرني الله تعالى به هو {أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ} أن أقيم العبادة لله تعالى {وَلَا أُشْرِكَ بِهِ} ولا أجعل له شريكاً في ملكه فهو وحده لا شريك له {إِلَيْهِ أَدْعُوا} إلى عبادة

الله تعالى وحده لا شريك له وطاعته وحده أدعوا {وَالِيهِ مَقَابٍ} وإليه مرجعي ومصيري {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ} وهكذا أنزلنا القرآن الكريم {حُكْمًا} أي حاكماً وشرعاً وقانوناً ودستوراً يحكم به فهو شرع الله تعالى وأمره وحكمه {عَرَبِيًّا} باللغة العربية وهي لغة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الله ورسوله وهي لغة أهل الجنة وحواريات أهل الجنة كما قال تعالى: "عُرْبًا أَتْرَابًا" ٣٧ الواقعة. {وَلِيِّنِ أَتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ} ولئن اتبعت وأخذت برغباتهم وشهواتهم {بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ} بعد ما وصل إليك من علم القرآن وأوامره ونواهيه بواسطة الوحي جبريل عليه السلام {مَا لَكَ} ليس لك {مِنَ اللَّهِ} من عذاب الله تعالى {مِنَ وَلِيِّ} يتولاك ويرعاك ويحفظك ويمنعك من عذابه {وَلَا وَاقٍ} ولا ناصر ولا مغيث ولا مانع ولا دافع ولا حافظ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ

بِنَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٢٨﴾﴾

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا} ولقد بعثنا {رُسُلًا} أنبياءً ورسلاً مرسلين من قبل الله تعالى إلى أقوامهم {مِّن قَبْلِكَ} من قبل مجيئك يا محمد يا رسول الله في الأمم والأقوام السابقة {وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً} وجعلنا لهؤلاء الرسل الذين سبقوك زوجات وذرية من الأبناء وهذا هو الحكم العام لجميع الرسل ولكن هناك خاص أو استثناء لعدد قليل والحكم دائماً للأغلبية فمثلاً يحيى وعيسى عليهما السلام لم يتزوجا ولم يكن لهم ذرية فهذا الحكم جاء مجازاً على التعليل مثل قوله تعالى عن بلقيس: " وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ " ٢٣ النمل. ولم تؤت ملك سليمان ، وكما قال تعالى في آية أخرى: " يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ " وهذا مجاز والمقصود هو المعنى الجوهري وليس

النص الحرفي ، وكذلك قال تعالى عن الكفار: " صُمُّ بُكْمٌ عُمِّيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ " ١٨ البقرة. {وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ} ولم يكن لرسول من الرسل السابقين {أَنْ يَأْتِيَ بِعَايَةٍ} أن يأتي بمعجزة من المعجزات {إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} إلا بأمر الله تعالى ومن بعد إذنه ومن إرادته ولا يستطيعها الرسول من تلقاء نفسه لأنها من الله تعالى بإذنه وإرادته وكذلك الكرامة لا يأتيها الولي من تلقاء نفسه ولكنها من الله تعالى يتكرم بها عليهم {لِكُلِّ أَجَلٍ} لكل عمر ولكل نهاية {كِتَابٌ} كتاب مسجل به عمره في اللوح المحفوظ لا يتقدم ولا يتأخر عنه.

﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ^ط وَعِنْدَهُ^ط أُمُّ الْكِتَابِ ﴿١٨﴾ ﴾

{يَمْحُوا اللَّهُ} يشطب ويلغي ويمحو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {مَا يَشَاءُ} ما يريد {وَيُثَبِّتُ} ويثبت ذلك ويؤكده ويحققه فالمحو من الله تعالى يمحو الذنب بالتوبة والاستغفار ويمحو القضاء بالدعاء والصدقات أي أن هناك قضاء وقدر غير مبرم قال تعالى: " إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ " ١١٤ هود. والثاني مبرم فالمبرم هو المثبت الذي يثبته الله تعالى كالموت والحياة وخلق الذكر أو الأنثى وغير ذلك وأما القضاء والقدر غير المبرم فهو الذي يمحوه الله تعالى ويلغيه كالذنب يمحوه بالتوبة والاستغفار ورد القضاء بالدعاء والصدقات كالأعراض والنوازل فيمحوها الله تعالى بالدعاء والصدقات {وَعِنْدَهُ^ط أُمُّ الْكِتَابِ} أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ وفيه ذكر كل شيء وفيه يمحو الله ما يشاء ويثبت من الحياة والموت والخلق والأمر والرزق وشؤون الكون كله.

﴿ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا

الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾

﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ﴾ وإن نشأ يا محمد نجعلك تشاهد بعينيك {بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ} جزءاً من بعض الذي نتوعدهم به من العذاب في الدنيا من الأسر والحرب أو قسم من المصائب {أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ} أو نميتك قبل أن ترى ذلك {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ} إن عملك فقط هو التبليغ بالرسالة والنصح والوعظ والإرشاد والهدى لهم {وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} وعلى الله العقاب والعذاب لهم إما في الدنيا بالقتل والأسر والحرب والموت والهلاك ويوم القيامة عذابهم وعقابهم في نار جهنم.

﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۗ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۗ

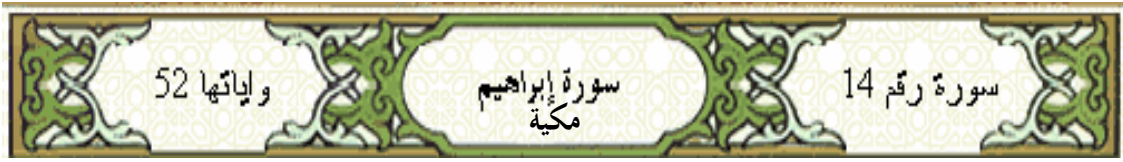
وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا﴾ ألم ينظروا بأعينهم ويروا {أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ} أن أمر الله تعالى وحكمه ينزل إلى الأرض {نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} أي ننقصها من أهلها وسكانها بالموت والزلازل والأمراض والأوبئة والحروب والمصائب وليس المقصود هو نقص الأرض بطوفان البحار عليها لأن الزيادة في الماء والنقصان في الأرض أو العكس ليس بنقصان في الأرض حيث أن كل ما على الأرض فهو يعتبر تابعاً للأرض {وَاللَّهُ} والله سبحانه وتعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَحْكُمُ} يقضي في الأمر كله وينفذ حكمه فيما يريد {لَا مُعَقِّبَ} لا مغير ولا راد ولا مانع {لِحُكْمِهِ} لقضائه وأمره وحكمه فيما يريد {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {سَرِيعُ الْحِسَابِ} سريع العقاب والعذاب لمن كفر وعصى وأذنب.

﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ
الْكُفْرَ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾ ﴾

{وَقَدْ مَكَرَ} وقد جحد وكفر وخالف وأنكر وكذب {الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} من كان
قبلهم ممن كفر في الأمم والأقوام السابقة {فَلِلَّهِ} فله تعالى جل جلاله وعظم قدره
وعلا شأنه وحده {الْمَكْرُ جَمِيعًا} العذاب والعقاب له وحده جميعه وكله فهو الذي
يعذب ويعاقب يوم القيامة في نار جهنم {يَعْلَمُ} يعلم ويدري {مَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ} ما تكتسب كل نفس من الأنفس من الخير ومن الشر. روى أبو ذر رضي
الله عنه أن رسول الله صلى اله عليه وسلم رأى شاتين تنتطحان فقال: (يا أبا ذر
أتدري فيما ينتطحان؟) فقلت: لا. قال: (ولكن الله يدري وسيقضي بينهما يوم
القيامة). [مكاشفة القلوب ص ١٢٨]. {وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ} وسيعلم الذين كفروا يوم
القيامة {لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ} لمن تكون العقابة الحسنة يوم القيامة ومن يسعد في
الآخرة وستكون السعادة في الجنة يوم القيامة للمتقين وللمؤمنين والمصدقين بالله
تعالى رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً {وَيَقُولُ
الَّذِينَ كَفَرُوا} ويقول الكفار لك يا محمد يا رسول الله {لَسْتَ مُرْسَلًا} أي أنت
لست برسول وكذبوا وجحدوا وأنكروا وكذبوا بك وبرسالتك {قُلْ} قل لهم يا
محمد يا رسول الله {كَفَى} يكفي {بِاللَّهِ شَهِيدًا} بالله شاهداً {بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ}
بيني أنا محمد رسول الله وبينكم أيها الكفار على صدق نبوتي ورسالتي لكم {وَمَنْ
عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} ومن هو عالم بكتاب التوراة والإنجيل من الأحرار والرهبان

لِما يَجِدُونَهُ عِنْدَهُمْ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ رِسَالَةٍ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى إِلَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ صِفَتِهِ
كَمَا قَالَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْإِنْجِيلِ: " وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ
أَحْمَدُ " ٦ الصَّف.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى

صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾

{الر} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وبنفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وباللغة التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جعلت في أول سور القرآن الكريم حتى يُعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تكوّن القرآن من هذه الحروف العربية لذكرت في أوائل جميع سور القرآن.

وليست كذلك طلاسماً لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢، ١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢، ١ لقمان. وعليه فإن معنى (الر) هو قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ " ٦٧ المائدة. مع ملاحظة أن التفسير هو تقريب المعنى للقارئ والله أعلم.

{ كِتَابٌ } وهو القرآن الكريم { أَنْزَلْنَاهُ } أنزله الله تعالى من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم أنزله الله تعالى بواسطة جبريل عليه السلام حسب الأحداث والوقائع منجماً أي مفرقاً { إِلَيْكَ } إليك يا محمد يا رسول الله { لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ } لتخرج الناس من ظلمات الكفر والضلال { إِلَى النُّورِ } إلى نور الإيمان ونور الهداية ونور القرآن ونور الإسلام { يَهْدِيهِمْ } أي يهتديهم من ربهم في اتباعك وتصديقك وبأمره { إِلَى صِرَاطٍ } إلى طريق الهدى ودين الإسلام وهو طريق وسبيل { الْعَزِيزِ } العزيز في ملكه والقوي في حكمه وإرادته { الْحَمِيدِ } المحمود في صفاته وأفعاله وفيما أنزل لهدى الناس ووعظهم وإرشادهم.

﴿ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ ﴿١٤﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۗ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٥﴾

{اللَّهِ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي لَهُ} الذي له ملك {مَا فِي السَّمَوَاتِ} كل شيء في السموات من الملائكة والشمس والقمر والنجوم {وَمَا فِي الْأَرْضِ} من بحار وأنهار وسهول وجبال وإنس وجن وحيوانات وزواحف وطيور وكل شيء آخر فيهما فهو ملك لله تعالى {وَوَيْلٌ} وعذاب {لِلْكَافِرِينَ} للجاحدين والمنكرين والمكذابين بالله تعالى وبالقرآن الكريم وبرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} من عقاب شديد وقاس وموجع وأليم في نار جهنم يوم القيامة {الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ} الذين يحبون ويرضون ويستمتعون {الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} بالدنيا وشهواتها وملذاتها ومحرماتها {عَلَى الْآخِرَةِ} أي يفضلون متاع الدنيا على الآخرة ونعيمها الدائم وهي الجنة يوم القيامة {وَيَصُدُّونَ} ويمنعون ويدفعون غيرهم {عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} عن طريق الله وعن الهدى وعن دين الإسلام وعن الطريق إلى الوصول إلى طاعة الله تعالى وعبادته ومرضاته {وَيَبْغُونَهَا} ويريدونها {عِوَجًا} انحرافاً وضلالاً {أُولَٰئِكَ} هؤلاء الذين يفضلون الدنيا على الآخرة في اتباع الأهواء والشهوات والملذات والمعاصي والمحرمات هم {فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ} في غي وظلام وعمى وضياح وبعد عن الحق والهدى نهائي ودائم.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

{ وَمَا أَرْسَلْنَا } وما بعثنا { مِنْ رَّسُولٍ } من رسول ولا نبي برسالة من الله تعالى إلى قومه { إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ } إلا بلغة قومه { لِيُبَيِّنَ لَهُمْ } ليوضح لهم ويعلمهم رسالته ولذلك نزل القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين وربّ سائل يسأل لماذا لم ينزله الله تعالى بلغةٍ وبلسان أعجمي؟ والجواب على ذلك لأنهم لن يؤمنوا به ولن يصدقوه كما قال تعالى: " وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ {١٩٨} فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ {١٩٩} " ١٩٨، ١٩٩ الشعراء. وهذا هو الواقع الحالي لأغلب الكفار ممن ينطقون بغير اللغة العربية ودليل على ذلك أن جميع الدول العربية قد أسلمت والدول غير العربية كالدول الأوروبية والصين وروسيا واليابان وأمريكا لم يؤمنوا بما فيهم الذين أنزل عليهم الكتب السماوية وهم اليهود والنصارى وكما قال تعالى: " وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا " ١٤ النمل. علماً أن جميع الرسل أرسلوا إلى قومهم بلغتهم ولكنهم لم يؤمنوا إصراراً وعناداً كقوم لوط وقوم هود وقوم صالح عندما عقروا الناقة وقوم نوح الذين أغرقهم الله تعالى بالطوفان بما فيهم ابنه وزوجته. ولذلك اصطفى الله تعالى العرب وأنزل القرآن بلغتهم لأن الله تعالى سبق في علمه أن العرب سيؤمنون به وينشرونه وكما قال تعالى: " أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " ١٤ الملك. { فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ } فيضل الله تعالى من يشاء ومن يريد الضلال والكفر والغي والبغي والظلم فيزيده غياً وضلالاً وبعداً عن الهدى وعبادة الله تعالى وطاعته وحاش لله أن يضل أحداً بدون ذنب لأن الله تعالى ينهى عن ذلك بقوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ " ٩٠ النحل. وكما قال تعالى: " وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ " ١٠ البلد. وكما قال تعالى: " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا " ٣ الإنسان. فالله تعالى لا يضل إلا من غوى وضل فيزيده الله تعالى غياً وضلالاً كما قال تعالى: " قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا " ٧٥ مريم. { وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } ويهدي الله تعالى من يشاء الهدى ويريده ويتبعه ويفعله فمن يتبع الهدى يزدده الله تعالى هدى على هداه كما قال تعالى: " وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى " ٧٦ مريم. فكلُّ ميسر لما خُلِقَ له كما قال تعالى: " فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمَّا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ " ١٢٥ الأنعام. { وَهُوَ } وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { الْعَزِيزُ } العزيز في ملكه والقوي في حكمه وإرادته { الْحَكِيمُ } ذو الحكمة في أوامره ونواهيهِ وفي ملكه ولا يخطئ أبداً.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٠﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَخْرَجَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعِوْنَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَالِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٣﴾ ﴾

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ } ولقد أرسل الله تعالى موسى بن عمران عليه السلام بعثه الله تعالى بالنبوة والرسالة { بِآيَاتِنَا } بمعجزاتنا وهي العصا تنقلب حية واليد

تخرج بيضاء والظلمات والضفادع والدم والطاعون {أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ} أن اذهب إلى فرعون وقومه وإلى بني إسرائيل قومك وعظهم وأخرجهم من ظلمات الضلال والمعاصي والذنوب والكفر {إِلَى النُّورِ} إلى نور الإيمان والهداية ونور القرآن والإسلام وعبادة الله وحده لا شريك له وطاعته ومرضاته {وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا} وفكرهم وعظهم عن الأيام السابقة من عذاب فرعون وقومه لهم ومن النعم الحالية بإنقاذكم من فرعون وعمله وفكرهم كذلك وعظهم بأيام القيامة وشدة عذابها وشدة عذاب نار جهنم {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في هذه الذكرى بالأيام السابقة واللاحقة من يوم القيامة {لآيَاتٍ} دلائل وبراهين ومعجزات {لِكُلِّ صَبَّارٍ} لكل من يصبر على الأذى وعلى طاعة الله تعالى وصابر عن المعصية والذنوب والمخالفة {شَكُورٍ} وهي دلائل وبراهين كذلك لكل عبد شكور شاكر لنعم الله تعالى ورحمته وأفضاله عليه {وَإِذْ قَالَ مُوسَى} وعلى ذلك قال موسى عليه السلام ابن عمران نبي الله ورسوله {لِقَوْمِهِ} لبني إسرائيل وهم قومه ومن جلدته {أَذْكُرُوا} تفكروا واتعظوا {نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} نعمة الله تعالى التي أنزلها عليكم وتفضل بها عليكم {إِذْ أَنْجَاكُمْ} إذ أنقذكم بفضله وبرحمته {مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ} من فرعون وقومه {يَسُومُونَكُمْ} يذيقونكم {سُوءَ الْعَذَابِ} شدة العذاب وقساوته {وَيُذَنِّبُونَ} ويقتلون {أَبْنَاءَكُمْ} أولادكم {وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} يستحلون فروجهم قهراً {وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ} وفي ذلك لكم {بَلَاءٌ} عذاب وعقاب {مِنْ رَبِّكُمْ} من الله تعالى خالقكم {عَظِيمٌ} قوي وشديد وأليم وقاس وهو فتنة من الله تعالى لكم حتى تتعظوا وتهتدوا وترجعوا إلى الله تعالى وإلى طاعته

وعبادته وحده لا شريك له {وَاذِّ تَأَذَّنَ} أعلن وواعد وتعهد {رَبُّكُمْ} خالقكم وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَيْنِ شَكَرْتُمْ} لئن حمدتم نعمة الله تعالى وعبدتم الله تعالى وأطعتموه فهو شكر النعمة عليكم {لَأَزِيدَنَّكُمْ} لأجعلن النعمة تستمر عليكم وتدوم ولا تنقص ولا تتغير بل تزيد هناءً ورغداً {وَلَيْنِ كَفَرْتُمْ} ولئن عصيتم وجحدتم وأنكرتم وكذبتكم وكفرتكم بالله وبرسوله {إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} إن عذابي لقاس ومؤلم لمن خالف وعصى وكفر وجحد وأنكر وكذب بي وبرسولي {وَقَالَ مُوسَى} قال موسى عليه السلام ابن عمران نبي الله ورسوله إلى قومه وإلى فرعون وقومه {إِنْ تَكْفُرُوا} إن تكفروا بالله وتجددوا وتنكروا وتكذبوا بالله وبرسوله {أَنْتُمْ} يا فرعون ويا قوم فرعون ويا بني إسرائيل {وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} وكل من في الأرض من إنس وجن {فَإِنَّ اللَّهَ} فإن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَغَنِيٌّ} لغني عنكم ولا يحتاج لكم ولا لعبادتكم ولن تنفعوه شيئاً {حَمِيدٌ} فهو حميد الصفات والأفعال ويحمد ويكافئ من حمده وشكره وأطاعه وعبده وحده. وفي الحديث القدسي روى مسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: (يا عبادي إنني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا منفعتي فتتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد

ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص من ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسأله ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه). [خطب ابن الخطيب ص ١٦٠ - ورواه مسلم الأربعين النوويه ص ٧].

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۗ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۗ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١﴾

﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَنِ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ خُنْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلِكُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَنِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۗ وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٤﴾

{ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ } ألم يصلكم خبر وعلم { الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ } الذين سبقوكم من الأمم السابقة { قَوْمِ نُوحٍ } قوم نوح عليه السلام كيف أغرقهم الله تعالى لما أنكروا رسالة نوح عليه السلام { وَعَادٍ } وعاد هم قوم هود عليه السلام فأهلكهم الله تعالى

بريح صرصر كما قال تعالى: " وَأَمَّا عَادُ فَاهْلَكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ " ٦ الحاقة. {وَتَمُودٌ} وهم قوم صالح عليه السلام فأهلكوا بالرجفة وبالطاغية كما قال تعالى: "فَأَمَّا تَمُودُ فَاهْلَكُوا بِالطَّاغِيَةِ" ه الحاقة. {وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ} وأقوام من بعدهم جاءت كثيرة أهلكوا لمعصيتهم رسلهم لا يعلمهم إلا الله {جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ} بالدلائل والبراهين والحجج والمعجزات {فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ} فوضعوا أيديهم {فِي أَفْوَاهِهِمْ} في فمهم لينادوا بأعلى صوتهم {وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا} إنا جحدنا وأنكرنا وكذبنا ولم نصدق {بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ} بما جنتم به من الرسالة {وإِنَّا لَفِي شَكٍّ} وإنا لفي ريبة وظن {مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ} مما تطلبون منا اتباعه وتصديقه من رسالة ربكم {مُرِيبٍ} شك كبير وظن كثير ومؤكد {قَالَتْ رُسُلُهُمْ} قالت رسلهم الذين أرسلوا إليهم وهم أنبياء الله تعالى قالوا لهم {أَفِي} هل في {اللَّهِ} عبادة الله تعالى وحده لا شريك له {شَكٌّ} ريبة وظن {فَاطِرٍ} خالق {السَّمَوَاتِ} السموات السبع وما فيهن من الملائكة والشمس والقمر والنجوم {وَالْأَرْضِ} وخالق الأرض وما فيها من بحار وأنهار وجبال وسهول ووديان وإنس وجان وحيوان وزواحف وطيور وكل شيء خلقه الله تعالى فيهما فهل في الله شك الذي خلقهم {يَدْعُوكُمْ} فهو يدعوكم ويطلب منكم طاعته وعبادته {لِيَغْفِرَ لَكُمْ} من ذنوبكم ليغفر ويتجاوز عنكم وعن بعض ذنوبكم التي اقترفتموها {وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى} ويترككم ويؤجلكم إلى وقت معلوم وهو نهاية الأجل وهو الموت {قَالُوا} قال أقوام الرسل لهم رداً على دعواهم لعبادة الله تعالى {إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا} ما أنتم إلا خلق مثلنا وبشر من بني آدم ولستم ملائكة

{ تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَنَا } تريدون أن تمنعوننا وتردوننا وتبعدونا { عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ
 ءَابَاؤُنَا } عن عبادة ما عبده قبلنا آباؤنا وأجدادنا { فَأَتُونَا بِسُلْطَنِ مُبِينٍ } فاتونا
 ببيان وعلم واضح مؤكد حتى نصدقكم ونتبعكم { قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ } ردّ عليهم
 رسلهم وقالوا لهم { إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ } ما نحن إلا بشر من الناس وليس من
 الملائكة ونحن من بني جلدتكم ومثلكم بشر من بني آدم { وَلَكِنَّ اللَّهَ } ولكن الله
 تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { يَمُنُّ } يتفضل { عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ } على من
 يريد { مِنْ عِبَادِهِ } من خلقه من الناس بالرسالة { وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ } وما
 كنا نستطيع أن نأتيكم { بِسُلْطَنِ } بحجة وبيان ومعجزة تدل على أننا رسل الله
 حقاً { إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } إلا بمشيئة الله وإرادته وأمره { وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ } فليعتمد
 وليستعن بالله تعالى { الْمُؤْمِنُونَ } الذين آمنوا بالله رباً وبالملائكة وبكتبه ورسله
 واليوم الآخر وصدقوا بذلك { وَمَا لَنَا } وما يمنعنا { إِلَّا نَتَوَكَّلَ } ألا نستعين
 ونعتمد { عَلَى اللَّهِ } على الله تعالى في جميع أمورنا { وَقَدْ هَدَانَا } وقد دلنا وأرشدنا
 { سُبُلَنَا } طرق هدايتنا { وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا } ولنتحمل أذاكم لنا
 بدعوتنا لكم لعبادة الله تعالى وحده وعصيانكم ومخالفتكم وتكذيبكم لنا ومعاداتنا
 على ذلك { وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ } وعلى الله تعالى فليعتمد وليستعن بالله تعالى
 { الْمُتَوَكِّلُونَ } المستعينون والمعتمدون عليه.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴿١٤﴾ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٥﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٦﴾ مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٧﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٨﴾ ﴾

{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا } وقال الكفار وهم الذين أنكروا ووجدوا وكذبوا برسولهم { لِرُسُلِهِمْ } وهم الرسل الذين أرسلهم الله تعالى بالرسالة إلى أقوامهم { لَنُخْرِجَنَّكُمْ } لنطردنكم { مِّنْ أَرْضِنَا } من بلادنا { أَوْ لَتَعُوذُنَّ } أو لترجعن { فِي مِلَّتِنَا } في ديننا ومذهبنا وهو عبادة الأصنام والأوثان والأنداد { فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ } فأوحى الله تعالى وبعث إلى الرسل بواسطة الوحي جبريل { لَنُهْلِكَنَّ } سوف نهلك ونميت { الظَّالِمِينَ } الباغين والمعتدين والمخالفين والمكذابين والظالمين لأنفسهم بالكفر والعناد والمخالفة والمعصية والظالمين لغيرهم بالبغي والاعتداء والظلم { وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ } وسنجعلكم تراثون مسكنهم { الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ } تراثون أرضهم وديارهم ومسكنهم من بعد زوالهم وهلاكهم { ذَٰلِكَ } ذلك النصر يكون { لِمَنْ خَافَ مَقَامِي } لمن خاف جبروتي وعظمتي وجلالي وعذابي { وَخَافَ وَعِيدِ } وخاف إنذاري وتحذيري وتهديدي ووعدني لهم بالعذاب في نار جهنم يوم القيامة { وَأَسْتَفْتَحُوا } وطلب الرسل من الله تعالى النصر على معاداة أقوامهم لهم { وَخَابَ } وخسر { كُلُّ جَبَّارٍ } كل ظالم { عَنِيدٍ } مخالف شديد وقاس وقوي

{مِنْ وَرَائِهِ} من خلفه يوم القيامة {جَهَنَّمَ} عذاب جهنم ينتظره {وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ} ويشرب من ماء به صديد وقيح أهل النار {يَتَجَرَّعُهُ} يشربه {وَلَا يَكَادُ} ولا يستطيع {يُسِيغُهُ} أن يستسيغه ويشربه بكراهة شديدة وبألم شديد من حرارته وكراهة صديده رائحته وغلليانه من شدة العطش ومن شدة حرارة نار جهنم {وَيَأْتِيهِ} ويحيط به {الْمَوْتُ} الهلاك وشدة العذاب في نار جهنم {مِنْ كُلِّ مَكَانٍ} من كل جهة من أسفله وأعلاه وجوانبه ومن أمامه ومن خلفه توقد نار جهنم حوله {وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ} ولكنه لم يموت لأنه لا موت في يوم القيامة في نار جهنم بل عذاب دائم ومستمر {وَمِنْ وَرَائِهِ} وبعد كل ذلك يخلفه {عَذَابٌ غَلِيظٌ} عذاب شديد أليم وقاس وموجع ودائم في نار جهنم.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾

{مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا} مثل من كفر بربه ووجد وأنكر وكذب مثل هؤلاء الكفار {بِرَبِّهِمْ} بخالقهم الله تعالى {أَعْمَلُهُمْ} جميع أعمالهم وهي أعمال الكفر {كَرَمَادٍ} والرماد هو بقايا موقد النار بعد أن تطفأ وهو السَّكَنُ {اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ} أتت عليه ريح شديدة {فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ} في يوم به عواصف شديدة ورياح شديدة {لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا} لا يستطيعون حفظ ولا أخذ شيء مما ادخروا من ذلك {عَلَىٰ شَيْءٍ} لم يتمكنوا من المحافظة أو إبقاء أي شيء مما عملوا أو أخذوا وهكذا أعمالهم لم تنفعهم بشيء بعد كفرهم {ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ} ذلك هو الضياع والبعيد عن الحق والهدى النهائي والأكيد وهو البعد الأعمى عن الحق.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّ يَشَاءُ يَذْهَبَكُم وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ ﴾

{ أَلَمْ تَرَ } ألم تعلم يا محمد وترى وتشاهد بعينيك { أَلَمْ تَرَ } أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { خَلَقَ السَّمَوَاتِ } خلق السموات السبع وما فيها من الملائكة والشمس والقمر والنجوم { وَالْأَرْضَ } والأرض وكل ما فيها { بِالْحَقِّ } بالعدل والصدق وليس بالهزل { إِنَّ يَشَاءُ } إن يرد { يَذْهَبَكُم } يهلككم ويمتكم { وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ } ويغيركم ويأت بخلق آخر وجيل آخر جديد غيركم { وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ } وليس ذلك على الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { بِعَزِيزٍ } ليس ذلك بمستحيل ولا صعب ولا يعز ذلك على الله تعالى ولا يأسف له .

﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١٨﴾ ﴾

{ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا } وخرج الناس من قبورهم جميعاً وأحياهم الله تعالى من بعد موتهم وحشروا واجتمعوا لله في المحشر يوم القيامة { فَقَالَ الضُّعَفَاءُ } فقال الفقراء والعامّة { لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا } للمستكبرين والمعاندين والجاحدين وهم الذين كذبوا الرسل من السادة والعظماء والأمراء والقادة وأولي الأمر والنهي والأغنياء والرؤساء { إِنَّا } قال المستضعفون للسادة إنا { كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا } إنا كنا تابعين ومنقادين لكم ومقتدين بكم ومطيعين لكم { فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا } فهل أنتم مانعون عنا { مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ } من عقاب الله تعالى شيئاً { قَالُوا } قال السادة والعظماء

والأمراء لهم {لَوْ هَدَيْنَا اللَّهُ هَدَيْنَاكُمْ} لو هدانا الله تعالى وأطعناه وعبدناه
لهديناكم لذلك {سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا} فسيان سواء رفضنا أو تضايقنا {أَمْ صَبَرْنَا}
أو تحملنا ذلك العذاب والعقاب {مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ} ما لنا من نجاة ولا منقذ ولا
مانع ولا دافع ولا حافظ.

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ
فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا
تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ
بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

{وَقَالَ الشَّيْطَانُ} وقال إبليس وكل شيطان من الشياطين {لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ} لما
انتهى الحكم بأمر الله تعالى أن تقوم القيامة {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله
وعظم قدره وعلا شأنه {وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ} وعدكم وعد الصدق وقال من آمن
بي وعبدني وأطاعني له الجنة وهو وعد الحق والصدق وقال ومن كفر وجحد وأنكر
وعصى الرسل فله النار {وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ} وأنا وعدتكم ولأنني شيطان
أخلفتكم وكذبت عليكم وغررت بكم ، قال ذلك متنصلاً ومتحلاً من إغوائه لهم
{وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ} وما كان لي عليكم من حكم ولا أمر ولا قوة ولا
حجة {إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ} إلا أن وجهتكم إلى المعاصي والمحرمات والكفر وغررت
بكم وزينت لكم {فَاسْتَجَبْتُمْ لِي} فأطعتم لي رغبة في إشباع شهواتكم وملذاتكم
وغروركم وإعراضكم عن طاعة الله تعالى وعبادته {فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ}
فلا تعاتبوني ولا تجعلوا اللوم علي ولكن لوموا أنفسكم التي أردتم إشباعها وإشباع

شهواتها وملذاتها من المحرمات {مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ} ما أنا بمنجدكم ولا منقذكم ولا مانعكم ولا حافظكم ولا مغيثكم ولا مخلصكم ولا منجيكم {وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ} ولا أنتم قادرون على نجاتي ولا نجدتي ولا إنقاذي ولا تخليصي من عذاب الله تعالى لي في هذا اليوم وهو يوم القيامة {إِنِّي كَفَرْتُ} إني أنكرت ووجدت الآن {بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ} بالأصنام والأوثان والأنداد التي جعلتموني شريكاً في إثم عبادتها بالوسوسة وتزيين عبادتها لكم أو كفرت بما فعلتموه من قبل من أنكم جعلتموني شريكاً لله من خلال عبادتي وطاعتي فجعلتموني لله نداً {مِنْ قَبْلُ} أي في الدنيا {إِنَّ الظَّالِمِينَ} إن الظالمين لأنفسهم والطاغين لحدود الله تعالى وعصيانه وإنكاره وتكذيب رسله وإشراكهم بالله تعالى {لَهُمْ عَذَابٌ} لهم عقاب {أَلِيمٌ} شديد وقاس وموجع.

﴿وَأَدْخَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ط تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿١٣﴾﴾

{وَأَدْخَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا} وأدخل الله المؤمنين وهم المصدقون بالله رباً وبالإسلام ديناً وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} عملوا الأعمال الصالحة وأعمال الخير والبر وعبدوا الله تعالى وأطاعوه {جَنَّاتٍ} إحدى الجنات الثمانية بعضهم في جنة عدن أو الخلد أو المأوى وهكذا {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} تجري الأنهار والعيون خلالها ومن تحت أشجارها وقصورها {خَالِدِينَ فِيهَا} دائمون فيها {بِإِذْنِ رَبِّهِمْ} بأمر ربهم {تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} التحية في الجنة للجميع سلام.

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿١٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۗ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۗ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿١٧﴾ ﴾

{ أَلَمْ تَرَ } ألم تنظر يا محمد يا رسول الله { كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا } كيف ضرب الله تعالى وبماذا ضرب الله مثلاً { كَلِمَةً طَيِّبَةً } الكلمة الطيبة كل كلمة فيها خير تأمر به أو تنهى عن شر أو معصية أو إصلاح بين الناس فهي كلمة طيبة وحسنة وأفضل الكلام كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله { كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ } كشجرة مثمرة ثمرها وظلها طيب مثل النخلة { أَصْلُهَا ثَابِتٌ } جذورها عميقة وثابتة في الأرض { وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ } وجذعها أو غصنها يمتد طويلاً (في السماء) في الفضاء أي تُرى عالية ومرتفعة { تُؤْتِي أُكْلَهَا } تؤتي ثمارها وتحمل { كُلَّ حِينٍ } كل عام فلا تستريح عاماً طيلة عمرها دليل على حسنها وفضلها وطيبها { بِإِذْنِ رَبِّهَا } بأمر ربها وإرادته { وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ } ويقول الله تعالى هذه الأمثال للناس عن الكلام الطيب والعمل الصالح { لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } لعلهم يتعظون { وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ } والمثل على الكلمة الخبيثة أي كلمة الشر والسوء والسب واللعان والكفر والإرشاد إلى الضلال والفساد والمعاصي والذنوب والمحرمات { كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ } كشجرة شوك أو حنظل { اجْتُثَّتْ } قطعت { مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ } من على ظهر الأرض { مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ } ليس لها من جذور ولا ثبات فلا أصل لها ثابت ولا

فرع نابت وهكذا قول الشر والقول البذيء والقول السيئ وقول الكفر والمعاصي والإفساد بين الناس لا فائدة منه ترتجى. وعن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٧٧]. وكما قال صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت). [سبل السلام ج ٤ ص ١٨١]. وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل). [أخرجاه في الصحيحين - نزهة المجالس ج ٣ ص ٢٧٤]. {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا} يثبت الله تعالى المؤمنين ويؤيدهم ويعينهم ويرشدهم بالحجج والبراهين إلى قول الحق والثبات والاطمئنان في القول {بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ} بالقول المطمئن والراسخ والحجة والبينة الواضحة والمؤيدة من الله تعالى وبالحجة الداحضة والقول الرزين {فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} في الدنيا {وَفِي الآخِرَةِ} يوم القيامة {وَيُضِلُّ اللَّهُ} ويغوي الله ويبعد عن الحق {الظَّالِمِينَ} الظالمين لأنفسهم بالكفر والشرك {وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} ويعمل الله ما يريد في كونه وفي عذاب الظالمين والطاغين والباغين. قال البخاري: حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة أخبرني علقمة بن مرثد قال سمعت سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله: "يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ"). [ورواه مسلم أيضاً وبقية الجماعة كلهم من حديث شعبة به - ابن كثير ج ٢ ص ٥٣١]. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء ابن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتبهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا

حوله كأن على رؤوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال :
(استعيذوا بالله من عذاب القبر) مرتين أو ثلاثاً ثم قال (إن العبد المؤمن إذا كان في
انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن
وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا
منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس
الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان - قال - فتخرج تسيل كما تسيل القطرة
من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها
فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت
على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها يعني على ملاء من الملائكة إلا قالوا
ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه
بها في الدنيا حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من
كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول
الله اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها
أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان
فيجلسانه فيقولان له من ربك؟ فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك؟ فيقول ديني
الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذين بعث فيكم؟ فيقول هو رسول الله فيقولان
له وما علمك؟ فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء
أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة قال
فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه
حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده
فيقول له من أنت فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير فيقول أنا عمك الصالح فيقول

رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي - قال - وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح فجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب - قال - فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له - ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ " فيقول الله اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طراحاً - ثم قرأ " وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ " فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له من ربك؟ فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما دينك؟ فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول ومن أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر فيقول أنا عمك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة). [ورواه أبو داود من حديث

الأعمش والنسائي وابن ماجه من حديث المنهال بن عمرو به - ابن كثير ج ٢ ص ٥٣٢].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا ۖ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبِينَ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

{ أَلَمْ تَرَ } ألم تنظر يا محمد يا رسول الله بعينيك { إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا } إلى أهل قريش وهم الذين أشركوا وغيروا { نِعْمَتَ اللَّهِ } وهي دين الإسلام والإيمان والقرآن { كُفْرًا } غيروه إلى الكفر وكفروا بالله عوضاً عن الإيمان والقرآن والإسلام { وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ } وأنزلوا قومهم وقبائلهم { دَارَ الْبَوَارِ } دار الهلاك والخسران وهي دخول نار جهنم يوم القيامة { جَهَنَّمَ } نار جهنم { يَصَلُّونَهَا } يحرقون ويعذبون فيها يوم القيامة { وَبِئْسَ الْقَرَارُ } وساء المقر والمصير والنهاية يوم القيامة { وَجَعَلُوا لِلَّهِ } وجعلوا لله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { أُنْدَادًا } شركاء من الأصنام والأوثان { لِيُضِلُّوا } ليبعدوا ويصرفوا الناس { عَنْ سَبِيلِهِ } عن طريق الله وعن عبادته وعن الإسلام { قُلْ } قل لهم يا محمد يا رسول الله { تَمَتَّعُوا } افرحوا وسروا وتلذذوا

وتمتعوا وتنعموا بالكفر والعصيان والذنوب والمحرمات {فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ} فإن
مآلكم ومرجعكم ونهايتكم ومقرمكم {إِلَى النَّارِ} إلى نار جهنم يوم القيامة {قُلْ
لِعِبَادِي} قل لخلقى {الَّذِينَ ءَامَنُوا} الذين صدقوا وآمنوا بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر {يُقِيمُوا الصَّلَاةَ} يؤدوا فرائض الصلاة الخمس في كل يوم في
أوقاتها {وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ} يتصدقوا ويؤدوا زكاة أموالهم {سِرًّا} الصدقات
{وَعَلَانِيَةً} الزكاة. وكذلك الصدقات والزكاة ادفعوها للناس وأدوها: سراً حتى لا
تجرحوا كرامتهم. وعلانيةً حتى يُقتدى بكم {مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ} قبل أن يأتي
عليكم يوم الموت أو يوم القيامة {لَا بَيْعَ فِيهِ} لا تجارة فيه {وَلَا خِلَالَ} ولا
أصدقاء ينفعونكم أو يدافعون عنكم أو يدفعوا حسناتهم إليكم لأن يوم القيامة زلزلة
الساعة فيه شديدة {اللَّهُ} إله الآلهة ورب العالمين جل جلاله وعظم قدره وعلا
شأنه ورب الأرباب {الَّذِي} هو الذي بقدرته {خَلَقَ السَّمَوَاتِ} أوجد السموات
السبع بقدرته {وَالْأَرْضِ} والأرض خلقها وأوجدها من العدم {وَأَنْزَلَ} وأنزل
{مِنَ السَّمَاءِ} ما بين السماء والأرض {مَاءً} ماء المطر {فَأَخْرَجَ بِهِ} فأنبت به
{مِنَ الثَّمَرَاتِ} من أنواع الثمار والفواكه ما تأكلون {رِزْقًا لَّكُمْ} متاعاً لكم وطعاماً
{وَسَخَّرَ لَكُمْ} جعله مسخراً ومنقاداً لكم ولمنفعتكم {الْفُلُوكَ} السفن والبواخر
والمراكب والغواصات {لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ} لتشق عباب البحار والمحيطات لتسهل
بينكم وبين مواصلاتكم وأسفاركم وقراكم ومدائنكم {بِأَمْرِهِ} بأمر الله تعالى
وبمشيئته وقدرته وحكمته {وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ} وجعل لكم الأنهار مسخرة
تجري في أرضكم لتسقي لكم الزرع والشجر والأنعام وتشربون منها ماءً زلالاً

{وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ} وجعل لكم الشمس مسخرة ومذللة تجري في النهار من الصباح إلى المساء ومن المشرق إلى المغرب لا تستريح يوماً ولا تتأخر ولا تتقدم عن موعد طلوعها ولا غروبها إلى يوم القيامة {وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ} وكذلك القمر مستمرين ودائمين في الطلوع والغروب {وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ} وسخر لكم الليل وجعله لكم مسخراً لتستريحوا وتبيتوا وتناموا فيه من تعب ومشقة ذلك اليوم الذي سبقه {وَالنَّهَارَ} وسخر لكم النهار كذلك بطلوع شمسهِ وضيائه طيلة النهار ليساعدكم في طلب العيش وفي طلب الرزق والعمل في ضوء النهار {وَأَعْطَاكُمْ} من كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ من كل ما طلبتم منه أن يعطيه لكم ويساعدكم في الحصول عليه من فرص العمل ومن طلب الرزق ومن الذرية ومن الأولاد ومن الطعام والشراب والمال وكل ما طلبتموه منه من العلم وغيره {وَأِنْ تَعَدُّوا} وإن تحصوا {نِعْمَتَ اللَّهِ} نعم الله وأفضاله ورحمته وما خلق لكم من الطعام والشراب واللحوم والأسماك وقوة الجسم من السمع والبصر والشم والذوق {لَا تُحْصُوهَا} لا تستطيعون عدّها ولا حصرها ولا شكرها {إِنَّ الْإِنْسَانَ} إن الإنسان من بني آدم الذي ينكر هذه النعم ونعم الله الكثيرة عليه التي لا تحصى ولا تعد {لظُلُومٍ} فإنه يظلم نفسه بالكفر والشرك والعصيان والذنوب والمعاصي والآثام والمحرمات ويظلم غيره بالبغي والظلم والطغيان {كفَّارٍ} شديد الكفر بنعم الله تعالى وأفضاله عليه وأقلها فإنه يزدرى نعمة الله عليه ويستقلها ولا يذكرها وينساها زيادة على كفره وجحوده وإنكاره وتكذيبه بعبادة الله تعالى وعدم طاعته ويكفر ولا يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾
 رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ^ط وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ
 رَّحِيمٌ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا
 لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ
 لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ مَا نَخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ وَمَا نَحْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
 فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٩﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ
 وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا
 وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤١﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤٢﴾﴾

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ} عندما ذهب إبراهيم عليه السلام بزوجه هاجر وطفله إسماعيل من مكان سكناه في فلسطين إلى مكة بالجزيرة العربية بأمر الله تعالى ولبناء الكعبة من جديد في مكة بالمملكة العربية السعودية من بعد آدم عليه السلام ومن بعد طوفان نوح عليه السلام ومن بعد أن استودع زوجته وولده إسماعيل في مكة {رَبِّ اجْعَلْ} قال إبراهيم عليه السلام عندها داعياً ربه سبحانه وتعالى ربي وإلهي اجعل {هَذَا الْبَلَدَ} أي مكة {آمِنًا} اجعله مكاناً آميناً ومحرمًا لا قتال فيه ولا يقتل فيه أحد ولا ينفر صيده ولا يقلع شجره وهذا الدعاء من إبراهيم عليه السلام لحماية ولده إسماعيل وزوجه هاجر وذريته من إسماعيل فيما بعد وهذه الدعوة لحفظ الذرية والأهل {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ} وجنبنني وأبعد واصرف عني أنا وأبنائي وذريتي {أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} فلا تجعلنا أنا وذريتي وأبنائي نعبد غيرك من الأصنام والأوثان {رَبِّ} إلهي وخالقي {إِنَّهُمْ} الأصنام والأوثان وعبادتهن

{أَضَلَّنَ} أغوين وأبعدن وصرفن عن عبادة الله تعالى {كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ} أكثر الناس وأغلبهم {فَمَنْ تَبِعَنِي} فمن اقتدى بي واتبعني في عبادة الله تعالى وحده لا شريك له {فَإِنَّهُ مِنِّي} فإنه من ذريتي ومن ديني وملتي ومذهبي {وَمَنْ عَصَانِي} ومن خالفني وأنكر وجحد وكفر وعبد الأوثان والأصنام {فَإِنَّكَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ} فإنك يا الله صفتك العفو والمغفرة والتجاوز عن الأخطاء والمعاصي والذنوب ورحيم بخلقك فلا تعذبهم. وفي الحديث قال عبد الله بن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث أن بكر ابن سودة حدثه عن عبد الرحمن بن جرير عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم عليه السلام: " رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلَنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ " الآية. وقول عيسى عليه السلام: " إِنَّ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ " الآية. ثم رفع يديه ثم قال: (اللهم أمتي اللهم أمتي اللهم أمتي) وبكى فقال الله اذهب يا جبريل إلى محمد وربك أعلم وسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال فقال الله اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك. [ابن كثير ج ٢ ص ٥٤٠]. {رَبَّنَا} إلهنا وخالقنا نحن والكون كله وما فيه {إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي} إني جعلت جزءاً من ذريتي وهو إسماعيل عليه السلام مع أمه هاجر يسكن وأقمته {بَوَادٍ} أي واد مكة لأنها تقع بين الجبال {غَيْرِ ذِي زَرْعٍ} فلا يزرع ولا يوجد به زرع ولا ثمار تؤكل {عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ} أي بجوار المسجد الحرام {رَبَّنَا} إلهنا وخالقنا {لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ} حتى يقيموا الصلاة في بيتك المحرم {فَأَجْعَلْ أَعْيُنَهُمْ} فاجعل قلوب {مِّنَ النَّاسِ} من الناس المؤمنين {تَهْوِي إِلَيْهِمْ} تميل وتتعلق قلوبهم بالبيت الحرام لأداء فريضة الحج والعمرة {وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ} وارزقهم وأكثر عليهم

الخيرات من ثمرات الفواكه والنخيل والرطب والتمر {لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} عسى أن يشكروك على نعمائك وفضلك وكرمك وجودك ومنك وإحسانك وعلى نعمك الكثيرة التي لا تحصى {رَبَّنَا} إلهنا وخالقنا ورب الكون كله {إِنَّكَ تَعْلَمُ} تحيط علماً ومعرفة {مَا خُفِيَ} ما نكتم {وَمَا نُعْلِنُ} وما نظهر من الأسرار من القول والعمل {وَمَا تَخْفَى} وما يغيب {عَلَى اللَّهِ} عن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {مِنْ شَيْءٍ} من أي شيء من الأشياء {فِي الْأَرْضِ} موجودة في الأرض {وَلَا فِي السَّمَاءِ} ولا موجودة في السماء إلا والله تعالى يعلمها ويعرفها ويدري بها {الْحَمْدُ لِلَّهِ} الشكر والثناء والفضل لله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي وَهَبَ لِي} الذي أعطاني وتفضل علي به {عَلَى الْكَبِيرِ} على كبر سني {إِسْمَاعِيلَ} ابنه إسماعيل عليه السلام من هاجر وهو ابنه الأكبر وهو يكبر إسحاق بثلاث عشرة سنة وهو نبي ورسول كما ذكره ابن كثير ج ٢ ص ٥٤٠. {وَإِسْحَاقَ} ثم وهب له إسحاق عليه السلام وهو نبي الله ورسوله من سارة والاثنتان إسماعيل وإسحاق أنبياء ورسول. وإسماعيل عليه السلام هو أبو العرب وفي صحيح مسلم من حديث الأوزاعي عن شداد بن عمار بن وائلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم). [سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٩١]. {إِنَّ رَبِّي} إن ربي الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَسَمِيعٌ} لمجيب {الدُّعَاءِ} الدعوات {رَبِّ أَجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ} قال إبراهيم عليه السلام ربي وخالقي وإلهي اجعلني

من المقيمين الصلاة في أوقاتها والمحافظين عليها {وَمِن ذُرِّيَّتِي} وكذلك اجعل من ذريتي من تقيم الصلاة وتحافظ عليها وهي أمة الإسلام {رَبَّنَا} ربنا وخالقنا وإلهنا ورب الكون كله {وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ} تقبل دعائي يا الله يا رب العالمين {رَبَّنَا} ربنا وإلهنا وخالقنا ورب الكون كله {أَغْفِرْ لِي} سامحني وتجاوز عن سيئاتي أنا {وَلِوَالِدَيْ} ولوالدي ولوالدي مع كفرهما ولكنه لم يتمالك نفسه إلا الدعاء لهما رحمة وشفقة بهم وحتى يخفف عنهم العذاب {وَلِلْمُؤْمِنِينَ} وكذلك اغفر للمؤمنين وتجاوز عن سيئاتهم وذنوبهم {يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} يوم القيامة يوم يقف الناس للحساب والعقاب والثواب في المحشر.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ٤٣ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ٤٤ ﴾ مُهَطِّعِينَ مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْعَدْتَهُمْ هَوَاءً ٤٥ ﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ مُّجِبِّ دَعْوَتِكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ ٤٦ أُولَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ ٤٧ ﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ٤٨ ﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكَرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ٤٩ ﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعْدِهِ ٥٠ ﴾ رُسُلَهُ ٥١ ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ٥٢ ﴾

{وَلَا تَحْسَبَنَّ} ولا تظنن {اللَّهِ} إله الآلهة ورب العالمين ورب الأرباب جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {غَفِيلاً} لاهياً ولا ساهياً {عَمَّا يَعْمَلُ} عما يفعل من الذنوب والكفر والمعاصي {الظَّالِمُونَ} المشركون ومن ظلم نفسه بالكفر

والعصيان والإنكار والشرك والكفر والجحود {إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ} يؤجلهم {لِيَوْمِ} ليوم
القيامة {تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ} تبهت ولا تتحرك العيون وتنظر بخوف ورعب
شديدين {مُهْطِعِينَ} ذليلين {مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ} ناكسي رؤوسهم فلا تتحرك ذلاً
وخوفاً وحسرةً على ما قدموا من الكفر والمعاصي {لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ} لا
يرمشون ولا تتحرك أجفانهم {وَأَفْعَدَتْهُمْ هَوَاءً} قلوبهم فارغة وخاوية من شدة
الخوف والرعب ومن قلة الحسنات {وَأَنْذِرِ النَّاسَ} حذر الناس وخوفهم {يَوْمَ
يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ} يوم يروا العذاب ويقع عليهم يوم القيامة {فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا}
فيقول الظالمون والمشركون والكفار {رَبَّنَا} ربنا وإلهنا وخالقنا {أَخْرَجْنَا} أجلنا {إِلَى
أَجَلٍ قَرِيبٍ} إلى وقت قريب وقليل نرجع فيه إلى الدنيا {لِنُجِبَ دَعْوَتَكَ} نطيع
أوامرك ونجتنب نواهيك {وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ} ونطيع الرسل ونتبعهم {أَوْلَمَ تَكُونُوا
أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ} ألم تقسموا في الدنيا أمام رسلكم وأمام قومكم {مَا لَكُمْ مِّن
زَوَالٍ} لا موت عليكم ولا حساب ولا بعث ولا عقاب {وَسَكَنْتُمْ} وأقمتم {فِي
مَسَكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ} في مساكن وفي مكان الذين ظلموا أنفسهم وظلموا
ذاتهم بالشرك والكفر {وَتَبَيَّنَ لَكُم} واتضح لكم ورأيتم بأعينكم {كَيْفَ فَعَلْنَا
بِهِمْ} كيف عذبناهم بالغرق والخسف والصق والزلازل وأهلكناهم جميعاً {وَصَرَّيْنَا
لَكُمْ الْأَمْثَالَ} وعملنا لكم الأمثال حتى تتعظوا وتعتبروا ولكنكم ضللتم وكفرتم
{وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ} وقد كفروا وخالفوا وجحدوا وأنكروا وكذبوا وهذا مكرهم
{وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ} وعند الله مسجل كفرهم ومخالفتهم وعنادهم كما قال
تعالى: " مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا " ٤٩ الكهف.

{وَأِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ} وإن كان غدرهم وإنكارهم وجحودهم وكفرهم وشركهم {لَتُرْوَلَ مِنْهُ الْجِبَالُ} لتتصدع وتتشقق وتذهب الجبال من شدة كفرهم وعنادهم وجحودهم وإنكارهم وتكذيبهم وظلمهم للرسل {فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ} فلا تظنن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {مُخَلَّفَ} مغير ولا مبدل {وَعَدِيهِ} ما وعد به {رُسُلَهُ} أنبياءه ورسله الذين أرسلهم إلى أقوامهم بنصرة الرسل وعذاب الكفار والمنافقين والمخالفين والجاحدين والمنكرين والمكذبين في نار جهنم يوم القيامة {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ} الله عزيز في ملكه قوي في حكمه وإرادته وقوله وعمله {ذُو أُنْتِقَامٍ} ذو عذاب وعقاب وأخذ وهلاك.

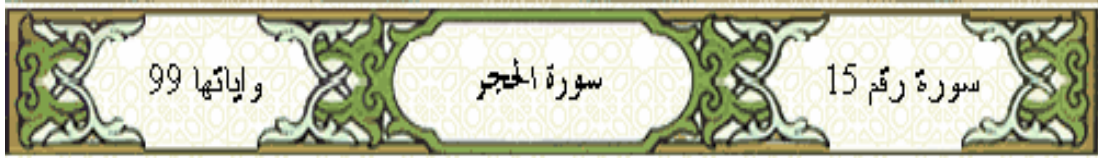
﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ^ط وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِّن قَطْرِانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمْ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾

{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ} يوم يغير الله تعالى الأرض بأخرى غيرها جديدة يوم القيامة لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً {وَالسَّمَوَاتُ} وكذلك يبدل الله ويخلق سبع سموات غيرها جديدة ويبدلها بها {وَبَرَزُوا لِلَّهِ} ظهرُوا وبعثوا وخرجوا من قبورهم أحياء حفاة عراة وهم الناس جميعاً ووقفوا أمام الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْوَّاحِدِ} الذي ليس له ثاني {الْقَهَّارِ} الذي يقهر العباد في الدنيا بالموت ويوم القيامة بالعذاب في نار جهنم فلا أحد يستطيع منع ولا دفع ذلك عنه. قال الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه حدثني الحسن بن علي

الحلواني حدثني أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا معاوية بن سلام عن زيد يعني أخاه أنه سمع أبا سلام حدثني أبو أسماء الرحبي أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه قال: كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه خبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال لم تدفعني؟ فقلت ألا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودي إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي) فقال اليهودي جئت أسألك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أينفعك شيئاً إن حدثتك؟) قال أسمع بأذني فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فقال: (سل) فقال اليهودي أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هم في الظلمة دون الجس) فقال فمن أول الناس إجازة؟ فقال: (فقراء المهاجرين) فقال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: (زيادة كبد النون) قال فما غذائهم في أثرها؟ قال: (ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها) قال فما شرابهم عليه؟ قال: (من عين فيها تسمى سلسبيلاً) قال صدقت قال وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان قال: (أينفعك إن حدثتك؟) قال أسمع بأذني قال جئت أسألك عن الولد قال: (ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله تعالى وإذا علا مني المرأة مني الرجل آثنا بإذن الله) قال اليهودي لقد صدقت وإنك لنبي ثم انصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لقد سألتني هذا عن النبي الذي سألتني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٤٣]. كما جاء في الصحيحين من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيها معلم لأحد). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٤٣]. وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد ابن أبي عدي عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة أنها قالت أنا أول الناس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: " يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ " قالت قلت أين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: (على الصراط). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٤٣]. وروى الإمام أحمد من حديث حبيب بن أبي عمرة عن مجاهد عن ابن عباس حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: " وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ " فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: (هم على متن جهنم). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٤٣]. وهذه الأحاديث تفسر وتوضح قوله تعالى: " وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا " ٧١ مريم. أي أنه عندما تبدل الأرض غير الأرض والسماوات يكون الناس على بداية الجسر وهو الصراط الذي يكون على نار جهنم ويمر عنه الناس فمنهم من يمر عنه كالبرق الخاطف ومنهم من يقع في نار جهنم كل على حسب عمله وهذا مثله عند عبور السفن في البحار ويقف الناس على الجسر أي أمام الجسر انتظاراً لفتح الجسر والعبور عليه { وَتَرَى } وترى يا محمد يا رسول الله { الْمُجْرِمِينَ } المذنبين والعاصين والمخالفين والجاحدين والمنكرين والمكذبين بالله تعالى وبرسوله وكتبه واليوم الآخر تراهم بعينيك وتنظرهم { يَوْمَئِذٍ } يوم القيامة { مُقَرَّنِينَ } مصفدين ومربوطين وموثقين { فِي الْأَصْفَادِ } في الأغلال والسلاسل فتسلسل السلسلة في فمه وتخرج من دبره وتغل يده اليسرى إلى عنقه وتدخل يده اليمنى في فؤاده وتنزع من بين كتفيه وتشد بالسلاسل ويقرن كل آدمي مع شيطان في سلسلة ويسحب على وجهه { سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ } أي ثيابهم وملابسهم تكون مغموسة في قطران وذلك

لشدة التصاقها بالجسم ولاشتعالها أكثر شدة وأطول مدة وأنتن رائحة وأشد عذاباً
 {وَتَغْشَى} وتلفح وتحرق وتصيب {وَجُوهَهُمُ النَّارُ} أي وتحرق وجوههم النار
 {لِيَجْزِيَ اللَّهُ} ليعاقب الله تعالى {كُلَّ نَفْسٍ} كل إنسان وكل واحد من الخلق
 {مَا كَسَبَتْ} ما عملت من خير أو شر يحاسب عليه يوم القيامة من عمل صالحاً
 فيدخله الله تعالى الجنة ومن عمل سوءاً أو معصيةً أو ذنباً أو كفراً أو إشراكاً يعذبه
 الله تعالى في نار جهنم {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى إله الآلهة ورب العالمين ورب
 الأرباب جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {سَرِيعُ الْحِسَابِ} سريع العقاب
 والعذاب {هَذَا بَلَاغٌ} هذا بيان وإنذار وتحذير {لِلنَّاسِ} للخلق جميعهم مسلمهم
 وكافرهم {وَلِيُنذِرُوا بِهِ} وليحذروا به {وَلِيَعْلَمُوا} وليعلموا علم اليقين ويتحققوا
 {أَنَّمَا هُوَ} إنما هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {إِلَهُ وَاحِدٌ} فهو
 إله ورب ومعبود واحد لا شريك له {وَلِيَذَكَّرَ} وليتعض {أُولُوا الْأَلْبَابِ} أصحاب
 الإدراك والعقول السليمة وأصحاب العلم والفهم والتروي والنصح والإرشاد والاتعاظ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾

{الر} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وبنفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وبالله التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جعلت في أول سور القرآن الكريم حتى يُعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تكوّن القرآن من هذه الحروف العربية لذكرت في أوائل جميع سور القرآن. وليست كذلك طلاس لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ

قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢، ١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢، ١ لقمان. وعليه فإن معنى (ال) هو قوله تعالى: " وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ " ٤٤ إبراهيم. {تِلْكَ آيَاتُ} هذه أي أوائل سور القرآن هي آيات {الْكِتَابِ} القرآن وهذا يثبت أن حروف أوائل سور القرآن العظيم هي آيات مختصرة لآيات أخرى سابقة أو لاحقة لقوله تعالى عنها تلك آيات الكتاب والله أعلم {وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ} وهو قرآن عظيم وواضح لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

﴿ رَبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴿٣﴾ ﴾

{رُبَّمَا} يجوز ويمكن {يَوَدُّ} يرغب ويتمنى {الَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار وهم الذين كفروا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأنكروا وجحدوا وكذبوا بها {لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} لو أسلموا وكانوا من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك يوم القيامة عندما يعذب أهل الكبائر في النار فإذا أنفذ الله تعالى حكمه فيهم قال يا جبريل ما فعل العصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم أنت

أعلم بهم فيقول انطلق فانظر ما حالهم فينطلق جبريل عليه الصلاة والسلام إلى مالك وهو على منبر من نار في وسط جهنم فإذا نظر مالك إلى جبريل عليه الصلاة والسلام قام تعظيماً له فيقول يا جبريل ما أدخلك هذا الموضع فيقول ما فعلت بالعصاة العاصية من أمة محمد فيقول مالك ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم قد أحرقت أجسامهم وأكلت لحومهم وبقيت وجوههم وقلوبهم يتلألأ فيها الإيمان فيقول جبريل ارفع الطبق عنهم حتى أنظر إليهم قال فيأمر مالك الخزنة فيرفعون الطبق عنهم فإذا نظروا إلى جبريل وإلى حسن خلقه علموا أنه ليس من ملائكة العذاب فيقولون من هذا العبد الذي لم نر أحداً قط أحسن منه فيقول مالك هذا جبريل الكريم على ربه الذي كان يأتي محمداً صلى الله عليه وسلم بالوحي فإذا سمعوا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم صاحوا بأجمعهم وقالوا يا جبريل أقرئ محمداً صلى الله عليه وسلم منا السلام وأخبره أن معاصينا فرقنا وبيننا وبينك وأخبره بسوء حالنا فينطلق جبريل حتى يقوم بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى كيف رأيت أمة محمد فيقول يا رب ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم فيقول هل سألوك شيئاً فيقول يا رب نعم سألوني أن أقرئ نبيهم منهم السلام وأخبره بسوء حالهم فيقول الله تعالى انطلق وأخبره فينطلق جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في خيمة من درة بيضاء لها أربعة آلاف باب لكل باب مصراعان من ذهب فيقول يا محمد قد جئتك من عند العصاة الذين يعذبون من أمتك في النار وهم يقرئونك السلام ويقولون ما أسوأ حالنا وأضيق مكاننا فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم إلى تحت العرش فيخر ساجداً ويثني على الله تعالى ثناءً لم يثن عليه أحد مثله فيقول الله تعالى ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيقول يا رب الأشقياء من أمتي قد أنفذت فيهم حكمك وانتقمت منهم فشغفني فيهم فيقول الله

تعالى قد شفعتك فيهم فأتت النار فأخرج منها من قال لا إله إلا الله فينطلق النبي صلى الله عليه وسلم فإذا نظر مالك النبي صلى الله عليه وسلم قام تعظيماً له فيقول يا مالك ما حال أمتي الأشقياء فيقول ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم فيقول محمد صلى الله عليه وسلم افتح الباب وارفع الطبق فإذا نظر أهل النار إلى محمد صلى الله عليه وسلم صاحوا بأجمعهم فيقولون يا محمد أحرقت النار جلودنا وأحرقت أكبادنا فيخرجهم جميعاً وقد صاروا فحماً قد أكلتهم النار فينطلق بهم إلى نهر بباب الجنة يسمى نهر الحيوان فيغتسلون منه فيخرجون منه شباباً جرداً مرداً مكحليين وكأن وجوههم مثل القمر مكتوب على جباههم الجهنميون عتقاء الرحمن من النار فيدخلون الجنة فإذا رأى أهل النار أن المسلمين قد أخرجوا منها قالوا يا ليتنا كنا مسلمين وكنا نخرج من النار وهو قوله تعالى: "رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ". [تنبيه الغافلين ص ٢٥]. {ذَرَّهُمْ} دعهم واتركهم {يَأْكُلُوا} يأكلوا المحرمات من الرشوة والخمر وغيرها من المحرمات {وَيَتَمَتَّعُوا} يتلذذوا بشهواتهم وملذاتهم {وَيُلْهِمُهُمْ} ويُطغِيهِمْ وَيُتَوَّهِمُ وَيُضِلُّهُمْ {الْأَمْلُ} المنى والحرص والغرور بطول البقاء في الدنيا {فَسَوْفَ} أي يوم القيامة {يَعْمُونَ} يعلمون بضلالهم وخسرانهم وجحودهم وعقابهم وعذابهم على ذلك الغرور في نار جهنم يوم القيامة وعلى تكذيبهم الرسل.

﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَهِيَ كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا

يَسْتَعْجِرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

{ وَمَا أَهْلَكْنَا } وما دمرنا { مِنْ قَرْيَةٍ } من أمة من الأمم السابقة التي كانت تسكن تلك القرية أو المدينة يا محمد يا رسول الله { إِلَّا وَهِيَ كِتَابٌ مَعْلُومٌ } إلا ولها كتاب منزل عليها فأمة موسى عليه السلام وهم بنو إسرائيل منزل عليهم التوراة وأمة عيسى وقومه وهم النصارى نزل عليهم الإنجيل وكذلك لكل أمة من الأمم السابقة كتاب الأجل كم أجلها وكم عمرها أي كتاب معين ومحدد فيه عمرها وأجلها كما قال تعالى: " لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ " ٣٨ الرعد. { مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا } لا تسبق أي أمة ولا تتقدم عن وقت أجلها المعلوم { وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ } ولا يتأخرون أي لا يتقدم الأجل ولا يتأخر عن وقته المعلوم ولا ساعة.

﴿ وَقَالُوا يَتَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٤٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ

كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٧﴾ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾

{ وَقَالُوا } وقال الكفار { يَتَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ } أي يا محمد الذي نزل عليه { الذِّكْرُ } الذي نزل عليه القرآن { إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ } إنك لمجنون ومعتوه { لَوْ مَا تَأْتِينَا } أفلا تأتينا { بِالْمَلَكَةِ } أفلا تأتي معك ملائكة الله تعالى حتى نراهم بأعيننا { إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } إن كنت من المرسلين حقاً وصدقاً ويقيناً ولم تكن من الكاذبين { مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ } لا تنزل الملائكة عليهم { إِلَّا بِالْحَقِّ } إلا بالموت والهلاك والعذاب. والموت والهلاك يكون عندها سبب النزول { وَمَا كَانُوا إِذَا } ولم

يكونوا عندها إذا { مُنْظَرِينَ } لم يكونوا عندها مؤخرين ولا مهملين ولا مؤجلين بل يأخذهم عذاب الله تعالى بلا تأخير ولا تأجيل.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿٤﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿٥﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿٥﴾ ﴾

{ إِنَّا نَحْنُ } إنا نحن تأكيد التأكيد بأن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يؤكد ويقول إنا نحن أي الله تعالى يا محمد { نَزَّلْنَا الذِّكْرَ } نزلنا عليك القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في بيت العزة ثم أنزلناه إليك بواسطة الوحي جبريل عليه السلام من بيت العزة في السماء الدنيا إليك منجماً أي مفرقاً حسب الوقائع والأحداث { وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } والله تعالى حافظ للقرآن إلى يوم القيامة لا يُغَيَّرُ ولا يُبَدَّلُ ولا يزيد ولا ينقص وتأكيد ذلك على صدق هذه الآية وتأكيدا أنه قد حفظ القرآن الكريم في صدور كثير من الناس وفي المصاحف وفي أشرطة الكاسيت وفي صدور أهل العلم وكثرت المعاهد ودور العلم والمدارس والمساجد في تحفيظ القرآن وإعطاء مكافآت مغرية تشجيعاً على حفظ القرآن في الصدور { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا } ولقد بعثنا رسلاً وأنبياءً { مِنْ قَبْلِكَ } من قبل مجيئك يا محمد يا رسول الله { فِي شِعَابِ } في أحزاب وأمم وأقوام { الْأَوَّلِينَ } السابقين { وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ } وما كان يأتي إليهم نبي ورسول من الله تعالى { إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } إلا كان قومه يسخرون

منه ويضحكون ويكذبون {كَذَّالِكُ} وهكذا {نَسَلُكُهُرُ} نجعله {فِي قُلُوبِ} الْمُجْرِمِينَ} في قلوب الكفار والمذنبين والعاصين والمخالفين والجاحدين والمنكرين والمكذبين بالله تعالى وبرسله وكتبه واليوم الآخر {لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ} لا يصدقون بالقرآن الكريم {وَقَدْ حَلَّتْ} وقد مرت وسبقت ومضت {سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ} شريعة الأولين وصفتهم وتكذيبهم وجحودهم وإنكارهم {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ} ولو فتحنا على الكفار باباً إلى السماء الدنيا {فَظَلُّوا} فداموا واستمروا {فِيهِ يَعْرَجُونَ} فيه يصعدون {لَقَالُوا} لقال الكفار وهم يصعدون في السماء {إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَرْنَا} إنما عميت وغشيت وطمست وسحرت أعيننا فلا نصدق ما نرى {بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ} بل نحن قوم مسنا السحر وسحرنا بهذا الصعود من هذا النبي وهذا الرسول أي إنهم لا يصدقون له معجزة أبداً مهما كانت.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ رَهْتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾

{وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ} ولقد خلق الله تعالى وجعل في السماء الدنيا {بُرُوجًا} أي كواكب كثيرة يتألف منها اثنا عشر برجاً وهم الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت واعلم أن البرج لا يطلع مرة واحدة بل يطلع شيئاً فشيئاً أي درجة درجة فإذا طلع برج في المشرق غاب سابعه في الغرب وسابع البرج يسمى نظيره فالحمل نظيره الميزان أي سابعه والثور نظيره العقرب وهكذا وأن هذه البروج ليست متساوية في مقدار مكثها على الأفق الشرقي {وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ} وزين الله تعالى هذه البروج في السماء الدنيا وزين السماء بهذه البروج والكواكب لاختلاف شكلها ومنظرها وقوة ضوئها وخفقانه

{ وَحَفِظْنَاهَا } وحفظ الله تعالى السماء الدنيا { مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ } والشيطان هو مفرد أولاد إبليس من الجن من الكفار وسمي بشيطان لأنه شاط وابتعد عن الحق لتمرده وعصيانه وابتعاده عن طاعة الله تعالى { رَجِيمٍ } فهو يرمم الحق بالباطل وهو رجيم ومرجوم من الله تعالى أي معذب في الدنيا بالشهب وفي الآخرة بالعذاب في نار جهنم. وشيطان رجيم أي شيطان معذب من الله تعالى ومرجوم أي ملعون من الله ومن الناس في الدنيا وفي الآخرة معذب في نار جهنم { إِلَّا مَنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ } إلا الشيطان من الجن وهو كافرهم الذي يسترق ويسرق استماع الكلمة من السماء من حديث الملائكة الأعلی وهم الملائكة سكان السماء فيما يعلمونه من الله تعالى من حكمه وأمره فهذا الذي يسترق السمع { فَأَتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ } فألحقه بـ (شهاب) نجم أو كوكب يلتهب ناراً يلحق بالشيطان ليحرقه (مبين) عظيم الالتهاب والحرق. وهذه الشهب ترصد الشياطين التي تستمع في السماء الدنيا للملائكة فالشهب تلحقها وتحرقها كالصواريخ التي تنطلق تلقائياً على الطائرات عند عبورها مجال الصواريخ كما جاء في الصحيح كما قال البخاري في تفسير هذه الآية: حدثنا علي ابن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان) قال علي وقال غيره صفوان ينفذهم ذلك فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض وربما قال سفيان حتى تنتهي إلى الأرض فتلقى على فم

الساحر أو الكاهن فيكذب معها مائة كذبة فيصدق فيقولون ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقاً للكلمة التي سمعت من السماء. [ابن كثير ج ٢ ص ٥٤٨].

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿١٦﴾ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٧﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

{وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا} والأرض بسطناها ووسعناها {وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ} وجعل الله فيها جبلاً تثبتتها لعدم اضطرابها أو تحركها عن مكانها أو قلبها رأساً على عقب فالجبال تثبتتها كالمرسى الذي يثبت السفينة في البحر فلا تنجرف مع الأمواج والرياح وهكذا الجبال تثبتت الأرض وترسيها وتثبتتها وتبقيها في مكانها {وَأَنْبَتْنَا فِيهَا} وجعل الله ينبت في الأرض {مِنْ كُلِّ شَيْءٍ} من الأشجار والنباتات والأعشاب الكثيرة النوع والصفة والمسمى {مَّوْزُونٍ} له قيمة ووزن وطعم ولذة وفائدة {وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا} وجعلنا لكم أيها الناس {فِيهَا} في الأرض {مَعِيشَ} حرفاً وصناعاتٍ وأعمالاً يعيشون منها ورزقاً حسناً {وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ} ومن لا ترزقونه ولا تعيشونه ولم ترزقونه من الطيور والحشرات والبكتيريا والحيوانات المفترسة أو غيرها {وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ} وما من شيء في الكون {إِلَّا عِنْدَنَا} إلا عند الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {خَزَائِنُهُ} إلا هو مخزون في علم الله تعالى {وَمَا نُنزِلُهُ} ولا ينزله الله تعالى {إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ} إلا بقدر معلوم ومعروف

ومقسوم ومعين في الكم والكيف والنوع بأمر الله تعالى {وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ} ويبعث الله تعالى بالرياح الشديدة لتلقيح الثمار للأشجار والنباتات زيادة على تلقيح الناس لبعض الأشجار التي تحتاج تلقيح زيادة وأكثر مثل النخيل وشجرة الكوسا والقرع {فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} ينزل الله تعالى غالباً في فصل الشتاء الأمطار من السماء {فَأَسْقَيْنَكُمُوهُ} لنسقيكم منه أنتم وحيواناتكم وأشجاركم {وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ} وما أنتم له بحافظين أصله وكميته لأن عند الله خزائنه وبحاره وأنهاره وعيونه التي يتبخر منها لتحمله الرياح ثم ينزل عليكم مطراً.

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَحُنُ الْوَارِثُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ

عَلِمْنَا الْمُسْتَخْرِينَ ﴿١٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ تَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ رَحِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا

الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿١٦﴾ ﴾

{وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ} وأن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يؤكد

تأكيد التأكيد وجاءت إنا ونحن بصيغة الجمع تبجيلاً وتعظيماً لذات الله تعالى بأنه هو الذي يحيي الخلق من العدم أي يخلقهم ويميتهم عند انقضاء أجلهم وأعمارهم {وَحُنُ الْوَارِثُونَ} والله تعالى هو الذي يرث الأرض ومن عليها ويرث ملك السموات والأرض وما فيهن وإليه يحشر الخلق يوم القيامة بعد إحيائهم من بعد موتهم {وَلَقَدْ عَلِمْنَا} ولقد علم الله تعالى من الأزل {الْمُسْتَقْدِمِينَ} من يبدأ به الخلق كآدم هو أول من خلق من بني آدم وهو أبوهم ومن بعده ذريته وكذلك إبليس هو أول الخلق وأبو الجن والشياطين ومن بعده ذريته من الجن والشياطين وهكذا. فعلم الله تعالى بداية الخلق {مِنْكُمْ} منكم أيها الناس أي علم الله الأمم من آدم عليه السلام ومن بعده كأمة إدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم وموسى وداود

وسليمان وعيسى {وَلَقَدْ عَامَنَا الْمُسْتَخْرِينَ} وكذلك عَلِمَ اللهُ بآخر الأمم وهي أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالترتيب كالصحابه ثم التابعين وهكذا من يأتي بعدهم من القرون التالية من المستأخرين. قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقبلوا البشرى يا بني تميم) قالوا قد بشرتنا فأعطنا قال: (اقبلوا البشرى يا أهل اليمن) قالوا قد قبلنا. فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان؟ قال: (كان الله قبل كل شيء وكان عرشه على الماء وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء) قال فأتاني آت فقال يا عمران انحلت ناقتك من عقالها قال فخرجت في إثرها فلا أدري ما كان بعدي ، وهذا الحديث مخرج في صحيح البخاري ومسلم بألفاظ كثيرة فمنها قالوا جنناك نسألك عن أول هذا الأمر فقال: (كان الله ولم يكن شيء قبله وفي رواية - غيره - وفي رواية - معه - وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٧]. {وَإِنَّ رَبَّكَ} وإن ربك وخالقك يا محمد يا رسول الله {هُوَ تَحْشُرُهُمْ} هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو الذي يحشر الناس في المحشر في بيت المقدس يوم القيامة للحساب {إِنَّهُرْ حَكِيمٌ} ذو حكمة في أوامره ونواهيه وفي ملكه وفي خلقه ولا يخطئ أبداً {عَلِيمٌ} يعلم ويدري ويعرف بكل شيء في ملكه ومحيط وخبير به وبأفعالكم وبأعمالكم أيها الناس جميعاً {وَلَقَدْ خَلَقْنَا} وقد خلق الله تعالى {الْإِنْسَانَ} بني آدم

{ مِنْ صَلَّصَلٍ } من طين جامد ويابس وعند فركه له صلصلة وصوت وهذا يدل على أنه صافٍ من الشوائب وأصلي { مِنْ حَمَائٍ } من طين حار أي طينة حرة وأصلية وعند خلطها بالماء تكون كالطين المطبوخ ويعطي لونها ويميل إلى السواد قليلاً وهي طينة خالصة وحررة وصافية وتستعمل عند أهل القرى والفلاحين كأفران للخبز لجودتها وحسنها وقوتها وتماسكها وصلابتها { مَسُونٍ } من طين ناعم وأملس ولزج بعد خلطه بالماء وكما قال تعالى في آية أخرى: " إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ " ١١ الصافات.

﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ ﴾

{ وَالْجَانَّ } وهو ذرية إبليس كالإنسان من ذرية آدم { خَلَقْنَاهُ } خلق الله تعالى الجان وهو من ذرية إبليس كما أسلفنا { مِنْ قَبْلُ } أي قبل خلق آدم وبني الإنسان فالجان أقدم في الخلقة من آدم وذريته { مِنْ نَّارِ السَّمُومِ } وخلق الله تعالى أصل الجان وهو إبليس من لسان لهب النار المتوهجة الشديدة الحرارة كما قال تعالى: " وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ " ١٥ الرحمن. وقد ورد في الصحيح: (خلقت الملائكة من نور وخلقت الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٥٠]. وهنا يتبين أن الجان ليس هم أصل الخلقة كما في ظاهر الآية: " وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ " فالأصل هو إبليس الذي خلق من نار السموم وكما جاء في الآية التي قبلها: " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلَّصَالٍ مِنْ حَمَائٍ مَسُونٍ " والأصل هو خلق آدم من الطين وليس الإنسان فمثله الجان ليس هو الأصل بل هو من ذرية إبليس والأصل إبليس. وهذا يعني أن أصل خلق الإنسان

هو الطين وكذلك أصل خلقة الجان هو من نار السموم والإنسان أصله آدم والجان أصله إبليس.

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ} عندما قال ربك وخالقك وإلهك يا محمد يا رسول الله {لِلْمَلٰٓئِكَةِ} لجمع من الملائكة {إِنِّي} إني أنا الله تعالى {خَلَقْتُ بَشَرًا} سأخلق بشراً وهو آدم {مِّنْ صَلْصَلٍ} من طين جامد ويابس وعند فركه له صلصلة وصوت دلالة على أنه صاف من الشوائب وأصلي كالطين الذي يصنع منه الفخار {مِّنْ حَمَإٍ} من طين حار أي طينة حُرّة وأصلية وعند خلطها بالماء تكون كالطين المطبوخ ويميل لونها إلى السواد قليلاً وهي طينة خالصة وحُرّة وصافية وتستعمل عند أهل القرى والفلاحين كأفران للخبز لجودتها وحسنها وقوتها وتماسكها وصلابتها {مَّسْنُونٍ} من طين ناعم وأملس ولزج بعد خلطه بالماء وكما قال تعالى في آية أخرى: " إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّزِبٍ " ١١ الصافات. {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ} أي أتممت صورته وهيكله {وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي} أي وضعت فيه الروح والحياة وهما من خلقي وبقدرتي

وبأمري وحكمتي وأصبح بشراً سوياً أي الكامل الخلقة والحياة البشرية {فَقَعُوا لَهُ رُءُوسَهُمْ} أي اسجدوا له سجود الطاعة والولاء والاحترام والتقدير والخضوع والعرفان بحقه ومنزلته عند الله تعالى {فَسَجَدَ} فأطاع وسجد له {الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ} سجد جميع الملائكة الحاضرون والمأمورون من الله تعالى له بالسجود والطاعة {إِلَّا إِبْلِيسَ} ما عدا إبليس وهو أصل خلقة الجن وأبو الجن والشياطين ومثله مثل آدم أصل خلقة الإنس وأبو البشر وهم بنو آدم جميعهم واسم إبليس هو إبليس كما أن اسم آدم هو آدم والاسم لا يُعَرَّفُ وقيل معنى إبليس أنه أبلس أي امتنع عن اتباع الحق {أَبَى} رفض وامتنع {أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ} رفض السجود مع الساجدين وامتنع عن السجود مع الملائكة الذين أطاعوا أمر الله تعالى وسجدوا كلهم إلا إبليس {قَالَ} قال الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَتَّابِلِيسُ مَا لَكَ} يا إبليس لماذا {إِلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ} رفضت أن تكون مع من سجد وأطاع أمر الله تعالى والسؤال هو استنكاري وليس سؤال معرفة السبب لأن الله تعالى علام الغيوب " أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " {قَالَ} قال إبليس مجيباً {لَمْ أَكُنْ} لا يمكن {لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ} لأسجد لشخص وهو آدم {خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ} خلقته من طين مطبوخ ومعجون ولزج. وذلك أنه لما أراد الله تعالى خلق آدم عليه السلام وكون شكله وهو من الطين المجوف ومكث أمام باب الجنة حتى يجف قيل لمدة أربعين سنة حتى نفخ الله فيه الروح وكان في خلال تلك المدة كان إبليس يدخل من فمه ويخرج من دبره ويركله برجله ويقول لو سلطني الله عليك. [هامش نزهة المجالس ج ٢ ص ٩٩]. والأعجب أنه بعد خلق آدم لا يزال إبليس وذريته الشياطين تجري من ابن آدم

مجرى الدم بالعروق كما جاء في الحديث الصحيح وسبب عدم سجوده وحسده لآدم عليه السلام هو لأنه خلق من نار وآدم خلق من طين فظن أن النار أفضل من الطين ونسي أن الخالق والامر هو الله تعالى والمعصية ليست ضد آدم ولكنها معصية لله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه والسبب الآخر أن كل شيء يرجع إلى أصله فخان إبليسَ الطبعُ لأن خلقته من مارج من نار وحتى يتبين أن أصله ليس من الملائكة لأنهم خلُقوا من نور وإبليس خلُق من نار والدليل على أنه ليس من الملائكة أولاً لأن له ذرية وليست للملائكة ذرية أي لا يتزاوجون ولا يتكاثرون بالنسل كما لإبليس زوجات وذرية ويتكاثروا بالنسل كما قال تعالى: "أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ" ٥٠ الكهف. ثانياً أن الملائكة لا تأكل ولا تشرب وأما إبليس وذريته فيأكلون ويشربون كما جاء في الحديث: قال صلى الله عليه وسلم: (أولئك جن نصيبين - سألوني المتاع - والمتاع الزاد - فمتعتهم بكل عظم حائل أو بعة أو روثة فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (إنهم لا يجدون عظماً إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثاً إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت فلا يستنقي أحد منكم إذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعة ولا روثة - أي لا يستنجي بهم). [ابن كثير ج ٤ ص ١٦٥]. وأخرج مسلم في حديث ابن مسعود وفيه قال صلى الله عليه وسلم للجن لما سأله الزاد قال: (لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه أوفر ما يكون لحمًا وكل بعة علف لدوابكم). [سبل السلام ج ١ ص ٧٩]. وثالثاً أن الملائكة لا تموت إلى يوم القيامة أما الجن فإنهم يموتون هم والشياطين ما عدا إبليس الذي طلب من الله تعالى أن يؤجله إلى يوم القيامة كما قال تعالى: " قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {٣٦} قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ {٣٧} إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ {٣٨} " ٣٦-٣٨ الحجر. رابعاً أن

إبليس لا يشبه الملائكة في خواصهم وإنما خواصه تشبه خواص ذريته من الجن مثل آدم الذي يشبه ذريته من البشر في خواصهم وقد قال تعالى: " إِلَّا إبليسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ " ٥٠ الكهف. وقال الحسن البصري: (ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط وإنه لأصل الجن كما أن آدم عليه السلام أصل البشر). [رواه ابن جرير بإسناد صحيح - ابن كثير ج ٣ ص ٨٨]. {قَالَ} قال الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {فَأَخْرَجَ مِنْهَا} أي ليس لك ذلك من الفضل في الخلقة على آدم {فَإِنَّكَ رَجِيمٌ} فإنك ملعون مطرود من رحمة الله تعالى (رجيم) فهو يرمم الحق بالباطل وهو رجيم ومرجوم من الله تعالى أي معذب بالشهب في الدنيا تحرقه وفي الآخرة بالعذاب في نار جهنم و(رجيم) معذب وملعون ومرجوم أي ملعون من الله ومن الناس في الدنيا وفي الآخرة معذب في نار جهنم {وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ} عليك لعنة الله تعالى والناس بالشتم والسب واللعن {إِلَى يَوْمِ الدِّينِ} إلى يوم القيامة {قَالَ} قال إبليس لعنه الله {رَبِّ} إلهي وخالقي {فَأَنْظِرْنِي} أخرني وأجلني وأمهلني {إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ} أي إلى يوم القيامة يوم يُبعث الناس أحياءً من قبورهم وهو يوم القيامة {قَالَ} قال الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ} فإنك من المؤجلين والممهلين والمؤخرين {إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ} إلى الوقت المعروف وهو يوم القيامة للحساب النهائي والدائم في نار جهنم.

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٨﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ هَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤١﴾ ﴾

{ قَالَ } قال إبليس { رَبِّ } إلهي وخالقي { بِمَا أَغْوَيْتَنِي } بسبب ما أغويتني من أجله وفتنتني بسببه وهو عدم السجود لآدم وهو قَسَمٌ من إبليس ووعد منه بإغواء آدم وذريته { لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ } لأزين وأجمل وأزخرف وأحلي لبني آدم الزينة والجمال والفتنة لكل شيء وخاصة النساء والمال وكل ما في الأرض { وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ } ولا أضلنهم ولا فتننهم وأغربنهم بالشهوات والنساء والملذات والفتن والمحرمات { أَجْمَعِينَ } جميع الناس وكلهم ذكورهم وإناثهم رجالهم ونساءهم { إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ } إلا عبادك الصادقين والصالحين والمتقين والحافظين لحدود الله { قَالَ } قال الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ } هذا عليّ عهد ووعد ملتزم به ولا أحميد عنه وهو طريقي وصراطي وعملي وفعلي { إِنَّ عِبَادِي } إن عبادي المخلصين والمتقين والصالحين والحافظين لحدود الله والصادقين { لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ } ليس لك عليهم حكم ولا أمر ولا إغواء { إِلَّا } إلا استثناء { مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } إلا من اتبعك من المنحرفين والمفتونين والباغين والظالمين والمذنبين والعاصين والمستهترين وأصحاب الشهوات والملذات والمحرمات { وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ } وإن نار جهنم تنتظرهم وهي مآلهم ومصيرهم ونهايتهم ومقرهم { أَجْمَعِينَ } كل من عصى الله

تعالى وأنكر وجحد وكذب بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ} إلى جهنم سبعة أبواب طباقاً أي بعضها فوق بعض. قال إسرائيل عن أبي إسحاق عن هبيرة بن أبي مريم عن علي رضي الله عنه قال: أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيمتلى الأول ثم الثاني ثم الثالث حتى تمتلى كلها ، وقال عكرمة: سبعة أبواب سبعة أطباق ، وقال ابن جريج سبعة أبواب أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية. [ابن كثير ج ٢ ص ٥٥٢]. وعن أنس بن مالك قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في ساعة ما كان يأتيه فيها متغير اللون فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مالي أراك متغير اللون فقال يا محمد جئتك في الساعة التي أمر الله بمنافخ النار أن تنفخ فيها ولا ينبغي لمن يعلم أن جهنم حق وأن النار حق وأن عذاب القبر حق وأن عذاب الله أكبر أن تقر عينه حتى يأمنها فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل صف لي جهنم قال نعم إن الله تعالى لما خلق جهنم أوقد عليها ألف سنة فاحمرت ثم أوقد عليها ألف سنة فابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة فاسودت فهي سوداء مظلمة لا ينطفئ لهبها ولا جمرها والذي بعثك لو أن مثل خرم إبرة فتح منها لاحترق أهل الدنيا عن آخرهم من حرها والذي بعثك بالحق لو أن ثوباً من أثواب أهل النار علق بين السماء والأرض ل مات جميع أهل الأرض من ننتها وحرها عن آخرهم لما يجدون من حرها والذي بعثك بالحق نبياً لو أن ذراعاً من السلسلة التي ذكرها الله تعالى في كتابه وضع على جبل لذاب حتى يبلغ الأرض السابعة والذي بعثك بالحق نبياً لو أن رجلاً بالمغرب يعذب لاحترق الذي بالمشرق من شدة عذابها - حرها شديد وقعرها بعيد وحليها حديد وشرابها الحميم والصديد وثيابها مقطعات النيران لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ

مَقْسُومٌ من الرجال والنساء فقال صلى الله عليه وسلم أهي كأبوابنا هذه؟ قال لا ولكنها مفتوحة بعضها أسفل من بعض من باب إلى باب مسيرة سبعين سنة كل باب منها أشد حراً من الذي يليه سبعين ضعفاً يساق أعداء الله إليها فإذا انتهوا إلى بابها استقبلتهم الزبانية بالأغلال والسلاسل فتسلك السلسلة في فمه وتخرج من دبره وتغل يده اليسرى إلى عنقه وتدخل يده اليمنى في فؤاده فتنزح من بين كتفيه وتشد بالسلاسل ويقرن كل آدمي مع شيطان في سلسلة ويسحب على وجهه وتضربه الملائكة بمقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سكان هذه الأبواب؟ فقال أما الباب الأسفل ففيه المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون واسمها الهاوية والباب الثاني فيه المشركون واسمه الجحيم والباب الثالث فيه الصابئون واسمه سقر والباب الرابع فيه إبليس ومن تبعه والمجوس واسمه لظى والباب الخامس فيه اليهود واسمه الحطمة والباب السادس فيه النصارى واسمه السعير ثم أمسك جبريل حياءً من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام ألا تخبرني من سكان الباب السابع؟ فقال فيه أهل الكبائر من أمتك الذين ماتوا ولم يتوبوا فخرّ النبي صلى الله عليه وسلم مغشياً عليه فوضع جبريل رأسه على حجره حتى أفاق فلما أفاق قال يا جبريل عظمت مصيبتى واشتد حزني أو يدخل أحد من أمتي النار؟ قال نعم أهل الكبائر من أمتك ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله واحتجب عن الناس فكان لا يخرج إلا إلى الصلاة يصلي ويدخل ولا يكلم أحداً ويأخذ في الصلاة ويبكي ويتضرع إلى الله تعالى فلما كان اليوم الثالث أقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى وقف بالباب وقال السلام عليكم يا أهل بيت

الرحمة هل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبيل؟ فلم يجبه أحد فتنحى باكياً فأقبل عمر رضي الله عنه فوقف بالباب وقال السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة هل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبيل؟ فلم يجبه أحد فتنحى وهو يبكي فأقبل سلمان الفارسي حتى وقف بالباب وقال السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة هل إلى مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبيل؟ فلم يجبه أحد فأقبل يبكي مرة ويقع مرة ويقوم أخرى حتى أتى بيت فاطمة ووقف بالباب ثم قال السلام عليك يا ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان علي رضي الله عنه غائباً فقال يا ابنة رسول الله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد احتجب عن الناس فليس يخرج إلا إلى الصلاة فلا يكلم أحداً ولا يأذن لأحد في الدخول عليه فاشتملت فاطمة بعباءة قطوانية وأقبلت حتى وقفت على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سلمت وقالت يا رسول الله أنا فاطمة ورسول الله ساجد يبكي فرفع رأسه وقال ما بال قرّة عيني فاطمة حجبت عني افتحوا لها الباب ففتح لها الباب فدخلت فلما نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكت بكاءً شديداً لما رأت من حاله مصفراً متغيراً قد ذاب لحم وجهه من البكاء والحزن فقالت يا رسول الله ما الذي نزل عليك؟ فقال يا فاطمة جاءني جبريل ووصف لي أبواب جهنم وأخبرني أن في أعلى بابها أهل الكبائر من أمتي فذلك الذي أبكاني وأحزنتني قالت يا رسول الله كيف يدخلونها؟ قال بلى تسوقهم الملائكة إلى النار ولا تسود وجوههم ولا تزرق أعينهم ولا يختم على أفواههم ولا يقرنون مع الشياطين ولا يوضع عليهم السلاسل والأغلال قالت قلت يا رسول الله وكيف تقودهم الملائكة؟ فقال أما الرجال فباللحي وأما النساء فبالذوائب والنواصي فكم من ذي شيبة من أمتي يقبض على لحيته ويقاد إلى

النار وهو ينادي واشيبتاه واضعفاه وكم من شاب قد قبض على لحيته يساق إلى النار وهو ينادي واشباباه وأحسن صورته وكم من امرأة من أمتي قد قبض على ناصيتها تقاد إلى النار وهي تنادي وافضيحتاه واهتك ستره حتى ينتهي بهم إلى مالك فإذا نظر إليهم مالك قال للملائكة من هؤلاء؟ فما ورد عليّ من الأشقياء أعجب شأناً من هؤلاء لم تسود وجوههم ولم تزرق أعينهم ولم يختم على أفواههم ولم يقرنوا مع الشياطين ولم توضع السلاسل والأغلال في أعناقهم فتقول الملائكة هكذا أمرنا أن نأتيك بهم على هذه الحالة فيقول لهم مالك يا معشر الأشقياء من أنتم؟ وروي في خبر آخر أنهم لما قادتهم الملائكة ينادون وامحمداه فلما رأوا مالكا نسوا اسم محمد صلى الله عليه وسلم من هيبتة فيقول لهم من أنتم فيقولون نحن ممن أنزل علينا القرآن ونحن ممن يصوم رمضان فيقول مالك ما نزل القرآن إلا على أمة محمد صلى الله عليه وسلم فإذا سمعوا اسم محمد صاحوا وقالوا نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لهم مالك أما كان لكم في القرآن زاجر عن معاصي الله تعالى فإذا وقف بهم على شفير جهنم ونظروا إلى النار وإلى الزبانية قالوا يا مالك ائذن لنا فنبكي على أنفسنا فيأذن لهم فيبكون الدموع حتى لم يبق لهم دموع فيبكون الدم فيقول مالك ما أحسن هذا البكاء لو كان في الدنيا فلو كان هذا البكاء في الدنيا من خشية الله ما مستكم النار اليوم فيقول مالك للزبانية ألقوهم ألقوهم في النار فإذا ألقوا في النار نادوا بأجمعهم لا إله إلا الله فترجع النار عنهم فيقول مالك يا نار خذيهم فتقول كيف آخذهم وهم يقولون لا إله إلا الله فيقول مالك للنار خذيهم فتقول كيف آخذهم وهم يقولون لا إله إلا الله فيقول مالك نعم بذلك أمر رب العرش فتأخذهم فمنهم من تأخذه إلى قدميه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حقويه ومنهم من تأخذه إلى

حلقة فإذا أهوت النار إلى وجهه قال مالك لا تحرقني وجوههم فطالما سجدوا للرحمن في الدنيا ولا تحرقني قلوبهم فطالما عطشوا في شهر رمضان فيبقون ما شاء الله فيها ويقولون يا أرحم الراحمين يا حنان يا منان فإذا أنفذ الله تعالى حكمه قال يا جبريل ما فعل العصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم أنت أعلم بهم فيقول انطلق فانظر ما حالهم فينطلق جبريل عليه الصلاة والسلام إلى مالك وهو على منبر من نار في وسط جهنم فإذا نظر مالك إلى جبريل عليه الصلاة والسلام قام تعظيماً له فيقول يا جبريل ما أدخلك هذا الموضع فيقول ما فعلت بالعصاة العاصية من أمة محمد؟ فيقول مالك ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم قد أحرقت أجسامهم وأكلت لحومهم وبقيت وجوههم وقلوبهم يتلألاً فيها الإيمان فيقول جبريل ارفع الطبق عنهم حتى أنظر إليهم قال فيأمر مالك الخزنة فيرفعون الطبق عنهم فإذا نظروا إلى جبريل وإلى حسن خلقه علموا أنه ليس من ملائكة العذاب فيقولون من هذا العبد الذي لم نر أحداً قط أحسن منه فيقول مالك هذا جبريل الكريم على ربه الذي كان يأتي محمداً صلى الله عليه وسلم بالوحي فإذا سمعوا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم صاحوا بأجمعهم وقالوا يا جبريل أقرئ محمداً صلى الله عليه وسلم منا السلام وأخبره أن معاصينا فرقت بيننا وبينك وأخبره بسوء حالنا فينطلق جبريل حتى يقوم بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى كيف رأيت أمة محمد فيقول يا رب ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم فيقول هل سألوك شيئاً فيقول يا رب نعم سألوني أن أقرئ نبيهم منهم السلام وأخبره بسوء حالهم فيقول الله تعالى انطلق وأخبره فينطلق جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في خيمة من درة بيضاء لها أربعة آلاف باب لكل باب مصراعان من ذهب فيقول يا محمد قد جئتك من عند العصاة العاصاة

الذين يعذبون من أمتك في النار وهم يقرءونك السلام ويقولون ما أسوأ حالنا وأضيق مكاننا فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم إلى تحت العرش فيخر ساجداً ويثني على الله تعالى ثناء لم يثن عليه أحد مثله فيقول الله تعالى ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيقول يا رب الأشقياء من أمتي قد أنفذت فيهم حكمك وانتقمت منهم فشعني فيهم فيقول الله تعالى قد شفعتك فيهم فانت النار فأخرج منها من قال لا إله إلا الله فينطلق النبي صلى الله عليه وسلم فإذا نظر مالك النبي صلى الله عليه وسلم قام تعظيماً له فيقول يا مالك ما حال أمتي الأشقياء فيقول ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم فيقول محمد صلى الله عليه وسلم افتح الباب وارفع الطبق فإذا نظر أهل النار إلى محمد صلى الله عليه وسلم صاحوا بأجمعهم فيقولون يا محمد أحرقت النار جلودنا وأحرقت أكبادنا فيخرجهم جميعاً وقد صاروا فحماً قد أكلتهم النار فينطلق بهم إلى نهر بباب الجنة يسمى نهر الحيوان فيغتسلون منه فيخرجون منه شباباً جرداً مرداً مكحلين وكأن وجوههم مثل القمر مكتوب على جباههم الجهنميون عتقاء الرحمن من النار فيدخلون الجنة فإذا رأى أهل النار أن المسلمين قد أخرجوا منها قالوا يا ليتنا كنا مسلمين وكنا نخرج من النار وهو قوله تعالى: "رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ". [تنبيه الغافلين ص ٢٥]. {لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ} لكل باب من أبواب جهنم قسم معين حسب عمله وكما أسلفنا في الحديث السابق فإن الباب الأسفل واسمه الهاوية فيه المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون والباب الثاني اسمه الجحيم ويدخل فيه المشركون والباب الثالث سقر فيه الصابئون (لا دين لهم) والباب الرابع اسمه لظى فيه إبليس ومن تبعه من المجوس والباب الخامس واسمه الحطمة فيه اليهود والباب السادس اسمه

السعير فيه النصارى والباب السابع اسمه جهنم يدخل فيه أهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الأبواب جميعها ذكرت في الحديث السابق من كتاب تنبيه الغافلين ص ٢٣.

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوها بِسَلْمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ} المتقون هم الذين يخشون الله تعالى ويخافون عقابه وعذابه ويبتعدون عن معاصيه ولا يتعدون حدود الله تعالى ويعبدونه وحده ويطيعونه في أوامره ونواهيه {فِي جَنَّاتٍ} أي في إحدى الجنات الثمانية وهي دار الجلال ودار السلام وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة الفردوس وجنة عدن ودار القرار. [نزهة المجالس ج ٢ ص ٢١٧]. وفي البخاري ومسلم من حديث أبي حازم سلمة بن دينار عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن في الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون). [ابن كثير ج ٤ ص ٦٧]. وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء). [ابن كثير ج ٤ ص ٦٧]. ودخول الجنات حسب عمل كل شخص {وَعُيُونٍ} وفي الجنة أنهار وعيون من الماء {أَدْخُلُوها} أي تقول لهم الملائكة يا أيها المتقون ادخلوا الجنة {بِسَلْمٍ} باطمئنان {ءَامِنِينَ} غير خائفين ولا مرعوبين وفي أمان الله تعالى

{وَنَزَعْنَا} وأخذنا وصرفنا {مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ} ما في قلوبهم من حقد وحسد وعداوة وبغضاء وشحناء {إِخْوَانًا} إخوة متحابين {عَلَىٰ سُرُرٍ} وهي جمع سرير لكل واحد منهم {مُتَقَابِلِينَ} وجوههم إلى بعضهم يتسامرون {لَا يَمَسُّهُمْ} لا يصيبهم {فِيهَا} في الجنة يوم القيامة {نَصَبٌ} تعب ولا مشقة {وَمَا هُمْ مِّنْهَا} وليس هم منها {بِمُخْرَجِينَ} بمطرودين ولا مبعدين.

﴿ نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبَّيْتُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلْمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبْرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشْرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَنِطِينِ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

{نَبِيٌّ} أخبر وأعلم {عِبَادِي} خلقي {أَنِّي أَنَا} أنا الله تعالى {الْغَفُورُ} أغفر الذنوب لمن تاب وندم ورجع عن ذنبه {الرَّحِيمُ} أرحم كل من تاب ورحيم بالمؤمنين بإدخالهم الجنة يوم القيامة ولا أعذبهم {وَأَنَّ عَذَابِي} وأن عقابي هو للعاصين والمذنبين والجاحدين والمكذبين بالله ورسوله وكتبه واليوم الآخر وأن عذابي يوم القيامة {هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} هو العذاب الشديد والأليم والموجع والقاسي يوم القيامة {وَنَبَّيْتُهُمْ} أخبرهم وأعلمهم {عَنْ ضَيْفٍ} عن ضيوف {إِبْرَاهِيمَ} إبراهيم عليه السلام وهو إبراهيم الخليل ابن آزر وهو نبي الله ورسوله {إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ} عندما دخل عليه الملائكة جبريل عليه السلام وميكائيل وإسرافيل على صفة ضيوف وفي صفة رجال من بني آدم {فَقَالُوا سَلَمًا} قالوا له

محيين وألقوا عليه التحية وقالوا سلاماً {قَالَ} قال إبراهيم عليه السلام {إِنَّا مِنْكُمْ وَجُلُونَ} إنا منكم خائفون لأنه عندما قدم لهم العجل الحنيذ لم يأكلوا منه وعادة الضيوف تأكل الطعام عند المضيف فإذا أكلوا لا يخشاهم لأن العادة عندهم ألا يخون الضيف إذا أكل من طعام المضيف ولما لم يأكلوا خافهم إبراهيم عليه السلام {قَالُوا} قالت الملائكة لإبراهيم عليه السلام {لَا تَوَجَلْ} لا تخف {إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ} حتى يطمئنوه بأنهم ملائكة ويؤمنوه على نفسه بأن نقلوا له بشارة وهي أنه سيأتيه ويولد له غلام أي طفل وهو إسحاق عليه السلام من سارة {عَلِيمٍ} أي ذو علم وهو علم النبوة والرسالة {قَالَ أَبَشِّرْتُمُونِي} قال إبراهيم عليه السلام مستعجباً هل بشرتموني بالغلام والطفل الذي سيولد لي {عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِي} بعد أن أصابني {الْكِبَرُ} الشيخوخة وكبر سني {فَبِمَ تَبَشِّرُونَ} فما هذه البشارة التي تأتي بعد فوات الأوان وهي كبر سنه وشيخوخته قال ذلك متعجباً ومستغرباً حدوث ذلك {قَالُوا} قالت الملائكة {بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ} بشرنك بالصدق {فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ} فلا تكن من اليائسين من رحمة الله وفضله وكرمه {قَالَ} قال إبراهيم عليه السلام {وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ} ومن ييأس من رحمة ربه وكرمه وفضله {إِلَّا الضَّالُّونَ} إلا الجاحدون والمنكرون والبعيدون عن الهدى والرشاد.

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا
 ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرًا تَهُدُّنَا إِنَّا مِنَ الْغَابِرِينَ
 ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ
 جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَاسْرِعْ
 بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ
 تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴿

{ قَالَ } قال إبراهيم عليه السلام { فَمَا خَطْبُكُمْ } ما شأنكم ولماذا حضرتكم { أَيُّهَا
 الْمُرْسَلُونَ } أيها الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلينا { قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا } قالت
 الملائكة إنا بُعثنا وأرسلنا من قبل الله تعالى { إِلَى قَوْمٍ } إلى قوم لوط { مُّجْرِمِينَ }
 مذنبين لأنهم يأتون الذكور في الأدبار من دون النساء وأرسلنا لهلاكهم { إِلَّا ءَالَ
 لُوطٍ } إلا أهل وأصحاب لوط عليه السلام بما فيهم لوط عليه السلام { إِنَّا
 لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ } إنا لمنقذوهم من العذاب كلهم { إِلَّا أَمْرًا تَهُدُّنَا } إلا زوجة
 لوط عليه السلام واسمها (وعلة) { قَدَّرْنَا } حكمنا { إِنَّا لَمِنَ الْغَابِرِينَ } إنها
 من الهالكين { فَلَمَّا جَاءَ } فلما حضر إلى { ءَالَ لُوطٍ } إلى لوط وأسرته
 { الْمُرْسَلُونَ } الملائكة الذي أرسلوا لهلاك قوم لوط { قَالَ } قال لوط عليه السلام
 { إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ } إلى الملائكة قال لهم إنكم قوم مجهولون ولا نعرفهم قبل
 ذلك { قَالُوا } ردت عليه الملائكة قائلين { بَلْ جِئْنَاكَ } بل حضرنا إليك
 { بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ } بسبب الذي كانوا فيه يكذبون وهو العذاب
 والهلاك الذي ينتظرهم على فعلهم المنكر وهو إتيان الرجال للذكور في الأدبار

{وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ} وجئناك بالحق والصدق والنصرة {وَأِنَّا لَصَادِقُونَ} وإنا لصادقون في قولنا بأن الهلاك والعذاب سيأخذهم ولا نكذب في ذلك {فَأَسْرٍ} فاخرج وسافر {بِأَهْلِكَ} بأسرتك وهم جميع ذريتك {بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ} أي بجزء من الليل في ظلام الليل {وَأَتَّبِعْ أَذْبَارَهُمْ} وكن خلفهم لحمايتهم من العذاب {وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ} ولا يبق منكم أحد في القرية أي العزم عليهم في الإسراع والإقدام دون أدنى تفكير في أن يمكث أحد ويتخلف عن الخروج مثلما قال نوح عليه السلام " لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ " {وَأَمَّضُوا} واخرجوا واذهبوا {حَيْثُ تُؤْمَرُونَ} حيث أمرتم ونفذوا ذلك ولا تعصون {وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ} وأخبرناه وحكمنا إليه بذلك الأمر وأفهمناه بذلك وبُحنا بسر ذلك الهلاك إلى لوط عليه السلام {أَنَّ دَابِرَ} عَقَبَ وذرية وأصل {هَتُّؤُلَاءِ} وهم قوم لوط {مَقْطُوعٌ} مبتور وهالك {مُصْبِحِينَ} صباحاً بعد طلوع الشمس.

﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ ٦٧ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾
 وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ
 بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذْتَهُمْ
 الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ
 ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّئِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِبَسْبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
 لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ
 مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾

{ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ } وجاء قوم لوط وهم أهل المدينة وهي المدائن وهي قرب معان بالأردن وقيل سدوم { يَسْتَبْشِرُونَ } فرحين بقدوم الضيوف عند لوط عليه السلام ويظنون أنهم من رجال الدنيا حيث أنهم يأتون الرجال في الأدبار من دون النساء ولذلك فرحوا بقدوم ضيوف لوط عليه السلام وهم لا يعلمون أنهم ملائكة { قَالَ } قال لوط عليه السلام لقومه عندما جاءوا إليه لطلب عمل المنكر مع ضيوفه وهو لا يعلم أنهم ملائكة { إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ } فقال لهم لوط عليه السلام مانعاً ومحذراً هؤلاء ضيوفي ولهم حق الضيافة والإجارة فلا تفضحوني في ضيوفي بانتهاك حرمتهم { وَاتَّقُوا اللَّهَ } خافوا الله واخشوه { وَلَا تَحْزُونِ } ولا تحزوني بعمل الفاحشة معهم عنوة واغتصاباً { قَالُوا } قال قوم لوط له { أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَلَمِينَ } أفلم ننهك ونحذرك عن الدفاع عن جميع الناس وأن لا تضيفهم عندك { قَالَ } قال لهم لوط عليه السلام عندما فشل في إقناعهم ومنعهم عن ضيوفه وعن عمل الفاحشة معهم قال لهم { هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ

كُنْتُمْ فَاعِلِينَ} قال لهم هؤلاء بناتي خذوهم وتزوجوهم فهن أطهر وأحسن لكم إن كنتم مصرين على فعل ما تقضون به شهوتكم {لَعَمْرُكَ} يقسم الله تعالى بحياة نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رافعاً لشأنه وتكريماً له {إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ} إنهم لفى جنونهم وهم سكارى وما هم بسكارى ولكن شدة شهوتهم لإتيان الحرام جعلتهم {يَعْمَهُونَ} جعلتهم يعمون وينغمسون في الرذيلة وفي الفاحشة وهي إتيان الذكور للذكور في الأدبار {فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ} فأخذهم العذاب {مُشْرِقِينَ} بعد طلوع الشمس {فَجَعَلْنَا} فجعل الله قريتهم التي هي قريبة من البحر الميت سدوم {عَلَيْهَا سَافِلَهَا} قلبها الله تعالى وجعل أعلاها أسفلها وأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فرفع مدائن لوط على جناحه حتى سمعت الملائكة صياح الديكة ونهيق الحمير ولم ينتبه لهم نائم ولم تنكسر لهم آنية فجعل الله عاليها سافلها {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً} فأرسل الله عليهم حجارة قبل رفع المدائن {مِّن سَجِيلٍ} من طين مشوي قوي وقاس كما قال تعالى: " لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ " ٣٣ الذاريات. {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في ذلك العذاب والرجم بالحجارة وقلب المدينة عاليها سافلها بالزلزال {لَايَتٍ} لمعجزات وعظات وعبر {لِلْمُتَوَسِّمِينَ} للمتأملين والمتعظين والمتفرسين في الأمور وفي عواقب الأمور {وَأَنَّهَا لِبَسِيلٍ مُّقِيمٍ} وإنها عقوبة دائمة ومستمرة لكل من يقع في مثلها من المعصية كالزلازل في عصرنا الحاضر وهي عبرة تُرى بالعين المجردة في مكان قوم لوط الذي يسلكه الناس ويرونه بأعينهم {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في ذلك العذاب والزلزال {لَايَةً} لعظة وعبرة {لِلْمُؤْمِنِينَ} لمن آمن وصدق بالله وملائكته

وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ} وإن كان أصحاب الأيكة وهم أصحاب الأشجار الكثيفة والمتراكمة على بعضها البعض وهم قوم شعيب {لظالمين} لظالمين لأنفسهم بالشرك والكفر وتخسير وتطيف المكيال والميزان {فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ} فانتقم الله منهم بعذاب الصيحة والرجفة وعذاب الظلة {وَإِنِّي لَأَعْلَمُ} وهما قوم لوط وقوم شعيب {لِبِإِمَامٍ مُّبِينٍ} مسجل عملهم وعصيانهم هذا في اللوح المحفوظ الذي فيه ذكر كل شيء ولا ينسى شيئاً وكما قال تعالى: " وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا " ٤٩ الكهف. مع ملاحظة أن الكتاب لكل شخص بمفرده ولكن عذاب المدينة والقرية بالكامل فكتابها هو اللوح المحفوظ وهذا هو الفرق بين (لبسبيل مقيم) وهو الطريق الواضح والبين والدائم وبين (لبإمام مبين) وهو اللوح المحفوظ وهو كتاب القرية والمدينة بالكامل عندما يأخذها الزلزال والخسف وقلبها بالكامل رأساً على عقب وكما قال تعالى: " إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ " ١٢ يس.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٦﴾ وَءَاتَيْنَهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨٧﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٨﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٩﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٠﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ ﴿٩١﴾ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٩٢﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٩٣﴾﴾

{وَلَقَدْ كَذَّبَ} ولقد أنكر وكذب ووجد {أَصْحَابُ الْحِجْرِ} وهم قوم ثمود {الْمُرْسَلِينَ} كذبوا صالح عليه السلام وهم في واد بين المدينة والشام وقيل بين مكة وتبوك كذبوا رسالته {وَأَتَيْنَهُمْ آيَاتِنَا} وأعطيناهم معجزة الناقة التي طلبوها من صالح عليه السلام أن يخرجها لهم من صخرة حتى يصدقوا رسالته إليهم فأخرجها لهم آية ومعجزة {فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} فكذبوا بها وأنكروها ووجدوها ولم يصدقوها ولم يأخذوا بها وأعرضوا عنها وكذبوها {وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا} وكانوا يعملون لهم بيوتاً في الجبال وذلك بنحت الصخر والحفر فيه حتى تتكون لهم غرف وبيوت {ءَامِنِينَ} آمنين مطمئنين فيها سواء من المطر أو شدة حر الشمس أو من الوحوش لأنها عالية في الجبال {فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ} ولما لم يصدقوا برسالة صالح عليه السلام هي والناقة وهي المعجزة التي أرسلها الله لهم ولما كذبوها وأنكروها ووجدوا بها أخذتهم صيحة العذاب والهلاك {مُصْبِحِينَ} في الصباح {فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ} فلم يغن عنهم {مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} ما كانوا يجمعون من المال ومتاع الدنيا الزائل الذي لم ينفعهم ولم يعصمهم ولم يحفظهم ولم يمنعهم عذاب الله تعالى لهم لتكذيبهم رسالة نبيهم

ورسولهم سيدنا صالح عليه السلام {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ} ولم يخلق الله تعالى
السموات السبع وما فيهن من شمس وقمر ونجوم وكواكب وملائكة {وَالْأَرْضِ}
والأرض وما فيها من جن وإنس وحيوانات وطيور وبحار وأنهار وجبال وسهول
ووديان وأشجار {وَمَا بَيْنَهُمَا} وكل شيء بين السماء والأرض من هواء أو شمس
أو قمر أو نجوم أو أي شيء من مخلوقات الله تعالى سواء كانت بكتيريا أو
ميكروبات أو حشرات أو طيور أو غير ذلك {إِلَّا بِالْحَقِّ} لم يخلقها الله تعالى إلا
بالحق والصدق ولحكمة أرادها ويعلمها الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا
شأنه {وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ} وأن الساعة آتية لا ريب فيها وهو قيام يوم القيامة
وبعث الناس من قبورهم للحساب {فَأَصْفَحْ} فاصفح يا محمد وسامح واعف عن
الكفار والمشركين والمذنبين {الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} الصفح والعفو الطيب والحسن
الذي لا تجبر فيه ولا ظلم ولا تعالي {إِنَّ رَبَّكَ} إن ربك وإلهك وخالقك يا
محمد يا رسول الله {هُوَ الْخَلَّاقُ} هو الذي يخلق جميع الكون وما فيه من
المخلوقات {الْعَلِيمُ} الذي يعلم بكل شيء ويدري ويعرف ويحيط علمه فهو خبير
بأفعالكم وأعمالكم أيها الناس والخلق جميعاً.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ تَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّجْدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

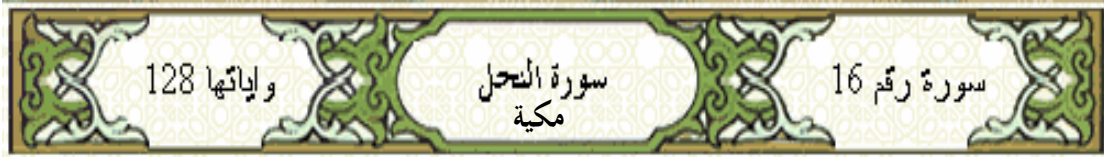
{وَلَقَدْ آتَيْنَكَ} ولقد أعطيناك وأنزلنا إليك يا محمد يا رسول الله {سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي} وهي سورة الفاتحة وآياتها بالبسملة سبع آيات وآياتها تثني على الله فيها وكذلك تقرأ في الصلاة في كل ركعة وتثني على الله بقراءتها في كل ركعة {وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} وآتيناك وأعطيناك وأنزلنا إليك يا محمد يا رسول الله كذلك القرآن العظيم كله وعدد سوره مائة وأربعة عشر سورة تبدأ من الفاتحة ثم البقرة وتنتهي بسورة الناس {لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ} لا تتمنى ولا تنظر بعينيك {إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ} ما أترفنا به {أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ} أزواجاً من النعيم أي الجاه والمال لقوله تعالى: " مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ " {وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ} ولا تألم عليهم ولا يصيبك غم ولا هم بسبب ما أعطاهم الله في الدنيا من نعيم ومتاع وترف استدراجاً لهم ولا تحزن عليهم وتألم وتغم {وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} وكن على المؤمنين رحيماً وهيناً وليناً ومتجاوزاً عن هفواتهم وإعراضهم كما قال تعالى: " وَلَوْ كُنْتَ

فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفِصُوا مِنْ حَوْلِكَ " ١٥٩ آل عمران. وسبب نزول قوله تعالى :
 " وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ " هو كما في بعض الأخبار: أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً مع أصحابه يتذكرون نعماء الله
 عليهم وفناء الدنيا وبقاء الآخرة وثواب المؤمنين وعذاب الكافرين إذ سمع صيحة
 من الناس وسروراً وطرباً وضرب دفوف فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذه
 الصيحة والسرور في أهل مكة؟ ف قيل يا رسول الله هذا دخول القوافل في مكة
 سرورهم لذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قوموا فلنخرج وننظر
 ونعتبر بهم فخرجوا فجلسوا على تلة وجعلت تدخل القوافل قافلة قافلة وقال
 الناس هذه قافلة بني أمية وهذه قافلة بني هاشم وهذه قافلة بني عدي حتى
 دخل سبع قوافل فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم وإلى جمالهم
 وزينتهم وأموالهم وسرورهم دخل في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك
 غم لأن أصحابه كانوا جائعين منذ أيام ولم يجدوا شيئاً يأكلون فأهم ذلك رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وقال مع نفسه إن الله تعالى أعطى الكفار مالاً كثيراً ولم
 يعطنا أكلة؟ فنزل جبريل من ساعته فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى يقول
 لك: " وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي " يعني (الفاتحة) حرم الله على قارئها
 سبعة أبواب جهنم وهي شفاء من كل داء إلا السام أي الموت وليس في الكتب
 سورة أفضل منها ورن إبليس بسببها رنة اجتمعت الأبالسة عنده قالوا مالك يا
 سيدنا ويا أميرنا فقال لهم اعلموا أن اليوم قد نزلت سورة على هذه الأمة من
 قرأها دخل الجنة بلا حساب ولا عذاب وأنتم لا تطيقون مع قارئها فقد أبطل
 كيدكم ومكركم فهذا الذي أعطيته خير أم هذه السبع القوافل التي أعطى الكفار؟
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بل هذه يا جبريل) فقال جبريل: يا

محمد أتستبدل سبعتك بسبعتهم قال عليه الصلاة والسلام: (لا يا جبريل) قال فاعرف ما أعطاك ربك وقال الله أيضاً لآتيناك القرآن العظيم لو كان مكتوباً في صحف أو في جراب فطرح في النار لما أحرقتة النار فكيف تحرق النار قارئه وحفاظه ومتابعه؟ ومن قرأ حرفاً من القرآن أعطاه الله تعالى مائة حسنة فهذا خير أم القوافل؟ قال عليه الصلاة والسلام: (لا بل هذا القرآن خير يا جبريل) قال أتستبدل القرآن بالقوافل؟ قال: (لا يا جبريل) قال يا محمد فاعرف حقه ويقول ربك آتيناك أيضاً في كل سبعة أيام جمعة ليلتها خير من الدنيا وما فيها ويعتق الله تعالى في كل ساعة منها مائة ألف ممن وجبت عليه النار وكل مولود يولد من أولاد المشركين في تلك يكرمه الله تعالى بالإسلام بحرمة تلك الليلة ويكفر ما بينهما وبين الجمعة المستقبلية ويرفع الله العذاب عن أهل مقابر المؤمنين وكل أهل عذاب في تلك الليلة لحرمتها أهي خير أم القوافل؟ قال عليه الصلاة والسلام: (هي خير) فقال جبريل عليه السلام أتستبدل الجمعة بالقوافل؟ قال: (لا) فاعرف حرمة ما أعطيت فيها ثم قال يا محمد إن ربك يقول وآتيناك سبعا في الطواف من طاف بها فكأنما طاف بعرش الله تعالى ومن طاف بعرشه فإن الله يستحي من تعذيبه وفي كل سبعا يطوف حولها المؤمن ينظر الله إليه سبع مرات أذكر كرامة الله يكرم الله المؤمن بالمغفرة فهذا خير أم القوافل؟ قال: (بل هذا خير) قال جبريل عليه السلام أتستبدل هذا بذلك؟ فقال: (لا) قال فاعرف حرمة ما أعطيت ثم قال يا محمد إن ربك يقول آتيناك أيضاً سبع جمرات ترميهن في كل جمار يغفر لك ولأمتك كبيرة من الكبائر وتسد كل جمرة باباً من أبواب جهنم عليك وعلى الرامين بها فهذا خير لك أم القوافل؟ قال عليه الصلاة والسلام: (لا بل هذا خير) قال جبريل فاعرف حرمة ما أعطيت ثم قال إن ربك

يقول إني أمرت سبع سموات وأهلها وسبع أرضين وأهلها بالدعاء لك ولأمتك في كل يوم خمس مرات في أوقات الصلاة هذا خير أم القوافل؟ قال النبي عليه الصلاة والسلام: (هذا خير) قال جبريل عليه السلام لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به ولكن انظر إلى ما أكرمتك به ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ " وتنفس الصعداء وقال عليه الصلاة والسلام: (لست أنا برجل الدنيا ولا برجل عقبى بل أنا ولي المولى). [خزينة الأسرار ص ١٠١]. {وَقُلْ} وقل يا محمد يا رسول الله للناس جميعاً {إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ} إني أنا محمد رسول الله فأنا النذير لكم من عذاب الله تعالى يوم القيامة إذا جحدتم وكفرتهم وأنكرتم وكذبتهم {الْمُبِينُ} الواضح في تبليغ الرسالة لكم بالحق والصدق وبدون كذب {كَمَا أَنْزَلْنَا} وهكذا أنزلنا الرسالة والقرآن {عَلَىٰ الْمُقْتَسِمِينَ} وهم الذين قسموا الألوهية بين الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وبين شركائهم الذين أشركوهم مع الله تعالى من الأوثان والأصنام والأنداد وبما قسموا له بأن له الإناث وهم لهم الذكور من الذرية كما قال تعالى: " أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ {١٩} وَمِنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ {٢٠} أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ {٢١} تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ {٢٢} " ١٩-٢٢ النجم. {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ} وهم الذين جعلوا القرآن وعملوه {عِضِينَ} أي مرأً وأجوفاً وفارغاً وكاذباً ورجعياً وعقيماً غير ذي جدوى لا ينفع لمتطلبات العصر الحديث والعصور الجديدة {فَوَرَبِّكَ} يقسم الله تعالى بعزته وجلاله {لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} لنسألنهم جميعاً عن كفرهم وشركهم والسؤال هنا هو للحساب والعقاب يوم القيامة حيث يطلب منهم أن يدعوا شركاءهم ويستجيروا بهم لينقذوهم من عذاب الله تعالى كما قال

تعالى: " وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا " ٥٢ الكهف. {عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} على ما كانوا يعملون من المعاصي والذنوب والشرك والكفر والمحرمات {فَأَصْدَعْ} فاتعب واشق ونفذ وأمر {بِمَا تُؤْمَرُ} بما يُطلب منك أن تبلغه الناس وبما تنذرهم وتحذرهم من عذاب الله تعالى واتباع أوامره واجتناب نواهيه {وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} ودع واترك المشركين في طغيانهم يعمهون ويتخبطون {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} إنا وقيناك وحفظناك ومنعنا عنك أذى المستهزئين وهم المشركون والجاحدون والمنكرون والمكذبون لرسالتك من المشركين {الَّذِينَ تَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} الذين يشركون بالله تعالى ويجعلون له شريكاً آخر من الآلهة والأصنام والأوثان {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} فسوف يعلمون لمن عقبى الدار وسيعلمون أن مصيرهم إلى نار جهنم يوم القيامة على شركهم وكفرهم وعنادهم وجحودهم وإنكارهم وتكذيبهم {وَلَقَدْ نَعَلْنَا} ولقد نحيط علماً وندرى ونعرف أي الله تعالى يعلم {أَنَّكَ} يا محمد يا رسول الله {يَضِيقُ صَدْرُكَ} يقبض صدرك وتتضايق همماً وحزناً {بِمَا يَقُولُونَ} بما يقولون من الكفر والشرك والتكذيب والاستهزاء بك يا محمد يا رسول الله {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} أي سبح الله تعالى واحمده على نعمه وأفضاله عليك وعلى الناس جميعاً وعلى دين الإسلام ونزول القرآن عليك {وَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ} وكن من الشاكرين والعابدين لله تعالى والمصلين له والطائعين {وَأَعْبُدْ رَبَّكَ} واستمر على عبادة ربك وطاعته {حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ} حتى يجيئك {الْيَقِينُ} النصر أو الموت.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ ﴾

{ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ } أتى وهو في طريقه إليكم وهو آت لا محالة أمر الله ولا بد من وقوعه فهو مؤكد الوقوع فانتظروا وقوعه وهو يوم القيامة { فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ } فلا تتعجلوا في طلبه ولكنه له ميعاد ووقت محدد ومعين لقيام يوم القيامة وهو لا ريب ولا شك فيه { سُبْحٰنَهُ } تنزهه وتقدس وتمجد جلال الله تعالى وعظمته جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه فهو منزه عن الند والخذ والشريك { وَتَعَالَىٰ } ارتفع وتعالى قدره وعظم شأنه وجل جلاله { عَمَّا يُشْرِكُونَ } عن كل شريك يشركونه في الألوهية معه من الأصنام والأوثان والأنداد. قال ابن أبي حاتم: ذكر عن يحيى بن آدم عن أبي بكر ابن عياش عن محمد بن عبد الله مولى المغيرة بن شعبة عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن ابن حجيرة عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تطلع عليكم عند الساعة سحابة سوداء من المغرب مثل الترس فما تزال ترتفع في السماء ثم ينادي مناد فيها: أيها الناس فيقبل الناس بعضهم على بعض: هل سمعتم؟ فمنهم من يقول نعم ومنهم من يشك ثم ينادي الثانية يا أيها الناس فيقول الناس بعضهم لبعض: هل سمعتم؟ فيقولون نعم ثم ينادي الثالثة أيها الناس أتى أمر الله فلا تستعجلوه) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فو الذي نفسي بيده إن الرجلين لينشران الثوب فما يطويانه أبداً وإن الرجل ليمدح حوضه فما يسقي

فيه شيئاً أبداً وإن الرجل ليحلب ناقته فما يشربه أبداً قال ويشتغل الناس). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٦١].

﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢١﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٢٣﴾﴾

{يُنزِلُ} ينزل الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْمَلَكَةَ} ينزل الله تعالى الملائكة وهم وحي من الله تعالى {بِالرُّوحِ} ومعهم جبريل عليه السلام بالرسالة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم {مِنْ أَمْرِهِ} أي بأمره ونزلوا من بعد أن أمر الله تعالى بنزولهم {عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} على من يريد الله تعالى أن يجعلهم رسلاً منه إلى الناس ومنهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعث بالرسالة وفي رواية ابن عباس قال: (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وفي المدينة عشر سنين) وهذا هو المشهور. [سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩]. ونزل عليه القرآن وعمره صلى الله عليه وسلم أربعين سنة فُقرن به إسرائيل عليه السلام ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القرآن فلما مضت ثلاث سنين قُرُن بنبوته جبريل فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة ، عشرة بمكة وعشراً بالمدينة فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة. [سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٨٨]. {أَنْ أَنْذِرُوا} أن أنذروا وحذروا الناس جميعاً يا أيها الرسل وقلوا لهم {أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا} أنه لا إله ولا معبود غير الله تعالى وحده لا شريك له {فَاتَّقُونِ} فخافون واخشون ولا تتعدوا حدودي ولا تنتهكوا محارمي واعبدوني وأطيعوا أمري أنا الله تعالى رب العالمين وخالق الكون كله وأنا الرازق والمحيي

والميت {خَلَقَ} أوجد من العدم {السَّمَوَاتِ} السبع وما فيهن {وَالْأَرْضِ} كذلك وكل ما فيها خلقهم الله تعالى وأوجدهم {بِالْحَقِّ} بالصدق وبالجد لا بالهزل {تَعَالَى} علا وارتفع وتنزه وتمجد {عَمَّا يُشْرِكُونَ} عن كل ما يشركون معه من الآلهة والأصنام والأوثان والأنداد {خَلَقَ} أوجد {الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ} الإنسان وهو ذرية أولاد آدم يخلقها الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه من مني الرجل وشهوته ومن مني المرأة وشهوته أي الحيوانات المنوية تلتقي مع البويضة في الأنثى وتلقحها ويخرج منها الذرية أو المولود أما الأصل خلق آدم من طين {فَإِذَا هُوَ} فإذا هو الإنسان المولود من الذرية المتعاقبة {خَصِيمٌ} فإذا هو عدو عنيد جاحد منكر مكذب لله ولرسوله وللقرآن {مُبينٌ} عظيم الخصومة والعداوة للإسلام وللقرآن ولرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿وَاللَّائِمَاتِ﴾ وَاللَّائِمَاتِ لَكُمْ فِيهَا دِفٌّ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٦﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرْتَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿١٧﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٠﴾﴾

{وَاللَّائِمَاتِ} وهي البقر والغنم والإبل والمواشي والماعز {خَلَقَهَا لَكُمْ} خلقها وأوجدها لكم {فِيهَا دِفٌّ} والدفء يأتي من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها تصنعون منها الملابس والثياب والأثاث وبيوت الشعر تتقون به الأمطار والرياح والبرد {وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} ومن هذه المواشي والأبقار والإبل والماعز تأكلون

منها اللحم الشهي والجبن والزبد واللبن والحليب حيث يوجد فيها البروتينات التي تغذي الجسم وتبنيه {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ} ولكم فيها زينة وبهجة وسرور وفرح {حِينَ تَرْتَجُونَ} حين ترجعون بها وهي ممتلئة الخواصر والضروع {وَحِينَ تَسْرَحُونَ} وحين تخرجون للمرعى وهي تنطلق بسرعة وتلعب معها أبنائها الصغار فهي تمام وكمال الزينة والبهجة والفرح والسرور {وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ} وتحمل أمتعتكم وحوائجكم وتنقل لكم ما تريدون حمله ونقله {إِلَى بَلَدٍ} إلى قرية أو مدينة من المدن الأخرى ومن البلاد {لَمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ} لم تصلوه {إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ} إلا بعد تعب شديد في حمله ونقله من مكان إلى آخر ومن بلد ومدينة وقرية إلى أخرى بعيدة فهذه الأنعام مواصلة من المواصلات التي خلقها الله تعالى وجعلها لنا ميسرة وسهلة في الحصول عليها في النقل والركوب {إِنَّ رَبَّكُمْ} إن خالقكم وربكم وإلهكم الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَرءُوفٌ} ذو رأفة ورحمة وشفقة عليكم أيها الناس جميعاً {رَحِيمٌ} رحيم بكم لا يريد عذابكم ولا مشقتكم ولا يعذب في نار جهنم يوم القيامة من عبده وأطاعه ويدخله الجنة {وَالْخَيْلُ} وهي الجياد ذكرها حصان وأنثاها فرس ومهرة {وَالْبِغَالُ} وهي لا تلد فهي عاقر وأمها فرس ووالدها حمار أي يلحق ذكر الحمار أنثى الخيل فتلد بغلة لأن البغال عقيم لا تلد أبداً {وَالْحَمِيرُ} أنثاها أتان وذكرها حمار {لِتَرْكَبُوهَا} جعلت الخيل والبغال والحمير ليركبها ابن آدم في أسفاره وتنقله من مكان إلى آخر ومن بلدة إلى أخرى {وَزِينَةٌ} ومنظر وبهجة وجمال وحلاوة والخيل في السباق وفي اللجام والسرج التي تزين بها الخيول والبغال والحمير {وَمَخْلُوقٌ مَا لَا تَعْلَمُونَ} ويخلق الله

تعالى للركوب والزينة والسفر ما لا يعلمه الناس في ذلك العصر من السيارات والطائرات والبواخر والغواصات وما لا نعلمه مستقبلاً من أدوات النقل الحديثة التي يخلقها الله تعالى للناس التي نعرفها الآن من السيارات والقطارات والطائرات وسفن الفضاء والأقمار الصناعية والأطباق الطائرة فهذه ما لا يعلمها المسلمون الأوائل ولا نحن نعلم ما يخلق الله تعالى فيما بعد من الصناعات الأخرى والمواصلات الأخرى {وَعَلَى اللَّهِ} وعلى الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {قَصْدُ السَّبِيلِ} هداية الطريق وتبيانه وتوضيحه للناس بواسطة الرسل عليهم السلام {وَمِنْهَا جَائِرٌ} ومن الناس من هو ظالم وباغ ومتعد على حدود الله تعالى وهتك محارمه وعصيانه {وَلَوْ شَاءَ} ولو أراد الله تعالى {لَهَدَيْنَكُمُ أجمعين} لهداكم أيها الناس جميعاً لعبادته وحده لا شريك له وتصديق رسله ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وتصديق رسالته وتصديق القرآن الكريم والدخول في دين الإسلام طوعاً أو كرهاً كما هدى الملائكة جميعاً فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ولكنه جعلكم مخيرين في الطاعة بعد أن هداكم النجدين وهي إما شاكراً وإما كفوراً وكما قال تعالى: " وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ " ١٠ البلد. وكما قال تعالى: " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا " ٣ الإنسان.

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١﴾
يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢﴾ ﴾

{هُوَ} هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً} الذي أنزل المطر من السماء بوجود السحاب بين السماء والأرض الذي يُنزل
الله تعالى منه المطر {لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ} وهو ماء المطر ينزله الله تعالى فيشرب منه
الناس والدواب والحيوانات {وَمِنْهُ شَجَرٌ} وينبت من ماء المطر الشجر والنبات
والأعشاب {فِيهِ تُسِيمُونَ} فيه ترعون مواشيكم {يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ} وبهذا
المطر يخرج الله تعالى من الأرض الزروع والحبوب والأغلال والخضروات التي
نأكلها {وَالزَّيْتُونَ} وهو الذي يخرج منه عند عصره زيت الزيتون {وَالنَّخِيلَ}
الذي يخرج منه البلح والرطب والتمور {وَالْأَعْنَابَ} وهي جميع أنواع العنب
الذي يُعمل منه الزبيب عند تجفيفه والعسل الأسود وأنواع من المربيات {وَمِنْ
كُلِّ الثَّمَرَاتِ} ومن كل أنواع ثمار الفاكهة على أنواعها {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً} إن
في ذلك المطر لمعجزة في ذلك المطر وبينه ودلالة وعبرة {لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} لقوم
وأمة يتعظون بقدرة الله تعالى وصنعه ونعمه وأفضاله على الناس جميعاً.

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٤﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبُسُونَهَا وَتَرَى الْفُلَّكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

{ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ } وجعل لكم الليل مسخراً لتناموا فيه وترتاحوا من تعب طلب المعيشة في النهار { وَالنَّهَارَ } وسخر لكم النهار وجعله لكم مسخراً لتطلبوا فيه الرزق وطلب المعيشة { وَالشَّمْسَ } والشمس سخرها الله تعالى لكم وجعلها تجري كل يوم من المشرق إلى المغرب لتضيء لكم النهار لتسعوا في طلب معيشتكم { وَالْقَمَرَ } والقمر سخره الله تعالى لكم وهو يستمد نوره من ضياء الشمس ويضيء لكم ظلام الليل وتعلمون به أول الشهر العربي وآخره وذلك لمعرفة الأشهر وبتدويتها لصوم شهر رمضان والعيد والحج وكل ذلك يُعرف به. والشمس يُعرف بها عدد السنين والحساب { وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ } وكذلك النجوم سخرها وجعلها لكم ضياء لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلام الليل وكذلك جعلها زينة وجعلها رجوماً للشياطين وهي مسخرة ومخلوقة وجعلها الله في سماء الدنيا { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ } إن في تسخير ذلك الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم { لَآيَاتٍ } لمعجزات وبيانات وعبر وعظات { لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } لقوم يتدبرون ويعقلون ويفهمون ويتعظون بعقول سليمة وعاقلة ومفتوحة { وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ } وما خلق وجعل لكم { فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ } وما خلق لكم في الأرض مختلفاً ألوانه بعضه عن

بعض من نباتات وزروع وأشجار وفواكه ومن حيوانات ومن الإنسان ومنها الأصفر والأسود والأبيض {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في تلك الخلقة واختلاف ألوانها {الآية} لعظة ودلالة ومعجزة {لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ} لقوم يتعظون {وَهُوَ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ} الذي خلق البحر وجعله مسخرًا لكم {لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا} لتأكلوا منه السمك وهو لحم طري سهل الهضم وسهل النضج في طبخه وطهيه وشويه وقليه {وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ} وتخرجوا من البحر {حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا} يخرج من صدف البحر اللؤلؤ ويخرج منه المرجان فهو زينة وجمال وغال وثمانين {وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ} وترى بعينك السفن والبواخر تخترق عباب البحار والمحيطات {وَلِتَبْتَغُوا مِنْهُ} وذلك لتطلبوا حوائجكم بفضل الله تعالى وكرمه ورحمته في الأسفار ونقل البضائع والحوائج وطلب الرزق في السفر في البحر وهو إحدى المواصلات التي يحتاج إليها الإنسان زيادة على أن البحر متعة للسباحة وللسياح وللناس جميعاً {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} ولعل وعسى أن تشكروا نعمة الله على فضله وكرمه الجزيل والعظيم عليكم.

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾
 وَعَلَّمْتَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ تَخْلُقُ كَمَنْ لَا تَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
 ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
 تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾

{وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ} وجعل في الأرض {رَوَاسِيَ} جعل الجبال أوتاداً وتثبيتاً للأرض كما جعل للمراكب مراسي تثبتها في البحر حتى لا تذهب مع الأمواج {أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ} أن تميل وتتحرك وتضطرب بكم {وَأَنْهَارًا} وجعل في الأرض أنهاراً لتشربوا منها وتسقون أنعامكم ومواشيكم وحيواناتكم وزروعكم {وَسُبُلًا} جعل في الأرض طرقاً ومسارات {لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} حتى لا تضلون الطريق وتهتدوا إلى منازلكم وفي أسفاركم وفي معيشتكم {وَعَلَّمْتَ} وإشارات في الأرض حتى تعلموا بها الأماكن والطرق كالأشجار والجبال والوديان والتلال والمرتفعات والصخور وغيرها من العلامات والإشارات تجعل دليلاً على الهدى وعدم الضلال {وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} وبيعض النجوم يهتدي المسافر في الطريق ويعرف بها الجهات كالدب القطبي وهو سبع نجوم تكون كيد الطوى (المقلبي) وتوجد في الشمال الغربي دائماً وكذلك بنجم الجدي وهو نجم خافت الضوء ومنفرد في السماء مقابل آخر الدب القطبي ودائماً يكون بين الشمال والغرب وهو على امتداد آخر الدب القطبي من أسفل إلى جهة اليمين وغيرها تعرف بها الأوقات كنجمة تخرج من الشرق عند بزوغ نهار ذلك اليوم وغيرها الكثير يهتدي بها الناس كل على حسب ما علمه الله تعالى من علم النجم في الليل {أَفَمَنْ} فهل من {تَخْلُقُ كَمَنْ لَا تَخْلُقُ} فهل يستوي الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه الذي خلق السموات والأرض والشمس

والقمر والنجوم وجميع المخلوقات فهل مثله كمن لا يستطيع خلق ذبابة من الأصنام والأوثان والأنداد {أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} أفلا تعتبرون وتتعتظون {وَأِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ} وإن أردتم أيها الناس أن تعدوا وتحصروا نعم الله تعالى عليكم {لَا تُحْصُوهَا} لا تستطيعون عدّها ولا حصرها لكثرتها وكثرة منفعتها ومنها نعمة البصر والسمع والشم والذوق واللمس وقوة الإنسان البدنية والبحار والأنهار والعيون والأشجار وأنواع الحيوانات والطيور والشمس والقمر والنجوم وجميع متع الدنيا فما بالك بنعم الجنة وما فيها التي لا تحصى ولا تعد {إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه ليغفر الذنوب لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى {رَّحِيمٌ} يرحم عباده المؤمنين يوم القيامة ولا يعذبهم ويدخلهم الجنة {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَعْلَمُ} يعلم كل شيء ويعلم دقائق الأمور في ملكه ومحيط وخبير بها وبأفعالكم وأقوالكم وأعمالكم {مَا تَسْرُونَ} ما تخفون {وَمَا تُعْلِنُونَ} وما تظهرون وتبدون فهو علام الغيوب ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا تَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٣٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ
 أَحْيَاءٍ ۗ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٣١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهُهُ وَاحِدٌ ۗ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا
 يُعْلِنُونَ ۗ إِنَّهُ لَا يُخِيبُ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

{ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ } والذين يعبدون غير الله تعالى ويطلبون منهم
 حوائجهم من الأصنام والأوثان والأنداد { لَا تَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ } هذه
 الأصنام والجمادات والأوثان لا يستطيعون خلق أو إيجاد شيء ولا ذبابة وهم الذين
 يُخلقون والله تعالى هو الذي خلقهم وأوجدهم { أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ } فهذه الأصنام
 والأوثان هي عبارة عن جمادات ينحتونها من الأحجار فهي ميتة وغير حية لأنها
 جمادات { وَمَا يَشْعُرُونَ } وما يعلمون { أَيَّانَ } في أي وقت { يُبْعَثُونَ }
 يخرجون من قبورهم أحياء يوم القيامة للحساب { إِلَهُكُمْ إِلَهُهُ وَاحِدٌ } إلهكم
 ومعبودكم وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو إله واحد لا ثاني له
 هو أحدُ فردٌ وهو رب العالمين { فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } فالذين لا يصدقون
 { بِالْآخِرَةِ } بالبعث والحساب يوم القيامة { قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ } قلوبهم جاحدة ومكذبة
 { وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ } وهم متكبرون على الله تعالى وعلى رسله وعلى الناس كما قال
 تعالى: " وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا " ١٤ النمل. { لَا جَرَمَ } لا
 شك ولا ظن { أَنَّ اللَّهَ } أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { يَعْلَمُ }
 يدري ويعرف { مَا يُسِرُّونَ } ما يخفون { وَمَا يُعْلِنُونَ } وما يظهرهم ويبدون

{إِنَّهُ} إنه الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَا تُحِبُّ} يبغض ويكره {الْمُسْتَكْبِرِينَ} المتكبرين والعالين والمترافعين عن عبادة الله تعالى وطاعته.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِمَّنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿١٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيَّنَ شُرَكَآئِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْتَقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾﴾

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ} وإذا قيل للكفار والمشركين {مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ} ماذا أنزل ربكم وخالقكم الله تعالى على رسولكم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {قَالُوا} قال بعضهم لبعض {أَسَاطِيرُ} خرافات {الْأَوَّلِينَ} الأمم السابقة {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ} وبتكذيبهم هذا سيحملون ذنوبهم {كَامِلَةً} أي كاملة كلها {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} يوم تقوم القيامة ويوم يبعث الناس من قبورهم للحساب {وَمِمَّنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} ويحملون بعضاً من ذنوب من يضلونهم في الدنيا ويغوونهم بدون علم حقيقي منهم ولا أساس له من الصحة {أَلَا سَاءَ} ألا قبح وبئس {مَا يَزُرُونَ} ما يذنبون وما يخطئون وما يحملون من ذنوب غيرهم باغوائهم وإضلالهم وما يقترفون هم من الشرك والذنوب والمعاصي {قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ} من قبلهم {مِنْ قَبْلِهِمْ} قد كفر الذين من قبلهم ومكروا بالذنوب والمعاصي والجحود والإنكار والتكذيب {فَأَتَى اللَّهَ} فجاء الله وسلط على {بُنْيَانَهُمْ} بنياتهم ودورهم

وبيوتهم {مِّنَ الْقَوَاعِدِ} من الأساسات ومن الجذور فزلزلها وأوقعها عليهم {فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ} فوق عليهم السقف من أعلى {وَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ} وأتاهم العقاب والهلاك {مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} من حيث لا يعلمون ولا يدرون ولا يتوقعون {ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} وبعد ذلك يوم القيامة ويوم البعث ويوم الحساب {يُخْزِيهِمْ} يذلهم ويفضحهم ويعذبهم الله تعالى على كفرهم وإشراكهم {وَيَقُولُ} ويقول الله تعالى لهم سائلاً ومستنكراً {أَيْنَ شُرَكَاءِي} أين ما أشركتم معي من الآلهة والأصنام والأوثان {الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْتَقُونَ فِيهِمْ} الذين كنتم تحاربون وتعادون رسلي من أجلهم وبهم {قَالَ الَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ} قال العلماء {إِنَّ الْخِزْيَ} إن الذل والعذاب {الْيَوْمَ} يوم القيامة {وَالسُّوءَ} والعقاب {عَلَى الْكَافِرِينَ} على الذين كفروا وجحدوا وأنكروا رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقُوا السَّلْمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

{الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ} الذين تقبض أرواحهم الملائكة بالموت {ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ} ظالمي أنفسهم بالشرك والكفر وجاروا عليها بالذنوب {فَأَلْقُوا السَّلْمَ} استسلموا وخضعوا لملائكة العذاب {مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ} وقالوا كذباً لم نعمل سوءاً قط في حياتنا {بَلَىٰ} بل عملوا {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ} إن الله تعالى عالم ويدري {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} بما عملتم في الدنيا من الذنوب والمعاصي والكفر والعصيان

{فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ} فادخلوا من أبواب جهنم السبع كل حسب عمله
 {خَالِدِينَ فِيهَا} دائمين فيها في نار جهنم {فَلَيْسَ} فلنساء {مَثْوَى} مصير
 ونهاية {الْمُتَكَبِّرِينَ} المتجبرين.

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ
 الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٢١﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
 تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٢﴾
 الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

{وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا} وقيل للمؤمنين وهم الذين يعبدون الله تعالى وحده لا شريك له
 ويخافون الله تعالى ويخشونه ولا يتعدون حدوده ولا ينتهكون محارمه {مَاذَا أَنْزَلَ
 رَبُّكُمْ} ماذا أنزل ربكم الله تعالى عليكم من آيات القرآن {قَالُوا خَيْرًا} قال المؤمنون
 القرآن الكريم وآياته كلها أنزلها الله تعالى خيراً فهي هدى وموعظة ورحمة وشفاء
 للمؤمنين وكما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا
 فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ " ٥٧ يونس. وكما قال تعالى: " وَنُنزِّلُ مِنَ
 الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا " ٨٢ الإسراء.
 {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا} للذين أحسنوا أعمالهم وطاعتهم لله تعالى وعملوا الصالحات
 من الأعمال في طاعة الله تعالى وفي مرضاته {فِي هَذِهِ الدُّنْيَا} في هذه الحياة الدنيا
 {حَسَنَةٌ} أي ثواب ومكافأة طيبة وخير ورغد عيش وعلم وذرية صالحة ومال
 حلال طيب وكما قال تعالى: " رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا

عَذَابَ النَّارِ " ٢٠١ البقرة. {وَلَدَارُ الْآخِرَةِ} والآخرة وهي يوم القيامة وهي دار الخلود {خَيْرٌ} أعظم وأفضل وأكثر نعيماً وأرغد عيشاً {وَلَنِعَمَ} ولخير وأحسن وأفضل {دَارُ} منزل {الْمُتَّقِينَ} يوم القيامة للذين يعبدون الله ويطيعونه ولا يتعدون حدوده ولا ينتهكون محارمه {جَنَّتُ} وهي جمع جنة لكثرتها لأن كل واحد له جنة {عَدْنٍ} في جنة عدن {يَدْخُلُونَهَا} يدخلونها يوم القيامة مكافأة لهم لعبادتهم لله تعالى وطاعته {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} تجري خلالها الأنهار ومن تحت أشجارها وقصورها في الجنة {لَهُمْ} للمؤمنين {فِيهَا مَا يَشَاءُونَ} فيها ما يريدون ويختارون {كَذَلِكَ} وهكذا {تَجْرِي} يثيب ويكافئ {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْمُتَّقِينَ} الذين يعبدون الله تعالى ويطيعونه ولا يتعدون حدوده ولا ينتهكون محارمه {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ} الذين تقبض أرواحهم وتميتهم الملائكة {طَيِّبِينَ} صالحين ومنتقين الله تعالى {يَقُولُونَ} تقول الملائكة لهم يوم القيامة {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} يحيوهم بتحية أهل الجنة وهي سلام وكما قال تعالى: " وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ " ١٠ يونس. {أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ادخلوا الجنة يوم القيامة أيها المؤمنون بما عملتم في الدنيا من الخير والأعمال الصالحة في مرضاة الله تعالى.

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ﴿٣٤﴾

{ هَلْ يَنْظُرُونَ } هل ينتظرون الكفار والمشركون { إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ } إلا عندما تأتيهم الملائكة بغتة لقبض أرواحهم { أَوْ يَأْتِيَ } أو يحضر وينفذ { أَمْرٌ رَبِّكَ } أمر ربك بالعذاب لهم يا محمد يا رسول الله { كَذَلِكَ } وكذلك وهكذا { فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } وهكذا جحد وكفر وأنكر وكذب من كان قبلهم من الأقوام والأمم السابقة كذبوا رسلهم { وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ } ولم يظلمهم الله تعالى بالعذاب { وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } ولكنهم ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك والعصيان وظلموا غيرهم بالإغواء والبغي والظلم والتجبر والصلف والكبر والغرور { فَأَصَابَهُمْ } فوقع عليهم { سَيِّئَاتُ } عقاب وعذاب { مَا عَمِلُوا } من سوء ومن كفر وعصيان وإنكار وجحود وتكذيب لرسولهم { وَحَاقَ بِهِمْ } وأحاط بهم ورجع عليهم شر وعقاب وعذاب { مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } ما كانوا به يسخرون ويضحكون ويلعبون من معاداة الرسل ومخالفتهم وعصيانهم.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ الْمُبِينِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ تَحْرِيصَ عَلَيْنَا هَدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

{ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا } وقال المشركون الذين جعلوا لله شركاء من الأصنام والأوثان والأنداد { لَوْ شَاءَ اللَّهُ } لو أراد الله تعالى { مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ } ما عبدنا غيره من شيء من الأشياء من الأصنام والأوثان { نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا } لا نحن ولا آباؤنا ولا أجدادنا { وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ } ولا حرماننا من دون أمره من شيء من البحيرة والسائبة والوصائل وغيرها { كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } وكذلك قال السابقون من الكافرين مثل قولهم وهي كلمة حق يراد بها باطل وهي لو شاء الله عنوة أن يهديهم وبالإكراه والقوة لجعلهم مثل الملائكة لا يعصون الله طرفة عين ولكن الله خيرهم وجعل لهم الهدى في جوهرة العقل ولو سلب منهم العقل كالبهائم والحيوانات لكان صدق ما يقولون ولكنه أعطاهم جوهرة العقل وهداهم النجدين إما شاكراً يعبد الله تعالى ويطيعه هو ورسوله وإما كفوراً يعصي الله ورسوله كما قال تعالى: " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا " ٣ الإنسان. وكما قال تعالى: " وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ " ١٠ البلد. وحاش لله تعالى أن يأمر بالمعصية والفحشاء ولكنه ينهى عن ذلك كما قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ " ٩٠ النحل. {فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا أَلْبَلِغُ الْمُؤْمِنِينَ} فهل على الرسل إلا الهداية وتبليغ الرسالة وليس بالإكراه وليس لهم ذلك إلا تبليغ الرسالة فقط لقوله تعالى: "فَذَكَّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ" {٢١} لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ {٢٢} " ٢٢، ٢١ الغاشية. وكما قال تعالى: " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ " ٢٥٦ البقرة. {وَلَقَدْ بَعَثْنَا} ولقد أرسلنا رسولا {فِي كُلِّ أُمَّةٍ} في كل قوم {رَسُولًا} نبيا ورسولا مرسلًا من عند الله تعالى {أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ} أن قوموا بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له {وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} وابتعدوا عن عبادة الصنم الذي اتخذتموه إلهًا {فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ} فمنهم المؤمنون هداهم الله تعالى لعبادته وطاعته {وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ} من وجبت عليه {الضَّلَالَةُ} العصيان والمخالفة والجحود والإنكار والتكذيب {فَسِيرُوا} فسيحوا وتجولوا وامشوا {فِي الْأَرْضِ} في أرضكم {فَانظُرُوا} فشاهدوا {كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ} مصير ومآل ونهاية {الْمُكذِّبِينَ} المنكرين والجاحدين {إِنْ تَحَرَّصَ} إن ترد وترغب وتتمنى وتود {عَلَىٰ هُدَاهُمْ} على هدايتهم لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له {فَإِنَّ اللَّهَ} فإن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ} لا يرشد من يضل الطريق ويبتعد عن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ويتبع شهواته وملذاته وهو {وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ} ويوم القيامة لا تجد لهم من ينصرهم وينقذهم من عذاب الله تعالى.

﴿وَأَقْسُمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَيَعْلَمَ
الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٢٩﴾﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٠﴾﴾

{وَأَقْسُمُوا بِاللَّهِ} أقسموا وحلفوا بالله تعالى {جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ} بأغلظ أيمانهم
وتأكيدها {لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ} لا يوجد بعث لمن يموت ولا يحييه الله أبداً
{بَلَىٰ} بل يبعث ويحاسب يوم القيامة كل ميت {وَعَدًّا عَلَيْهِ} عهد وميثاق وتعهد
على الله أن يحييهم ويبعثهم أحياء يوم القيامة للحساب {حَقًّا} صدقاً وتأكيذاً ولا
خلاف فيه {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ} ولكن أغلب الناس وأكثرتهم من الكفار {لَا
يَعْلَمُونَ} لا يعلمون حقيقة ذلك البعث وذلك العذاب يوم القيامة {لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}
ليوضح للكفار ويبينه لكم رؤية العين {الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ} الذي يختلفون فيه
ويجادلون فيه وهو يوم القيامة {وَلِيَعْلَمَ} وليتأكد ويعرف {الَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار
وهم من جحد وأنكر وكذب برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {أَنَّهُمْ كَانُوا
كَذِبِينَ} أنهم كانوا جاحدين ومنكرين {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ
لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} إنما إرادة الله تعالى ومشيئته إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون
وأمره بين الكاف والنون أي بقوله كن فيكون الشيء الذي أراده الله تعالى وفي
صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث
قدسي فيه: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وكنكم قاموا في صعيد واحد
فسألوني فأعطيت كل إنسان مسأله ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط

إذا غمس في البحر). وزاد في الترمذي وغيره: (وذلك بأني جواد واجد ماجد أفعل ما أريد عطائي كلام وعذابي كلام إذا أردت شيئاً فإنما أقول له كن فيكون). [سبل السلام ج ٤ ص ١٧٦].

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۗ وَلَا جُرْأَلَاءَ فِي الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [١٦] الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

{وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ} والذين هاجروا من ديارهم وأخرجوا منها عنوة وفراراً ونجاة بأنفسهم من ظلم الأعداء {مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا} بعد ظلم الناس لهم ومن بعد ظلمهم وأذاهم لهم وجعلوهم يهاجرون عنوة وبالقوة والإكراه كما قال تعالى: " فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي " ١٩٥ آل عمران. وهم المهاجرون المؤمنون من بلادهم من مكة إلى المدينة في سبيل الله وفي مرضاته من بعد ما ظلموا من قبل كفار ومشركي مكة {لَنُبَوِّئَنَّهُمْ} لنجزينهم ولنعطينهم ولنكافئهم {فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} في الدنيا خير وثواب وحياة طيبة رغدة وكريمة وسعيدة بأرض خير وهي المدينة أو الحبشة في بادئ الأمر {وَلَا جُرْ} ولثواب {الْآخِرَةِ} يوم القيامة {أَكْبَرُ} أعظم وأفضل {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} لو كانوا يعلمون بأن ثوابهم في الآخرة وفي يوم القيامة هو الجنة ودوام نعيمها كما قال تعالى: " فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " ١٧ السجدة. {الَّذِينَ صَبَرُوا} الذين صابروا وجالدوا وتحملوا الأذى في طاعة الله تعالى وفي الحروب {وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} وعلى ربهم يعتمدون وجزاء الصبر الجنة كما قال تعالى: " إِنَّمَا يُؤَفِّقُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ " ١٠ الزمر. وفي الحديث: (والذي نفسي بيده لا يصيب المؤمن هم ولا غم ولا نصب ولا وصب ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا

كفر الله عنه بها من خطاياها). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٨]. وفي الصحيحين: (والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له: إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له وليس ذلك لأحد غير المؤمن). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٨]. وفي صحيح مسلم: (عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاءً إلا كان خيراً له إن أصابته سراء فشكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٣٤].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٦) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧﴾

{ وَمَا أَرْسَلْنَا } وما بعثنا من رسول من الرسل السابقين { مِنْ قَبْلِكَ } من قبلك يا محمد يا رسول الله من الأمم السابقة { إِلَّا رِجَالًا } إلا أرسلناهم رجالاً وليس ملائكة ولا نساء { نُوحِيَ إِلَيْهِمْ } نرسل رسالة إليهم بواسطة الوحي جبريل عليه السلام هو الذي يبلغ الرسالة والكتب السماوية إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام { فَسَأَلُوا } فاسألوا أيها الناس واطلبوا الإجابة والعلم بذلك عن الرسل { أَهْلَ الذِّكْرِ } وهم أهل العلم أي العلماء من أهل التوراة والإنجيل ومن أهل القرآن أسألوهم أليس الرسل الذين بعثهم الله رجالاً وليسوا ملائكة ولا نساء بل رجالاً من البشر لحكمة يعلمها الله تعالى { إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } إن كنتم لا تعلمون علم ذلك بأن رسل الله جميعهم من الرجال وليس من الملائكة ولا من النساء لأنهن يحضن وينسبن { بِالْبَيِّنَاتِ } أرسل الله تعالى الرسل بالبينات أي بالحجج الواضحة والدليل القاطع والمعجزة الحقة والصادقة والبرهان الساطع { وَالزُّبُرِ } والكتب

السماوية السابقة ومفردها زبور وهو الذي أنزل على داود عليه السلام {وَأَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ} وأنزلنا إليك يا محمد يا رسول الله {الذِّكْرُ} وهو القرآن الكريم {لِتُبَيِّنَ
لِلنَّاسِ} لتوضح للناس وتعلمهم {مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} ما أنزل الله تعالى إليهم من شرائع
الله تعالى وأوامره ونواهيهِ {وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} لعلهم يتعظون ويوعظون بذلك.

﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ
حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ
عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾

{أَفَأَمِنَ} هل آمن واطمأن {الَّذِينَ مَكَرُوا} الذين عملوا {السَّيِّئَاتِ} الذنوب
والمعاصي والكفر والشرك {أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ} أن يزلزل ويقلب الله بهم
الأرض ويجعل عاليها سافلها كقوم لوط {أَوْ يَأْتِيَهُمْ} أو يجيئهم ويحضر إليهم
ويحيط بهم {الْعَذَابُ} العقاب {مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} من حيث لا يعلمون إما
بالصواعق أو بالغرق أو بالحرق أو بالزلازل أو الحروب {أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ}
أو يأخذهم بالعذاب في نومهم بالليل وهم نائمون {فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ} فما هم
بمانعين ذلك عنهم {أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ} أو يأخذهم ويهلكهم وهم في حالة
خوف ورعب شديدين {فَإِنَّ رَبَّكُمْ} فإن ربكم وخالقكم وإلهم أيها الناس
{لَرَءُوفٌ} ذو رأفة ورحمة وشفقة على الناس جميعاً حتى يتوبوا وعلى المؤمنين
خاصة رحمة بهم {رَحِيمٌ} رحيم بكم لا يريد عذابكم ورحيم بالمؤمنين يوم القيامة
فلا يعذبهم ويدخلهم الجنة رحمة بهم وثواباً لهم.

﴿ أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَّلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ تَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

{أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ} ألم ينظروا {إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} إلى كل شيء خلقه الله تعالى ويشاهدوا خلق الله تعالى من كل شيء {يَتَفَيَّؤُا ظِلَّلُهُ} يستظلوا تحته وفي ظله كالأشجار والحيطان والجبال وما له ظل يستظلون به {عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ} أي عن يمين الأشجار والحيطان وعن شمالها وكذلك عند طلوع الشمس يكون الظل في يمينها وفي الغروب يكون الظل عن يسارها {سُجَّدًا لِلَّهِ} كل شيء يسجد لله تعالى حتى ظل الأشياء {وَهُمْ دَاخِرُونَ} وهم صاغرون وكل شيء يسجد ظله. وقال مجاهد: سجد كل شيء فيؤه. [ابن كثير ج ٢ ص ٥٧٢] وكما قال تعالى: " وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ " ١٥ الرعد. {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ} ولله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يسجد كل شيء {مَا فِي السَّمَوَاتِ} ما في السموات السبع من الملائكة والنجوم كما قال تعالى: "وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ" ٦ الرحمن. {وَمَا فِي الْأَرْضِ} وكل شيء في الأرض يسجد لله تعالى {مِن دَابَّةٍ} من جميع الدواب والحيوانات {وَالْمَلَائِكَةُ} وكذلك الملائكة كلهم يسجدون لله تعالى {وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} وهم لا يتكبرون ولا يتعالون عن عبادة الله تعالى والسجود له {تَخَافُونَ رَبَّهُمْ} ويخشون ربهم ويخشون عذابه وعقابه {مِّن فَوْقِهِمْ} من أعلى منهم لأن الله تعالى فوقهم أي قاهرهم وأعلى منهم وأكبر وأعظم {وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} ويأتمرون بأمر الله تعالى ويطيعونه في أوامره

ولا يعصونه أبداً وكما قال تعالى في آية أخرى: " عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ " .

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارَهُبُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا بِهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَتَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتَسْعَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾

{ وَقَالَ اللَّهُ } وقال الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه على لسان الوحي جبريل عليه السلام في القرآن الكريم { لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ } لا تعبدوا إلهاً مع الله أي لا تشركوا به أحداً { إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ } إنما هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره هو إله واحد لا ثاني له فهو فرد وواحد ولا معبود سواه { فَإِنِّي فَارَهُبُونَ } يقول الله تعالى فإياه وحده لا شريك له فاعبدوه وخافوه واخشوه ولا تعصونه { وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ } والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه له كل ما في السموات من الملائكة والشمس والقمر والنجوم { وَالْأَرْضِ } وله كل ما في الأرض من بحار وأنهار وجبال ووديان وإنس وجان وحيوانات وطيور وأشجار { وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا } وله الدين الحق خالصاً وهو دين الإسلام كما قال تعالى: " أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ " ٣ الزمر. والدين عند الله الإسلام كما قال تعالى: " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ " ١٩ آل عمران. وكما قال تعالى: " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ " ٨٥ آل عمران. { أَفَغَيْرَ اللَّهِ } فهل غير الله { تَتَّقُونَ } تعبدون وتخافون

وتخشون {وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ} وما بكم من خير {فَمِنَ اللَّهِ} فهو من الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {ثُمَّ} وبعد ذلك {إِذَا مَسَّكُمْ} إذا أصابكم {الضُّرُّ} الشر والمصيبة {فَالْيَإِيهِ} فإلى الله تعالى {تَجْعُرُونَ} تصرخون بالدعاء وتستجيرون بالله تعالى لينقذكم من الهم والغم والشر والمصيبة {ثُمَّ} وبعد ذلك {إِذَا كُشِفَ} إذا رفع {الضُّرَّ عَنْكُمْ} الشر والمصيبة والهم والغم {إِذَا فَرِيقٌ} إذا جزء أو قسم {مِّنْكُمْ} منكم أيها الناس جميعاً {بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} وإذا قسم من الناس يشركون بربهم ويجعلون له شركاء من الأوثان والأصنام والأنداد {لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ} فيكفروا بما أعطيناهم من نعم وأجلها وأعظمها القرآن الكريم {فَتَمَتَّعُوا} فأتروا وتلذذوا بشهواتكم وبالمحرمات والمعاصي {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} فسوف تعلمون يوم القيامة عاقبة ذلك الكفر والشرك وهو العذاب في نار جهنم يوم القيامة {وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ} ويجعلون لشركائهم من الأصنام والأوثان والأنداد وهم لا يعلمون علم اليقين ولا علماً من الرسل بأنهم آلهة وشركاء لله تعالى {نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ} أي جزء من رزقهم الذي رزقهم الله تعالى به من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ويحرمونها على أنفسهم وعلى ذريتهم وورثتهم ويجعلونها للأصنام {تَأَلَّهُ} أقسم الله تعالى رب العزة بجلاله وعزته {لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ} لتسألن يوم القيامة أيها المشركون سؤال تقرير وحساب وعذاب على ما كنتم في الدنيا {تَفْتَرُونَ} تختلقون وتكذبون بجعل الأصنام والأنداد شركاء لله تعالى في ألوهيته.

﴿وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ
ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ
عَلَىٰ هُونٍ ۖ أَمَرِئِدُشُ ۖ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا تَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۗ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ ويجعلون لله تعالى الذرية من البنات وهم الملائكة
﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزهه وتعالى عن الذرية وعن الولد ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ ولهؤلاء
المشركين الذرية من الذكور ويجعلون لله الذرية من البنات كما قال تعالى: " أَلَكُمُ
الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ " ٢٢، ٢١ النجم. وكما قال
تعالى: " أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ " ١٦ الزخرف. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ
أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ﴾ وإذا بشر واحد من هؤلاء بأنه ولدت له أنثى ﴿ظَلَّ﴾ بقي
﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ بقي وجهه معبسا ويسود وجهه ويضيق ذرعا بتلك الأنثى
المولودة له ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ وهو شديد الحزن والغیظ من تلك البشارة لأنه لم ينجب
ذكورا ﴿يَتَوَارَىٰ﴾ يتدارى ويختفي ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ من قومه وقبيلته ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ
بِهِ﴾ من قبح ما بشر به من الأنثى التي ولدت له وبشروه وأخبروه بها
﴿أَيُمْسِكُهُ﴾ هل يأخذ الخبر ويتلقاه ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾ على ذل وهوان وانكسار
واستحياء من قومه ﴿أَمَرِئِدُشُ فِي التُّرَابِ﴾ أم يخفي وجهه في التراب كالنعامة
حتى لا يراه أحد ويفضحه بتلك المولودة من الخزي والعار ﴿أَلَا سَاءَ﴾ ألا ببس
وقبح ﴿مَا تَحْكُمُونَ﴾ ما يحكمون به بأن الله تعالى ليس له ذرية إلا من البنات وهم
لهم ذرية الذكور وتعالى الله عن الولد والشريك كما قال تعالى: " وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا " ١١١ الإسراء. {لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} والذين لا يصدقون بيوم القيامة والحساب والعقاب والعذاب والثواب والجزاء {مَثَلُ السَّوِّءِ} قبيح مثلهم فساء مثلهم وعملهم وقولهم فهم يصفون الله تعالى بأن له ذرية وهي ذرية البنات {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ} والله تعالى المثل والوصف {الْأَعْلَى} المرتفع والمتعالي عن الولد وعن الشريك وعمما يصفون كما قال تعالى: " وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ " ١٠٠ الأنعام. {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْعَزِيزُ} العزيز في ملكه والقوي في حكمه وإرادته وقوله وعمله {الْحَكِيمُ} ذو الحكمة في أوامره ونواهيه وفي ملكه ولا يخطئ أبداً.

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً ۗ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿١١١﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿١١٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٣﴾ ﴾

{وَلَوْ يُؤَاخِذُ} ولو يحاسب {اللَّهُ} الله تعالى {النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ} الناس على ظلمهم بالكفر والشرك والعصيان والمعاصي والذنوب {مَا تَرَكَ عَلَيْهَا} ما ترك على الأرض {مِن دَابَّةٍ} من كل ما دب ومشى على الأرض من الإنس والجن والحيوانات {وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ} ولكن يؤجلهم {إِلَىٰ أَجَلٍ} إلى عمر {مُسَمًّى} وهو الموت أو يوم

القيامة {فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ} فإذا حضر وقت وفاتهم وقبض أرواحهم {لَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً} لا يتأخرون ساعة عن وقت موتهم المعين {وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} ولا يتقدمون عنه ولا ساعة فالأجل والعمر محدد وقته {وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ} ويجعلون لله ذرية البنات {وَتَصِفُ} وتدعي وتقول {أَلَسِنْتُهُمْ} كذباً على الله تعالى بأنه يلد وخاصة البنات وليس الذكور {أَلَكَذِبَ أَنْ لَهُمُ الْحُسْنَى} وتدعي كذلك ألسنتهم كذباً أن لهم الجنة {لَا جَرَمَ} لا شك {أَنَّ لَهُمُ النَّارَ} أن لهم نار جهنم يوم القيامة يعذبون فيها {وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ} وأنهم هالكون ومعذبون {تَاللَّهِ} يقسم الله تعالى بجلاله وعزته {لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ} لقد أرسل الله تعالى أنبياءً ورسلاً إلى الأقوام من الأمم السابقة ممن قبلك وممن سبقك {فَزَيْنَ} فزخرف وجمل وحسن {لَهُمْ} للأقوام السابقة {الشَّيْطَانُ} إبليس وذريته من الشياطين {أَعْمَلُهُمْ} أعمالهم الشريرة من الذنوب والمعاصي والمحرمات {فَهُوَ} وهو الشيطان {وَلِيَّهُمْ} يتولى أمرهم بالإغواء {الْيَوْمَ} اليوم في الدنيا وفي ملذاتها ومحرماتها {وَهُمْ} ولهؤلاء الكفار والمشركين {عَذَابٌ أَلِيمٌ} عذاب موجه وقاس وشديد يوم القيامة.

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(١٦) وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٦﴾

{ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ } ولم نزل عليك القرآن يا محمد يا رسول الله { إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ } إلا لتوضح لهم { الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ } أنزلناه لتبين ما اختلف فيه من الشرع ولم يعلموا حكم الشرع فيه { وَهُدًى } وأنزلنا القرآن هدى ليهتدي به الناس إلى الحق والصواب وعبادة الله وحده لا شريك له وطاعته واتباع أوامره واجتناب نواهيه { وَرَحْمَةً } وأنزل القرآن رحمة للمسلمين بأن يعبدوا الله تعالى ولا يعصونه ليدخلهم الجنة يوم القيامة وحتى لا يعذبهم في جهنم ومن الرحمة الدعاء للمسلمين الأحياء منهم والأموات وأن يرحموا أنفسهم ويرحموا مخلوقات الله تعالى التي لا تضر { لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } وأنزل القرآن للمؤمنين والذين يصدقون ما جاء به القرآن من الأوامر والنواهي { وَاللَّهُ } والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } أنزل من السماء المطر وهو من السحاب ما بين السماء والأرض { فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ } فجعل الأرض مخررة { بَعْدَ مَوْتِهَا } بعد أن كانت قاحلة جدباء لا ينبت فيها الزرع فهو أحيائها بعد موتها وقحطها { إِنَّ فِي ذَلِكَ } إن في ذلك المطر { لَآيَةً } لمعجزة ودلالة وبيننة وعبرة وعظة { لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ } لقوم يسمعون الحق والنصح والوعظ والهدى والإرشاد ويأخذوا به .

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رُبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ أَجْبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا تَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

{وَإِنَّ لَكُمْ} وإن لكم أيها الناس {فِي الْأَنْعَامِ} وهي الإبل والبقر والغنم والمواشي والماعز وهي ما يؤكل لحمها {لَعِبْرَةً} لعظة {نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ} نسقيكم مما كان في بطون الأنعام من الطعام والأعشاب والأشجار التي أكلته {مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ} من بين فضلات الطعام {وَدَمٍ} أي بين فضلات الطعام ودم الماشية يخرج الله لنا {لَبْنَا} حليباً {خَالِصًا} جاهزاً للشرب {سَائِغًا} لذيذاً ومقبولاً وليس به شوائب أو طعم مؤذي بل مقبول {لِلشَّرِبِينَ} لمن أراد أن يشرب من الحليب وأن الطعام للماشية التي تأكله يطبخ ويهضم في المعدة فيتحول إلى ثلاث - دم أعلى يذهب في العروق إلى الأعضاء وجميع الجسم وفي الوسط لبن أبيض يحول إلى الضرع وفرث وبراز وفضلات تحول للمخرج {وَمِنْ ثَمَرَاتِ} ومن ثمار {النَّخِيلِ} وهو شجر يُخرج رطباً وتمرًا {وَالْأَعْنَابِ} يخرج أنواع العنب {تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا} وهو الرطب والتمر والعنب إذا حُمِرَ أصبح مسكراً بعد مدة وجيزة وقيل أن هذه الآية نزلت قبل تحريم الخمر {وَرِزْقًا حَسَنًا} أي رزقاً طيباً يؤكل فوراً وهو الرطب والبلح والعنب يؤكل طازجاً وإذا جُفِفَ يكون من النخيل التمر ومن الأعناب

الزبيب {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في ذلك اللبن الذي يخرج من الأنعام من بين فرث ودم وثمار النخيل والأعناب فهو طعام جاهز وطازج وجاف كالتمر والزبيب يدخر إلى وقت طويل {لَايَةً} لدلالة ومعجزة وعظة {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} لقوم يتدبرون ويفهمون ويتعظون بعقول سليمة وعاقلة ومفتوحة {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ} وأوحى ربك يا محمد يا رسول الله وحي إلهام وبالغريزة {إِلَى النَّحْلِ} إلى جميع النحل في الدنيا {أَنْ آتَّخِذِي} أن خذي واجعلي {مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ} مسكناً من الجبال وكذلك من الشجر {وَمِمَّا يَعْرِشُونَ} ومما يصنعون لك صناديق تسكنين فيها وهنا نجد أن النحل يبني خليته بالنسبة للجبال بين الصخور في الفتحات والثقوب الصغيرة يبني شمعه ويضع عسله فيه وكثيراً ما يوجد في المناطق الجبلية (ومن الشجر) كذلك تتكون خلية بأن تمسك بأرجلها إحداها على غصن الشجرة وتمسك بها الأخرى وهكذا حتى يتكون كعنقود العنب في منظره ثم يبني الشمع ثم يضع عسله فيه وهنا نورد فائدة مجربة وهو عندما يرى طرد أو خلية من النحل تطير في الجو هاربة من مكانها الأصلي ومتجهة إلى جهة من الجهات وأراد شخص أن ينزلها ليتخذها خلية له يقرأ عليها وهو يحرك بإصبعه السبابة عليها في شكل دائرة عليها كلها وهي في السماء ويقول: (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) ثلاث مرات أو سبع أو يقول: حوطت عليك بكلمات الله التامات) فإنها تنزل إلى أقرب شجرة فيأخذ ورقة من الليمون الأخضر أو غصناً صغيراً من الورق الأخضر من الليمون ويضعه على الشجرة التي يريد إنزالها عليها فتتنزل جميع الخلية بإذن الله تعالى والله أعلم. ثم يأخذ الخلية إلى صندوق به ألواح شمع معدة لسكن النحل كما هو معروف عند أصحاب النحل {ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ} ثم

بعد أن يتخذ النحل له مسكناً في الجبال أو الشجر أو في الصناديق المعدة من قبل أصحاب النحل ثم أوحى الله إليها بالإلهام والغريزة بأن كلي من جميع الثمار أي من زهور الأشجار ورحيقها {فَاسْأَلِكِي سُبُلَ رَبِّكِ} أي تطير في جو السماء وبين الأشجار والزهور في الحقول {ذُلَّالًا} أي طريقاً ميسراً وسهلاً ولا تضلي فيه أبداً وذلك أن النحل مهما طار ودار في الجو ولمسافات بعيدة وطويلة ودار بين الأشجار والحقول ولف بينهما عدة مرات لا يضل عن مسكنه وخليته مهما بعدت وهذه حكمة ومعجزة من الله تعالى للنحل {مَخْرُجٌ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ} يخرج من بطون النحل من الرحيق الذي يأخذه من أنواع الأشجار والزهور العسل الذي يختلف لونه حسب الأشجار والزهور ورحيقها واختلافها واختلاف موسمها فالنحل تبني الشمع من أجنتها وتقيء العسل من فيها وتبيض الملكة الفراخ من دبرها {فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ} أي في العسل فهو يوجد فيه دواء وشفاء لأغلب الأمراض المستعصية وهذه الآية توضح فوائد القرآن الجمّة وليس كما يظن البعض أو يدعي بأن القرآن فقط دستور وقانون للأمة الإسلامية ولا ينفع لشيء آخر ولذلك الله تعالى جعله هدى وشفاء للأمراض ورحمة للناس بالدعاء بالقرآن لجميع هموم الدنيا وأحزانها والآخرة وهو لكل شيء وكما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ " ٥٧ يونس. وكما قال تعالى: " وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِّلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا " ٥٤ الكهف. وأكد الله ذلك الشفاء في آيات أخرى كما قال تعالى: " وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا " ٨٢ الإسراء. ويؤخذ العسل من الخلية ثلاث مرات في العام أو مرتين في شهر مايو ويونيو وسبتمبر أو في شهر مايو وهو الشهر الخامس الميلادي وهو في

فصل الربيع ويكون من زهور البرتقال والحمضيات عموماً ومن زهور اللوز والصبر (التين الشوكي) ويكون لونه أبيضاً أي لون العسل الذي يستخرج في الربيع وأما ما يؤخذ في الشهر التاسع (سبتمبر) فهو يؤخذ من زهور شجر السدر (النبق) والكينيا والذرة والشمام والبطيخ وجميع الأعشاب الأخرى ويكون لونه غالباً الأحمر الغامق مع سواد قليل وهو أجود أنواع العسل الذي يؤخذ في طول العام وهو ينفع للأمراض ومنها على سبيل المثال كما أثبت الطب الحديث أن العسل يحوي مقداراً من الجلوكوز وهو سلاح للطبيب في كثير من الحالات كشفاء الضعف العام والتسمم وأمراض الكبد والذبحة الصدرية وضعف القلب والاضطرابات المعوية والحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما يدل على ذلك من رواية قتادة عن أبي المتوكل علي بن داود الناجي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن أخي استطلق بطنه فقال: (اسقه عسلاً) فذهب فسقاه عسلاً ثم جاء فقال يا رسول الله سقيته عسلاً فما زاده إلا استطلاقاً قال: (اذهب فاسقه عسلاً) فذهب فسقاه عسلاً ثم جاء فقال يا رسول الله ما زاده إلا استطلاقاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صدق الله وكذب بطن أخيك اذهب فاسقه عسلاً) فذهب فسقاه عسلاً فبرىء. [ابن كثير ج ٢ ص ٥٧٥]. وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في سننه حدثنا علي بن سلمة هو التغلبي حدثنا زيد بن حباب حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله هو ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بالشفاءين العسل والقرآن). [وهذا إسناد جيد تفرد بإخراجه ابن ماجه مرفوعاً - ابن كثير ج ٢ ص ٥٧٦]. وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إذا أراد أحدكم الشفاء فليكتب آية من كتاب الله في صحيفة وليغسلها بماء

ويطول عمره إلى الشيخوخة والهرم والكبر ويعاد ثانياً (إلى أرذل العمر) إلى أقبحه وأذله لأنه يبول على نفسه كالطفل الصغير والرضيع {لَكَى لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا} لأنه يفقد الذاكرة ولا يعلم بشيء من العلوم التي كان يعلمها في عنفوان شبابه فلا يعرف أباً ولا أماً ولا يعرف الحلال من الحرام ولا الطيب من الخبيث ولا يعلم شيئاً من الحياء ولا الاستحياء ويصبح كالمعتوه والمجنون ولا يفقه شيئاً ولا يعرف أحداً حتى لا يعرف أولاده ولا غيرهم زيادة على انه يبول على نفسه وهذا هو أرذل العمر وأسوأه وأقبحه وأبغضه للنفس ولكن قَدَرَ اللهُ لا بد أن ينفذ {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَلِيمٌ} يعلم ويدري ويعرف بكل شيء في ملكه ومحيط به وخبير ولماذا أرجعه إلى أرذل العمر إما بغضاً له لأعماله القبيحة في الدنيا وعقاباً على ذنوبه ومعاصيه السابقة وإما رحمة به ليكفر عنه ذنوبه ومعاصيه في الدنيا حتى يلقي الله تعالى وليس عليه ذنب {قَدِيرٌ} الله تعالى قادر على فعل كل شيء ولا يمنعه شيء {وَاللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {فَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ} والله تعالى جعل الناس درجات ومنازل فمنهم الغني ومنهم الفقير ومنهم الملك والوزير والأمير والصلوك {فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ} فلا الغني يرد ماله ويعطيه للعبيد عنده فيصبحوا سواء ومتساويين في الغنى ولا الملك ولا الوزير ولا الأمير يعطوا أموالهم للفقراء ويتساووا في الملك ولكنه يبقى الملك ملكاً والغني غنياً والفقير والصلوك يبقون في فقرهم ومعيشتهم الدنيا والبسيطة والفقيرة {أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ} فهل بنعمة الله تعالى وبفضله وكرمه وجوده وغناه {تَجْحَدُونَ} يكفرون وينكرون ويكذبون {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه

{ جَعَلَ } خلق وعمل { لَكُمْ } أيها الناس { مِّنْ أَنْفُسِكُمْ } أي من بني آدم مثلكم ومن البشر وليس من الملائكة ولا من الحيوانات { أَزْوَاجًا } زوجات تتزوجونها وتنجبون منها { وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ } وجعل لكم بعد زواجكم من زوجاتكم ذرية من البنين والبنات { وَحَفَدَةً } وهم أولاد الذكور وأولاد الإناث لكم من أبنائكم حفدة يتوارثون ويتتابعون لحفظ النوع والذرية وحتى يوم القيامة حتى تعمّر الأرض وتستمر الحياة في الدنيا { وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ } والله تعالى أعطاكم من رزق الحلال الطيب سواءً من الذرية أو الطعام والشراب والفواكه والثمار والخضروات واللحوم والأسماك وغيرها من أنواع الطعام الشهية والشراب البارد والليذ { أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ } فهل بالأصنام وعبادتها الباطلة يؤمنون ويصدقون وهي لا تنفع ولا تضر { وَبِئِعْمَتِ اللَّهِ } وبفضل الله وكرمه على الناس بالصحة والذرية الطيبة والطعام الشهية وبجميع نعم الله تعالى عليهم { هُمْ يَكْفُرُونَ } هم ينكرون ويجحدون ويكذبون ويخالفون ويعصون { وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ } ويقومون العبادة لغير الله تعالى من الأصنام والأوثان والأنداد { مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا } ما لا يستطيعون أن يقدموا لهم رزقاً لأنهم جمادات لا يستطيعون تقديم الرزق { مِّنَ السَّمَوَاتِ } بالمطر { وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ } ولا يستطيعون خلق أي شيء في الأرض ولا خلق الثمار والفواكه ولا يستطيعون جلب الرزق لهم من الأرض إذا قحطت السماء بمطرها والأنهار بجفافها والعيون وعدم سيلها فهل يستطيعون عمل ذلك { فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ } فلا تقولوا أيها المشركون وتضربوا بها مثلاً من الأوثان والأصنام والأنداد بأنهم شركاء لله تعالى في الألوهية { إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ } إن الله

تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يعلم بأن الأصنام والأوثان لا تنفع ولا تضر وهي جمادات {وَأَنْتُمْ لَا تَعْمُونَ} وانتم لا تعلمون شيئاً من علمه ولا حكمته ولا قدرته ولا تعلمون خلق الله تعالى كلهم ولا عوالمهم ولا مكان وجودهم ولا ما هي أفعالهم وأعمالهم.

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۗ هَلْ يَسْتَوُونَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۗ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا} ضرب الله تعالى وقال مثلاً ولله الأمثال بعبد رقيق مملوك لغيره {لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ} لا يستطيع عمل شيء ولا يستطيع الإنفاق على نفسه ولا على غيره {وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا} ومثلاً آخر بالسيد الذي آتيناه رزقاً ومالاً طيباً كثيراً {فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ} فهو ينفق ويصرف ويتصدق منه على الناس والفقراء {سِرًّا} خفية {وَجَهْرًا} وعلناً {هَلْ يَسْتَوُونَ} هل يستوي العبد الرقيق المملوك الفقير الذي لا يستطيع الإنفاق على نفسه ولا على غيره فهل يستوي مع السيد الذي ينفق ويتصدق على الفقراء والمحتاجين؟ الجواب لا يستوون في المثل {الْحَمْدُ لِلَّهِ} فالحمد لله والشكر لله وحده على القدرة والعظمة لله الذي ينفق في الليل والنهار ويرزق جميع الخلق فهو لا يستوي مع الأصنام والأوثان والأنداد

المصنوعة من جمادات لا تنفع ولا تضر {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون عظمة الله تعالى وقدرته وأنه لا إله غيره ولا معبود سواه ولا خالق ولا نافع ولا ضار سواه {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ} وضرب الله مثلاً آخر ولله المثل الأعلى برجلين أحدهما أخرس لا يتكلم ولا يعظ ولا يهدي إلى شيء أبداً {وَهُوَ كَلٌّ} وهو عالة {عَلَىٰ مَوْلَاهُ} على سيده {أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ} أينما يبعثه إلى أي جهة أو ناحية أو مكان لا يستطيع أن يأتي بخير ولا برزق ولا بطعام ولا بشراب وهذا المثل هو مثل الصنم الذي يُعبد من دون الله وهو جماد لا ينفع ولا يضر {هَلْ يَسْتَوِي هُوَ} هل يستوي هذا الرجل الأبكم والذي لا يقدر على شيء {وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ} هل يستوي مع الرجل الحكيم العاقل الذي يأمر بالهدى والحق والصواب والخير والعدل {وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} وهو على صراط مستقيم لا اعوجاج فيه ولا ضلال ولا غي بل على الحق العظيم والطريق المستقيم فلا يتبع هوى ولا يضل الطريق. وهذا المثل ضربه الله تعالى بين عبادة الأصنام التي لا تنطق ولا تعقل ولا تقدر على فعل شيء وبين عبادة الله تعالى الخالق الرازق والمحيي والمميت والحكيم والعاقل والهادي وهو على صراط مستقيم كما قال تعالى: " إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " ٥٦ هود.

{وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} ولله تعالى وحده علم ما في السموات وما في الأرض فهو علام الغيوب {وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصْرِ} وما أمر الله تعالى بقيام القيامة إلا كرمش جفن العين {أَوْ هُوَ أَقْرَبُ} أو هو أسرع من طرفة جفن العين لأن

أمره بين الكاف والنون بقوله تعالى: " كُنْ فَيَكُونُ " {إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ}

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ يَرِيدُهُ {قَدِيرٌ} قَادِرٌ عَلَىٰ فِعْلِهِ بِقَوْلِهِ " كُنْ فَيَكُونُ " .

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ

وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٦﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ

السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ

لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ

ظَعِنَكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَىٰ حِينٍ

﴿٧٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ

سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ

لَعَلَّكُمْ تُسَلِّمُونَ ﴿٧٩﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٨٠﴾﴾

{وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ

أُمَّهَاتِكُمْ} أخرجكم بالولادة من أرحام أمهاتكم أطفالاً {لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا} لا

تعلمون شيئاً من أمور الدنيا كالبول على النفس حتى الكلام لا تستطيعونه ولا

تعلمون عن أنفسكم شيئاً ولا ما هي أسماؤكم ولا من هما أبواكم ولا أقرباؤكم

{وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ} وخلق الله لكم السمع من الأذنين لتسمعوا بهما ما يدور

حولكم وما يطلب منكم {وَالْأَبْصَرَ} والأعين التي ترون بها وتشاهدون ما حولكم

من الطعام والشراب والأهل والأقارب والأصدقاء والدنيا ونعيمها {وَالْأَفْئِدَةَ}

والقلوب لتعقلوا بها وتحبوا بها وتؤمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله

عليه وسلم نبياً ورسولاً بها {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} لعلكم تشكرون الله تعالى على

نعمة السمع والبصر والفؤاد من بعد الولادة حتى تسمعوا وتبصروا وتعقلوا بها وتشكروا الله تعالى على كل هذه النعم التي أنعمها الله تعالى عليكم فهو الخالق وهو الرازق وهو القادر والضرار والنافع فلا تعبدوا غيره ولا تشركوا به أحداً {أَلَمْ يَرَوْا} ألم ينظروا ويشاهدوا {إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ} إلى هذه الطيور وهي تسبح في جو السماء وهي مسخرات بأجنحتها تطير في الهواء {مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ} أي هو القادر على أن يطيرهن في جو السماء بقدرته أو يمسكهن بالموت أو المرض أو بأي شيء آخر بقدرته لأنه على كل شيء قدير وهذا يدل على قدرة الله تعالى الخالق الوحيد في جعل الطير تطير في جو السماء ولا يستطيع أحد أن يصل إليها في جو السماء وخاصة في وقت طيرانها {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في ذلك السمع والبصر والفؤاد وطيران الطيور في الهواء {لَآيَاتٍ} لدلائل وبيانات ومعجزات {لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} لقوم يصدقون بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً {وَاللَّهُ} والله جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ} جعل لكم مما تصنعون من البيوت ومما تبنونها {سَكَنًا} مسكناً تبيتون فيه وتحتنون من مطر الشتاء وبرده ومن حر الصيف وشمسه {وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا} وجعل لكم بيوتاً غير بيوت الحجارة واللين من الطين كذلك جعل لكم البيوت من جلود الأنعام وهي بيوت الشعر والخيام {تَسْتَخِفُّونَهَا} سهلة النقل {يَوْمَ ظَعْنِكُمْ} يوم سفركم ورحيلكم من مكان إلى آخر {وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ} وكذلك عندما تقيمون وتستقرون في مكانكم فهي سهلة في نصبها وإقامتها {وَمِنْ أَصْوَابِهَا} أي أصواف الغنم {وَأَوْبَارِهَا} أوبار الجمال

{وَأَشْعَارِهَا} شعر الماعز {أَثْنًا وَمَتَعًا} أي فراشاً وأغطية وتستعمل كألبسة وثياب يتمتع بلبسها الناس {إِلَىٰ حِينٍ} إلى حين أن تبلى وينتهي أجلها فتبلى وتهلك {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا} وجعل الله تعالى لكم ظلاً تستظلون به من خلق الله تعالى من الأشجار والكهوف والمغارات {وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ الْكُهُوفَ وَالْمَغَارَاتِ} الكهوف والمغارات {أَكْنَانًا} أغطية تحتمون بها وحصون من برد الشتاء ومن مطر السماء ومن حر الصيف وحر الشمس {وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ} وجعل لكم ثياباً {تَقِيكُمْ} تمنعكم وتحميكم {الْحَرِّ} شدة الشمس وحرارتها {وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ} وثياب من الدروع والتروس تمنعكم وتحميكم من ضربات سهام وسيوف وحراب أعدائكم وبما فيها الآن من المصفحات والمجنزرات والدبابات تحميكم من رصاص الأعداء {كَذَلِكَ} وهكذا {يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ} وهكذا يتم الله تعالى ويكمل نعمته عليكم بالحماية بالبيوت والمسكن والكهوف والمغارات والثياب والدروع والتروس والمصفحات خلقها الله لكم وجعلها لكم {لَعَلَّكُمْ تَسْلُمُونَ} لعلكم تنقادون لعبادة الله تعالى وحده وتطيعونه وتسلمون له فيما أمركم وفيما نهاكم على لسان رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {فَإِنْ تَوَلَّوْا} فإن أعرضوا وخالفوا وجحدوا وأنكروا وكذبوا بك يا محمد يا رسول الله {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} فإنما عليك تبليغ الرسالة واضحة الحجة والبيان والبرهان والدليل القاطع وكما قال تعالى: " لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ " ٢٢ الغاشية.

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٨٣) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا تُخَفِّفْ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ ^ط فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ ^ط وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ ^ط وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ ^ع وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَدُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

{ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ } فالمشركون والكفار يعرفون نعمت الله وفضله عليهم ويعرفون نعمت الإسلام وفضله عليهم بأنه لا يظلم ويساوي بين الناس بين الكبير والصغير وبين السيد والمملوك في الحق والواجبات والعبادات { ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا } ثم يجحدون بها ويتبعون شهواتهم وأهواءهم ويكذبون بها وكما قال تعالى: " وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ " ١٤ النمل.

{ وَأَكْثَرُهُمْ } وأغلبهم { الْكَافِرُونَ } الجاحدون والمنكرون والمكذبون بدين الإسلام كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن مجاهد أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا " فقال الأعرابي: نعم قال: " وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا " الآية قال الأعرابي: نعم ثم قرأ عليه كل ذلك يقول الأعرابي نعم حتى بلغ " كَذَلِكَ يَنْمُ نِعْمَتُهُ

عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ" فولى الأعرابي فأنزل الله "يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا"
الآية. [ابن كثير ج ٢ ص ٥٨٠]. {وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ} ويوم القيامة يبعث الله
تعالى من كل أمة ومن كل قوم {شَهِيدًا} يشهد عليهم وهو رسولهم وأنه بلغ
الرسالة لهم {ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ} ثم لا يسمح {لِلَّذِينَ كَفَرُوا} للكفار الذين أنكروا
رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} فلا يقبل منهم
الأعذار ولا يعاتبون بل يعذبون {وَإِذَا رَأَوْا} وإذا شاهد بأعينهم ورأى {الَّذِينَ
ظَلَمُوا} وهم المشركون الذين ظلموا أنفسهم بالشرك كما قال تعالى: "يَا بَنِيَّ لَا
تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" ١٣ لقمان. {الْعَذَابِ} العذاب في نار جهنم يوم
القيامة {فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ} فلا يقلل عنهم العذاب {وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ} ولا هم
يمهلون ولا يؤجلون {وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا} وإذا نظر وشاهد المشركون الذين
جعلوا لله شركاء من الأصنام والأوثان والأنداد {شُرَكَاءَهُمْ} وهم الذين أشركوهم
مع الله تعالى في الألوهية والعبادة {قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا
مِنْ دُونِكَ} هؤلاء شركاؤنا الذين عبدناهم غيرك {فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ} فردوا
عليهم وأجابوهم {إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ} إنكم تكذبون لأنهم لم يطلبوا منهم تلك
العبادة بل قاموا بها من أنفسهم ولذلك كذبوهم {وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ}
واستسلم عندها المشركون لله تعالى وخضعوا له يائسين من النجاة من عذاب جهنم
{وَوَضَّلَ عَنْهُمْ} وذهب وضاع {مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} ما كانوا يخلقون ويكذبون
{الَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار وهم الذين أنكروا وجحدوا وكذبوا رسالة سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم {وَوَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} ومنعوا الناس عن عبادة الله تعالى

وطاعته هو ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعن دين الإسلام {زِدْنَهُمْ عَذَابًا} ضاعفنا لهم العذاب في نار جهنم {فَوْقَ الْعَذَابِ} زيادة على عذابهم الأصلي {بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ} بما كانوا ينتهكون المحرمات ويمنعون الناس من عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وإضلالاً للناس عن الهدى وعن الإسلام. ويقال أن أهل النار يجزعون ألف سنة فلا ينفعهم ثم يقولون كنا في الدنيا إذا صبرنا كان لنا الفرج فيصبرون ألف سنة فلا يخفف عنهم العذاب فيقولون - سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص - فيسألون الله تعالى الغيث ألف سنة لما بهم من العطش وشدة العذاب لكي يزول عنهم بعض الحرارة والعطش فإذا تضرعوا ألف سنة يقول الله تعالى لجبريل أي شيء يطلبون فيقول جبريل يا رب أنت أعلم بهم إنهم يسألون الغيث فتظهر لهم سحابة حمراء فيظنون أنهم يمطرون فترسل عليهم العقارب كأمثال البغال فتلدغ الواحد منهم فلا يذهب عنه الوجع ألف سنة ثم يسألون الله تعالى ألف سنة أن يرزقهم الغيث فتظهر لهم سحابة سوداء فيقولون هذه سحابة المطر فترسل عليهم الحيات كأعناق الإبل كلما لسعت لسعة لا يذهب وجعها ألف سنة وهذا معنى قوله تعالى - زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون - يعني بما كانوا يكفرون ويعصون الله تعالى. [تنبيه الغافلين ج ١ ص ٢٢].

{وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ} ويوم القيامة يرسل الله تعالى من كل قوم ومن كل أمة {شَهِيدًا عَلَيْهِمْ} شاهداً عليهم يشهد عليهم وهو رسولهم ونبيهم {مِّنْ أَنْفُسِهِمْ} من جنسهم ومن قومهم {وَجِئْنَا بِكَ} وأحضرناك وأتينا بك يا محمد يا رسول الله {شَهِيدًا} شاهداً على تبليغ رسالتك {عَلَى هَؤُلَاءِ} على قومك وعلى أمتك من الناس {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ} وأنزل الله عليك يا محمد يا رسول الله {الْكِتَابَ} القرآن

{تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ} توضيحاً لكل شيء من الشرائع والأحكام وعلم كل شيء فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم {وَهُدَى} وهو هدى يهديهم للإيمان والإسلام ويهديهم للحق والرشاد ولأعمال الخير {وَرَحْمَةً} والقرآن رحمة يرحم به الناس والخلق جميعاً ويرحم الله به من عذاب النار يوم القيامة كل من اتبع أوامره واجتنب نواهيه وهو رحمة للأحياء والأموات إذا أهدي إليهم ثوابه بعد قراءته كما دلت الأحاديث على ذلك {وَنُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} فهو يبشر من اتبع دين الإسلام بالحياة الطيبة والرغدة والعيشة الهنية في الدنيا ويبشر من عبد الله تعالى وأطاعه ورسوله بأن يدخله الجنة يوم القيامة.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٦٠﴾

{إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى عز وجل {يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ} أي يوصي الناس والقضاة والحكام والأمراء وكبار القوم بأن يحكموا بالعدل وبالقسط بين الناس وبين بعضهم البعض كما جاء في الحديث القدسي الصحيح عن مسلم رحمه الله من رواية أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول: (يا عبادي إنني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه). [ابن كثير ج ٢ ص ٣١٩]. وقال صلى الله عليه وسلم: (العدل ميزان الله في الأرض فمن أخذه ساقه إلى الجنة ومن تركه ساقه إلى النار). [نزهة المجالس ص ٣٦٢]. وفي المرأة المخزومية التي سرقت وأرادت قريش أن يشفع أسامة بن زيد حِب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال مخاطباً لأسامة: (أتشفع في حد من حدود الله؟) ثم قام فخطب فقال: (يا أيها الناس إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد). [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ٢٠]. ولذلك قال الله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا " ١٣٥ النساء. وسبب نزول هذه الآية الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر حدثني عبد الله بن عباس قال: (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء بيته جالس إذ مر به عثمان ابن مظعون فكشر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا تجلس؟) فقال: بلى قال فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبلاً فبينما هو يحدثه إذ شَخَصَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى السماء فنظر ساعة إلى السماء فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض فتحرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره فأخذ ينغض رأسه كأنه يستفقه ما يقال له وابن مظعون ينظر فلما قضى حاجته واستفقه ما يقال له شَخَصَ بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء كما شَخَصَ أول مرة فأتبعه بصره حتى تواری إلى السماء فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى فقال: يا محمد فيما كنت أجالسك ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة فقال: (وما رأيتني فعلت؟) قال رأيتك شخص بصرك إلى السماء ثم وضعته حيث وضعته على يمينك فتحرفت إليه وتركتني فأخذت تنغض رأسك كأنك تستفقه شيئاً يقال لك قال: (وفطنت لذلك؟) فقال عثمان: نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(أتاني رسول الله آنفا وأنت جالس) قال: رسول الله؟ قال: (نعم) قال فما قال لك؟ قال: " إن الله يأمر بالعدل والإحسان " الآية قال عثمان فذلك حين استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمداً صلى الله عليه وسلم. [إسناد جيد متصل حسن قد بين فيه السماع المتصل - ابن كثير ج ٢ ص ٥٨٣]. {وَالْإِحْسَانِ} والله تعالى يأمر بالإحسان للناس بالصدقات والمعروف والخير حتى الإحسان إلى الذبيحة بسن الشفرة حين ذبحها كما جاء في الحديث {وَأَيْتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ} ويأمر الله تعالى بالصدقات لذي القربى وصلة الرحم {وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ} عن كل فاحش وقبيح كالزنا {وَالْمُنْكَرِ} وينهى عن كل ما أنكره الشرع وحرمه من المحرمات والمسكرات واللاأخلاقيات {وَالْبَغْيِ} وينهى الله تعالى كذلك عن الظلم والاعتداء على الأنفس وعلى الأموال والأعراض للناس {يَعْظُمُكُمْ} أي ينصحكم ويرشدكم {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} لعلكم تنتصحون وتتعضون بذلك وهذه الآية كما قال ابن مسعود أنها أجمع آية في القرآن وأنها ترد على من يقول من الكفار لو شاء الله لهدانا أو أراد الله لنا الكفر والعصيان وحاش لله لأن الله يأمر بالعدل والإحسان وباقي هذه الآية وكما قال تعالى: " وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ " ١٠ البلد. وقال تعالى: " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا " ٣ الإنسان.

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ
 اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا
 مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى
 مِنْ أُمَّةٍ ۗ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۗ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٢﴾
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ
 وَلِتَسْئَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ
 بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوَاءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ وَلَا
 تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾
 مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

{ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ } وأوفوا بما عاهدتم الله عليه وأوفوا التزاماتكم وأتموا شروط
 العهد أيها الناس { إِذَا عَاهَدْتُمْ } إذا تعاقدتم على شرط أن لا يكون في حرام { وَلَا
 تَنْقُضُوا } ولا تنكثوا ولا تفسدوا { الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا } الحلف والقسم بعد
 تأكيدها وتوثيقها { وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا } وقد جعلتم على ما أقسمتم به
 جعلتم الله شاهداً ووكيلاً { إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } إن الله تعالى يعلم حلفكم
 وقسمكم وتوكيدكم ونقضكم للعهد وللقسم وسيحاسبكم عليه يوم القيامة { وَلَا
 تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ } ولا تكونوا أيها الناس في حلفكم وقسمكم كالمرأة التي حلت
 وأفسدت وخربت { غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا } غزلها التي غزلته بالمغزل من
 الصوف بعد أن غزلته بصورة قوية وجيدة وحسنة وبعد أن أوثقتة أفسدته وخربته

وقيل عنها أنها امرأة حمقاء كانت بمكة كلما غزلت شيئاً أفسدته ثانياً
 {تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ} وتجعلون أيمانكم وقسمكم وحلفكم واسطة
 لتبرروا مآربكم وحوائجكم بينكم بواسطة اليمين الذي تقسمونه ولا تنقضوا هذه
 العهود والمواثيق والحلف واليمين والقسم وتنقضوه وتفسدوه كالمرأة التي تفسد غزلها
 بعد كماله {أَنْ تَكُونَ أُمَّةً هِيَ أَرْبَى} أن تكون أمة أو قوم أو دولة أكبر وأعظم
 وأغنى من التي تعاهدتم معها {مِنْ أُمَّةٍ} من الأمة الأخرى أو الحكومة الأخرى أو
 القوم الآخرين الذين هم أضعف أو أفقر أو أقل شأنًا ممن تعاهدتم معهم من قبل
 وتريدون بناءً على ذلك نقض عهدكم وميثاقكم وقسمكم بناءً على ذلك {إِنَّمَا
 يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ} إنما يختبركم ويمتحنكم بذلك العهد وذلك القسم حتى يرى
 ماذا تفعلون {وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ} وليوضحن لكم {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} يوم الحساب بخطئكم
 بنقضكم قسمكم وعهدكم ويحاسبكم عليه {مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} ما كنتم فيه
 تختصمون {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ} ولو أراد الله تعالى {لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} لجعلكم أمة
 واحدة أيها الناس عموماً وهي أمة الإسلام كما جعل الملائكة أمة واحدة لا يعصون
 الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون {وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ} ولكن الله تعالى يزيد
 ضلالاً من يعصي الله تعالى {وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} ويزيد هدى من عبد الله وأطاعه
 كما قال الله تعالى: " وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى " ٧٦ مريم. وكما قال تعالى:
 "فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا
 حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ"
 ١٢٥ الأنعام. وكما قال تعالى: " وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ " ١٠ البلد. وكما قال تعالى
 أيضاً: " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا " ٣ الإنسان. ولا يظن البعض

بظاهر الآية " يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ " أنها على ظاهرها بل المعنى أنه يزيد الظالمين ظلماً والعصاة يزيدهم فساداً بأن ييسر لهم الوصول إلى المحرمات كما قال تعالى: " قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا " ٧٥ مريم. وليس أنه يضلهم بالقوة وحاش لله أن يضلهم ثم يحاسبهم لأن الله تعالى ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى {وَلْتَسْأَلْنِ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} وسوف تحاسبون عن كل أعمالكم في الدنيا. وعن ابن أبي حاتم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معاذ إن المؤمن يُسأل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة بأصبعيه فلا ألفينك تأتي يوم القيامة وأحد أسعد بما آتاك الله منك). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٦]. وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن أربعة: عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه فيم عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه). [متفق عليه - تنبيه الغافلين ص ١٩]. {وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ} ولا تجعلوا أيمانكم واسطة في معاملاتكم بينكم للغش والخداع والغدر {فَتَرَلَّ قَدَمٌ} فتقع وتسقط قدمٌ من حلف كاذباً وغاشاً في الحرام {بَعْدَ ثُبُوتِهَا} بعد إيمانها بالله تعالى {وَتَذُوقُوا السُّوءَ} وتفضحوا ويرجع عليكم عذاب ذلك في الدنيا بأن يُعلم هذا الرجل الحالف في الأسواق مثلاً بأنه كاذب وغاش للمسلمين {بِمَا صَدَدْتُمْ} بما انحرقتم وبعدم {عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} عن طريق الله وهداه المستقيم والعاقل والحق والصواب {وَلَكُمْ عَذَابٌ} وزيادة على الخزي والفضيحة على الأيمان الكاذبة في الدنيا لكم وينتظركم عذاب الله تعالى يوم القيامة في جهنم فعذابه {عَظِيمٌ} قاس وموجع وأليم وشديد {وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} ولا تستبدلوا عهداً بثمن

بخس وتشتروا بعهدكم ثمناً زهيداً وتغدروا وتنقضوا عهدكم الذي عاهدتم به الله تعالى والناس. ويذكر هنا قصة معاوية لما كان بينه وبين ملك الروم أمد فسار معاوية إليهم في آخر الأجل حتى إذا انقضى وهو قريب من بلادهم أغار عليهم وهم غارون لا يشعرون فقال له عمرو بن عتبة: الله أكبر يا معاوية وفاء لا غدر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من كان بينه وبين قوم أجل فلا يحلن عقده حتى ينقضي أمدها) فرجع معاوية رضي الله عنه بالجيش. [ابن كثير ج ٢ ص ٥٨٤]. {إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} إنما عهدكم ووفاءكم به هو خير وأفضل لكم عند الله تعالى يوم القيامة إذا لم تنقضوا عهدكم بثمن قليل وزهيد وبخس فعند الله يوم القيامة ثوابه إذا بقيتم عليه ولم تنقضوه خيراً وأفضل بدخولكم الجنة {إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} لو كنتم تعلمون ما هو نعيم الجنة الدائم والذي لا يزول ولو تعلمون كذلك ما هو عقاب من نقض العهد وان عقابه يوم القيامة هو عذاب جهنم {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ} ما عندكم أيها الناس وما في أيديكم من الدنيا ومتاعها ينفد ويزول وينقضي {وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ} وما كان لله تعالى فهو باق يوم القيامة دائم ولا يزول ثوابه من الله تعالى {وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا} وسنكافئ الصابرين على الطاعة وعلى العهد في الدنيا {أَجْرَهُمْ} ثوابهم {بِأَحْسَنِ} بأفضل {مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ما كانوا يعملون في الدنيا من الحسنات فيوم القيامة الثواب يكون أكبر بدخول الجنة ودوام نعيمها.

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾

{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا} من عمل عملاً من الأعمال الصالحة من الخير والصدقات وأعمال البر وفي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وفي طاعته {مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ} من الرجال أو النساء {وَهُوَ مُؤْمِنٌ} وهو مؤمن ومصداق بثواب الله تعالى له على فعله وعمله من أعمال الخير والبر والصلاح ويقدمه لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته وثوابه {فَلَنُحْيِيَنَّهٗ} فنجعله يحيا {حَيٰوةً طَيِّبَةً} حياة سعيدة ورزق حلال طيب وحياة هنيئة ورجدة وفرح وراحة وسرور في عمله ووظيفته وفي بستانه وفي أهله وماله {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ} وسنكافئهم {أَجْرَهُمْ} ثوابهم يوم القيامة {بِأَحْسَنِ} بأفضل {مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ما عملوا في الدنيا من الخير والحسنات في مرضاة الله تعالى كيف لا وأن جزاءهم الجنة نعيم مقيم ودائم لا نصب ولا وصب فيها ولا موت بل حياة سعيدة دائمة هنية.

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ

عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٦٩﴾ إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ

يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿٧٠﴾

{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ} فإذا أردت يا محمد يا رسول الله قراءة القرآن وأنت أيها المؤمن والمسلم {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ} فاستجر بالله تعالى {مِنَ الشَّيْطٰنِ} وهو عاصي الجن وهو الذي شاط وابتعد عن طاعة الله تعالى {الرَّجِيمِ} فهو يرمم الحق بالباطل والهدى بالمعصية ولذلك هو مرجوم ومعذب من الله تعالى لأن الاستعاذة

بالله منه هي استجارة بالله تعالى من أذاه وشره ووسوسته لأنه يمنع المؤمن من تدبر القراءة والفهم عند التلاوة للقرآن الكريم ويلبس عليه قراءة القرآن في الصلاة وغيرها والشيطان هو مفرد أولاد إبليس من الجن من الكفار والرجيم هو العاصي والمتمرد والذي يرمج بالباطل قال تعالى: " وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا " ١١٧ النساء. وقال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا أسود بن عامر حدثنا سفيان حدثني منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة) قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: (وإياي ولكن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير). [انفرد بإخراجه مسلم - ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٤]. وقد ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حماد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يقول الله عز وجل: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم). [ابن كثير ج ٣ ص ٥٠]. وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبداً). [ابن كثير ج ٣ ص ٥٠]. وقال ابن جرير: حدثنا المثني حدثنا الحجاج حدثنا حماد عن حميد بن هلال حدثني رجل من أهل دمشق عن عوف ابن مالك عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يا أبا ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الإنس والجن) قال: قلت يا رسول الله هل للإنس من شياطين؟ قال: (نعم). [ابن كثير ج ٢ ص ١٦٦]. وقال النيسابوري في سبب اقتران التعوذ بالبسملة لأن البسملة فيها شفاء المؤمن والاستعاذة في سم الشيطان وفي الحديث (أغلقوا أبواب المعاصي بالاستعاذة وافتحوا أبواب الطاعة بالتسمية).

[نزهة المجالس ص ٣١٢]. وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن المؤمن لينض شياطينه كما ينض أحدكم بعييره في السفر). [ينض أي يأخذ بناصيته ويقهره - ابن كثير ج ٣ ص ٥٠]. وفي صحيح مسلم أن عثمان ابن أبي العاص أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثاً). فقال ففعلت ذلك فأذهب الله عني. [رواه مسلم ج ١ ص ٢١]. {إِنَّهُرُ} أي الشيطان {لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ} ليس له قوة وحكم وإغراء {عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا} على المؤمنين الذين صدقوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر {وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} وعلى الله تعالى ربهم وخالقهم يعتمدون أن يحفظهم من الشيطان ووسوسته {إِنَّمَا سُلْطٰنُهُرُ} إنما حكم الشيطان وإغراؤه وإضلاله {عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُرُ} على من تولاه واتبعه بالشهوات والملذات والمحرمات {وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} والذين يتخذونه شريكاً في الألوهية مع الله تعالى ويقولون الله إله السماء وإبليس والشيطان إله الأرض وما يأمرهم به يتبعونه ويصدقونه رغبة في إشباع ملذاتهم وشهواتهم في ما حرم الله تعالى.

﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿٢٠﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبَبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٢٣﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٤﴾

﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ﴾ وإذا غيرنا آية بدلاً من آية من آيات الله تعالى من القرآن الكريم بأن تنسخها أي تنسخ حكمها فقط أما نص الآية فيبقى مكانه حتى يعلم الآية الأصلية وناسختها والفرق بينهما وما هي الحكمة من التغيير والتبديل. والتغيير دائماً هو يبين مقدار رحمة الله تعالى كمن يذنب ثم يمحوها الله بالتوبة فذلك رحمة في التغيير لعباده المؤمنين ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه فهو أعلم بالحكمة في التبديل والتغيير للآية ويجعل مكانها وبدلاً منها في الحكم آية أخرى وعلى سبيل المثال لا الحصر فكان المسلم في الحرب والجهاد بعشرة رجال من الكفار ثم خفف الله على المسلمين فأصبح الواحد من المسلمين يقاتل اثنين من الكفار وهذا التبديل آية مكان آية هو

رحمة للمسلمين كما قال تعالى: " الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنْكُمْ مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ " ٦٦ الأنفال. {قَالُوا} قال الكفار {إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ} إنما أنت بتبديل آية في مكان آية أخرى وتبديل حكمها إنما أنت يا محمد تكذب وتختلق القرآن من عندك {بَلْ أَكْثَرُهُمْ} بل أغلبهم {لَا يَعْلَمُونَ} لا يعلمون الحكمة في التبديل في الحكم وما هي الحكمة في ذلك ولا يعلمون أنه رحمة للمسلمين والتخفيف عنهم كما أسلفنا آنفاً في عدد ما يجب مقاتلة المسلم من الكفار بدلاً من عشرة تخفف إلى قتال الواحد من المسلمين لاثنين من الكفار وإلا لو فرّ وهرب من العشرة كما كان الحكم سابقاً قبل التخفيف لكان ذلك فراراً من الحرب والجهاد والزحف وكان كبيرة من الكبائر وجزاؤه جهنم يوم القيامة ولكن الله بفضله وبرحمته خفف وبدل مكان العشرة باثنين {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للناس عموماً {نَزَّلَهُ} نزل القرآن الكريم من الله إليك يا محمد يا رسول الله {رُوحُ الْقُدُسِ} وهو جبريل عليه السلام {مِن رَّبِّكَ} من عند ربك وبأمره {بِالْحَقِّ} بالصدق {لِيُثَبِّتَ} ليطمئن ويرسخ ويؤيد الله جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِينَ ءَامَنُوا} المؤمنين الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويؤمنون بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً {وَهُدًى} وهو يهدي إلى الإيمان وعبادة الله تعالى وحده ويهدي به الناس إلى أمور الدنيا والآخرة في طاعة الله تعالى {وَدُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} وهو يبشر المسلمين الذين يعبدون الله وحده لا شريك له ويطيعونه بأن لهم الجنة يوم القيامة {وَلَقَدْ نَعْلَمُ} ولقد نعلم سرهم ونجواهم {أَنَّهُمْ يَقُولُونَ} بأنهم يقولون وهم الكفار يقول

بعضهم لبعض {إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ} إنما يعلم محمداً بشر من الناس ثم يخرج علينا ويدعي أنه من عند الله {لِسَانَ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ} لسان الرجل الذين ينسبون إليه أنه يُعَلِّمُ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {أَعْجَمِيٌّ} أي لا يعرف أن يتكلم باللغة العربية حيث أنه غير عربي في الجنس والنطق وقيل أنه رجل يدعى بلعام كما ذكر ابن جرير عن مجاهد عن ابن عباس. [ابن كثير ج ٢ ص ٥٨٦]. {وَهَذَا} وهذا القرآن نزل {لِسَانَ عَرَبِيٍّ} نزل بلسان اللغة العربية الفصحى {مُتِينٌ} عظيم وواضح وقوي اللفظ والبيان والتوضيح كيف لا وقد عجزت عنه ألسنة فقهاء وعلماء المسلمين بتفسير حروف أوائل السور فكيف هذا الأعجمي يعمل قرآناً ويعلمه إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولو كان كذلك لأنزل بلسان ذلك الأعجمي ولنزل القرآن أعجمياً علماً بأن الله تعالى لم يُنزل كتابه على الأعجميين لعدم الإيمان به كما قال تعالى: " وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ {١٩٨} فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ {١٩٩} " ١٩٨، ١٩٩ الشعراء. {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ} إن الذين لا يصدقون بآيات الله تعالى وكلامه من القرآن الكريم {لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ} لا يرشدهم ولا يدلهم ولا يجعلهم يهتدون للإيمان بالله تعالى ولا معرفة الطريق الحق والصواب استدراجاً لهم وعذاباً لهم {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ولهم يوم القيامة عقاب في جهنم شديد وقاس وموجع {إِنَّمَا يَفْتَرِي} إنما يخلق {الْكُذِبَ} التكذيب بالقرآن الكريم {الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} الذين لا يصدقون {بِعَايَتِ اللَّهِ} بكلام الله وتبليانه ودلائله وبراهينه وحججه ومعجزاته {وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} وهؤلاء هم الكاذبون على الله وعلى رسوله وعلى

آياته وكلامه وهم الكاذبون عند الله تعالى {مَنْ كَفَرَ} من جحد وأنكر وكذب {بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ} بالله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه من بعد أن دخل الإسلام {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ} إلا من غُصِبَ وأكره على ذلك {وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} وقلبه مصدق وموقن بالإيمان بالله تعالى ومصدق أنه لا إله إلا الله ولا معبود سواه {وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالكُفْرِ صَدْرًا} ولكن من شرح صدره للكفر ورغب فيه واعتنقه عن طيب خاطر {فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ} فعليهم سخط من الله {وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} ولهم يوم القيامة عذاب عظيم وقوي وشديد. وفي الحديث: (إن الله تعالى رفع عن أمتي الخطأ والنسيان والأمر الذي يكرهون عليه). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٦٧]. وفي سبب نزول هذه الآية قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن أبي عبيدة محمد ابن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (كيف تجد قلبك؟) قال: مطمئناً بالإيمان قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن عادوا فعد). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٨٧]. {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ} وسبب ذلك الكفر هو حبهم وتفضيلهم للحياة الدنيا على الآخرة {وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي} وأن الله تعالى لا يهدي للإيمان ولا يدل إلى طريق الهدى من عصى {الْقَوْمَ الكَافِرِينَ} القوم الجاحدين والمنكرين والعاصين المنكرين رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا يهديهم إلى الإيمان ويدعهم في طغيانهم وكفرهم يعمهون {أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ} وهؤلاء هم الذين ختم الله بطابع الكفر {عَلَى قُلُوبِهِمْ} بأن جعل قلوبهم مغلقة لا تهتدي للإيمان ولا أعمال الخير

{وَسَمِعِهِمْ} وكذلك على سمعهم فلا يستمعون للحق ولا للهدى {وَأَبْصَرِهِمْ} فأعمى الله بصائرهم فهم لا يرون طريق الحق ولا طريق الهدى بل ضلوا وابتعدوا عن الحق والهدى {وَأَوْلَاتِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} هؤلاء هم اللاهون والساهون عن عبادة الله تعالى وطاعته {لَا جَرَمَ} لا شك {أَنَّهُمْ} الكفار {فِي الْآخِرَةِ} يوم القيامة {هُمُ الْخَاسِرُونَ} هم الفاقدون أنفسهم وأهليهم في نار جهنم يوم القيامة ويخسرون الآخرة ونعيمها.

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾

{ثُمَّ} بعد ذلك {إِنَّ رَبَّكَ} إن ربك وخالقك وإلهك الله تعالى يا محمد يا رسول الله {لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا} من بعد ما عذبوا ولاقوا الأمرين والعداوة من كفار قريش ومن أذاهم {ثُمَّ جَاهَدُوا} ثم بعد ذلك جاهدوا وحاربوا في سبيل الله تعالى بأموالهم وأنفسهم وترك ديارهم وهم المؤمنون مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَصَبَرُوا} وجالدوا وتحملوا الأذى والمشاق وترك الأوطان والأهل

والديار في سبيل الله تعالى {إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا} إن ربك وخالقك وإلهك الله تعالى من بعد الهجرة للمسلمين وترك ديارهم {لِغُفُورٍ} سيغفر لهم أي للمسلمين المهاجرين ذنوبهم ومعاصيهم في الأيام السابقة قبل دخولهم الإسلام {رَحِيمٍ} ورحيم بهم وسيدخلهم الجنة يوم القيامة {يَوْمَ} أي يوم القيامة {تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ} تدافع كل نفس {عَنْ نَفْسِهَا} عن ذاتها {وَتُوقَى} كل نفسٍ مَّا عَمِلَتْ وتجازى كل نفس بما عملت من خير فتوابه دخول الجنة وما عملت من شر وارتكبت المعاصي والذنوب والكفر فلها عذاب نار جهنم {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} وهم بذلك الثواب والعقاب على أعمالهم فلا يظلمون في ذلك {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا} وضرب الله مثلاً وذلك للاعتبار وهو مثل {قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً} آمنة من عذاب الله تعالى ومن الظلم في الدنيا ومطمئنة مرتاحة المكان والضمير والمال والولد {يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا} يأتيها رزقها طيباً واسعاً سهلاً {مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ} من كل مكان من الشرق والغرب ومن الشام واليمن مع الحجاج والتجار {فَكَفَرَتْ} فجحدت وأنكرت وكذبت {بِأَنعَمِ اللَّهِ} بأفضال الله وكرمه من دين الإسلام ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن الأمان بالرزق والمكان وألا يتخطفهم الناس فلما كفروا وأنكروا وجحدوا وكذبوا ذلك {فَأَذَاقَهَا اللَّهُ} عذبها الله تعالى {لِبَاسٍ} لِبَاسِ الْجُوعِ لباس الفقر والمجاعة والقحط {وَالْخَوْفِ} والخوف أن يتخطفهم الناس وأن يبطش بهم المسلمون إذا قويت شوكتهم {بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} بما كانوا يذنبون ويشركون ويكفرون ويعصون ويجحدون وينكرون ويكذبون رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش بسبع

كسبع يوسف فقال: (اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف) فأصابهم الله بقحط حتى أكلوا الجيف والوبر فسلط الله عليهم لباس الجوع أي جوعاً لا يفارقهم كما اللباس لا يفارق الرجل عن جسده والخوف من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يظهرهم الله عليهم وهذا التسليط من الله تعالى بما كانوا يصنعون من العداوة مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويصدون عن دينه {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ} ولقد أتاهم {رَسُولٌ مِنْهُمْ} فقد جاءهم نبي ورسول من قومهم ومن جنسهم من البشر {فَكَذَّبُوهُ} فأنكروه ولم يصدقوه {فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ} فأخذهم عذاب الله تعالى بالفقر والجوع والخوف {وَهُمْ ظَالِمُونَ} وهم معتدون وظالمون لأنفسهم بالكفر والشرك والعصيان {فَكُلُوا} فكلوا أنتم أيها المؤمنون {مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} مما رزقكم الله تعالى ومما أفاض عليكم من الخيرات والطعام {حَلَالًا} أي مصدره حلال وهو حلال {طَيِّبًا} طاهراً حسناً جيداً رغداً {وَأَشْكُرُوا} واحمدوا {نِعْمَتَ اللَّهِ} فضل الله وكرمه عليكم بذلك الطعام والشراب الذي سخره إليكم {إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} إن كنتم تعبدون الله وحده ولا تشركوا به أحداً وتؤمنون به وهم فعلاً يؤمنون به لأنهم مؤمنون.

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنِزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۗ فَمَنْ أَضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿١٦﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١٧﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾

{إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ} إنَّ ما جعله الله حرام عليكم أيها المؤمنون {الْمَيْتَةَ} وهي كل ما مات من الأنعام بدون أن تذبح ويذكر اسم الله عليها {وَالدَّمَ} جميع الدم السائل والمسفوح ما عدا دم الكبد والطحال وفي الحديث: (أحل لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال). [أخرجه أحمد والدارقطني مرفوعاً من حديث ابن عمر وقال إن الموقوف أصح ورجح البيهقي الموقوف وقال له حكم الرفع - سبل السلام ج ٤ ص ٧٦]. {وَلَحْمَ الْخَنِزِيرِ} وكذلك حرم الله أكل لحم الخنزير وشحمه {وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} وما ذبح على غير اسم الله أو ما أهدي وذبح لغير الله من الأصنام والأوثان {فَمَنْ أَضْطُرَّ} فمن اضطر للأكل من ذلك {غَيْرِ بَاغٍ} أي غير معتد على شرع الله وبدون عذر ومتعدي لحدود الله {وَلَا عَادٍ} ولا متعدياً ومنتهكاً ومتعمداً وغير سائل عن معصية ولا خوف ولا وجل من الله تعالى كمن يأكل لحم الخنزير وهو يعرف أنه محرم وبدون اضطرار {فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} فالله تعالى بفضله وكرمه يغفر للمضطر والذي لا يعلم أنه ميتة أو لحم خنزير {رَحِيمٌ} ورحيم به ولا يعذبه يوم القيامة على ذلك ويدخله الجنة والأصل في ذلك كله أن كل ما ذكر فهو حرام شرعاً لغير المضطر {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ} ولا تقولوا كذباً بألسنتكم {هَذَا حَلَلٌ} عن الحرام هذا حلال {وَهَذَا حَرَامٌ} وعن الحلال

هذا حرام اختلاقاً وكذباً وادعاءً من أنفسكم وليس من كتاب الله ولا من سنة رسوله
 {لَتَفْتُرُوا} لتختلقوا {عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ} أي يكذبوا على الله تعالى بأن يجعلوا
 الحرام حلالاً كالميتة ولحم الخنزير {إِنَّ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ} إن الذين يختلقون ويكذبون
 {عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ} أي يكذبون على الله تعالى بما لم يقله ولا يحلله كذباً وافتراءً
 {لَا يُفْلِحُونَ} لا يفوزون لا في الدنيا ولا في الآخرة {مَتَّعٌ قَلِيلٌ} أي متاع في الدنيا
 ولذة قليلة في الدنيا {وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ولهم عذاب موجه وشديد وقاس يوم
 القيامة.

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا
 أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ
 ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾

{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا} وعلى اليهود {حَرَّمْنَا} جعلنا عليهم حراماً أكل {مَا
 قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ} ما قد أنزلناه عليك وقصصناه عليك في سورة الأنعام وهو
 قوله تعالى: " وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ
 شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ
 بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ " ١٤٦ الأنعام. وهو ما سردناه قبل ذلك {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ} وما
 ظلمهم الله بذلك {وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} ولكن لأنهم هم ظلموا أنفسهم
 بالشرك والكفر والمعاصي جازيناهم وعاقبناهم على ذلك {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ} ثم بعد
 ذلك إن ربك وخالقك وإلهك الله تعالى يا محمد يا رسول الله {لِلَّذِينَ عَمِلُوا
 السُّوءَ} للذين عملوا الشر والذنوب والمعاصي {بِجَهَالَةٍ} على جهل وكل عاص فهو

جاهل {ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} ثم تابوا وندموا ورجعوا إلى الله بالتوبة بعد ذلك الذنب {وَأَصْلَحُوا} أي وأصلحوا أعمالهم وعملوا الصالحات والطاعات وأعمال الخير في طاعة الله تعالى {إِنَّ رَبَّكَ} إن ربك وخالقك وإلهك الله تعالى يا محمد يا رسول الله {مِنْ بَعْدِهَا} من بعد التوبة {لَغُفُورٌ} يغفر الذنوب لمن تاب {رَحِيمٌ} يرحم من تاب ولا يعذبه.

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٤﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ۚ أَحْتَبُّهُ وَهَدَنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٥﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٦﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ} إن إبراهيم ابن آزر نبي الله ورسوله خليل الله {كَانَ أُمَّةً} كان عبداً وإماماً يعلم الناس الخير وكأنه أمة بكاملها لأن فيه جميع صفات الأمة من الكرم والشجاعة والإخلاص في عبادة الله تعالى وفي جميع أعمال الخير {قَانِتًا لِلَّهِ} أي طائعاً وعباداً لله تعالى {حَنِيفًا} مستقيماً لا ينحرف ولا يذهب للشرك {وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ولم يشرك بالله تعالى غيره {شَاكِرًا} حامداً لله تعالى {لِأَنْعُمِهِ} لأفضاله {أَحْتَبُّهُ} أي اختاره واصطفاه بالرسالة {وَهَدَنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} وهداه إلى الإسلام وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له وهو الطريق المستقيم الذي يوصل إلى طاعة الله تعالى وعبادته {وَأَتَيْنَاهُ} وأعطيناه {فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} وهي حسنة النبوة والرسالة والخلة والحفظ من نار النمرود والبركة في

أولاده بأن جعلهم رسلاً وأنبياءً وكذلك جعل أولاد أولاده رسلاً وأنبياءً ومنهم إسماعيل عليه السلام ومنهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من ولد إسماعيل {وَأِنَّهُ رَفِىَ الْآخِرَةَ} وإن إبراهيم عليه السلام يوم القيامة {لَمِنَ الصَّالِحِينَ} يُجمع يوم القيامة مع الصالحين من الأنبياء والرسل {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} ثم أرسلنا إليك وبعثنا بواسطة الوحي جبريل عليه السلام يا محمد يا رسول الله {أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ} أن اتبع دين إبراهيم ومذهبه وهو دين الإسلام {حَنِيفًا} مستقيماً لا ينحرف إلى الشرك {وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ولم يكن من القوم المشركين الذين أشركوا مع الله آلهة غيره من الأصنام والأوثان والأنداد {إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ} إنما جعل يوم السبت وفرض {عَلَى الَّذِينَ أَحْتَلَفُوا فِيهِ} وهم اليهود عندما طلب منهم نبي الله ورسوله موسى عليه السلام بأن يكون عيدهم يوم الجمعة فرفضوا وطلبوا السبت فعاقبهم الله به وحرم عليهم فيه صيد الحيتان والأسماك فعملوا حيلة واصطادوها يوم السبت بأن وضعوا الشباك والصنابير يوم الجمعة في البحر ولأن الحيتان لا تأتي إلا يوم السبت فتصطاد في شباكهم ويأخذونها من البحر يوم الأحد ويقولون لم نصطد يوم السبت وذلك حيلة فمسخهم الله قردة لأنهم تحايلا على أمر الله تعالى وشرعه {وَإِنَّ رَبَّكَ} وإن ربك وخالقك وإلهك الله تعالى يا محمد يا رسول الله {لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ} ليفصل بينهم ويقضي {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} في الآخرة عند قيام يوم القيامة ويحاسبهم {فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} في مخالفتك وفي صيد الحيتان يوم السبت ومخالفتهم باتباعك في عيد يوم الجمعة.

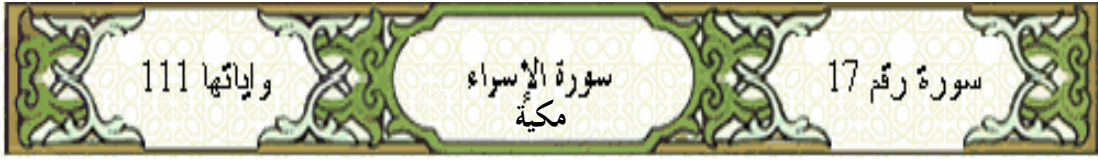
﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

{أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ} قم بالدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له فهو ربك وإلهك وخالقك يا محمد يا رسول الله {بِالْحُكْمَةِ} أي بما جاء في القرآن من حكمة والحجة الواضحة والدليل البين وما يحتاجه الموقف من حكمة في الرأي وفي القول وفي الحديث وفي النصح {وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} وتخير أحسن المواعظ التي تلين بها القلوب وتتعض بها وتأخذ بها الأنفس {وَجَدِلْ لَهُم} وحاججهم وناقشهم {بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} وتكون المجادلة والمناقشة باللين وحسن الحديث لا بالعصبية ولا بالشدّة لأن الكلمة الطيبة حسنة {إِنَّ رَبَّكَ} إن ربك وخالقك وإلهك الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يا محمد يا رسول الله {هُوَ} أي الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ} والله تعالى يعلم الضال من الناس والمنكر والجاحد والعاصي {وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو أعلم بمن اهتدى للإسلام واتبعه وأخذ بشرع الله تعالى وترك سواه {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ} وإن أردتم الانتقام وعذاب وعقاب أحد من الناس {فَعَاقِبُوا} فانتقموا وخذوا بثأركم {بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} وذلك مثل ما اعتدى عليكم اعتدوا ولا تزيدوا {وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ} ولئن تحملتم الأذى والعقاب

{لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} هو أفضل لمن يتحمل ويصبر على الأذى. قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا الحسن بن يحيى حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا صالح المري عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حين استشهد فنظر إلى منظر لم ينظر إلى منظر أوجع للقلب منه أو قال لقلبه فنظر إليه وقد مثل به فقال: (رحمة الله عليك إن كنت ما علمتك إلا وصولاً للرحم فعولاً للخيرات والله لولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أتركك حتى يحشرك الله من بطون السباع - أو كلمة نحوها - أما والله على ذلك لأمثلن بسبعين كمثلتك) فنزل جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بهذه السورة وقرأ: " وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به " إلى آخر الآية فكفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني عن يمينه وأمسك عن ذلك. [ابن كثير ج ٢ ص ٥٩٢]. وهذه الآية عامة في الحكم لجميع المسلمين {وَأَصْبِرْ} وتحمل وجالد يا محمد يا رسول الله وأنت من بعده أيها المؤمن {وَمَا صَبْرُكَ} وما تحملك وجلادك للأذى وتحمله {إِلَّا بِاللَّهِ} إلا بمعونة الله وبفضله وما صبرك إلا لمرضاة الله تعالى وفي مقابل ثوابه يوم القيامة {وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} ولا يصيبك حزن ولا هم بسببهم وعلى شدة كفرهم وعنادهم {وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ} ولا تكن في شدة {مِمَّا يَمْكُرُونَ} مما يعادونك ويحكيون لك العداوة والبغضاء لسبب كفرهم وعنادهم {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا} مع الذين اتقوا الله وخافوه وابتعدوا عن معصيته أو انتهك حدوده والذين اتقوا هم المتقون الذين يعبدون الله تعالى وحده ولا يشركون به أحداً ويطيعونه ويخافونه ويخشونه بالغيب وفي جميع أمورهم والله تعالى معهم

بالتأييد والنصر والرحمة {وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} واللّه تعالى مع الذين هم محسنون وهم المخلصون في أعمالهم وطاعتهم لله تعالى ومحسنون لمن أساء إليهم بالصفح والصبر.

قال محمد بن إسحاق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت سورة النحل كلها بمكة وهي مكية إلا ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة بعد أحد حين قتل حمزة رضي الله عنه ومُتَّلَ به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لئن أظهرني الله عليهم لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم) فلما سمع المسلمون ذلك قالوا والله لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط فأنزل الله: "وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ" إلى آخر السورة وهذا مرسل وفيه رجل مبهم لم يسم. [ابن كثير ج ٢ ص ٥٩٢].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا

الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾

{سُبْحَانَ} أي تنزهه الله عن كل سوء وكل ما لا يليق به ولا ينبغي له جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وكلمة سبحان هي كلمة لا تقال إلا للتعجب من شيء عظيم أو حدث جلل وكيف لا والقائل بهذه الكلمة هو الله تعالى جل جلاله وهو يمجده نفسه بالحدث الذي يأتي به في كونه خارق للعادات وهو {الَّذِي أَسْرَى} الذي سَيرَ والإسراء هو السير ليلاً أو بعضاً من الليل {بِعَبْدِهِ} أي بجسده وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والإسراء لا يتم إلا بالجسد {لَيْلًا} ولا يتم الإسراء إلا في الليل وقد كان الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلاً حتى يختلي الحبيب بحبيبه وحتى لا تحرقه الشمس بلهيبها ولا تشغله الناس بحركاتها وضجيجها وأعمالها {مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} من مكة إلى المسجد الأقصى بفلسطين (والمسجد الحرام) سمي بذلك لأنه تحرم فيه الحروب والقتال ويحرم فيه الصيد وقطع الأعشاب والأشجار ما عدا شجر الإذخر {إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا} وهو بفلسطين وسمي الأقصى لبعده عن المسجد الحرام {الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ} جعل الله تعالى حول المسجد الأقصى من المدن والقرى مباركة بميلاد الأنبياء والرسل وبوجود أغلب قبورهم حوله في فلسطين زيادة على أنه لا توجد حوله أصنام حيث أنه كان في ذلك الوقت وقت الإسراء يوجد ثلاثمائة وستون صنماً حول الكعبة {لِنُرِيَهُ} أي

أراد الله بهذا الإسراء وبهذه المعجزة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ليبريه ويطلعه وينزهه ويفرجه {مِنْ أَيْنَتِنَا} ليطلعه الله تعالى على عظيم قدرته ومعجزاته وعجائب ملكوته {إِنَّهُ هُوَ} إنه هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه الذي أسرى بعبده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {الْأَسْمِيعُ} لجميع خلقه {الْبَصِيرُ} المطلع والمحيط بجميع ما في ملكه وبصير بإسراء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا الإسراء هو معجزة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو حدث تاريخي كوني غيبي إيماني كبير وعظيم ومدهش وعجيب خارق للعادات والنواميس الطبيعية ألغى كل قوانين الكون المعروفة فهو حدث رباني قرآني إيماني غيبي أبطل قوانين الجاذبية والوقت والزمن والمسافات وألغى العقل والتفكير والفهم والإدراك والعلم والمعرفة وهو خارق لكل المفاهيم والعقول وهو فوق العقل دال على القدرة أبطل العقول والأفهام والحواس يقف أمامه العقل مغلقاً وموقوفاً ولا حجة له ولا برهان ولا تفكير لأنه من الغيب وبقدرة الله تعالى وهو إيماني غيبي صرف والغيب هو أول المراتب في الإيمان وقبل الصلاة والزكاة لقوله تبارك وتعالى: " الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ " ٣ البقرة. والإسراء هو بالروح والجسد وليس رؤية منام بل حقيقة واقعية أسرى بالنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بفلسطين (بعبده) بجسمه ثم من المسجد الأقصى عن طريق المعراج إلى السموات العلا حتى سدرة المنتهى ومنها المواصلة الثالثة بالررفرف الأخضر من سدرة المنتهى إلى العرش للمقابلة العظمى مقابلة الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه. والمواصلة الأولى من مكة إلى القدس بواسطة البراق وكما أسلفنا آنفاً بأن الإسراء لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان بجسده وروحه حقيقة ويقظة وفي

الليل بالإسراء أولاً: لقوله تعالى: " سُبْحَانَ " وهي كلمة لا تقال إلا للتعجب من شيء عظيم أو حدث جلل وهو الإسراء. ثانياً: قوله تعالى: " أَسْرَى " والإسراء هو السير فعلاً ليلاً أو بعضاً من الليل ولا يتم الإسراء إلا بالجسد. ثالثاً: قوله تعالى: " بَعْبَدِهِ " أي بجميع جسده وروحه. رابعاً: أن المعراج حق وقد حدث في تلك الليلة حيث رأى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام بعد السماء السابعة عند سدرة المنتهى وكان في المرة الأولى قد رأى بعينه جبريل عليه السلام وله ستمائة جناح وسد بجناحيه الأفق عندما كان في غار حراء عندما نزل عليه جبريل بقوله تعالى: " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ " والثانية هذه عند سدرة المنتهى لقوله تعالى: " وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى {١٣} عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى {١٤} عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى {١٥} " ١٣-١٥ النجم. ورآه على خلقته الأصلية. خامساً: أن الإسراء حقيقة رأى آيات ربه ليس رؤية منام ولا تخيل لقوله تعالى: " مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى " ١٧ النجم. أي ما انحرف عن الرؤية وليس نوماً ولا زاد فيها كالتخيل وليس كذباً بل حقيقة. سادساً: الرؤية كانت في الإسراء بالعين والقلب حتى لا يُكذَّبَ القلب العينين لقوله تعالى: " مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى " ١١ النجم. لأن الإيمان في القلب والقلب لا يكذب وأنه حقيقة وليس خيال ولا نوم ولا كذب. سابعاً: أن الله تعالى يؤكد أن الإسراء والمعراج كان يقظة وبجسمه وروحه حياً يقظاً يرى بأم عينيه ما يدور حوله وليس كذباً لقوله تعالى: " أَفْتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى " ١٢ النجم. ثامناً: أنه رأى من عجائب قدرة الله تعالى الكبرى التي تدهش العقول وترسخ الإيمان في قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأن البعث لا ريب فيه وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الحساب يوم القيامة حق لقوله تعالى: " لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى " ١٨ النجم. تاسعاً: وهو أن النبي سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج وصل مكاناً لم يستطع جبريل عليه السلام أن يصله وتوقف عند سدرة المنتهى أما النبي صلى الله عليه وسلم فوصل مكاناً لا يصله ملك مقرب ولا نبي مرسل كما قال تعالى: " فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ " ٩ النجم. أي وصل من القرب من الله تعالى عند العرش فكان من القرب من الله تعالى عند المقابلة والمناجاة بمقدار قاب قوسين أو أدنى عاشرًا: أن الإسراء والمعراج بجسده صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى فرض عليه الصلاة في ليلة الإسراء والمعراج عند العرش في المقابلة لقوله تعالى: " فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدِي مَا أَوْحَىٰ " ١٠ النجم. وقالت عائشة رضي الله عنها: يا نبي الله كم جرى بينك وبين الله كلمة؟ قال: (اثنا عشر ألف كلمة كلها في شأن أمتي فأجابني إلى ما سألت). [نزهة المجالس ص ٤٠٨]. الحادي عشر: أنه تمت المقابلة في ليلة الإسراء والمعراج بين الله تعالى وبين رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عند العرش لم يصله ملك مقرب ولا جبريل عليه السلام ولا نبي مرسل ثم نزل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد المقابلة إلى جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى بعد المقابلة العظمى لقوله تعالى: " ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ {٨} فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ {٩} فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدِي مَا أَوْحَىٰ {١٠} " ٨-١٠ النجم. فالدنو في الصعود والتدلي في الهبوط ثم أكد الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وعظمت قدرته الإسراء والمعراج في ليلة الإسراء والمعراج تأكيداً جازماً عقيدة وإيماناً قلبياً لا يكذب لقوله تعالى: " مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ {١١} أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ {١٢} " ١١، ١٢ النجم. وبهذه الآيات لا يستطيع أحد بعد ذلك أن لا يصدق ويكذب الإسراء والمعراج بالروح والجسد وإلا يطبق عليه قوله تبارك وتعالى: " أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ " ٨٥ البقرة. مع ملاحظة كون الإيمان بالغيب هو شرط الإيمان لقوله تعالى في أول سورة

البقرة وقبل الصلاة لأنها فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج بعد انتهاء الإسراء والمعراج كما قال تعالى: " الم {١} ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ {٢} الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ {٣} " ١-٣ البقرة. وقال علي رضي الله عنه: (سلوني قبل أن تفقدوني وعن علم لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل قال إن الله علم نبيه محمد ليلة المعراج علوماً شتى فمنها علم أمره الله بكتمانه وعلم أمره بتبليغه وعلم خيره الله فيه فكان مما أسرّ إليّ أنه قال كنت نوراً في وجه إبراهيم ودرّة في ظهره فلما عارضه جبريل وهو في كفة المنجنيق وقال يا إبراهيم ألك حاجة قال أما إليك فلا فعاد إليه وقال ألك حاجة إلى ربك قال يا جبريل من شأن الخليل أن لا يفارق خليله قال صلى الله عليه وسلم فأنطقني الله أن قلت إن بعثني الله واصطفاني بالرسالة لأكافئن جبريل فلما كان ليلة المعراج أتاني جبريل وكان هو السفير بي إلى أن انتهى معي إلى مقام ثم وقف فقلت يا جبريل في مثل هذا المقام يفارق الخليل خليله فقال نعم إن جاوزته احترقت بالنور فقلت له هل لك إلى الله من حاجة قال نعم أسأل ربك أن يجعلني أبسط جناحي لأمتك على الصراط يوم القيامة حتى يجوزوا عليه فقلت بارك الله فيك يا جبريل). [نزهة المجالس ص ٤٠١]. وقال النووي رضي الله عنه في الروضة كان المعراج بمكة ليلة السابع والعشرين من رجب. [نزهة المجالس ص ٣٧٧]. وقال السدي: هو قبل ستة عشر شهراً قبل الهجرة. [ابن كثير ج ٣ ص ٢٢]. وقصة الإسراء والمعراج مختصرة قيل أنه كان نائماً في بيت أم هانئ بنت عمه أبي طالب واسمها فاختة وفي البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج عن صدري أي شقه ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم

أطبقة وهي رواية أنس عن أبي ذر قاله البخاري حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. [ابن كثير ج ٣ ص ٩]. ورواه أنس عن أبي ابن كعب الأنصاري رضي الله عنه قال عبد الله بن الإمام أحمد: حدثنا محمد ابن إسحاق بن محمد بن المسيب حدثنا أنس بن عياض حدثنا يونس بن يزيد قال قال ابن شهاب قال أنس بن مالك كان أبي بن كعب يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري ثم أطبقه). [ابن كثير ج ٣ ص ١٠]. وقال الإمام أبو عبد الله البخاري: حتى احتملوه فوضعه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب محشواً إيماناً وحكمة فحشا به صدره ولغاديدته — يعني عروق حلقه — ثم أطبقه). [ابن كثير ج ٣ ص ٢]. وروى الإمام أحمد عن قتادة أنه شق من قصته إلى شعرته. [ابن كثير ج ٣ ص ٨]. وقيل أنه صلى الله عليه وسلم كان نائماً في بيت أم هانئ ثم نقل إلى المسجد الحرام وهناك كان شق الصدر. وفي المواصلة الأولى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثم أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه وله جناحان وهو مثل الطاووس). [نزهة المجالس ص ٣٨١]. ثم قدم جبريل البراق فنفر لأن النبي صلى الله عليه وسلم لمس الصفا بيده وقال إن من يعبد هذا الشقي والصفا كان صنماً على صورة رجل والمروة كانت صنماً على صورة امرأة فقال له جبريل يا براق أما تستحي من محمد فوالذي نفسي بيده ما ركب على ظهره أفضل منه فقال البراق هذا النبي العربي قال نعم

قال هذا صاحب الحوض المورد قال نعم قال هذا قائد الغر المحجلين قال نعم قال هذا الشفيح في القيامة قال نعم فعند ذلك خضع له قال اركب يا سيد المرسلين ولكن لي إليك حاجة أن لا تنساني من شفاعتك يوم القيامة فلما أراد الركوب بكى فسأله جبريل عن ذلك فقال تذكرت أمتي هل يركبون يوم القيامة قال نعم " يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدًا " يعني ركباناً فعند ذلك اندفع الكرب عن محمد صلى الله عليه وسلم فقال حيوان ضعيف يحمل أثقال محبته وأسرار أمانته التي عجز عن حملها السموات والأرض والجبال يا جبريل المركوب يُقَطع به المسافات والدليل يُسْتَدل به على الجهات والجهات إنما هي محل الحادثات وأنا حبيبي تقدر عن الجهات ولا يوصل إليه بالحركات فمن علم المعاني وعرف ما أعاني عرف أن قربي منه قاب قوسين كقربي منه وأنا في بيت أم هانئ وقال جبريل إنما جيء بي إليك لأكون خادماً لدولتك وجنتك بالمركوب على عادة الملوك وآداب أهل السلوك لإظهار كرامتك فلما ركب أخذ جبريل بزمام براقه وميكائيل بركابه وإسرافيل يسوى أطراف ثيابه وعلا به البراق على جبل مكة ثم قال يا محمد انزل فصل ففعل ذلك فقال أتدري أين صليت قال لا قال بطيبة وإليها تهاجر إن شاء الله ثم سار وفي رواية فسرنا ثم قال انزل فصل فصليت فقال أتدري أين صليت قلت لا قال صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى ثم سرنا فقال انزل وصل فصليت فقال أتدري أين صليت قلت لا قال صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى فبينما أنا أسير إذ سمعت نداء عن يميني على رسلك يا محمد حتى أسألك فلم أعرج إليه ثم سمعت نداء عن يساري على رسلك يا محمد حتى أسألك فلم أعرج عليه ثم استقبلتني امرأة عليها من كل زينة فقالت على رسلك يا محمد حتى أسألك فلم أعرج عليها فسألت جبريل عن ذلك فقال الداعي الأول داعي اليهود

ولو أحبته لتهودت أمتك والثاني داعي النصارى ولو أحبته لتنصرت أمتك والمرأة هي الدنيا ولو أحبته لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة. [نزهة المجالس ص ٣٨٣]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (رأيت شاباً حسن الثياب طيب الرائحة فقبلني بين عيني ثم غاب عني فسألت جبريل فقال هذا الدين أبشر فإن أمتك يعيشون مؤمنين ويموتون ويدخلون الجنة آمنين ثم أوتيت بثلاثة أقداح قدح من لبن وقدح من ماء وقدح من خمر فاخترت اللبن فقال جبريل أصبت الفطرة ولو شربت الماء غرقت أمتك أو الخمر سفهت أمتك فشربت بعض اللبن فقال جبريل لو شربت اللبن كله لم يدخل أحد من أمتك النار فقلت أشربه كله فقال هيهات جرى القلم بما حكم ثم أوتيت بثياب بيض وخضر وصفر وسود فاخترت الأبيض فقال جبريل الثياب البيض ثياب أهل الإسلام والخضر ثياب أهل الجنة وجبت لأمتك الجنة والثياب الصفرة ثياب أهل الكتاب نجت أمتك من اليهودية والنصرانية والسود ثياب أهل النار نجت أمتك من النار). [نزهة المجالس ص ٣٨٣]. وقال العلائي: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لما أتيت بيت المقدس ليلة أسري بي وقفت على باب المسجد فتلقاني ثلاثة بيد كل واحد إناء فيه لبن وإناء فيه خمر وإناء فيه ماء وقيل لي اشرب فسمعت قائلاً يقول إن شرب محمد الماء غرق وغرقت أمته وإن شرب الخمر غوى وغويت أمته وإن شرب اللبن هدى وهديت أمته فأخذت اللبن فشربته). [نزهة المجالس ص ٣٨٤]. وقال العلائي: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ثم مررنا على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنات إلى سبعمائة ضعف ثم مررنا على قوم ترضخ رءوسهم بالحجارة كلما رضخت عادت كما كانت فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين تتأقلت

رءوسهم عن الصلاة ثم مررنا على قوم على أدبارهم رقاع وعلى أقبالهم رقاع يسرحون إلى الزقوم كما تسرح البهائم إلى الضريع فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين لا يؤدون الزكاة قال مجاهد وقتادة الضريع في قوله تعالى ليس لهم طعام إلا من ضريع هو نبات لاصق بالأرض له شوك فإذا كان رطباً ترعاه الإبل وإذا يبس لا يأكله شيء واسمه في أيام الربيع الشبرق وفي أيام الصيف الضريع ثم مررنا على قوم بين أيديهم لحم طيب ولحم خبيث يأكلون الخبيث ويتركون الطيب فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الزناة). [نزهة المجالس ص ٣٨٤].

(.. ثم مررنا على قوم تقرض شفاهم وألسنتهم بمقاريض الحديد كلما قرضت عادت كما كانت فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الخطباء الذين يقولون ولا يفعلون ثم مررنا بجحر صغير يخرج منه ثور كبير فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا رجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فيريد أن يردّها فلا يستطيع ثم رأيت نساء معلقات من أشفار عيونهن فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن ضرعهن ويرضعن أولاد غيرهن). [نزهة المجالس ص ٣٨٤]. وقال علي رضي الله عنه: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فسألته عن ذلك فقال: (رأيت ليلة أسري بي نساء من أمتي في عذاب شديد ورأيت امرأة معلقة بثدييها والقطران يصب في حلقها وهي التي ترضع أولاد الناس بغير رضا زوجها ورأيت امرأة معلقة بثدييها والنار توقد تحتها تأكل لحم جسدها وهي التي تتزين لغير زوجها). وفي حديث آخر: (إذا اكتحلت المرأة في غير وجه زوجها سود الله وجهها وجعل قبرها حفرة من حفر النار). قال العلاءي: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ثم مررنا على واد فوجدنا ريحاً طيبة مع صوت حسن فقلت ما هذا يا جبريل قال

هذا صوت الجنة تقول يا رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت غرفي وحريري وذهبي وفضتي ولؤلؤي ومرجاني وأكوابي وفواكهي وعسلي ولبني ومائي وخمري فأتني بما وعدتني فقال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن لا يشرك بالله شيئاً إنني أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد فقالت رضيت ثم مررنا على واد فسمعنا صوتاً منكراً فقلت يا جبريل ما هذا قال هذا صوت جهنم تقول يا رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسل وأغلال وسعيري واشتد حري فقال لك كل مشرك ومشركة ومن لا يؤمن بيوم الحساب فقالت رضيت ثم مررنا على رجل قد حزم حزمة عظيمة من الحطب لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها ويريد حملها فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا مثل رجل من أمتك عليه أمانات للناس لا يقدر على أدائها وهو يزيد عليها ثم مررنا على خشبة في الطريق لا يمر عليها ثوب إلا شقته ولا شيء إلا خرقتة فقلت ما هذا يا جبريل قال قوم من أمتك يقطعون الطريق فلما وصلنا بيت المقدس ربط جبريل البراق ودخلت المسجد الأقصى فوجدت نصفه قد امتلأ من الملائكة ورأيت النبيين صفوفاً صفوفاً فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء إخوانك الأنبياء زعمت قريش أن لله شريكاً واليهود والنصارى أن لله ولداً سل هؤلاء المرسلين هل كان له شريك أو ولد فذلك قوله تعالى: " وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ " فأقروا كلهم بالوحدانية لله تعالى ثم أقام جبريل عليه السلام الصلاة وقال تقدم يا أكرم الخلق على الله). [نزهة المجالس ص ٣٨٦]. قال في عاتق العقائق: لما وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس صلى بالأنبياء ركعتين على ملة إبراهيم عليه السلام قرأ في الأولى قل يا أيها الكافرون وفي الثانية الإخلاص. وتقدم عن قتادة في الموكب الأول أنها الصلاة المعهودة. [نزهة المجالس ص ٣٨٩].

المركب الثاني هو المعراج من الصخرة حتى سدرة المنتهى فوق السماء السابعة ومحراب جبريل عليه السلام في وسطها وهو أن جبريل أخذ بيده إلى ناحية الصحراء إلى صخرة بيت المقدس ونادى يا إسماعيل دلّ المعراج فجاء به من الفردوس أحد شقيه من ياقوتة حمراء والأخرى من زبرجدة خضراء وهو منضود باللؤلؤ من أحسن شيء خلقه الله تعالى وما من مؤمن إلا ويراه عند موته ألا ترون له يشخص ببصره إلى السماء أصله على الصخرة ورأسه ملتصق بسماء الدنيا مائة درجة من الذهب والفضة والزبرجد والياقوت والمسك والعنبر فلما صعدت على الدرجة الأولى رأيت ملائكة ألوانهم حمر وثيابهم حمر ثم صعدت الثانية فرأيت ملائكة ألوانهم صفر وثيابهم صفر ثم صعدت الثالثة فرأيت ملائكة ألوانهم خضر وثيابهم خضر ثم صعدت الرابعة ورسول يأتي بعد رسول ويقول يا جبريل عجل بمحمد فرأيت ملائكة تبرق أجسادهم ووجوههم كما تبرق المرآة ثم صعدت الخامسة فإذا عليها ملائكة أكثر من الجن والإنس وكلامهم لا إله إلا الله ثم صعدت السادسة فإذا عليها ملك عظيم على كرسي من ذهب معه ملائكة شاخصون بأبصارهم هيبة لله تعالى كلامهم ما شاء كان ثم صعدت السابعة فرأيت عليها ملائكة كاد نور بصري يذهب من نورهم فاستقبلوني بالتعظيم ورأيت على الثامنة ملائكة ساجدين لله تعالى ورأيت على التاسعة ملائكة قصر فهمي عن صفتهم ورأيت على العاشرة ملائكة يسبحون الله تعالى بأنواع اللغات. قال النبي صلى الله عليه وسلم: ثم لم أزل أصدد درجة بعد درجة وجبريل تحت البراق ورسول يأتي من بعد رسول يقول يا جبريل عجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى كنت في أعلى درجة فسمعت الملائكة يهللون ويسبحون ويقدمون الله تعالى ففرع جبريل باباً من أبواب السماء وهو الباب الخاص بمحمد صلى الله عليه وسلم

استأذن فأقبل إسماعيل على فرس من نور عليه رداء من نور بيده حربة من نور عمل العباد بالنهار بيده اليمنى وعملهم بالليل بيده اليسرى ومعه ألف موكب من الملائكة فقال من هذا؟ قال جبريل. قال ومن معك؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم. قال قد بعث إليه وفي رواية أرسل إليه قال نعم. ففتح له فصعد إلى سماء الدنيا قال العلائي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وإذا برجل كهيئته يوم خلقه الله تعالى وهو تعرض عليه أرواح ذريته فإذا كانت روح مؤمن قال روح طيبة اجعلوا كتابه في عليين قال ابن عباس رضي الله عنهما أي في الجنة وإذا كانت روح كافر قال روح خبيثة اجعلوا كتابه في سجين قال مجاهد سجين صخرة تحت الأرض السابعة قال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا؟ قال هذا أبوك آدم فسلمت عليه فرد عليّ السلام وقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح وإذا عن يمينه باب إذا نظر إليه ضحك وعن يساره باب إذا نظر إليه بكى فقلت يا جبريل ما هذان البابان؟ قال الذي عن يمينه باب الجنة إذا نظر إليه ضحك سروراً بمن يدخله من ذريته والذي عن يساره باب جهنم إذا نظر إليه بكى شفقةً على من يدخله من ذريته - قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم حدثنا المسير خمسمائة عام في الهواء وإذا ليس في الهواء موضع شبر إلا وفيه جبهة ملك يسبح الله تعالى حتى انتهينا إلى السماء الثانية ففرع جبريل باباً من أبوابها فقال من هذا؟ قال جبريل. قال ومن معك؟ قال محمد نبي الرحمة ففتح الباب فرأيت ملائكة وجوههم كوجوه القمر على خيل مسومة متقلدين بالسيوف وبأيديهم الحراب فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء ملائكة خلقهم الله لنصرتك على خيل بلق بعمائم صفر قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم نظرت إلى شابيين حسنين جالسين على سرير من ياقوتة حمراء فقلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال ابنا الخالة

يحيى وعيسى عليهما السلام فدنوت منهما وسلمت عليهما وعيسى عليه السلام أحمر اللون - ثم سرنا في الهواء خمسمائة عام حتى دنا من السماء الثالثة فسمعنا أصواتاً أشد من الصواعق بالتسبيح والتهليل فقرع جبريل الباب ففتح لنا ورأيت فيها شاباً كالقمر فقلت من هذا؟ قال يوسف. فدنوت منه وسلمت عليه فرد عليّ أحسن تحية ثم سرنا في الهواء خمسمائة عام حتى انتهينا إلى السماء الرابعة قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم رأيت رجلاً مسنداً ظهره إلى دواوين الخلق التي فيها أمورهم فقلت من هذا يا جبريل؟ قال هذا إدريس. فدنوت منه وسلمت عليه فقال مرحباً بالأخ الصالح ثم قلت يا أخي إن الله قد رفعك مكاناً علياً ودخلت الجنة قبلي ورأيت نعيمها فقال يا حبيب الله ما دخلت الجنة ولا رأيت نعيمها وإنما دخلت بستاناً خارج الجنة ورأيت على بابها مكتوباً هذا الباب لا يدخله أحد قبل محمد وأمته - ثم سرنا حتى علونا السماء الخامسة ورأيت فيها رجلاً كهلاً فقلت من هذا يا جبريل؟ قال هارون. فسلم عليّ ورحب بي ودعا إليّ بخير ثم علونا السماء السادسة وهي من جوهر وتسبيح أهلها سبحان القدوس رب كل شيء وخالق كل شيء من قالها كان له مثل ثوابهم إذ فيها خلق كثير رافعون أصواتهم بالبكاء من خشية الله فقلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء الكروبيون - وإذا برجل آدم يعني أسمر اللون كثير الشعر لو كان عليه قميصان لخرج الشعر منهما فقال يزعم بنو إسرائيل أنني أكرم الخلق على الله وهذا أكرم على الله مني فقلت يا جبريل من هذا؟ قال موسى ابن عمران. فسلمت عليه فقال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح فما جاوزته حتى بكى فليل ما يبكيك؟ فقال غلام يبعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي قال العلائي قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم علونا إلى السماء السابعة وهي من نور وتسبيح أهلها سبحان خالق

النور من قالها كان له مثل ثوابهم ورأيت فيها خلقاً لم يؤذن لي أن أحدثكم عنهم ولولا أن الله قوى بصري لم أستطع النظر إليهم ورأيت فيها شيخاً يشبه صاحبكم يعني نفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم وهو على سرير من زبرجد أخضر قد أسند ظهره إلى البيت المعمور قلت من هذا؟ قال هذا أبوك إبراهيم فسلمت عليه قال مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وإنها قيعان غرسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قال البرماوي القيعان هو الواسع المستوى من الأرض وقيل الأرض الملساء قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم سرنا وجبريل على أثرى حتى وصلنا إلى سدرة المنتهى فإذا هي شجرة عظيمة ثابتة على تل مسك لها ألف غصن يسير الراكب في ظل الغصن مائة عام كل غصن له ألف ألف ورقة كل ورقة لو استظل بها الإنس والجن لأظلتهم على كل ورقة ملك على لون القمر على رأسه تاج من نور بيده قضيب من نور مكتوب على جبهته نحن سكان سدرة المنتهى سبحان من ليس له انتهاء يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن أي غير متغير وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى قال البغوي قال مقاتل وتحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الألوان قال في العرائس أنها في السماء السابعة مما يلي الجنة أصلها في الجنة فروعها تحت الكرسي وأغصانها تحت العرش مقام جبريل في وسطها يغشاها ملائكة كأنهم فراش من ذهب وفي بعض المعاريج عنه صلى الله عليه وسلم قال رأيت طيوراً خضراً على الشجرة وفيهم المحزون والمسرور عندهم شيخ وعجوز فقلت يا جبريل من هذا الشيخ وهذه العجوز؟ قال إبراهيم وسارة والطيور أرواح أطفال المؤمنين والمحزون من فارق أهله عن قريب والمسرور من فارق أهله من بعيد

وسميت سدرة المنتهى لأن علم الخلائق مما تحتها لا يتجاوزها وعلم من فوقها لا يتجاوزها أي من تحتها لا يعلم من فوقها ومن فوقها لا يعلم من تحتها. [نزهة المجالس ص ٣٩٦]. والبيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه. [ابن كثير ج ٣ ص ٤]. وعند سدرة المنتهى وقف جبريل فقلت يا جبريل أين تركتني وتخلفت عني فقال يا محمد أنت في مقام لا يتجاوزه أحد من خلق الله ولو تجاوزته لاحتقرت بالنور- وفي رواية: فقلت يا جبريل في مثل هذا المقام يفارق الخليل خليله فقال نعم إن جاوزته احتقرت بالنور فقلت له هل لك إلى الله من حاجة؟ قال نعم اسأل ربك أن يجعلني أبسط جناحي لأمتك على الصراط يوم القيامة حتى يجوزوا عليه فقلت بارك الله فيك يا جبريل وإذا بالنداء يا جبريل زج محمداً في النور ووضعت على الرفرف ثم احتملني حتى وصلت إلى العرش فأبصرت أمراً عظيماً لا تناله الألسن فسألت إلهي أن يمن علي بالثبات فمن الله علي وقواني ونزلت قطرة من العرش على لساني أبرد من الثلج وأحلى من العسل فما ذاق الذائقون شيئاً قط أحلى منها فأنبأني الله بها علم الأولين والآخريين. قال العلائي قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم سرنا حتى انتهينا إلى بحر من نور يتلألأ كلما نظرت إليه حار طرفي حتى ظننت أن كل شيء خلفه قد التهب التهاباً. [نزهة المجالس ص ٤٠٢]. ومنها سبعون ألف ملك يدورون حول العرش يُقبل هؤلاء ويُدبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون ألف صف فإذا سمعوا تهليل هؤلاء وتكبير هؤلاء رفعوا أصواتهم وقالوا سبحانك اللهم وبحمدك أنت الأكبر. [نزهة المجالس ص ٤٠٤]. قال العلائي قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم زجني في النور زجة خرقت سبعين ألف حجاب ليس فيها حجاب يشبه الآخر ونادى مناد بلغة أبي بكر قف فإن ربك يصلي فتعجبت من لغة أبي بكر وقلت هل سبقني صاحبي

أبو بكر وتعجبت من صلاة ربي. [نزهة المجالس ص ٤٠٥]. قال العلائي قال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عجائب عظيمة وظننت أن كل من في السموات والأرض قد مات لأنني لم أسمع هناك يعني عند العرش شيئاً من أصوات الملائكة وانقطع عني حس كل شيء فلحقني عند ذلك استيحاش فناداني جبريل من خلفي يا محمد أن الله تعالى يثني عليك فاسمع وأطع ولا يهولنك كلامه سبحانه وتعالى فبدأت بالثناء على الله تعالى وقلت التحيات لله والصلوات والطيبات فقال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقلت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقال جبريل أشهد أن إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. [نزهة المجالس ص ٤٠٤]. وقال العلائي قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ثم ألهمني ربي أن أقول اللهم إنه لحقني استيحاش قبل قدومي عليك وقبل ندائك لي وأني سمعت منادياً ينادي بلغة أبي بكر قف فإن ربك يصلي فتعجبت من هاتين الكلمتين - وقلت هل سبقني أبو بكر إلى هذا المقام وإن ربي لغني عن الصلاة. فقال عز وجل: إني لغني عن الصلاة لأحد وإنما أقول [سبحاني سبحاني سبقت رحمتي غضبي] - اقرأ يا محمد " هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ " فصلاتي رحمة لك ولأمتك ، وأما أمر صاحبك فإن أخاك موسى كان أنسه بالعصا فلما أردنا كلامه قلنا له " وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى " فشغل بذكر العصا عن عظيم الهيبة وكذلك أنت يا محمد لما كان أنسك بصاحبك أبي بكر فإنك خلقت وإياه من طينة واحدة وهو أنيسك في الدنيا والآخرة ، خلقنا ملكاً على صورته يناديك بلغته ليزول عنك الاستيحاش لئلا يلحقك من عظيم الهيبة ما يقطعك عن فهم ما يراد بك لا إله إلا أنا جبار الجبابرة ومالك الدنيا والآخرة - يا محمد ما أعظم شأني

وأعز سلطاني - يا محمد انظر إلى أي موضع رفعتك وفي أي مكان كلمتك - يا محمد أين حاجة جبريل؟ فقلت اللهم أنت أعلم بما سأل يريد أن يمد جناحيه على الصراط يوم القيامة لتمر أمتي فقال قد أجبتك فيما سأل ولكن في طائفة من أمتك فقلت اللهم لمن؟ قال لمن أحبك وصحبك وفي رواية لمن أكثر من الصلاة والسلام عليك. [نزهة المجالس ج ٢ ص ١١٤ - السيرة الحلبية للحلبي باب ذكر الإسراء والمعراج وفرض الصلوات الخمس ج ٢ ص ٧١ - البحر المديد لابن عجيبة ج ٥ ص ٩٦]. ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم وكلمني ربي ما شاء وافترض علي خمسين صلاة كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك فرجعت إلى ربي قال النووي إلى الموضع الذي ناجاه فيه أولاً فقلت يا رب خفف عن أمتي فحط عنا خمساً وفي رواية عشراً (وأما رواية العشر فهي رواية شريك) ثم رجعت إلى موسى فقلت حط عني خمساً فقال أمتك لا تطيق ذلك فلرجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك قال فما زلت أرجع بين موسى وبين ربي حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشرة فتلك خمسون صلاة وفي رواية أمضيت فريضتي على عبادي ما يبذل القول لدي وفي رواية سألت ربي حتى استحييت. [نزهة المجالس ص ٤٠٦]. قال النبي صلى الله عليه وسلم قال لي ربي ارجع إلى قومك فبلغهم عني إذ حال بيني وبينه حجاب من نار يلهب التهاباً لا يعلم كثافته إلا الله تعالى ودلاني الرفرف الأخضر الذي كنت عليه وجعل يخفضني ويرفعني فأهوى بي إلى جبريل وارتفع الرفرف الأخضر الذي كنت عليه حتى غاب عني قال جبريل يا محمد أبشر فأنت خيرة الله من خلقه وصفوته من البشر ولقد قربك الرحمن من عرشه مكاناً لم يصل إليه أحد من أهل السموات والأرضين

فَهَئَاكَ اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ فَحَمَدْتُ اللَّهَ عَلَى مَا أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهِ. [نزهة المجالس ص ٤٠٩]. قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر وروح بن المعنى قالا حدثنا عوف عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لما كان ليلة أسري بي فأصبحت بمكة فظعت وعرفت أن الناس مكذبي فقعدت معتزلاً حزيناً فمر به أبو جهل فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزىء: هل كان من شيء؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعم) قال: وما هو؟ قال: (إني أسري بي الليلة) قال: إلى أين؟ قال: (إلى بيت المقدس) قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: (نعم) قال فلم ير أن يكذبه مخافة أن يجحد الحديث إن دعا قومه إليه فقال: رأيت إن دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعم) فقال: يا معشر بني كعب بن لؤي قال فانفضت إليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا إليهما قال: حدث قومك بما حدثتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني أسري بي الليلة) فقالوا: إلى أين؟ قال: (إلى بيت المقدس) قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: (نعم) قال فمن بين مصفق ومن بين واضح يده على رأسه متعجباً للكذب قالوا: وتستطيع أن تنعت لنا المسجد وفيهم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فما زلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت قال فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل أو عقال فنعتته وأنا أنظر إليه قال وكان مع هذا نعت لم أحفظه قال فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب فيه). [ابن كثير ج ٣ ص ١٥]. فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم وجد فراشه لم يبرد من أثر النوم وقيل إن غصن شجرة أصابه بعمامته في ذهابه فلما رجع وجدده بعد يتحرك ورأى ركباً من قريش في طريقه فلما أخبر قومه بالمعراج سألوه عن الركب فقال

مررت على عير بني فلان وقد ضل لهم بعير وهم يطلبونه فدللتهم عليه وفي رحلهم قدح فيه ماء فأخذته وشربته ثم وضعته مكانه فسألوهم هل وجدوا الماء ثم قالوا أخبرنا عن عيرنا متى تجيء قال تطلع عليكم عند طلوع الشمس فخرجوا ينتظرونها فلما كادت الشمس تطلع حبسها الله تعالى فطلعت الشمس مع العير فقال رجل هذه العير وقال آخر هذه الشمس ثم سأله عن بيت المقدس فجلاه الله تعالى له حتى صار ينظر إليه فما سأله عن شيء إلا أخبرهم به فارتد كثير من الناس فذلك قوله تعالى: " وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ " ٦٠ الإسراء. ثم ذهب جماعة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقالوا له إن صاحبك يزعم أنه جاء في هذه الليلة من مكة إلى بيت المقدس فقال إنكم تكذبون عليه فقالوا إنه في المسجد يحدث الناس فقال والله لئن قال ذلك لقد صدق فوالله إنه ليخبرني بالخبر يأتي إليه من السماء إلى الأرض في ساعة واحدة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون به فجاءه أبو بكر رضي الله عنه فقال يا رسول الله قال هؤلاء إنك جنئت من بيت المقدس هذه الليلة قال نعم قال فصفه لي فإني رأيته فوصفه فقال أبو بكر صدقت أشهد أنك رسول الله. [نزهة المجالس ص ٤١٤].

وتأكيداً لقصة الإسراء والمعراج وأنها بالجسد والروح قصة هرقل مع أبي سفيان المشهورة التي رواها البخاري ومسلم وفيها كما روى الحافظ الأصبهاني أن أبا سفيان قال عن ليلة الإسراء والمعراج - أيها الملك ألا أخبرك خيراً تعرف أنه قد كذب؟ قال: وما هو قال قلت إنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة فجاء مسجدكم هذا مسجد إيلياء ورجع إلينا تلك الليلة قبل الصباح. قال وبطريق إيلياء عند رأس قيصر فقال بطريق إيلياء: قد علمت تلك الليلة قال فنظر إليه قيصر وقال وما علمك بهذا قال إني كنت لا أنام ليلة حتى أغلق أبواب المسجد

فلما كان تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبني فاستعنت عليه
بعمالي ومن يحضرنى كلهم فعالجته فغلبنا فلم نستطع أن نحركه كأنما نزاول به
جبلاً فدعوت إليه النجاجة فنظروا إليه فقالوا إن هذا الباب سقط عليه النجاف
والبنيان ولا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فننظر من أين أتى. قال فرجعت
وتركت البابين مفتوحين فلما أصبحت غدوت عليها فإذا الحجر الذي في زاوية
المسجد مثقوب وإذا فيه أثر مربوط الدابة قال فقلت لأصحابي ما حبس هذا الباب
الليلة إلا على نبي وقد صلى الليلة في مسجدنا وذكر تمام الحديث. [ابن كثير ج ٣
ص ٣٤]. وحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون. [ابن كثير ج ٣ ص ٣٤].

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي
 وَكَيْلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي
 إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ
 وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ
 وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ
 وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُم أَكْثَرًا نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِن أَسَأْتُمْ
 فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ
 أُولَٰ مَرَّةً وَلِيُتَبَرُوا مَا عَلُوا تَتَّبِعُوا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِن عُدتُّمْ عُدْنَا
 وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾

{وَأَتَيْنَا} وآتى وأعطى الله تعالى {مُوسَى} موسى بن عمران نبي الله ورسوله
 {الْكِتَابَ} التوراة {وَجَعَلْنَاهُ} وجعل الله تعالى كتاب التوراة الذي أنزله على
 موسى لبني إسرائيل {هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ} ليهتدي به بنو إسرائيل وهم ذرية
 أولاد يعقوب عليه السلام ابن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام واسمه عبد الله وفي
 لغتهم إسرائيل و [إسرا] معناها عبد و [إيل] معناها الله أي عبد الله وقد أرسل الله
 تعالى إليهم كتاب موسى ليهديهم ويرشدهم إلى طريق الحق والصواب وعبادة الله
 تعالى وحده لا شريك له {أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي} وقال لهم الله تعالى في كتاب
 التوراة لا تتخذوا ولا تعبدوا أحداً غيري أي غير الله تعالى {وَكَيْلًا} تلجؤون
 إليه وتتكلون عليه من دوني في جميع أعمالكم {ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ} يا
 ذرية من حملنا في السفينة مع نوح عليه السلام وخوفاً عليكم من الغرق

{إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا} إن أباكم نوحاً - وهو أبو إبراهيم عليه السلام وإبراهيم هو أبوكم الثاني ولذلك أنتم أبناء نوح عليه السلام - كان عبداً يعبد الله وحده لا شريك له {شَكُورًا} وشاكراً لأنعم الله تعالى وأفضاله ولا يشكر أحداً غيره {وَقَضَيْنَا} وحكمنا أمراً مبرماً وواقعاً لا محالة {إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ} إلى بني إسرائيل وهم ذرية وأبناء يعقوب عليه الصلاة والسلام واسمه إسرائيل و [إسرا] أي عبد و [إيل] هو الله أي عبد الله في لغتهم {فِي الْكِتَابِ} في التوراة وهو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه الصلاة والسلام {لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ} لتملأن الأرض وهي أرض فلسطين فساداً وظلماً وبغياً وقهراً وحرباً وخراباً في أرض بيت المقدس أي في فلسطين {مَرَّتَيْنِ} مرتين اثنتين وتكرران {وَلَتَعْلَنَّ} أي يعلو شأنكم وترتفع سيطرتكم وحكمكم في أرض فلسطين {عُلُوقًا كَبِيرًا} أي سيطرة عظيمة وكبيرة وقوة هائلة {فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولَٰئِهِمَا} فإذا حضر وانتهت مدة الحكم لكم في المرة الأولى {بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ} أرسلنا عليكم أيها اليهود يا بني إسرائيل {عِبَادًا لَّنَا} رجالاً من خلق الله تعالى وعبيداً من عبيده من الناس. وكلمة عباد تطلق على الكافر والمسلم لقوله تعالى: " إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا " ٩٣ مريم. {أُولَىٰ بِأَسِّ شَدِيدٍ} ذوي قوة وصلابة وشجاعة وبأس وغلظة وعنف وبطش شديد {فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ} فداسوا بأقدامهم وطافوا وانطلقوا في دياركم وبلادكم وأرضكم ومساكنكم ومدنكم وقراكم وشوارعكم وقتلوكم وسلبوكم وأهلكوكم وأسروكم {وَوَكَانَ وَعَدًا مَّفْعُولًا} وكان أمراً نافذاً لا محالة ومقضيّاً لا فرار منه ولا بد منه. وفي المرة الأولى بعد فسادهم في الأرض وطغيانهم أرسل وسلط الله عليهم جالوت وجنوده لطغيانهم وفسادهم وغيهم فاستحل ديارهم

وأوطانهم وأرضهم {ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ} ثم رد الله تعالى {الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ} وهي العودة بالنصر على جالوت وجنوده وقتل داود جالوت كما قال تعالى: " فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ " ٢٥١ البقرة. {وَأَمَدَدْنَاكُمْ} وزودناكم وأعطيناكم {بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ} بالمال والأولاد {وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا} وجعلناكم أيها اليهود يا بني إسرائيل أكثر قوة في الحرب في العدد والعدة على يد داود وولده سليمان عليهما الصلاة والسلام حتى أن سليمان عليه الصلاة والسلام كان له جنود عظيمة وكثيرة من الإنس والجن والطيور والوحوش وتطيعه بإذن الله تعالى وحكم المشرق والمغرب كما قال تعالى: " وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ " ١٧ النمل. {إِن أَحْسَنْتُمْ} إن أحسنتم أعمالكم بالطاعة والعبادة لله وحده لا شريك له ولم تفسدوا في الأرض {أَحْسَنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ} تكونوا أحسنتم صنعا لأنفسكم برضاء الله تعالى عليكم ورحمته لكم ويحفظكم من سطوة عدوكم بطاعتكم وعدلكم في الأرض {وَإِن أَسَأْتُمْ} وإن خالفتم وعصيتم وأهلكتم وقتلتهم وظلمتم الناس والمسلمين والاعتداء على مقدساتهم وأعراضهم وأموالهم وممتلكاتهم ظلما وعدوانا وفسادا في الأرض {فَلَهَا} فيقع شر ذلك على أنفسكم أنتم أيها اليهود يا بني إسرائيل ويسلط الله تعالى عليكم بذنوبكم وإفسادكم غيركم ومن هو أقوى منكم {فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ} فإذا جاء وقت المرة الثانية والأخيرة التي بعد الأولى وانتهى وقت سيطرتكم ووقت انتصاركم وعلوكم وانتهى أجلها ومدة حكمكم {لِيَسْتَبْشِرُوا وَجُوهُكُمْ} ويسلطهم الله تعالى عليكم بذنوبكم ومعاصيكم وإفسادكم ليعذبوكم ويقهرونكم ويذلونكم {وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ} وليدخلوا المسجد الأقصى ويهزموكم {كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ} كما هزموكم في أول مرة كمثل جالوت

وجنوده {وَلْيَتَّبِعُوا} وليدمروا ويهلكوا ويخربوا {مَا عَلَوْا} ما استحلوا وسيطروا وما وقع تحت أيديهم بعد نصرهم عليكم {تَتَّبِعُوا} خراباً شاملاً وقتلاً وسلباً ونهباً وهتكاً للأعراض وأسراً وقهراً وتخريباً ودماراً وفي المرة الثانية سلط الله تعالى عليهم بختنصر ملك بابل وقتل منهم خلقاً كثيراً واستحل بيت المقدس سنة ستمائة وسبع قبل الميلاد وقيل قتل منهم سبعين ألفاً وأخذ ما فيه من الذهب والفضة والمجوهرات وخربه وذلك لإفسادهم في الأرض بغياً وظلماً بغير الحق {عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ} لعل وعسى أن يبذل الله تعالى الظلم عنكم ويرحمكم بالنصر والعلو من جديد إذا أنتم أيها اليهود يا بني إسرائيل تبتم وندمتم ورجعتم إلى الله تعالى بالطاعة والإصلاح والعدل وعدم الاعتداء على الغير بالظلم والفساد وأعدتم المظالم إلى أهلها {وَأِنْ عُدْتُمْ} وإن عدتم للظلم والبغي والقهر والفساد من جديد {عُدْنَا} أعاد الله تعالى عليكم عدوكم وسلطه عليكم بالقهر والسيطرة والتعذيب والهزيمة. أي أن الأمر يتكرر إلى يوم القيامة كلما أفسدوا في الأرض وعلوا سلط الله عليهم عدوهم من غيرهم وقتلهم وغلبهم وأهلكهم واستولى على أرضهم وديارهم وهذا الأمر يتكرر إلى يوم القيامة لقوله تعالى " وَأِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا " وهكذا نرى أنه بعد إفسادهم بقتل زكريا ويحيى عليهم السلام وكذلك أرادوا صلب عيسى عليه السلام سلط الله عليهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة وعمر بن الخطاب كذلك طردهم منها واستحل بيت المقدس سنة ستة عشر هجري وكذلك تكررت المرة الثانية في عهد صلاح الدين الأيوبي واسترد القدس في سنة خمسمائة وأربعة وثمانين من السنة الهجرية سنة ألف ومائة وسبعة وثمانين للميلاد وكذلك استحل اليهود بيت المقدس في الخامس من يونيو عام ألف وتسعمائة وسبع وستين ميلادية وهذا الإفساد من بني إسرائيل سيتكرر حتى أن يأتي المهدي وينزل عيسى عليه السلام

ويقتل المسيح الدجال واليهود معه وذلك قبل يوم القيامة وتتكرر المرتان ما بين ذلك والعصر الحاضر وعند نزول عيسى عليه السلام ينطق الحجر والشجر ويقول يا مسلم خلفي يهودي تعال فاقتله وعند ذلك تكون علامات الساعة الكبرى قد ظهرت وتتابع كحبات العقد. {وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ} وكان جزاء ومصير من كفر من بني إسرائيل يوم القيامة زيادة على عذاب الدنيا بالأسر والقتل كذلك يوم القيامة يدخلهم الله تعالى جهنم وجعل لهم ناراً {حَصِيرًا} فراشاً وبساطاً ومسكناً.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ

الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا

أَلِيمًا ﴿١١﴾ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا

الَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَنْ حَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن

رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٣﴾ وَكُلَّ

إِنْسَانَ أَلْمَنَّا طَغِيرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٤﴾

أَقْرَأَ كِتَابِكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٥﴾﴾

{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ} إن هذا القرآن الكريم أيها الناس بآياته {يَهْدِي} يدل ويرشد

في جميع الأمور والمسائل {لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} للتي هي أحسن وأفضل وأصلح للناس

في معيشتهم ودنياهم وآخرتهم فلا تتبعوا قانوناً ولا دستوراً غيره {وَيُبَشِّرُ} ويبشر

بالفرح والسرور والخير والثواب {الْمُؤْمِنِينَ} الذين يؤمنون بالله رباً وبمحمد صلى

الله عليه وسلم نبياً ورسولاً {الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ} الذين يعملون الأعمال

الصالحة من الطاعات والعبادات لله تعالى وحده لا شريك له {أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}

أن لهم يوم القيامة أجراً عظيماً وهو دخول الجنة {وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} وأن الذين لا يصدقون بالله ولا برسوله ولا بالقرآن ولا {بِالْآخِرَةِ} ولا يصدقون بيوم القيامة ولا بالنشور ولا بالبعث ولا بالحساب ولا بالجنة ولا بالنار {أَعْتَدْنَا} حضرنا وجهنا {هَمَّ عَذَابًا أَلِيمًا} لهم عذاباً موجعاً وقاسياً وشديداً يوم القيامة في نار جهنم {وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ} ويطلب الإنسان في دعائه بالشر على نفسه وولده وأهله وماله {دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ} كما يدعو بالخير له ولولده وأهله {وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا} والإنسان يتسرع في الدعاء على نفسه بالشر وعلى أهله وماله وولده عند غضبه أو عندما تلم به نازلة أو مصيبة فيتسرع ويدعو على نفسه بالشر فيخشى عليه أن يستجيب الله دعائه بالشر فيهلك. وجاء في الحديث: (لا تدعوا على أنفسكم ولا على أموالكم أن توافقوا من الله ساعة إجابة يستجيب فيها).

{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} وجعل الله تعالى تبادل الليل والنهار {ءَايَاتِينَ} دلالتين وبينتين ومعجزتين للناس {فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ} فمحا الله تعالى نور الليل وأزاله ليكون مظلماً {وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ} وجعل الله تعالى معجزة النهار {مُبْصِرَةً} مضيئة بنور الشمس ويرى كل شيء في نور الشمس {لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ} لتطلبوا وتسعوا إلى طلب أرزاقكم وطلب معيشتكم والسعي في تحصيل الرزق لكم ولأهلكم ولأبنائكم {وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ} ومن تعاقب الليل والنهار تعلموا حساب عدد السنين وعدد أيام الأسبوع والشهور {وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا} وكل شيء وضحناه توضيحاً بيناً {وَكُلَّ إِنْسَانٍ} وكل شخص من الناس من كل ذكر أو أنثى {الزَّمَنَةَ} جعلناه يتحمل مسؤولية عمله فهو الذي يحاسب

عليه {طَبَّرَهُ} عمله من خير أو شر {فِي عُنُقِهِ} أي يحاسب عليه بذاته نفسه {وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا} وفي الآخرة يوم يُبعث للحساب في المحشر نظهر له كتاباً مكتوباً فيه جميع أعماله وجميع حسناته وسيئاته وما عمل من خير أو شر وما قدم وما أخر {يَلْقَاهُ مَنشُورًا} يلقاه مسجلاً ومكتوباً وموضحاً ويقال له {أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} ويقال له اقرأ ما جاء في كتابك من أعمالك في الدنيا فيه كل ما عملت من خير أو شر وكفى أن تحاسب نفسك بنفسك في هذا اليوم وهو يوم القيامة فإن كنت عملت خيراً فلك الجنة وإن كنت عملت شراً فعقابك النار.

﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدُّ هَتُولًا ۗ وَهَتُولًا ۗ مِنْ عَطَاءٍ رَبِّكَ ۗ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۗ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ۗ آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾

{مَنْ أَهْتَدَىٰ} من اهتدى لدين الإسلام وعمل الصالحات والطاعات والعبادات لله وحده لا شريك له {فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ} فإن الهدى فائدته لنفسه ليخرجها

من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الهدى والإيمان وثواب ذلك راجع على نفسه ويدخلها الجنة يوم القيامة {وَمَنْ ضَلَّ} ومن ضل السبيل وابتعد عن اتباع الإسلام وعن طاعة الله تعالى {فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا} فإن عقاب ذلك راجع على نفسه فيعذبها في الدنيا بالمعاصي والكفر والمحرمات ويوم القيامة يعذبه الله تعالى في نار جهنم {وَلَا تَزِرُ} ولا تحمل {وَأَزْرَةً} حاملة الإثم {وِوزَرَ أُخْرَى} ذنباً عن الآخرين أي لا تحمل نفس ذنب وإثم غيرها فكل إنسان يتحمل عقاب وعذاب ذنبه بنفسه {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ} ولا يعذب الله أحداً {حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} حتى يرسل الله نبياً ورسولاً إلى تلك الأمة وبعدها إذا عصوا يعذبهم ولا يعذبهم قبل بعث ذلك الرسول {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ} وإذا أردنا أن ندمر ونقتل ونخرب {قَرْيَةً} أهل قرية {أَمْرًا مُتْرَفِيهَا} وجهنا الأمر إلى أغنيائها وساداتها بالطاعة والاستقامة فلم يستجيبوا {فَفَسَقُوا} فبغوا وطغوا وأفسدوا فيها وانحرفوا عن الحق والهدى وطاعة الله تعالى (والنقلة في المعنى إلى المعنى الآخر فجأة يسمى في اللغة الالتفات أي ينتقل من فكرة إلى فكرة جديدة أخرى وهي قوله تعالى: " أَمْرًا مُتْرَفِيهَا " ثم انتقل إلى قوله تعالى: " فَفَسَقُوا فِيهَا " أي أمرناهم بالطاعة ولكنهم فسقوا وابتعدوا عن الحق {فِيهَا} أي في القرية أو المدينة {فَحَقَّقْنَا عَلَيْهَا الْقَوْلَ} فوجب عليها العقاب والعذاب {فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا} أي أهلكناها وقومها ولم تبق لهم باقية كقوم لوط عليه السلام {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ} وكم أهلك الله تعالى من الأمم السابقة في القرون الماضية من بعد نوح عليه السلام حتى قدوم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كعاد قوم هود وشمود قوم صالح أهلكهم الله جميعاً بالصاعقة والزلزلة وكذلك قوم لوط جعل قريتهم عاليها سافلها وكذلك قوم شعيب وهم أهل مدين أهلكهم الله

وكذلك فرعون موسى أغرقه الله في البحر وهكذا {وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ} ويكفي ربك
 وخالقك وإلهك يا محمد {بِذُنُوبِ عِبَادِهِ} بذنوب عباده بذنوب ومعاصي خلقه
 {خَبِيرًا} عليماً ومطلعاً على أعمالهم وأقوالهم وأفعالهم وجميع شؤونهم {بَصِيرًا}
 يبصر ويرى جميع أعمالهم خيراً أو شراً {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ} من كان يريد
 الدنيا وزينتها وشهواتها وملذاتها ورغباتها ومحرماتها {عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ}
 سهلنا ويسرنا وأعطيناه ما نريد {لِمَنْ نُرِيدُ} لمن نشاء ونأذن ونريد له العذاب
 على ما يرتكب من ذنوب {ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا} ثم جعلنا له جهنم قراراً
 يصلى ويحرق فيها ويعذب يوم القيامة {مَذْمُومًا} وهو محقراً وملاماً وموبخاً
 {مَدْحُورًا} مطروداً ومبعداً من رحمة الله تعالى {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ} ومن أراد
 ثواب يوم القيامة وجنتها {وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا} وعمل لها الأعمال الصالحات في
 طاعة الله تعالى وفي رضاه {وَهُوَ مُؤْمِنٌ} وهو مصدق بالله وملائكته وكتبه ورسوله
 واليوم الآخر ومؤمن بأن الله تعالى سيجزيه الجنة {فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ
 مَشْكُورًا} فهؤلاء كان سعيهم وعملهم هذا بالطاعات مشكوراً وممدوحاً لهم من الله
 تعالى ومحموداً وسيجزيهم به خيراً يوم القيامة وهو دخول الجنة {كُلًّا نُمِدُّ
 هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ} كل منهم نعطيهم من هؤلاء الذين يريدون الدنيا
 بأن نسهل لهم الحصول على المعاصي والمحرمات وهؤلاء وهم الذين يريدون
 الآخرة وعملوا لها الطاعات في مرضات الله تعالى نؤيدهم ونوفقهم ونساعدهم
 ونسهل لهم الطاعات حتى يدخلوا الجنة {وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا} وما كان
 عطاء ربك يا محمد يا رسول الله للطرفين فمن يريد الدنيا ومن يريد الآخرة لم يكن

عطاؤه وتسهيله لهما ممنوعاً بل ميسراً لقوله تعالى: " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا " ٣ الإنسان. { أَنْظُرْ } انظر وشاهد يا محمد يا رسول الله { كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ } كيف خيرنا بعضهم على بعض وفضلناه في الرزق وفي الصحة وفي الأولاد وفي الأموال وفي الجاه وفي طالح الأعمال وصالحها وبعضهم يريد الدنيا وبعضهم يريد الآخرة { وَلِلْآخِرَةِ } ويوم القيامة وثوابها { أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ } فهي أكبر درجات من الدنيا لصغر وقتها وزمانها وقلة متاعها والآخرة أكبر في طول زمانها حيث يخلد فيها { وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا } وأكثر في الفضل لأن الجنة نعيمها دائم وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر { لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ } لا تجعل يا محمد يا رسول الله وأنت أيها المؤمن شريكاً مع الله إلهاً غيره كالأصنام والأوثان والأنداد { فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا } فتصبح ملاماً ومحقراً وموبخاً من الله تعالى ومن ملائكته { مَخْذُولًا } يخذلك ولا ينفعك من أشركتهم مع الله تعالى ولا يستطيعون لك نفعاً ولا ضراً.

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرَّهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۚ ﴾
 ﴿ ٢٢ ﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا
 ﴿ ٢٣ ﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ
 غُفُورًا ﴿ ٢٤ ﴾﴾

{وَقَضَىٰ رَبُّكَ} وحكم وأمر ربك يا محمد يا رسول الله {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} ألا تعبدوا أحداً غيره وتعبدوه وحده لا شريك له {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} وقضى وحكم وأمر الله تعالى أيضاً بالوالدين إحساناً في عشرتهما بالقول الحسن والفعل الطيب والخير والبر بهما {إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا} عندما يبلغن عندك الكبر في السن والشيخوخة والهزم سواء أحدهما أو هما الاثنین معاً {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ} فلا تبغضهما ولا تضايقهما ولا تخالفهما في أمر من الأمور حتى لا تقل لهما كلمة (أف) وأنت تريد أن تعمل ما يريدون وتنفذ ما يريدون ولكن بكره أو ضجر وقول (أف) هي أقل كلمة تعبر عن عدم الرضا أو الضجر منهما أو من أمرهما له وذلك رحمة بهما وشفقة عليهما وأدباً معهما وهذا هو القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم {وَلَا تَنْهَرَّهُمَا} ولا توبخهما ولا تنفر في وجوههما ولا تعلي صوتك عليهما في الرد عليهما بالرفض أو اللوم أو التوبيخ {وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} وقل لهما قولاً طيباً حسناً ليناً يدل على كريم الأخلاق والأدب معهما وقولاً يكرمهما ويرفع من شأنهما {وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ} أي كن ذليلاً لهما وعليهما وتواضع بذل مع قدرتك على إزلالهما أو تحقيرهما أو توبيخهما لما آتاك الله من

قوة الشباب أو رفعة المنصب أو علو الوظيفة والمكانة في المجتمع {مِنَ الرَّحْمَةِ} لأن هذا الذل هو من باب الرحمة للوالدين وليس من باب الخوف أو الظلم أو القهر ممن هو أقوى منك منزلة وهو من باب الرحمة والشفقة بهما والأدب معهما. قال ابن الليث السمرقندي حدثنا أبو القاسم حدثنا فارس بن مردويه قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا أصرم بن حوشب قال حدثنا عيسى بن عبد الله عن زيد بن علي عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو علم الله شيئاً من العقوق أدنى من أف لنهى عن ذلك فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار). [تنبيه الغافلين ص ٤٤]. {وَقُلْ} وقل أيها المسلم {رَبِّ أَرْحَمَهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} وقل في دعائك رب ارحمهما برحمتك الواسعة في حياتهما وفي كبرهما وشيخوختهما وهرمهما باللطف بهما وعدم ردهما إلى أرذل العمر وبعد موتهما يرحمهما ولا يعذبهما في القبر ولا يوم القيامة في جهنم وارحمهما وعافهما كما رحمني وأنا طفل صغير وكانا يخافان عليّ ويرعياني أشد الرعاية وأحسنها وألطفها وكان يقومان على تربيتي وأنا صغير {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ} ربكم الله تعالى أيها الناس ويا أيها الأبناء يعلم ما في نفوسكم وما في ضمائركم وما في قلوبكم من الرأفة والرحمة والبر {إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ} إن تكونوا صالحين لآبائكم وبارين بهم {فَإِنَّهُ} فإنه الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَانَ لِلْأَوَّابِينَ} كان للمخيطين والنادمين والتائبين عن عقوق الوالدين {غَفُورًا} أي يغفر لهم ندمهم وتوبتهم ورجوعهم لبر الوالدين ولجميع الذنوب والمعاصي التي اقترفوها. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل بني آدم

خطاءون وخير الخطائين التوابون). [أخرجه الترمذي وابن ماجه وسنده قوي - سبل السلام ج ٤ ص ١٨٠].

﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ﴿٢١﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٢﴾ وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٢٥﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۗ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطَاً كَبِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

{وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ} وأعط يا محمد يا رسول الله وأنت يا أيها المؤمن قريبك حقه من الزكاة إن كان فقيراً أو أعطه صدقة أو معروفاً وكذلك صلة الرحم حقاً عليك لهم {وَالْمِسْكِينَ} وأعط المسكين حقه من الزكاة والمسكين هو الذي لا يستطيع السؤال ولا يستطيع الحصول على الطعام {وَابْنَ السَّبِيلِ} وهو المسافر الذي انقطعت به السبل وهو بعيد عن أهله وعن وطنه وعن أقربائه ولا يستطيع الإنفاق على نفسه {وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا} ولا تبذر أموالك في حرام وتنفقها في وجه غير مشروع وغير شرعي كشرب الخمر وشرب الدخان ولعب القمار وعلى المومسات {إِنَّ الْمُبْذِرِينَ} إن هؤلاء المبذرين في الإنفاق وإسراف الأموال في حرام كانوا في ذلك الإسراف والتبذير والإنفاق فوق العادة فمثلهم كالشياطين وكانوا أعواناً وإخوة للشياطين في عمل المحرمات في التبذير والإنفاق والإسراف. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا أبو بشر الحذاء عن أبي حمزة الشيباني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه

وسلم: (يا معاذ إن المؤمن يسأل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة بأصبعيه فلا ألفينك تأتي يوم القيامة وأحد أسعد بما آتاك الله منك). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٠٦]. {كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ} كانوا إخواناً وأعواناً ومثل الشياطين في التبذير {وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} وكان الشيطان بنعمة ربه ولأمر ربه كافراً وجاحداً وناكراً ومخالفاً لأوامر الله وطاعته وهكذا المبذرون يطيعون الشيطان ويخالفون أمر الله ويجحدون ويكذبون بأمره ويكفرون النعمة وينفقونها في معصية ربهم وفيما نهاهم عنه مولاهم {وَأَمَّا تُعْرَضُونَ عَنْهُمْ} وإن ابتعدت عنهم بعدم العطاء من مالك لهم لفقرك {أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا} طالباً وراغباً من الله تعالى أن يغنيك ويرزقك لتعطيهم حقوقهم وتتصدق عليهم عند حصولك على المال {فَقُلْ هُمْ قَوْلًا مِّسُورًا} وفي أثناء فقرك وعدم قدرتك على الصدقة لهم فجاملهم وقل لهم قولاً ليناً سهلاً حسناً ولا تنفر في وجوههم بسبب فقرك بل أظهر لهم البشاشة {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ} أي ولا تبخل وتمسك نهائياً عن الإنفاق والصدقة وكأن يدك مربوطة بالسلاسل في عنقك لا تستطيع حراكها كناية عن البخل والإقتار وعدم الإنفاق {وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} ولا تنفق مالك كله مرة واحدة ودفعة واحدة تبذيراً بدون تعقل أي لا تطلق ليدك العنان في الإنفاق والإسراف والتبذير يميناً وشمالاً كأنك تجلس على كنز من المال لا ينضب ونحن أمة وسطية بين التبذير والبخل أي بكرم وبعقل وتدبر {فَتَقَعْدَ} فينتهي بك الأمر بإسرافك وتبذيرك {مَلُومًا} مذموماً محقراً موبخاً {مَحْسُورًا} أي مبعداً ومحبوساً ولا تستطيع الحركة لفقرك ولا تستطيع نفقة ولا غيرها {إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ} أي يبعثه ويسهله ويزيده ويكثره {لِمَن يَشَاءُ} لمن يريد من خلقه {وَيَقْدِرُ} يمنع

ويقلل لمن يشاء ويجعله فقيراً معدماً {إِنَّهُ} إنه الله تعالى {كَانَ بِعِبَادِهِ} فهو عباده وبخلقه {خَيْرًا} عليم ومطلع ويعلم شؤونهم وما ينفعهم وما يصلحهم سواء الفقر أو الغنى كل على قدر نيته وعلى قدر مصلحته {بَصِيرًا} يبصر ويرى ويعلم ما يحتاجون إليه لإصلاح شأنهم في الدنيا وفي الآخرة {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ} وقد نهى سبحانه وتعالى عن قتل الأولاد والأبناء إما بالوآد بعد ولادتهم أو قبلها بحبوب منع الحمل إلا إذا كان هناك عذر شرعي كالمرض مثلاً فلا مانع حينها من أخذ حبوب منع الحمل {خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ} خوفاً من الفقر والحاجة ولا يستطيع الإنفاق عليهم {لَنَحْنُ نَرْزُقُهُمْ} الله تعالى هو الذي يرزقهم وهو الذي يحضر لهم حليب الأم في ثديها. وبعد نزوله عرياناً من رحم أمه يجد الثياب والملابس تنتظره فرزق الله يأتيه وهو لا يستطيع الحركة ولا الكلام وليس له أسنان حتى يمضغ الطعام ولكن الله يرزقه لبناً سائغاً للشاربين فيه جميع الفيتامينات والبروتينات وكل ما يحتاجه جسمه للغذاء والبناء {وَأَيَّاكُمْ} وهو يرزقكم كذلك حيث كنتم مثله مواليد صغار لا تستطيعون الكلام ولا الحركة ولا السعي لطلب الرزق فهو يرزقكم صغاراً بحليب الأم مثل أطفالكم وكباراً يرزقكم من فضله {إِن قَتَلْتُمْ} إن قتل الأولاد والأبناء بسبب الفقر سواء كان وأداً أي دفناً وهي حي كما كان يفعل في الجاهلية قبل الإسلام أو بحبوب منع الحمل قبل الولادة أو بالإجهاض أو غير ذلك {كَانَ} كان ذلك القتل بجميع أنواعه {خِطَاءً كَبِيرًا} كان قتلهم ذنباً كبيراً وعظيماً. وعن جذامة بنت وهب قالت: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أناس وهو يقول: لقد هممت أن أنهي عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم فلا يضر ذلك أولادهم شيئاً ثم سألوه عن العزل فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: (ذلك الواد الخفي). [رواه مسلم - سبل السلام ج ٣ ص ١٤٥].

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۝ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ۝ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۝ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۝ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۝ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ۝ ﴾

{وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ} قال سبحانه وتعالى لا تقربوا من الزنا ولا تأتوه ولا تفعلوه وابتعدوا عنه وهنا النهي عن الاقتراب من الزنا وليس الزنا بعينه كمن يقول لا تقرب النار فتحرقك لأن دخول النار تحرقه فعلاً ولذلك منع الاقتراب منها وهكذا الزنا نهى عن الاقتراب منه فما بالك بالزنا فلا تأتوه ولا تفعلوه ولا تقربوه {إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً} إنه من الفواحش أي هو كبيرة من الكبائر {وَسَاءَ سَبِيلًا} وقبح طريقاً وعملاً ومسلماً كيف لا وفي عصرنا الحاضر يصاب من فعل ذلك بمرض عدم كسب المناعة (الإيدز) والاقتراب من هذا المرض ينتقل إلى من يخالطه وهو مرض فتاك ليس له دواء شاف حتى هذه اللحظة وهذا هو سبب النهي عن الاقتراب منه. وقد روى الحاكم قال صلى الله عليه وسلم: (عفوا عن نساء الناس تعف

نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم ومن أتاه أخوه متنصلاً فليقبل ذلك محققاً كان أو مبطلاً فإن لم يفعل لم يرد على الحوض). [مكاشفة القلوب ص ٧٦]. وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق وزنا الأذنين الاستماع وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين الخطى والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه). [رواه البخاري تعليقاً ومسلم مسنداً من وجه آخر بنحو ما ذكر - ابن كثير ج ٣ ص ٢٨٢]. {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ} ولا تقتلوا أيها الناس أي نفس ذات روح التي حرمها الله تعالى من الناس {إِلَّا بِالْحَقِّ} إلا بالعدل وهو النفس بالنفس أي الذي يقتل شخصاً يقتل مثله وبدلاً منه ، والذي يُسمح بقتله كذلك الثيب الزاني ، والثالث الذي يُسمح بقتله المرتد عن الإسلام كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس والثيب الزاني والتارك لدينه المفارق للجماعة). [ابن كثير ج ٣ ص ٣٨]. {وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا} ومن قُتل ظلماً وبغير حق ومن غير الثلاثة المذكورين آنفاً {فَقَدْ جَعَلْنَا} فالله تعالى جعل {لِوَلِيِّهِ} أي ولي أمره سواء والده إن كان حياً أو إخوته أو أقرب الناس له {سُلْطَنًا} قوة على النصر وعلى القصاص من القاتل الذي قتل ظلماً وفساداً وبدون حق {فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ} فلا يمثل بجسد القاتل والإسراف هو التمثيل بالجثة أو قتل غير القاتل من أحد أقربائه ثائراً أو قتل عدد أكبر من أهل المقتول {إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا} إن الله سينصر ولي المقتول ظلماً ويؤيده في النصر والقصاص من القاتل وهذه الآية بشرى لأهل

المقتول بأن الله تعالى سيمكنهم من القاتل إن عاجلاً وإن آجلاً حتى لو لم يُعرف القاتل في تلك اللحظة {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ} ولا تتصرفوا ولا تأخذوا مال اليتيم {إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} إلا بالتي هي أفضل كالاستثمار لماله أو جعله في تجارة لزيادته {حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} حتى يبلغ الحلم ويصبح رجلاً يستطيع أن يتصرف في ماله بحكمة وبقدرة. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من ولي يتيماً له مال فليتجر له ولا يتركه حتى تأكله الصدقة). [رواه الترمذي والدارقطني]. {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ} وأوفوا أيها الناس بعهدكم وميثاقكم الذي عاهدتم وقطعتم به وأخذتموه على أنفسكم {إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} إن الرجل الذي عاهد الله للناس على شيء سيُسأل عنه يوم القيامة فيما أمضاه أو فرط فيه ويحاسب عليه {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ} وأوفوا الكيل حقه ولا تنقصوه {إِذَا كَلِمَةٌ} إذا كلمتم لهم شيئاً بالصاع أو القدح أو المكيال {وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ} وفي الوزن بالميزان زنوا بالحق الصحيح وباستواء كفتي الميزان على مستوى واحد كأنهما خط مستقيم {ذَلِكَ خَيْرٌ} الوزن الصحيح هو خير للمشتري وللبائع {وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} وأفضل عاقبة ومنهاجاً وتوضيحاً وتفسيراً {وَلَا تَقْفُ} ولا تتبع ولا تسأل {مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} ما لا يهملك علمه ولا ينفعك. وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه). [سبل السلام ج ٤ ص ١٧٨]. {إِنَّ السَّمْعَ} إن السمع أي الأذن وما تسمع للغيبة والنميمة وكذلك {وَالْبَصَرَ} إذا نظر إلى الحرام من النساء وغير ذلك {وَالْفُؤَادَ} إن كان منافقاً ويحب الكفر ويكره الإيمان {كُلُّ أَوْلِيَّتِكَ كَانَ عَنْهُ

مَسْئُولًا} أي يُسأل كل شخص يوم القيامة عن سمعه وبصره وقلبه إن استغله في حرام فهو يُسأل ويحاسب عنه يوم القيامة {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ} ولا تمش في الأرض ولا تسر {مَرَحًا} متكبراً ومفتخراً على أقرانك بما أعطاك الله من مال أو جاه أو قوة {إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ} إنك بقوتك لا تستطيع بضرب قدميك الأرض أن تخرق الأرض وتصل إلى أسفلها بقوتك {وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} ومهما تكبرت فلن يصل ارتفاعك وطولك إلى قمم الجبال الشامخة والعالية لأنك رجل ضعيف {كُلُّ ذَلِكَ} كل ذلك الكبر والفخر والغرور {كَانَ سَيِّئُهُ} كان عمله سيئاً وقبحه {عِنْدَ رَبِّكَ} عند ربك وخالقك وإلهك يا محمد يا رسول الله كان {مَكْرُوهًا} كان مذموماً ومُبغضاً ولا يرضاه ولا يحبه الله تعالى لأن الكبر رداء الله {ذَلِكَ} ذلك النهي عن كل ما ذكر في هذه الآيات المذكورة آنفاً {مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ} فهذا كله الذي أوحاه إليك ربك الله تعالى من هذه الآيات هي من الحكمة والوعظ الذي يجب أن يأخذ بها الناس {وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ} ولا تشرك بالله تعالى معه غيره من الآلهة والأصنام والأوثان الأخرى {فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ} فتوضع في جهنم وتدخل فيها يوم القيامة {مَلُومًا} موبخاً ومحقراً {مَدْحُورًا} أي معتزلاً ومحبوساً في جهنم ولا تستطيع الخروج منها ومطروداً ومبعداً من رحمة الله تعالى.

﴿ أَفَأَصْفَكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿١١﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿١٢﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلهةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَتَّغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿١٣﴾ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿١٤﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١٥﴾ ﴾

{ أَفَأَصْفَكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ } فهل اختار لكم ربكم الله تعالى ذرية الذكور من البنين { وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا } واتخذ الله تعالى من الملائكة ذرية البنات كما تزعمون وأنتم أصلاً تكرهون البنات ويسود وجه أحدكم إذا بشر بالأنثى ويستحي أن يراه أحد خوفاً من العار أو أحد يعايره بذرية البنات { إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا } إنكم أيها الكفار والمشركون تقولون على الله قولاً عظيماً وكبيراً من الكفر والشرك { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا } ولقد ذكرنا ووضحنا ووعظنا وقلنا وأنذرنا { فِي هَذَا الْقُرْآنِ } في هذا القرآن الكريم وذكرنا الدلائل والبيانات والحجج والبراهين بأن الله تعالى هو واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ولم يكن له شريك في الملك { لِيَذَكَّرُوا } ليتفكروا ويتعظوا هؤلاء المشركون والملحدون { وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا } ولا يزيدهم إلا إلهاداً وشركاً وجحوداً وإنكاراً ومخالفةً وتكذيباً وابتعاداً عن الحق وعن الهدى وعن عبادة الله وحده لا شريك له { قُلْ } قل لهم يا محمد يا رسول الله { لَوْ كَانَ مَعَهُ آلهةٌ كَمَا يَقُولُونَ } لو كان الله تعالى معه شركاء من الآلهة كما يدعون { إِذَا } عند ذلك { لَابَتَّغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا } لاتخذوا وسلكوا طريقاً ومسلكاً إلى الله تعالى صاحب العرش العظيم للسيطرة على العرش

والحكم ولعزلوا الله تعالى عن ملكه وسلطانه وهذا لم يحصل {سُبْحَانَهُ} تنزه الله تعالى عن الشريك والولد {وَتَعَالَى} ارتفع وترفع الله تعالى عما يدعون وعما يصفون وابتعد عن ذلك بعداً كبيراً فالله تعالى أعلى وأجل وأعظم مما يدعون {عَمَّا يَقُولُونَ} على ما يقولون هؤلاء المشركون والملحدون بأن له شريكاً أو ولداً {عُلُوًّا كَبِيرًا} علواً وارتفاعاً وجاهاً وسلطاناً وجلالاً عظيماً فهو المعبود وحده وهو القاهر فوق عباده وهو الله الواحد في السموات وفي الأرض إلهاً ورباً ومعبوداً {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ} أي تسبح بحمده وبِعظمته وبجلاله وبقدرته تسبيحاً وذكرها لا يفتر أبداً السموات السبع وما فيهما {وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا} والأرض التي نحن عليها ومن فيها من إنس وجان وحيوان وشجر ودواب {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ} وما من شيء في الكون {إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} إلا بحمد الله تعالى ويسبحه ويذكره على نعمه وأفضاله وخيراته على الكون كله {وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} ولكن لا تفهمون قولهم في التسبيح ولا تسمعون تسبيحهم حتى الحصى والطعام سمعه بعض الصحابة وهو يسبح بين يدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الله ورسوله {إِنَّهُ} إنه هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَانَ حَلِيمًا} فهو ذو حلم على خلقه وعلى سوء أدبهم وعلى عظيم قولهم بأن له شريكاً أو ولداً {غَفُورًا} يغفر الذنوب لمن تاب وأناب وندم ورجع إلى طاعة الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له. كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٢]. وفي حديث أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ في يده حصيات فسمع لهن تسبيح كحنين النحل وكذا في يد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وهو حديث مشهور في المسانيد. [ابن

كثير ج ٣ ص ٤٢]. وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زيان عن سهل بن معاذ عن ابن أنس عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال لهم: (اركبوها سالمة ودعوها سالمة ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق فربّ مركوبة خير من ركبها وأكثر ذكرا لله منه). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٢]. وفي سنن النسائي عن عبد الله بن عمرو قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع وقال: (نقيقها تسبيح). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٢]. والتسبيح هو تنزيه وتقديس وتمجيد وتعظيم وذكر وحمد وشكر الله تعالى على كرمه وفضله وأنعمه ورحمته.

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴿٤٦﴾ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوَّأَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٧﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٥٠﴾

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥١﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥٢﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٣﴾ ﴾

{وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ} وإذا تلوت القرآن يا محمد يا رسول الله ويا أيها المؤمن من بعده سواء للتلاوة أو للوعظ أو للخوف من الناس {جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} جعلنا بينك يا محمد يا رسول الله وبين الكفار والملحدين الذين لا يؤمنون ولا يصدقون بيوم القيامة من البعث والجزاء والثواب والعذاب والعقاب والحساب والجنة والنار {حِجَابًا} حاجزاً وفاصلاً وسداً ومانعاً وحائلاً وحافظاً وحاجباً {مَّسْتُورًا} حصناً خفياً مستوراً لا يرى بالعين المجردة فلا يراه قارئ القرآن أو تالي القرآن ولكن يراه الأعداء سوراً مانعاً وحصيناً لا يستطيعون تجاوزه إلى من قرأ القرآن وتحصن به. قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا أبو موسى الهروي إسحاق بن إبراهيم حدثنا سفيان عن الوليد بن كثير عن يزيد بن تدرس

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنها قالت: لما نزلت " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ " جاءت العوراء أم جميل ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول: مذمماً أتينا - أو أبينا قال أبو موسى: الشك مني - ودينه قلينا وأمره عصينا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وأبو بكر إلى جنبه فقال أبو بكر رضي الله عنه: لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك فقال: (إنها لن تراني) وقرأ قرآناً اعتصم به منها "وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا" قال فجاءت حتى قامت على أبي بكر فلم تر النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا أبا بكر بلغني أن صاحبك هجاني فقال أبو بكر: لا ورب هذا البيت ما هجاك قال فانصرفت وهي تقول لقد علمت قريش أنني بنت سيدها. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٣]. فهذا الحجاب المستور لا يرى ما بعده وكما قال تبارك وتعالى: " وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ " ٩ يس.

{ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ } ويجعل الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه على قلوب الكفار والملحدين { أَكِنَّةً } أغطيةً وحجباً وستوراً { أَنْ يَفْقَهُوهُ } تجعلهم لا يفقهون القرآن ولا يعلمونه ولا يتدبرونه ولا يحبون سماعه لعنادهم وكفرهم كما قال تعالى: " فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمَّا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ " ١٢٥ الأنعام. وكما قال تعالى أيضاً: " قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا " ٧٥ مريم. وبجحودهم بالقرآن مع تيقنهم صدقه جعل الله تعالى على قلوبهم الأكنة كما قال تبارك وتعالى: " وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ " ١٤ النمل.

{ وَفِي آذَانِهِمْ } وجعلنا في سمعهم { وَقَرَأَ } صمماً وطرشاً حتى لا يسمعوه { وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ } وإذا ذكرت عند قراءتك القرآن خالك وإلهك الله تعالى يا

محمد {وَحَدَّهُرُ} وانه واحد لا شريك له في ملكه {وَلَوْأُ} أدبروا وانصرفوا وابتعدوا
وهربوا {عَلَىٰ أَدْبَرِهِمْ} على أعقابهم {نُفُورًا} فراراً وهرباً وابتعاداً عن الحق
والهدى والصواب {نَحْنُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وهنا الجمع
للتبجيل {أَعْلَمُ} أعلم وأدرى وأخبر ونحيط علماً {بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ} نحن أعلم
بالحال الذي يستمعون به وهو حال الساخر المستهزئ غير المصدق {إِذْ يَسْتَمِعُونَ
إِلَيْكَ} عندما يستمعون إليك وينصتون إليك سراً حتى لا تراهم {وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ}
وعندما يجتمعون للتحدث في أمرك وما هو شأنك {إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ} عندها يقول
الظالمون لأنفسهم بالتكذيب والجحود والإنكار {إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا} إذ
يقول هؤلاء المعاندون والمشركون ما تتبعون إلا رجلاً مسه السحر فهو مسحور أو
أصابه سحر فهو مجنون أو مخبول {أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ} انظر يا
محمد بعينيك وشاهد حالهم كيف قالوا عنك الأمثال بأنك مسحور وأصابك السحر
والخبال {فَضَلُّوا} فتاهوا وابتعدوا عن الصواب {فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا} فلا
يستطيعون إلى الهدى أن يجدوا طريقاً يتبعوه للحق والصواب والهدى {وَقَالُوا}
وقال الكفار {أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفْنًا} هل إذا بلينا وأصبحنا عظماً نخرة وأشلاءً
ممزقة من اللحم وتراباً {أَءِذَا لَمَبَّعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا} فهل نحن مبعوثون يوم
القيامة ونحيا من جديد وترجع أجسامنا وأجسادنا سليمة {قُلْ} قل لهم يا محمد
يا رسول الله {كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا} قل لو كنتم مخلوقين من الحجارة أو
الحديد {أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ} أو أي خلق مما هو عظيم في
صدوركم كخلق السموات والأرض فالله تعالى قادر على إحيائه وخلقه من جديد

{فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا} فسيقولون عندها من يعيدنا أحياء مرة ثانية {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {الَّذِي فَطَرَكُمْ} الذي خلقكم {أَوَّلَ مَرَّةٍ} في أول مرة عندما كنتم لا شيء وهباءً منثوراً وأوجدكم من العدم {فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ} فسيطأطئون إليك عجباً رؤوسهم {وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ} ويقول الكفار لك يا محمد يا رسول الله متى هذا يوم البعث ويوم القيامة {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {عَسَىٰ} لعله {أَن يَكُونَ قَرِيبًا} أن يكون يوم القيامة قريباً ومفاجئاً {يَوْمَ يَدْعُوكُمْ} يوم القيامة يدعوكم من قبوركم ويناديكم للمحشر {فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ} فتحيون وتأتون إلى المحشر بحمد الله وشكره وفضله {وَتَذُنُّونَ} وتشكون {إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا} إن لبئتم وبقيتم في الدنيا إلا قليلاً من الوقت يوماً أو بعض يوم أو أقل من ذلك الوقت لأن عمر الدنيا بالنسبة للآخرة قليل.

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ
كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٧﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأُ يَرْحَمَكُمُ أَوْ إِن يَشَأُ
يُعَذِّبِكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٨﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٩﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ
زَعَمْتُمْ مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ
يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ
عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٦١﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾

{ وَقُلْ لِعِبَادِي } وقل يا محمد يا رسول الله لعبادي المؤمنين { يَقُولُوا الَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ } يقولوا للناس التي هي أحسن من الكلام الطيب والحسن والرد الجميل
والموعظة الحسنة الطيبة رداً على كلامهم السيئ أو معاداتهم له أو مجادلتهم له
بشدة وعنف وتقريع { إِنَّ الشَّيْطَانَ } إن الشيطان وهو كافر الجن وهو ما شاط
وابتعد عن الحق وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق كما جاء في
الحديث { يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ } يفرق بينهم ويشعل نار العداوة والبغضاء بينهم بالقول
العنيف والجاف والشديد والصلب { إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا } لأن
الشيطان خلق عدواً يعادي الإنسان من بني آدم ويريد أن يوقعه في الشر والمعصية
حتى يدخله النار يوم القيامة معه وهو عدو عظيم ماكر غادر واضح العداوة { رَبُّكُمْ }
ربكم وخالقكم الله تعالى { أَعْلَمُ بِكُمْ } والله تعالى يعلم بكم أيها الناس وبطاعتكم
وبعصيانكم وماذا تفعلون وماذا تعملون { إِنَّ يَشَأُ } إن يرد الله تعالى { يَرْحَمَكُمُ } أن

يجعل رحمته عليكم ولا يعذبكم يوم القيامة باتباعكم لأوامره واجتنابكم نواهيه وطاعته فيما أمر {أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ} وإن يرد أن يعذبكم لعصيانكم ولتعديكم حدوده وانتهاك محارمه وعصيانه أي إن أطمعتموه يرحمكم ولا يعذبكم يوم القيامة وإن عصيتموه يعذبكم يوم القيامة في نار جهنم {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ} ولم نرسلك ولم نبعثك يا محمد يا رسول الله {عَلَيْهِمْ} على الناس {وَكَيْلًا} أي مُوَكَّلًا عليهم ومتسلطاً عليهم بالقوة لإرغامهم على اتباع الإسلام كما قال تعالى: " لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ " ٢٢ الغاشية. وكما قال تعالى: " وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ " ١٨ العنكبوت {وَرَبُّكَ} وربك وخالقك وإلهك الله تعالى يا محمد يا رسول الله {أَعْلَمُ} يعلم ويدري ويعرف {بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ} بمن في السموات السبع من الملائكة أهل الطاعة وبطاعتهم وعبادتهم لله تعالى ولم يشركوا به أحداً ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون {وَالْأَرْضِ} ويعلم الله تعالى بأهل الأرض من أهل الثقلين الإنس والجن فهو أعلم بمن أطاع منهم أو عصى {وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ} ولقد فضل الله النبيين بفضيلة وبمعجزة أفضل من معجزة أو كتاب البعض الآخر فمثلاً فضل آدم عليه السلام بأن أسجد له ملائكته ولم يسجدوا لنبي ولا لرسول غيره وكذلك علمه الأسماء كلها وكذلك خلقه أول الخلقة بيده ونفخ فيه من روحه ولم يجعل له أباً ولا أمّاً وفضل إبراهيم عليه السلام ولم يجعل النار تحرقه بقوله تعالى: " يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ " ٦٩ الأنبياء. وموسى عليه السلام أعطاه الله معجزة العصا والكلام مع الله تعالى بقوله: " وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا " ١٦٤ النساء. وعيسى عليه السلام خلقه مثل آدم من أم وليس له أب وأعطاه الله معجزة أن يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص وسيدنا سليمان وداود

علمهم منطق الطير وأعطى سيدنا سليمان حكم الجن والإنس والطير ووهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده والنبي صلى الله عليه وسلم غفر له ذنبه ما تقدم وما تأخر وأسرى بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج حتى وصل من القرب فكان قاب قوسين أو أدنى من القرب من الله تعالى عند العرش وفي مكان وقف جبريل عند سدرة المنتهى ولم يتجاوزه وقال لكل منا مقام معلوم وهذا المكان لم يصله غيره ملك مقرب ولا نبي مرسل وأعطاه كذلك القرآن مهيمناً على باقي الكتب السماوية قال تعالى: " وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ " ٤٨ المائدة {وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا} وأن الله تعالى أنزل على داود عليه السلام كتاب الزبور {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله أي للمشركين {أَدْعُوا} أي اطلبوا وابتهلوا وتضرعوا {الَّذِينَ زَعَمْتُمْ} من الذين ادعيتهم كذباً {مِنْ دُونِهِ} أي غيره من الآلهة الذين أشركتموهم مع الله من الأصنام والأوثان والأنداد {فَلَا يَمْلِكُونَ} فلا يستطيعون مساعدتكم {كَشَفَ} ولا يستطيعون رفع {الضَّرِّ عَنْكُمْ} الشر والمصيبة والبلاء عنكم {وَلَا تَحْوِيلًا} ولا يستطيعون إزالته ولا إحالته عنكم ولا يستطيعون {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ} هؤلاء الذين يدعونهم ويطلبون منهم ويلتمسون منهم رفع الضر عنهم {يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ} يطلبون من ربهم القرب والمغفرة والنجاة لأن كل الكون خاضع لله تعالى ويطلب رحمته ويسبح بحمده كما قال تعالى: " تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا " ٤٤ الإسراء. وروى البخاري من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله في قوله: " أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ

رَبَّهُمُ الْوَسِيلَةَ " قال: ناس من الجن كانوا يُعبدون فأسلموا. وفي رواية قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٦]. {أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} أيهم أحسن وأقرب الطرق للوصول والنجاة إلى الله تعالى {وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ} ويطلبون رحمته وجنته {وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ} ويخافون الله تعالى وعذابه وعقابه وانتقامه {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ} إن عقاب ربك وخالقك وإلهك الله تعالى يا محمد يا رسول الله {كَانَ مَحْذُورًا} الكل يحذره ويخافه ويبتعدوا بقدر الإمكان عنه بالطاعات والقربة وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له {وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ} وما من قرية في الأرض ولا مدينة {إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا} إلا الله تعالى مهلكها بالموت {قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ} قبل أن تقوم القيامة {أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا} أو يعذبها الله تعالى بكفرها وعصيانها وفسوقها عذاباً {شَدِيدًا} قوياً وأليماً في الدنيا قبل الآخرة {كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا} كان هذا العذاب في اللوح المحفوظ مسجلاً ومكتوباً.

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ ۖ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا ﴿٩٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَخَوْفُهُمْ ۚ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٩١﴾ ﴾

{ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ } والسبب في عدم إرسال المعجزات للنبي صلى الله عليه وسلم مثل معجزات الرسل السابقين وسبب منعه ذلك { إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ } سبب ذلك أنه كذبت بها الأمم والأقوام السابقة ولم يصدقوا بالمعجزات التي أرسلها الله تعالى مع أنبيائه ورسوله فما الفائدة من الإتيان بالمعجزات التي طلبها الكفار لأنه لما رآها الأولون من الأمم السابقة لم يصدقوا بها وكان كفار قريش طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم المعجزات التي ذكرها الله تعالى في قوله: " وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ تَحْتِهَا نَاقُورٌ يَخْرُجُ مِنْهَا نَاقَةٌ ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَّ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ " ٩٠-٩٣ الإسراء. { وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ } وقد أرسل الله مع

سيدنا صالح إلى قومه ثمود معجزة الناقة { مُبْصِرَةً } أي واضحة بينة ودالة على صدق رسالته وكان قومه قد طلبوا منه وهم ثمود أن يخرج لهم ناقة من صخرة فدعا ربه فاستجاب له وأخرجها لهم { فَظَلَمُوا بِهَا } فكذبوا بها وجحدوا وأنكروا ولم يصدقوه وعقروا الناقة وقتلوا فظلموا بها أنفسهم بهذا الجحود والإنكار والتكذيب { وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ } ولا يرسل الله تعالى هذه المعجزات مع رسوله إلى أقوامهم

{إِلَّا تَخْوِيفًا} إلا تخويفاً للناس حتى يؤمنوا ويصدقوا بالله تعالى ويعبدوه وحده ويطيعونه {وَإِذْ قُلْنَا لَكَ} وقلنا لك يا محمد يا رسول الله {إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ} إن ربك وخالقك وإلهك الله تعالى قد أحاط بالناس علماً وبصيرة ومعرفة بأنه قسم منهم يكذبونك {وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا} وما جعل الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه رؤيا العين والحقيقة واليقظة {الَّتِي أَرَيْنَاكَ} التي أراكها الله تعالى ليلة الإسراء والمعراج بأمر عينك عياناً ويقظة {إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} إلا امتحاناً وابتلاءً ليميز الخبيث من الطيب ولنعلم الذين صدقوا والكاذبين لأنه ارتد جزء من المسلمين بعد الإسراء والمعراج وكذبوا ولم يصدقوا لأن عقولهم لم تستوعب ذلك ونسوا أن أول شرط في الإيمان أن يؤمنوا بالغيب كما جاء في أول سورة البقرة. قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس " وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ " قال هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٨].

{وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ} وكذلك فتنة الشجرة الملعونة التي يعذب الله تعالى بها الكفار فهي طعامهم في نار جهنم وهي شجرة الزقوم وذلك عندما قص النبي صلى الله عليه وسلم رؤية ليلة الإسراء والمعراج وأنه دخل الجنة ورأى نعيمها ودخل النار ورأى عذابها وشجرة الزقوم وقص ذلك قال أبو جهل عليه لعائن الله هاتوا لنا تمراً وزبداً وجعل يأكل من هذا بهذا ويقول تزقموا فلا نعلم الزقوم غير هذا. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٨]. {وَتَخْوِيفُهُمْ} ونخوفهم بذلك من عذاب النار والشجرة الملعونة يا محمد يا رسول الله {فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا} فما يزيدهم هذا التخويف من نار جهنم إلا أكثر {طُعَيْنَا} غياً وظلماً {كَبِيرًا} عظيماً أي لم

يرتدعوا بذلك ولم يرجعوا إلى عبادة الله تعالى وطاعته ولم يندموا بل زادوا معصية وجحوداً وإنكاراً ومخالفة وظلماً وبغياً وغياً وكفراً.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ

طِينًا ﴿١١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً ﴿١٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ

جَزَاءُكُمْ جزاءً موفوراً ﴿١٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُّ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم

بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا

غُرُورًا ﴿١٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿١٥﴾﴾

{وَإِذْ قُلْنَا} وإذ قال الله تعالى {لِلْمَلَائِكَةِ} الملائكة المقربين {اسْجُدُوا لِآدَمَ}

{فَسَجَدُوا} أمر الله تعالى الملائكة المقربين بالسجود لآدم عليه السلام سجود طاعة

واحترام وتفضيل له عليهم بعلمه. والسجود هو بأمر الله تعالى وبرضاه سجود على

الجباه وليس ركوعاً كما يدعي البعض بل كان سجوداً حقيقياً فالآمر والآذن هو الله

تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {إِلَّا إِبْلِيسَ} إلا إبليس لم يسجد لأنه

سجود حقيقي على الجباه وليس بالإيماء وإلا لفعله إبليس ولو كان بالإيماء لآتاه

إبليس لأنه أخف عليه أما السجود على الجبهة جعله يمتنع ويظهر مخالفته بعدم

سجوده {قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا} قال إبليس مصراً على عدم السجود

مخاطباً الله تعالى مستكبراً عن السجود لآدم وقال في حجته هل أسجد لمن خلقته

من الطين لأنه يعلم أن إبليس خلق من النار وآدم خلق من الطين وظن أن النار هي

أقوى من الطين وتحرقه وعجباً حجته داحضة لأن الخالق والآمر هو الله تعالى جل

جلاله وعظم قدره وعلا شأنه ثانياً ظن أن النار أقوى ولم يعلم ولم يدري أنها إذا

أطفئت لم تكن شيئاً ويصبح بقاياها رماداً يذهب هباءً منثوراً أما الطين فيبقى ولا يزول وكلما نزل عليه الماء فيحيا من جديد ويخرج منه النبات حياً أخضراً دليلاً على بقاء الطين بعكس النار لا ينبت فيها شيء وكلما نزل عليها الماء أطفئت {قَالَ} قال إبليس لعنه الله {أَرَأَيْتَكَ هَذَا} أريك في هذا {الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ} فضلت وشرفت عليّ يعني آدم عليه السلام {لَئِن أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} لو أخرتني ولم تمنني حتى يوم القيامة وتقوم الساعة {لَأَحْتَنِكَنَّ} لأفسدن بحنكة ودهاء وغدر ولأطغين بضلال وغرور {ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً} أي أبناءه وذريتهم إلى يوم القيامة إلا عدداً قليلاً من الصالحين الذين لا يستطيع إبليس إغواءهم وإفسادهم {قَالَ} قال الله تعالى {أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ} فأنظره إلى يوم القيامة وقال اذهب فافعل ما شئت فيهم فمن تبعك وأطاعك منهم بالمعاصي والذنوب والكفر {فَأِنَّ جَهَنَّمَ جَزَأُكُمْ} فإن جهنم مصيركم وهي جزاؤكم يعني عقابكم {جَزَاءً مَّوْفُورًا} عقاباً محضراً وجاهزاً وميسراً {وَأَسْتَفْزِرُّ} حرض واستنفر وأثر وحرك فيهم الشهوة والمعاصي في المحرمات {مَنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ} ما قدرت على أحد منهم {بِصَوْتِكَ} بكلامك المعسول كما أقسم لآدم في الجنة بأن هذه شجرة الخلد من أكلها يخلد لا يموت قال ذلك لآدم وكذلك صوته وهو بالغناء غناء الماجنات الكاسيات العاريات وبصوت المزمارة والناي والعود وبصوت الدفوف أمام المغنيات المائلات المميلات والكاسيات العاريات {وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ} واجلب وأحضر على المومسات ومحل الداعرات والخمارات ومحل لعب القمار ومحل الربا {بِخَيْلِكَ} أي اجلبهم مسرعين الخيالة منهم أي من يأتي على خيولهم وفي العصر الحاضر من يحضر بسياراتهم وطائراتهم {وَرَجَلِكَ} والمشاة منهم الذين لا يستطيعون

ركوب الخيل أو السيارات أو مَنْ هم قريب مسكنهم لقرب المسافة حتى يأتوا لارتكاب الذنوب والمعاصي والمحرمات بالزنا وخلافه {وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ} وشاركهم في جلب الأموال من المخدرات والربا والسلب والنهب والرشوة وغير ذلك {وَالْأَوْلَادِ} أولاد الزنا أو في جعل أولادهم مشركين أو كفار وفي الجماع إذا لم يسم ابن آدم فإن الشيطان يجامع معه زوجته كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من أحد يقصد دخول البيت إلا ويتبعه الشيطان فإن دخل البيت فقال "بسم الله الرحمن الرحيم" يقول الشيطان لا مدخل لي في هذا البيت ، وإن قُدِّمَ إليه الطعام فقال "بسم الله الرحمن الرحيم" يقول الشيطان لا طعام لي ههنا ، وإذا قُدِّمَ الشراب وقال "بسم الله الرحمن الرحيم" يقول الشيطان لا شراب لي ههنا ، وإذا اضطجع وقال "بسم الله الرحمن الرحيم" يقول الشيطان لا مضجع لي ههنا. وإذا ترك التسمية عند الدخول دخل معه الشيطان ، وإذا تركها عند الأكل يأكل معه الشيطان ، وإذا شرب يضع الشيطان فمه أولاً على الكوز. وإذا أراد أن يجامع ولم يسم جامع الشيطان معه ويكون بعض المولود بسبب اختلاط مائه زنيماً وبعضه أعمى وبعضه أعور وبعضه أعرج وبعضه فاسق وبعضه كافر وغير ذلك ففي مثل هذا قال تعالى: " وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ " الآية. [خزينة الأسرار ص ٨٣]. وقال جعفر بن محمد رحمه الله تعالى: (الشيطان على ذكر الرجل فإذا لم يقل "بسم الله" عند الجماع جامع معه امرأته وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل) [خزينة الأسرار ص ٨٣]. وروي أن رجلاً قال لابن عباس رضي الله عنهما أن امرأتي استيقظت وفي فرجها شعلة نار؟ قال ذلك وطء الشيطان إذا أردت جماعها فقل "بسم الله" [خزينة الأسرار ص ٨٣]. ويؤيده ما جاء عن مجاهد أن الذي يجامع ولا يسمى يلتف الشيطان على إحليله فيجامع معه. [سبل السلام ج ٣ ص ١٤٣].

{وَعِدَّهُمْ} أي عِدْهم بآجال طويلة وأعمار مديدة وعدهم بالملذات في الشهوات الحرام وفي شرب المخدرات والخمور وعدهم بالسعادة في ذلك {وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} وما يعدهم الشيطان بهذه المنكرات والمعاصي إلا تغريراً بهم وتضليلاً لهم {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ} قال تعالى رداً على إبليس لعنه الله حماية للمؤمنين إن عبادي المخلصين الطائعين لله والذين لا يتعدون حدوده ويطيعونه ليس لك عليهم {سُلْطَنٌ} القوة الجسدية وقوة الإغراء والتضليل لحفظ الله تعالى لهم بعدم طاعته وعدم الوقوع في المعاصي والذنوب {وَكَفَىٰ بَرَبِكْ} ويكفي يا محمد يا رسول الله بربك وخالقك وإلهك الله تعالى {وَكَيْلًا} تلجؤون إليه وتتكلون عليه وتعتمدون في جميع أعمالكم. وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبداً). [ابن كثير ج ٣ ص ٥٠]. وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن المؤمن لينضي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره في السفر). [ينضي أي يأخذ بناصيته ويقهره - ابن كثير ج ٣ ص ٥٠].

﴿ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (٦٦) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ تَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴿

{ رَبُّكُمْ } خالقكم وإلهكم ورب السموات والأرض وما فيهن ورب العالمين هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { الَّذِي يُزْجِي } الذي يسخر ويسير { لَكُمْ } لكم أيها الناس جميعاً { الْفُلْكَ } السفن والبواخر والمراكب والغواصات وكل شيء يسير في البحر { فِي الْبَحْرِ } في البحار المالحة والحلوة والمحيطات وعلى ظهر الماء { لِتَبْتَغُوا } لتنالوا ما تطلبوا من حوائجكم من التجارة والمواصلات والبضاعة والمأكولات وصيد الأسماك في البحار { مِنْ فَضْلِهِ } من كرمه وجوده ومن خيره فكل شيء من النعم فهي من فضله { إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } فبتنقلكم من بلد إلى آخر عبر البحار والمحيطات فهو من رحمة الله تعالى ولا يريد أن يعذبكم في أسفاركم في اختراق البحار وفي طلب حوائجكم في البحار وما بعدها فسهل ذلك عليكم فهو بكم رحيم { وَإِذَا مَسَّكُمْ } وإذا أصابكم { الضُّرُّ } وهو شدة هبوب الرياح والعواصف وهيجان البحر { فِي الْبَحْرِ } وأنتم مسافرون في البحر أي أثناء سفركم { ضَلَّ } ذهب وضاع وتاه وابتعد { مَنْ تَدْعُونَ } من تدعون غيره من الأصنام والأوثان والأنداد ولم تجدوهم ولم يستطيعوا نجدتكم من الغرق ومن المصائب التي

حلت بكم {إِلَّا إِلِيَّاهُ} ولم تجدوا أحداً سواه ينقذكم من لهفتكم ومصيبتكم التي وقعتم بها {فَأَمَّا جَحْدُكُمْ} فلما أنقذكم من الشدة ومن الغرق {إِلَى الْبَرِّ} إلى الشاطئ وإلى الأرض اليابسة والمكان الذي تبتغونه وذهبتم إليه {أَعْرَضْتُمْ} انحرفتم وخالفتم وابتعدتم عن طاعة الله تعالى وعبادته {وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا} وأصبح الإنسان بعدها جاحداً ومنكراً ومكذباً بنعمة الله ورحمته وعصيته وناجرتموه بالمعاصي وكان الإنسان في تلك اللحظة كفوراً جاحداً ومنكراً بأنعم الله وفضله عليه وجاحداً لما تفضل عليه بالنجاة من الغرق ومن الشدة التي حصلت له {أَفَأَمِنْتُمْ} فهل اطمأنتم {أَنْ تَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ} أن يرسل عليكم زلزالاً وأنتم في البر فتغور بكم الأرض {أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا} أو يرسل عليكم من السماء حجارة من سجيل أو بالمطر الشديد فيغرقكم أو قطع من البرد أو الثلج مما يسقط عليكم سقف بيوتكم {ثُمَّ لَا تَجِدُوا} ثم بعد ذلك الهلاك إما بالزلزال أو بالرجم لا تجدوا {لَكُمْ وَكِيلًا} لكم ناصرًا ينصركم ويحميكم ويحفظكم وتعتمدون عليه في نجاتكم {أَمْ أَمِنْتُمْ} أو هل أمنتم {أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى} أن يرجعكم في البحر سفرة ثانية أخرى بعد الأولى {فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ} فيبعث عليكم {قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ} عاصفاً أو زوبعة من الريح الشديد والعواصف العاتية والشديدة {فَيُغْرِقْكُمْ} فيغرق سفنكم وتجارتكم ومتاعكم وأنفسكم {بِمَا كَفَرْتُمْ} بما جحدتم وأنكرتم وكذبتم وعصيتم الله تعالى {ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا} ثم لا تجدوا أحداً على غرقكم تبيعاً يتابعنا ويطالبنا بثأركم ويحاسبنا على إغراقكم ولا تجدوا لكم علينا أحداً نصيراً ينصركم علينا.

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
 وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٦﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ
 فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾
 وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٨﴾ وَإِنْ كَادُوا
 لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَٰنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۗ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ حَلِيلًا ﴿٧٩﴾
 وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٨٠﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ
 الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٨١﴾ وَإِنْ كَادُوا
 لَيَسْتَفْزِنُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۗ وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٢﴾
 سُنَّةً مِّنْ قَدِّ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا ۗ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾

{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} ولقد فضلنا آدم وذريته وكافأناهم وجزيناهم وأنعمنا عليهم
 {وَحَمَلْنَاهُمْ} وهذا التكريم هو حملهم في سفرهم وتنقلهم {فِي الْبَرِّ} في الأرض
 اليابسة فمواصلاتهم هي حملهم على الخيل والبغال والحمير والإبل وفي الوقت
 الحاضر بالسيارات والطائرات والأقمار الصناعية {وَالْبَحْرِ} بالفلك والسفن
 والمراكب والزوارق والغواصات {وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ} ورزقهم الله تعالى وأنعم
 عليهم وآتاهم من فضله من الطيبات في المأكَل والمشرب والملبس والفواكه الكثيرة
 والطيبة والحبوب والخضروات وكل ما طاب ولدُّ من المأكَل والمشرب {وَفَضَّلْنَاهُمْ
 عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} وفضل الله بني آدم في الخلقة والمنظر وفي الجسم
 وفي أحسن تقويم وكان التفضيل على الملائكة بأن أسجد لآدم الملائكة المقربين
 وثانياً فضل الله آدم وذريته بالعقل وبالعلم وعلم آدم الأسماء كلها وفضل آدم

وذريته بالرسالة والنبوة ويوم القيامة بدخول الجنة وفضل بني آدم ومنهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج فوصل درجة من القرب من الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه درجة لم يصلها جبريل عليه السلام وقال عندما وقف عند سدرة المنتهى لو تعديت مقدار أنملة لاحترقت من النور وقال لكل منا مقام معلوم ولم يصل ذلك المكان ملك مقرب ولا نبي مرسل غير النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو من بني آدم وكذلك له الشفاعة العظمى يوم القيامة لم يحصل عليها ملك من الملائكة. وأما التفضيل لبني آدم على الجن هو أولاً أن من بني آدم سيدنا سليمان حكم الجن بقوله تعالى: " وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ " ١٧ النمل. وثانياً إن علم بني آدم زيادة على فضله على الملائكة أفضل من علم الجن وقد برز ذلك جلياً في المباراة بين الجن والإنس في إحضار عرش بلقيس بين عفريت من الجن وبين آصف بن برخيا الذي عنده علم من الكتاب فأحضر عرش بلقيس أسرع من عفريت الجن قبل أن يترد طرف سيدنا سليمان كما في قوله تعالى: " قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي " ٤٠ النمل. أما فضل بني آدم وتكريمه على الحيوانات والدواب فبعضها يأكله بنو آدم ويأكل لحمه ويشرب لبنه وبعضه يركبه كالخيل والبغال والحمير وبعضه يقتله وهو سباع الطير والحيوانات وهذا هو بعض التفضيل والتكريم {يَوْمَ} يوم القيامة {نَدْعُوا} يستدعي الله تعالى {كُلُّ أَنَسٍ} كل أمة وكل قوم {بِأَمَمِهِمْ} برسولهم ونبيهم للفصل بينهم وليشهد عليهم نبيهم ورسولهم بتبليغ الرسالة كما قال تعالى: " فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً " ٤١ النساء. وكما قال تعالى: " وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ

بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ " ٤٧ يونس. {فَمَنْ أُوتِيَ} فمن أعطي وأخذ {كِتَابَهُ} كتاب الحسنات والسيئات {بِئَمِينِهِ} بيده اليمين {فَأُولَئِكَ يَقرءُونَ كِتَابَهُمْ} فهؤلاء الذين يأخذون كتابهم بيدهم اليمين يقرءون كتابهم {وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} ولا ينقصون من ثوابهم مقدار الفتيل وهو القشرة الرقيقة الموجودة بين فلقتي نواة البلح فأولئك يقرءون كتابهم وهم مسرورون وفرحون لنجاتهم من العذاب ولا يظلمون من أعمالهم الحسنة والطيبة مقدار الفتيل الموجود في شق نواة البلح أو التمر {وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ} ومن كان في هذه الدنيا {أَعْمَى} لا يرى الحق فيتبعه ويأخذ به ولا يهتدي للصواب وعبادة الله تعالى وطاعته فهو أعمى عن الحق والعدل وعن دين الإسلام وعبادة الله تعالى وطاعته وطاعة رسوله {فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى} فهو كذلك في الآخرة أعمى لا يعلم الحق من الباطل ولا يعلم إلى أين مصيره ولا يعلم ما هي عاقبته ولا يعلم بأن هناك جنةً ونعيمًا مقيمًا {وَأَضَلُّ سَبِيلًا} وهو أبعد طريقًا عن الوصول إلى الجنة وهو على الصراط يقذف في نار جهنم لأنه ليس له نور يهتدي به إلى الجنة {وَأِنْ كَادُوا} وإن كانوا على وشك {لَيَفْتِنُونَكَ} أن يضلوك ويغروك {عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} عن رسالتك والقرآن الذي أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أن أهل قريش طلبوا من النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إن أراد مالا أعطوه وإن طلب جاهاً ملكوه عليهم وإن أصابه مس من الشيطان داووه على أن يتبع دينهم ودين أجدادهم ولكنه رفض وقال قولته المشهورة لعمه أبي طالب: (والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه). {لَتَفْتِرَى عَلَيْنَا غَيْرَهُ} لتختلق وتأتي بدين غير الإسلام وهو دين

قريش وهو عبادة الأصنام {وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا} عندها لجعلوك خليلاً لهم وحبیباً وصديقاً وصاحباً لهم {وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ} ولولا أن أيدناك بالثبات على الحق وعلى دين الإسلام وهذا فضل الله عليك وتثبيتته وعصمته لك {لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ} لأوشكت أن تميل إليهم وتطمئن إليهم {شَيْئًا قَلِيلًا} أن تهادنهم قليلاً {إِنَّا لَأَذَقْنَاكَ} ولو فعلت ذلك واطمأننت إليهم لعذبناك {ضِعْفَ الْحَيَاةِ} أي لضاعفنا لك العذاب في الدنيا بالأسر والسجن والأمراض والعذاب {وَوَضِعْنَا} لضعفنا لك العذاب بعد الموت وهو عذاب القبر وعذاب جهنم يوم القيامة {ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا} ثم يوم القيامة لا تجد لك ناصرًا ينصرك علينا أو يعينك بأن يمنعك من عذاب النار يوم القيامة {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ} وإن كانوا على وشك أن يطردوك من مكة بادئ الأمر لكنهم عدلوا عن ذلك وأرادوا قتلك وذلك عندما اجتمع أربعون رجلاً منهم بسيوفهم على قتلك قبل أمر الله لك بالهجرة {مِنَ الْأَرْضِ} هي مكة {لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا} ليطردوك من مكة {وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ} لا يبقون ولا يدومون {خِلْفِكَ} من بعد طردك من مكة {إِلَّا قَلِيلًا} إلا وقتاً قليلاً وفعلاً بعد حوالي عام ونصف من الهجرة جاءت معركة بدر فانتقم الله من أهل مكة وقتل أبو جهل في سبعين نفر منهم وأسر سبعون من كفار مكة {سُنَّةً مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا} وهذه سنة الله وشريعته وحكمته فيمن أرسل قبلك من رسل الله يا محمد يا رسول الله وهي أخذ المعادين لرسل الله تعالى ويهلكهم الله بعد خروج الرسل من قريتهم {وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا} ولن

تجد لقوانين وسنن الله تعالى في معاقبة العصاة من خلقه لا تحويلاً ولا تغييراً
فمصيرهم الدائم هو الهلاك والموت.

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ
كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا
مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي
مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ
زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾

{أَقِمِ الصَّلَاةَ} أقم الصلاة وأدِّ فرائضها يا محمد يا رسول الله وأنت أيها المسلم
{لِدُلُوكِ الشَّمْسِ} وصلِّ فرضها لدلوك الشمس أي لزوالها ووقت الزوال هو الوقت
الذي يلي استواء الشمس وتوسطها في كبد السماء (عندما تكون الشمس عمودية
على الأرض) بعد فترة قدرها العلماء من خمس دقائق إلى ربع ساعة تقريباً وهذه
الفترة (من استواء الشمس إلى أن تزول) هي من الأوقات الثلاثة المنهي عن الصلاة
فيها لما ورد عن عقبة: (ثَلَاثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَانَا
أَنْ نُصَلِّيَ فِيهِنَّ أَوْ أَنْ نَقْبُرَ فِيهِنَّ مَوْتَانَا حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بَازِغَةً حَتَّى تَرْتَفِعَ
وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ حَتَّى تَمِيلَ الشَّمْسُ وَحِينَ تَضِيْفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى
تَغْرُبَ). أي دلوك الشمس هو زوالها وهو ما اختاره ابن جرير ومما استشهد عليه
ما رواه عن ابن حميد عن الحكم بن بشير: حدثنا عمرو بن قيس عن ابن أبي ليلى
عن رجل عن جابر بن عبد الله قال: دعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن
شاء من أصحابه فطعموا عندي ثم خرجوا حين زالت الشمس فخرج النبي صلى
الله عليه وسلم فقال: (اخرج يا أبا بكر) فهذا حين دلكت الشمس. [ابن كثير ج ٣

ص ٥٤]. {إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ} أي إلى ظلام الليل. وهذه الفترة فيها صلاة الظهر عند دلوك الشمس ثم صلاة العصر وهي بعد دلوك الشمس إلى ظلام الليل وفيها صلاتي المغرب والعشاء {وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ} أي صلاة الفجر {إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} وصلاة الفجر أي صلاة الصبح وهي ركعتان وقراءة القرآن فيها يشهدها الله تعالى وملائكته وهم ملائكة الليل والنهار التي تتعاقب في بني آدم. وهذه الآية جمعت جميع فرائض الصلاة الخمس وهي ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل وصلاة الفجر وهذه الصلوات هي صلاة الظهر وهي أربع ركعات وهي فريضة وبعدها فريضة العصر وهي أربع ركعات وبعدها فريضة المغرب وهي ثلاث ركعات وفريضة العشاء وهي أربع ركعات - والمغرب والعشاء تُصلى في غسق الليل وظلامه - وصلاة الفجر وهي ركعتان وهي أفضل الصلوات لأنه يشهدها الملائكة التي تتعاقب في بني آدم ملائكة الليل وملائكة النهار ففي الصحيحين من طريق مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون) وقال عبد الله بن مسعود يجتمع الحرسان في صلاة الفجر فيصعد هؤلاء ويقوم هؤلاء. وكذا قال إبراهيم النخعي ومجاهد وقتادة وغير واحد في تفسير هذه الآية. [ابن كثير ج ٣ ص ٥٤]. وسبب أن وقت صلاة الظهر هو لدلوك الشمس أي بعد زوالها أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة وقت الزوال ونهى عن ثلاث أوقات أن نصلي فيها أو ندفن موتانا لحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: (ثلاثة أوقات نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلي فيها وأن نقبر موتانا عند طلوع الشمس حتى ترتفع وعند

زوالها حتى تزول وحين تَضَيَّف إلى الغروب حتى تغرب). [رواه مسلم - مراقبي الفلاح ص ٧٨ ، وفي كتاب سبل السلام ج ١ ص ١١٢]. {وَمِنَ اللَّيْلِ} وأما صلاة النافلة وقيام الليل {فَتَهَجَّدْ بِهِ} أي تنفل وصل لله نافلة وسنة {نَافِلَةٌ لَّكَ} أي سنة لك ثوابها يوم القيامة عند الله تعالى {عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ} لعل الله تعالى أن يبعثك يا محمد يا رسول الله يوم القيامة من قبرك حياً ويعطيك {مَقَامًا مَّحْمُودًا} منزلة ودرجة عالية وهي الشفاعة العظمى أولاً للفصل بين الناس حيث يمكث الناس في المحشر أربعين عاماً دون حساب فيشفع لهم الرسول صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى حتى يبدأ في الحساب والفصل بين الناس ، وثانياً يشفع للمسلمين بدخول الجنة. وهي [الشفاعة العظمى] منزلة ومقام لم يبلغه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وكذلك للمسلمين الذين يصلون نافلة قيام الليل لهم الجنة وهو مقام محمود لهم يوم القيامة لاتباعهم سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وكما قال تبارك وتعالى: " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ " ٣١ آل عمران. ولتهجدهم بالنوافل في الليل لأن صلاة الليل هي أفضل صلاة بعد الفريضة في الثواب كما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ قال: (صلاة الليل). [ابن كثير ج ٣ ص ٥٤]. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (صلاة في مسجدي هذا تعدل عشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة وصلاة بأرض الرباط تعدل بألف صلاة وأكثر من ذلك كله ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل لا يريد بهما إلا ما عند الله). [نزهة المجالس ج ١ ص ٩٨]. {وَقُلْ} وقل يا محمد يا رسول الله {رَبِّ} إلهي

وخالقي الله تعالى {أَدْخَلْنِي} أدخلني المدينة عند هجرتي إليها {مُدْخَلَ صِدْقٍ} مدخل صدق في تبليغ الرسالة وليس رياءً ومدخل أمان {وَأَخْرَجْنِي} وأخرجني من مكة الظالم أهلها بالكفر والشرك {مُخْرَجَ صِدْقٍ} هجرة صدق وحق إلى الله ورسوله وليس فيها رياء أو نفاق أو كذب {وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ} واجعل لي من فضلك {سُلْطَانًا نَصِيرًا} حكماً نافذاً وعلماً ساطعاً وحجة بينة ويقيناً صادقاً يساعدي على تنفيذ رسالتك ويساعدي على أداء الرسالة وينصروني على أهل الكفر والشرك وأن يجعل لي أتباعاً يؤيدون رسالتي وينصروني على أعدائك وأعدائي من أهل الكفر والشرك. وكان النصر في أول المعارك في معركة بدر الكبرى {وَقُلْ} وقل يا محمد يا رسول الله للناس {جَاءَ الْحَقُّ} وهو دين الإسلام {وَزَهَقَ الْبَاطِلُ} أي هلك وذهب الكفر وهو باطل دعواه إن الكفر كان زهوقاً وهالكاً وزائلاً وذلك في فتح مكة سنة ثمان من الهجرة قال البخاري: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد). [ابن كثير ج ٣ ص ٥٩]. {إِنَّ الْبَاطِلَ} إن الكفر والشرك {كَانَ زَهُوقًا} كان زائلاً وهالكاً ولا أساس له من الصحة ولا من الحق ولا من الصدق.

﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا

خَسَارًا ﴿٨٢﴾

{ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ } هذه الآية دلت على أن القرآن يشفي من بعض الأمراض كالحسد والصرع والسحر وأن لهذه الآية معنيين ظاهراً وباطناً فأما الباطن فالله تعالى ينزل آيات من القرآن فيها شفاء لما في الصدور والنفوس من الشرك والكفر والنفاق والعصيان لأنها تزجرهم عن ذلك وتعظمهم وترشدهم رحمة لهم من عذاب الله تعالى بتصديقهم لآيات الله تعالى والعمل بها وتخضع قلوبهم وجلودهم لذكر الله تعالى وأما المعنى الظاهر فهو شفاء القرآن لبعض الأمراض المذكورة آنفاً ومنها شفاء العسل لبعض الأمراض وهو وصفة قرآنية وكما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من رواية قتادة عن أبي المتوكل علي بن داود الناجي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن أخي استطلق بطنه فقال: (اسقه عسلاً) فذهب فسقاه عسلاً ثم جاء فقال يا رسول الله سقيته عسلاً فما زاده إلا استطلاقاً قال: (اذهب فاسقه عسلاً) فذهب فسقاه عسلاً ثم جاء فقال يا رسول الله ما زاده إلا استطلاقاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صدق الله وكذب بطن أخيك اذهب فاسقه عسلاً) فذهب فسقاه عسلاً فبرئ. [ابن كثير ج ٢ ص ٥٧٥]. وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في سننه: حدثنا علي ابن سلمة هو التغلبي حدثنا زيد بن حباب حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله هو ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بالشفاءين العسل والقرآن). [وهذا إسناد جيد تفرد بإخراجه ابن ماجه مرفوعاً - ابن كثير ج ٢ ص ٥٧٦]. وروينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

رضي الله عنه أنه قال: إذا أراد أحدكم الشفاء فليكتب آية من كتاب الله في صحيفة وليغسلها بماء السماء وليأخذ من امرأته درهماً عن طيب نفس منها فليشتر به عسلاً (وهو ما يستخرج من النحل) فليشربه كذلك فإنه شفاء. وذلك استنباطاً من الآيات القرآنية: قال الله تعالى: " وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ " وقال تعالى: " وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا " وقال تعالى: " فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا " وقال في العسل: " فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ".

[ابن كثير ج ٢ ص ٥٧٦]. وروى ابن أبي شيبة في مسنده من حديث عبد الله ابن مسعود قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي إذ سجد فلدغته عقرب في إصبه فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لعن الله العقرب ما تدع نبياً ولا غيره قال ثم دعا بإناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة في الماء والملح ويقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين حتى سكنت. [زاد الميعاد ج ٣ ص ٢٣]. وفي مسند الإمام أحمد من حديث زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت الأعراب فقالوا يا رسول الله أنتداوى؟ فقال: (نعم يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاء غير داء واحد) قالوا ما هو؟ قال: (الهرم) وفي لفظ: (إن الله لم ينزل داءً إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله). [زاد الميعاد ج ٣ ص ٦٦]. وقال ابن أبي حاتم ثنا يحيى بن نصير الخولاني ثنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي هبيرة عن حسن بن عبد الله أن رجلاً مصاباً مرّ به على عبد الله بن مسعود فقرأ في أذنه هذه الآية " أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ " حتى ختم السورة فبرأ فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بماذا قرأت في أذنه؟) فأخبره فقال له: إنها إذا

قرئت في أذنه أحرقتة ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٩]. {وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} ولا يزيد أهل الشرك والكفر إلا غياً وضلالاً وجحوداً وإنكاراً وتكذيباً وبعداً عن الهدى والحق والصواب وكذلك لا يزيد المريض إلا سوءاً وخسارة وزيادة مرضه وألمه لأنه لا ينتفع به لعدم تصديقه وهذا عقاب وعذاب له على إنكاره وتكذيبه له.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِنِعْمَتِنَا إِذْ كَانَتْ رَحْمَةً مِنَّا وَقَالَ قُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتَيْهِ فَرُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾

{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ} وإذا أنعم الله تعالى وتفضل على الإنسان بسعة من الرزق والعافية والوظيفة العالية والحسنة والمنزلة بين الناس من الجاه والسلطان {أَعْرَضَ وَنَسَا بِنِعْمَتِنَا} أعرض عن عبادة الله تعالى وطاعته وتركها وابتعد عنها مغروراً بماله وجاهه وسلطانه فيتكبر عن عبادة الله وطاعته وعلى الناس كما قال تعالى: " كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَن لِيْقَى {٦} أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى {٧} " ٧، ٦ العلق. {وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ} وإذا مس الإنسان وأصابه السوء من فقر أو مرض أو هم {كَانَ يُعْوَسًا} كان قنوطاً من رحمة الله تعالى وأن الله تعالى ضيق عليه الرزق وأصابه الفقر فعندها

بيئس ويقنط ويفقد الأمل في رحمة الله وفي غوث الله كمن يقنط من القحط والجذب وعدم نزول المطر فيظن أن الماء قد انتهى من الدنيا. ولا يرجع إلى الله تعالى بالتضرع له برفع السوء والقحط والجذب والمرض ولم يتضرع لله تعالى بنزول المطر ويتكبر ويعرض عن العبادة لفقره ولسوء حاله ولسوء ما نزل به من الشرور والمصائب ولم يرجع لطاعة الله تعالى وعبادته {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للناس {كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتَيْهِ} كل يعمل على هواه إن كان مؤمناً ومن أهل الخير فيتوكل على الله ويعبده وحده لا شريك له ويطيعه ويأتمر بأوامره ويجتنب نواهيه ويعمل أعمال الخير والبر والتقوى والصدقات في مرضات الله تعالى وإن كان كافراً ومن أهل الشر والمعاصي فينتهك المحرمات ويشرب الخمر والمخدرات ويعمل المعاصي والذنوب ولا يردعه من الله رادع {فَرَبُّكُمْ} فخالقكم وإلهكم الله تعالى أيها الناس {أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا} أعلم وأدرى بمن اهتدى سبيلاً وطريقاً إلى طاعة الله تعالى ورضاه {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} ويسألونك يا محمد يا رسول الله تسألك اليهود عن الروح التي في الجسد كيف هي وكيف تعذب {قُلْ} أجبهم يا محمد يا رسول الله وقل لهم {الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} قل لهم الروح هي بأمر الله تعالى ومن علمه وحكمته وقدرته ومُسَخَّرَةٌ وَمُسَيَّرَةٌ بأمر الله تعالى فلا تُرى ولا تُعلم في أي مكان من الجسد هي. والروح في الجسد كمثل بطارية البلفون والسيارة والتي بدونها لا تعمل هذه الأشياء والله المثل الأعلى {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} ولم تؤتوا إلا قليلاً من العلم كنقطة من البحر. قال الإمام أحمد: قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في

حرث المدينة وهو متوكئ على عسيب فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه قال فسألوه عن الروح فقالوا: يا محمد ما الروح؟ فما زال متوكئاً على العسيب قال: فظننت أنه يوحى إليه فقال: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" قال فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه. وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث الأعمش به ولفظ البخاري عند تفسيره هذه الآية عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متوكئ على عسيب إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال: ما رابكم إليه ، وقال بعضهم لا يستقبلنكم بشيء تكرهونه فقالوا سلوه فسألوه عن الروح فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئاً فعلمت أنه يوحى إليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي" الآية. [ابن كثير ج ٣ ص ٦٠]. وقال محمد ابن إسحاق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال: نزلت بمكة " وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا " فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه أحبار يهود وقالوا يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول " وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا " أفعنيتنا أم عنيت قومك فقال: (كلاً قد عنيت) فقالوا: إنك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هي في علم الله قليل وقد آتاكم الله ما إن عملتم به انتفعتم) وأنزل الله " وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " [ابن كثير ج ٣ ص ٦١]. {وَلَيْنَ شِئْنَا} ولئن أردنا يا محمد يا رسول الله {لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} لذهبنا وأضعنا ومحونا وأنسيناك القرآن الذي أوحيناه إليك وأرسلناه إليك بواسطة جبريل عليه السلام

لأنه من عندنا وهذه الآية تدل على حكمة الله تعالى وعلى أنه قادر بذهاب القرآن أو نسيانه ودل مثلاً على ذلك وهو أنه نسخ حكم بعض الآيات القرآنية {ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ} ثم لا تجد لك بالقرآن {عَلَيْنَا وَكَيْلًا} علينا حافظاً يمنعه من الذهاب منا ولا تجد لك وكَيْلاً ومعتمداً تتكل عليه وتعتمد عليه من ذهابه وأخذه ونسيانه ونسخه {إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ} إلا بفضل الله تعالى ورحمته هو الذي يحفظه لك كما قال تعالى: " إِنَّا نَحْنُ نُزَلْنَا الدُّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " ٩ الحجر.

{إِنَّ فَضْلَهُ} إن فضل الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه من تفضله عليك بالرسالة وبالقرآن الكريم وآواك وأنت يتيم وأعطاك الشفاعة الكبرى يوم القيامة وجعلك نبياً ورسولاً لجميع الخلق الجن والإنس ورفع لك ذكرك وجعل لك الأرض مسجداً وطهوراً وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وحفظ لك كتابك وهو القرآن الكريم من التبديل والتغيير والتحريف وأيدك بنصره وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم ومنع الخسف عن أمتك كرامة لك {كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا} كان فضله عليك عظيماً ولا يحصى وكما قال تعالى: " وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا " ١٨ النحل.

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للناس جميعاً وعامة وللكفار خاصة {لِّئِن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ} قل للمشركين يا محمد لو اجتمعت الإنس كلهم علماءهم وشعراؤهم ونابغتهم وفلاسفتهم ومعهم الجن وعفاريتهم على أن يأتوا بقرآن مثل هذا القرآن في الحكم والهدى والعدل في التشريع والأحكام والفصاحة والبلاغة وعلم الأولين والآخرين وما هو الحلال والحرام {لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ} لا يستطيعون أن يأتوا بقرآن مثله {وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} ولو كان بعضهم لبعض سنداً ومساعداً. وقد أراد مسيلمة الكذاب أن

يأتي بمثل القرآن فقال عن الفيل: (الفيل وما أدراك ما الفيل له خرطوم طويل) وقوله أيضاً: (والعاجنات عجنأً والخابزات خبزأً واللقمت لقمأً إهالةً وسمناً إن قريشاً قوم يعتدون) وقال أيضاً: (يا ضفدع بنت ضفدعين نقي كما تنقين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين) ولما وفد عمرو بن العاص على مسيلمة الكذاب وكان صديقاً له في الجاهلية ولم يسلم بعد عمرو بن العاص فقال له مسيلمة ويحك يا عمرو ما أنزل على صاحبكم يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المدة فقال له سمعت أصحابه يقرؤون سورة عظيمة قصيرة فقال وما هي فقال: " وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ... " إلى آخر السورة. ففكر مسيلمة الكذاب ساعة ثم قال وأنا قد أنزل عليّ مثله فقال وما هو؟ فقال: (يا وبر يا وبر إنما أنت أذنان وصدر وسائر كحفر نقر) كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنك لتعلم أنني أعلم أنك تكذب) وهذا قاله في الجاهلية قبل أن يسلم. [ابن كثير ج ١ ص ٦٢]. وقد ادعى مسيلمة الكذاب النبوة أيام النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقد قتل في خلافة أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ} ولقد فصلنا ووضحنا وبيننا للناس {فِي هَذَا الْقُرْآنِ} في هذا القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} من كل حكم وتشريع وتفصيل وتوضيح مثلاً يشرح ويبين ذلك الحكم والأمر {فَأَبَى} فرفض {أَكْثَرُ النَّاسِ} أغلب الناس وأكثرهم وهم الكفار والمشركون واليهود والنصارى {إِلَّا كُفُورًا} إلا جحوداً وكفراً وإنكاراً وتكذيباً.

﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾ ﴿١٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ
 مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴾ ﴿١١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ
 عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴾ ﴿١٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى
 فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ
 كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ ﴿١٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا
 أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ ﴿١٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَّمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ
 لَنَزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ ﴿١٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي
 وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ ﴿١٦﴾

{ وَقَالُوا } وقد قال أهل مكة للنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم { لَنْ نُؤْمِنَ
 لَكَ } لن نصدقك ولن نتبعك في رسالتك { حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا } حتى
 تخرج لنا عيناً تنبع منها الماء من الأرض كعين زمزم مثلاً حيث نبعت إلى سيدنا
 إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر عند الكعبة { أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ
 وَعِنَبٍ } أَوْ تَكُونَ لَكَ حديقة وبستان من الفواكه والثمار من النخيل الذي يخرج
 رطباً وتمرًا ومن شجر العنب { فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا } وتخرج الأنهار
 خلال تلك الجنان فيتدفق في وسطها الماء بغزارة وتدفق ونراه بأعيننا { أَوْ تُسْقِطَ
 السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا } أَوْ تُسْقِطَ من السماء كما زعمت وادعيت بأن العذاب
 سيأتينا فأنزل علينا { كِسْفًا } صواعق أَوْ حاصباً أَوْ رجماً بحجارة من سجيل أَوْ
 قطعاً كبيرة من الثلج والبرد أَوْ أي شيء آخر يهلكهم أَوْ يصعقهم أَوْ يحرقهم أَوْ
 يرجمهم { أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا } أَوْ تأتينا وتحضر لنا الله وملائكته قبلاً

وأماننا ونراهما بأعيننا وهم أممانا ونراهم بأعيننا ونشاهدهم على طبيعتهم {أَوْ
يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ} أو يكون لك بيت من الذهب أو مزخرف بالذهب
والفضة {أَوْ تَرَقَّىٰ فِي السَّمَاءِ} أو ترقى في السماء على سلم حتى تصلها ونحن
ننظرك ونشاهدك أو تطير في السماء حتى نرى طيرانك بأعيننا {وَلَنْ نُؤْمِنَ
لِرُقِيِّكَ} ولن نصدق لرقيك في السماء ولا طيرانك ولا صعودك هذا {حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا
كِتَابًا نَقْرُؤُهُ} حتى تنزل علينا كتاباً أو قرآناً ينزل من السماء ونراه بأعيننا وهو
ينزل علينا وحتى نتأكد أنه كتاب من عند الله نقروه أولاً ونتأكد مما فيه حتى
نصدقك ونصدق رسالتك وقد طلبوا إحدى جميع هذه المعجزات أن تنزل عليهم وهم
مصممون على عدم تصديقه ولا الإيمان به ولذلك قال تعالى: " وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ " ١١١ الأنعام. {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله
{سُبْحَانَ رَبِّي} تنزهه وتقديسه ربي وتمجده وعز جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {هَلْ
كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} وهل كنت إلا بشراً منكم من بني آدم ورسولاً ونبياً بعثني
الله تعالى ولا آتي بشيء من عندي دون أمر الله تعالى به فهو المشرع وهو الأمر
والناهي فالحكم لله تعالى وحده هو الذي يفعل ما يشاء وهو الذي ينزل علي الآيات
والقرآن الكريم وهو ليس من عند نفسي ولا بإرادتي ولا بأمرى {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ
يُؤْمِنُوا} والذي منع الناس من الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسوله واليوم
الآخر {إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ} حيث حضر إليهم الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم بالهدى ودين الإسلام وبالقرآن يهديهم للحق والرشاد والعدل وعبادة الله
تعالى {إِلَّا أَنْ قَالُوا} الذي منعهم من الإيمان أنهم قالوا متعجبين ومستغربين

{أَبَعَثَ اللَّهُ} هل بعث الله وأرسل إلينا {بَشْرًا رَسُولًا} أي رسولاً من البشر مثلنا ولم يبعث ملكاً من الملائكة حتى نصدق ونؤمن {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ} لو كان في الأرض ملائكة بدلاً منكم ويمشون آمنين مطمئنين وهادئين وغير فاسقين ولا ظالمين ولا كافرين ولا متجبرين ولا متكبرين ولا عاصين ولا مذنبين بل مسالمين وطيبين {لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا} لأرسل الله تعالى ونزل عليهم من السماء ملكاً من أنفسهم ومثلهم ملكاً من الملائكة رسولاً لهم أي لا يرسل الله تعالى رسولاً ولا نبياً إلا من جنس ونفس أولئك القوم أو الأمة لذلك أرسل الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم إلى قومه وهو منهم كما قال تعالى: " لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ " وكذلك أرسل الله تعالى إلى كل قوم رسولاً منهم كما قال تعالى: "أَخَاهُمْ هُودًا" ، "أَخَاهُمْ صَالِحًا" ، "أَخَاهُمْ شُعَيْبًا" ... الخ. {قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} قل يكفي أن يكون الله تعالى شاهداً فيما بيني وبينكم على صدق رسالتي فهو حكم بيني وبينكم يوم القيامة {إِنَّهُ} إنه الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَانَ بِعِبَادِهِ} كان ومن الأزل بخلقه ولا يزال {خَبِيرًا} عليماً ومطلعاً على أعمالكم وأقوالكم وأفعالكم وجميع شؤونكم {بَصِيرًا} يبصر ويرى جميع أعمالكم خيراً أو شراً كانت فهو يراها ويعلمها ويبصرها.

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ۗ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصُمًّا ۗ مَا أَوْلَهُمْ جَهَنَّمَ ۗ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٣٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِعَايَتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٣٨﴾ ۗ

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٣٩﴾ قُلْ لَوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ۗ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿٤٠﴾ ۗ

{ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ } من يهده الله تعالى يا محمد يا رسول الله للطاعة والعبادة واتباع الأوامر واجتناب النواهي { فَهُوَ الْمُهْتَدِ } فهو الذي هُدي للحق والرشاد وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له { وَمَنْ يُضِلِّ } ومن يُضِلُّه الله تعالى عن عبادته بارتكاب المعاصي والآثام والذنوب وانتهاك المحرمات بالكفر والشرك { فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ } فلن تجد لهم يا محمد يا رسول الله { أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ } أنصاراً غير الله تعالى ينفعونهم وينصرونهم ويحفظونهم من عقاب الله تعالى لهم. والهدى والضلال من الإنسان ذاته والله يبسر ويسهل له الطاعة أو المعصية كما قال تعالى: " فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ " ١٢٥ الأنعام. أي معنى ذلك أن الله لا يُضل أحداً بل يسهل له الضلال إذا أراد ذلك الشخص لأن الله تعالى يريد أن يمتحنه لأن الله تعالى ينهى عن الفحشاء والمنكر لقوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " ٩٠ النحل. فالله تعالى قد هدى الإنسان ومنحه

العقل الذي يبين ويميز له طريق الغي والفساد من طريق الرشده والساد كما قال تعالى: " وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ " ١٠ البلد. وقال تعالى أيضاً: " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا " ٣ الإنسان. فمن اختار بعد ذلك طريق الغي والضلال على طريق الهدى والرشاد سهل الله له ذلك وتركه وما اختاره بإرادته عقاباً له على ما اختاره بنفسه جزاءً وفاقاً فالجزاء من جنس العمل كما قال تعالى: " قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا " ٧٥ مريم. ومن اختار طريق الهدى والرشاد على طريق الغي والضلال سهل الله له ذلك وزاده توفيقاً وهدى ورشاداً جزاءً من ربك عطاءً حساباً كما قال تعالى: " وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا " ٧٦ مريم. { وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } ويحشر الله تعالى ويجمع الناس جميعاً في المحشر في فلسطين فوق الصخرة حيث يمدّها ويوسعها ويحشر الكفار عليها يوم القيامة { عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ } أي تائهين لا يعلمون ولا يدرون ماذا يفعلون لأنه كما قال تعالى: " إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ {١} يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْصِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ {٢} " ٢٤، ١ الحج. أي يحشرون مدهولين مرعوبين لا يدرون أين يتوجهون أو ماذا يفعلون أو بماذا يحتمون وكما قال تعالى: " أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " ٢٢ الملك. { عُمِيًّا } لا يبصرون { وَبُكْمًا } لا يتكلمون ولا ينطقون { وَصُمًّا } لا يسمعون وبهم صمم وطرش وذلك من شدة خوفهم ورعبهم وذهولهم من عذاب الله تعالى { مَا أُولَاهُمْ جَهَنَّمَ } فمصيرهم إلى عذاب جهنم وعذابها

{كُلَّمَا حَبَتَ} كلما قربت أن تنطفئ ويخبث ويهدأ نارها وعذابها {زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} جعل الله ملائكة العذاب في جهنم تزيد جهنم شدة واشتعالاً ولهيباً وتوهجاً ووقوداً {ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ} ذلك هو عقابهم وعذابهم لأنهم {بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِعَايَتِنَا} لأنهم كفروا وجحدوا وأنكروا حجج الله تعالى وبياناته ومعجزاته {وَقَالُوا} وقال الكفار {أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا} فهل إذا صرنا عظاماً نخرة وبالية {وَرُفَاتًا} وأجساداً بالية ولحماً ممزقاً لم يبق منه أثر {أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا} فهل نبعث من جديد أجساماً جديدة أخرى ونحيا ونعيش من جديد مرة أخرى {أَوَلَمْ يَرَوْا} أولم يعلموا {أَنَّ اللَّهَ} أن الله تعالى خالق الخلق جميعهم وخالق الكون {الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} الذي خلق السموات والأرض أول مرة بدون مساعدة أحد {قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ} قادر أن يحييهم ويخلقهم مرة ثانية من جديد وكما قال تعالى: " لَخَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " ٥٧ غافر. {وَجَعَلْ لَهُمْ أَجَلًا} وجعل لهم عمراً محدداً {لَا رَيْبَ فِيهِ} لا ظن ولا شك فيه {فَأَبَى الظَّالِمُونَ} فرفض الملحدون والمشركون {إِلَّا كُفُورًا} إلا جحوداً وإنكاراً وتكذيباً للرسول وللبعث والحياة الأخرى من جديد وللحساب والعقاب والثواب يوم القيامة {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {لَوْ أَنْتُمْ} لو أنكم أيها الناس جميعاً لو أنتم الذين {تَمْلِكُونَ} عندكم ملك وسلطان {خَزَائِنَ رَحْمَةِ} خزائن رزق {رَبِّي} خالقي وإلهي ومعبودي الله تعالى التي فيها أرزاق الخلق جميعاً وهي رحمة للعالمين وفيها هذه الخزائن من الهواء الذي تتنفسه الكائنات والماء الذي تشربه جميع الكائنات الحية والطعام الذي لا ينفد لجميع

المخلوقات لو أنتم تملكون وتسيطران على هذه الخزائن التي هي ملك الله تعالى وحده منذ خلق الكون وإلى يوم القيامة ولم ينته ولم ينضب رزق الله تعالى عن جميع خلقه { إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ } فلو كان بيدكم إذا لتوقفتم عن الإنفاق وامتنعتم عن الإنفاق على المخلوقات خشيةً وخوفاً من نفاذ وانتهاء الرزق وفناؤه { وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا } وكان الإنسان بخيلاً ممسكاً ينفق بصعوبة وبشيء يسير وقليل خوفاً من الفقر من نفاذ وفناء وخلص الرزق. وجاء في الصحيحين: (يد الله مالأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغيض ما في يمينه). [ابن كثير ج ٣ ص ٦٦].

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١١٦﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرٌ مَّثْبُورًا ﴿١١٧﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١١٨﴾ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١١٩﴾ ﴾

{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ } يقول الله تعالى ولقد أعطينا موسى عليه الصلاة والسلام ابن عمران نبي الله ورسوله وأيدناه وأرسلنا معه { تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ } تسع معجزات واضحات الحجة والبيينة والمعجزة وهي العصا كان يعمل بها المعجزات ومنها تنقلب حية أو ثعباناً يبتلع ويلقف سحر وحبال سحرة مصر وفلق بها الصخر وأخرج بها اثنتا عشرة عيناً يشرب منها أسباط بني إسرائيل وفلق بها البحر فكان كالطود العظيم والمعجزة والآية الثانية وهي اليد التي كان يضعها في جيبه ثم يخرجها فترى بيضاء ساطعة شديدة البياض وهو رجل أسمر اللون والآية والمعجزة

الثالثة هي السنين وشدة المؤونة والمعجزة الرابعة هي البحر الذي فلقه الله تعالى أمام موسى عليه السلام عندما هرب من فرعون وأراد أن يخترق البحر إلى الجهة الثانية من البحر وقد رآه فرعون ولم يصدق والخامسة (الطوفان) والطوفان هو أثناء نزول المطر ليلاً ونهاراً حتى أنهم لا يرون شمساً ولا قمراً فاستغاثوا إلى فرعون فاستغاث إلى موسى فاستغاث موسى إلى ربه فأمسك الله تعالى عنهم المطر وأرسل عليهم الرياح وشقت الأرض فأخرجت نباتها بزيادة فقالوا هذا الذي جزعنا منه كان خيراً لنا فكفروا فأرسل الله عليهم الجراد ريحاً ألقته في البحر فقالوا ما بقي من زرعنا فهو يكفيننا فكفروا والمعجزة والآية السابعة أرسل الله عليهم (القمل) وهو القمل والبراغيث وصار على أبدانهم كالجدري فاستغاثوا إلى موسى فاستغاث إلى ربه فأرسل الله عليهم ريحاً حارة فأحرقته فلم يؤمنوا والمعجزة والآية الثامنة أرسل الله عليهم (الضفادع) كالليل الدامس حتى دخلت في زرعهم وطعامهم وعلى فرشهم ذراعاً فاستغاثوا إلى موسى فاستغاث إلى ربه فأماتها وأرسل عليهم مطراً فاحتملها إلى البحر فكفروا والآية والمعجزة التاسعة أرسل الله تعالى عليهم (الدم) فجرت أنهارهم دماً وقيل سلط الله عليهم الرعاف فمكثوا سبعة أيام يشربون الدم فقالوا يا موسى " لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ " فلم يؤمنوا بهذه الآيات والمعجزات التسع وقال وهب أنهم مكثوا في كل بلية أربعين يوماً. [نزهة المجالس ص ١٧].

وكما قال تعالى: " وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ " ١٣٠ الأعراف. وقال تعالى: " فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ {١٣٣} وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرَّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ {١٣٤} فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرَّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ

بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ {١٣٥} فَاَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ {١٣٦} " ١٣٣-١٣٦ الأعراف. {فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ}
فاسأل يا محمد يا رسول الله بني إسرائيل - وهم ذرية يعقوب عليه السلام ومعنى
(إسرا) أي عبد و(إيل) الله أي عبد الله في لغتهم وهم قوم موسى عليه السلام -
عن صدق هذا القول وهو إرسال موسى عليه السلام إلى فرعون بالمعجزات لنجدة
بني إسرائيل من عذاب فرعون الذي بغى عليهم واستحل نساءهم وأموالهم وقتل
أبناءهم {فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ} فقال فرعون لموسى رداً على معجزة ورسالة موسى
{إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا} إني لأعتقد جازماً بأنك يا موسى رجل أصابه
السحر والسحر معروف من قَبْل فرعون وموسى عليه السلام من الملَكِين اللَّذِينَ أَنْزَلْنَا
بِبَابِلَ وَهُوَ شَيْءٌ خَفِي كَالْحَسَدِ وَكَالْكُهْرِبَاءِ لَا يَرَى وَكَالْهَوَاءِ وَالرِّيحِ وَلَكِنْ تَأْتِيهِ
يُظْهِرُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي بَعْضِهِ كَالْأَمْرَاضِ أَوْ يَصْبِحُ فِي حُكْمِ الْجَنُونِ إِذَا طَالَ وَقْتُهُ. أي
أن فرعون يشك في أن موسى عليه السلام يتكلم وهو شارد الذهن ومغيب العقل
بنوع من السحر وهو مشهور في مصر في ذلك الوقت بكثرة {قَالَ} قال موسى عليه
السلام لفرعون رداً على قول فرعون بوصفه لموسى أنه مسحور وأصابته الشياطين
بواسطة السحر حتى أصبح لا يعلم شيئاً وأنه مجنون فرد موسى عليه السلام قائلاً
{لَقَدْ عَلِمْتُمْ} لقد عرفت يا فرعون {مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ} ما أنزل هؤلاء المعجزات
والآيات {إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي لم ينزلها ولن يستطيع أحد أن يأتي
بتلك المعجزات إلا خالق وإله السموات السبع والأرض وهو رب العالمين {بَصَائِرٍ}
معجزات وبراهين وحجج واضحات لك ولقومك يا فرعون {وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ} وإني
لأعتقد {بِفِرْعَوْنَ} وهو فرعون ملك مصر الوليد بن مصعب وفرعون يطلق هذا

الاسم على ملوك مصر كما يطلق قيصر على ملوك الروم ويطلق كسرى على ملوك فارس {مَثْبُورًا} خائبًا وخاسرًا وهالكًا كما قال تعالى: " وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُقْرَنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا {١٣} لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا {١٤} " ١٣، ١٤ الفرقان. {فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ} فأراد أن يطردهم {مِنَ الْأَرْضِ} من أرض مصر {فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا} فأغرق الله تعالى فرعون ومن معه من الجنود في البحر الأحمر جميعهم ولم ينجو أحد منهم نكالاً لهم {وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} وقلنا أي وقال الله تعالى من بعد فرعون لقوم بني إسرائيل وهم اليهود قوم موسى عليه السلام {أَسْكُنُوا الْأَرْضَ} أي اسكنوا أرض مصر وتوارثوها بعد موت فرعون وجنده {فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ} وإذا جاء وعد يوم القيامة وقامت القيامة {جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا} أحضرناكم في المحشر جميعاً أنتم يا بني إسرائيل وفرعون للفصل بينكم وللحساب.

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ءَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّا الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٩﴾ ﴾

{وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ} وبالصدق والعدل وبالجد ليس بالهزل أنزلنا عليك القرآن يا محمد يا رسول الله وهو ما أنزلناه عليك بواسطة الوحي جبريل عليه السلام {وَبِالْحَقِّ نَزَلَ} وبالعدل وبالصدق والهدى والصحيح نزل فالقرآن عادل في حكمه

وأوامره ونواهيه ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو لا يأمر إلا بالحق والخير ومكارم الأخلاق كما قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " ٩٠ النحل.

{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ } وما أرسلناك وما بعثناك رسولا للناس { إِلَّا مُبَشِّرًا } تبشر بالخير والسرور والفرح والفوز والنجاة لمن اهتدى وعبد الله وأطاعه ورسوله بأن له الجنة { وَنَذِيرًا } ومحذرا ومتوعداً لمن كفر وعصى بأن له نار جهنم { وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ } وقرآناً أنزلناه متفرقاً ومنجماً حسب الوقائع والأحداث وفصلناه ووضحناه { لِيَتَقْرَأَهُ } عَلَى النَّاسِ لتتلوه على الناس وتعلمهم به وبأوامره ونواهيه { عَلَىٰ مَكَّةَ } بتأني وعلى مهل وعلى استدامة على طول العصور وحتى يوم القيامة { وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا } ونزله الله تعالى من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ومنها بواسطة الوحي جبريل عليه السلام إليك يا محمد يا رسول الله متوالي حتى كمل { قُلْ } قل يا محمد يا رسول الله للمشركين ولليهود وللنصارى وغيرهم { ءَأَمِنُوا بِهِمْ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا } صدقوه أو لا تصدقوه فسواء آمنتم وصدقتم به أي بالقرآن الكريم أم لم تؤمنوا به ولم تصدقوه { إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ } إن العلماء والأحبار والرهبان من قبله من أهل التوراة والإنجيل وهم مثل الحبر عبد الله بن سلام وأبي بن كعب وغيرهما من أهل التوراة والإنجيل الذين آمنوا به وصدقوه وأسلموا { إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ } إذا يُقرأ عليهم { تَحْزَنُونَ } يقعون { لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا } يقعون ساجدين حتى تقترب أذقانهم ولحاهم وتكاد تمس الأرض وهم ساجدون { وَيَقُولُونَ } ويقولون في سجودهم { سُبْحٰنَ } تنزهه وتقدس وتمجد وعلا وارنفع وسما وعظم قدر

وعلا شأن {رَبِّنَا} خالقنا وإلهنا رب السموات والأرض وما بينهما رب العالمين الله تعالى {إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا} ما وعد الله من يوم القيامة سيحقق ويكون البعث والمحشر والحساب والعقاب والجزاء والثواب يوم القيامة {وَسِحْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ} ويقعون ويسقطون ساجدين على الأرض وهم يبكون مما عرفوا من الحق وحتى تقترب ذقونهم ولحاهم من الأرض وهي تبتل من دموعهم وبكائهم {وَيَزِيدُهُمْ} تزيدهم تلاوة القرآن وفهمه {خُشُوعًا} خوفاً وخشيةً لله تعالى وتقرباً من الله تعالى لما عرفوا من الحق ومن عذاب الله تعالى للكفار.

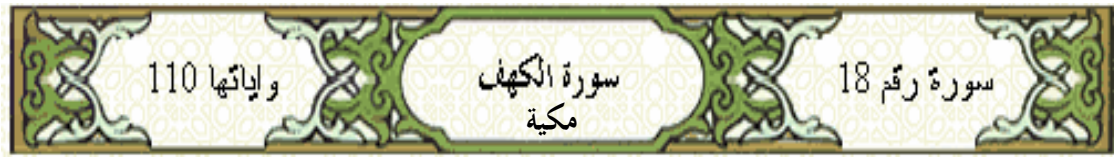
﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافَتْ بِهَا وَاتَّبَعِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَمْلَكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وِليٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١٠﴾

{قُلِ} قل يا محمد يا رسول الله للناس {ادْعُوا اللَّهَ} اطلبوا من الله تعالى في دعائكم حتى يستجاب دعاؤكم {أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ} أو اطلبوا في دعائكم من الرحمن لأنهما فيهما استجابة الدعاء وهما اسم الله الأعظم. وسبب نزول هذه الآية روى مكحول أن رجلاً من المشركين سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول في سجوده (يا رحمن يا رحيم) فقال إنه يزعم أنه يدعو واحداً وهو يدعو اثنين فأنزل الله هذه الآية. [ابن كثير ج ٣ ص ٦٨]. {أَيًّا مَا تَدْعُوا} أي واحد منهما تدعوا الله به بقلب تقي خالص موقن بالإجابة غير لاه إلا استجيب له في الحال {فَلَهُ} الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ} فالله تعالى له الأسماء الحسنی والطيبة والحسنة والشريفة وعددها تسع وتسعون اسماً ومن أحصاها تسبيحاً وعدداً دخل الجنة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لله تسعة

وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة). [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ١٠٨].

{وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ} ولا تجهر بصلاتك يا محمد يا رسول الله وتعلي صوتك على آخره حتى يسمعها المشركون فيسبوا القرآن ويحاربونكم {وَلَا تُخَافَتْ بِهَا} ولا تخفض صوتك عن المصلين خلفك من المسلمين بحيث لا يسمعون ما تتلو من القرآن {وَأَبْتَعْ} واجعل {بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً} واجعل القراءة بين الجهر بأعلى الصوت وبين الخفض أي اجعل قراءتك وسطاً بين الرفع والخفض. وعند الإمام أبو حنيفة فإنه في الصلاة غير الجهرية وهي صلاة الظهر والعصر يُسمع المصلي نفسه ولا يقرأ في سره حتى تسجلها الملائكة بعكس القراءة في غير الصلاة فالقراءة السرية للقرآن أفضل من الجهرية إن لم تكن القراءة للتعليم أو للجمهور حتى يسمع القرآن في المحاضرات والخطب ودروس العلم أو في المآتم وغيرها فلا بأس برفع الصوت وتجويده {وَقُلْ} وقل يا محمد يا رسول الله وأنت أيها المسلم والمؤمن من بعده وإلى يوم القيامة {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا} واحمد الله واشكره بأن الله تعالى الذي لم يلد ولم يجعل له أولاداً {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ} ولم يشاركه أحد في ملك الألوهية {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ} ولم يكن لله تعالى من هو مسؤول عنه ومتولي أمره ووصي على الملك وعليه {مِنَ الذُّلِّ} أي مذل له وقاهر له {وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا} وعظمه تعظيماً وبجله تبجيلاً فهو كبير الكبراء والعظماء ولا أحد أكبر منه فهو الأكبر والأعظم والله أكبر. وقد جاء في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمي هذه الآية آية العز وفي بعض الآثار أنها ما قرئت في بيت في ليلة فيصيبه سرق أو آفة والله أعلم. وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا بشر بن سيحان البصري حدثنا حرب بن ميمون حدثنا موسى بن عبيدة الزبيدي عن محمد بن كعب

القرظي عن أبي هريرة قال: خرجت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم ويده في يدي أو يدي في يده فأتى على رجل رث الهيئة فقال: (أي فلان ما بلغ بك ما أرى؟) قال: السقم والضر يا رسول الله قال: (ألا أعلمك كلمات تذهب عنك السقم والضر؟) قال: بلى ما يسرني إن شهدت بها معك بديراً أو أحداً قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (وهل يدرك أهل بدر وأهل أحد ما يدرك الفقير القانع؟) قال: فقال أبو هريرة: يا رسول الله إياي فعلمني قال: (فقل يا أبا هريرة توكلت على الحي الذي لا يموت الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً) قال: فأتى عليّ رسول الله وقد حسنت حالي قال: فقال لي: (مهيم) قال: قلت يا رسول الله لم أزل أقول الكلمات التي علمتني. [ابن كثير ج ٣ ص ٧٠]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما كَرَّبَنِي أمر إلا تمثل لي جبريل عليه السلام وقال يا محمد قل: (توكلت على الحي الذي لا يموت الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً) فإنه لم يقلها أحد قط إلا أذهب الله عنه هم الدنيا والآخرة. [نزهة المجالس ج ٢ ص ٩٧].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّكَثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَدِخُعِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾

وسبب نزول هذه السورة هو ما ذكره محمد بن إسحاق قال: حدثني شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجوا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفوا لهم أمره وبعض قوله وقالوا إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا قال فقالوا لهم سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فرجل متقول تروا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنهم قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه

عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم ، فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا يا معشر قريش قد جنناكم بفصل ما بينكم وبين محمد قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أخبرنا فسألوه عما أمرهم به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أخبركم غداً عما سألتهم عنه) ولم يستثن فأنصرفوا عنه ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحيماً ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقول الله عز وجل "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ" الآية. [ابن كثير ج ٣ ص ٧٣]. وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد أخبرنا هشام بن يحيى عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال). [رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي من حديث قتادة به - ابن كثير ج ٣ ص ٧٠]. وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن قتادة سمعت سالم بن أبي الجعد يحدث عن معدان عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال). [رواه مسلم أيضاً والنسائي من حديث قتادة به - ابن كثير ج ٣ ص ٧٠]. وقال أحمد: حدثنا حسين حدثنا ابن لهيعة حدثنا ثوبان

ابن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نوراً ما بين السماء والأرض). [انفرد به أحمد ولم يخرجوه - ابن كثير ج ٣ ص ٧٠]. وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره بإسناد له غريب عن خالد بن سعيد بن أبي مريم عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين). [ابن كثير ج ٣ ص ٧٠]. وقد أخرج الحاكم في مستدرکه عن أبي بكر محمد بن المؤمل حدثنا الفضيل بن محمد الشعراني حدثنا نعيم بن حماد حدثنا هشيم حدثنا أبو هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين) ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد. [ابن كثير ج ٣ ص ٧١]. وفي المختارة للحافظ الضياء المقدسي عن عبد الله بن مصعب عن منظور بن زيد ابن خالد الجهني عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي مرفوعاً: (من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة وإن خرج الدجال عصم منه). [ابن كثير ج ٣ ص ٧١]. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أعطي نوراً من حيث يقرأ إلى مكة وغفر له إلى الجمعة الأخرى صلى عليه سبعون ألف ملك وعوفي من الداء وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال). [نزهة المجالس ج ١ ص ١٠٦].

{الْحَمْدُ لِلَّهِ} الشكر والثناء لله وحده {الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ عَبْدِهِ} الذي أنزل على نبيه ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ} {وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ

عَوَجًا} ولم يجعل له اعوجاجاً ولا انحرافاً ولا اختلافاً {قِيَمًا} ذو قيمة ثمينة وعالية القيمة والتمن وهو يُقَوِّم أي اعوجاج أو خطأ أو التباس في الحكم فهو يُقَوِّم اعوجاجه ويصححه ويصلحه ويعدله {لِيُنذِرَ} ليحذر ويتوعد {بَأْسًا شَدِيدًا} عذاباً شديداً وعقاباً قاسياً {مِّنْ لَّدُنْهُ} من قِبَلِ الله تعالى بواسطة ملائكة عذاب جهنم فهم ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون {وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ} يبشرهم بشرى فرح وسرور بالجنة {الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ} الذين يعملون الأعمال الصالحة الطيبة والخيرية والحسنة والطاعات والعبادات في مرضاة الله تعالى {أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا} أن لهم أجراً وثواباً حسناً وطيباً وهو الجنة {مَّا كَثِيرٍ} باقين {فِيهِ أَبَدًا} دائمين فيه وخالدين ومستمرين أبداً إلى ما شاء الله أي مخلدين في ذلك النعيم والخير في الجنة {وَيُنذِرَ} ويحذر ويتوعد {الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا} وهم المشركون سواء مشركة العرب الذين قالوا الملائكة بنات الله ونحن نعبدهم أو اليهود الذين قالوا العزيز ابن الله أو النصارى الذين قالوا عيسى ابن الله فهم جميعاً الذين قالوا اتخذ الله ولداً {مَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ} ليس لهم علم أكيد حقيقي بأن الله له شريك في ملكه وأن له ولداً بل ذلك ظن وشك منهم {وَلَا لِآبَائِهِمْ} ولا عند آبائهم علم من قبلهم بأن الله له ولد {كَبُرَتْ} عظمت وقبحت {كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ} وهي كلمة الشرك والكفر والولد لله تعالى تعالى عن ذلك الشريك والولد جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {إِنْ يَقُولُونَ} ما يقولون بهذا الشريك لله تعالى والولد {إِلَّا كَذِبًا} إلا اختلاقاً وافتراءً وكذباً من عند أنفسهم {فَلَعَلَّكَ بَنَخُّ نَفْسِكَ} فلعلك مهلك ومرهق ومحزن

نفسك يا محمد يا رسول الله على إثر إشراك أو صدود الكفار والمشركين عنك وعدم تصديقهم لك ولا للقرآن {عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ} على حالهم وكفرهم وشركهم {إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا} إن لم يصدقوا {بِهَذَا الْحَدِيثِ} بهذا القول الذي ذكرناه في آيات القرآن وعلى هداه وعلى صدق رسالتك وعلى حق نزول القرآن وعدله وأنه لم يجعل له عوجاً {أَسْفًا} متأسفاً ومتحسراً عليهم. والأسف ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي الأسف الشديد: وهو على عمل مشين كبير متعمد ومقصود ، والأسف الثاني وهو الأسف المر: وهو عمل قريب أو حبيب لا يجدر أن يقوم به مما يُغضب ويُحزن ولم يُتوقع منه عمل ذلك بعد عمل معروف له ، والأسف الثالث أسف الحزن: وهو على مصيبة وقعت بسبب عزيز أو قريب وهي خطيئة كمكيدة أبناء يعقوب لأخيهم يوسف {إِنَّا جَعَلْنَا} جعل الله تعالى بقدرته وحكمته {مَا عَلَى الْأَرْضِ} كل ما على الأرض من الإنسان والحيوان والطيور والأشجار والنباتات والأموال {زِينَةً هَٰؤُلَاءِ} أي جمالاً وبهجةً وحلاوةً تسر الناظرين {لِنَبْلُوَهُمْ} لنختبرهم ولنبتليهم ولنرى {أَيُّهُمْ} من منهم {أَحْسَنُ عَمَلًا} يعمل أحسن عملاً من غيره {وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ} وأن الله تعالى سيجعل يوم القيامة {مَا عَلَيْهَا} من الزينة والإنس والجن وجميع المخلوقات {صَعِيدًا جُرُزًا} سنجعلها أرضاً خالية قاحلة لا شيء فيها كما قال تعالى: " وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا " ٤٠ الكهف.

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَبَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ ١ ﴿ إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ ٢ ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ ٣ ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ ٤ ﴿ خُنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ ٥ ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾ ٦ ﴿ هَتُولاَ قَوْمَنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ مِمَّنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ ٧ ﴿

{ أَمْ حَسِبْتَ } بمعنى ألا علمت يا محمد يا رسول الله { أَنْ أَصْحَبَ الْكَهْفِ } أن أصحاب الغار وقيل أنه بالكرك بالأردن والله أعلم { وَالرَّقِيمِ } هو كلبهم وقيل الرقيم هو واد قريب من إيليا قاله العوفي عن ابن عباس وقال سعيد ابن جبير الرقيم لوح من حجارة كتب فيه قصص أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف. [ابن كثير ج ٣ ص ٧٣]. والأول هو الأرجح والله تعالى أعلم { كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا } كانت قصة أصحاب الكهف وكلبهم من معجزات الله تعالى العجيبة لأنه مع طول وقت نيامهم وهي مدة ثلاثمائة من السنين وازدادوا تسعاً لم يأكلوا ولم يشربوا طوال الوقت وبقوا أحياء ولم يموتوا وهي فعلاً من معجزات الله العجيبة. ويجوز أن يكون المعنى الآخر لقوله تعالى (أم حسبت) هو أن الله تعالى قادر على هذه الآية وما هو أعجب وأكبر منها كخلق السموات والأرض { إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ } والقصة هي أن هؤلاء الشباب التجؤوا إلى الغار هرباً من عبادة

ملكهم ومن عبادة الأصنام والتجؤوا إلى الكهف {فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً} ربنا وإلهنا أعطنا من فضلك وكرمك ثواباً ومغفرة واحفظنا برحمتك من أعدائنا ومن ملكهم خوفاً أن يعثر عليهم ويبطش بهم {وَهَيَّئْ لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا} وسهل لنا ويسر لنا بعملنا هذا نجاحاً وفوزاً وهدى تسهل لنا به الخروج من هذا الموقف والمصير ومن مأزقنا هذا أي يجعل الله لهم من أمره فرجاً {فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا} فسلط الله تعالى عليهم النوم استجابة لدعائهم حتى لا يسمعوا صوتاً ولا شيئاً من الخوف والرعب من قومهم وخوفاً من اللحاق بهم ومكثوا في ثباتهم ونومهم عدداً من السنين كما قال تعالى: " ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ " ١٥٤ آل عمران. {ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ} ثم أيقظناهم وكأنهم بعثوا للحياة من جديد فأيقظهم الله تعالى من ثباتهم ومن نومهم العميق ومن رقودهم {لِنَعْلَمَ} لنرى أي الفريقين يستطيع معرفة المدة الزمنية التي مكث فيها أهل الكهف نياماً وهذا تحدي من الله تعالى أن يعلم ذلك أحد منهم لأن الله علام الغيوب {أَيُّ الْحِزْبَيْنِ} أي الجماعتين أو الفرقتين من قومهما الذين هربوا منهم والأخرى الذين بعثهم وأيقظهم الله فيهم وفي عصرهم {أَحْصَى} تمكن من عد وإحصاء {لِمَا لَبِثُوا أَمْدًا} ما هي المدة التي مكثوا فيها نياماً قبل أن يوقظهم الله تعالى {تَحْنُ} الجمع للتكريم والتعظيم وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {نُقُصٌ} يقص قصتهم وشأنهم {عَلَيْكَ} عليك يا محمد يا رسول الله {نَبَأُهُم} أي نقص ونحكي لك يا محمد يا رسول الله نبأهم وخبرهم {بِالْحَقِّ} بالصدق والصحيح أي ليس كذباً ولا خرافة قصتهم {إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ} إنهم شباب

{ءَامِنُوا بِرَبِّهِمْ} آمنوا وصدقوا بربهم الله تعالى أنه هو الخالق وهو الرازق وهو المحيي وهو المميت وهو إله الكون ولا رب ولا معبود سواه {وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} وزادهم الله هدايةً ورشداً وإيماناً وتقوى وسبب هداية أهل الكهف أنهم كانوا قياماً على رأس ملكهم دقيانوس فوثب هرّ من ورائه على غفلة فارتاع لذلك وفزع فقالوا لو كان إلهاً ما خاف من الهرّ {وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ} وعندها ربط الله تعالى على قلوبهم بأن قوى عقيدتهم وعزمهم وشجعهم وأذهب عنهم الخوف عندما قاموا بالحجة على ترك دين الملك وعبادة الله وحده لا شريك له {إِذْ قَامُوا} إذ اتفقوا فيما بينهم على عبادة الله تعالى وحده {فَقَالُوا} فقالوا فيما بينهم {رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} ربنا وخالقنا وإلهنا ومعبودنا هو الله تعالى رب السموات والأرض وما بينهما وما فيهن {لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ} لن نعبد غيره ولا دونه {إِلَهِهَا} لن نعبد غيره رباً ولا معبوداً ولا إلهاً غير الله تعالى {لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا} إذا قلنا قولاً غير عبادة الله وحده وعبدنا غيره من الأصنام والأوثان أو ملكهم دقيانوس فإذا عبدناهم من دون الله تعالى قلنا إذا شططاً أي قلنا قولاً عندها بعيداً عن الحق واجتنبنا الصواب وقلنا قولاً باطلاً {هَتُّؤُلَاءِ قَوْمُنَا} هؤلاء قومنا وهم قوم دقيانوس ملكهم {اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً} اتخذوا وجعلوا آلهة من الأصنام والأوثان وعبدوها من دون الله تعالى {لَوْلَا} أفلا {يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطٰنٍ بَيِّنٍ} أفلا يأتون على دعواهم وادعائهم ببينة وحجة على صدق عبادة الأوثان وأنهم آلهة فليأتوا بحجة وبينة ودلالة واضحة جلية أي أنهم لم يستطيعوا أن يأتوا بحجة وبرهان على عبادة تلك الأصنام والأوثان والجمادات التي لا تنفع ولا تضر {فَمَنْ أَظْلَمُ} فمن هو أكثر ظلماً وكفراً وشركاً {مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ} ممن اختلق

على الله {كذِبًا} أي كذب على الله بهذا الادعاء وهذا الشرك فهو أكثر ظلماً
وشركاً.

﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّنْ
رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقًا﴾ ﴿١٦﴾

{وَإِذِ} وحيث أنكم {اعْتَرَلْتُمُوهُمْ} فارقتموهم وذهبتم عنهم وتركتموهم {وَمَا
يَعْبُدُونَ} تركتموهم وما يعبدون من الأصنام والأوثان غير الله تعالى {إِلَّا اللَّهَ}
إلا عبادة الله تعالى وحده لا شريك له {فَأَوْوَا} فاذهبوا والجهوا {إِلَى الْكَهْفِ} إلى
الغار الموجود في خارج بلدهم حتى يحتموا به {يَنْشُرْ لَكُمْ} يُنْزِلْ لَكُمْ {رَبُّكُمْ}
خالقكم وإلهكم الله تعالى {مِّنْ رَّحْمَتِهِ} من فضله وكرمه ويحميكم ويحفظكم من
بطش قومكم عليكم {ويُهَيِّئْ لَكُمْ} ويجعل لكم ويسهل لكم {مِّنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقًا} من
أمركم فرجاً ومخرجاً وملجأً تحتنون به من عدوكم وكما قال تعالى: " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ
يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً " ٢ الطلاق.

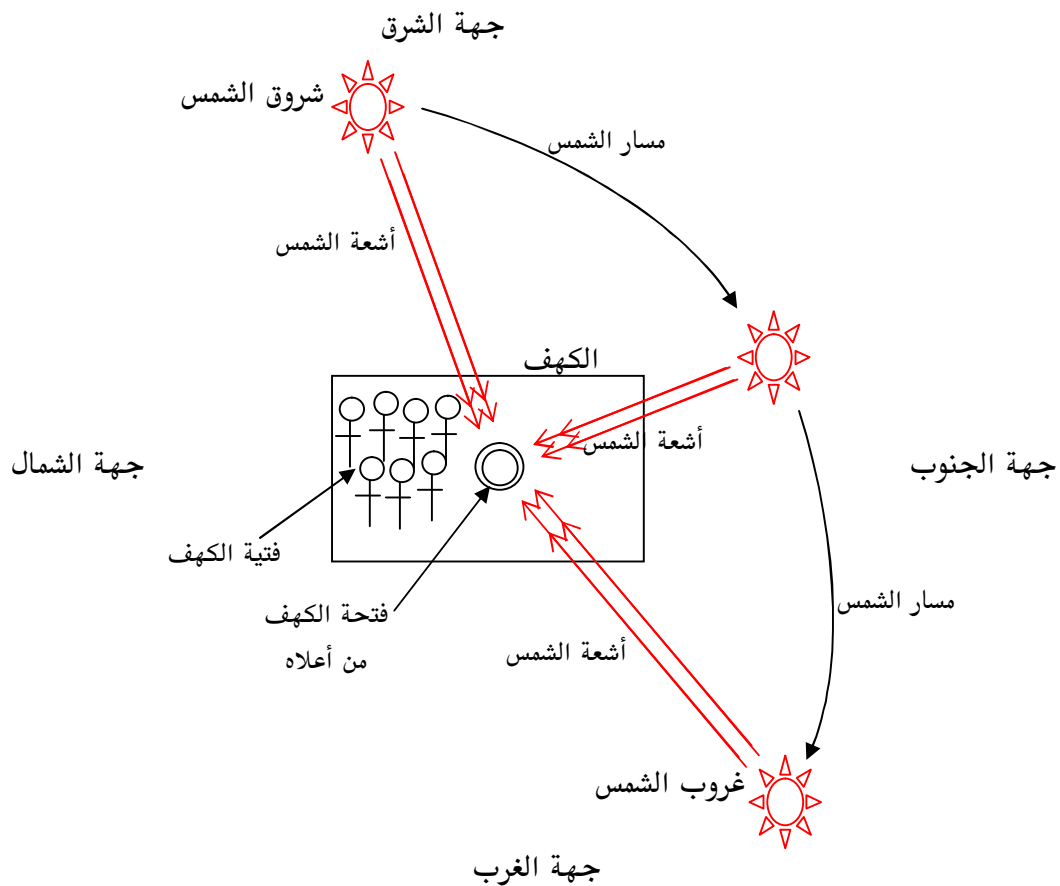
﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ اللَّهُ بِاللَّهِ الْغَوَّيَّ الضَّالِّينَ فَجَعَلَهُ اللَّهُ مَهْمَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ اللَّهُ بِاللَّهِ الْغَوَّيَّ الضَّالِّينَ فَجَعَلَهُ اللَّهُ مَهْمَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ اللَّهُ بِاللَّهِ الْغَوَّيَّ الضَّالِّينَ فَجَعَلَهُ اللَّهُ مَهْمَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

{ وَتَرَى الشَّمْسَ } وتشاهد الشمس يا محمد يا رسول الله وأنت أيها المسلم { إِذَا طَلَعَتْ } من وقت الضحى حتى الظهر وهو منتصف النهار { تَزَّوُرُ } تميل { عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ } تميل عن كهفهم إلى جهة اليمين منه { وَإِذَا غَرَبَتْ } والغروب هو الجزء الثاني أي من وقت العصر حتى مغيبها والعصر يُعرف قديماً عندما يكون خيال أو ظل الشيء ضعفه { تَقَرَّبُ مِنْهُمْ } تجعلهم وتدعهم { ذَاتَ الشِّمَالِ } أي شمالها { وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ } وهم في الجهة الشمالية للكهف دائماً وهي الموضع المقصود لوجودهم بالنسبة للكهف وأن مرور الشمس من وقت الضحى وحتى الظهيرة يكون عن يمين الكهف أي جنوب الكهف ولذلك يكون خيال أو ظل الشيء على يساره أي إلى جهة الشمال منه وخاصة في بلاد الشام علماً بأن الاتجاهات الجنوب والشمال تكون عند طلوع الشمس حيث تعرف بها الجهات على الطبيعة دائماً للواقف أمام الشمس عند طلوعها حيث الجهة التي على يمينه هي جهة الجنوب والجهة التي على يساره هي جهة الشمال وأمامه أي عند طلوع الشمس تكون جهة الشرق وخلفه هي جهة الغرب وبذلك يكون يمين الكهف هو الجهة الجنوبية خاصة في منطقة الشام حيث يوجد الكهف في الأردن والأردن هي من منطقة الشام وخاصة أن الكتب السماوية أغلبها نزلت في بلاد الشام. ومن هذه

الآية يستدل على أن الفتحة التي تدخل منها الشمس إلى الكهف هي من أعلاه ولذلك تدخله الشمس طول النهار لأنها من أعلاه وهم في فجوة وجهة الشمال من تلك الفتحة لذلك الكهف ولو كانت فتحة الكهف في أي جهة أخرى لدخلت الشمس إلى الكهف مرة واحدة فقط سواء عند الطلوع أو الغروب وكما هو موضح في الرسم أدناه. ولا مانع من وجود باب للكهف من أي جهة كانت لأن المقصود هنا الفتحة التي تدخل منها الشمس طول النهار وليس المقصود مدخل الكهف ودخول الشمس هذا للكهف طول النهار هو آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته.



{ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ} ذلك الطلوع والغروب عليهم للشمس طول النهار هو آية ومعجزة من معجزات الله تعالى وإلا لأهلكتهم الرطوبة ولكن طلوع الشمس عليهم طول النهار منع عنهم الرطوبة والميكروبات لأن الشمس تقتلها. ورب سائل يسأل فكيف بنزول المطر عليهم في الشتاء والفتحة من أعلى فنقول أن هذه معجزة من الله تعالى فكما أن الله تعالى منع عنهم شرَّ وصول مَلِكِهِمْ وقومِهِمْ إليهم وحفظهم الله منهم ومن غيرهم فكذلك حفظهم الله تعالى من المطر والله تعالى أعلم {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ} من يهده الله تعالى لطاعته يا محمد يا رسول الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه وعبده وحده لا شريك له فهو المهتد إلى طريق الله المستقيم وكما قال تعالى: " وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ " ١٧ محمد. وقال تعالى: "فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ" ١٢٥ الأنعام. {وَمَنْ يُضِلِّ} ومن يضلله بالمعاصي وارتكاب المحرمات والإشراك بالله تعالى ولم يصدق كتبه ولا رسله {فَلَنْ تَجِدَ لَهُ} ومن جعل الله على قلبه غشاوة فلن تجد له يا محمد يا رسول الله {وَلِيًّا} يتولاه بالإرشاد وبالهدى وبالنصح والوعظ {مُرْشِدًا} يرشده لطاعة الله وعبادته وكذلك لا تجد يا محمد يا رسول الله له ولياً من أولياء الله تعالى ومن عباده الصالحين يرشده يقنعه بعبادة الله تعالى وحده كما قال تعالى: " كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " ١٤ المطففين. وكما قال تعالى: " وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ " ١٢٥ الأنعام. {وَتَحْسَبُهُمْ آيِقَاتًا} وتظن يا محمد يا رسول الله إذا نظرت إليهم أنهم أيقاظاً غير نائمين وذلك لتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وأنه لم تتغير صحتهم ولم ترث ثيابهم ولم تبلى ولم

تطل أظافرهم ولا شعورهم وتأكيد ذلك قوله تعالى " قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ " {وَهُمْ رُقُودٌ} وهم نائمون {وَنُقُلِّبُهُمْ} ونحركهم ونجعلهم يتقلبون على جنوبهم {ذَاتَ الْيَمِينِ} على الجهة اليمنى {وَذَاتَ الشِّمَالِ} على الجانب الأيسر حتى لا تأكل الأرض أجسامهم وحتى يستمر وصول الدم إلى جميع أعضاء الجسم فلو استمروا على جانب واحد فلا يدخل الدم إلى ذلك الجسم ويشل ذلك الجزء لعدم دخول الدم فيه وهذه من حكمة الله تعالى بتقليبهم على الجنبيين أثناء النوم وهذا التقلب هو دليل على حياتهم وليس موتهم في تلك الفترة الطويلة التي ناموا فيها {وَكَلْبُهُمْ} الذي آمن معهم وتبعهم. وقيل أنه لما خرج أهل الكهف من بلدهم وكانوا سبعة شباب فتبعهم كلبهم فطردوه مراراً فلم يرجع ثم قال لهم لا تخافوا مني فإني أحب أحب الله فقد عرفت الله قبلكم . [نزهة المجالس ج ١ ص ٤٨].

{بَسِطٌ} مادٌ {ذِرَاعِيهِ} رجليه الأماميتين وهما كاليدين عند الإنسان {بِالْوَصِيدِ} أي بالفناء للغار وبدايته أي داخل عتبة الكهف وأن هذه الجلسة هي حتى لو رأى أحد من الناس الكلب وهو على هذه الصفة يجلس ماداً ذراعيه وكأنه يقظان فيهربون خوفاً منه علماً بأن كلبهم كان نائماً مثلهم وإلا لمات من الجوع أو أزعجهم بنباحه والله أعلم. وهذه الجلسة بالنسبة للكلب لأنها معدة للجري أو المشي هي راحة كاملة لجلسة الكلب ونومه بعكس بني آدم على أحد جنبيه فلا بد له أن يتقلب على الجنب الآخر لتحريك الدم فيه {لَوْ أَطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ} لو قدر الله لك يا محمد يا رسول الله الاطلاع عليهم ومشاهدتهم {لَوَلَّيْتْ مِنْهُمْ فِرَارًا} لأدبرت وهربت منهم هارباً {وَلَمَلِئْتْ مِنْهُمْ رُعبًا} أي وامتألت رعباً منهم وخوفاً وذلك كرامة لهم من الله تعالى بحمايتهم وحفظهم ورهبة ورعباً ليحفظهم بها الله

في الدنيا وهكذا يحفظ الله أوليائه بهذه الكرامة فإن الله تعالى أعطى الكرامات للأولياء وكرامة أهل الكهف جعل الله لهم كرامة الخوف والرعب منهم وجعل لمريم أن يأتيها الطعام وجعل للخضر عليه السلام العلم وجعل للذي عنده علم الكتاب أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين إلى سيدنا سليمان وجعل الطيران وطى الأرض لذي القرنين حتى وصل مطلع الشمس ومغربها وهكذا للرسول معجزات وللأولياء كرامات. وعلماً أن الخوف من الصالحين أعطاه الله تعالى معجزة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من مسيرة شهر يرعب الأعداء فقد ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأحلت لي الغنائم وأعطيت الشفاعة وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة). [ابن كثير ج ١ ص ٤١١].

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ۖ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿١٩﴾ وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ۖ إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا ۖ رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢٠﴾ ﴾

{ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ } وهكذا أيقظهم الله تعالى من سباتهم ونومهم وكان استيقاظهم بعد نوم ورقاد ثلاثمائة وتسع من السنين هو بعث من جديد لأن النوم يسمى الموتة الصغرى { لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ } حتى يسأل بعضهم بعضاً عن مدة لبثهم وبقائهم في الكهف { قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ } قال أحدهم سائلاً { كَمْ لَبِثْتُمْ } كم بقيتم مستغرقين في النوم وكم مكثتم هنا في الكهف من الوقت { قَالُوا } ردوا جميعهم وقالوا { لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ } قالوا مكثنا في الكهف والغار كل المدة النوم حتى الاستيقاظ في الكهف هي مدتها يوماً واحداً أو جزءاً من اليوم لاستيقاظهم والشمس لا تزال في الأفق وقيل دخلوا الكهف صباحاً واستيقظوا في آخر النهار فظنوا أن هذا اليوم هو نفسه الذي ناموا فيه وهذا يدل على حجة تنفي من يدعي أو يظن بأنه من طول مدة النوم قد طالت أظفارهم وأشعارهم حتى وصفها البعض بأن طولها هو طول خرافي لا يستحق الذكر حيث أنهم قالوا (يوماً أو بعض يوم) دليل على أنه لم تطل لا أظفارهم ولا أشعارهم ولم تبل ملابسهم لأنها آية ومعجزة من قبل الله تعالى لهم { قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ } ثم أرجعوا علم تلك المدة لله تعالى { فَابْعَثُوا

{أَحَدَكُمْ} وأرسلوا أحداً منكم {بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ} وهي قطعة من نقود الفضة التي
 جلبوها معهم إلى الكهف وهي من نفس قطع النقود لملكهم دقيانوس {إِلَى
 الْمَدِينَةِ} إلى مدينتهم حيث أن الطعام والشراب الذي يباع غالباً يكون في المدينة
 وليس في القرية {فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا} فيذهب ويشترى لنا أحسن وأطيب وألذ
 وأجود طعام {فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ} فليحضر لكم شيئاً منه لنأكله وهذه الآية تدل
 على أن رغبتهم للطعام هي ليس لجوع شديد يتكافأ مع طول مدة النوم وإلا لقالوا
 فليأتنا بأي رزق منه ولأن جوعهم طبيعي قالوا (فلينظر أيها أزكى طعاماً) وهذا
 بيان آخر وحجة لهم أنهم مكثوا في الكهف يوماً أو بعض يوم وإلا لما خرجوا
 خوفاً من العثور عليهم أو استغراب واستنكار الجيل الثاني الذي أتى بعدهم منهم
 ولذلك اعتقدوا بأنهم مكثوا يوماً أو بعض يوم وهذه هي معجزة الله عليهم
 {وَلْيَتَلَطَّفْ} وليتمهل ويمشي بالسكينة والتؤدة وخفية {وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا}
 وليستخفي وليتنكر في ملابسه ومشيه حتى لا يعلم بهم ملكهم ولا قومهم الذين
 تركوهم والتجؤوا إلى الكهف هرباً منهم لعبادتهم الأصنام والأوثان من دون الله تعالى
 {إِنَّهُمْ} أي قومهم الذين هربوا منهم {إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ} إن يقبضوا عليكم
 ويمسكوكم ويعلموا بكم ويطلعوا عليكم ويأخذوكم ويعيدوكم إلى الملك دقيانوس
 {يَرَجُمُوكُمْ} يقتلونكم رجماً بالحجارة {أَوْ يُعِيدُوكُمْ} أو يرجعوكم {فِي مَلْتَمِهِمْ}
 في دينهم ومذهبهم وعبادة ملكهم والأصنام والأوثان {وَلَنْ تُلَاحِظُوا} ولن تنجحوا في
 الإفلات منهم {إِذَا أَبَدًا} إذا قطعياً ونهائياً {وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ} وهكذا عثر
 عليهم قومهم ووجدوهم ورأوهم {لِيَعْلَمُوا} ليعلم قومهم والمكذبون منهم وليعلم
 الناس جميعاً {أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} أن ما وعد الله تعالى به من البعث والحياة

بعد الموت والنشور والمحشر ويوم القيامة والحساب والعقاب والثواب والجزاء والجنة والنار كله حق {وَأَنَّ السَّاعَةَ} وهي القيامة أي ساعة قيام القيامة {لَا رَبَّ فِيهَا} لا شك ولا ظن ولا كذب فيها وهنا يثبت الله تعالى بأن الأجساد تُبعث من جديد وينفي دعوى من يدعي بأن التي تبعث فقط وتحاسب وتعذب هي الأرواح فقط وليس الأجساد ولكن هذه المعجزة بنوم أهل الكهف يثبت بأن الأجساد تبعث يوم القيامة مع الأرواح وكما قال تعالى: " وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " ٢١ فصلت. ومن هذه الآية أن عذاب القبر يكون على الجسد والروح معاً في القبر بعكس من يدعي بأن العذاب على الروح فقط وفي مكان آخر وكما قال تعالى: " الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " ٦٥ يس. وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مرّ بقبرين يعذبان فقال: (إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة) ثم أخذ جريدة رطبة فشققها نصفين - ثم غرز في كل قبر واحدة - فقالوا يا رسول الله لم صنعت هذا؟ فقال: (لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا). [رواه البخاري ج ٢ ص ١٢٠]. وأنه كان صلى الله عليه وسلم يستعيز من عذاب القبر وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال). [متفق عليه - سبل السلام ج ١ ص ١٩٤]. {إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ} إذ اختلفوا في أمرهم بعد العثور عليهم وتناقشوا وتجادلوا بين بعضهم البعض {فَقَالُوا أَبْنُؤُا عَلَيْهِمُ بُنْيَانًا} فقال بعضهم وهم متحيرون فيما يفعلون

معهم فقال قسم منهم أقفلوا عليهم بسور حتى لا يصل أحد إليهم فلا يؤذيههم أو يضايقهم {رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ} فالله تعالى هو أعلم بشأنهم وبحالهم {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ} قالت الأغلبية والأكثرية وأصحاب الرأي والأمر والنهي {لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا} أي سنجعلهم في داخل محيط مسجد لأنهم صالحون وفعلاً أقاموا عليهم وعلى مكانهم مسجداً وهذا يدل على أن الأجيال التي تعاقبت عليهم أثناء نومهم في ذلك الكهف مدة ثلاثمائة سنة وتسع أصبحوا مؤمنين ومسلمين وإثبات ذلك قولهم " لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا " وقد سكت القرآن على بناء المسجد على أهل الكهف ليس ناسياً بل كرامة لهم ولفضلهم حيث أنهم أولياء الله تعالى وعلى هذا جَوَزَ بعض أهل العلم بناء المساجد على أضرحة الأنبياء والرسل والصالحين وهكذا لم يعترض في وقته الإمام مالك على ما كان من إدخال قبره صلى الله عليه وسلم في مسجده وهو إمام دار الهجرة وكما قيل لا يُفْتَى ومالك في المدينة وكذلك لم يعترض الإمام الشافعي في مصر على بناء المساجد ومنها على سبيل المثال مسجد الإمام أبي حنيفة حيث صلى فيه ولم يقنت في صلاة الفجر ولما سُئِلَ عن عدم قنوته قال احتراماً لصاحب القبر وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم حديث المساجد على قبور أنبياء اليهود والنصارى وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحيهم مساجد). [ابن كثير ج ٣ ص ٧٨]. هنا معنى الحديث هو أن اليهود والنصارى عملوا عليهم المساجد وأقاموها وعبدوهم وهذا هو سبب النهي ولذلك دُفِنَ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر وعمر في المسجد النبوي الشريف لأن المسلمين هنا لم يعبدوهم ولكن تباركوا بهم وهذا ما فسره الحديث الذي قاله صلى الله عليه وسلم: (لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها). [أوضح التفاسير لابن الخطيب ص ٣٥٤].

وكذا الحديث الذي رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن زيد بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم لا تجعل قبوري وثناً يُصلى له اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وكذا هو في مصنف عبد الرزاق عن زيد بن أسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم لا تجعل قبوري وثناً يُصلى إليه فإنه اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). أي أنه يجوز أن يدفن العالم أو الولي أو الرجل الصالح في طرف المسجد وليس في قبلة المسجد بحيث لا يكون في جهة القبلة من المسجد أو المصلى بل يكون في الخلف أو في طرف بعيد عن قبلة المصلين أو بينهما حاجز كالغرفة التي تحيط بقبر الحسين في القاهرة بجانب الأزهر الشريف أو قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وذلك تباركاً بالصالحين والافتداء بهم وليس لعبادتهم كما فعل اليهود والنصارى بأنبيائهم.

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۗ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ ۖ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ۗ لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾

{ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ } بعد اختلافهم في شأنهم واتخذوا قراراً ببناء المسجد عليهم سيختلفون كذلك في عددهم قسم منهم سيقولون عددهم ثلاثة والرابع

هو كلبهم وكذلك اليهود الذين قالوا لأهل قريش أن يسألوا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن عددهم هم مختلفون في عددهم {وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ} ويقول جزء آخر أو قسم آخر منهم أن عددهم أي أصحاب الكهف هم خمسة والسادس كلبهم {رَجْمًا بِالْغَيْبِ} أي ظناً وشكاً بعددهم لأنه من علم الغيب فلا يعلمون عددهم بالضبط {وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ} وتقول فئة أخرى وهم قلة أن عددهم كان سبعة أشخاص وثمانهم كلبهم وهم الصحيح لأن الله تعالى سكت عنهم دليلاً على صحة عددهم {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله لأهل الكتاب {رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ} الله تعالى هو أعلم بعددهم الصحيح والمؤكد واليقين {مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ} ما يعلم صحة عددهم إلا قليل من الناس وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس: أنا من القليل الذي استثنى الله عز وجل كانوا سبعة. [قاله قتادة عن ابن عباس - ابن كثير ج ٣ ص ٧٨].

{فَلَا تَمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا} ولا تحدّث عن أصحاب الكهف يا محمد يا رسول الله إلا حديثاً ظاهراً عادياً كما نص عليه القرآن {وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ} ولا تستفسر من اليهود عن عددهم وذلك منعاً للجدال والتكذيب {مِنْهُمْ أَحَدًا} من أهل الكتاب أحداً تستفسر منه عن عدد أصحاب الكهف حتى يبقوا في ضلالهم وغيهم متحيرين في عددهم حتى لا يجادلوكم في عددهم إذا عرفوا ذلك {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا} ولا تجزمن بقول عن شيء أنت ستفعله غداً بدون مشيئة الله تعالى {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} إلا بإرادة الله تعالى وتوفيقه لأن كل شيء من الأمور بيده إن أراد نفذ وإلا فهو ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن {وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ} أي إذا تذكرت بعد أن نسيت الاستثناء قل إن شاء الله

واستغفر الله {وَقُلْ} وقل يا محمد يا رسول الله إذا نسيت الاستثناء {عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي} لعل الله يدلني وهو ربي {لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا} وهذا المقصود منه خطأ عدم الاستثناء منه صلى الله عليه وسلم {رَشْدًا} صواباً وسبب ذلك هو أن أهل الكتاب قالوا لأهل مكة أن يسألوا النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم قد كان لهم حديث عجيب وسألوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبأه وسألوه عن الروح ما هو فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أخبركم غداً عما سألتكم عنه) ولم يقل إن شاء الله ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر ليلة لم ينزل عليه الوحي ليخبره حتى أرجف أهل مكة وقالوا لم يخبرنا محمد عما سأله ثم جاءه جبريل بهذه السورة وبناء على هذا يجب الاستثناء في كل أمر مستقبلاً {وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ} ومكث أصحاب الكهف في نومهم في كهفهم {ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ} وَأَزْدَادُوا تِسْعًا} ومكث أصحاب الكهف في كهفهم عدد ثلاثمائة وتسع سنين وهم نيام ثم أيقظهم الله تعالى ليرى الناس كيف يحيي الله الموتى ويؤكد أن البعث حق والحساب حق والجنة والنار حق {قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا} قل يا محمد يا رسول الله فالله تعالى هو أعلم وأبصر وأدرى بما لبث أهل الكهف نياماً فهو الذي أنامهم وهو الذي أيقظهم {لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} والله تعالى وحده هو الذي يملك علم الغيب في السموات والأرض وما يدور فيها وهو علام الغيوب {أَبْصَرُ بِهِ} وَأَسْمِعْ} دُلَّ الناس يا محمد أن الله تعالى واحد أحد فرد صمد لا شريك له وأسمعهم القرآن وما يتلى فيه من الأوامر والنواهي وأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له {مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ} ليس لهم غير الله تعالى من يتولاهم ويرعاهم

ويحميهم ويرزقهم ويحفظهم { مِنْ وَلِيٍّ } من يتولى أمرهم وشؤونهم ورزقهم وحياتهم وموتهم { وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا } ولا يشرك الله في حكمه ومملكه أحداً من خلقه كما يدعي اليهود أن عزيراً هو ابن الله ولا كما يدعي النصارى أن عيسى ابن الله أو هو ثالث ثلاثة ولا كما يدعي مشركو العرب من أهل قريش بأن الملائكة هم بنات الله ولا الله تعالى يشرك في ملكه ولا في حكمه ولا في أمره أحداً من خلقه سبحانه وتعالى عن الشريك.

﴿ وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ۗ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۗ ﴾ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۗ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۗ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۗ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

{ وَأَتْلُ } وقرأ يا محمد يا رسول الله { مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ } ما أنزل إليك بواسطة الوحي جبريل عليه السلام { مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ } من القرآن كلام ربك الذي أنزله إليك { لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ } لا تغيير ولا تبديل للقرآن الكريم فهو كتاب الله وقانونه وفيه أمره ونهيه ولا بديل سواه من القوانين الأرضية { وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا } ولن تجد غير الله معيناً لك وناصراً وحافظاً من عذاب جهنم يوم القيامة { وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ } اجعل نفسك يا محمد يا رسول الله ومن بعده أيها المؤمن واحبس

واحجز نفسك دائماً {مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ} مع الذين يعبدون ربهم ويدعوه بالوحدانية ويطلبون منه خير دنياهم وآخرتهم ويسبحونه {بِالْغَدَاةِ} صباحاً {وَالْعِشِيِّ} مساءً {يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} يبتغون مرضاته {وَلَا تَعُدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ} ولا تبعد نظرك عن رؤياهم اشمئزاً من حالهم وسوء منظرهم ل فقرهم وضعف أجسامهم ولريح عرقهم {تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} ترغب في متاع الدنيا وزخرفها وتترك ثواب الآخرة {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ} ولا تطع من ألهينا وأنسينا قلبه {عَنْ ذِكْرِنَا} عن ذكر الله وتسبيحه ولا الخوف من عقابه وعذابه {وَأَتَّبَعَ هَوْنَهُ} واتبع شهواته وملذاته من الحرام {وَوَكَانَ أَمْرُهُ} وكان شأنه وحكمه وعمله {فُرُطًا} مفرطاً في جنب الله تعالى ولا يهتم ولا يكثرث لا بالثواب ولا بالعقاب أي مضيعاً للحقوق والواجبات. وهذه الآية يقال أنها نزلت في أشرف قريش حين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود ويفرد أولئك بمجلس على حدة فنهاه الله عن ذلك وقال مسلم في صحيحه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد ابن عبد الله الأسدي عن إسرائيل عن المقدم بن شريح عن أبيه عن سعد هو ابن أبي وقاص قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرده هؤلاء لا يجترئون علينا قال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل " وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ " [انفرد بإخراجه مسلم - ابن كثير ج ٣ ص ٨٠]. وقال الإمام أحمد: ثنا محمد بن بكير ثنا ميمون المرثي ثنا ميمون ابن

سياه عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات). [ابن كثير ج ٣ ص ٨١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده). [أخرجه مسلم - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣]. وأخرج البخاري: (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا إلى حاجتكم قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا).

[سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣]. {وَقُلْ} وقل لهم يا محمد يا رسول الله {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ} هذا القرآن هو الحق والصدق والجد ليس بالهزل نزل من عند ربكم بواسطة الوحي جبريل عليه السلام {فَمَنْ شَاءَ} فمن أراد عبادة الله وطاعته {فَلْيُؤْمِنْ} فليصدق بالقرآن الكريم ومن أنزل ومن نُزِّلَ عليه وبما أنزل به أي يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً وبالْحَسَابِ يوم القيامة {وَمَنْ شَاءَ} ومن أراد المخالفة والإنكار والجحود والتكذيب بالقرآن الكريم {فَلْيَكْفُرْ} فلينكر وليجحد وليكذب بما أنزل الله تعالى وهو القرآن الكريم {إِنَّا أَعْتَدْنَا} إنا حضرنا وجهزنا وأعدنا {لِلظَّالِمِينَ} للكافرين والمشركين والظالمين أنفسهم بالكفر والشرك والتكذيب للرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن {نَارًا} وهي نار جهنم {أَحَاطَ بِهِمْ} أدار بهم والتف حولهم {سُرَادِقُهَا} سورها ولهيبها فلا منجا ولا مهرب منها. قال الإمام أحمد: حدثنا حسن ابن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيم عن أبي سعيد الخدري عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لسرادق النار أربعة جدر كثافة كل جدار مسافة أربعين سنة). [وأخرجه الترمذي في صفة النار وابن جرير في تفسيره من حديث دراج أبي السمح به - ابن كثير ج ٣ ص ٨١]. {وَأِنْ يَسْتَغِيثُوا} وإن يطلبوا النجدة والاستعانة ليخفف عنهم العذاب في نار جهنم ويستغيثوا من شدة العطش {يُعَاثُوا بِمَاءٍ} يُؤْتَى لَهُمْ مَاءٌ يَغْلِي {كَالْمُهْلِ} كالقطران أو الزيت المغلي {يَشْوَى} {الْوُجُوهُ} يحرق وجوههم من شدة غليانه ومن شدة حره {بِئْسَ} ساء وقبح {الشَّرَابُ} هذا الشراب الذي يغاثوا به ليطفى لهيب عطشهم {وَسَاءَتْ} وقبحت النار {مُرْتَفَقًا} منزلة ومصيراً ونهاية ومآلاً ومرافقة لهم على الدوام يوم القيامة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٢٠﴾
 وَأُولَئِكَ هُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ
 وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ
 وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢١﴾﴾

{إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا} إن الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر حلوه ومره وخيره وشره {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} من الطاعات وأعمال الخير والبر والأعمال الصالحة في مرضاة الله وعبادته {إِنَّا} الجمع للتبجيل وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَا نُضِيعُ} لا يضيع الله تعالى {أَجْرَ} ثواب {مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} من أحسن عمله في عبادة الله تعالى وفي طاعته وفي مرضاته وفي أعمال البر والخير والصدقات {أُولَئِكَ هُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ} أولئك يجزيهم الله تعالى بدخول جنات عدن {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} تجري من تحت

قصورهم الأنهار {تُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ} وحليتهم في الجنة هي أساور مصنوعة من ذهب يلبسها النساء والرجال {وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا} وفي الجنة يلبسون ثياباً لونها أخضر {مِّنْ سُندُسٍ} وهو الحرير الرقيق الناعم {وَإِسْتَبْرَقٍ} وهو الديدباج ذو البريق واللمعان وهو غليظ الحرير وسميكة {مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْيَاقِ} مستندين على جنوبهم على السرر {نِعَمَ} حسن وطاب {الثَّوَابُ} العطاء والجزاء {وَوَحَسْنَتْ مُرْتَفَقًا} وحسنت موضعاً ومنزلةً وطاب ما يرافقهم فيها من نعيم وحسنت موطناً دائماً لهم في الجنة يوم القيامة. وعن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أُحِلَّ الذَّهَبُ وَالْحَرِيرُ لِأَنَاثِ أُمَّتِي وَحَرَمَ عَلَيَّ ذِكُورَهَا). [رواه أحمد والنسائي وصححه - سبل السلام ج ٢ ص ٨٦]. وعن حذيفة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديدباج وأن نجلس عليه). [رواه البخاري - سبل السلام ج ٢ ص ٨٤]. وفي الصحيح قال صلى الله عليه وسلم: (لا تلبسوا الحرير والديدباج في الدنيا فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة). [ابن كثير ج ٣ ص ٢١٣]. وفي الجنة تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء كما قال صلى الله عليه وسلم: (تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء). [متفق عليه - ابن كثير ج ٣ ص ٢١٣]. وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن المثني البزار حدثنا محمد بن زياد الكلبي حدثنا يعيش بن حسين عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء ملاطها (أي طينها) المسك وحبهاؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران ثم قال لها انطقي قالت: " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ " فقال الله: (وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك

بخيل) ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ". [ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٨].

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٨﴾ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٩﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٤٠﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٤١﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٤٣﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٤٥﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلْ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٦﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤٧﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٨﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٩﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٥٠﴾ ﴾

{وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا} وحدث وقل مثلاً للكفار يا محمد يا رسول الله {رَجُلَيْنِ} جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا} والمثل هو أن الله تعالى ضرب مثلاً لرجلين أحدهما جعل الله له {جَنَّتَيْنِ} بستانين أو حديقتين {مِنْ أَعْنَبٍ} أي مزروعة عنبا {وَحَفَفْنَاهُمَا} وأحطناهما على دائرتها {بِنَخْلٍ} أي مزروعة نخلاً على دائر ومحيط البستانين

{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا} وفي وسطهما وخلالهما جعل الله ينبت الزرع وهو من جميع المزروعات الأخرى التي لم يكن لها سيقان مثل الأشجار التي تعمر طويلاً مثل الفلفل والباذنجان والطماطم والسلق والسبانخ والفجل والجزر ومثل هذه الخضروات أي أن البستانين أو الحديقتين مملوءتان بالخضرة والثمار والفواكه ولم يوجد بها منطقة فارغة أو مجدبة أو لم تزرع {كَلِمَاتٍ أَلْجَنَّتَيْنِ} هاتان الجنتان أو الحديقتان أو البستانان {ءَاتَتْ أَكْلَهَا} أي أثمرت جميعها {وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا} ولم ينقص أو يتلف أو يقحط أو يسقط شيء من ثمارها بل كانتا خصبتين {وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا} وشققنا وأجرينا خلال البستانين وفي وسطهما نهراً من الماء يجري ليسقيهما على الدوام ليزداد خصباً وثماراً {وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ} وكان لذلك البستان ثمار ناضجة وخصبة وكثيرة {فَقَالَ لَصَّحِبِهِ} وقال صاحب البستان لصاحبه الذي يرافقه في بستانه {وَهُوَ مُخَاوِرُهُ} وهو يناقشه ويجادله ويفتخر عليه قائلاً {أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا} فقال صاحب هذين البستانين لمن هو في رفقته مفتخراً عليه بهذين البستانين قائلاً له أنا عندي أكثر منك مالاً من ربيع وناتج محصول البستانين المثمرين في تلك اللحظة {وَأَعَزُّ نَفَرًا} وكذلك أكثر عزوةً من الرجال سواء من أولاده أو أقربائه أو من يظن أنه يشتريهم بماله. وقد جاء في الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (أربع خصال من الجاهلية الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت). وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تعاضم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان). [أخرجه الحاكم ورجاله ثقات - سبل السلام ج ٤ ص ٢٠٠]. وعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: (إن الله تعالى أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد). [أخرجه مسلم - سبل السلام ج ٤ ص ٢٠٨]. {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ} ودخل صاحب البستان إلى بستانه وحديقته {وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ} وهو ظالم لنفسه بالفخر والكفر والشرك {قَالَ مَا أَظُنُّ} قال لا أظن {أَنْ تَبِيدَ} أن تتلف وتخرب وتهلك {هَذِهِ أَيْدَاءٌ} هذه الحديقة لأنها خضراء اللون وخصبة وممتلئة بالثمار لن تهلك أبداً ولن تتلف إطلاقاً وعلى الدوام {وَمَا أَظُنُّ} ولا أعتقد {السَّاعَةَ قَائِمَةً} ولا أعتقد بقيام يوم القيامة أي منكر البعث والمحشر والحساب ويوم القيامة {وَلَيْنُ رُدِّدْتُ} ولئن رجعت بحياة جديدة وبعثت يوم القيامة {إِلَىٰ رَبِّي} إلى ربي وخالقي الله تعالى للحساب {لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا} لأجد عند ربي لي أفضل {مُنْقَلَبًا} مرجعاً وملجأً ومآباً ومنزلةً وهذا من باب الجحود والغرور والإنكار للبعث والحساب يوم القيامة {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ} قال له صاحبه الذي يرافقه في تلك الجولة في بستانه {وَهُوَ مُخَاوِرُهُ} وهو يجادله ويناقشه ويعظه بقوله له {أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ} هل كفرت بالله تعالى الذي خلقك من العدم من التراب (أكفرت) أي أجدت وأشركت بالله تعالى (من تراب) أي خلق أصلك وهو أبوك آدم من تراب {ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ} ثم بعد ذلك من نطفة ومن أبيك {ثُمَّ سَوَّكَ} ثم جعلك رجلاً سوياً قوياً فتكبرت على خالقك الله تعالى {لَلَّيْنَا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا} وقال له صاحبه وهو ينكر عليه إشراكه لكن بالنسبة لي هو الله تعالى ربي وخالقي ورازقي ومحييني ومميتني ولا أشرك به أحداً من خلقه فهو لا شريك له {وَلَوْلَا} فلو {إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ} عندما دخلت جنتك لو

قلت { مَا شَاءَ اللَّهُ } هذه من مشيئة الله وفضله وكرمه { لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ } لا استعانة على بقاء هذه النعمة إلا بمعونة الله تعالى وقوته وحفظه ومن السنة أنه إذا رأى أحد نعمة من النعم فحتى يحفظها الله من الحسد والعين والزوال أن يقول (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) كما جاء في الحديث أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدثنا جراح ابن مخلد حدثنا عمر بن يونس حدثنا عيسى بن عون حدثنا عبد الملك بن زرارة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون الموت). [ابن كثير ج ٣ ص ٨٤]. { إِنْ تَرَنْ أَنَا } إن تشاهدني أنا الآن وتراني { أَقَلَّ مِنْكَ } وليس عندي إلا أقل منك { مَالًا وَوَلَدًا } أقل منك في المال والولد والذرية فأننا رجل فقير { فَعَسَى } فلعلى { رَبِّي } خالقي وإلهي الله تعالى { أَنْ يُؤْتِيَنِي } أن يعطيني { خَيْرًا } أفضل وأحسن { مِّنْ جَنَّتِكَ } من بستانك وحديقتك وذلك في الدنيا بالبركة في الصحة والسكينة والراحة الفكرية والاطمئنان لأنه ليس عنده مال كثير يخاف عليه. ويوم القيامة يدخله الله الجنة { وَوُيْرَسَلْ عَلَيْهَا } وأما جنتك وبستانك وحديقتك يسلم الله عليها { حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ } حرقاً أو مصيبةً أو محقاً أو ثلجاً أو برداً أو حراً شديداً أو ريحاً عاصفاً تهب عليها { فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا } تصبح أرضاً خالية قاحلة ملساء لا شيء فيها ولا نبت فيها ولا يستطيع أحد أن يدخلها خوفاً من الانزلاق في طينها ووحلها بعد أن كانت أرضاً طيبةً سالحةً حسنةً { أَوْ يُصْبِحُ مَأْوَاهَا غَوْرًا } أو يجف مأوها ويغور ويذهب في الأرض { فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا } فلن تستطيع الحصول عليه لجفافه وهربه في داخل الأرض وفي عمقها { وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ } وأصيب ثمر بستانه

وهلك وتلف وأحاط به الهلاك والخراب والتلف {فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ} وأصبح يضرب كفاً على كف ويضرب يديه بعضها على بعض ندماً وحسرة على دمارها وهلاكها وخرابها نتيجة للمصيبة والهلاك والتلف الذي وقع على ثمار بستانه {عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا} على ما صرف فيها من مال وأنفق في إصلاحها من مال كثير {وَهِيَ خَاوِيَةٌ} وهي خربة وخواوية وجدباء وفارغة من الثمار {عَلَىٰ عُرُوشِهَا} على أغصانها ولا يوجد بها ثمر (على عروشها) أي على أغصانها وعلى الركائز والدعائم من عيدان الأشجار التي توضع ليرتكز عليها أشجار العنب حتى ترتفع عن الأرض ولا تضر الأرض ثمارها وحتى يدخلها الهواء وتصل الشمس إلى ثمارها (والعروش) هي دعائم وأعمدة وغير ذلك لرفع أشجار العنب فوق سطح الأرض لأن سيقان أشجار العنب وأغصانها ضعيفة ولا بد من دعائم لرفعها عن سطح الأرض {وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا} ويقول نادماً متحسراً بعد هلاك ثمر بستانه يا ليتني لم أجعل شريكاً لله أحداً {وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ} ولم تكن له جماعة أو حزب أو طائفة {يَنْصُرُونَهُ} ينتصرون له ويمنعونه من خراب بستانه {مِنْ دُونِ اللَّهِ} أي غير نصره الله له {وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا} وما كان منتصراً بحفظ بستانه ولا منعه من الهلاك والخراب والتلف لأن الله تعالى لا أحد يستطيع أن يقف أمام قدرته وجبروته وعظمته وهلاكه والله غالب على أمره {هُنَالِكَ} عند ذلك وحين ذاك {الْوَلِيَّةُ} الرعاية والحماية والحفظ {لِلَّهِ الْحَقُّ} لله وحده الذي له حق العبادة والطاعة وهو حق وقوله حق وأمره حق {هُوَ} الله تعالى {خَيْرٌ ثَوَابًا} هو خير من يثيب على الطاعة {وَخَيْرٌ عُقْبًا} وهو أفضل لمن أطاعه وخير عاقبة ومصيراً ونهاية ومآلاً ومرجعاً وأفضل عاقبة له يوم القيامة.

﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ
 الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ
 وَالْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا
 ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾
 وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ
 لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ
 يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۗ وَوَجَدُوا مَا
 عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾

{ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } واضرب لهم وقل لهم مثلاً يا محمد يا رسول
 الله (مثل الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) مثل الدنيا والعيش فيها وطولها وطول نعيمها { كَمَا }
 أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ { كَمَا } المطر أنزله الله تعالى من السماء من السحاب { فَاخْتَلَطَ
 بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ } فارتوى وشرب منه النبات في الأرض حتى اخضر وأصبح
 بهيجاً ويانعاً ونضراً وخضراً وذا جمال أخذ { فَأَصْبَحَ هَشِيمًا } بعد الخضرة
 والخصاب أصبح حطاماً وتبناً جافاً ومدروساً وطحينا { تَذْرُوهُ الرِّيحُ } تبعثره
 وتطيره هباءً في الجو بعد أن كان أخضر يانع وهكذا الدنيا مهما طال ترفها
 ونعيمها وملذاتها تصبح كالزرع بعد خضرته يصفر ويصبح حطاماً وتبناً يتطاير في
 الجو ويتبعثر ويهلك وتأخذه الرياح في جميع الاتجاهات ولم تبق له باقية { وَكَانَ
 اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا } وكان الله تعالى ومن الأزل وإلى ما شاء الله قادراً على
 كل شيء يريد ويفعله { الْمَالُ } جمع المال وكثرته وحزونه وادخاره

{وَالْبُنُونَ} والأولاد والذرية {زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} هم زينة الدنيا وجمالها وامتعتها وزخرفها وحلاوتها وبهجتها {وَالْبَقِيَّتُ} والذي يبقى ويدوم ثوابه عند الله يوم القيامة {الصَّلِحَتُ} هي الأعمال الصالحات من البرِّ والخير وعبادة الله وطاعته والصدقات والذكر والتسبيح {حَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا} خير وأفضل حسنات وثواب عند الله تعالى يوم القيامة {وَحَيْرٌ أَمَلًا} وأفضل نجاة وأفضل ما يأمله المرء ويطلبه في الآخرة. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الباقيات الصالحات: لا إله إلا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله). [أخرجه النسائي وصححه ابن حبان والحاكم - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٧]. {وَيَوْمَ} ويوم القيامة {نُسِيرُ الْجِبَالِ} يسير الله الجبال ويذهبها ويزيلها ويحركها عن موضعها كما قال تعالى: " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا " ١٠٥ طه. {وَتَرَى} وتشاهد يا محمد يا رسول الله يوم القيامة {الْأَرْضَ بَارِزَةً} الأرض ظاهرة بمن عليها ولا يخفى منها شيء ولا يواربها جبل ولا شجر ولا حجر ولا بنيان كما قال تعالى: " فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا " ١٠٦ طه. أي يجعلها مسطحة ملساء لا ترى فيها اعوجاجاً ولا مرتفعات ولا منخفضات {وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا} ويحشر الله تعالى جميع المخلوقات من إنس وجن وطير وحيوانات ووحوش وهوام فلم يغادر أو يترك أو يدع منهم أحداً دون أن يحشر للحساب وللعقاب وللجزاء والثواب {وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا} أي عرضوا صفوفاً على ربك يا محمد ليحاسبهم وامتثلوا بين يديه صفوفاً كل أمة ومعها نبيها ورسولها للحساب {لَقَدْ جِئْتُمُونَا} يقول الله تعالى للناس يوم القيامة وللكفار منهم لقد جئتم إلينا للمحشر {كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} وأعدناكم

أحياءً كما بدأناكم وخلقناكم في أول مرة وهي مرة الولادة {بَلْ زَعَمْتُمْ} ولكن ادعيتم {أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا} أنه لن نستطيع أن نجعل لكم يوم القيامة موعداً للحشر والحساب {وَوُضِعَ الْكِتَابُ} ووضع كلُّ له كتاب الحسنات والسيئات الذي فيه عمله طيلة حياته في الدنيا {فَتَرَى} فتشاهد {الْمُجْرِمِينَ} الذين أجزموا وأذنبوا وعصوا وخالفوا أمر الله تعالى {مُشْفِقِينَ} خائفين ومرعوبين {مِمَّا فِيهِ} مما رأوا في الكتاب من كثرة سيئاتهم وذنوبهم وكفرهم وشركهم {وَيَقُولُونَ} ويقولون ندماً وحسرة وحنناً {يَتَوَلَّاتْنَا} يا مصيبتنا ويا هلاكنا {مَا لِي هَذَا} الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ} ما هذا الكتاب الذي لم يترك ولم يدع {صَغِيرَةً} صغيرة من الصغائر أو الهفوات {وَلَا كَبِيرَةً} ولا كبيرة من الكبائر {إِلَّا أَحْصَاهَا} إلا سجلها وعددها علينا ولم يتركها {وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا} ووجدوا كل ما عملوه في الدنيا حاضراً بين أيديهم وكأنهم فعلوه اليوم وتذكروه {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} ولا يظلم ربك يا محمد يا رسول الله أحداً من خلقه إلا بما عمل في الدنيا فيحاسبه عليه ولا يظلمه شيئاً.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٥﴾
 ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥٦﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٧﴾ وَرَاءَ الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٨﴾ ﴾

{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ} وإذ أمر الله تعالى الملائكة وقال لهم {اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا} إِلَّا إِبْلِيسَ} أمر الله تعالى الملائكة وهم الملائكة المقربون فسجدوا سجوداً حقيقياً وهو سجود طاعة لله تعالى واحترام لآدم وتفضيل له عليهم لعلمه. والسجود هو بأمر الله تعالى ورضاه سجود على الجباه وليس ركوعاً أو إيماءً كما يظن البعض بل هو سجود حقيقي فالخالق والامر والآذن هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه ولأنه سجود حقيقي على الجباه وليس بالإيماء أو الركوع لم يفعله إبليس ولو كان بالإيماء لفعله إبليس لأنه أخف وطأة عليه من السجود أما السجود على الجبهة جعله يمتنع ويظهر وقوفه ومخالفته بعدم السجود بشكل جلي هو الوحيد والملائكة كلهم سجود {كَانَ مِنَ الْجِنِّ} فإن إبليس من الجن وهو أبو الجن كما أن آدم إنسان وهو أبو الإنسان كما قال تعالى: " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ " ٢٦ الحجر. علماً بأن الذي خلق هو آدم أبو الإنسان من طين وقوله تعالى: " وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ " ٢٧ الحجر. علماً بأن الذي خلق هو إبليس أبو الجان كما أن آدم هو والد الإنسان ولكن الآية تدل على أن الإنسان غير آدم ظاهرياً وكذلك الجان غير إبليس وذلك في ظاهرها وكما ثبت في صحيح

مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من نار وخلق آدم مما وصف لكم فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه وخانه الطبع عند الحاجة وذلك أنه كان قد توسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك فلهذا دخل في خطابهم وعصى بالمخالفة). [ابن كثير ج ٣ ص ٨٨]. وقال الحسن البصري: (ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط وإنه لأصل الجن كما أن آدم عليه السلام أصل البشر). [رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه - ابن كثير ج ٣ ص ٨٨]. والسبب في أمر الملائكة بدون ذكر إبليس لأن الحكم للأكثرية فالملائكة هم الغالبية فجمع معهم إبليس في حكم الملائكة في الأمر مجازاً {فَفَسَقَ} فخرج وعصى وخالف بالمعصية والمخالفة {عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ} عما أمره ربه بالسجود لآدم فعصى {أَفْتَتَّخِذُونَهُ} فهل تتخذونه أيها الناس {وَذُرِّيَّتَهُ} وسلالته من الشياطين {أَوْلِيَاءَ} أتباع {مِنْ دُونِي} أي غير الله تعالى {وَهُمْ} أي إبليس وذريته {لَكُمْ عَدُوٌّ} هم أعداء لكم {بِئْسَ} ساء وقبح {لِلظَّالِمِينَ} للظالمين أنفسهم بالكفر والشرك والمعاصي {بَدَلًا} أي بديلاً عن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وبديلاً عن طاعته {مَا أَشْهَدْتُهُمْ} ما جعلتهم وأحضرت إبليس وذريته ليشاهدوا {خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} ليشاهدوا بدء خلق السموات والأرض {وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ} وما جعلتهم يشاهدون كذلك خلق أنفسهم وبداية خلقهم {وَمَا كُنْتُمْ تُتَّخَذُونَ} ولم يتخذ الله تعالى {الْمُضِلِّينَ} أصحاب الضلال والمعاصي {عَضُدًا} مساعدين ولا مساندين أبداً {وَيَوْمَ} القيامة {يَقُولُ} يقول الله عز وجل للكافرين والمشركين {نَادُوا} استصرخوا واستغيثوا بمناداة {شُرَكَاءِي الَّذِينَ زَعَمْتُمْ} من أشركتموهم معي في سلطاني

وحكمتي وقدرتي وملكي من الذين ادعيتهم {فَدَعَوْهُمْ} فطلبوا نجدتهم ومساعدتهم
ومساندتهم حتى يمنعوهم من عذاب الله تعالى لهم وهم من أشركوهم مع الله تعالى
في الألوهية {فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ} ولكن الأصنام والأوثان والأنداد الذين أشركوهم
مع الله تعالى في العبادة لم يطيعوهم ولم ينقذوهم من عذاب الله تعالى لهم يوم
القيامة {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ} وجعل الله بين الكفار والشركاء من الأصنام والأوثان
والأنداد {مَوْبِقًا} سداً وحاجزاً وانقطاعاً وبعداً عن تلبية مساعدتهم {وَرَاءَ} وشاهد
بأعينهم {الْمَجْرِمُونَ} الذين أجزموا وأذنبوا وعصوا وخالفوا أمر الله تعالى {النَّارِ}
نار جهنم أمامهم {فَظَنُّوا} تأكدوا وتحققوا {أَنَّهُمْ} المشركون والكفار {مُؤَاقِعُوهَا}
أي واقعون فيها لا محالة {وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا} ولم يجدوا عنها ملجأً ولا
فراراً ولا مهرباً.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ
جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ
تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَجُنَدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴿٥٧﴾ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا
أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٨﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ
يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴿٥٩﴾ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى
الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٦٠﴾﴾

{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا} ولقد جعلنا وأنزلنا وبيّنا ووضحنا وفسرنا وأرشدنا وهدينا وقصصنا
وأعطينا و ضربنا الأمثال {فِي هَذَا الْقُرْآنِ} في آيات هذا القرآن الكريم الذي أنزل

على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {لِلنَّاسِ} لجميع الناس كافرهم ومسلمهم ذكرهم وأنثاهم {مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} من كل شيء مثل وعلى كل شيء مثل {وَكَانَ الْإِنْسَانُ} وكان الواحد من الناس ومن بني آدم {أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا} كان أكثر خصماً وجدلاً ومناقشةً واعتراضاً {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ} وما هو الشيء الذي يمنع الناس {أَنْ يُؤْمِنُوا} أن يصدقوا {إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى} إذ أتاهم الإسلام والقرآن والنبي والرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى والإرشاد والتبليغ والإيضاح لجميع المسائل وللشريعة {وَدَسْتَعْفَرُوا رَبَّهُمْ} أي يطلبوا المغفرة والتوبة والندم على ذنوبهم ومعاصيهم الماضية وعلى كفرهم وشركهم {إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ تَفَاجُتُهُمْ وَتَحْضُرَ إِلَيْهِمْ} {سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ} سنة الحياة وقانون الكون الذي وضعه الله تعالى بهلاك العاصين والمذنبين من الأولين {أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا} أو يأتيهم العذاب مباشرة وأمام أعينهم ويشاهدونه بأمر أعينهم {وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ} ولم نرسل ولم نبعث رسل الله تعالى إلى الناس {إِلَّا مُبَشِّرِينَ} إلا مبشرين بشارة فرح وسرور وبشارة خير لمن عبد الله تعالى وأطاعه فله الجنة {وَمُنذِرِينَ} ومحذرين لمن عصى الله تعالى وكفر فله النار عذاباً وعقاباً {وَمُجَادِلٍ} ويخاصم ويعترض ويناقش {الَّذِينَ كَفَرُوا} الذين جحدوا وأنكروا وكذبوا بالرسول {بِالْبَطْلِ} بالضلال والغي والكذب والبهتان {لِيُدْحِضُوا} ليُدْحِضُوا ويُدْحِضُوا ويُمُوهُوا {بِهِ} بالباطل {الْحَقِّ} وهو العدل والصدق والصحيح {وَأَتَّخِذُوا آيَاتِي} وأخذوا آيات الله في القرآن الكريم وحججه ودلائله ومعجزاته وبياناته {وَمَا أَنْذَرُوا} وما جاءهم من تحذير وتنبيه ووعيد بالعقاب والعذاب يوم القيامة {هُزُوءًا} سخرية وضحكاً ولعباً

{وَمَنْ أَظْلَمُ} ومن هو أظلم أي ليس أحد أظلم {مِمَّنْ ذُكِّرَ} ممن وُعظ {بِآيَاتِ رَبِّهِ} بمعجزات وآيات القرآن وحجج ربه الله تعالى {فَأَعْرَضَ عَنْهَا} تولى عنها وخالفها وجحد بها وأنكرها وكذبها {وَنَسِيَ} تلهى وترك ولم يفكر ولم يتذكر {مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ} ما أسلفت يده من المعاصي والذنوب والمحرمات {إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ} جعل الله تعالى بكفرهم على قلوبهم وعلى إنكارهم وتكذيبهم {أَكِنَّةً} أغطيةً وحجباً {أَنْ يَفْقَهُوهُ} أن يفهموه أو يعلموه {وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا} وفي آذانهم وأسماعهم صمماً فهم لا يسمعون إلى نصيحة أبداً {وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى} وإن تطلب منهم اتباع الهدى {فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا} فلن يتبعوا الهدى أبداً مهما حاولت معهم ووعظتهم ونصحتهم.

﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْبِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾

{وَرَبُّكَ} وربك يا محمد يا رسول الله وأنت يا مؤمن ربك وخالقك ورازقك {الْغَفُورُ} الغفور لمن يستغفر ويندم ويتوب عن الذنب والمعصية {ذُو الرَّحْمَةِ} صاحب الرحمة الذي يرحم عباده فهو رحمن رحيم {لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ} لو يعاملهم فوراً {بِمَا كَسَبُوا} بما عملوا من الإثم والذنوب {لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابَ} لاستعجل لهم العذاب في الدنيا وانتقم منهم وعذبهم {بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ} بل لهم وقت معين بالهلاك والموت {لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْبِلًا} لن يجدوا له تغييراً ولا تحويلاً ولا تبديلاً ولا فراراً منه ولا ملجأً غيره {وَتِلْكَ الْقُرَى} وتلك القرى

التي سبقتهم في الأيام الماضية من الأمم السابقة {أَهْلَكْنَاهُمْ} دمرناهم وأمتناهم {لَمَّا ظَلَمُوا} لَمَّا بَغُوا وَطَغُوا وَعَصُوا وَكَفَرُوا {وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ} وجعلنا لهلاكهم {مُّوعِدًا} وقتاً معيناً ومحددًا لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرُحُ حَتَّىٰ ٢ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ٣﴾
 فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ٤ فَلَمَّا جَاوَزَا
 قَالَ لِفَتْنِهِ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ٥ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا
 إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ٦ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ
 فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ٧ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ ٨ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ٩ فَوَجَدَا
 عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَنَّهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَهُ مِنَ لَّدُنَّا عِلْمًا ١٠﴾

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى} عندما قال موسى بن عمران عليه السلام نبي الله ورسوله {لِفَتْنِهِ} وهو خادمه يوشع بن نون {لَآ أَبْرُحُ} لا أزال أمشي وأسير {حَتَّىٰ ٢ أَبْلُغَ} حتى أصل {مَجْمَعَ} ملتقى {الْبَحْرَيْنِ} النيل مع البحر الأبيض المتوسط أو ملتقى فرعي النيل مع بعضهما والله أعلم {أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا} أو أسير دهرًا وزمانًا طويلاً حتى يصل ذلك المكان. وسبب هذا المسير وهذا السفر هو أنه خطب موسى عليه السلام خطبة في بني إسرائيل فسالت عيون القوم بالدموع الغزيرة تأثراً بخطبة ووعظ نبي الله ورسوله موسى عليه السلام لهم فسأل أحد بني إسرائيل موسى عليه السلام هل يوجد على وجه الأرض من هو أعلم منك لما رأى من تأثير خطبة موسى عليه السلام في بني إسرائيل فأجاب موسى عليه السلام بالنفي لأنه ظن أنه لا يوجد على الأرض في ذلك الزمان من هو أعلم منه حيث أنه نبي ورسول وكليم الله تعالى ولكن الله تعالى عاتبه بأنه يوجد له عبد من عباده من هو أعلم من

موسى ولما سأل الله أي موسى عليه السلام أن يريه ذلك الرجل فقال له خذ حوتاً من السمك في مكمل وعند حياة الحوت وسيره في الماء من جديد وفقدانه يوجد ذلك العبد الصالح وهكذا خرج موسى عليه السلام في طلبه {فَلَمَّا بَلَغَا} فلما وصلا موسى عليه السلام وخادمه يوشع بن نون الذي يحمل الحوت في المكمل وهو مملح ومشوي ومعد للأكل كما أمره الله تعالى أن يفعل {مَجْمَعٌ بَيْنَهُمَا} المكان الذي وعده فيه بمقابلة العبد الصالح وهو ملتقى البحرين كما أسلفنا وهما إما ملتقى فرعي النيل مع بعضهما في منطقة معينة أو ملتقى النيل مع البحر المتوسط {نَسِيَا حُوتَهُمَا} تركا حوتهما وهو السمكة المشوية والمعدة لطعامهما في سفرهما {فَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا} فأحيا الله تعالى الحوت وهو تلك السمكة المشوية ولما جاء عليه الماء وأحياه الله تعالى سار الحوت مع الماء في البحر حتى أصبح كأنه سراب أي اختفى عن أعينهما وخاصة عن عين خادمه الذي رأى تلك الواقعة عند نوم موسى عليه السلام {فَلَمَّا جَاوَزَا} فلما ترك موسى عليه السلام وخادمه يوشع ابن نون ذلك المكان واستمرا في السير لمواصلة رحلتهم {قَالَ لِفَتْنِهِ} لما وصل موسى عليه السلام إلى مكان آخر وجلس للراحة وبلغ بهما الجهد والتعب والجوع مبلغه بعد تلك السفارة قال لخادمه {ءَاتِنَا غَدَاءَنَا} وبلغ الجوع من موسى عليه السلام والتعب حتى طلب الغداء والطعام بقوله {لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا} لقد وجدنا من سفرنا ورحلتنا هذه وأصابنا فيها {نَصَبًا} أي تعباً وإرهاقاً شديداً {قَالَ} أجاب فتاه وخادمه يوشع بن نون {أَرَأَيْتَ} هل علمت {إِذْ أَوْيَيْنَا} التجأنا {إِلَى الصَّخْرَةِ} إلى الصخرة التي وصلناها على البحر واسترحنا عليها {فَأِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ} لقد نسيت طعامنا وهو الحوت الموجود في المكمل

(الشنطة أو الصُّرّة أو المكان المعد لحمله فيه) ولم يجعلني أنساه ولا أتذكره إلا الشيطان {أَنْ أذْكُرَهُ} أن أتذكره وأفتكره {وَأَتَّخِذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ} ونسيت أن أخبرك بأن الحوت أي السمكة قد سرت فيه الحياة من جديد وسار في البحر وذلك {عَجَبًا} وذلك شيء عجيب أن يحيا ذلك الحوت ويسير في البحر وشيء غريب أن يحصل ذلك {قَالَ} قال موسى عليه السلام {ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ} ذلك هو المطلوب وهو مرادنا وطلبنا {فَارْتَدَّا} فعادا {عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا} فرجعا يقصان آثار أقدامهما حتى لا يبتعدا عن مكان جلوسهما واستراحتهما على الصخرة التي نسيا عليها الحوت {فَوَجَدَا عَبْدًا} فلقيا على الصخرة رجلاً مُسَجِّيًا ينتظرهما عند الصخرة وهو عبد ورجل صالح {مِّنْ عِبَادِنَا} من عباد الله الصالحين {ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً} أعطاه الله تعالى الولاية وهي رحمة وفضل من الله تعالى يعطيها لعباده الصالحين وهي درجة الولي {مِّنْ عِنْدِنَا} من الله مباشرة وهي هبة يهبها الله لمن أراد من عباده {وَعَلَّمْنَاهُ} وعلمه الله تعالى علم الباطن وعلم الغيب {مِن لَّدُنَّا} وهو من الله ويطلق عليه العلم اللدني وهو علم الله تعالى عن الغيب {عِلْمًا} علماً لا يعلمه نبي الله ورسوله موسى عليه السلام والعبد الصالح هو الخضر عليه السلام كما دلت عليه الأحاديث. وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنما سمي الخضر أنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء). [البخاري ج ٤ ص ١٩٠]. وجاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يقول تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته

كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني لأعطينه ولئن دعاني لأجيبنه ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٧٩]. وقال البخاري: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرني سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس إن نوماً البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر عليه السلام ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل وقال ابن عباس كذب عدو الله ، حدثنا أبي ابن كعب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ قال أنا. فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إليه إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى يا رب وكيف لي به؟ قال تأخذ معك حوتاً فتجعله بمكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فأخذ حوته فجعله بمكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون عليه السلام حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرباً وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا ببقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغداة قال موسى لفتاه (آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً) ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به قال له فتاه: (أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً) قال فكان للحوت سرباً ولموسى وفتاه عجباً فقال ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصاً قال فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى

فقال الخضر وأنى بأرضك السلام فقال أنا موسى فقال موسى بني إسرائيل؟ قال نعم قال أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً (قال إنك لن تستطيع معي صبراً) يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه فقال موسى (ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً) قال له الخضر (فإن اتبعنتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً) فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم ، فقال له موسى قد حملونا بغير نول فعمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟ لقد جئت شيئاً إمرأاً (قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهني من أمري عسراً) قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فكانت الأولى من موسى نسياناً) قال وجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين فقال له الخضر: ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر. ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى (أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً) قال (ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً) قال وهذه أشد من الأولى (قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً) فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض أي مائلاً فقال الخضر بيده فأقامه فقال موسى: قوم أتيناكم فلم يطعمونا ولم يضيفونا (لو شئت لاتخذت عليه أجراً) ، قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: (وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما).
 [ابن كثير ج ٣ ص ٩٣]. وقال ابن جرير: حدثنا عبد الله بن زياد حدثنا حجاج
 ابن محمد عن حمزة الزيات عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
 عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أحداً فدعا له
 بدأ بنفسه فقال ذات يوم: (رحمة الله علينا وعلى موسى لو لبث مع صاحبه
 لأبصر العجب ولكنه قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من
 لدني عذراً). [ابن كثير ج ٣ ص ٩٧].

والخضر عليه السلام هو عالم أهل الباطن قال إبراهيم التيمي رأيت النبي صلى الله
 عليه وسلم في المنام فقال: كل ما يحكى عن الخضر حق وهو عالم أهل الأرض
 ورأس الأبدال وهو من جنود الله تعالى. [نزهة المجالس ص ٥٠٣]. وقال مجاهد:
 (الخضر باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها). [نزهة المجالس ص ٥٠٣]. وقال
 عمر بن دينار: (الخضر وإلياس حيان ما دام القرآن في الأرض فإذا رفع ماتا).
 [نزهة المجالس ص ٥٠٣]. وقال العلائي: إن الخضر وإلياس باقيان إلى يوم القيامة
 فالخضر يدور في البحار يهدي من ضل فيها هذا دأبهما وفي الليل يجتمعان عند
 سد يأجوج ومأجوج يحرسانه. [نزهة المجالس ص ٥٠٦]. وقال أنس بن مالك
 رضي الله عنه: (رأيت شيخاً يقول اللهم اجعلني من أمة محمد صلى الله عليه
 وسلم فقلت له من أنت؟ قال الخضر. [نزهة المجالس ص ٥٠٢]. وقال علي ابن
 أبي طالب رضي الله عنه: (رأيت رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول: [يا من لا
 يشغله شأن عن شأن أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك] فقلت يا عبد الله أعد عليّ
 كلامك!!! فقال: [والذي نفس الخضر بيده (وكان الخضر) لا يقولهن عبد عقب
 كل فريضة إلا غفرت ذنوبه وإن كانت مثل رمل عالج أو عدد القطر وأوراق

(الشجر). [نزهة المجالس ص ٥٠٨]. قيل تكلم ابن الجوزي في معنى قوله تبارك وتعالى: " كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ " عامين فأعجب بنفسه فوثب إليه رجل من المجلس فقال: (يا ابن الجوزي ما يصنع ربنا في هذه الساعة فسكت وختم المجلس ثم قال في الثاني والثالث فرأى في تلك الليلة النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا ابن الجوزي أتدري من السائل؟ قلت لا يا نبي الله قال هو الخضر فإذا سألك فقل له: (شئون يبديها ولا يبتديها) فلما أصبح قال ما يصنع ربنا في هذه الساعة قال شئون يبديها ولا يبتديها فقال له الخضر صل وسلم على من علمك في المنام. [نزهة المجالس ص ٥٠٨].

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ۖ ﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿١٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿١٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٢٠﴾

{قَالَ لَهُ مُوسَىٰ} قال موسى عليه السلام له أي للخضر عليه السلام {هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي} سأل موسى عليه السلام طالباً من الخضر عليه السلام أن يتبعه ويرافقه بحيث يعلمه {مِمَّا عَلَّمْتَ} قائلاً له أن تعلمن مما علمت وعلمك الله {رُشْدًا} صلاحاً وتقوى وعلم الباطن {قَالَ} قال الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام {إِنَّكَ} إنك يا موسى {لَنْ تَسْتَطِيعَ} لن تقدر {مَعِيَ صَبْرًا} أي تصبر على علمي وعملي {وَكَيْفَ تَصْبِرُ} وكيف تستطيع أن تصبر {عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ} خُبْرًا {عَلَىٰ مَا لَمْ يَصَلِّكَ بِهِ} من علم أي ما لم تحط به معرفةً ولم يصلك خبره بعد {قَالَ} قال موسى عليه السلام مجيباً الخضر عليه السلام وعلى صعوبة علمه

{سَتَجِدُنِي} ستلقاني {إِنْ شَاءَ اللَّهُ} إن أراد الله {صَابِرًا} صابراً على مشقة علمك {وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا} ولا أعصي ولا أخالفك وأطيعك فيما تأمرني به وفيما تطلب مني {قَالَ} قال العبد الصالح وهو الخضر عليه السلام {فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي} فإن رافقتني {فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ} فلا تطلب مني إجابة أي سؤال أو تفسير أي عمل أقوم به {حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ} حتى أقص وأتكلم وأجيب لك يا موسى {مِنْهُ} ذكراً {عنه} إجابة وتفسيراً لما أفعله وسأذكره لك بالتفصيل.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقَتَهَا لِيُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧٦﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٨﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكَرًا ﴿٧٩﴾﴾

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٦﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتِكُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٧﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ﴿٧٨﴾ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٩﴾﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾

{فَانْطَلَقَا} انطلقا في مشوارهما يسيران في رفقة بعضهما {حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ} فلما انطلقا يمشيان على شاطئ البحر حتى قدمت سفينة فعرفوا الخضر عليه السلام فأركبوهما في السفينة بدون نوال أي بدون أجرة {خَرَقَهَا} وعندما ركبا في السفينة خرقتها الخضر عليه السلام بالقدوم {قَالَ} قال موسى عليه السلام

معتزلاً على خرق السفينة من الخضر عليه السلام {أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرَقَ أَهْلَهَا} هل خرقها حتى تُغرق أصحابها في البحر بعد خرقها هذا {لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا} بدلاً من المعروف الذي قدّمه أصحاب السفينة لنا بدون أجر وما صنعه معنا خرقت السفينة وأتلفتها وجئت بعمل {إِمْرًا} لا يصلح ولا يجوز ولا يحق لك عمله وهذا هو حكم الشرع عند موسى عليه السلام وهذا هو ظاهر عمله في شريعة موسى عليه السلام {قَالَ} قال الخضر عليه السلام مذكراً له شرطه معه بقوله {أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} ألم أخبرك يا موسى أنك لن تقدر معي أن تصبر على ما لم تحط به خبيراً {قَالَ} قال موسى عليه السلام معتذراً للخضر عليه السلام {لَا تُؤَاخِذْنِي} سامحني واقبل عذري {بِمَا نَسِيتُ} لنسياني شرطك {وَلَا تُرْهِقْنِي} ولا تثقل علي {مِنْ أَمْرِي} من حالي وموقفي هذا {عُسْرًا} أمراً عسيراً وتثقل الطريق أمامي في مرافقتك والتعلم منك {فَأَنْطَلَقَا} فاستمرا في المسير بعد نزولهم من السفينة على الأرض اليابسة {حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا} حتى إذا وجدا غلاماً أي طفلاً صغيراً لم يبلغ الحلم {فَقَتَلَهُ} فقتله الخضر عليه السلام وأزهق روحه {قَالَ} قال موسى عليه السلام للخضر لما رأى ذلك {أَقْتَلْتَهُ} لماذا قتلت {نَفْسًا} أي روحاً أي روح الغلام {زَكِيَّةً} طيبة لم تبلغ الحلم ولم يسجل عليها القلم بعدُ ذنباً {بِغَيْرِ نَفْسٍ} بغير ذنب ولا جرم ولا في مقابل دم ارتكبه. وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة). [متفق عليه - سبل السلام ج ٣ ص ٢٣١].

{لَقَدْ جِئْتِ} لقد عملت يا خضر {شَيْئًا نُّكْرًا} شيئاً منكراً وخارجاً عن الشرع وهو شرع موسى عليه السلام. ولما أنكر موسى على الخضر خرق السفينة نودي يا موسى لما ألقته أمك في التابوت في البحر ألسنت كنت في حفظنا كذلك نحفظ السفينة فلما أنكر عليه قتل الغلام نودي يا موسى أنسيت أنك قتلت نفساً بغير حق يا موسى لو أن النفس التي قتلتها أقرت لي بالتوحيد طرفة عين لأصابك العذاب. والسفينة كانت لعشرة مساكين أخوة ورثوها من أبيهم خمسة يعملون في السفينة أحدهم مجذوم والثاني أعور والثالث أعرج والرابع آدر أي إحدى خصيتيه أكبر من الأخرى والخامس محموم لا تفارقه الحمى وخمسة لا يطيقون العمل أحدهم مقعد والثاني أصم والثالث أبكم والرابع أعمى والخامس مجنون والله أعلم [نزهة المجالس ص ٥٠٦]. {قَالَ} قال الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام مذكراً له وعده وشرطه بقوله {أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ} ألم أقل لك يا موسى إنك {لَنْ} للتأكيد والنفي {تَسْتَطِيعَ} لن تقدر ولن تستطيع {مَعِيَ} مع الخضر عليه السلام {صَبْرًا} أي لن تستطيع الصبر يا موسى عليه السلام على علم وعمل الخضر عليه السلام وهذا دليل على صحة وفراصة علم الغيب عند الخضر عليه السلام لأنه أخبر موسى بداية بعدم الاستطاعة على علم وعمل ومسايرة موسى له {قَالَ} قال موسى عليه السلام للخضر عليه السلام {إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ} إن طلبت منك الاستفسار أو الاعتراض عن أي شيء تفعله {بَعْدَهَا} بعد هذه المرة الثانية {فَلَا تُصَحِّبْنِي} فلا ترافقني واطرقني وفارقني {قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا} لا يوجد لي عذر بعد ذلك من كثرة ما اعترضت عليك وتحملت {فَأَنْطَلَقَا} فاستمرا في المسير ومرافقة بعضهما بعضاً {حَتَّى إِذَا أَتَيَا} حتى إذا مرّا على {أَهْلٍ قَرْيَةٍ} روى ابن

جريح عن ابن سيرين أنها الأيكة. [ابن كثير ج ٣ ص ٩٨]. {أَسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا} طلبا الطعام من أهلها وطلبها من أهل القرية أن يضيفوهما {فَأَبَوْا} فرفض أهل القرية {أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا} أن يقبلوا ضيافتهما في بلدهم لأن أهل تلك القرية كانوا بخلاء لئاماً {فَوَجَدَا} فشهدا {فِيهَا} في القرية {جِدَارًا} حائطاً {يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ} آيل للسقوط وعلى وشك أن يقع {فَأَقَامَهُ} فبناه الخضر عليه السلام بدون أجر ولا مقابل {قَالَ} قال موسى عليه السلام {لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا} لو أردت يا خضر لأخذت عليه أجراً على بنائك هذا حيث أنهم لم يضيفونا ولم يصنعوا معنا معروفاً وهذا الأجر على تعبك ومشقتك في بناء الجدار لهم {قَالَ} قال الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام {هَذَا فِرَاقٌ} هذا فصال ومفارقة {بَيْنِي} بيني أنا الخضر {وَبَيْنِكَ} وبينك يا موسى على لكثرة اعتراضك وعدم صبرك وبناءً على شرطك وتأكيدياً لقولي لك إنك لن تستطيع معي صبراً {سَأُنَبِّئُكَ} سأخبرك {بِتَأْوِيلِ} بتفسير وعلم وخبر {مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} الذي لم تستطع أن تصبر عن الاعتراض عليه.

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ
 مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٦﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ
 يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٧٧﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رِهُمًا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا
 ﴿٧٨﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ
 أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ
 وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴿٧٩﴾ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾

{أَمَّا السَّفِينَةُ} بدأ الخضر عليه السلام وهو عالم أهل الباطن وعالم الأولياء وولي
 الله يخبر موسى عليه السلام ويجيب على أسئلته واعتراضه بما بطن من علم
 الغيب وخفي على علم موسى وهو علم الشريعة وهنا نفرق بين علم الشريعة الذي
 يأخذ بالظاهر وعلم الباطن وهو يأخذ بالجانب الخفي الحسن والطيب وجانب
 الخير بعكس الشريعة تأخذ الجانب الظاهر للعمل وهنا يجيب الخضر عليه السلام
 لماذا خرق السفينة فقال عن السفينة {فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ} أصحابها كانوا مساكين
 وضعفاء وفقراء {يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ} أي يعملون بصيد الأسماك حتى يعتاشوا منها
 {فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا} يقول الخضر عليه السلام أردت أن أجعل بها عيباً حتى
 أحفظها لهم بسبب {وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ} وفي قراءة لابن عباس (كان أمامهم ملك)
 أي أن خلفهم في بلدهم ملك ظالم اسمه هدد بن بدد. [ابن كثير ج ٣ ص ٩٤].
 {يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} يأخذ كل سفينة وجدها صالحة غصباً وبالقوة وبدون
 ثمن يسلبها من أهلها وهذا هو سبب خرقها حتى يبغضها ويكرهها ويتركها
 لهم حتى يعيشوا منها {وَأَمَّا الْغُلَامُ} وأما الطفل الصغير فسبب قتله وإزهاق روحه

{فَكَانَ أَبُوهُ مُؤْمِنِينَ} فكان هو كافراً وكان والداه مؤمنين وتقيين واسم الغلام (يرعمون حيسور). [ابن كثير ج ٣ ص ٩٤]. {فَخَشِينَا} خفنا وكأنه يتكلم باسم جماعة الأولياء حيث أنه رئيس الأولياء وكبيرهم وعالمهم {أَنْ يُرْهَقَهُمَا} أن يثقلهما ويعذبهما ويبعدهما عن عبادة الله تعالى {طُغِينَا} ظلماً وبغياً {وَكُفِّرَا} وجحوداً وإنكاراً وتكذيباً لطاعة الله تعالى وعبادته {فَأَرَدْنَا} الجمع هنا في قوله (فأردنا) وفي قوله (فخشينا) لنفس الخضر عليه السلام تبجيلاً على عمله لتصغير حدث القتل في عين موسى عليه السلام ثقةً واطمئناناً من الخضر عليه السلام لما قام به من عمل حتى يتأكد موسى عليه السلام من صواب عمل الخضر عليه السلام لأن ذلك العمل الذي قام به هو لتكون كلمة الله هي العليا {أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا} أن يرزقهما ربهما {خَيْرًا مِنْهُ} أفضل منه أولاداً صالحين وذرية طيبة تعبد الله تعالى وتطيعه ولا تعق الوالدين {زَكَاةً} طهراً وبراً {وَأَقْرَبَ رَحْمًا} أحسن رحمة وبراً بوالديه {وَأَمَّا الْجِدَارُ} وأما الحائط أو السور {فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ} فكان لطفلين صغيرين {يَتِيمَيْنِ} قد مات أبوهما وهما صغار {فِي الْمَدِينَةِ} روى ابن جريج عن ابن سيرين أنها الأيكة وقيل أنطاكيه {وَوَكَانَ تَحْتَهُ} وكان تحت الجدار والحائط {كَتْرٌ لَهُمَا} كان لهما مال مدفون تحت الجدار والكنز والمال هو عبارة عن لوح من الذهب وقد ورد في حديث مرفوع ما يقوي ذلك قال الحافظ أحمد بن عمرو ابن عبد الخالق البزار في مسنده المشهور حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا بشرى بن المنذر حدثنا الحارث بن عبد الله اليحصبي عن عياش بن عباس الغساني عن أبي حنيفة عن أبي ذر رفعه قال: (إن الكنز الذي ذكره الله في كتابه لوح من ذهب مصمت مكتوب فيه: عجبت لمن أيقن بالقدر لم نصب وعجبت لمن

ذكر النار لم ضحك وعجبت لمن ذكر الموت لم غفل لا إله إلا الله محمد رسول الله). [ابن كثير ج ٣ ص ٩٩]. {وَكَانَ أَبُوهُمَا} وسبب هذا البناء أنه كان والد الغلامين اليتيمين {صَالِحًا} أي متقياً يعبد الله ويخشاه ويعمل أعمالاً صالحة في طاعة الله ومرضاته وهو من الصالحين {فَأَرَادَ رَبُّكَ} فأراد ربك يا موسى يا رسول الله مكافأةً لوالدهما الرجل الصالح التقي. ويلاحظ هنا أن الخضر عليه السلام لم ينسب هنا الإرادة لنفسه لأن الرزق بيد الله تعالى وهو الرازق والمتكفل به {أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا} أن يبلغا الحلم ويبلغا من القوة شدة الرجال {وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا} ويخرجا كنزهما ومالهما المدفون تحت الجدار وحتى يستعينا بذلك المال على حياتهما ومعيشتهما {رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ} وهذه إرادة الله بأن أبني لهما الجدار لحفظ كنزهما لهما حتى يبلغا أشدهما وقوة الرجال وتلك إرادة الله ورحمة منه لهذين الغلامين اليتيمين بحفظ كنزهما لهما وذلك لصالح والدهما وكما قال تعالى: " وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا " ٩ النساء. {وَمَا فَعَلْتُهُ} وما فعلت كل ذلك من خرق السفينة أو قتل الغلام أو بناء الجدار {عَنْ أَمْرِي} من أمري ومن عند نفسي ولا بناءً على رغبتني وشهوتي بل أمرني وألهمني الله بها وكما جاء في الحديث الذي رواه البخاري: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها) وتكملة الحديث ما ذكر سابقاً {ذَلِكَ تَأْوِيلُ} ذلك هو تفسير وتوضيح وبيان وشرح وإجابة {مَا لَمْ تَسْطِعْ} ما لم تستطع. وتستطع هنا مجزومة بـ (لم) {عَلَيْهِ صَبْرًا} عليه تحملاً وصبراً وجلداً بل اعترضت دائماً لأنك أخذت الجانب السيئ ولم

تأخذ من عملي الجانب الحسن والطيب والخير. وكذلك لم يصبر سيدنا موسى عليه السلام على مرافقة الخضر عليه السلام وعلى علمه لأنه يحكم بظاهر الشرع على العمل الذي يراه أمامه. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أحداً فدعا له بدأ بنفسه فقال ذات يوم: (رحمة الله علينا وعلى موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب ولكنه قال: " إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا "). [ابن كثير ج ٣ ص ٩٧].

وذكر ابن قتيبة في المعارف أن اسم الخضر بلياء بن ملكان بن فالغ بن عامر ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام قالوا ويكنى أبا العباس ويلقب بالخضر وكان من أبناء الملوك ذكره النووي في تهذيب الأسماء وحكى هو وغيره في كونه باقيا إلى الآن ثم إلى يوم القيامة قولين ومال هو وابن الصلاح إلى بقائه. [ابن كثير ج ٣ ص ٩٩].

وهو عالم الأولياء وليس نبياً لأن القرآن الكريم لم يذكر نبوته بل هو عبد من عباد الله الصالحين وذلك لأنه عند وجود الأنبياء مع بعضهم يكونون مساندين لبعضهم ومدافعين عن بعضهم البعض كإبراهيم عليه السلام دافع عن لوط أمام الملائكة عندما أرسلوا لقوم لوط وكذلك موسى مع أخيه هارون كما قال تعالى: " وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي {٢٩} هَارُونَ أَخِي {٣٠} اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي {٣١} وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي " طه. وكذلك رسل القرية كما قال تعالى: " إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ " ١٤ يس. والرسول والأنبياء لهم معجزات وأما الأولياء فلهم كرامات والاعتراض من الرسل على الأولياء هو للاستفسار وهم يغبطونهم بتلك الكرامات كما قال ابن جرير: حدثنا أبو هشام الرفاعي حدثنا ابن

فضيل حدثنا أبي عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير البجلي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من عباد الله عبادةً يغبطهم الأنبياء والشهداء) قيل من هم يا رسول الله لعلنا نحبيهم؟ قال: (هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس) ثم قرأ " أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ". [ابن كثير ج ٣ ص ٤٢٢]. واستفهم نبي الله ورسوله زكريا عليه السلام من مريم وعن الطعام الذي يأتيها كما قال تعالى: " وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ " ٣٧ آل عمران. وهي ليست نبيه بل صديقة ووليه من أولياء الله تعالى. والنبي يتعلم من الرسول ويطبق شرعه وليس العكس لأن الرسول صاحب كتاب ورسالة فهو أعلم من النبي قطعاً. وقد ذهب كثيرون كما ذكره ابن كثير في تفسيره إلى أن الخضر عليه السلام لم يكن نبياً بل كان ولياً. [ابن كثير ج ٣ ص ٩٩].

وحياة الخضر إلى يوم القيامة لأنه شرب من ماء الحياة كما سيأتي ذكره في قصة ذي القرنين وفي بقائه حياً إلى يوم القيامة حجة على الناس لمن يسأل منهم عن قدرة الله تعالى في أن يحيي بشراً إلى يوم القيامة وأن لا يموت فهل يقدر الله على ذلك؟ فالخضر عليه السلام هو جواب سؤاله بأنه لا يزال حياً إلى يوم القيامة وهذا من الإيمان بالغيب كما جاء في أول سورة البقرة. وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: (الخضر وإلياس يصومان رمضان في كل عام ببيت المقدس). [نزهة المجالس ص ٥٠٢]. قال القرطبي في سورة الصافات أصاب إلياس مرض شديد فبكى فأوحى الله إليه بكاؤك حرصاً على الدنيا أو خوفاً من الموت أو خوفاً من

النار فقال لا وعزتك إنما جزعي كيف يحمدك الحامدون بعدي ويصوم الصائمون بعدي فقال الله تعالى لأؤخرنك إلى وقت لا يذكرني فيه ذاكر يعني إلى يوم القيامة. [نزهة المجالس ص ٥٠٣]. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أخوي الخضر وإلياس يحجان في كل عام ويشربان من زمزم شربة فتكفيهما إلى قابل وطعامهما الكرفس). [نزهة المجالس ص ٥٠٨]. وأخرج العقيني في الضعفاء والدارقطني في الأفراد وابن عساكر عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يلتقي الخضر وإلياس كل عام في الموسم ويفترقان على هؤلاء الكلمات: (بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله ما كان من نعمة فمن الله بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله). قال ابن عباس من قالهن حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات أمنه الله من الغرق ومن الحرق ومن السرقة ومن الشيطان والسلطان ومن الحية والعقرب. [أحكام الجان ص ١٣٥]. وفي رواية أخرى: (يجتمع الخضر وإلياس عليهما السلام في كل عام على عرفات فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان على هؤلاء الكلمات: (بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله بسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله بسم الله ما شاء الله لا يأتي بالحسنات إلا الله بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله). فمن قالها حفظ من كل آفة وعاهة وعدو وظالم وسلطان وشيطان وحية وعقرب وما من أحد يقولها يوم عرفة مائة مرة إلا ناداه الله فقال قد أرضيتني ورضيت عنك فاسألني ما شئت وعزتي لأعطينك). [نزهة المجالس ص ٧٥].

وهنا نجيب على من اعتمد على آية قرآنية عامة وحديث عام بوجوب موت الخضر عليه السلام والحديث هو أنه أخبر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

قبل موته بقليل أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض إلى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف هذا هو الحديث الذي اعتمد عليه البعض في القول بموت الخضر عليه السلام وكذلك اعتمد البعض الآخر على الآية القرآنية العامة وهي قوله تعالى: " وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ " علماً بأن الحكم هنا عام والحكم العام يكون له عادة استثناء قد يذكر أو لا يذكر ويعلم ضمناً مثل الدجال وعيسى عليه السلام وهما لا يزالان حييين إلى يوم القيامة ومن أمثلة الحكم العام قوله تعالى عن بلقيس ملكة سبأ: " وَأوتيت من كل شيء " ولم تؤت ملك سيدنا سليمان وكذلك قوله تعالى: " فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ " ١٨٥ البقرة. عن الصيام ولكن هناك استثناءات للمريض والمسافر. كما استثنى الله تعالى وبدون ذكر المستثنى لأنه معروف ضمناً في قوله تعالى: " وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا " ولكنه لم يأمر إبليس لفظاً معهم بالسجود ولكنه في الاستثناء قال: " إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ " ٣٤ البقرة. وكذلك قوله تعالى: " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً " ٣٨ الرعد. ولكنه لم يتزوج لا عيسى عليه السلام ولا يحيى بن زكريا عليهما السلام ولم ينجبا ذرية. وعليه الخضر عليه السلام حي يرزق وهو من جند الله تعالى وكما قال تعالى: " وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ " ٣١ المدثر. وهنا نذكر قصة مماثلة لحياة الخضر عليه السلام وقعت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كتب عمر رضي الله تعالى عنه إلى سعد ابن أبي وقاص وهو بالقادسية أن وجه نضلة بن معاوية إلى حلوان فوجه سعد نضلة في ثلاثمائة فارس فخرجوا حتى أتوا حلوان فأغاروا على نواحيها وأصابوا غنيمة وسبياً فرجعوا فجعلوا يسوقون الغنيمة والسبي حتى نزلوا إلى سطح جبل ثم قام

نضلة فأذن للصلاة وقال: الله أكبر الله أكبر فإذا مجيب من الجبل يجيبه كبرت كبيراً يا نضلة ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله قال: هي كلمة الإخلاص يا نضلة ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله قال: هو الذي بشرنا به عيسى عليه السلام ثم قال: حيّ على الصلاة قال: طوبى لمن مشى إليها وواظب عليها ثم قال: حيّ على الفلاح قال: أفلح من أجاب محمداً صلى الله عليه وسلم وهو البقاء لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله قال: أخلصت إخلاصاً يا نضلة فحرّم الله بها جسدك على النار فلما فرغ من أذانه قال من أنت رحمك الله أملك أنت أما ساكن من الجن أم طائف من عباد الله أسمعنا صوتك فأرنا صورتك فإننا وفد الله عز وجل ووفد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فإذا شيخ له هامة كالرحا أبيض الرأس واللحية عليه طمران من صوف فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقلنا وعليك السلام والرحمة من أنت رحمك الله؟ قال أنا زرنب ابن يرعلا وصي العبد الصالح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أسكنني هذا الجبل ودعا لي بطول البقاء إلى وقت نزوله من السماء فأما إذا فاتني لقاء محمد صلى الله عليه وسلم فأقرئوا عمر مني السلام وقولوا له يا عمر سدد وقارب فقد دنا الأمر وأخبروه بهذه الخصال التي أخبركم بها إذا ظهرت في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالهرب الهرب إذا استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وانتسبوا إلى غير مناسبهم ولم يرحم كبيرهم صغيرهم ولم يوقر صغيرهم كبيرهم وتركوا الأمر بالمعروف فلم يأمرؤا به وتركوا النهي عن المنكر فلم ينهوا عنه ويتعلم عالمهم العلم ليجلب به الدنانير والدراهم وكان المطر قيظاً يعني أيام الصيف والولد غيظاً يعني يغيط والديه ويفيض اللثام فيضاً ويغيض الكرام غيضاً يعني

يقولون وشيدوا البناء واتبعوا الهوى وباعوا الدين بالدنيا واستخفوا بالدماء وقطعوا الأرحام وباعوا الحكم وطولوا المنارات وفضضوا المصاحف وزخرفوا المساجد وأظهروا الرشا وأكلوا الربا وصار الغنى عزيزاً وركب النساء السروج ثم غاب عنا. وذكر أن سعداً خرج بعد ذلك في أربعة آلاف رجل فنزل هناك أربعين يوماً يؤذن لكل صلاة فلم يسمع جواباً ولا كلاماً. [تنبيه الغافلين للسمرقندي ص ٢١٧ - وقد ذكر هذه القصة أيضاً الحافظ ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية بسند مغاير مع بعض الاختلافات اليسيرة منها أن الذي بعثه سعد بن أبي وقاص نضلة ابن عمرو الأنصاري وقد عقب ابن حجر على القصة بقوله: هذا موقف غريب من هذا الوجه ما رأيته بطوله إلا بهذا الإسناد وقد رواه عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبي عن مالك عن نافع عن ابن عمر فذكره وليس بطوله فيما أرى وسمى الأمير نضلة بن معاوية أخرجه الدارقطني في غرائب مالك من طريقه ووقع لنا بإسناد آخر فسمى جعونة بن نضلة والله أعلم]. والأحاديث الدالة على حياة الخضر عليه السلام وإلى يوم القيامة فهي من الغيب الذي أمرنا أن نؤمن به قبل الصلاة وقبل الزكاة كما قال تعالى في أول سورة البقرة: " الم {١} ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ {٢} الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ {٣} " مع ملاحظة أن أركان الإيمان الخمس كلها من الغيب فالله تعالى غيب وملائكته غيب وكتبه غيب ورسله غيب ولم نرهم واليوم الآخر غيب والجنة غيب والنار غيب والبعث غيب وكذلك الخضر عليه السلام وقصته وقصة أصحاب الكهف كذلك غيب كما أن الأحاديث غيب ويجب الإيمان بها وتصديقها ولو كانت من شيطان لقوله صلى الله عليه وسلم عن الشيطان الذي علم أبا هريرة آية الكرسي بأنه من قرأها في صباح ومساء لا يزال عليه من الله

حافظ يحفظه من الجن قال له صلى الله عليه وسلم: (صدقك وهو كذوب) ولم يقل له لا تصدق الكذاب وكذلك قالها أبو بكر لأبي جهل وكفار قريش عندما أعلموه برحلة الإسراء والمعراج وهم مشركون فلم يكذب بحديثهم وإخبارهم عن النبي صلى الله عليه وسلم بل قال: (والله لئن قال ذلك لقد صدق). وحتى ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن لا نكذب أهل التوراة والإنجيل في حديثهم وكتبهم والله أخبرنا في القرآن الكريم بأنهم حرفوا كتبهم ولكن صلى الله عليه وسلم قال: (لا تكذبوهم ولا تصدقوهم). خوفاً أن يكون ذلك من الذي لم يُحرف ونقع في ذنب التكذيب لآيات الله وكلام الله وأمر الله تعالى واحذر من التكذيب أو الشك في غيبيات الله تعالى لقوله تعالى: " أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ " ٨٥ البقرة. وقال تعالى: " وَمَا يَعْزُبُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ " ٤٣ العنكبوت.

﴿ وَيسألونك عن ذى القرنين ٥٤ قل سأتلوا عليكم منه ذكراً ٥٥ ﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي

الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ٥٦ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ٥٧ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ

الشمسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْدَأُ الْقَرْنَيْنِ إِمَّا

أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ٥٨ قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ

إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ٥٩ وَأَمَا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ ٦٠

وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ٦١ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ٦٢ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ

وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ٦٣ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا

لَدَيْهِ خُبْرًا ٦٤ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ٦٥ ﴿

{وَيَسْأَلُونَكَ} ويسألونك الكفار في مكة يا محمد يا رسول الله ويطلبون منك أن

تجيبهم {عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ} عن قصة ذي القرنين والقصة كما أسلفنا أن كفار مكة

سألوا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بناء على طلب أحبار يهود حتى يعلموا صدق رسالة ونبوة سيدنا محمد وهي أن يسألوه حتى يعلموا هل هو رسول أم لا فاسألوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنهم قد كان لهم حديث عجب (أي أهل الكهف) واسألوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه (أي ذو القرنين) والثالثة اسألوه عن الروح ما هو فأنزل الله تبارك وتعالى: " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ " وقصته {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {سَأَلُوا عَلَيْكُمْ} سأقرأ وأقص عليكم {مِنْهُ ذِكْرًا} عنه خبراً وما هي قصته. قال جعفر بن محمد كان لذي القرنين صديق من الملائكة فقال له أخبرني عن عبادة الملائكة في السماء قال منهم قيام وقعود وسجود إلى يوم القيامة ثم تقول سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وقال ذو القرنين إني أحب أن أعيش حتى أعبد الله حق عبادته فقال الملك إن أردت ذلك فإن في الأرض عيناً يقال لها عين الحياة من شرب منها لا يموت حتى يسأل ربه الموت لكنها في ظلمة فجمع العلماء وقال هل قرأتم في كتب الله أن في الأرض عيناً يقال لها عين الحياة فقال واحد منهم نعم عند مطلع الشمس في ظلمة فسار ذو القرنين على ألف فرس من الخيل الأخضر البكر لقوة نظرها وتقدم الخضر أمامه بألف فارس فقال الخضر كيف يفعل من ضلّ منا عن صاحبه ونحن في ظلمة فقال إن ضللت الطريق فألقي هذه الخرزة ودفع إليه خرزة حمراء فإذا صاحت فليرجع إليها الضال فسار الخضر بين يديه إذا ارتحل. هذا فبينما الخضر يسير إذ عارضه وادّ فغلب على ظنه أن العين فيه فرمى الخرزة فأضاءت الظلمة وصاحت الخرزة فإذا هي على حافة عين ماؤها أبيض من اللبن وأحلى من العسل فقال لأصحابه امكثوا ثم نزل فشرب منها واغتسل وسار ذو القرنين وأخطأ العين وقال العلائي: كان الخضر عليه السلام ابن خالة ذي القرنين

ووزيره ومشيره وذو القرنين من ذرية يونان بن نوح عليه السلام ويساعده وفي العرائس فإنه جعل بين الخضر وبين سام بن نوح أربعة أجداد وكان في زمن إبراهيم وقد اجتمع به في مكة فقال مقاتل كان إبراهيم بفلسطين فسمع صوتاً فقبل ما هذا قال ذو القرنين فقال لرجل اذهب إليه فأقرئه مني السلام فلما جاءه قال الخليل ههنا قال نعم فنزل عن فرسه فقبل له بينك وبينه مسافة بعيدة فقال ما كنت لأركب بأرض فيها خليل الله فقام له إبراهيم عليه السلام وسلم عليه وأهدى له بقراً وغنماً وجعل له ضيافة وكان الخضر صاحب لواءه الأعظم وقيل أن ذا القرنين أحد الأربعة الذين ملكوا الدنيا وسليمان عليه السلام وبختنصر والنمرود والخامس من هذه الأمة سيكون هو المهدي. [نزهة المجالس ص ٥٠٤]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما إن إبراهيم اجتمع بذي القرنين فقال له بم قطعت الدهر وأنت ملكت المشرق والمغرب فقال بقولي قل هو الله أحد وبهؤلاء الكلمات من قالها كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة فقال إبراهيم أعرضهن عليّ فقال: (سبحان من هو باق لا يفنى سبحان من هو عالم لا ينسى سبحان من هو قيوم لا ينام سبحان من هو دائم لا يسهو سبحان من هو واسع لا يتكلف سبحان من هو قائم لا يلهو سبحان من هو عزيز لا يضام). [نزهة المجالس ص ٦٠]. وقيل إنه سُمي بذي القرنين لأنه بلغ قرني الشمس عند طلوعها وعند غروبها ولا مانع من أن يكون سبب التسمية أن له قرنين حقيقيين في رأسه وهذا ليس شيئاً عجاباً حيث أني رأيت بأم عيني في التلفاز في قناة اليمن الفضائية رجلاً شيخاً كبيراً من أهل اليمن له قرن في رأسه كقرن المعز ولا أذكر اسمه الآن {إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ} لقد مكن الله لذي القرنين في أن يحكم الأرض بالحكم والسيطرة وطوى له الأرض {وَوَاعَاتَيْنَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ} لقد أعطاه الله

الإمكانيات والمعدات {سَبَبًا} فهو سبب في قضاء حاجاته ومتطلباته في الدنيا وكذلك من العلم والدراية والمعرفة والقوة {فَأَتَّبَعَ سَبَبًا} فأخذ بالأسباب في جميع أموره {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ} حتى طوى الله له الأرض حتى إذا وصل إلى غياب الشمس على الأرض وهو آخر مكان توصل له جهة المغرب {وَوَجَدَهَا} شاهد ذو القرنين في جهة غروب الشمس أن الشمس {تَغْرُبُ} أي تغيب {فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ} شديدة الحرارة أي في عين ثلجية حارة وتفسير ذلك في القطب الجنوبي من الأرض وجود ثلج وأن الثلج إذا لمس جسم الإنسان يحرقه وكأنه ماء يغلي ولذلك توقف ذو القرنين عند هذا المكان لأن الثلج يحرق الأجساد إذا لمسها عند القطب الجنوبي وهذا ما اكتشفه وفد من البحرين خرج في رحلة إلى القطب الجنوبي ومكث الوفد هناك عشرة أيام وأكدوا مشاهدات غريبة منها أنه إذا أصاب الثلج جسم الإنسان تأذى وحرقه وهذا تأكيد قوله تعالى " تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ " أي شديدة الحرارة وشاهدوا أيضاً أن الشمس تغرب وتطلع في ثوانٍ أي دائمة الشروق وكما أسلفنا أنهم مكثوا عشرة أيام وشاهدوا كذلك الانهيارات الثلجية باستمرار حتى لا تُبقي لهم مسكناً بل تجرفه معها ويجددوا مساكنهم باستمرار وهو أول وفد عربي يزور القطب الجنوبي {وَوَجَدَ عِنْدَهَا} ووجد عند ذلك المكان {قَوْمًا} وهم سكان القطب الجنوبي {قُلْنَا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ} أوحى الله إلى ذي القرنين {إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ} إما أن تعاقب من أساء منهم أو أذنب {وَأِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا} وإما أن تعاملهم بالحسنى وتعفو عنهم ولا تعاقبهم {قَالَ} قال ذو القرنين {أَمَّا مَنْ ظَلَمَ} أما من أذنب وطغى وبغى {فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ} فسوف نعاقبه على ذنبه {ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ} ثم يعاد إلى ربه يوم القيامة {فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا}

فيعذبه عذاباً أليماً وشديداً {وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ} وأما من صدق وآمن بالله رباً
 وبملائكته وكتبه واليوم الآخر {وَعَمِلَ صَالِحًا} وعمل الصالحات وأعمال الخير في
 طاعة الله ومرضاته {فَلَهُ جَزَاءٌ} فله ثواباً {أَحْسَنُ} أحسن وأفضل مكافأة وجزاءً
 على عمله {وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا} سنقول له ونعامله بلطف وسهولة ومعاملة
 حسنة. {ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا} ثم استمر في طريقه وفي سيره {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ
 الشَّمْسِ} حتى إذا بلغ مكاناً تشرق منه الشمس وهو أقصى مكان وصل عنده
 لشرق الشمس {وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ} شاهد الشمس تطلع على قوم وهم قوم
 القطب الشمالي من الأرض {لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا} أي لا توجد هناك
 أشجار ترد عنهم حرارة الشمس لأن الثلج يمنع أن تنبت الأشجار العالية والكثيفة
 {كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا} وكذلك الله تعالى يعلم بما وصل إليه ذو
 القرنين فهو علام الغيوب ويحيط بعلمه بكل ما يدور لذي القرنين {ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا}
 ثم استمر في طريقه متبعاً الأسباب لمواصلة سفره.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۗ ﴿١٣﴾
 قَالُوا يَبْنَؤُا الْقَرْيَتَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا
 عَلَيَّ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۗ ﴿١٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ
 أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۗ ﴿١٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ
 قَالَ أَنْفُخُوا ۗ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۗ ﴿١٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ
 يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ۗ ﴿١٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۗ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي
 جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۗ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۗ ﴿١٨﴾ ﴾

{ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ } واستمر ذو القرنين في طريقه وفي رحلته في الأرض وبعد أن بلغ
 ووصل مغرب الشمس ومطلعها وسار حتى وصل { بَيْنَ السَّدَّيْنِ } بين الحاجزين
 وهما جبلان متقابلان وقريبان من بعضهما قليلاً قيل أنها في منقطع بلاد الترك
 والله أعلم { وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا } وجد أمامهما أي قبلهما قوماً وأمةً من
 الناس { لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا } أي هم من الأعاجم لا يفهمون إلا لغتهم. وفي
 مسند الإمام أحمد عن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ولد نوح
 ثلاثة: سام أبو العرب وحام أبو السودان ويافث أبو الترك) قال بعض العلماء هؤلاء
 من نسل يافث أبي الترك وقال إنما سمي هؤلاء تركاً لأنهم تركوا من وراء السد من
 هذه الجهة وإلا فهم أقرباء أولئك ولكن كان في أولئك بغي وفساد وجراءة. [ابن
 كثير ج ٣ ص ١٠٤]. فلا يكادون يفقهون قولاً أي لا يعلمون لغة غيرهم لأنهم أعاجم
 وهم الترك وكما أسلفنا سموا بالترك لأنهم تركوا خلف السد أي من الجهة المقابلة
 ليأجوج ومأجوج { قَالُوا يَبْنَؤُا الْقَرْيَتَيْنِ } قال هؤلاء الأقوام الذين يسكنون بلاد الترك
 أي تركيا الآن لذي القرنين { إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ } ويأجوج

ومأجوج هما الآن ما يعرف بالصين والاتحاد السوفييتي وهم مفسدون في الأرض أي أنهم لا يدينون لا بدين ولا بشريعة سماوية وإلى يوم القيامة إلا جزءاً قليلاً ممن يُسلم منهم وهم قليل والحكم دائماً للأغلبية وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ولم يذكر إبليس لأنه أقلية والحكم دائماً للأغلبية. وحتى اليوم فهم شيوعيون ولا يدينون بدين سماوي وخاصة دين الإسلام والبعض من الناس ربما يقول ما الذي يمنع الدول التي تملك الآن الطائرات والقنابل الذرية من تجاوز السد وعبره نرد عليهم ببساطة أنه عندما نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم لم يملكون في ذلك العصر سوى الخيل والبغال والحمير والسيوف والرماح وكيف وقصة ذي القرنين قبلهما بألوف السنين فمن أين لهم الطائرات والدبابات والقنابل الذرية أي إنهم لا يملكون سوى القدوم والفأس فكيف يهدمون سداً عظيماً صنع من الحديد والنحاس والرصاص ماذا يفعل القدوم في ذلك؟! علماً أنهم سيدمرون كل شيء يطاونه بأقدامهم بعد نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال وقبل يوم القيامة أما الآن فيوجد بينهم وبين الناس سلم وليس في حالة حرب وعندما يريد الله تعالى خروجهم لهلاك الناس يكونون في حالة حرب وفي الحرب يُهلك الحرث والنسل والنبات والشجر وهذا مثاله بين الدول عندما تكون في حالة السلم تكون بينهم التجارة والسياحة والزيارة والتبادل في بعض الأشياء الهامة أما في حالة الحرب فينتهي كل ذلك الود والوصال والتجارة والسياحة والزيارة ويتبادلون بدلاً من ذلك الهلاك والموت والفساد كما قالت بلقيس في قوله تعالى: " إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا " وعليه على الأمة الإسلامية أن تعقل قرآنها ولا تتحجر عقولهم عند نص الكلمة بل يتوسع أفقهم لمعنى القرآن والأحاديث لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر بعض الأحاديث توقف بعض الصحابة عند النص ولم يتسع أفق

علمهم أبعد من النص فأعلمهم الرسول عليه الصلاة والسلام بعكس ذلك ومنها على سبيل المثال لا الحصر وواحد منها قال صلى الله عليه وسلم: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) فقال الصحابة هذا المظلوم فما بال الظالم ففسره لهم بعكس ما ظنوا بقوله أن تأخذوا على يديه (أي تمنعوه من الظلم) وحديث آخر قال صلى الله عليه وسلم: (لا تستضيئوا بنار المشركين). [ابن كثير ج ١ ص ٣٩٨]. فظن المسلمون أن معنى الحديث هو ظاهره بأن لا يأخذوا ناراً من المشركين للطهي أو خلافه ولما ذهبوا إلى الحسن البصري لأنهم وجدوا حديثاً يعارض ذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (الناس شركاء في النار والماء والكلاء) فكيف تضارب الحديثان فقال لهم الحسن البصري عكس ما ظنوا وفسره لهم: (أي لا تأخذوا برأي المشركين) والحديث الثالث: قال صلى الله عليه وسلم: (يوشك العلم أن يُرفع - قالها ثلاثاً) قال زيد بن لبيد: وكيف يرفع العلم منا وهذا كتاب الله بين أظهرنا قد قرأناه ويُقرئه أبناؤنا أبناءهم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (ثكلتك أمك يا زيد بن لبيد إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة ، أوليس هؤلاء اليهود والنصارى عندهم التوراة والإنجيل فما أغنى عنهم؟ إن الله ليس يذهب بالعلم برفع ولكن يذهب بحمّلتة لا قلّ ما قبض الله عالماً من هذه الأمة إلا كان ثغرة في الإسلام لا تسد بمثله إلى يوم القيامة). [ابن عساكر عن أبي شجرة - كنز العمال ص ٢٣٢]. ومثل هذا قوله تعالى: " وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا " فهنا وصف هؤلاء الكفار بأنهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون هو مجاز فقط وليس أنهم عمي وبكم وأنهم لا يفقهون شيئاً فهذا هم الكفار في عصرنا هذا قد صنعوا أحدث الأجهزة الإلكترونية والحواسيب والأقمار الصناعية حتى وصلوا القمر والمريخ ولكنه بمعنى أنهم لا

يفقهون الحق ولا يبصرون طريق الهدى ولا يسمعونه ولا يتبعونه. وعليه فإن يأجوج ومأجوج هما الصين والاتحاد السوفييتي وجمهورياته وهما أمتان أو دولتان كما هما في وقتنا الحاضر وهم أكثر من نصف سكان الأرض كما ثبت في الصحيحين: (إن الله تعالى يقول: يا آدم فيقول لبيك وسعديك فيقول ابعث بعث النار فيقول وما بعث النار؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها فقال إن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج). [ابن كثير ج ٣ ص ١٠٣]. وهذا الحديث يُستدل منه أن يأجوج ومأجوج هما أمتان أي دولتان وهما الصين وروسيا. وروى ابن عساکر عن عبد الله بن عمرو قال: (الملائكة عشرة أجزاء فتسعة أجزاء الكروبيون الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون وجزء واحد الذين وكلوا بخزائن كل شيء. والملائكة والجن والإنس عشرة أجزاء تسعة أجزاء الملائكة وجزء واحد الإنس والجن. والإنس عشرة أجزاء تسعة أجزاء الجن وجزء واحد الإنس فإذا وُلد وُلد من الإنس وُلد معه تسعة من الجن. والإنس عشرة أجزاء فتسعة أجزاء يأجوج ومأجوج وجزء واحد سائر الإنس وما من السماء موضع إهاب إلا عليه ملك ساجد وقائم وإن الحرم محرم ما بحياله إلى العرش وإن البيت المعمور بحيال البيت لو سقط سقط عليه يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا). ومن هذه الأحاديث علينا أن نأخذ بجوهر القرآن والسنة وليس نصهما حرفياً ومن هنا نعلم أن قوم يأجوج ومأجوج هما من ذرية آدم عليه السلام ولكنهما عاصون وكافرون ومشركون كما لنوح عليه السلام ابناً وزوجة كافرين وكذلك زوجة لوط عليه السلام كانت كافرة وهكذا أمة يأجوج ومأجوج كافرتين ومشركتين وشيوعيتين ومفسدتين بالنسبة للحرث والنسل لأن الشيوعية لا دين لها وهذا بلفظ القرآن في

قوله تعالى: " إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ " والإفساد هو الشيوعية في العصر الحديث وفي ذلك الزمان بالسلب والنهب والقتل وهذه سنة كل ما كان قبل رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الجاهلية وليس في ذلك شيء غريب في هذا الإفساد. قال الطبراني: حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس الأصبهاني حدثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا المغيرة بن مسلم عن أبي إسحاق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ وَلَوْ أُرْسِلُوا لِأَفْسَدُوا عَلَى النَّاسِ مَعَايِشَهُمْ وَلَنْ يَمُوتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا تَرَكَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَلْفًا فَصَاعِدًا وَإِنْ مِنْ وَرَائِهِمْ ثَلَاثُ أُمَمٍ: تَأْوِيلٌ وَتَأْيِيسٌ وَمَنْسُكٌ). [ابن كثير ج ٣ ص ١٠٦]. وروى النسائي من حديث شعبة عن النعمان بن سالم عن عمرو بن أوس عن أبيه عن جده أوس ابن أبي أوس مرفوعاً: (إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَهُمْ نِسَاءٌ يَجَامِعُونَ مَا شَاءُوا وَشَجَرٌ يَلْقَحُونَ مَا شَاءُوا وَلَا يَمُوتُ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا تَرَكَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَلْفًا فَصَاعِدًا). [ابن كثير ج ٣ ص ١٠٦]. وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بعثني الله تعالى حين أسري بي إلى يأجوج ومأجوج فدعوتهم إلى دين الله وعبادته فأبوا أن يجيبوني فهم في النار مع من عصا من ولد آدم وولد إبليس). [كتاب الفتن لنعيم بن حماد ص ٤٠٤]. {فَهَلْ نُجْعَلُ لَكَ} فهل نجعل لك ونعطيك في مقابل عمل السد بيننا وبين يأجوج ومأجوج {خَرَجًا} أجراً وخراجاً {عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ} في مقابل أن تجعل بيننا نحن أهل الترك وبين يأجوج ومأجوج وهما كما أسلفنا الصين وروسيا (الاتحاد السوفييتي سابقاً) {سَدًّا} حائطاً وحاجزاً منيعاً والسد هو بين جبلين على حدود تركيا يخرج منهما أو يدخل منهما أمة يأجوج ومأجوج على بلاد الترك فيعيثون فيها فساداً وخراباً ويهلكون الحرث

والنسل وكل ما تصل إليه أيديهم. {قَالَ} قال ذو القرنين لأولئك القوم وهم أهل الترك في ذلك الزمان لأنهم على طريق ومعبر المفسدين من أمة يأجوج ومأجوج في ذلك العصر {مَا مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي} ما أعطاني ربي وملكني من مال وغنى وعدم احتياج لخراجكم {خَيْرٌ} هو أفضل وأحسن من عطائكم وخراجكم وأجركم لي {فَاعِينُونِي} ولكن ساعدوني {بِقُوَّةٍ} أي جمع من الناس يعملون بعمل شاق معي لسرعة الإنجاز والقوة هنا هي مجموعة من الناس الفنيين والمهنيين والبنائين والحدادين كما يقال في الحرب (نريد قوة جديدة تساعدنا) أي نجدة من الجند الجدد لدعم القوة المحاربة أمام العدو {أَجْعَلْ} أعمل {بَيْنَكُمْ} يا أهل الترك {وَبَيْنَهُمْ} وبين أمة يأجوج ومأجوج {رَدْمًا} أي سداً متراكماً بعضه فوق بعض كما تُردم المياه فوق سطح الأرض وتغطي بتراب كثيف حتى لا يبقى لها أو للماء أثر وكذلك هنا أراد بالردم السد المنيع والكبير والعظيم الذي يُقفل ويُحكم ويتراكم بعضه فوق بعض من الصلب يُصب فيه الحديد والنحاس والرصاص {ءَاتُونِي} أحضروا لي {زُبْرَ الْحَدِيدِ} أي قطع الحديد والنحاس والرصاص {حَتَّى إِذَا سَاوَى} حتى إذا أصبح السد أو الردم في خط مستقيم {بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ} بين الجبلين أي كالبنايين عندما يريدون عمل حائط من الإسمنت المصبوب يضعون ألواحاً من الخشب على شكل صندوق على قدر ومستوى الحائط المراد عمله {قَالَ} قال ذو القرنين {أَنْفُخُوا} أوقدوا ناراً على قطع الحديد {حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا} حتى إذا أصبحت قطع الحديد كأنها نار من احمرار لونها {قَالَ} قال ذو القرنين {ءَاتُونِي} أحضروا لي من ذلك الحديد المشتعل كأنه نار أحمر اللون

{أَفْرَعٌ عَلَيْهِ} أصب عليه أي على السد {قِطْرًا} حديدًا سائلًا ومذابًا ومنصهرًا من شدة النار عليه وكأنه سائل مثل الماء ليصبح حديدًا منصهرًا سواء من الحديد أو النحاس أو الرصاص ويطلق عليه جميعاً اسم الحديد أي أصبح السد عبارة عن لوح حديد كامل بعد صهره ليصبح سائلًا وعندما يجمد يصبح سداً حديدياً ضخماً وكبيراً وعظيماً {فَمَا اسْتَطَبُّعُوا} أي فما استطاعوا {أَنْ يَظْهَرُوهُ} أي لم يستطع يأجوج ومأجوج أن يعلوه لارتفاعه ولأنه حديد أملس وهو شاق وشديد الارتفاع والعلو {وَمَا اسْتَطَبُّعُوا} وكذلك لم يستطيعوا وهم أمة يأجوج ومأجوج {لَهُ نَقَبًا} له ثقباً وخرقاً لِسَمَاكْتِهِ وعرضه ولأنه مصنوع من الحديد الصلب {قَالَ} قال ذو القرنين {هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي} هذا فضل من الله تعالى ربي وخالقي على الناس أن رحمهم بسد ذي القرنين هذا من إفساد أمة يأجوج ومأجوج {فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي} فإذا جاء وقت تدميره وأتى أمر الله تعالى بذلك {جَعَلَهُ دَكَّاءَ} جعله خراباً ودماراً ومهدماً ومحطماً وزائلاً كسور برلين سابقاً {وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي} وكان وقت تدميره وخرابه عندما يأتي وعد الله وأمره وكان أمر الله مفعولاً {حَقًّا} صحيحاً وصدقاً وحقيقياً وذلك بعد نزول عيسى عليه السلام وقتل الدجال. وقد بعث الخليفة الواصل في دولته أحد أمرائه وجهز معه جيشاً سرية لينظروا إلى السد ويعاينوه وينعتوه له إذا رجعوا فتوصلوا من هناك إلى بلاد ومن ملك إلى ملك حتى وصلوا إليه ورأوا بناءه من الحديد ومن النحاس وذكروا أنهم رأوا فيه باباً عظيماً وعليه أقفال عظيمة ورأوا بقية اللبن والعمل في برج هناك وأن عنده حرساً من الملوك المتاخمة له وأنه عال منيف شاق لا يستطيع ولا ما حوله من الجبال ثم رجعوا إلى بلادهم وكانت غيبتهم أكثر من سنتين وشاهدوا أهوالاً وعجائب. [ابن كثير ج ٣ ص ١٠٤].

فقوله تعالى: (فما أَصْطَبُوا أن يظهره) أي فلم تستطع أمة يأجوج ومأجوج أن تتجاوزه تسليقاً ولا أن يعلوه صعوداً وذلك في ذلك الزمان وذلك الوقت الأول والسابق وكذلك (وما أَصْطَبُوا له نقباً) أي وكذلك لم تستطع أمة يأجوج ومأجوج أن يخرقوا السد ولا نقبه وحفره في ذلك الوقت وبتلك المعدات البدائية والقديمة في ذلك الزمان وذلك الوقت السابق ولكنهم لم يتوقفوا فكانوا يحفرون أسفل السد لعمل أنفاق أسفله في باطن الأرض ولم يفلحوا كذلك لأن الأوان لم يحن بعد ولم يأت أمر الله بعد لخرابه وبهذا روى الإمام أحمد: حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة حدثنا أبو رافع عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً فيعودون إليه كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله فيستثني فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه (نفق تحته) ويخرجون على الناس فينشقون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع وعليها كهيئة الدم فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفاً في رقابهم فيقتلهم بها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكراً من لحومهم ودمائهم). [ابن كثير ج ٣ ص ١٠٥]. وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن زينب بنت أبي سلمى عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان عن أمها أم حبيبة عن زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم - قال سفيان أربع نسوة - قالت: استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول:

لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا) وحلق قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: (نعم إذا كثر الخبث). [هذا حديث صحيح اتفق البخاري ومسلم على إخرجه من حديث الزهري ولكن سقط في رواية البخاري ذكر أم حبيبة وأثبتها مسلم وفيه أشياء عزيزة نادرة قليلة الوقوع في صناعة الإسناد منها رواية الزهري عن عروة وهما تابعيان ومنها اجتماع أربع نسوة في سنده كلهن يروي بعضهن عن بعض ثم كل منهن صحابية ثم ثنتان ربيبتان وثنتان زوجتان رضي الله عنهن. وقد روي نحو هذا عن أبي هريرة أيضاً - ابن كثير ج ٣ ص ١٠٥].

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فُجِعَ عَنْهُمْ جَمْعًا ۝١١﴾

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ۝١٢﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي

وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝١٣﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن

دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ۝١٤﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا

۝١٥﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٦﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ ۚ فَخَبَّطْتَ أَعْمَالَهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وِزْنًا ۝١٧﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ۝١٨﴾ ﴿

وبعد خراب وهدم ردم ذي القرنين يقول الله تعالى {وَتَرَكْنَا} وسمحنا {بَعْضَهُمْ}

أي أمة يأجوج ومأجوج {يَوْمَئِذٍ} يوم يأذن الله تعالى بعد خراب السد وقبل يوم

القيامة وبعد نزول عيسى عليه السلام ومقتل الدجال {يَمُوجُ فِي بَعْضٍ} كالموج

يتلاطم مع بعضه البعض أي يعبروا على البلاد ويدخلوها ويضرب بعضهم بعضاً

أي كناية عن الحروب بينهم أي أهل الترك وما بعدهم من العرب والمسلمين وبين

يأجوج ومأجوج وتعلو أمة يأجوج ومأجوج الأرض ويفسدوا فيها ولا يقف أمامهم أحد من الناس. كما روى مسلم في صحيحه: حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا الوليد بن مسلم حدثني عبد الرحمن بن زيد بن جابر الطائي قاضي حمص حدثني عبد الرحمن بن جبير عن أبيه جبير بن نفيير الخضرمي أنه سمع النواس ابن سمعان الكلابي (ح) وحدثنا محمد بن مهران الرازي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن يحيى بن جابر الطائي عن عبد الرحمن ابن جبير عن أبيه جبير بن نفيير عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك في وجوهنا فقال: (ما شأنكم؟) قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل قال: (غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم. إنه شاب قطط عينه طافية كأنني أُشَبِّهه بعبد العزى بن قطن من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج من خلة بين الشام والعراق فعات يمينا وعات شمالا يا عباد الله فاثبتوا) قلنا يا رسول الله فما لبثه في الأرض؟ قال: (أربعون يوماً يوماً كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم) قلنا يا رسول الله وذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: (لا. اقدروا له قدره) قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: (كالغيث استدبرته الريح فيأتي على قوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعاً وأمهه خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون محلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها

أخرجني كنوزك فنتبعه بكنوزها كيغاسيب النحل ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان اللؤلؤ ولا يحل لكافر يجرد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ، ثم يأتي عيسى عليه السلام قوماً قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى إني قد أخرجت عبداً (أي من ذرية آدم) لي لا يدان لأحد بقتالهم فَحَرَزَّ عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحضر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصباحون فرسى (أي هلكى) كموت نفس واحدة. ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملاً زهمهم ونتاجهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض أخرجي ثمرك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها (بظل قشرها) وببارك الله في الرسل (أي القطيع من الغنم) حتى أن اللقحة (ذات اللبن) من الإبل لتكفي الغنم من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبةً فتأخذهم تحت آباطهم فيقبض

الله روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة). [ابن كثير ج ١ ص ٥٨٢]. {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ} وهي النفخة الثالثة نفخة القيام والبعث من إسرافيل عليه السلام في الصور وهو قرن كما جاء في الحديث فقد أورد الإمام أبو جعفر بن جرير مستند من قال ذلك في حديث الصور من رواية إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة عن يزيد بن أبي زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب القرظي عن رجل عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر) قال أبو هريرة يا رسول الله وما الصور؟ قال: (قرن) قال فكيف هو؟ قال: (قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله ويأمره فيمدها ويطولها ولا يفتر وهي التي يقول الله تعالى: " وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ " فتسير الجبال فتكون تراباً وترج الأرض بأهلها رجاً وهي التي يقول الله تعالى: "يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ" فتكون الأرض كالسفينة الموبقة في البحر تضربها الأمواج تكفؤها بأهلها وكالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح فيمتد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل ويشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضاً وهي التي يقول الله تعالى: "يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُولُّونَ مُدْبِرِينَ مَّا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ" فبينما هم على ذلك إذ انصدعت الأرض من قطر إلى قطر ورأوا أمراً عظيماً

فأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل ، ثم خسف شمسها وقمرها وانتثرت نجومها ثم كشطت عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك) قال أبو هريرة فمن استثنى الله حين يقول: " فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ " قال: (أولئك الشهداء وإنما يصل الفزع إلى الأحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ووقاهم الله شر ذلك اليوم وآمنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه وهو الذي يقول الله: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ " . [ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣] . { جَمَعْنَهُمْ } فجمع الله الخلائق كلهم في المحشر { جَمَعًا } مع بعضهم في مكان واحد في المحشر للحساب { وَعَرَضْنَا } استعرضنا { جَهَنَّمَ } نار جهنم { يَوْمَئِذٍ } يوم يأذن الله بقيام القيامة { لِلْكَافِرِينَ } للجاحدين والمنكرين والمكذبين بالقرآن والكتب السماوية وبالرسل وبيوم القيامة والحساب والجنة والنار { عَرَضًا } أي واضحة للعيان يراها الناس أمامهم ويشاهدونها بأعينهم وهم { الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ } الذين أعيينهم غشاوة { عَن ذِكْرِي } أي عن عبادة الله وذكره وطاعته { وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ } وكانوا لا يريدون من أحد { سَمْعًا } نصحاً ووعظاً { أَفْحَسِبَ } فهل ظن { الَّذِينَ كَفَرُوا } الكفار وهم من أنكر وجحد وكذب بالرسل وبالكتب السماوية وبيوم القيامة { أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي } أن يجعلوا عبادي { مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ } أي يتخذوهم أصحاباً لهم ويتولونهم ويضلونهم ويبعدونهم عن عبادة الله تعالى { إِنَّا أَعْتَدْنَا } إن الله أعدّ وجهز وحضر { جَهَنَّمَ } نار جهنم وعذابها

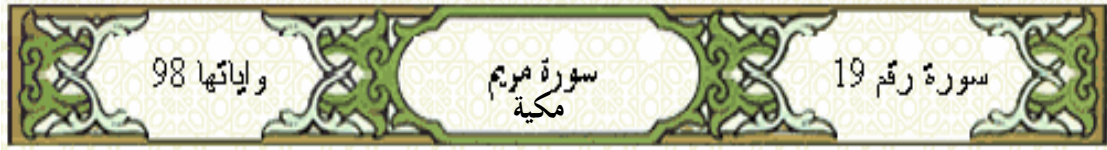
{لِلْكَافِرِينَ} للجاحدين والمنكرين والمكذبين بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر {نُزُلًا} منزلاً ومقراً ومصيراً ومآلاً {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله وقل للناس {هَلْ نُنَبِّئُكُمْ} هل نعلمكم ونخبركم {بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَلًا} الخاسرة أعمالهم والكاسدة {الَّذِينَ ضَلَّ} تاه وضاع وذهب {سَعْيُهُمْ} عملهم {فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} في حياتهم الدنيا {وَهُمْ تَحْسَبُون} وهم يظنون {أَنَّهُمْ مُّحْسِنُونَ صُنْعًا} أنهم يحسنون عملاً وأنهم على الحق وعلى الهدى {أُولَئِكَ} هؤلاء {الَّذِينَ كَفَرُوا} وهم الكفار الذين جحدوا وأنكروا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث والحساب والجنة والنار {بِقَايَتِ رَبِّهِمْ} بآيات القرآن وبالبينات والحجج والبراهين والمعجزات الواضحات {وَلِقَائِهِ} وهو يوم البعث ويوم القيامة وفي المحشر للقائه للحساب {فَحَبِطَت} هلكت وخسرت {أَعْمَلُهُمْ} جميع أعمالهم التي كانت في معصية الله تعالى {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ} فلا نجعل لهم {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} في يوم القيامة في الآخرة عند الحساب {وَزَنًا} مكاناً ولا قيمة {ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ} ذلك عقابهم {جَهَنَّمَ} أي عذاب نار جهنم {بِمَا كَفَرُوا} بسبب كفرهم وعصيانهم وجحودهم وإنكارهم وتكذيبهم برسل الله تعالى وكتبه وبيوم القيامة وبالحساب والجنة والنار {وَأَتَّخَذُوا} آيَاتِي {وَجَعَلُوا بَيْنَاتِي} وآيات القرآن والمعجزات والبينات والحجج والبراهين {وَرُسُلِي} وأنبيائي ورسول الله تعالى الذين أرسلهم إلى أقوامهم اتخذوهم {هَزُؤًا} سخرية وضحكاً ولعباً.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾ خَلِيدِينَ
 فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ
 أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ
 أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ۖ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ
 بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾

{إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا} إن المؤمنين وهم من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
 الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} أي عملوا الأعمال الصالحة من الخير والبر والصدقات
 في طاعة الله تعالى وفي مرضاته وابتغاء ثوابه {كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ} كان
 مصيرهم أن يكونوا يوم القيامة من أهل جنات الفردوس {نُزُلًا} منزلاً ينزلون فيه
 ودار إقامة دائمة في الجنة يوم القيامة {خَلِيدِينَ فِيهَا} أي دائمون حياة أبدية في
 الجنة {لَا يَبْغُونَ عَنْهَا} لا يطلبون عنها {حِوَلًا} لا تحويلاً ولا بديلاً عنها. وفي
 الصحيحين: (إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط
 الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة). [ابن كثير ج ٣ ص ١٠٨]. {قُلْ} قل يا محمد يا
 رسول الله للناس جميعاً {لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا} لو كان البحر كله حبراً {لِكَلِمَاتِ
 رَبِّي} ليكتب آيات الله تعالى عن كل شيء بالتفصيل {لَنَفَدَ الْبَحْرُ} لانتهى البحر
 الذي هو مداد ولنقد حبره {قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ} قبل أن تنتهي {كَلِمَاتِ رَبِّي} أي آيات
 ربي تفصيلاً وتوضيحاً وتفسيراً عن كل شيء في الكون من الأوامر والنواهي وتفصيل
 ذلك {وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} ولو أتينا بحبر بحر آخر وكله حبر وهذه الآية ردا
 على من يريد كل شيء بنص من القرآن علماً أن آيات القرآن هي تتكلم عن الخير

مثلاً عاماً كل شيء فيه خير ولو هناك تفصيل لطلب بحار من الحبر لتفصل ذلك وكذلك عن الشر ولكن القرآن جاء مجملاً والسنة تفسر وتوضح ذلك كالصلاة مثلاً لم يذكر عددها ولا كقيمتها وهكذا في القرآن الكريم {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للناس {إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ} إنما أنا إنسان مثلكم آكل وأشرب وأتزوج النساء وكل شيء مثلكم في البشرية {يُوحَىٰ إِلَيَّ} وإنما الله تعالى يوحى إليّ ويبعث إليّ بواسطة جبريل عليه السلام هذا القرآن وفيه {أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ} إنما ربكم وإلهكم ومعبودكم الله تعالى هو إله واحد لا شريك له {فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ} فمن كان يتمنى أن يلقي ربه وهو راض عنه {فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا} فليعمل من الطاعات والعبادات وأعمال الخير والبر عملاً صالحاً حسناً في مرضاة الله تعالى {وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} ولا يجعل لله تعالى شريكاً في عبادته لله تعالى وفي طاعته. قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن بكير أخبرنا عبد الحميد يعني ابن جعفر أخبرني أبي عن زياد بن ميناء عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري وكان من الصحابة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك). [وأخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث محمد وهو البرساني به - ابن كثير ج ٣ ص ١٠٩]. وقال الإمام أحمد: حدثنا يونس حدثنا الليث عن يزيد يعني الهاد عن عمرو عن محمود بن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: (الرياء يقول

اللّٰه تعالى يوم القيامة إذا جرى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟). [ابن كثير ج ٣ ص ١٠٩].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ كَهَيْعَصَ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۗ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾

{ كَهَيْعَصَ } وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وب نفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (انظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وبالله التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جعلت في أول سور القرآن الكريم حتى يعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى:

" إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تَكُونِ الْقُرْآنِ من هذه الحروف العربية لَذُكِرَتْ في أوائل جميع سور القرآن. وليست كذلك طلاسماً لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢٤١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢٤١ لقمان. وعليه فإن معنى (كَهَيْعَصَ) هو قوله تعالى: " فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {١٣٧} صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ {١٣٨} " ١٣٧، ١٣٨ البقرة. ومعنى صبغة الله يعني خلقته وسنته وقانونه السماوي في كونه وفي خلقه مع ملاحظة أن التفسير هو تقريب المعنى للقارئ والله أعلم. {ذِكْرٌ} نذكر بقصة {رَحِمْتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً} رحمة وكرم وفضل الله ربك يا محمد يا رسول الله على عبده ورسوله زكريا عليه السلام وهو نبي الله ورسوله أرسله نبياً ورسولاً لبني إسرائيل وهو الذي كفل وحضن ورعى مريم عليها السلام بعد نذر أمهما لها وكان يعمل نجاراً وكان يأكل من كسب يده كما جاء في صحيح البخاري {إِذْ نَادَى رَبَّهُ} عندما نادى ربه بحرقة وألم ولهفة بدعاء المستغيث إلى ربه وخالقه الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وهنا نفرق بين المناجاة والمناداة فالمناجاة تكون على مهل وأما المناجاة فهي استغاثة بلهفة وحرقة وألم وضيق وذلك

لظنه بقرب انتهاء أجله {نِدَاءً} دعاءً {خَفِيًّا} أي دون الجهر وبسرية وفيه إخفاء عن الناس وهو بينه وبين ربه {قَالَ} قال زكريا عليه السلام {رَبِّ} ربي وخالقي وإلهي ومعبودي يا الله {إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي} شكَا لله تعالى ضعف حاله وهزال جسمه ولين عظامه في أنحاء جسمه وظهره كناية عن كبر سنه {وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا} وامتلاً الشيب وبياض شعر رأسه أي أنه شاخ وكبر {وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا} ولم أحرم استجابة دعائك فيا ربي ويا إلهي استجب دعائي ولم يسبق عدم استجابتك لدعائي ولا لندائي بل يستجاب لي الدعاء {وَإِنِّي خِفْتُ} وإني خشيت {الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي} الورثة من بعدي والأقارب ومن يتولى الأمر بعدي من أن يضيعوا النبوة والرسالة والدين لأن الأنبياء لا يورثوا إلا الرسالة والعلم كما جاء وثبت في الحديث: (نحن معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة). [ابن كثير ج ٣ ص ١١١]. {وَكَانَتْ أَمْرًا عَاقِرًا} وكانت زوجتي ولا تزال عاقراً لم تنجب واسمها (أيشا) {فَهَبْ لِي} ارزقني {مِنْ لَدُنْكَ} من فضلك وكرمك وقدرتك ورحمتك {وَلِيًّا} غلاماً لي يأتي من بعدي ويتولى الرسالة من بعدي {يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ} يرثني الرسالة والنبوة والتقوى والصلاح ويرث كذلك من آل يعقوب الرسالة حتى تستمر في ذريتنا أي أنه هو من ذرية بني إسرائيل من يعقوب عليه السلام {وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا} واجعله يا ربي مرضياً منك وترضى عنه وباراً بي ولم يكن عاقراً لك ولا لي.

﴿ يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ
 أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ
 كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ
 رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ
 قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾

{يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ} وقد استجاب الله دعاءه ونداءه وأوحى إلى زكريا عليه السلام وبشرته الملائكة على لسان جبريل عليه السلام أن الله تعالى يبشرك بغلام ومولود ذكر {اسْمُهُ يَحْيَى} ستسميه يحيى {لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا} لم نجعل له من قبل ذلك شبيهاً ولا مثيلاً ولا نظيراً كيف لا وقد جعله الله سيداً في قومه وجعله حصوراً وممنوعاً ومحفوظاً من فتنة النساء لا بزواج ولا بشهوة زيادة على النبوة والرسالة وأنه من الصالحين كما قال تعالى: "فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ" ٣٩ آل عمران. وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى قوله تعالى: "لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا" فسرهما خطأ بمعنى (سمياً) أي لم يسمى أحد من قبله باسم يحيى وهذا خطأ حيث أن جميع الرسل لم يسمى أحد مثل أخيه ولم يُسمى أحد من قبله باسمه (ما عدا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ففي الشفاء أن الله تعالى حمى اسم محمد وأحمد أن يسمى بهما غيره قبل زمانه فلما قرب زمانه سمى جماعة من العرب أبناءهم بمحمد طمعا في أن يكون أحدهم هو. [نزهة المجالس ص ٢٣٢]) ومثال ذلك أن آدم ونوح وموسى وعيسى وداود وسليمان وصالح وهود وغيرهم لم يتكرر اسم قبلهم على اسم هؤلاء وكذلك يحيى

وهذا خطأ حيث لم يثبت لدينا أن أحداً قبل الأنبياء سمي باسم ذلك النبي والصحيح والصواب " لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا " أي لا شبيهاً ولا مثيلاً ولا نظيراً كيف لا وقد جعله الله سيداً ولم يجعل أحداً بنص القرآن غيره سيداً في قومه وجعله حصوراً ولم يجعل أحداً من الأنبياء ممنوعاً من النساء لا بزواج ولا بشهوة وإنه من الصالحين {قَالَ} قال زكريا عليه السلام {رَبِّ أَنْيْ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ أَمْرَاتِي} قال زكريا عليه السلام متعجباً ومستغرباً أن يأتيه مولود غلام وكانت امرأته {عَاقِرًا} أي عقيماً لم تنجب ولم تحمل طيلة عمرها وشبابها {وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ} وقد بلغت من الكبر والشيخوخة {عِتِيًّا} مداه وأقصاه أي دهنراً طويلاً وعمراً مديداً أي بلغت مرحلة من الكبر والهرم والشيخوخة لا تسمح لي ولا لزوجتي بالإنجاب ولا بالحمل ولا بالحبل {قَالَ} قال جبريل عليه السلام الذي بلغه بالبشارة بالغلام عندما استغرب واندعش وتعجب زكريا عليه السلام من بشارة الغلام له والذي سيولد له قال له {كَذَلِكَ} هكذا سيكون {قَالَ} رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ} قال ربك إنجابك يا زكريا للغلام هو على الله سهل وبسيط ويسير {وَقَدْ خَلَقْتَكُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا} كيف لا وقد خلقتك يا زكريا من قبله من العدم ولم تكن شيئاً مذكوراً في الوجود ولم تكن موجوداً أبداً وخلقتك من العدم {قَالَ} قال زكريا عليه السلام {رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً} قال ربي اجعل لي آية شكر وليس علامة على حصول الحمل لزوجتي لأن الملائكة بشرته وانتهى الأمر وهنا نقول أنه لو كان زكريا عليه السلام نبي الله ورسوله لم يصدق بشارة وبلاغ الملائكة له فالأولى بالكفار أن لا يصدقوا رسالته لأنه يتلقى رسالته عن الملائكة وهذا ليس هو المعنى بل هو لم يطلب العلامة على بشارة المولود الغلام له ولكنه

طلب من الله أنه كيف يشكره على هذه النعمة والكرم وطلب منه أن يدلّه على آية لشكر النعمة {قَالَ} قال الله تعالى له على لسان جبريل عليه السلام وهو الملك الموكل بالرسالة والبشارة وتبليغ النبوة والرسالة {ءَايَاتِكَ} أي عملك الذي ستقوم به بشكر نعمة المولود هو {أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ} هو أن تصوم عن الكلام وتسبحه في مدة ثلاث ليال بأيامها {سَوِيًّا} أي متعاقبة لا يفصل بعضها عن بعض بالذكر والتسبيح وهذا هو الصيام عن الكلام الذي يتخذه العباد والصالحون والرهبان في صوامعهم وهذا الصوم عن الكلام والتسبيح والذكر هو اختيارياً وليس من باب الخرس وعدم استطاعة الكلام بل صوم وشكر وعبادة وذكر وتسبيح طيلة تلك الأيام الثلاث بلياليها كما قال تعالى: " قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ " ٤١ آل عمران. وعجباً لمن ذهب من بعض المفسرين بأن آية زكريا بالبشرى هي عدم استطاعة الكلام والخرس في تلك الثلاثة أيام فعجباً لذلك لأن السائل هو نبي ورسول فهو أولى بتصديق الرسالة والوحي من الملائكة بتصديق البشارة. وعدم تصديق الملائكة بالبشرى هو عدم تصديقهم كذلك بالرسالة وبالوحي وهذا خلاف الواقع والصحيح أن الله كريم لا يعطي من جانب ويأخذ من جانب آخر ولكنه (إذا وهب أغدق وإذا منع قطع وأوجع) وعليه فإن الآية التي طلبها زكريا عليه السلام هي آية شكر لله تعالى على نعمة المولود. وعدم كلامه إلا رمزاً فهو صوم معروف هو صوم عن الكلام اختياري كما قال الله تعالى: " فَأَمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشْرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا " ٢٦ مريم. {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ} فعندما بشره جبريل عليه السلام وهو يصلي في محرابه بالمولود الذكر الذي سيولد له وأمره بآية الشكر لله تعالى وعبادته بالصوم عن الكلام

والتسبيح لمدة ثلاثة أيام {فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ} أي أشعرهم بالامتناع عن الكلام والاكْتفاء بذكر الله وتسبيحه {أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} أن اذكروا الله وسبحوه معي صباحاً ومساءً أي طيلة اليوم لمدة ثلاثة أيام على النعمة التي تفضل الله بها عليّ ووهبها لرسولكم زكريا عليه السلام فاشكروا الله معي في تلك الأيام الثلاثة والتي سأصوم فيها عن الكلام معكم ونجعلها كلها عبادة بالذكر والتسبيح شكراً لله تعالى. أما الذكر في الثلاثة أيام أخرج الترمذي والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم من حديث جابر مرفوعاً: (أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وهي كلمة التوحيد والإخلاص وهي اسم الله الأعظم). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٦]. وعن سمرة بن جندب رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحب الكلام إلى الله أربع لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر). [أخرجه مسلم - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٧]. وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم). [سبل السلام ج ٤ ص ٢٢٤]. وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله). [أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني بإسناد حسن - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣].

﴿يَٰحَيُّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۗ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۗ
وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ
يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾

{يَٰحَيُّ} يا يحيى يا ابن زكريا خاطبه الله تعالى بعد ولادته وبعد نبوته ورسالته فهو نبي الله ورسوله أوحى الله تعالى إليه بواسطة الوحي جبريل عليه السلام وقال له {خُذِ الْكِتَابَ} أي خذ كتاب التوراة {بِقُوَّةٍ} بقوة يقين وبقوة طاعة وعمل واجتهاد ونصح ووعظ لقومه {وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ} وآتاه الله الحكم بالشرعية وبكتاب التوراة والحكم في قومه والقضاء بينهم {صَبِيًّا} صغيراً ودون الحلم وكان يحكم بينهم أي بين قومه بشرع الله وما أراد الله من الحق والعدل {وَحَنَانًا} وآتاه الله حناناً ومحبة وعطفاً على والديه {مِّن لَّدُنَّا} من فضل الله تعالى ومن عطائه ومن كرمه على يحيى عليه السلام {وَزَكَاةً} وفضلاً وكرماً وطهراً وصدقة من الله تعالى على والديه {وَكَانَ تَقِيًّا} وإضافة لذلك كان يحيى تقياً وصالحاً وورعاً ويتقي الله ويخشاه ويخافه {وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ} وأيضاً مطيعاً وباراً ورحيماً على والديه وحافظاً لحقوقهما ولم يعقهما {وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا} ولم يكن ظالماً ولا طاغياً ولا باغياً ولا متكبراً {عَصِيًّا} عاقاً لوالديه ولم يعصهما ولم يغضبهما {وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ} وسلاماً وتحية وأمان وعليه {يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا} فأمان عليه عند ولادته وعند موته ويوم القيامة بعد أن يحيا ويبعث حياً من قبره فعند الحساب أمان عليه لأنه لم يذنب ولا هم بامرأة. قال محمد بن إسحاق عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب حدثني ابن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم

قال: (كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى ابن زكريا).
[ابن كثير ج ٣ ص ١١٤].

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١١﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٢﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٤﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿١٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿١٦﴾﴾

{وَأَذْكُرُ} واذكر يا محمد يا رسول الله واقصص عليهم {فِي الْكِتَابِ} في القرآن الكريم {مَرْيَمَ} قصة مريم {إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} عندما اتخذت وابتعدت عن أهلها {مَكَانًا} أي مكاناً تنام فيه {شَرْقِيًّا} في الجهة الشرقية من منزلهم {فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا} أي اعتزلت أهلها وجعلت بينها وبينهم حجاباً أي حاجزاً وساتراً حتى تختلي بنفسها بعبادة الله تعالى {فَأَرْسَلْنَا} فأرسل الله تعالى جل جلاله وعظم قدره {إِلَيْهَا رُوحَنَا} إليها جبريل عليه السلام {فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} فجاءها وظهر لها على صورة رجل طبق الأصل وهذا يعني أن الملائكة تتشبه بالبشر وتظهر لهم على صورة البشر وتنقلب من صورتها الحقيقية إلى صورة البشر وكذلك الجن يتمثل بالصورة البشرية {قَالَتْ} قالت مريم عليها السلام لجبريل عليه السلام وكان في صورة بشر وفي صورة إنسان طبق الأصل ولم تعرفه أنه ملك من الملائكة وقالت له {إِنِّي أَعُوذُ} إني أستجير {بِالرَّحْمَنِ} أي بالله تعالى {مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا} منك أيها الرجل إن كنت تقياً وصالحاً فلا تقربني ولا

تلمسني لأنني امرأة سالحة وعفيفة وكانت تظن أنه يريد منها الفاحشة {قَالَ} قال جبريل عليه السلام عندها وهو في صورة رجل {إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ} إنما أنا ملكٌ ووحى ورسول من قبل الله تعالى لك {لَأَهَبَ لَكَ غُلَمًا} لأرزقك وأجعل لك مولوداً غلاماً أي ذكراً {زَكِيًّا} أي طيباً طاهراً ومباركاً {قَالَتْ} قالت مريم عليها السلام {أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَمٌ} كيف يكون لي غلام ذكر ألدّه {وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ} ولم يجامعني رجل بالزواج {وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا} ولا بالزنا ولم أعمل الفاحشة قط فهي العذراء والطاهرة والتقية والنقية من الزلات والعيوب والذنوب {قَالَ} قال جبريل عليه السلام لها {كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ} هكذا أمر وقال ربك {هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ} هو عليّ سهل ويسير وبسيط لأنه على كل شيء قدير {وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ} ونجعله معجزةً وبينةً ودلالةً للناس على قدرة الله تعالى بأنه كما خلق آدم عليه السلام بدون أب ولا أم سيجعل عيسى عليه السلام بدون أب معجزةً للناس على قدرة الله تعالى {وَرَحْمَةً مِنَّا} ويجعله الله تعالى رحمةً للناس بفضل الله تعالى لهدايتهم لعبادة الله تعالى وحده ويهديهم إلى الخير ورحمةً من الله للناس لشفاء مرضاهم الأعمى والأبرص وجميع الأمراض {وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا} وكان أمراً نافذاً لا محالة ولادته بدون أب.

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزَيْتُ إِلَيْكِ جِذْعَ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾

{ فَحَمَلَتْهُ } فحملت مريم عليها السلام بعيسى عليه السلام مدة الحمل وهي تسعة أشهر والله أعلم. وذلك لأنه قال تعالى { فَانْتَبَذَتْ بِهِ } أي فابتعدت به أي بحملها بمولودها وذهبت به { مَكَانًا قَصِيًّا } أي مكاناً بعيداً عن أهلها خوفاً من الفضيحة واشتهار أمرها بحملها. وكانت مريم تتعبد في المسجد الأقصى مع رجل صالح من قومها يقال له يوسف النجار ولهما قلب (يعني بئر) كل واحد منهما يأتي بماء في يوم من كهف فلما كان يوم مريم خرجت إلى الماء فنزعت درعها في الكهف فجاءها جبريل في صورة رجل فأخذ التراب الذي فضل من تراب آدم ونفخه في جيب درعها فلما استتقت الماء ولبست درعها تحرك الولد في بطنها فلما جاءها المخاض تحولت عند أختها من الجامع فأنكر عليها يوسف وقال يا مريم هل ينبت الزرع من غير بذر قالت نعم! أنبت الله الزرع يوم خلقه من غير بذر فلما تحولت عند أختها (أيشا) امرأة زكريا وكانت حاملاً بيحيى (وكان أكبر من عيسى بستة أشهر) قالت يا مريم أجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك. [نزهة المجالس ص ٥٠٠]. وذكر غير واحد من علماء السلف أن الملك وهو جبرائيل عليه السلام عند ذلك نفخ في جيب درعها فنزلت النفخة حتى ولجت في الفرج فحملت بالولد بإذن الله تعالى فلما حملت ضاقت ذرعاً ولم تدر ماذا تقول للناس فإنها تعلم

أن الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به غير أنها أفشت سرها وذكرت أمرها لأختها امرأة زكريا وذلك أن زكريا عليه السلام كان قد سأل الله الولد فأجيب إلى ذلك فحملت امرأته فدخلت عليها مريم فقامت إليها فاعتنقتها وقالت أشعرت يا مريم أني حبلى؟ فقالت لها مريم وهل علمت أيضاً أني حبلى وذكرت لها شأنها وما كان من خبرها وكانوا بيت إيمان وتصديق ثم كانت امرأة زكريا بعد ذلك إذا واجهت مريم تجد الذي في بطنها يسجد للذي في بطن مريم أي يعظمه ويخضع له فإن السجود كان في ملتهم عند السلام مشروعاً كما سجد ليوسف أبواه وإخوته وكما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام ولكن حرم في ملتنا هذه تكميلاً لتعظيم جلال الرب تعالى، قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين قال قرئ على الحارث بن مسكين وأنا أسمع أخبرنا عبد الرحمن بن القاسم قال قال مالك رحمه الله بلغني أن عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام ابنا خالة وكان حملهما جميعاً معاً فبلغني أن أم يحيى قالت لمريم إني أرى أن ما في بطني يسجد لما في بطنك. [ابن كثير ج ٣ ص ١١٦]. فالمشهور عن الجمهور أنها حملت به تسعة أشهر. [ابن كثير ج ٣ ص ١١٦]. لأنه انتبذت به مكاناً قصياً والله أعلم {فَأَجَاءَهَا} فلما حضر إليها وأتاها {الْمَخَاضُ} الطلق بالولادة {إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ} كانت تحت جذع نخلة فلما أحست بعلامة الولادة وهو الطلق {قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا} حزنت وضاق بها ذرعاً وقالت وتمنت لو ماتت قبل أن يحصل لها هذا الحمل وهذه الولادة وتمنت الموت على الفضيحة {وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا} وقالت لو كنت ميتة من زمن بعيد ومنسية لا أحد يذكرني أفضل من الفضيحة {فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا} فناداها وخاطبها جبريل عليه السلام من تحتها على

النهر الذي أجراه الله لها {أَلَّا تَحْزَنِي} أن لا تألمي ولا تُغمي ولا تُهمي {قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ} قد جعل الله تعالى ربك وخالقك وإلهك مكرمة لك بأن جعل {تَحْتِكَ سَرِيًّا} أي فرع من النهر يجري تحتك أي أسفل منك وقريباً منك لأنها على مرتفع أعلى من النهر وكانت على حافته {وَهَزِيءَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ} وحركي جذع النخلة وهزيه بلمسة بسيطة {تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا} أي تنزل عليك وتجعله يتساقط عليك رطب طازج وناضج علماً أن هذا الهز هو اللمس لجذع النخلة بتحريك بسيط جداً يجعل الرطب يسقط بغزارة عليها وليس كما يتصور البعض بالهز أي تحريك جذع النخلة بقوة لأن مريم في حالة مخاض والدم ينزل عليها وهي في حالة إرباك وضعف فكيف تهز جذع النخلة فهو كناية عن اللمس فقط لأن النخلة لم تكن مثمرة ولكنها كرامة ثانية إلى مريم عليها السلام زيادة على سريان النهر الذي يجري أسفل منها زيادة على الطعام الذي كان يأتيها ويسألها زكريا عنه بقوله أنى لك هذا؟ فنقول هو من عند الله {فَكُلِي وَاشْرَبِي} فكلي من الرطب من النخلة عند هزها واشربي من النهر الذي جعله ربك تحتك سريراً {وَقَرِّي عَيْنًا} واطمئني ولا تحزني {فَأِمَّا تَرِينَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا} فعندما تشاهدين أحداً من البشر والناس يسألك عن المولود {فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ} فقولي له عند سؤاله لك عن مولودك إنني نذرت نذراً {لِلرَّحْمَنِ} لله تعالى {صَوْمًا} صوماً عن الكلام {فَلَنَ أَكَلِمَ الْيَوْمَ} إنسياً {لن أكلم أحداً من الناس حيث أنني صائمة عن الكلام. فولدت مريم عيسى عليه السلام في بيت لحم وهي على بعد ثمانية أميال من بيت المقدس تقريباً كما جاء في حديث ليلة الإسراء والمعراج.

﴿ فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۗ قَالُوا يَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَأَخْتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۗ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبِرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۗ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

{ فَآتَتْ بِهِ } فجاءت مريم إلى أهلها وقومها بعيسى عليه السلام طفلاً وليداً
 { قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ } فجاءت إلى قومها وهي تحمل عيسى عليه السلام في حضنها
 { قَالُوا يَمْرَيْمُ } قال قوم مريم لها { لَقَدْ جِئْتِ } لقد أتيت وعملت { شَيْئًا فَرِيًّا } شيئاً وعملاً قبيحاً وعظيماً وفاضحاً ومشيناً وذنوباً وعاراً لا يصح عمله وهو هذا الحمل والولادة بعيسى عليه السلام بدون أب وهو ذنب وسيئ وعار عمله { يَتَأَخْتِ هَرُونَ } نسبوها إلى صلاح وتقوى هارون أخو موسى عليه السلام في عصره حيث كان في زمانه مشهوراً بالتقوى والورع والصلاح كما يقال يا أخا الإسلام ويا أخا العرب أي يذكروها بماضي رسل وصالحي بني إسرائيل حيث أن بين مريم أم عيسى وهارون أخو موسى ألوف السنين والأجيال حيث أن بعد رسالة موسى عليه السلام جاء عدة أنبياء منهم داود وسليمان ثم زكريا وبعدهم مريم وعيسى وليس كما يدعي البعض بأنها أخت هارون وموسى وكذلك عمران والدها سمي على اسم جده الأكبر وهو والد موسى ولأنهم جميعاً من سلالة واحدة وهي سلالة بني إسرائيل من

يعقوب عليه السلام وأسماء الصالحين تتكرر دائماً تباركاً بأسمائهم كما قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن إدريس سمعت أبي يذكره عن سماك عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجران فقالوا رأيت ما تقرءون " يَا أُخْتَ هَارُونَ " وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ قال فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم). [انفرد بإخراجه مسلم والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن إدريس عن أبيه عن سماك به - ابن كثير ج ٣ ص ١١٩]. { مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأً } لم يكن أبوك عمران زوج حنا أم مريم رجل { سَوْءٍ } صاحب فاحشة ولا منكر ولا فساد { وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا } ولم تكن أمك (حنا) زانية بل امرأة سالحة كيف لا وهي نذرت لله ما في بطنها لخدمة وعمارة المسجد الأقصى وهي مريم عليها السلام { فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ } أي أومأت إليه أن يكلموه وذلك بالإشارة بيدها فتعجبوا من إشارتها ظناً منهم أنها تسخر بهم وغير عابئة بفضيحة الزنا والمولود الذي جاء عن طريقه وذلك عندما سألوها من أبوه أخبرتهم بإشارتها أنه سيخبرهم من هو أبوه { قَالُوا } قال قوم مريم مستغربين إشارتها { كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهَدِ صَبِيًّا } في الكفولة وفي الحضن وفي السرير طفلاً رضيعاً لا يستطيع الحركة ولا الكلام { قَالَ } قال عيسى عليه السلام وهو في مهده وحضانتها { إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ } إني عبد لله ومن عباده ومن خلقه وليس إلهاً { ءَاتَنِي الْكِتَابَ } علمني كتاب التوراة وأعطاني كتاب الإنجيل { وَجَعَلَنِي نَبِيًّا } وجعلني الله نبياً ورسولاً إليكم يا بني إسرائيل بكتاب الإنجيل. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو الصقر يحيى بن محمد بن قزعة حدثنا الحسين يعني المروزي حدثنا جرير يعني ابن أبي

حازم عن محمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لم يتكلم في المهد إلا ثلاث: عيسى وصبي كان في زمن جريج وصبي آخر). [ابن كثير ج ١ ص ٣٦٤]. {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ} وتحصل البركة في أي مكان حللت فيه فإن كان في الأرض تخصب وفي المواشي تزيد خواصرها (أي تسمن) ويكثر لبنها والمريض يشفى بدعائي بإذن الله والهدى والصلاح يعم ذلك المكان ومعنى البركة هي الزيادة والنمو وكثرة الخيرات ورفع المضار عن المكان وأهله {وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا} أوصاني وأمرني الله تعالى بعبادة الصلاة وإيتاء الزكاة طيلة حياتي بينكم وهذا يدل على أنه عبد من عبيد الله ومن خلقه ورسول ونبي أرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل وأمره بالصلاة والزكاة ولو كان إلهاً ما أمر بذلك ولا حمل في بطن أمه وهو رضيع يشرب اللبن والله تعالى لا يأكل ولا يشرب {وَبَرًّا بِوَالِدَتِي} وأن أكون باراً ومطيعاً وعطوفاً ورحيماً بوالدتي مريم عليها السلام وحافظاً لها حق ولادتي ولم أعصها. والأم والولادة ليست صفة من صفات الألوهية أي لم يكن إلهاً فالإله هو الذي يخلق ولم يخلق {وَلَمْ تَجْعَلِي جَبَّارًا} ولم يجعلني الله تعالى ولم يخلقني ظالماً ولا باغياً ولا معتدياً ولا ظالماً {شَقِيًّا} أي شريراً وعاصياً ونمروداً {وَأَسْلَمْتُ عَلَيَّ} والسلام والتحية والأمان عليّ أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله {يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} الأمان عليّ عند ولادتي وعند موتي وعند بعثي حياً يوم القيامة يوم الحساب. قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مسه إياه إلا مريم وابنها) ثم يقول أبو هريرة اقرءوا إن شئتم " وَإِنِّي أُعِيدُهَا بَكَ

وَدُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ". [ابن كثير ج ١ ص ٣٥٩]. وروى من حديث قيس عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى بن مريم ومريم) ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنكِ وَدُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ". [ابن كثير ج ١ ص ٣٥٩]. وروى الليث بن سعد عن جعفر ابن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج قال: قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه حين تلده أمه إلا عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن بالحجاب). [ابن كثير ج ١ ص ٣٥٩]. {ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} هذا هو عيسى ابن مريم {قَوْلَ الْحَقِّ} وهذا هو قول الحق بحمل مريم به من غير أب ونطق في المهد وقال إني عبد الله بصوت صبي في المهد أي طفل صغير يُحْمَلُ ويحتضن ويشرب اللبن {الَّذِي فِيهِ يَمَتُّونَ} الذي فيه يختلقون ويكذبون تارة بأنه إله وتارة بأنه ابن زنا حيث لم يُعرف أبوه ولم يصدقوا كلامه وهو في المهد صبياً {مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ} ليس لله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه حاجة لأن يكون له ولد مولود حيث أن الذي يحتاج للولد إما ليعينه على المعيشة في الحياة الدنيا لفقره والله تعالى الرازق هو الذي يحتاج الناس إليه وهو غني عن العالمين وثانياً يحتاج للولد المفتقر للعزوة والنصرة والله تعالى عزيز في ملكه وفي سلطانه ولا يحتاج إلى أحد يعينه أو ينصره فالإله لا يحتاج إلى ولادة لأن الله تعالى لم يلد ولو يولد ولم يكن له كفواً أحد وكذلك لا يحتاج إلى حمل ولا حضانة ولا طعام ولا شراب كعيسى عليه السلام ولم يُخلق صغيراً فالله أكبر وأجل وأعظم وأن عيسى عليه السلام يبول وتعالى الله عن ذلك وعن الأعضاء التناسلية لأنه ليس كمثله شيء والموت لعيسى عليه السلام لأن الموت ليس من

صفة الألوهية وليس من صفة الله تعالى الحي القيوم الذي لا يموت أبداً وسبحان الواحد الذي ليس غيره إله وسبحان القديم الذي لا بادئ له وسبحان الدائم الذي لا نفاذ له وسبحان الذي يحيي ويميت وسبحان الذي خلق ما يُرى وما لا يُرى وسبحان الذي هو كل يوم في شأن وسبحان الذي خلق السموات والأرض وكما قال تعالى: "مَا أَشْهَدْتُهُمْ خُلِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خُلِقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتَ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا" ٥١ الكهف. {سُبْحٰنَهُ رَبِّ} تنزهه وتقدس وعزّه وتعالى جناب الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا} إذا أراد أمراً أو شيئاً {فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} فأمره بين الكاف والنون من كلمة كن {وَإِنَّ اللَّهَ} وإن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {رَبِّي} أنا محمد رسول الله {وَرَبُّكُمْ} أيها الناس جميعاً وأيها الخلق جميعاً ويا أهل الثقلين الإنس والجان {فَاعْبُدُوهُ} فاعبدوه وحده وأطيعوه {هٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ} هذا هو الصراط المستقيم والطريق الحق والواضح الذي لا اعوجاج فيه ولا سبيل إلى عبادة غيره أو الإشراف به وأن عيسى عليه السلام هو نبي الله ورسوله أرسله الله تعالى بالمعجزات كباقي الرسل والموت والولادة والأكل والشرب والحمل والحضانة كلها للمخلوقات وليس صفة للإله.

﴿ فَآخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ۗ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا لَنَحْنُ نَزِيرُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

{ فَآخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ } فاختلف الناس والطوائف والجماعات فيما بينهم على عيسى عليه السلام والاختلاف هو أنه اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر أخرج كل قوم عالمهم فامتروا في عيسى حين رفع فقال بعضهم هو الله هبط إلى الأرض فأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية فقال الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل أنت فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنتين قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله إله وهو إله وأمه إله وهم الإسرائيلية ملوك النصارى عليهم لعائن الله قال الرابع كذبت بل هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته وهم المسلمون فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قالوا فاقتتلوا وظهروا على المسلمين وذلك قول الله تعالى: " وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ " قال قتادة وهم الذين قال الله: " فَآخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ " قال اختلّفوا فيه فصاروا أحزاباً. [ابن كثير ج ٣ ص ١٢١].

{ فَوَيْلٌ } هلاك { لِلَّذِينَ كَفَرُوا } للكفار الذين أنكروا وجحدوا وكذبوا رسل الله تعالى وبكتبهم وبالأيوم الآخر { مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ } من مشاهدة يوم القيامة الذي فيه تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد { أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا } ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة يوم يقفون للحساب ويُعرضون على جهنم { لَكِنِ الظَّالِمُونَ }

ولكن للأسف الظالمون أنفسهم بالشرك والكفر {الْيَوْمَ} في الدنيا وهم يسرحون ويمرحون ويتلذذون بالشهوات والملذات والمعاصي والمحرمات {فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} في عمى عظيم لا يعلمون ولا يدرون ما ينتظرهم من العذاب يوم القيامة {وَأَنْذِرْهُمْ} وحذرهم وخوفهم {يَوْمَ الْحَسْرَةِ} يوم القيامة يوم يتحسر المرء على ما قدمت يداه {إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ} إذ نفذ أمر الله تعالى وقامت القيامة ووقف الناس في المحشر للحساب غرلاً بهماً حفاةً عراةً {وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ} وهم الآن في الدنيا في غفلة عن ذلك الحساب والعقاب والعذاب {وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} وهم لا يصدقون لا بالبعث ولا بالمحشر في يوم القيامة ولا بالحساب وهم أصحاب النار في جهنم {إِنَّا} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَخَنَّ} للجمع للتبجيل والتعظيم لله تعالى {نَزِثُ الْأَرْضَ} نملك الأرض {وَمَنْ عَلَيْهَا} وكل ما عليها من المخلوقات من الإنس والجن {وَالْيَنَّا يُرْجَعُونَ} ومصيرهم ورجوعهم ونهايتهم إلينا يوم القيامة ليحاسبوا على جميع أعمالهم التي في الدنيا.

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُّكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾

{وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ} واذكر يا محمد يا رسول الله لقومك في القرآن الكريم {إِبْرَاهِيمَ} قصة إبراهيم عليه السلام {إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا} إنه كان صادقاً في الإيمان وصادقاً مع نفسه ومع ربه {نَبِيًّا} وكان أيضاً نبياً ورسولاً {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ} قال ذات يوم لأبيه آزر {يَتَأَبَّتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ} لم تعبد من دون الله من لا يسمع ولا يبصر من الجمادات من الأصنام والأوثان {وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا} ولا ينفع لك شيئاً ولا يمنع عنك ضرراً ولا يجلب لك نفعاً {يَتَأَبَّتِ} يا والدي {إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ} إن قد أعطاني الله من العلم والمعرفة والدراية وعلمني الله به ما لم يأتك ولم يصلك علمه ولم يخطر على بالك وهو أنه لا إله إلا الله ولا معبود سواه فهو الذي خلق السموات والأرض وخلقنا وخلق كل شيء وإليه المصير {فَاتَّبَعْنِي} فاقترف أثري واقتد بي في عبادة الله تعالى {أَهْدِكَ} أدلك وأرشدك {صِرَاطًا سَوِيًّا} صراطاً مستقيماً وواضحاً لا اعوجاج ولا انحراف فيه

{يَتَأْتِبِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ} يا أبت لا تتبع الشيطان بعبادة الأوثان والأصنام ولا تطع الشيطان {إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا} إن الشيطان عصى الله تعالى في السجود لآدم وتكبر ولم يطع الله تعالى في أوامره لأنه عاصٍ ويريد أن يضل الناس مثله ويعصون الله تعالى في أوامره {يَتَأْتِبِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ} يا والدي أخاف أن يلحقك ويصيبك وينزل عليك سخط الله تعالى وعذابه {فَتَكُونَنَّ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} فتصبح للشيطان تابعاً ومطيعاً فتهلك {قَالَ} قال آزر والد إبراهيم {أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنِ إِلَهِي يَتَابِرْهُمْ} أتريد أن تترك عبادة آلهتي من الأصنام والأوثان يا إبراهيم {لَئِنْ لَّمْ تَنْتَه} لئن لم تنته {لنن لم تدع وترجع عن ذلك وهو عبادة الله تعالى {لَأَرْجُمَنَّكَ} لأقتلنك رجماً بالحجارة {وَأَهْجُرَنِي} وانصرف عني واهجرني واتركني وغادرني {مَلِيًّا} دوماً وأبداً {قَالَ} قال إبراهيم عليه السلام {سَلِّمْ عَلَيْكَ} سأتركك وأهجرك وأعتزلك فالسلام عليك كناية عن تركه واعتزاله ومغادرته كما أخرج النسائي من حديث أبي هريرة مرفوعاً: (إذا قعد أحدكم فليسلم وإذا قام فليسلم فليست الأولى أحق من الآخرة) {سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي} وبعد وداعه لوالده برد السلام عليه قال له عند مغادرته لأبيه سأستغفر الله وأدعوه ليغفر لك ويسامحك {إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا} إنه كان بي لطيفاً وكريماً ومجيباً {وَأَعْتَزَلْكُمْ} وسأعتزلكم وأغادركم وأترككم وأبتعد عنكم {وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ} وما تعبدون من الأصنام والأوثان وكل الذي تعبدونه غير الله تعالى {وَأَدْعُوا رَبِّي} وأدعو لكم ربي الله تعالى بالهداية {عَسَى} أتمنى لعل {أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي}

شَقِيًّا} أتمنى من الله أن لا يرد دعائي خائباً وأن يستجيب لي دعائي بالمغفرة لك يا والدي وأن يتقبله مني.

﴿ فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا

نَبِيًّا ۗ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝٤٩﴾

{فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ} فلما تركهم إبراهيم عليه السلام أي والده وقومه {وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} وما يعبدون من الأصنام والأوثان {وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} رزقه الله وأبدله خيراً من والده وقومه بالذرية الصالحة فوهب الله له إسحاق عليه السلام وابناً لإسحاق وهو يعقوب عليه السلام {وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا} وكلاً من إسحاق وابنه يعقوب عليهما السلام جعله الله نبياً ورسولاً {وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا} ورزقناهم بالذرية الصالحة من رحمة الله تعالى ومن فضله وكرمه بأن جعل من ذرية يعقوب ابنه يوسف عليه السلام نبياً ورسولاً {وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ} وجعل الله لهم لساناً صادقاً أي إسحاق عليه السلام وابنه يعقوب وابن يعقوب يوسف عليه السلام ومن ذريتهم موسى وهارون وشعيب وداود وسليمان وزكريا ويحيى وقال الله تعالى عن صدقهم " أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ " ١٣٣ البقرة. {عَلِيًّا} عالياً عن الكذب ومنزهاً عن الشرك.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَذِيرًا مِّنْ جَانِبِ
 الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾

{وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ} واذكر يا محمد يا رسول الله في القرآن الكريم {مُوسَىٰ} قصة
 موسى عليه السلام {إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا} اصطفاه من خلقه على خلقه لأنه كان نقياً
 تقياً صالحاً {وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا} وموسى عليه السلام اصطفاه الله تعالى بالرسالة
 والنبوة {وَنَذِيرًا} وناداه الله تعالى وكلمه {مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ} من طرف
 جبل الطور الأيمن بالنسبة لقدم موسى عليه السلام من فلسطين من عند شعيب
 عليه السلام إلى مصر وهو الجانب الغربي بالنسبة لجبل الطور {وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا}
 وقربه الله تعالى منزلة ودرجة المناجاة والكلام والمخاطبة قُبلاً من وراء حجاب
 {وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَّحْمَتِنَا} وجعل الله له من رحمته وفضله وكرمه {أَخَاهُ هَارُونَ
 نَبِيًّا} أعطاه الله تعالى أخاه هارون سنداً ومساعداً له وشاداً لأزره ومؤنساً له ومرافقاً
 له وجعله الله تعالى نبياً ورسولاً.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾

{وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ} واذكر يا محمد يا رسول الله في القرآن قصة إسماعيل عليه السلام {إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ} إنه كان لا يخلف وعده. قال ابن جرير: حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن سهل بن عقيل حدثه أن إسماعيل النبي عليه السلام وعد رجلاً مكاناً أن يأتيه فيه فجاء ونسي الرجل فظل به إسماعيل وبات حتى جاء الرجل من الغد فقال ما برحت من ههنا؟ قال لا قال إني نسيت قال لم أكن لأبرح حتى تأتيني فلذلك "كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ". [ابن كثير ج ٣ ص ١٢٥]. وكذلك عندما قال له والده إبراهيم عليه السلام إني أرى في المنام أني أذبحك قال له: " يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ " ولما تله للجبين وأراد ذبحه فعلاً لم يضح بل صبر ولذلك قال تعالى فيه " إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ " {وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} أي أنه رسول من الله تعالى ونبي {وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ} وكان إسماعيل عليه السلام يأمر دائماً أهل بيته وزوجته وأولاده بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة {وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا} وكان عند الله تعالى لطاعته له مرضياً عنه من الله تعالى. وهو أبو العرب في الجزيرة العربية ومنه سلالة سيدنا محمد نبي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم من حديث الأوزاعي عن شداد بن عمار ابن وائلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم).

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾
 أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ
 ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا
 سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾

{وَأَذْكُرْ} واذكر يا محمد يا رسول الله {فِي الْكِتَابِ} في القرآن الكريم {إِدْرِيسَ}
 قصة إدريس عليه السلام واسمه (أخنوخ) وإنما سمي إدريس لكثرة ما كان يدرس
 من كتاب الله تعالى وسنن الإسلام وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب
 ولبسها يعني ثياب القطن وكانوا من قبله يلبسون الجلود والصوف وهو جد أبي
 نوح. [تنبيه الغافلين ج ٢ ص ٦٦]. {إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا} إنه كان صادقاً في الإيمان
 وصادقاً مع نفسه ومع ربه وصادقاً في أقواله وأفعاله {نَبِيًّا} أي نبياً ورسولاً من
 قبل الله تعالى {وَرَفَعْنَاهُ} ورفعنا منزلته ودرجته {مَكَانًا عَلِيًّا} درجة عالية من
 القرب في العبادة لله تعالى أي وصل درجة عالية ومنزلة رفيعة عند الله تعالى وقيل
 أنه رُفِعَ إلى الجنة حياً وفي حديث الإسراء والمعراج الذي جاء فيه عن النبي صلى
 الله عليه وسلم أنه صعد إلى السماء الرابعة قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ثم
 رأيت رجلاً مسنداً ظهره إلى دواوين الخلق التي فيها أمورهم فقلت من هذا يا
 جبريل قال هذا إدريس فدنوت منه وسلمت عليه فقال مرحباً بالأخ الصالح ثم قلت
 يا أخي إن الله قد رفعك مكاناً علياً ودخلت الجنة قبلي ورأيت نعيمها فقال يا
 حبيب الله ما دخلت الجنة ولا رأيت نعيمها وإنما دخلت بستاناً خارج الجنة
 ورأيت على بابها مكتوباً هذا الباب لا يدخله أحد قبل محمد وأمه. [نزهة
 المجالس ص ٣٩٢]. {أُولَئِكَ} هؤلاء الرسل والأنبياء {الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}

الذين تفضل الله عليهم {مِنَ النَّبِيِّينَ} من هؤلاء الأنبياء بالرسالة من قبل الله تعالى إلى أقوامهم {مِنَ ذُرِّيَّةِ آدَمَ} وهم من ذرية آدم عليه السلام ومن أبنائه {وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ} وهم من ذرية من بقي مع نوح عليه السلام في السفينة والذين نجوا من الغرق. ونوح عليه السلام هو الجد الثاني بعد آدم عليه السلام {وَمِنَ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ} وهؤلاء الأنبياء والرسل جميعهم من بعد نوح هم كذلك من ذرية إبراهيم عليه السلام وهو الأب الثالث بعد نوح عليه السلام وغرق قومه {وَإِسْرَائِيلَ} وهو يعقوب عليه السلام وهو ابن إسحاق ابن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ومن ذريته يوسف عليه السلام وشعيب وموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى وجميعهم أنبياء ورسول الله {وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا} وكذلك ممن هدى الله من الرسل والأنبياء والصالحين وممن اختار الله واصطفى من الصالحين {إِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ} إذا تُقرأ عليهم {ءَايَاتُ الرَّحْمٰنِ} أي آيات القرآن وخاصة آيات السجدة {خَرُّوا سُجَّدًا} وقعوا ساجدين لله تعالى على جباههم {وَبِكِيًّا} وهم يبكون خوفاً من عذابه وطمعاً في جنته ورحمته ورضوانه. وعن سجدة التلاوة ومشروعيتها عن أبي هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم: (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار). [فقه المذاهب الأربعة ص ٢٤٤]. وشروطها مثل شروط صحة الصلاة: الطهارة واستقبال القبلة والنية وسماع آية السجدة. وكيفيةها: أن يسجد سجدة واحدة بين تكبيرتين تكبيرة وضع جبهته على الأرض للسجود وتكبيرة رفعها ويقول سبحان ربي الأعلى ثلاثاً ولا يقرأ التشهد ولا يسلم. وتطلب في أربعة عشر موضعاً كما هي موضحة في المصحف

الشريف. [فقه المذاهب الأربعة ص ٢٤٩]. وعند الإمام أبي حنيفة وجوب السجود على القارئ والسامع فإن لم يسجد أحدهما عند موجه كان آثماً. [فقه المذاهب الأربعة ص ٢٤٥]. والسجود يكون عند آخر كل آية من آيات السجدة. [فقه المذاهب الأربعة ص ٢٤٩].

﴿ خَلْفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ۗ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۗ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۗ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۗ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ۗ وَهُمْ فِيهَا رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۗ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۗ ﴾

{ خَلْفَ } جاء وحضر وورث { مِنْ بَعْدِهِمْ } من بعد الرسل والأنبياء والصالحين { خَلْفٌ } قوم جاءوا بعدهم وورثوا الأرض { أَضَاعُوا الصَّلَاةَ } ضيعوا الصلاة وتركوها واستهتروا بها ولم يأتوها ولأنها في نظرهم عادات قديمة لا تصلح للوقت الحاضر وللتطور والأجهزة الإلكترونية الحديثة فهي تضيع الوقت في نظرهم { وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ } واتبعوا أهواءهم وملذاتهم في المحرمات من شرب الخمر والمخدرات والنساء وغيرها { فَسَوْفَ } فسوف يحاسبون يوم القيامة على تركهم الصلاة وتضييعها واتباع شهواتهم { يَلْقَوْنَ غِيًّا } يلقون هلاكاً وعذاباً في نار جهنم يوم القيامة { إِلَّا مَنْ تَابَ } إلا من تاب عن ذلك وندم ورجع إلى عبادة الله تعالى وطاعته { وَآمَنَ } وآمن بالله تعالى وبأوامره واجتناب نواهيه { وَعَمِلَ صَالِحًا } وعمل عملاً صالحاً يرضاه الله تعالى خالصاً لوجه الله تعالى من الأعمال الصالحة والطيبة في الخير وأعمال البر وفي عبادة الله تعالى وفي طاعته { فَأُولَٰئِكَ } فهؤلاء

الذين هذه صفاتهم {يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ} يدخلون الجنة يوم القيامة جزاءً على أعمالهم الصالحة وعلى توبتهم {وَلَا يُظْلَمُونَ} ولا يُنقصون شيئاً من ثواب أعمالهم الصالحة {شَيْئاً} أي شيء أكثر أو قل من الطاعات {جَنَّتِ عَدْنٍ} هي وسط الجنان والجنات دائرة بها. قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن المثني البزار حدثنا محمد بن زياد الكلبي حدثنا يعيش بن حسين عن سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء ملاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران ثم قال لها انظري قالت: " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ " فقال الله وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل). ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ". [ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٨]. {الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ} التي وعد الله تعالى عباده بدخول جنة عدن لمن تاب وعمل صالحاً {بِالْغَيْبِ} بالمستقبل في علم الله تعالى وهو يوم القيامة بدخول الجنة لعباده الصالحين والإيمان بالغيب هو صفة المؤمنين {إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا} إن وعد الله تعالى وعده سيأتي لا محالة ولا ريب فيه وهو صدق وحق {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا} لا يسمعون في الجنة ثرثرة ولا كلاماً ساقطاً ولا كذباً ولا نفاقاً ولا كلاماً فارغاً ولا كلاماً مزعجاً {إِلَّا سَلَامًا} إلا قولاً طيباً سليماً سهلاً رقيقاً محبباً إلى النفس فهو كلام طيب رقيق عذب {وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ} ولهم طعامهم {فِيهَا} في الجنة {بُكْرَةً وَعَشِيًّا} صباحاً ومساءً أي دائماً الطعام والرزق فهو وافر لا مقطوع وموجود ولا ينقص ولا يُمنع عنهم {تِلْكَ الْجَنَّةُ} هذه الجنة {الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا} التي نمنحها ونعطيها وندخلها من عباد الله تعالى

ومن خلقه {مَنْ كَانَ تَقِيًّا} من يتقي الله تعالى ويخافه ويخشاه ويرعى حدوده ويطيعه فيما أمر وينتهي عما زجر أي من كان تقياً وصالحاً وورعاً ويخاف الله ويخشاه.

﴿ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿١٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿١٥﴾ ﴾

{وَمَا نُنزِّلُ} قال جبريل عليه السلام لا نزل بالوحي إليك يا محمد يا رسول الله {إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ} إلا بأمر وإذن وحكم ربك يا محمد لنا بالنزول وهو أنه احتبس جبريل عليه السلام عن النزول فترة فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام بتلك الآية " وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ " إلى آخر الآية. وقال الإمام أحمد: حدثنا يعلى ووكيع قالوا حدثنا عمر بن زر عن أبيه عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبرائيل: (ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟) قال فنزلت " وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ " إلى آخر الآية. [انفرد بإخراجه البخاري - ابن كثير ج ٣ ص ١٣٠]. {لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا} له الأمر علينا في الدنيا {وَمَا خَلْفَنَا} ويوم القيامة التي تأتي بعد وهي من خلفنا بعد الدنيا {وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ} أي بين الدنيا والآخرة عندما يصعق الخلائق جميعهم وهي نفخة الصعق وقبل أن يبعثوا يوم القيامة وهي النفخة الثالثة نفخة القيام {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} ولا ينسى ربك يا محمد يا رسول الله شيئاً. قال ابن أبي حاتم: حدثنا يزيد بن محمد بن عبد الصمد الدمشقي حدثنا محمد بن عثمان يعني أبا الجماهر حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة عن أبيه عن

أبي الدرداء يرفعه قال: (ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرمه فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئاً). [ابن كثير ج ٣ ص ١٣١]. {رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} فهو الله تعالى خالق السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما من ريح وسحاب وشمس وقمر ونجوم وكواكب {فَاعْبُدْهُ} اعبده وحده لا شريك له {وَأَصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ} واصبر على دوام عبادته وطاعته {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} هل تعلم له شبيهاً أو مثيلاً في الاسم والصفة والقول والفعل فهو الواحد وهو الرازق وهو المحيي والمميت وهو القادر وهو الفعال لما يريد.

﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا
 خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ
 حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾
 ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ
 حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنْحِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُلِيَتْ
 عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ
 نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِءْيَا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي
 الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَدًا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ
 فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا
 هُدًى ۗ وَالْبَاقِيَتُ الصَّلِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾

{ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ } ويقول الإنسان من الكفار والمشركين { أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ
 حَيًّا } يقول مكذباً للبعث وبيوم القيامة والحساب هل إذا مت في الدنيا فيوم
 القيامة هل أعيش من جديد وأحيا من جديد وأخرج من قبوري بعد موتي حياً
 { أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ } ويردُّ الله تعالى عليهم بالحجة قائلًا أفلا يتفكر ويتعظ
 الإنسان ويتذكر { أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا } أنا خلقناه قبل حياته في
 الدنيا ولم يكن موجوداً في الوجود وكان هباءً منثوراً كما قال تعالى: " كَيْفَ تَكْفُرُونَ
 بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " ٢٨ البقرة.
 { فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ } ويقسم الله عز وجل بجلاله وبربوبيته لنبيه
 ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قائلًا عن الكفار سنحشرنهم هم

والشياطين الذين يسولون لهم ويزخرفون الدنيا وبعدم حياتهم مرة ثانية بعد موتهم للبعث والنشور في المحشر للحساب {ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ} ثم لنأتين بهم ونجعلهم يُحشرون محيطين بنار جهنم {جِثْيَا} أي جاثين وواقعين على ركبهم من شدة خوفهم ورعبهم وجزعهم من نار جهنم التي تنتظرهم {ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ} ثم لناخذن {مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ} من كل طائفة وحزب وقوم وأمة وجماعة {أَيُّهُمْ أَشَدُّ} أيهم أكثر تكبراً وصلفاً وجحوداً وإنكاراً وتكذيباً وعناداً {عَلَى الرَّحْمَنِ} على عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وتكبراً على طاعته {عِتْيَا} تجبراً وتكبراً وعناداً وفساداً {ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ} ثم الله تعالى أعلم وأدرى وأخبر {بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى} بالذين هم أحق وأولى في تكبرهم وعنادهم وصلفهم ممن هم أقل منهم تكبراً وبها صلياً} بها حرقاً وعذاباً من غيرهم {وَإِنْ مِّنْكُمْ} وما من أحد منكم أيها الناس والخلق جميعاً {إِلَّا وَارِدُهَا} أي إلا ويمر على الصراط من فوقها وهو أحد من السيف وأرق من الشعرة وهو كمثل الجسر الذي يمر فوق البحر وليس لأهل المدينة طريق غيره وهكذا الصراط فهو فوق نار جهنم وهو الطريق الوحيد إما إلى الجنة وإما إلى النار وكلُّ يمر على الصراط على شفير جهنم ونجاته حسب عمله في الدنيا فمنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف وكالطرف (طرف العين) وكالريح وكأجود الخيل والركاب والملائكة يقولون يا رب سلم سلم. قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى ابن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال: (يا عائشة أما عند ثلاث فلا أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا وأما عند تطاير الكتب إما يعطى بيمينه وإما يعطى بشماله فلا وحين يخرج عنق من النار فيطوى

عليهم ويتغيظ عليهم ويقول ذلك العنق: وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة ، وكلت بمن ادعى مع الله إلهاً آخر ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب ووكلت بكل جبار عنيد - قال - فينطوي عليهم ويرميهم في غمرات جهنم ولجهنم جسر أرق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك يأخذان من شاء الله والناس عليه كالبرق وكالطرف وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب والملائكة يقولون: رب سلم سلم فجاج مسلم ومخدوش مسلم ومكور في النار على وجهه). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٥]. {كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ} إن ورود جهنم يوم القيامة {حَتْمًا} أي حقاً وتأكيدياً من الله تعالى {مَقْضِيًّا} أي قضاءً مبرماً وواقعاً لا محالة وهو مؤكد من ربك يا محمد يا رسول الله وهو المرور على الصراط كما جاء في حديث الإمام أحمد أنفياً {ثُمَّ نُنجِي} ثم ننقذ {الَّذِينَ اتَّقَوْا} الذين عبدوا الله وحده وأطاعوه وخافوه ولم يتعدوا حدوده ولم ينتهكوا محارمه {وَوَنذُرُ} ونترك {الظَّالِمِينَ} الظالمين لأنفسهم بالكفر والشرك والذنوب والمعاصي {فِيهَا جِثِّيًّا} أي نتركهم يقعون فيها أي جاثين على ركبهم في نار جهنم أبداً ودائماً {وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا} وإذا تقرأ عليهم آيات القرآن الكريم {بَيِّنَاتٍ} واضحات الحجة والبيان {قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} قال الكفار وهم الذين جحدوا وأنكروا وكذبوا بالرسول والكتب ويوم القيامة {لِلَّذِينَ ءَامَنُوا} للمؤمنين والمصدقين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ} قالوا مستهزئين بالمسلمين أي الجماعتين {خَيْرٌ} أي الطائفتين والجماعتين الكفار والمؤمنين أيهم أفضل {مَقَامًا} درجةً ومنزلةً {وَأَحْسَنُ نَدِيًّا} وأحسن مآلاً وراحةً وهدوءاً واطمئناناً وغنى أي يقصد الكفار أنفسهم أنهم أحسن وأفضل من المسلمين حالاً لأنهم هم الأغنياء وهم رؤساء القوم والذين اتبعوا سيدنا

محمداً صلى الله عليه وسلم هم الفقراء والإماء والعبيد والرقيق وضعفاء القوم وهم قاسوا الدنيا بالآخرة وظنوا أن متاع الدنيا وزخرفها وشهواتها وملذاتها وغرورها هي أفضل وهي المهمة في نظرهم لأنهم لا يصدقون بيوم القيامة ولا بالبعث ولا النشور ولا بالمحشر والحساب يوم القيامة. والجنة هي لمن عبد الله وحده لا شريك له وأطاعه والنار لمن عصى الله تعالى وجحد وأنكر وكذب بالبعث وبيوم القيامة {وَكَمْ أَهْلَكْنَا} وكم دمرنا وأمتنا {قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ} قبلهم من قرن من القرون والعصور السابقة من الأمم والأقوام التي سبقتهم {هُم أَحْسَنُ أُمَّةً} هم أحسن فِرَاشاً وغناً ومالاً {وَرِيّاً} جمالاً ومنظراً وبهجةً وخيراً أكثر منهم غناً ومالاً وجاهاً وقوة مثل قارون وفرعون وغيرهم {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله لهم {مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ} من كان في الدنيا في ضلال وفساد والكفر والمعاصي {فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا} فليملي له الله تعالى ويزيده في طغيانه وفساده وضلاله استدراجاً له حتى يزداد كفراً وغياً وفساداً {حَتَّى إِذَا رَأَوْا} حتى إذا شاهدوا وعابنوا {مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ} ما يوعدون به من الهلاك والعذاب في الدنيا بالخسف أو الصعق أو الزلازل أو الموت {وَأَمَّا السَّاعَةَ} وإما الموت بقيام القيامة {فَسَيَعْلَمُونَ} فعندها سيعلمون {مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا} من هو أسوأ مكاناً وعذاباً ومنزلةً {وَأَضَعُفُ جُنْدًا} وأقل جنداً وقوماً وحزباً وعشيرةً وأضعف جنوداً وحرساً أمام قوة الله تعالى وأمام ملائكة الله الغلاظ الشداد الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا} ويزيد الله تعالى الذين اهتدوا وهم المؤمنون يزيدهم {هُدًى} يزيدهم هداية ويقيناً وصلاحاً وإيماناً راسخاً وانشراحاً للصدر وعندما يقرأ عليهم القرآن فيزدادوا في الطاعات والعبادات وأعمال الخير {وَالْبَقِيَّتُ} أي المستديمات

في الأجر والثواب يوم القيامة {الصِّلِحَتْ} هي الأعمال الصالحات من الذكر والتسبيح والصدقات وهي جميع أعمال الخير {خَيْرٌ} فهي خير وأفضل {عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا} فهي عند ربك يا محمد يا رسول الله يوم القيامة خير وأفضل في الثواب والأجر {وَحَيْرٌ مَّرَدًّا} فهي خير في العاقبة والمنقلب والمصير والجزاء والثواب يوم القيامة. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الباقيات الصالحات: لا إله إلا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله). [أخرجه النسائي وصححه ابن حبان والحاكم - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٧].

﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِعَايِنَتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِيهِ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا هَمًّا عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾

{أَفْرَأَيْتَ} أفعلت يا محمد يا رسول الله وشهدت ما يفعل ويقول {الَّذِي كَفَرَ بِعَايِنَتِنَا} الذي أنكر وجحد بآيات القرآن الكريم وهو العاص بن وائل {وَقَالَ} لخباب بن الأرت إذا بعثت يوم القيامة {لَأُوتِينَ} لأعطين {مَالًا وَوَلَدًا} أي سيكون لي مال كثير وذرية من الأولاد يوم القيامة قالها على سبيل الكفر والعناد والقصة هي: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب بن الأرت قال كنت رجلا قينا وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه منه فقال لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا والله لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى تموت ثم تبعث قال فإني إذا مت ثم بعثت

جئتني ولي ثم مال وولد فأعطيتك فأنزل الله " أفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا - إلى قوله - وَيَأْتِينَا فَرْدًا ". [أخرجه صاحبها الصحيح وغيرهما من غير وجه عن الأعمش به وفي لفظ البخاري: كنت قينا بمكة فعملت للعاص ابن وائل سيفاً فجئت أتقاضاه فذكر الحديث - ابن كثير ج ٣ ص ١٣٥]. {أَطَّلَعَ} **الْغَيْبِ** {فهل اطلع على الغيب في اللوح المحفوظ وعلم بذلك} {أَمْرٍ} أو هل {أَتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} حصل من الله تعالى على عهد وميثاق بذلك {كَلًّا} للنفي {سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ} سنكتب بواسطة حفظه في كتابه وصحيفته كل ما يقول من الكفر والشرك والإنكار والجحود والكبر {وَنَمُدُّ لَهُ رُءُوسَهُ} ونمد له وسنزيد له {مِنْ الْعَذَابِ} من العقاب {مَدًّا} أضعافاً مضاعفةً {وَنَزِّنُ لَهُ مَا يَقُولُ} أي نسلبه ونأخذ منه المال والولد {وَيَأْتِينَا} ويحضر يوم القيامة إلينا في المحشر {فَرْدًا} بذاته ولوحده ولا يملك شيئاً وكما ولدته أمه عرياناً حافياً {وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً} وأخذوا لهم من الأصنام آلهة غير الله تعالى يعبدونها {لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} سنداً وحمايةً ليكونوا لهم أنصاراً يحفظونهم ويحمونهم ويبعدون عنهم عذاب الله تعالى يوم القيامة هكذا ظنوا وعبدوا تلك الأصنام {كَلًّا} نفى فائدة عبادة تلك الأصنام للكفار لتكون لهم عزاً وسنداً ونصراً وتمنعهم من عذاب الله {سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ} ستنكر وتجحد تلك المعبودات من الأصنام والأوثان والأنداد بعبادتهم لها وأنها لم تطلب منهم تلك العبادة {وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا} وزيادة على رفض الأصنام والأوثان لعبادتهم لهم ويتبرءون منهم ويكذبونهم يكونون لهم ضدّاً وأعداءً وخصماءً بتكذيبهم فهم لم يطلبوا منهم العبادة لهم ولم يقبلوا عبادتهم.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا ﴿٨٥﴾ وَنُسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾

{ أَلَمْ تَرَ } ألم تشاهد يا محمد يا رسول الله { أَنَا } أن الله تعالى { أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ } سلط الله تعالى الشياطين { عَلَى الْكَافِرِينَ } وهم الجاحدون والمنكرون والمكذبون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { تَؤْزُهُمْ أَزًّا } تدفعهم للمعاصي والكفر والذنوب دفعاً ويطيعونهم على المعاصي والإغراء على الذنوب { فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ } فلا تستعجل العذاب عليهم يا محمد يا رسول الله { إِنَّمَا نَعُدُّ } إنما نحضر { لَهُمْ } للكفار { عَذَابًا } نجهز لهم عذاباً في جهنم يليق بكفرهم وعنادهم وجحودهم وتكذيبهم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { يَوْمَ نَحْشُرُ } يوم القيامة يحشر الله تعالى { الْمُتَّقِينَ } الطائعين لله تعالى والعابدين له وحده لا شريك له والخائفين من عذابه { إِلَى الرَّحْمَنِ } إلى الله تعالى في المحشر { وَفَدًّا } جماعات ركبانا { وَنُسُوقُ } ندفع { الْمُجْرِمِينَ } المذنبين بالكفر والمعاصي { إِلَى جَهَنَّمَ } إلى نار جهنم يوم القيامة للعذاب { وَرِدًّا } أي وروداً ودخولاً في نار جهنم أي ويرد الكفار ويدخلون جهنم وهم يُساقون كما تساق الإبل والبهائم لأنهم أجزموا وأذنبوا في حق الله تعالى بعدم تصديق الرسل واليوم الآخر والمحشر والحساب والجنة والنار { لَا يَمْلِكُونَ } لا يستطيعون { الشَّفْعَةَ } وهي رفع العذاب ومنعه عن الكفار والعاصين والمجرمين والمذنبين { إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا } إلا من اتخذ عند الله عهداً بالشفاعة كالرسل والأنبياء والشهداء والصالحين والأولياء.

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴿ وَقَالُوا ﴾ وقال الكفار { اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا } اتخذ الله تعالى ولداً فاليهود قالوا عزير ابن الله وقالت النصارى عيسى ابن الله وقال كفار مكة الملائكة بنات الله { لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا } قل لهم يا محمد يا رسول الله قد افتربتم واختلقتم على الله تعالى شيئاً عظيماً ومختلقاً ومنكراً وفضيحاً وهو ادعائكم أن له ولداً { تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ } على وشك أن تتشقق وتتقطع وتسقط السموات السبع من عظمة الله تعالى ومن الخوف منه وكما قال تعالى: " فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا " ١٤٣ الأعراف. { وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ } أي تنزلزل الأرض وتنفسخ { وَتَخِرُّ الْجِبَالُ } وتسقط الجبال { هَدًّا } مهدمة وساقطة كما جاء في الآية آنفاً { أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا } بادعائهم على الله تعالى أن له ولداً { وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا } تعالى الله عن أن يتخذ له ولداً لأنه في غنى عن ذلك ولا يحتاج الولد لا كسند له ولا وريث لأنه لا يموت وهو حي دائم لا يحتاج إلى عزوة ونصرة فتعالى الله عن ذلك { إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ } إن جميع من في السموات من الملائكة والأرض من الإنس والجن وجميع المخلوقات { إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ } إلا آت وحشر يوم القيامة أمام الله تعالى { عَبْدًا } أي خلقاً من خلقه ومقراً له بالعبودية والربوبية { لَقَدْ أَحْصَاهُمْ } لقد علمهم الله تعالى { وَعَدَّهُمْ عَدًّا } وهو يعلم عددهم

وكم عددهم سواءً أهل السموات من الملائكة أو أهل الأرض من الإنس والجن وجميع المخلوقات فهو يعلم عددهم فرداً فرداً {وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ} وجميع المخلوقات تأتية وتحضر إليه في المحشر {يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا} أي في يوم القيامة يأتيه كل واحد مفرداً بنفسه حفاة عراة لا يملكون مالا ولا ولداً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٦٦﴾ فَإِنَّمَا

يَسَّرَنَّهُ لِبِلْسَانِكَ لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٦٨﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم

مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٦٩﴾﴾

{إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا} يقول الله تعالى عز جلاله وعظم قدره وعلا شأنه إن الذين

آمنوا وصدقوا بالله رباً وبملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}

وعمِلوا الأعمال الصالحات والطيبة والحسنة من الخير والبر وفي طاعة الله تعالى

وعبادته ومرضاته {سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ} سيجعل لهم الله تعالى لعبادتهم

وطاعتهم له في قلوب الناس {وُدًّا} محبةً وصداقةً ومودةً وعطفاً بين الناس فيحبهم

ويألفهم الناس. قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا سهيل عن

أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله إذا أحب عبداً

دعا جبريل فقال يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه قال فيحبه جبريل قال ثم

ينادي في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبه قال فيحبه أهل السماء ثم يوضع

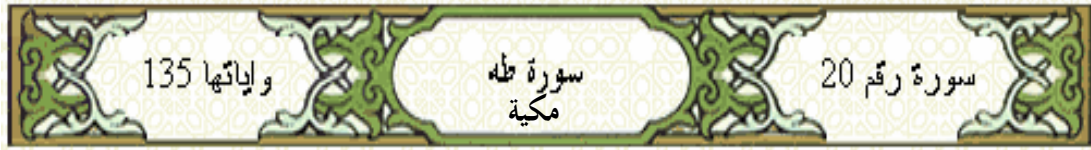
له القبول في الأرض وإن الله إذا أبغض عبداً دعا جبريل فقال يا جبريل إني

أبغض فلاناً فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض

فلاناً فأبغضه قال فيبغضه أهل السماء ثم يوضع له البغضاء في الأرض). [ورواه

مسلم من حديث سهيل ورواه أحمد والبخاري من حديث ابن جريج عن موسى

ابن عتبة عن نافع مولى ابن عمر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بنحوه - ابن كثير ج ٣ ص ١٣٩]. {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ} لقد سهل الله تعالى {بِلِسَانِكَ} سهل الله تعالى قراءة القرآن على لسانك يا محمد يا رسول الله كما قال تعالى: "وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ" ١٧ القمر. {لِتُبَشِّرَ بِهِ} لتبشر به بشارة فرح وسرور ودخول الجنة بالقرآن لمن اتبع أوامره واجتنب نواهيه {الْمُتَّقِينَ} الصالحين والعابدين لله تعالى والطائعين له والخائفين من عذابه وعقابه والحافظين لحدوده والمجتنبين نواهيه {وَتُنذِرَ} وتحذر وتخوف {بِهِ} بالقرآن لمن عصاه وخالفه ولم يصدقه ولم يأخذ به تنذره بعذاب جهنم يوم القيامة {قَوْمًا لُدًّا} قوماً كفاراً خصماء معاندين ومخاصمين ومتكبرين وعاصين ومنكرين وجهلاء. وفي الصحيح: يقول الله تعالى: (كذبني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني وآذاني ابن آدم ولم يكن له أن يؤذيني أما تكذبه إياي فقله لن يعيدني كما بداني وليس أول الخلق بأهون علي من آخره وأما أذاه إياي فقله إن لي ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحداً). [ابن كثير ج ٣ ص ١٣١]. {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ} وكثيراً عذبنا وأهلكنا قبل أمتك يا محمد يا رسول الله من قبلهم من الأمم والأقوام السابقة ومن كل قرن من القرون الماضية والقرن المشهور هو مائة عام {هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ} هل تعلم وهل تجد أحداً منهم أي من القرون الماضية لا يزال حياً أو تخلد من الكفار {أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا} أو تسمع لهم صوتاً أو هل لهم من أثر. أي مصير الكفار جميعاً العذاب والهلاك والموت إن عاجلاً أو آجلاً فليسارعوا إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وطاعته.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكْرَةً لِمَنْ تَخَشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا

مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾

{طه} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية لأن بعض آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وبنفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد - مع ملاحظة كون التفسير هو تقريب المعنى للقارئ - وهذه الحروف حروف أوائل سور القرآن الكريم هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (انظر آية كذا) وكما أسلفنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

وليس (طه) معناها اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما يظن البعض لأن القرآن الكريم كله موجه لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الأصل مثل: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ - قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ - قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ - يَسْأَلُونَكَ - يَسْتَفْتُونَكَ - أقم الصلاة... الخ) وإلا لما كانت حروف أوائل سور القرآن معجزة ولما حيرت عقول كثير من الناس والعلماء في جميع العصور ولكنها كباقي حروف أوائل سور القرآن الكريم مثل: (الم - حم - كهيعص - حم * عسق - طس - طسم - ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ - ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ - ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) وهذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم

والبسمة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جعلت في أول سور القرآن الكريم حتى يُعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة إلى تَكُونِ القرآن من هذه الحروف العربية لذكرت في أوائل جميع سور القرآن. وليست كذلك طلاس لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي مجمل لآيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وقال تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢،١ القصص. وقال تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢،١ لقمان. وعليه فإن معنى (طه) هو قوله تعالى: " وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ " ١٣ الشعراء. وكان الله تعالى يواسي رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مواساةً ورحمةً وتثبيتاً بالأشقى ولا يضيق صدره بالرسالة الملقاة على عاتقه كموسى عليه السلام عندما طلب مؤازرة أخيه هارون. وشاهد على ذلك آيات منها قوله تعالى: " فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ " ٤٠ الرعد. وقوله تعالى: " فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا " ٦ الكهف. وقوله تعالى: " لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ " ٢٢ الغاشية. وقوله تعالى: " فَاصْبِرْ كَمَا

صَبَرَ أَوْلُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ " ٣٥ الأحقاف. وشاهد على ذلك أيضاً أنه أتى في القرآن تكرار ذكر قصص الرسل السابقين عبرةً وموعظةً وتثبيتاً للنبي صلى الله عليه وسلم في رسالته. وقد نصيب وقد نخطئ مع ملاحظة أن التفسير هو تقريب المعنى للقارئ والله أعلم. { مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ } لم ننزل عليك ولم نرسل بواسطة الوحي جبريل يا محمد يا رسول الله { الْقُرْآنَ } آيات القرآن الكريم { لِتَشْقَى } حتى تشقى وتعذب وتتضايق ولا حتى يضيق صدرك ولا ينطلق لسانك به { إِلَّا تَذَكَّرَ } إلا عظة ولتذكر به { لِمَنْ تَخَشَى } لمن يخاف عقاب الله تعالى ووعيده وعذابه لمن عصى وجحد وأنكر وكذب الآخرة { تَنْزِيلاً } أي مرسلًا ومنزلاً { مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى } من الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه الذي خلق الأرض والسماوات السبع العليا التي هي تعلو بعضها فوق بعض فوق الأرض. وقيل إن قدميه صلى الله عليه وسلم من قيام الليل تورمت ودمت فأنزل قوله: " مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى "

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٦﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٧﴾ وَإِنْ جَهَرُوا بِالْقَوْلِ فَيَنْهَرُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٨﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٩﴾ ﴾

{ الرَّحْمَنُ } وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه فهو رحمن يرحم جميع الخلق مسلمهم وكافرهم ويرزقهم على كفرهم وعصيانهم { عَلَى الْعَرْشِ } على ملك العرش وما يحويه من الكرسي الذي يحتوي على السماوات السبع وما فيهن والأرضين السبع وما فيهن وكما جاء في الحديث: (ما السماوات السبع والأرضون السبع وما بينهن وما فيهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وإن الكرسي

بما فيه بالنسبة إلى العرش كتلك الحلقة في تلك الفلاة). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٣].

{أَسْتَوَى} بدأ في تصريف شؤون خلقه وكونه بالحكم والأمر والخلق والرزق والموت والحياة والقدرة كما قال تعالى: " كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ " ٢٩ الرحمن. وكما قال تعالى عن الاستواء: " إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ " ٣ يونس. (والاستواء) هو البدء في تصريف شؤون خلقه وكونه كما قال تعالى: " هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ " ٢٩ البقرة. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: من زعم أن الله تعالى في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك به إذ لو كان على شيء لكان محمولاً ولو كان في شيء لكان محصوراً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. [نزهة المجالس ص ٨]. ومعنى الاستواء ليس هو الجلوس كما يظن البعض لأنه تعالى منزه عن فوق يرفعه وعن تحت ينزله وعن عرش يحمله وعن سماء تكتنفه وعن جهة تحده وعن مكان يقفه. قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه لما سُئِلَ عن قوله تعالى: " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى " قال: من حصر الله تعالى في الجهة الفوقية أو التحتية فقد كفر. [نزهة المجالس ص ٧]. وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع ابن عابس عن عمه أبي رزين واسمه لقيط بن عامر بن المتفق العقيلي قال: قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: (كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق العرش بعد ذلك). [وقد رواه الترمذي في التفسير وابن ماجه في السنن من حديث يزيد بن هارون به وقال الترمذي هذا حديث حسن - ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٧]. وقال العرش للنبي صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج: (أنت المرسل رحمة للعالمين ولا بد لي من نصيب من هذه الرحمة ونصيبني فيها أن

تشهد لي بالبراء مما نسبته أهل الغرور إليّ وتقوله أهل الزور عليّ زعموا أنني أسع من لا حدّ له وأحيط بمن لا كيفية له - يا محمد من لا حدّ لذاته ولا عدّ لصفاته كيف يكون مستقراً إليّ أو محمولاً عليّ يا محمد إذا كان الرحمن اسمه والاستواء صفته وصفته متصلة بذاته فكيف يتصل بي أو ينفصل عني لا أنا منه ولا هو مني). [نزهة المجالس ص ١١٩]. {لَهُر} لله تعالى عز وجل {مَا فِي السَّمَوَاتِ} كل ما في السموات من شمس وقمر ونجوم وملائكة {وَمَا فِي الْأَرْضِ} وكل ما في الأرض من إنس وجن وحيوانات وطيور وبحار وأنهار وجبال ووديان وسهول وجميع ما فيها من مخلوقات {وَمَا بَيْنَهُمَا} من ريح وكائنات ومخلوقات {وَمَا تَحْتِ الْأَرْضِ} وكل ما تحت الأرض من ماء ومعادن وأملاح وبتروكول وذهب وحديد وفحم وكل ما تحت الأرض فهو ملك لله تعالى وحده لا شريك له {وَأَن تَجْهَرُوا} وإن تعلنن {بِالْقَوْلِ} بالكلام {فَأِنَّهُر} فإنه الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَعْلَمُ السِّرَّ} وهو ما يكون بين شخص وآخر ولا يعلمه إلا عدد قليل من الناس {وَأَخْفَى} وهو ما لا يعلمه إلا نفس الشخص وأخفاه في نفسه ولم يُطلع أحداً من الناس عليه {اللَّهُ} الله تعالى رب الأرباب ورب الكون والمخلوقات جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} لا إله ولا معبود غير الله تعالى وحده لا شريك له {لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} له الأسماء الحسنة والطيبة الذي إذا دُعي بها أجاب وإذا ذُكر بها أثاب وإذا احتُمي بها عصم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة). [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ١٠٨].

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا
لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿٢﴾ فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ يَمُوسَى ﴿٣﴾
إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاحْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿٤﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ
لِمَا يُوحَى ﴿٥﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿٦﴾ إِنَّ
السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُحْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿٧﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن
لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿٨﴾ ﴾

{ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى } (وهل) هو سؤال استخباري أي هل علمت قصة موسى أي سأخبرك بقصة موسى عليه السلام عندما قتل الفرعوني نجدة لقرينه اليهودي وهرب بعدها إلى نبي الله ورسوله شعيب عليه السلام في مدين بعد أن قضى عدة ومدة الشرط الذي اشترطه عليه شعيب عليه السلام أن يمكث عنده ثماني حجج أي ثماني سنين ويزوجه ابنته صفوريا ولما قضى عنده تلك المدة وتزوج ابنته وعاد بعد عشرة سنين من مدين إلى مصر ثانياً { إِذْ رَأَى نَارًا } شاهد موسى عليه السلام أثناء عودته وهو في طريقه ناراً مشتعلة بعيدة قليلاً عن طريقه { فَقَالَ لِأَهْلِهِ } فقال لزوجته والزوجة تطلق عند العرب (أهله) { امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا } قال لزوجته ابقي هنا إني شاهدت ورأيت ناراً { لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا } عسى أن أحضر لكم من النار { بِقَبَسٍ } أي جذوة من النار أو بعضاً من الجمر حتى تستدفئوا بها { أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى } أو أجد أحداً يجلس عند النار يهدينا ويرشدنا ويدلنا على الطريق الصحيح إلى مصر { فَلَمَّا أَتَتْهَا } فلما وصلها أي النار رأى عجباً قيل أنها شجرة عوسج كلما ازدادت النار بها اشتعالاً ازدادت الشجرة

أكثر خضرة فتعجب موسى عليه السلام من ذلك وعندها {نُودِيَ يَمُوسَى} وإذا بالنداء يا موسى {إِنِّي أَنَا} وإذا النداء من الله تعالى إلى موسى عليه السلام قال يا موسى إني أنا {رَبُّكَ} خالقك الله تعالى {فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ} انزع نعليك من قدميك أدباً واحتراماً لمناجاة ربك العظيم ذي الجلال والإكرام. وخلع النعلين دون الخفين هو عند دخولك بيت بعض أصحابك ممن يفرشون بيوتهم بالسجاد الفاخر احتراماً للبيت وللضيافة ولأهله فما بالك في الصلاة وفي مناجاة خالق الكون ورب الأرباب وإله الآلهة فالله أكبر وأعلى وأجل وأعظم فعند الوقوف أمامه أو مناجاته فلا بد من الأدب معه وهناك من الأدب مع الله تعالى في الجلوس للصلاة أمامه أن يثني رجله ولا يمدّها إلا لعذر ولا يضع رجلاً على أخرى كذلك وحتى هذه الأفعال تؤذي من يجلس أمامك من الناس لأن فيها عدم احترام للغير ولا يليق ذلك أدباً فما بالك بأحكام الحاكمين فعليه خلع نعليه أمامه {إِنَّكَ بِالْوَادِ} إنك في سيناء عند الطور يوجد هذا الوادي {الْمُقَدَّسِ} المبارك المطهر والمعظم تعظيماً لله تعالى فقدسيته من قدسية الله تعالى أدباً الخلع بين يديه وهو يكلمك {طُوى} اسمه طوى أي هذا المكان {وَأَنَا أَخَّرْتُكَ} أنا اصطفيتك من جميع خلقي {فَأَسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى} اسمع ما أقوله لك وأوحيه لك وآمرك به {إِنِّي أَنَا اللَّهُ} إنني أن الله تعالى الذي أكلمك وأناديك وأناجيك {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا} لا إله غيري فأنا إلهك الوحيد {فَاعْبُدْنِي} فاجعل العبادة لي وحدي {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ} فأد الصلاة {لِذِكْرِي} لعبادتي ولتذكرني فيها وحدي أي اشغل الصلاة بذكري وتسبيحي وتوحيدي وحدي {إِنَّ السَّاعَةَ} إن ساعة قيام القيامة {ءَاتِيَةٌ} ستأتي لا ريب فيها {أَكَادُ أَخْفِيهَا} أكاد أخفي يوم القيامة لولا أنني أظهر علاماتها الصغرى والكبرى حتى

يتعظ الناس ويرجعوا عن غيهم وعصيانهم وكفرهم وشركهم رحمة بهم {لِتُجْزَىٰ} لتحاسب {كُلُّ نَفْسٍ} كل شخص ذكر أو أنثى بلغ الحلم {بِمَا تَسْعَىٰ} بما تعمل {فَلَا يَصُدَّنَّكَ} فلا يمنعك {عَنْهَا} عن يوم القيامة والعمل الصالح لها {مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا} فلا يمنعك من لا يصدق بها {وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} واتبع شهواته وهوى نفسه وملذاته في الحرام والمعصية {فَتَرَدَّىٰ} فتهلك يوم القيامة في نار جهنم إذا اتبعت المنكرين والجاحدين والمكذبين بيوم القيامة.

﴿ وَمَا تَلَكَ بِبَيْمِينِكَ يَمْوَسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقَاهَا يَمْوَسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمْنَا يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ خَرَجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةٌ أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِتُزَيِّنَ لِكَذِبِ الْكُفْرَىٰ ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾

{وَمَا تَلَكَ بِبَيْمِينِكَ يَمْوَسَىٰ} قال الله تعالى لموسى عليه السلام ما تلك بيمينك والله تعالى أعلم بها ولكنه يريد أن يشغله عن جلال الهيبة حتى يفهم ويستوعب ما يأمره الله به وحتى يرفع عنه الخوف قائلاً ما هي التي بيدك اليمنى يا موسى فهو أعلم بها {قَالَ هِيَ عَصَايَ} قال موسى عليه السلام هي عصاي أحملها معي حتى {أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا} أي أتكى عليها وأستند في مشيبي وسفري خلال رحلتي خوفاً من الوقوع في حفرة أثناء سيرى ليلاً في الطريق {وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي} قيل أضرب بها الشجر لإسقاط ورقه لتأكل غنمي والصحيح قال أسوق بها غنمي وكلمة العرب (هش) أي ساق وكلام العرب قولهم هش الغنم يا غلام أي سقهم وأبعدهم

عن الأماكن المزروعة التي يخشى عليها من الضرر أو إتلافها سواء لهم أو لغيرهم (وأهش بها على غنمي) أي أسوق بها غنمي إلى المراعي أو عند عودتهم {وَلِيَ فِيهَا مَعَارِبُ أُخْرَى} ولي فيها شؤون وأشياء أخرى ومنها على سبيل المثال أستعين بها في درء الأخطار والحفاظ على نفسي وغنمي وزوجتي من الوحوش والذئاب والضباع ومن اللصوص وقطاع الطرق ومن الهوام وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما التوكؤ على العصا من أخلاق الأنبياء وكان صلى الله عليه وسلم يتوكأ ويأمر بالاتكاء عليها وقال الحسن البصري رضي الله عنه للعكازة ثمان خصال (سنة الأنبياء - وزينة الصلحاء - سلاح على الأعداء - وعون للضعفاء - ويهرب من صاحبها الشيطان - ويخشع منها الفاجر - وتكون لصاحبها قبلة - وقوة إذا تعب) وذكر العلائي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (العصا من علامة المؤمن وسنة الأنبياء ومن خرج في سفر ومعه عصا من لوز مر آمنه الله من كل سبع ضار ولص عاد ومن كل ذات حمة حتى يرجع إلى أهله ومنزله وكان معه سبعة وسبعون من المعقبات يستغفرون له حتى يرجع ويضعها). والمعقبات هم الملائكة والحفظة وذات الحمة أي ذات السم كالحية والعقرب. [نزهة المجالس ج ١ ص ٢٠٤]. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (من بلغ أربعين سنة ولم يأخذ العصا عد له من الكبر والعجب). [نزهة المجالس ج ١ ص ٢٠٤]. {قَالَ} قال الله تعالى {أَلْقَهَا يَمُوسَى} أي ارم بها يا موسى على الأرض أي عصاك التي في يدك {فَأَلْقَنَهَا} فرمى بها على الأرض {فَإِذَا هِيَ} فإذا عصاه تنقلب {حِيَّةٌ} أي نوع من الثعابين وهي الأخطر في سمها مثل الكوبرا {تَسْعَى} تمشي وتجري {قَالَ} قال الله تعالى لموسى عليه السلام {خُذْهَا} خذ العصاة من الأرض {وَلَا تَخَفْ} ولا تخشى {سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا

الْأُولَىٰ} سنعيدها عصاة ونرجعها مرة ثانية من حية إلى عصا ولا تخف من الإمساك بها {وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ} أي ضع يدك إلى جنبك وضعها في جيبك {تَخْرُجُ بَيضَاءَ} تنقلب يدك السمراء وتصبح بيضاء شديدة البياض تلمع {مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ} من غير تشويه أو سمار من سمارها القديم {ءَايَةٌ أُخْرَىٰ} معجزة ثانية أخرى {لِلرَّيِّكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَىٰ} لنجعلك تشاهد وتطلع بعينك على معجزاتنا العظيمة والكبرى التي أريناها {أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ} توجه إلى فرعون مصر الوليد بن مصعب {إِنَّهُ طَغَىٰ} إنه تجبر وبغى وظلم وتكبر وكثر فساده وهو الذي ربي موسى عليه السلام وهرب موسى عليه السلام منه عندما استصرخه قريبه اليهودي على قريب فرعون وقتله موسى عليه السلام وهرب إلى شعيب عليه السلام في مدين ثم عاد من جديد وأمره الله أن يتوجه إلى فرعون ذلك الجبار المتكبر الطاغى والباغي والظالم.

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ زَرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذُكُّكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾

{قَالَ} قال موسى عليه السلام بعد أن أمره ربه بالتوجه إلى فرعون مصر طالباً من ربه قائلاً {رَبِّ} إلهي وخالقي يا ربي {اشْرَحْ لِي صَدْرِي} أي وسعه واجعله فرحاً مسروراً بهذه الرسالة {وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي} سهل لي أمري وشأني واجعل أموري ميسرة وسهلة ولا صعوبة فيها وخاصة أنه يقابل فرعون وظلمه وجبروته {وَأَحْلِلْ

عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي} وفك عُقال لساني حتى أتمكن من النطق بالحكمة والموعظة الحسنة والكلام اللين الطيب وبالحجة البينة الواضحة حتى أقنع بها فرعون. وقيل أنه في صغره أكل جمرة من نار وذكر العلائي أنه لما بلغ موسى عليه السلام أربع سنوات صنع فرعون مائدة ونادى مناد أن فرعون يريد أن يأكل مع ولده (أي موسى عليه السلام) وهو صغير فاجتمع الناس وكان فرعون لا يأكل من الطعام إلا لقمة وأمر برفعه فقبضه موسى فأكل لقمة أخرى وأمر برفعه فقبضه موسى فأكل لقمة أخرى وأمر برفعه فأخذه موسى وصبه على رأسه فدعا بالسياف ليقتله فتضرعت له آسيا فامتحنه بتمرة وجمرة من النار فأخذ الجمرة بإذن الله تعالى فأحرقت لسانه. وقيل غير ذلك في سبب وضع الجمرة والتمرة وهو أن الكهنة قالوا لفرعون وأخبروه بأن زوال ملكه على يد مولود لا يضره ماء ولا نار فلما نجا موسى عليه السلام في التابوت من الغرق ظهرت الأولى وبقيت النار فامتحنه بها فرعون فأحرقت لسانه سترًا لموسى ولحاله بإذن الله تعالى فأصبح بسبب ذلك في لسانه لثغة فبناءً على ذلك طلب موسى عليه السلام من ربه فك عُقال لسانه حتى ينطق بفصيح الكلام وقال بعض المفسرين طلب موسى حل عقدة واحدة آخذين بظاهر الآية فلو حل عقدة واحدة من لسانه تكفي هذه العقدة لأن يكون لسانه بحرًا هادرًا ومطرًا مدرارًا بالحكمة والحجة والفصاحة البالغة {يَفْقَهُوا قَوْلِي} يفهموا ما أقول ومخاطبتي لهم حتى تذهب لثغة اللسان من أثر الجمرة التي أكلها في صغره {وَأَجْعَل لِّي وَزِيرًا} واجعل لي مساعدًا يؤازرني ويساعدني {مِّنْ أَهْلِي} واجعله من أهلي {هَرُونَ أَخِي} وهو أخي هارون حتى يكون من قومي ومن عشيرتي ومن أهلي ليخلص لي في النصح والإرشاد وفي مساعدتي وفي مؤازرتي. وهو أخوه الأكبر من أمه وأبيه {أَشَدُّ بِهِمَ أَرْزِي} أقوي به سندي وعزيمتي وعزوتي ويساعدني في

رسالتي وشؤوني {وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي} أي اجعله شريكاً معي في رسالتي ووعظي وإرشادي {كَيْ} حتى {نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا} أي ننزهك ونقدسك ونمجدك تسبيحاً كثيراً {وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا} أي نوحدك ونكثر من ذكرك كثيراً {إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا} إنك بنا وبشؤوننا مطلع ومراقب ومشاهد.

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٦٧﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٦٨﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٦٩﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۗ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٧٠﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۗ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمَمِكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۗ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٧١﴾ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٧٢﴾ أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِعَايَتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٧٣﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٧٤﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾

{قَالَ} قال الله تعالى رداً على دعاء موسى عليه السلام {قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ} قد استجيب لك ولبيت دعوتك يا موسى وسؤلك وطلبك لنا {وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ} وهنا يخبره الله تعالى ويطمئنه أكثر باستجابة دعائه قال له ولقد تفضلنا وتكرمنا عليك يا موسى {مَرَّةً أُخْرَىٰ} المرة الثانية وهي استجابة الدعاء. والأولى هي {إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَىٰ} إذ أرسل الله تعالى الوحي جبريل عليه السلام إلى أم موسى لأن التأكيد هنا في أوحينا ما يوحي أي بواسطة الوحي جبريل عليه السلام {أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ} أي إذا خفت يا أم موسى وقيل اسمها (بوخايد)

وقيل أن لها خمسة أسماء وهي إضافة إلى بوخايد: (خَتَلت - وانجركا - اياوخت - أيدوخا) إن خفت على موسى من فرعون وجنده أن يقتلوه فاصنعي له تابوتاً أي صندوقاً من الخشب وأقفيه عليه {فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ} أي ألقيه في البحر أي نهر النيل {فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ} فيدفعه ماء النهر إلى جانب النهر {يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّهُمْ} يجده جند فرعون ويسلموه إلى عدو الله فرعون وهو عدو لموسى لأنه يريد قتله {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي} وقد كان فرعون أمر جنوده بقتل كل مولود ذكر يولد من بني إسرائيل بناءً على طلب الكهنة إلى فرعون لأنهم أخبروه بأن زوال ملكه على يد ولد ذكر من بني إسرائيل ولذلك أمر فرعون بقتل جميع المواليد الذكور ولكن الله تعالى عندما فتحوا الصندوق أمام زوجة فرعون ألقى الله تعالى محبته في قلب آسيا زوجة فرعون حتى يحفظه الله تعالى من القتل {وَلْتُصْنَعْ عَلَيَّ عَيْنِي} ولتتربى وتكبر برعايتي وتحت نظري يا موسى ومشاهدتي {إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ} إذ تمشي أختك على الساحل للنيل وهي تراقبك أين تذهب [واسمها كلثوم - ابن كثير ج ٤ ص ٣٩]. فلما رأت أنه عندما عرض موسى عليه السلام وهو رضيع على جميع النساء فلم يقبل ولا ثدي حتى يرضع عندها تدخلت أخته وقالت {فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ} هل أحضر لكم من ترضعه وتحفظه فوافقوا {فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ} فلما حضرت أمك وألقمتها ثديها أخذه حتى شبع فطلبوا من أم موسى أن تبقى عندهم حتى ترضعه ولكنها احتجت بأن لها بيتاً وأولاداً فلا تستطيع البقاء ولكنها تعهدت بأخذه ورعايته وهذا قوله تعالى: " فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ " {كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا} حتى تطمئن على موسى وعلى رعايته {وَلَا تَحْزَنْ} وحتى لا تحزن بغيابه عنها {وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ}

والنفس التي قتلها موسى هو حين دخل موسى عليه السلام مصر وقت القيلولة وهو قوله تعالى: " عَلَى حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا " فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته ومن قبيلته ومن قومه من بني إسرائيل وهذا من عدوه من قوم فرعون فاستغاث بموسى الإسرائيلي الذي هو من شيعته وقومه على الفرعوني الذي هو من عدوه من قوم فرعون فوكزه موسى أي ضربه موسى بيده في صدره ضربة قوية (فالوكز في الصدر واللكز في الظهر) فقتله حيث أن الله تعالى أعطاه قوة عظيمة حيث قتل الفرعوني بضربة واحدة وموسى عليه السلام من أولي العزم فدفنه في الرمل وهرب بعدها إلى مدين في فلسطين عند شعيب عليه السلام {وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا} أي ابتليناك بمصيبة القتل للفرعوني {فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ} أي مكثت سنين عشر في أهل مدين على شرط شعيب عليه السلام ثمان سنين حتى يزوجه ابنته صفوريا وسنتان كرامةً وفضلاً من موسى لصهره شعيب عليه السلام {ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَىٰ} ثم رجعت إلى مصر بقدر الله ومشيتته بعد العشر سنين التي قضيتها في مدين يا موسى {وَأَصْطَفَعْتُكَ لِنَفْسِي} وخلقتك لرسالتك {أَذْهَبْ} اذهب يا موسى {أَنْتَ وَأَخُوكَ} أنت وأخوك من أمك وأبيك هارون الأكبر منك سناً {بِعَايَتِي} بعظاتي وبراهيني ومعجزاتي {وَلَا تَدِيَا فِي ذِكْرِي} ولا تتقاعسا ولا تهملتا ذكري وتسبيحي وعبادتي {أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ} اذهبا برسالتك إلى فرعون مصر وهو الوليد بن مصعب الذي ربي موسى عنده {إِنَّهُ طَغَىٰ} إنه تجبر وتكبر وظلم وأفسد وكفر وأشرك {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا} فقولا له قولاً طيباً سهلاً لا خشونة ولا غضب فيه {لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ} لعله يتعظ {أَوْ يَخْشَىٰ} أو يخاف عذاب الله في نار جهنم يوم القيامة. وحديث الفتون: قال الإمام النسائي: حدثنا عبد الله بن محمد

حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا أصبغ بن زيد حدثنا القاسم بن أبي أيوب أخبرني سعيد بن جبير قال سألت عبد الله بن عباس عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام "وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا" فسألته عن الفتون ما هو فقال استأنف النهار يا ابن جبير فإن لها حديثاً طويلاً فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس لأنتجز منه ما وعدني من حديث الفتون فقال: تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم عليه السلام يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً فقال بعضهم إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك لا يشكون فيه وكانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا كان وعد إبراهيم عليه السلام فقال فرعون كيف ترون فائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالاً معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه ففعلوا ذلك فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم والصغار يذبحون قالوا ليوشكن أن تفنوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي يكفونكم فاقتلوا عاماً كل مولد ذكراً واتركوا بناتهم ودعوا عاماً فلا تقتلوا منهم أحداً فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار فإنهم لن يكثرُوا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكائرتهم إياكم ولم يفتنوا بمن تقتلون وتحتاجون إليهم فأجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة فلما كان من قابل حملت بموسى عليه السلام فوق في قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون يا ابن جبير ما دخل عليه وهو في بطن أمه مما يراد به فأوحى الله إليها أن لا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فأمرها إذا ولدت أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم فلما ولدت فعلت ذلك فلما توارى عنها ابنها أتاها الشيطان فوسوس لها فقالت في نفسها ما فعلت بابني لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقيه إلى دواب البحر

وحيتانه فانتهى الماء به حتى أوفى به عند مرفعة مستقى جوارى امرأة فرعون فلما رأيته أخذته فأردن أن يفتحن التابوت فقال بعضهن إن في هذا مالاً وأنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه فحملنه كهيئته لم يخرجن منه شيئاً حتى دفعنه إليها فلما فتحته رأت فيه غلاماً فألقى الله عليه منها محبة لم تلق منها على أحد قط وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً من ذكر كل شيء إلا من ذكر موسى فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت لهم أقروه فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل حتى آتى فرعون فأستوهبه منه فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم وإن أمر بذبحه لم ألكم فأتت فرعون فقالت قرّة عين لي ولك فقال فرعون يكون لك فأما لي فلا حاجة لي فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي يُحلف به لو أقر فرعون أن يكون قرّة عين له كما أقرت امرأته لهداه الله كما هداها ولكن حرمه ذلك) فأرسلت إلى من حولها إلى كل امرأة لها لأن تختار له ظئراً فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل على ثديها حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فأمرت به فأخرج إلى السوق ومجمع الناس ترجو أن تجد له ظئراً تأخذه منها فلم يقبل وأصبحت أم موسى والهها فقالت لأخته قصي أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكراً: أحيى ابني أم أكلته الدواب ونسيت ما كان الله وعدها فيه فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون والجنب أن يسمو بصر الإنسان إلى شيء بعيد وهو إلى جنبه وهو لا يشعر به فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤرات أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها فقالوا ما يدريك ما نصحهم له هل تعرفينه حتى شكوا في ذلك وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في صهر الملك ورجاء منفعة الملك فتركوها

فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر فجاءت أمه فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها فمصه حتى امتلأ جنباه رياً وانطلق البشير إلى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئراً فأرسلت إليها فأتت بها وبه فلما رأت ما يصنع بها قالت امكثي ترضعي ابني هذا فإنني لم أحب شيئاً حبه قط قالت أم موسى لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع فإن طابت نفسك أن تعطيني به فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آله خيراً فعلت فإنني غير تاركة بيتي وولدي وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فيه فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت أن الله منجز وعده فرجعت به إلى بيتها من يومها وأنبتة الله نباتاً حسناً وحفظه لما قد قضى فيه فلم يزل بنو إسرائيل وهم في ناحية القرية ممتنعين من السخرة والظلم ما كان فيهم فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى أزيريني ابني فدعتها يوماً تزورها إياه فيه وقالت امرأة فرعون لخزانها وظورها وقهارمتها لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهدية وكرامة لأرى ذلك وأنا باعثة أميناً يحصي ما يضع كل إنسان منكم فلم تنزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون فلما دخل عليها نحلته وأكرمته وفرحت به ونحلت أمه لحسن أثرها عليه ثم قالت لآتين به فرعون فلينحلنه وليكرمنه فلما دخلت به عليه جعله في حجره فتناول موسى لحية فرعون فمدها إلى الأرض فقال الغواة من أعداء الله لفرعون ألا ترى ما وعد الله إبراهيم نبيه أنه زعم أن يرثك ويعلوك ويصرعك فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير بعد كل بلاء ابتلي به وأريد به فتوناً فجاءت امرأة فرعون فقالت ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي ؟ فقال ألا تربينه يزعم أنه يصرعني ويعلونني فقالت اجعل بيني وبينك أمراً يعرف الحق به أنت بجمرتين ولؤلؤتين فقدمهن إليه فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين

عرفت أنه يعقل وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحداً لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل فقرب إليه الجمرتين واللؤلؤتين فتناول الجمرتين فانترعهما منه مخافة أن يحرقا يده فقالت المرأة ألا ترى ؟ فصرفه الله عنه بعد ما كان قد هم به وكان الله بالغاً فيه أمره فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع فبينما موسى عليه السلام يمشي في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان أحدهما فرعوني والآخر إسرائيلي فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فغضب موسى غضباً شديداً لأنه تناوله وهو يعلم منزلته من بني إسرائيل وحفظه لهم لا يعلم الناس إلا إنما ذلك من الرضاع إلا أم موسى إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره فوكز موسى الفرعوني فقتله وليس يراهما أحد إلا الله عز وجل والإسرائيلي فقال موسى حين قتل الرجل هذا من عمل الشيطان إنه عدوّ مضل مبين ثم قال "رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" فأصبح في المدينة خائفاً يترقب الأخبار فأتى فرعون فقيل له إن بني إسرائيل قتلوا رجلاً من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فقال ابغوني قاتله ومن يشهد عليه فإن الملك وإن كان صفوة مع قومه لا يستقيم له أن يقيد بغير بينة ولا ثبت فاطلبوا لي علم ذلك آخذ لكم بحقكم فبينما هم يطوفون لا يجدون ثبناً إذا بموسى من الغد قد رأى ذلك الإسرائيلي يقاتل رجلاً من آل فرعون آخر فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فصادف موسى فندم على ما كان منه وكره الذي رأى فغضب الإسرائيلي وهو يريد أن يبطش بالفرعوني فقال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم إنك لغوي مبين فنظر الإسرائيلي إلى موسى بعد ما قال له ما قال فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني فخاف أن يكون بعد

ما قال له إنك لغوي مبين أن يكون إياه أراد ولم يكن أرادُه إنما أراد الفرعوني فخاف الإسرائيلي وقال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس وإنما قاله مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله فتتاركا وانطلق الفرعوني فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى فأخذ رسل فرعون في الطريق الأعظم يمشون على هيئتهم يطلبون موسى وهم لا يخافون أن يفوتهم فجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة فاختر طريقاً حتى سبقهم إلى موسى فأخبره وذلك من الفتون يا ابن جبير فخرج موسى متوجهاً نحو مدين ولم يلق بلاءً قبل ذلك وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه عز وجل فإنه قال " عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ " يعني بذلك حابستين غنمهما فقال لهما ما خطبكما معترلتين لا تسقيان مع الناس ؟ قالتا ليس لنا قوة نزاحم القوم وإنما نسقي من فضول حياضهم فسقى لهما فجعل يغترف في الدلو ماء كثيراً حتى كان أول الرعاء فانصرفتا بغنمهما إلى أبيهما وانصرف موسى عليه السلام فاستظل بشجرة وقال " رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ " واستنكر أبوهما سرعة صدورهما بغنمهما حفلاً بطاناً فقال إن لكما اليوم لشأناً فأخبرته بما صنع موسى فأمر إحداهما أن تدعوه فأتت موسى فدعته فلما كلمه قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولسنا في مملكته فقالت إحداهما " يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ " فاحتملته الغيرة على أن قال لها ما يدريك ما قوته وما أمانته ؟ فقالت أما قوته فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا لم أر رجلاً قط أقوى في ذلك السقي منه وأما الأمانة فإنه نظر إليّ حين أقبلت إليه وشخصت

له فلما علم أنني امرأة صوّب رأسه فلم يرفعه حتى بلغته رسالتك ثم قال لي امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلم يفعل هذا إلا وهو أمين فسرى عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت فقال له هل لك "أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ" ففعل فكانت على نبي الله موسى ثمان سنين واجبة وكانت سنتان عدة منه ففضى الله عنه عدته فأتَمَمَهَا عَشْرًا قَالَ سَعِيدٌ وَهُوَ ابْنُ جَبْرِ: فلقيني رجل من أهل النصرانية من علمائهم قال هل تدري أيّ الأجلين قضى موسى؟ قلت لا وأنا يومئذ لا أدري فلقيت ابن عباس فذكرت له ذلك فقال أما علمت أن ثمانياً كانت على نبي الله واجبة لم يكن نبي الله لينقص منها شيئاً ويعلم أن الله كان قاضياً عن موسى مدته التي كان وعده فإنه قضى عشر سنين فلقيت النصراني فأخبرته ذلك فقال الذي سألته فأخبرك أعلم منك بذلك قلت أجل وأولى. [ابن كثير ج ٣ ص ١٥٠].

﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ ١٥٠ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿ ١٥١ ﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ أَهْدَى ﴿ ١٥٢ ﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿ ١٥٣ ﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴿ ١٥٤ ﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿ ١٥٥ ﴾

{قَالَ} قال موسى وهارون عليهما السلام {رَبَّنَا} إلهنا وخالقنا ورب الكون كله {إِنَّنَا} أنا موسى وأخي هارون {نَخَافُ} نخاف ونخشى {أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا} أَنْ يَفْجُرْنَا بِالْعَذَابِ الَّذِي لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَيَبَاغِتْنَا بِهِ وَيَنْهَالُ عَلَيْنَا بِالضَرْبِ وَالْعَذَابِ

{أَوْ أَنْ يَطْغَى} أو يظلم ويتجبر علينا بالسجن أو بالعذاب {قَالَ} قال الله تعالى {لَا تَخَافَا} لا تخشيا منه أبداً {إِنِّي} إني أنا الله العزيز القوي الجبار {مَعَكُمْ} معكما يا موسى ويا هارون {أَسْمِعْ} أسمع ما يدور بينكما وبينه {وَأَرَى} وأشاهد ما تقولون وما تفعلون وما هو صانع بكما أي لا تخافا أنتما تحت نظري وسمعي وحمائتي وحفظي {فَأْتِيَاهُ} فاذهبا إليه {فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ} فتوجها إليه وقولا له إنا رُسُلُ ربك إليك يا فرعون أرسلنا {فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} فأعطنا بني إسرائيل نتولى أمرهم وشأنهم {وَلَا تُعَذِّبْهُمْ} ولا تتسلط عليهم ولا تعذبهم ولا تعاقبهم {قَدْ جِئْنَاكَ بِعَايَةٍ مِّنْ رَبِّكَ} قد حضرنا إليك ببينة وحجة ودلالة ومعجزة من الله تعالى إليك وهي معجزة الحية والثعبان بالعصا {وَأَلْسَلِمُ} والأمان يوم القيامة من عذاب الله تعالى {عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ أَهْدَىٰ} على من اهتدى واتبع الهدى وطريق الرشاد والعدل والحق وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له وأطاعه {إِنَّا} إنا أنا موسى وهارون {قَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْنَا} قد أوحى الله وأرسل إلينا وبلغنا {أَنَّ الْعَذَابَ} أن العقاب {عَلَىٰ مَن كَذَّبَ} على من كذب وجحد وأنكر {وَتَوَلَّىٰ} وأعرض عن عبادة الله تعالى وطاعته {قَالَ} قال فرعون مصر {فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسَىٰ} رد فرعون موسى مستنكراً على موسى وهارون عليهما السلام فمن إلهكما الذي تدعيانه يا موسى {قَالَ} قال موسى عليه السلام {رَبُّنَا} خالقنا وإلهنا ورب الكون كله {الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ} الذي خلق كل شيء على صورته وشكله وصفته وهيئته من المخلوقات واضحة وعلى الصورة التي نراها ونشاهدها في الكون والمخلوقات فبعض الحيوانات يمشي على أربع وبعضهم

على اثنتين وبعضهم على بطنه وبعضهم يطير مثل الطيور والشمس على هيئتها والقمر على هيئته وصفته كما نشاهدهما ونراهما وكذلك النجوم والسموات والأرض والبحار والأنهار والناس على أحسن صورة وفي أحسن تقويم {ثُمَّ هَدَىٰ} ثم هدى كل شيء لعبادة الله تعالى لقوله تعالى: " وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ " ٤٤ الإسراء. وكما قال تعالى: " كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ " ٤١ النور. وكذلك هدى كل شيء في جلب رزقه والطيور يغدو خماساً ويعود بطاناً والنحلة تسلك سبل ربها والنمل والحيتان في البحار كل يعرف طريق رزقه وتكاثره.

﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴾ ٥٥ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٦﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٧﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٨﴾

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ ٥٥ ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا ﴾ ٥٦ ﴿ كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ ٥٧ ﴿

{قَالَ} قال فرعون لموسى وهو يسأله مستنكراً ومعتزلاً ومتهكماً على موسى قائلاً {فَمَا بَالُ} فما قصة وما مصير {الْقُرُونِ الْأُولَى} أي ما مصير الناس في القرون الماضية ممن عبدوا غير الله تعالى ولم يهتدوا ولم يرسل إليهم رسول مثل موسى {قَالَ} قال موسى عليه السلام رداً على سؤال فرعون عن الأقوام في العصور الماضية ممن لم تأتهم رسالات الأنبياء لهدايتهم قال موسى {عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي} أي علم ذلك عند الله تعالى فهو الذي سيحاسبهم {فِي كِتَابٍ} في كتاب وصحيفة كل

منهم من أعمالهم من خير أو شر فهو مكتوب ومسجل في كتبهم من قبل الملائكة الحفظة الكرام الكاتبين {لَا يَضِلُّ رَبِّي} لا يئتيه ولا يخطئ {وَلَا يَنْسَى} ولا ينسى شيئاً من أعمالهم وكل شيء مكتوب ومسجل في صحفهم {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا} الله تعالى الذي مهّد لكم الأرض لتسيروا فيها {وَسَلَكَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا} وعمل لكم فيها طرقاً ومسارات تهتدوا بها في زهابكم وإيابكم وسفركم وخروجكم لطلب الرزق وقضاء حوائجكم {وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} وأنزل من السماء ماء المطر لكم {فَأَخْرَجْنَا بِهِ} فأنبت الله به {أَزْوَاجًا} أي صنفان ذكر وأنثى وأبيض وأسود مثل العنب والتين وغير ذلك {مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى} من نباتات وأشجار كثيرة ومختلفة اللون والطعم والشكل {كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ} كلوا أيها الناس من تلك الثمار ثمار الأشجار والنباتات وارعوا أغنامكم ومواشيكم وإبلكم وحيواناتكم من الأعشاب وأوراق الأشجار والنباتات {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في كل ذلك المطر والنباتات الشتى {لَآيَاتٍ} لحجج وبراهين ومعجزات {لِلْأُولَى الَّذِينَ} للمتعظين والذين ينتهون عند حدود الله ولا يتعدونها ويطيعون الله فيما أمر ونهى عنه وزجر {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ} من الأرض خلقناكم {وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ} وفي الأرض نعيدكم في القبور أمواتاً {وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ} ومن الأرض بالبعث والحياة والنشور نخرجكم أحياءً للحساب يوم القيامة {تَارَةً أُخْرَى} أي مرة ثانية نحْييكم كما خلقناكم أول مرة من العدم وكنتم هباءً منثوراً ولم تكونوا شيئاً {وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ} ولقد جعلناه يشاهد بأم عينيه وهو ينظر حقيقة {ءَايَاتِنَا كُلَّهَا} براهين الله تعالى وبياناته ومعجزاته التسع بما فيها العصاة التي انقلبت ثعباناً مبيناً وحيةً تسعى {فَكَذَّبَ}

فكذب بها جميعها وأنكرها وجحدها {وَأَبَى} ورفض الإيمان بالله تعالى ورفض تصديق رسالة موسى عليه السلام ومعجزات الله تعالى.

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ۚ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ تُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾

{قَالَ} قال فرعون لموسى {أَجِئْتَنَا} هل أتيتنا وحضرت إلينا {لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا} لتطردنا من أرضنا من مصر {بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى} بهذا السحر الذي جئتنا به يا موسى وهو انقلاب عصاه إلى حية تسعى ولم يعترفوا بها أنها معجزة من عند الله تعالى وهذا هو منتهى الغرور والكبر والجحود والإنكار {فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ} فسنحضر لك سحراً مثله بإحضار السحرة مثلك {فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا} فاجعل يا موسى بيننا وبينك زماناً ومكاناً {لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ} لا نتأخر عن ذلك اليوم والموعود لا نحن سحرة فرعون ولا أنت يا موسى {مَكَانًا سُوًى} مكاناً واحداً لنا ولك {قَالَ} قال موسى عليه السلام {مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ} الموعد بيننا وبينكم يا فرعون هو يوم عيدكم يوم الزينة فهو مهرجان الألعاب والابتهاجات والفرح {وَأَنْ تُحْشَرَ النَّاسُ} وأن يحشد ويجتمع الناس في

ذلك المكان وفي ذلك الموعد وهو يوم الزينة والعيد عندهم {ضُحَى} أي في ضحى
النهار وقبل الظهر أي ما بين طلوع الشمس وبين وقت الظهر {فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ} فذهب
فرعون {فَجَمَعَ كَيْدَهُ} أي جمع السحرة حتى يكيد بموسى ويبطل ما
جاءهم به من معجزة العصا وانقلابها إلى حية تسعى {ثُمَّ أَتَى} ثم أحضرهم وأتى
بهم وهم السحرة في يوم الزينة {قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ} قال موسى عليه السلام للسحرة
{وَيْلَكُمْ} يالعدابكم من الله تعالى {لَا تَفْتُرُوا} لا تختلقوا ولا تأتوا {عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا} لا تكذبوا على الله بسحركم {فَيَسْحَتِكُمْ} فيهلككم {بِعَذَابٍ} بعقاب
منه {وَقَدْ خَابَ} وقد خسر {مَنْ أَفْتَرَىٰ} من اختلق على الله الباطل وكذب
{فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ} فاختلفوا فيما بينهم وتجادلوا وتناقشوا في أمر المنازلة
{وَأَسْرُوا النَّجْوَى} وخلصوا إلى الإصرار على المنازلة مع موسى عليه السلام
{قَالُوا} قال السحرة في ما تناجوا به فيما بينهم {إِنَّ هَذَا} أي موسى وهارون
{لَسِحْرَانِ} أي سحرة وليس رسل الله تعالى {يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ}
يريدان أن يطردانكم من أرضكم مصر {بِسِحْرِهِمَا} بالسحر الذي يقومون بعمله
أمامكم {وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى} ويغيرا عدالة قضيتكم الصحيحة والعدالة
{فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ} فاجمعوا قوتكم ودهاءكم وسحركم {ثُمَّ آتُوا صَفًّا} ثم قفوا
صفاً واحداً وتقدموا بسحركم مرة واحدة {وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ} وقد نجح اليوم {مَنْ
أَسْتَعْلَى} من فاز بهذه المبارزة وتقديم سحر أجود وأحسن.

﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ﴿٥٦﴾ فَإِذَا
 حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٥٧﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً
 مُوسَىٰ ﴿٥٨﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٥٩﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا
 ﴿٦٠﴾ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦١﴾ فَأَلْقَىٰ السَّحْرَةَ سُجَّدًا
 قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴿

{قَالُوا} قال السحرة {يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ} قالوا يا
 موسى إما أن تبدأ بتقديم سحرك وإلقائه واستعراضه وإما أن نبدأ نحن بإلقاء
 واستعراض سحرنا {قَالَ} قال موسى عليه السلام {بَلْ أَلْقُوا} بل ابدأوا أنتم
 بإلقاء سحركم وفنكم وحيلكم {فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ} فإذا الحبال والعصي التي
 ألقوا بها أمامه {يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ} فألقوا بحبالهم وعصيهم وقد
 ملأوها بالزئبق فلما ألقوا بها في الضحى واشتد الحر تحرك الزئبق وتمدد داخلها
 فخيَّل إليه بحركتها من تمدد وتحرك الزئبق بداخلها كأن هذه الحبال والعصي
 فيها حياة هي التي تسبب هذه الحركة وذلك (من سحرهم) أي من دقة كيدهم
 وفنهم في صناعة الحيات والثعابين والزئبق داخلها وهي تتحرك يميناً وشمالاً ومن
 دقة صناعتها خيَّل لموسى عليه السلام أنها حيات وثعابين حقيقة حية وتتحرك
 وتسير من نفسها. ويؤكد أن ما قام به أولئك السحرة ما هو إلا من قبيل فن
 الصناعة والخدع والحيلة قوله تعالى: " وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا
 صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ " فدل قوله تعالى [صنعوا] على أن ما قاموا به هو صناعة يد
 وخدع وحيل {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ} ومن شدة مفاجأة ما رأى موسى
 عليه السلام خاف من كثرة ما ألقى السحرة ومن شدة إتقان سحرهم وعملهم المتقن

والعظيم زيادة على كثرة الملقين من السحرة وأعدادهم الهائلة ولذلك ألقوا كمية كبيرة من العصي والحبال المملوءة بالزئبق الذي يتمدد في شدة حرارة الشمس في وقت الضحى وكما قال تعالى: " فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيْنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ " ١١٦ الأعراف. {قُلْنَا} قال الله تعالى له بالوحي {لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى} لا تخف يا موسى فأنت الذي ستفوز وتسيطر عليهم {وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ} وألق عصاك التي في يمينك يا موسى {تَلَقَّفْ} تبتلع {مَا صَنَعُوا} باليد ما صنعوه وعملوا من العصي والحبال كهيئة ثعابين {إِنَّمَا صَنَعُوا} إنما هي صناعة يد ودقة في الصناعة فهي {كَيْدٌ سَحِرٍ} فهي حيلة ساحر وهذه الصناعات التي تسمى بالألعاب السحرية هي فن وخفة يد وهي حيلة من حيل السحرة وليست حقيقة واقعة {وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ} ولا ينجح الساحر الذي يعمل الشر لأن الله أكبر منه كما قال تعالى: " فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ " ٨١ يونس. لأن الله قد جعل لكل شيء ضداً كما جعل الشفاء يزيل المرض والدعاء يرد القضاء والاستغفار يمحو الذنوب {حَيْثُ أَتَى} حيث عمل من هذه الحيل لأنها ليست حقيقة مثل معجزة الله تعالى لموسى وعصاه التي انقلبت حية تسعى وتجري وتبتلع كل ما صنعوه من الصناعات والحيل من الزئبق وخلافه {فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا} فوقع السحرة على الأرض ساجدين لله تعالى على يقينهم وعلمهم بحقيقة معجزة سيدنا موسى عليه السلام وأنها من الله تعالى وليس من السحر ولا من جنس السحر {قَالُوا ءَأَمَّنَّا} قال السحرة آمنا وصدقنا {بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى} بالله تعالى رب موسى وهارون وهما رسولا الله تعالى وهذا يدل على أن السحرة هم أكثر من يؤمن بالله تعالى لأنهم

يعلمون أن السحر وهو سواء الحيل والألعاب اليدوية والسحرية والصناعة وخفة اليد أنها بسيطة وقليلة وضعيفة أمام قدرة الله تعالى ومعجزاته.

﴿ قَالَ ءَأَمْنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ط
فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ
أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي
فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا ءَأَمْنَا بِرَبِّنَا
لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ط وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ
رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ
الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾

{ قَالَ } قال فرعون للسحرة بعد أن بهرت معجزة موسى السحرة وسجدوا لله تعالى مقربين له بالعبودية فلما رأى فرعون سجودهم جنّ جنونه فقال للسحرة { ءَأَمْنْتُمْ لَهُ } اعترفتم له وصدقتموه أي صدقتم موسى { قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ } قبل أن أسمح لكم باتباعه وتصديقه { إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ } إنه شيخكم ورئيسكم ومعلمكم { الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ } الذي تعلمتم منه وعلمكم السحر وفنونه وأن موسى أستاذكم { فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ } وهنا هدد فرعون السحرة الذين آمنوا بمعجزة موسى عليه السلام وسجدوا لله هددهم فرعون ملك مصر بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف أي يخالف قطع الأيدي مع الأرجل بتقطيع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى أو الرجل اليمنى مع اليد اليسرى { وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ }

وهدهم بصلبهم على جذوع النخل وبقتلهم {وَلَتَعْلَمُنَّ} وتتأكدن {أَيُّنَا} أنا فرعون أم رب موسى {أَشَدُّ عَذَابًا} أقسى عذاباً وعقاباً وأماً {وَأَبْقَى} وأكثر بقاءً ودواماً واستمراراً عذابي أم عذاب رب موسى؟ وهذا هو الذي نجى السحرة من عذاب فرعون حيث أثبت الله تعالى أنه يدافع عن الذين آمنوا كما قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا " ٣٨ الحج. وكما قال تعالى: " وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا " ٢٥ الأحزاب. وكما قال تعالى: " كَلَّمَا أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَاها اللَّهُ " ٦٤ المائدة. وكما قال تعالى: " فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ " ٨٨ الأنبياء. وأنه ثبت بوجود السامري وهو من كبار السحرة الذي عمل من الحلي عجلاً له خوار وعبده بنو إسرائيل ثبت بوجوده وعدم موته أن فرعون لم يستطع قتل السحرة الذين آمنوا مع موسى بل نجاهم الله وأغرق فرعون وقومه في اليم ويؤكد ذلك الآيات التي وردت في سورة الشعراء وهي قوله تعالى: " فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ {٤٥} فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ {٤٦} قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ {٤٧} رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ {٤٨} قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاَفٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ {٤٩} قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ {٥٠} إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ {٥١} وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ مُتَّبِعُونَ {٥٢} فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ {٥٣} إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ {٥٤} وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ {٥٥} وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ {٥٦} فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {٥٧} وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ {٥٨} كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ {٥٩} فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ {٦٠} فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ {٦١} قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ {٦٢} فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ

بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَاَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ {٦٣} وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ {٦٤} وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ {٦٥} " وهذه الآيات يدل سياقها من سرد القصة كاملة على نجاة السحرة من فرعون بما فيهم السامري وهو أحدهم أو كبيرهم وقيل أن ابن عباس وعبيد بن عمير وقتادة وابن جريج قالوا عن سحرة فرعون أنهم كانوا في أول النهار سحرة وفي آخره شهداء [ابن كثير ج ٢ ص ٢٣٨] والله أعلم. وهنا بانة قوة فرعون الحقيقية أمام قوة الله تعالى حيث أنه قال حين غرقه: " آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ " ٩٠ يونس. {قَالُوا} قال السحرة الذين آمنوا بمعجزة عصا موسى عليه السلام وسجدوا لله قالوا لفرعون ملك مصر رداً على تهديده لهم بقطع الأيدي والأرجل من خلاف والصلب في جذوع النخل قالوا له {لَنْ نُؤْتِرَكَ} لا نُبَدِّيك ولا نقدمك ولا نفضلك {عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ آيَاتِنَا} على ما جاءنا وشاهدناه بأعيننا من الدلائل والبراهين والمعجزات التي رأيناها وشاهدناها وعلمناها بصدق رسالة موسى عليه السلام {وَالَّذِي فَطَرَنَا} وكذلك لا نُؤْتِرَكَ ولا نفضلك على الله تعالى الذي خلقنا {فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ} فافعل ما شئت وافعل ما يحلو لك وافعل ما تريد {إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} إنما تحكم في هذه الحياة الدنيا التي مصيرها إلى الزوال وتبقى الآخرة وهي هدفنا ومرادنا وطلبنا وأملنا ورغبتنا {إِنَّا} إنا نحن السحرة {ءَامَنَّا بِرَبِّنَا} آمننا وصدقنا بربنا وخالقنا الله تعالى {لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا} ليتجاوز لنا عن ذنوبنا السابقة {وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ} وما غصبتنا وأرغمتنا عليه كرهاً {مِنَ السِّحْرِ} من السحر الذي عملناه حيلة وتمويهاً وكذباً وصناعةً وخفة يد في الألعاب السحرية {وَاللَّهُ خَيْرٌ} والله أفضل لنا {وَأَبْقَى} ودائم لنا ثوابه وأجره وفضله وكرمه وعطاؤه

{إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ} إنه من يأت ربه وخالقه الله تعالى يوم القيامة {مُجْرِمًا} مذنباً وعاصياً {فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ} فإن له عذاباً وعقاباً في نار جهنم يوم القيامة {لَا يَمُوتُ فِيهَا} لا يموت فيها من شدة العذاب في نار جهنم يوم القيامة لأنه لا موت يوم القيامة {وَلَا تَحْيَىٰ} ولا يحيى حياة طيبة ولا سعيدة بل عذاب دائم {وَمَن يَأْتِهِ} ومن يأت الله تعالى يوم القيامة {مُؤْمِنًا} مصداقاً ومؤمناً بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر {قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ} قد عمل من الأعمال الصالحة والطاعات لوجه الله تعالى وفي عبادته ورضائه {فَأُولَٰئِكَ هُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ} فهؤلاء لهم المنزلة العالية في الجنة {جَنَّاتٌ عِدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} يدخلون جنات عدن التي تجري خلالها ومن تحت قصورها الأنهار. قال أبو بكر ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن المثني البزار حدثنا محمد بن زياد الكلبي حدثنا يعيش ابن حسين عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء ملاطها (طينها) المسك وحصاؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران ثم قال لها انطقي قالت " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ " فقال الله: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل. ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ". [ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٨]. {خَالِدِينَ فِيهَا} دائمون في الجنة يوم القيامة {وَذَٰلِكَ جَزَاءُ} وذلك ثواب {مَنْ تَزَكَّىٰ} من تطهر وحفظ نفسه من الشرك والسوء والمعاصي والذنوب.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ۖ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَخْجَيْنَاكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾

{وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ} ولقد أوحى الله تعالى وأرسل جبريل عليه السلام إلى موسى عليه السلام ليبلغه {أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي} أن اخرج ليلاً يا موسى بعبادي بني إسرائيل بما فيهم السحرة الذين آمنوا بمعجزة عصا موسى عليه السلام وسجدوا لله مؤمنين به فهم عباد الله مع بني إسرائيل فالإسراء هو السير ليلاً والهروب من فرعون ومن تهديده للسحرة بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف وبصلبهم على جذوع النخل {فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ} فاضرب بعصاك يا موسى البحر يصبح لهم طريقاً {يَبَسًا} أي يابساً لا ماء فيه بقدره الله تعالى ومعجزة ثانية لموسى عليه السلام {لَا تَخَفُ دَرَكًا} لا تخاف من فرعون اللحاق بك وجنده {وَلَا تَخْشَىٰ} ولا تخشى ولا تخاف أن يلحقوا بك أو يمسكوا بك وبمن معك {فَاتَّبَعَهُمْ} فلحق بهم {فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ} فرعون ملك مصر وهو الوليد بن مصعب وجنوده وعسكره {فَغَشِيَهُمْ} فأصابهم {مِّنَ الْيَمِّ} من ماء البحر الأحمر {مَا غَشِيَهُمْ} ما لحق بهم وأغرقهم عن آخرهم {وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ} وأغوى فرعون مصر وأضل وأبعد قومه عن الهدى واتباع الحق والرشاد {وَمَا هَدَىٰ} ولم يهد قومه لعبادة الله تعالى

وطاعته {يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْجَيْنَاكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ} يُذَكِّرُ اللهُ تعالى بني إسرائيل ويخاطبهم بقوله قد أنجيناكم وأنقذناكم من عدوكم فرعون ملك مصر ومن عذابه ومن قتل أبنائكم واستحياء نساءكم {وَوَاعَدْنَاكُمْ} ووعدناكم يا بني إسرائيل {جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ} مناجاة الله تعالى لكم في الجانب الأيمن من الطور وهي الجهة الغربية لطور سيناء وهي كلام الله تعالى لهم ويسمعه بآذانهم حقيقة حتى يتأكدوا من صحة رسالة موسى من الله تعالى له {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الِّمْنَ} وأرسل الله تعالى على بني إسرائيل العسل {وَالسَّلْوَى} وهي طير السمان والذي يظهر بكثرة على سواحل البحر الأبيض المتوسط وبكثرة في منطقة العريش على الساحل للبحر وذلك في شهر سبتمبر وهو الشهر التاسع من كل عام وحتى عصرنا الحاضر ويمتد إلى الشمال على منطقة بحر غزة {كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} كلوا من حلال خيرات ما رزقناكم من المن والسلوى {وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ} ولا تمنعوا غيركم من أكله ولا تظلموا أنفسكم بحرمانها من الطيبات أو تحريمها عليكم أو عليهم. ولما احتلت إسرائيل قطاع غزة منعوا الناس من صيد السلوى وهو السمان الذي يخرج من البحر في شهر سبتمبر من كل عام وهو الشهر التاسع الميلادي حيث تُنصب له الشباك على شاطئ البحر لصيده وأكله وهو من أشهى لحم الطيور وأزكاها حيث أنزله الله تعالى لبني إسرائيل في عهد موسى ولكنهم بطروه وطلبوا الأكل مما تنبت الأرض من بقلها وقتائها وفومها وعدسها وبصلها وهذا هو الطغيان وهو بطر الأكل والطعام والرزق الحلال والصيد الحلال {فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ} فيجب عليكم {غَضَبِي} عذابي وعقابي {وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ} ومن ينزل عليه {غَضَبِي} عذابي {فَقَدْ هَوَى} فقد هلك {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ} وإني أنا الله تعالى غفار الذنوب {لِمَنْ تَابَ} لمن تاب وندم

ورجع لطاعة الله تعالى {وَأَمَّنَ} وصدق وآمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر {وَعَمِلَ صَالِحًا} وعمل عملاً صالحاً في عبادة الله تعالى وطاعته وفي مرضاته {ثُمَّ أَهْتَدَى} ثم اهتدى واتبع طريق الحق والصواب وعبد الله وحده وأطاعه.

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴿٨٦﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَتْرَى وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٧﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٨﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَنْقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ نَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٩﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٩٠﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٩١﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٩٢﴾ ﴾

{وَمَا أَعْجَلَكَ} يسأل الله تعالى موسى عليه السلام سؤالاً وكان وراءه خبراً مزعجاً وهو: لماذا أعجلت القدوم للمناجاة؟! وكأنه ينهاه عن ذلك {عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى} عن ترك قومك بني إسرائيل يا موسى وكان موسى عليه السلام قد وعده ربه بمناجاة وقومه معه فتعجل للقاء ربه وسبق قومه وقال لهارون أخيه اخلفني وكن نائباً عني في غيابي في حكم وقيادة وإرشاد بني إسرائيل {قَالَ} قال موسى عليه السلام رداً على سؤال ربه له عن قومه أين هم وعن استعجاله وقدمه مسرعاً قبلهم لأنه من المفترض أنهم سيحضرون المناجاة ويسمعون كلام الله بآذانهم معه

وكانوا قد طلبوا منه ذلك فاختار موسى عليه السلام سبعين رجلاً منهم نيابة عن قومهم فقال موسى عليه السلام لربه {هُمُ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَثْرَى} هم هؤلاء قومي قادمون خلفي مباشرة وهم على الطريق يمشون ببطء خلفي {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى} وأسرعت إليك ولمناجاتك يا ربي حتى ترضى عليّ ولا أريد أن أتأخر وأنتظر سير قومي ببطء وهم خلفي {قَالَ} قال الله تعالى {فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ} قال الله تعالى قد ابتلينا قومك يا موسى وهم بنو إسرائيل {مِنْ بَعْدِكَ} من بعد مغادرتك لهم {وَأَضَلَّهُمْ} وأغواهم وضلّهم {السَّامِرِيُّ} والسامري هو أحد السحرة وهو يجيد فن السحر وهذا إثبات آخر بأن فرعون لم يقتل السحرة ولم يصلبهم وقد هربوا مع موسى وأنجاهم الله وأغرق فرعون {فَرَجَعَ} فعاد {مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ} موسى عليه السلام نبي الله ورسوله عاد إلى قومه {غَضَبْنَا} غاضباً على قومه وحزيناً {أَسْفًا} متألماً من عبادتهم للعجل {قَالَ} قال موسى عليه السلام حزيناً وأسفاً ومتألماً ومتضيقاً {يَنْقَوْمِرِ} يا قومي من بني إسرائيل {أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ} ألم يعدكم ربكم الله تعالى {وَعَدًّا حَسَنًا} وعداً طيباً صادقاً وكريماً بأن يُنزل عليكم كتاب التوراة وتسمعون مناجاته وكلامه لموسى عليه السلام {أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ} أَلْعَهْدُ} فهل طال عليكم الانتظار {أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ نَحِلَّ عَلَيْكُمْ} أم هل أردتم أن يقع وينزل عليكم {غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ} سخط وعذاب عليكم من الله تعالى {فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي} فخالفتم مواعيدي بمناجاة ربي {قَالُوا} قال بنو إسرائيل مجيبين موسى عليه السلام {مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ} لم نخالف موعدك بمناجاة ربك {بِمَلِكِنَا} بإرادتنا وبخاطرنا {وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا} ولكننا كنا نحمل أمانات {مِّن زِينَةِ

الْقَوْمِ} ما يتزين بها قوم فرعون من الذهب والفضة كأمانات وهو وزر وذنب علينا اقترفناه بحملها وأخذها والهروب بها {فَقَذَفْنَاهَا} ولما أمرنا هارون أن نقذفها ونرمي بها في حفرة وأن نوقد عليها النار لأن أخذها حرام فألقيناها جميعاً {فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ} وكذلك رمى السامري بما معه من الذهب والفضة من أمانات قوم فرعون وألقى السامري على ذلك الذهب قبضة تراب من أثر قدم موسى رسول الله عليه السلام بعد أن طلب من هارون الدعاء له على عمل لم ينجزه بعد ولم يعلمه هارون ما هو وكان السامري قد ألقى قبضة التراب من يده على كوم الذهب الذي عمله على صفة عجل أو ثور وقال اللهم اجعله جسداً له خوار وصوت كصوت البقر {فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً} أي عمل لهم وصنع لهم من الذهب الذي ألقوه في النار وجعل ذلك الكوم من الذهب على صفة عجل في شكله وهيكله ودون روح أو دم {لَهُ خُورٌ} أي له صوت الثور وذلك أنه لما كانت تمر الريح عليه فتعمل به صوتاً كالخوار أي صوت البقر والسامري هو من السحرة ولم يقتله فرعون بل هدد بقتل السحرة في غدهم فهرب بهم موسى عليه السلام والسامري أحدهم فلما رأى بنو إسرائيل العجل وسمعوا صوته وهو على هيكله وشكله خيل لهم بأنه عجل حيّ {فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ} فقال بنو إسرائيل لبعضهم عن الثور الذي صنعه السامري وله خوار وصوت بهبوب الريح عليه هذا هو إلهكم وربكم {وَاللَّهُ مُوسَى} وإله ورب وخالق موسى {فَنَسِيَ} فنسى السامري ربه وخالقه الله تعالى وعبد غيره كما قال تعالى: " وَلَقَدْ عَاهِدْنَا إِبْرَاهِيمَ وَمِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً " ١١٥ طه. {أَفَلَا يَرَوْنَ} أفلا ينظرون ويشاهدون أن العجل هيكل فقط مصنوع من الذهب ولا يتحرك {أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا} أنه لا

يسمعهم ولا ينطق لأنه هيكلم مصنوع من الذهب ولا حياة ولا روح فيه {وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا} ولا يستطيع تقديم النفع لهم ولا رفع الضر عنهم.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَنْقُومِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ^ط وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي

وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩١﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩٢﴾ قَالَ

يَنْهَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٣﴾ أَلَّا تَتَّبِعَ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٤﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ

لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي^ط إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ

قَوْلِي ﴿٩٥﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَنْسَمِرِي ﴿٩٦﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ^ط فَقَبَضْتُ

قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَّالِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٧﴾ قَالَ فَاذْهَبْ

فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ^ط وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفُهُ^ط وَأَنْظُرْ إِلَىٰ

إِلْهَيْكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٨﴾ إِنَّمَا

إِلْهَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٩﴾﴾

{وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ} ولقد قال هارون عليه السلام لبني إسرائيل {مِنْ قَبْلُ} من

قبل حضور موسى عليه السلام وعودته من مناجاة ربه إليهم {يَنْقُومِ} قال هارون

عليه السلام لقومه يا قومي ويا عشيرتي {إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ} إنما ابتليتكم بعبادة

العجل وضللتكم وغويتكم بعبادة العجل {وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ} وإن ربكم وخالقكم

وإلهكم هو الله تعالى الرحمن الذي يرحم جميع الناس والخلق مسلمهم وكافرهم

ويرزقهم على كفرهم وعصيانهم {فَاتَّبِعُونِي} فاقتدوا بي {وَأَطِيعُوا أَمْرِي} وأطيعوا

أمري ونصحي بترك عبادة العجل وابدوا الله وحده لا شريك له {قَالُوا} قال بنو

إسرائيل لهارون {لَنْ نَبْرَحَ} لا نزال {عَلَيْهِ} على العجل {عَاكِفِينَ} ملازمين

لعبادته {حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ} حتى يعود إلينا موسى عليه السلام {قَالَ} قال موسى عليه السلام لما حضر غضبان أسفاً لعبادتهم العجل {يَهْتَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا} قال موسى لهارون أخيه ما هو السبب بعدم منعك لهم حين شاهدت بني إسرائيل انحرفوا وعبدوا العجل بدلاً من عبادة الله تعالى وحده - وقد قال ذلك موسى عليه السلام لما غووا وابتعدوا عن الحق وعبدوا العجل من دون الله قال ذلك غاضباً وبغيظ شديد على أخيه هارون ظاناً أنه وافقهم على عملهم بعبادة العجل {أَلَا تَتَّبِعُونَ} ألا تعمل بنصيحتي وتقتدي بي في عبادة الله تعالى وحده لا شريك له {أَفَعْصَيْتَ أَمْرِي} فهل عصيت أوامري بعبادة الله تعالى وحده وكان قد مسكه من لحيته وشعر رأسه {قَالَ} قال هارون عليه السلام ملاطفاً موسى حتى يهدأ غضبه {يَبْتَنُوهُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي} يا أخي يا ابن أُمي لا تشد شعر لحيتي ولا شعر رأسي حينما مسكهما موسى عليه السلام وهو يهزه ويعنفه {إِنِّي خَشِيتُ} إني خفت {أَنْ تَقُولَ} أن تقول لي يا موسى {فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} خالفت بين بني إسرائيل وشنتهم {وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي} ولم تأخذ بنصيحتي في جعلهم يستمرون على عبادة الله وهذا القول اللين من هارون لأخيه موسى وموسى أصغر منه سناً أراد بذلك أن يتودد إلى أخيه موسى وأن يسكن من روعه ومن غضبه حتى يفهمه الحقيقة وحتى يبرئ نفسه من ظن موسى بأنه وافقهم على عبادة العجل {قَالَ} قال موسى عليه السلام {فَمَا خَطْبُكَ} فما دهاك {يَسْمِرِي} فما هو شأنك وماذا تريد يا سامري بعبادة العجل وترك عبادة الله تعالى وحده لا شريك له {قَالَ} قال السامري وهو أحد السحرة وكان يعلم فنون

السحر {بَصُرْتُ} علمت {بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ} بما لم يعلموا به أي بنو إسرائيل وهو علم السحر {فَقَبِضْتُ قَبِيضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ} أخذت قبضة من التراب من أثر قدم موسى عليه السلام وهو رسول الله. وأما من ذهب إلى أن الرسول هو جبريل عليه السلام أو فرسه فهذا مخالف لخليفة الملائكة الذين خلُقوا من نور وهم لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون وليس لهم أثر ولا ظل لأنهم خلُقوا من نور. والدليل على ذلك أن ملك اليمين وملك الشمال الموجودين مع ابن آدم كما قال تعالى: " مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ " ١٨ ق. لا يوجد لهما أثر ولا ظل. وهذا هو الأرجح عندي والله أعلم {فَبَبَذْتُهَا} فرشتها على الذهب الذي صنعت على هيئة العجل وذلك بعد أن تلا عليها بعضاً من التعاويذ والعزائم السحرية {وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي} وهكذا وسوست وغرت وزخرفت لي نفسي بعمل ذلك للعجل {قَالَ} قال موسى عليه السلام {فَأَذْهَبْ} فانصرف عنا {فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ} ففي حياتك ما دمت حياً أن تقول للناس لا مساس ولا اختلاط بي ولا أحد يكلمني ولا يمسنني طيلة حياتي جزاءً وعقاباً لك {وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا} وكذلك في الآخرة فإن لك موعداً للحساب والعذاب {لَنْ نُخْلِفَهُ} لن تغفلت منه ولن تنجو ولن تمتنع من الحضور في المحشر للحساب {وَأَنْظُرْ إِلَى} وشاهد {إِلَيْهِكَ} وهو العجل {الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا} والذي بقيت له عابداً طيلة غيابي {لَنُحَرِّقَنَّهُ} سنحرقه لك في النار {ثُمَّ لَنَسْفَعْنَهُ} في أليم نسفاً ثم لنقطعنه ولنفرقنه في البحر قطعاً قطعاً ولنكسرنه ثم نقذفه في البحر {إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ} إنما معبودكم وإلهكم الوحيد هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه

{الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} الذي لا إله ولا معبود بحق إلا هو الله وحده ولا إله غيره
 {وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا} أحاط بكل شيء، علماً وأحاط به معرفة وخبرة ودراية.
 ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١١﴾ مَنْ
 أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٢﴾ خَلِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 حِمْلًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٤﴾ يَتَخَفَتُونَ
 بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٥﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ
 لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٦﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٧﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا
 صَفْصَفًا ﴿١٨﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٩﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ
 وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿٢٠﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا
 مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿٢١﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا
 يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿٢٢﴾

﴿وَعَنْتِ الْأَوْجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ

الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿٢٤﴾﴾

{كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ} وهكذا نقص عليك ونخبرك يا محمد يا رسول الله {مِنْ

أَنْبَاءِ} من أخبار {مَا قَدْ سَبَقَ} ما قد سبقكم من الأمم السابقة والأقوام المتقدمة مع

رسلهم {وَقَدْ آتَيْنَاكَ} وقد أعطيناك {مِنْ لَدُنَّا} من عندنا أي من عند الله تعالى

ومن فضله وكرمه {ذِكْرًا} قرآنًا تذكروني به. أخرج البيهقي عن عائشة رضي الله

عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (البيت الذي يُقرأ فيه القرآن يتراءى

لأهل السماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض). [خزينة الأسرار ص ٥٧]. وأخرج

البزار عن أنس رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام (أن البيت الذي يُقرأ فيه القرآن يكثر خيره والبيت الذي لا يُقرأ فيه القرآن يقل خيره). [خزينة الأسرار ص ٥٧]. وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (حملة القرآن أولياء الله تعالى فمن عاداهم فقد عادى الله ومن والاهم فقد والى الله). [خزينة الأسرار ص ٥٧]. وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فإنها نور لك في الأرض وذخر لك في السماء). [خطب ابن الخطيب ص ٧٧]. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ألا إنها ستكون فتنة) فقلت ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: (كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله تعالى ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو صراط الله المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتمس به الألسن ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن حكم به عدل ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم). [كذا في المصابيح وروح البيان - خزينة الأسرار ص ٥٣]. {مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ} من ابتعد وترك القرآن ولم يصدقه ولم يعمل به {فَإِنَّهُ سَيَحْمَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا} فإنه يأتي يوم القيامة وهو يحمل ذنباً ومعصية {خَالِدِينَ فِيهِ} يخلد بسببه في جهنم {وَسَاءَ لَهُمْ} وقبح وعظم لهم {يَوْمَ الْقِيَامَةِ جِمْلًا} وسيسوء لهم حمل ذلك الوزر يوم القيامة لما سيلاقون من العذاب لارتكابهم هذا الذنب من عدم التصديق بالقرآن وتكذيبه وعدم العمل به ولاستهانتهم به ولتفريطهم به {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ}

والذي ينفخ في الصور للبعث هو إسرافيل عليه السلام وهذا يكون يوم القيامة في المحشر {وَنَحْشُرُهُ} ويحشر الله تعالى يوم القيامة {الْمُجْرِمِينَ} وهم العاصون والكافرون والمشركون والمذنبون في صعيد ومكان واحد {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة {زُرْقًا} قيل زرق العيون والصحيح هو زرقاً أجسادهم من تعذيب الملائكة لهم وهم يسوقونهم ويحشرونهم في صعيد واحد في المحشر {يَتَخَلَفْتُونَ بَيْنَهُمْ} يتحدثون فيما بينهم بصوت خافت خوفاً ورعباً لما ينتظرهم ويقولون لبعضهم {إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا} يقولون ما لبثتم في الدنيا إلا عشرًا من الأيام وكانت اليهود في الدنيا يقولون لا نمكث إلا عشرة أيام في العذاب ثم ندخل الجنة فظنوا أن العشرة أيام قد مرت عليهم وقد قضوها في الدنيا {لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ} ويخبر الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه بأنه يعلم ويحيط بما يدور بينهم فيقول نحن أعلم وأخبر بما يقولون وبما يسرون من القول {إِذْ يَقُولُ امثالهم طريقتهم إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا} ويقول أحسنهم وأفضلهم طريقة ومسلكاً إن لبثتم في الدنيا إلا يوماً واحداً أي أنكم لم تلبثوا في دنياكم إلا كيوم واحد لقصر نعيمها وفنائها وزوالها سريعاً. روى الإمام أحمد: حدثنا حسين حدثنا رويد عن أبي إسحاق عن زرعة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدنيا دار من لا دار له ودار من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له). [ابن كثير ج ٣ ص ٣٣]. {وَيَسْأَلُونَكَ} ويسألونك يا محمد كفاراً قريشاً ويطلبون منك الإجابة {عَنِ الْجِبَالِ} ما مصير الجبال الضخمة والعظيمة يوم القيامة أين يذهب الله تعالى بها {فَقُلْ} فقل لهم يا محمد يا رسول الله وأجبهم {يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا} أي يخلعها ويهددها هداً ويذهبها هباءً منثوراً ولا يبقى لها أثراً ومثال ذلك القنابل الذرية لا تبقى لها أثراً والله أكبر

{فَيَذَرُهَا} فيتركها {قَاعًا} قراراً لا وجود له أي مكاناً لا وجود له {صَفْصَفًا} أملساً {لَا تَرَى فِيهَا} لا ترى في محلها {عِوَجًا} لا اعوجاجاً {وَلَا أُمَّتًا} ولا منحدرات ولا مطبات ولا انخفاضاً ولا ارتفاعاً ولا منعطفاتٍ ولا هبوطاً ولا صعوداً {يَوْمَئِذٍ} أي يوم القيامة يوم ينفخ في الصور {يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ} جميع الخلق تلبية وتطيع داعي الله وهو مناد من قبل الله تعالى ينادي الناس في المحشر {لَا عِوَجَ لَهُ} فلا عوج ولا مخالفة ولا معاندة له فيما يدعوهم له ويأمرهم به {وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ} وعندها أصغت وسكتت الأصوات والألسن عن الكلام {لِلرَّحْمَنِ} لله تعالى الذي رحمهم في الدنيا برزق الكافر والمسلم والعاصي والمؤمن والذي يرحم الخلق كذلك يوم القيامة حيث يعفو عن كثير من الخطايا والذنوب ويرحمهم من عقوبته بالشفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع الأنبياء والشهداء والأولياء والعلماء والصالحون والأطفال الصغار لآبائهم المسلمين {فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} فلا تسمع أصواتاً عند ذلك ولا إزعاجاً ولا كلاماً عالياً ومرتفعاً إلا صوتاً خافتاً ووشوشة لا يكاد يُسمع أحدهم جاره ولا يسمعه إلا الجار لانخفاضه {يَوْمَئِذٍ} في هذا اليوم يوم القيامة {لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ} لا تنفع الشفاعة للكفار ولا كالتي في الدنيا من أصحاب الجاه والغنى والعظمة بل لا تنفع {إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ} إلا من سمح له الله تعالى الذي يرحم وينجي من العقوبة والعذاب ونار جهنم {وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا} ورضي الله تعالى قوله وشفاعته كما أسلفنا آنفاً كالنبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي يأذن له ويرضى له قولاً وحديثاً بالشفاعة وكذلك الشهداء يشفع كل واحد منهم في سبعين من أهل بيته كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك يشفع الملائكة والأنبياء والرسل والصديقون والصالحون والعلماء

والأولياء والأطفال في آبائهم وأمهاتهم من المسلمين الذين صبروا ولم يجزعوا عند موت أطفالهم وفرطهم وجميعهم يشفعون بعد أن يأذن الله تعالى لهم ويرضى منهم قولاً في الشفاعة ما عدا أهل الكبائر فهؤلاء يدخلون جهنم ولا شفاعة لهم إلا بعد دخول جهنم وعذابهم فيها ما شاء الله لهم ثم يشفع فيهم بعد ذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما روت الأحاديث والله أعلم {يَعْلَمُ} يعلم الله تعالى {مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} يعلم الله تعالى كل ما يدور لهم في دنياهم {وَمَا خَلْفَهُمْ} وما ينتظرهم في آخرتهم {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} وأما الخلق فلا علم لهم بما يفعل الله تعالى في كونه وفي خلقه وكما قال تعالى: " كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ " ٢٩ الرحمن. {وَعَنْتِ أَلْوَجُوهُ} وخشعت واتجهت وخضعت وشخصت الوجوه والأبصار يوم القيامة وخضعت الرقاب للواحد القهار {لِلْحَيِّ} لله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه الحي الذي لا يموت {الْقَيُّومِ} الدائم القائم بملك السموات والأرض والقائم بكل ما يتعلق بال مخلوقات من رزق وحياة وموت وبعث وحساب وعذاب {وَقَدْ خَابَ} وقد خسر وهلك {مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} من جاء وقد ارتكب ظلماً للناس في الدنيا وظلماً لنفسه بالكفر والشرك والمعاصي والذنوب وكما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وكما قال تعالى: " إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ} ومن يعمل من الأعمال الصالحات والأعمال الطيبات من الخير والبر والصلاح في عبادة الله تعالى وفي طاعته وفي مرضاته {وَهُوَ مُؤْمِنٌ} وهو مصدق ومؤمن بالله وحده وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء خيره وشره وحلوه ومره {فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا} فلا يخاف جوراً ولا قهراً في الدنيا حتى لو ظلم فهو لا يخاف جور الله تعالى عليه في الآخرة بل يثيبه على

ذلك {وَلَا هَضْمًا} ولا أكلاً لحقوقه ولا تعدياً من أحد لأنه لا يظلم ولا يجور ولا يعتدي على أحد وإذا أكل حقه أحد فلا يخاف أن يهضم حقه يوم القيامة فالله تعالى في عدله يثيبه بدخول الجنة ويأخذ له حقه ممن ظلمه.

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۗ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾

{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} وهكذا أنزل الله تعالى القرآن الكريم بلسان عربي وبلغة عربية فصحي {وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ} وبيننا فيه من الوعيد والتهديد والتحذير أي نزلنا ووضحنا وبيننا فيه من الوعيد والتهديد والتحذير والنذير لمن كفر وعصى وأعرض عن عبادة الله وحده لا شريك له بأن لهم عذاباً أليماً وشديداً في نار جهنم يوم القيامة {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} عساهم يخشون ويخافون تعدي حدود الله وانتهاك حرماته وعصيانه {أَوْ يُحَدِّثُهُمْ} أو يحدث لهم القرآن {ذِكْرًا} انقلاباً إلى الأصلاح أو يحدث لهم عظة ونصحاء ورجوعاً للحق وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له {فَتَعَلَىٰ اللَّهُ} تنزه الله وتعالى وعظم وعلا وارتفع عن الشرك {الْمَلِكُ الْحَقُّ} فهو الملك الحق وهو ملك الملوك وملك يوم القيامة وهو حق وصدق الذي لا رب غيره ولا إله سواه {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ} ولا تسرع بقراءة القرآن ولفظ كل

كلمة مع جبريل عليه السلام حين يوحيه إليك ويلقنك نزول الآيات {مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ} أي قبل أن يتم لك قراءة الآية كاملة وتفسيرها حتى تعلق بذهنك ليسهل عليك حفظه وفهمه {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} وادع ربك الله تعالى أن يزيدك علماً من القرآن وأن تنتفع به في معرفته وفي تنزيله وسبب تنزيله وأن يثبتته في فؤادك ولا تنساه. وثبت في الصحيح عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعالج من الوحي شدة فكان مما يحرك به لسانه فأنزل الله هذه الآية يعني أنه عليه السلام كان إذا جاءه جبريل بالوحي كلما قال جبريل آية قالها معه من شدة حرصه على حفظ القرآن فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه لئلا يشق عليه فقال: " لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ". [ابن كثير ج ٣ ص ١٦٧]. وقال ابن ماجه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً والحمد لله على كل حال). [ابن كثير ج ٣ ص ١٦٧]. وروي عن ابن عباس أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (خير الناس وخير من يمشي على الأرض المعلمون كلما خلق الدين جددوه أعطوهم ولا تشاحوهم ولا تخرجوهم). [خزينة الأسرار ص ٨٠]. وقال صلى الله عليه وسلم: (تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قرينة لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل أهل الجنة وهو الأنيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل في السراء والمعين على الضراء والسلاح على الأعداء والزينة عند الأخلاء يرفع الله به أقواماً فيجعلهم للخير قادة وأئمة تقتفى آثارهم

ويقتدى بأفعالهم وينتهى إلى رأيهم ترغب الملائكة في خلتهم وتمسحهم بأجنحتهم يستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصاييح الأبصار من الظلم يبلغ العبد من العلم منازل الأخيار والدرجات العليا في الدنيا والآخرة التفكير فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام به توصل الأرحام وبه يعرف الحلال من الحرام وهو إمام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء). [نزهة المجالس ج ٢ ص ٦٥]. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (حضور مجلس علم أفضل من ألف ركعة وعبادة ألف مريض وشهادة ألف جنازة) وقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن قال: (وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالعلم). [نزهة المجالس ج ٢ ص ٦٥]. وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع). [نزهة المجالس ص ٦٥].

{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ} ولقد وصينا وأخبرنا ونصحننا وأعلمنا آدم بأن لا يأكل من الشجرة في الجنة وهي شجرة الحنطة {مِنْ قَبْلُ} من قبل أن يغويه ويوسوس له الشيطان {فَنَسِيَ} فنسي آدم عليه السلام النصيحة والوصية وأكل من الشجرة {وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا} ولم نشاهد له صبراً ولا عزمًا على حفظ نفسه وعهده والنصيحة والوصية بعدم أكله من شجرة الحنطة التي في الجنة وهذه الآية تؤكد أن آدم عليه السلام ليس من الرسل أولي العزم في الآية كما قال تعالى: " فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ " ٣٥ الأحقاف. {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ} قال الله تعالى للملائكة - وهم الملائكة المقربون وهم الخاصة وخاصة منهم المعنيون بأمر آدم وذريته كجبريل الموكل بالرسالة وميكائيل الموكل بالرزق وإسرافيل الموكل بالنفخ في البوق وعزرائيل الموكل بالموت ومن في حكمهم - قال لهم بعد خلق آدم عليه السلام والنفخ فيه من روحه {أَسْجُدُوا لِآدَمَ} وهذا السجود سجود تحية واحترام

لآدم عليه السلام من قبل الملائكة وليس عبادة لآدم بل طاعة لله تعالى {فَسَجَدُوا} فسجدوا سجوداً طبيعياً على الجباه {إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى} إلا إبليس اللعين رفض. وإبليس هو أبو الجن كما أسلفنا {فَقُلْنَا يَتَّعَادُمُ} قال الله تعالى لآدم عليه السلام وقوله الحق يا آدم {إِنَّ هَذَا} إن هذا إبليس {عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ} هو عدو لك يا آدم أنت وزوجك حواء في الجنة {فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ} فلا يطردكما من الجنة بالمعصية لله تعالى بأكل الشجرة التي نهاهما الله تعالى عنها وهي الحنطة {فَتَشْقَى} أنت وحدك فتبأس وتتعب أنت يا آدم في الدنيا إذا أخرجت من الجنة ولهذا فإن النفقة والسكنى والملابس وتقديم المهر على الرجل وليس على الزوجة {إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا} لا تجوع في الجنة من قلة الأكل لكثرة نعيمها وثمارها التي لا تنقطع {وَلَا تَعْرَى} أي لكثرة حللها ولا تبلى ثيابها {وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا} وأنت لا تعطش في الجنة لكثرة مائها وأنهارها وعيونها {وَلَا تَضْحَى} أي لا ترى فيها شمساً حتى تضحي وهذه الآيات تدل دلالة قاطعة بأن الجنة التي دخلها آدم عليه السلام هي الجنة الحقيقية التي لا يضحي فيها وليست كما يدعي البعض بأنها بستان على ربوة أو جنة على ربوة في الأرض بل هي الجنة الحقيقية التي لا يجوع فيها ولا يعرى وفي غيرها لو كانت ربوة في الأرض فيجوع فيها ويعرى ويظماً ويضحي. وكما قال تعالى: "مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا" ١٣ الإنسان. وهي الجنة الحقيقية وليست كما يدعي البعض بأنها جنة على ربوة في الدنيا هي التي دخلها آدم وهذا قصر نظر ولم يؤمنوا بالغيب لأن الخلق لآدم في السماء والنفخ فيه من روح الله تعالى في السماء وسجود الملائكة له في السماء ودخول الجنة الحقيقية التي يدخلها المؤمنون والصالحون يوم القيامة

وليست جنة على ربوة دخلها ثم خرج منها وكما دلت عليها هذه الآيات بأنه لا يضحى فيها أي لم ير الشمس فيها وهي الجنة الحقيقية أما لو كانت ربوة في الدنيا لكانت فيها شمس وهذا مخالف لنص هذه الآيات.

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَعَادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۗ﴾

﴿ ١٢٠ ۝ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءَ تَهُمَا وَطَفِقَا مَخَصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ۗ﴾

وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿ ١٢١ ۝ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿ ١٢٢ ۝ قَالَ أَهْبِطَا

مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۗ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا

يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿ ١٢٣ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿ ١٢٤ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿ ١٢٥ ۝ قَالَ كَذَلِكِ

أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۗ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسىٰ ﴿ ١٢٦ ۝ وَكَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ

بِعَايَتِ رَبِّهِ ۗ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿ ١٢٧ ۝ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ

الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿ ١٢٨ ۝﴾

{ فَوَسْوَسَ } كلمه وأغراه وأغواه وحرضه وأضله وزخرف القول { إِلَيْهِ } إلى آدم

{ الشَّيْطَانُ } وهو إبليس { قَالَ يَتَعَادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ } قال إبليس لآدم وأراد إغواءه

فقال له هل أدلك وأخبرك { عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ } على شجرة الحياة والبقاء ولم يمت

من أكل منها وهي شجرة الحنطة وهي التي جعلها الله تعالى في الدنيا هي طعامهم

الرئيسي عقاباً لهم { وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ } ومُلْكٍ ونعيم دائم لا ينتهي وهو ملك الجنة.

وقصة الوسوسة أنه أتى إبليس إلى باب الجنة فوجد الطاووس فوقف معه وبكى

فقال ما يبكيك قال أبكي على الخلائق فإنهم كلهم يموتون إلا من أكل من شجرة

الخلد (فهو أول من كذب في السماء) فقال له الطاووس أين هذه الشجرة قال إن

أدخلتني الجنة (حيث أنه ممنوع من دخول الجنة لمعصيته لله تعالى بعدم السجود لآدم مع الملائكة) أريتك الشجرة قال لا أقدر على ذلك ولكن أقول للحية فإنها تدخل وتخرج في خدمة خليفة الله آدم فكانت الحية يومئذ من أحسن الدواب فأتى الحية فأخبرها فخرجت الحية وتحول إبليس ريحاً فدخل بين أنيابها حتى أتى آدم وحواء فوقف وناح نياحة أحزنتهما (فهو أول من ناح أي إبليس) فقال له ما يبكيك؟ قال عليكما تموتان وتفارقان النعيم ألا أدلكما على شجرة الخلد فكلا منها وحلف لهما بأنه لناصح لهما أمين " وَقَسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ " ٢١ الأعراف. فأكلت حواء من الشجرة ثم زينت لآدم حتى أكل وظنا أن أحداً لا يتجاسر ويحلف بالله كذباً وهذه القصة وقسم إبليس كذباً فهي عظة لمن يقول ضع الفتوى في رقبة العالم وهو يعلم أنها خطأ ولكن يريد مبرراً لطلبه في الفتوى وأنه لم ينفع آدم أن يضع تلك الفتوى والقسم في رقبة إبليس فطرد من الجنة وعوقب آدم على أثر ذلك بعشرة أشياء: عتاب الله لهما - سقوط لباس الجنة عنهما - سلب النور عنهما - أخرجهما الله من الجنة - افترق آدم وحواء مائة سنة حيث هبط آدم بسرنديب في الهند وحواء بجدة وإبليس بالألياء وهي البصرة وقيل بيسان والحية بأصبهان والطاووس ببابل واجتمع آدم وحواء بالمزدلفة وتعارفا بعرفة ولذلك سميت عرفة. [هامش نزهة المجالس ج ٢ ص ١٠٢]. {فَأَكَلَا مِنْهَا} فأكلت أولاً حواء من شجرة الحنطة ثم زينت له حواء بأن يأكل من شجرة الحنطة مثلها لأنها لم يحصل لها ضرر من أكلها فأكل {فَبَدَّتْ هُمَا سَوْءَ تُوهُمَا} فظهرت عوراتهما التي كانت مختفية عن أعينهما {وَوَطَّفَقَا} وعمدا وصارا {سَخَصَفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} أي يقطفان من ورق الجنة ويغطيان بها عوراتهما وفروجهما وقيل أن الورق هو من ورق التين ولذلك من رأى في الرؤيا أنه يأكل التين فإنه سيحزن وذلك

تفسير الرؤيا {وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ} فوقع آدم عليه السلام في المعصية بعدم طاعة أوامر ربه الذي نهاه عن الأكل من هذه الشجرة في الجنة ولكنه خالفه وعصاه وأطاع إبليس وصدقه وأكل من الشجرة {فَغَوَىٰ} فأذنب وضل وأخطأ وعليه فهذه الآية رد على من قال أن الأنبياء والرسل لا يخطئون ومعصومون وهذه الآية دلت على أن الرسل يخطئون ويعصون ولكنهم لا يعصون الله في الشرك فقط فهم معصومون من الشرك فقط {ثُمَّ اجْتَبَاهُ} ثم أرجعه إليه بالتوبة {رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ} ثم تاب عليه ربه وهده بالتوبة والإنابة والرجوع إليه وطاعته وقبل توبته وألهمه الله تعالى أن يقول آدم في توبته: " قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ " ٢٣ الأعراف. قال البخاري: حدثنا قتيبة حدثنا أيوب بن النجار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (حاج موسى آدم فقال له أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم؟ قال آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه أتلومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني أو قدره الله عليّ قبل أن يخلقني) - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فحج آدم موسى). [وهذا الحديث له طرق في الصحيحين وغيرهما من المسانيد - ابن كثير ج ٣ ص ١٦٨].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني أنس بن عياض عن الحارث بن أبي ذئاب عن يزيد بن هرمز قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى قال موسى: أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس إلى الأرض بخطيئتك؟ قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء

وقربك نَجِيًّا فبكم وجدتَ الله كتب التوراة قبل أن أُخلق قال موسى بأربعين عاماً قال آدم: فهل وجدتَ فيها " وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى " قال: نعم. قال: أفتلومني على أن عملتُ عملاً كتب الله عليّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فحج آدم موسى). [ابن كثير ج ٣ ص ١٦٨]. وهنا نوضح ونفسر الحديث حتى لا يفهم خطأً وهو أن القلم كتب على آدم من الأزل من العلم في عالم الغيب بأنه سيخطئ ويعصي ربه ويطيع إبليس ويصدقه ويُطرد من الجنة وليس ذلك القدر هو غضب عن آدم وفرضه الله عليه غضباً وقهراً ولكنه علم الله الأزلي في عالم الغيب وإحاطته وعلمه بعقلية آدم بأنه سيخطئ ويعاقب بالطرده من الأزل وفي عالم الشهادة والحقيقة بعد خلقه فعلاً تحقق علم الله الأزلي في عالم الغيب بأن آدم سيخطئ وفعلاً أخطأ آدم وعصى ربه وأكل من الشجرة وليس ذلك بأمر من الله بالمعصية له لأن الله ينهى عن المعاصي وكما قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " ٩٠ النحل. وقال تعالى: " وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ " ١٠ البلد. وقال تعالى: " مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ " ٧٩ النساء. { قَالَ } قال الله تعالى { أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا } أي اهبطا أنتما يا آدم ويا حواء ومعكما الشركاء في الذنب إبليس والحية والطاووس جميعكم انزلوا من الجنة الحقيقية إلى الأرض { بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ } سيكون بعضكم لبعض عدو أنتم وإبليس وأنتم والحية وحتى ذرية آدم بعضهم مع بعض مثل قابيل قتل هابيل وإخوة يوسف ألقوه في الجب وامرأة العزيز وضعت يوسف عليه السلام في السجن وامرأة نوح وامرأة لوط مع نوح عليه السلام ولوط عليه السلام { فإِذَا مَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى } فعندما يأتينكم يا آدم أنت وزوجك وذريتك مني هدى وهي الكتب

والشرائع والنصح مع الرسل والأنبياء {فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ} فمن اتبع هداي ونصحي وشرائعي وكتبي ورسلي {فَلَا يَضِلُّ} فلا يتيه ولا يبتعد عن الصواب وعن الطريق المستقيم ولم تتفرق به السبل في الدنيا {وَلَا يَشْقَى} فلا يتعس ولا يتعب في الآخرة {وَمَنْ أَعْرَضَ} ومن تولى وذهب وأعرض وابتعد {عَنْ ذِكْرِي} عن عبادتي وتوحيدي وقرآني {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً} فإن له معيشة في الحياة الدنيا {ضَنْكًا} متعبة وتعسة وقاسية وشاقة ومرهقة {وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى} ويحشر يوم القيامة في المحشر أعمى وضريراً لا يبصر عذاباً له على إعراضه عن عبادة الله تعالى وعن ذكره وعن طاعته {قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا} سأل ربه عن سبب عماه في حشره يوم القيامة وكان بصيراً في الدنيا {قَالَ} قال الله تعالى له {كَذَلِكَ} هكذا {أَتَتْكَ آيَاتُنَا} كذلك جاءتك آياتنا ومعجزاتنا وحجتنا وبياناتنا {فَنَسِيَهَا} تركتها وأهملتها ولم تأخذ بها {وَكَذَلِكَ} أَلْيَوْمَ تُنسى} وهكذا اليوم يوم القيامة تُنسى وتُترك من الرحمة ومن البصر ومن المعاملة الحسنة والطيبة وتسلب نعمة البصر {وَكَذَلِكَ} وكذلك نحاسب ونعاقب {مَنْ أَسْرَفَ} من غالى في كفره وتكبر وجحد وأنكر وخالف وكذب بالرسول {وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ} ولم يصدق ولم يؤمن بآيات القرآن الذي نزل من عند ربه من الله تعالى ولم يؤمن بالحجج والبيانات والمعجزات من الله تعالى {وَلَعَذَابُ} الآخرة {وَعَذَابُ} الآخرة وعقاب الآخرة ويوم القيامة هو {أَشَدُّ} أقسى عذاباً من الدنيا {وَأَبْقَى} وأخذ عذاباً فهو دائم إلى ما شاء الله {أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ} أفلم يكن واعظاً لهم ورا دعاً {كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ} كم دمرنا وأهلكنا وأمتنا قبلهم

من العصور والأزمنة الماضية ومعروف أن القرن هو مائة عام من الزمن {مَمَشُونَ فِي مَسَكِنِهِمْ} أنهم كانوا في الماضي يسكنون مساكنهم ويسيروا في مساكنهم فأين أصبحوا الآن بموتهم في قبورهم وأصبحوا عظاماً نخرة {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ} إن في ذلك الموت والهلاك لحجج ودلائل وبيانات {لِلأُولَى النُّهَى} لأصحاب العقول والمتعظين ولن أراد الانتهاء والعصمة والتوقف عن المعاصي والفساد وزجر نفسه عن معصية الله تعالى وأصحاب الضمائر الحية تنفعهم الموعظة.

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۚ لَنْ نَرْزُقَكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾

{وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى} ولولا كلمة سبقت من ربك وهي رحمته بخلقه يا محمد يا رسول الله وتأخير الحساب لهم وكذلك لولا لكل أمة أجل وعمر (مسمى) أي مذکور ومحدد ومعين ومعروف لا يستقدمون عنه ساعة ولا يستأخرون (لكان لزاماً) أي لكان مؤكداً العذاب والهلاك عليهم ولكن مفروضاً ومُنْفَذاً فوراً ولكن الله يؤخرهم ويؤجل هلاكهم لعلهم يتوبون من قريب رحمة بهم. والكلمة هي قال تعالى: " وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا " ٥٨ الكهف. {فَاصْبِرْ} اصبر يا محمد يا رسول الله وتحمل وجالد ولا تغضب {عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ} على ما يقولون لك يا محمد يا رسول الله من الإنكار والجحود والتكذيب

ويقولون أنك ساحر ومرة مجنون ومرة كاهن وغير {وَسَيِّحٌ بِحَمْدِ رَبِّكَ} ونزه الله تعالى وسبحه واشكره على نعمه وعلى فضله وكرمه {قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ} أي في صلاة الفجر في الصباح قبل أن تطلع الشمس أي بعد فريضة الفجر من الفجر حتى طلوع الشمس {وَقَبْلَ غُرُوبِهَا} أي بعد صلاة العصر حتى غروب الشمس {وَمِنْ ءَانَائِ اللَّيْلِ} أي في أثناء الليل بعد صلاة المغرب والعشاء {فَسَيِّحٌ} تلك الأوقات {وَأَطْرَافَ النَّهَارِ} في النهار أوله وآخره في جميع أوقات النهار أي أن التسبيح له منزلة عند الله تعالى. وعن سمرة بن جندب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحب الكلام إلى الله أربع لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر). [أخرجه مسلم - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٧]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر). [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٦]. وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم). [سبل السلام ج ٤ ص ٢٢٤]. {لَعَلَّكَ تَرْضَى} عساك ترضى بالثواب والمنزلة العظيمة التي يعطيك الله تعالى إياها في الجنة ثواباً لتسبيحك {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ} ولا تنظر يا محمد يا رسول الله إلى ما متعنا وأعطينا ورزقنا ووهبنا للكفار من متاع الدنيا وزينتها ونعيمها {أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ} طائفة منهم من الزوجين الذكر والأنثى من الكفار {زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} زينة وزخرفاً من ملذات الدنيا {لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} لنبتليهم فيما أعطيناهم من الترف والزينة ومتاع

الدنيا {وَرَزَقُ رَبِّكَ} ورزق ربك بالحلال في الدنيا وفي الآخرة في الجنة {خَيْرٌ} أفضل {وَأَبْقَى} دائم لا ينقطع ثوابه ولا نعيمه ولا ينفد ولا ينتهي ولا يُمنع {وَأَمْرٌ أَهْلَكَ} وأمر يا محمد يا رسول الله أهل بيتك من زوجاتك وبناتك وأولادك {بِالصَّلَاةِ} بأداء الصلاة في أوقاتها الخمس {وَأَصْطَبِرَ عَلَيْهَا} وحافظ عليها {لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا} لا نسألك ولا نطلب منك رزقاً ولا ثمناً من صلاتك {لَسَخْنُ نَزْرُقُكَ} الله تعالى هو الذي يرزقك ويعطيك ويمنحك وبهبك من رزقه {وَأَلْعَقِبَةُ} والنهية الحسنة والمشرقة {لِلتَّقْوَى} لمن اتقى الله وخافه وعبده وحده لا شريك له وأطاعه فهذا له النهاية الحسنة والمشرقة بدخوله الجنة والنجاة من عذاب الله تعالى يوم القيامة.

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَّذَلَ وَنُخْزَى ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا ط فَسَتَعْلَمُونَ مَن أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٥﴾ ﴾

{وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ} وقال الكفار والمشركون أفلا يأتينا محمد بمعجزة من ربه حتى نصدقه إن كان رسولاً حقاً كالأنبياء والرسل السابقين {أَوَلَمْ تَأْتِهِم} فيكذبهم الله تعالى ويكذب دعواهم قائلاً أفلم تأتهم {بَيِّنَةٌ} حجة ودلالة ومعجزة وعلم {مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى} ما ذكر في الكتب الأولى من المعجزات التي أرسلت للأقوام الذين سبقوهم ولم يؤمن بها هؤلاء الأقوام السابقون وكذبوا بها كما قال تعالى: " أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ

وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ " ٧٠ التوبة. فموسى عليه السلام كانت العصا معجزة له وفتق بها البحر فكذبوه وعبدوا العجل. وإبراهيم عليه السلام عندما ألقى في النار وكانت عليه برداً وسلاماً فلم يصدقوه واستمروا على عبادة الأصنام ونوح عليه السلام بالسفينة كذبه قومه ولم يصدقوه ومنهم ابنه الذي قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء فكذب والده ولم يصدقوه وقوم صالح أخرج لهم الناقة من الصخرة بناءً على طلبهم فكذبوه وعقروا الناقة وعيسى عليه السلام طلبوا منه المائدة فأنزلها عليهم وبعد أن نزلت وأكلوا منها كذبوه وحاولوا صلبه فهؤلاء قومك يا محمد يا رسول الله لم يتعظوا من السابقين رغم أنها موعظة لأولئك الأقسام السابقين ولمن يأتي بعدهم فهم كأسلافهم يكذبون المعجزات ولا يصدقونها ولو أرسلنا إليهم معجزات فلن يؤمنوا بها { وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ } ولو أنا أهلكناهم بعقاب الصواعق والزلازل أو الرجم { مِّن قَبْلِهِمْ } من قبل نزول القرآن ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم { لَقَالُوا رَبَّنَا } لاحتجوا وقالوا ربنا وإلهنا { لَوْلَا } أفلا { أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا } بعثت لنا رسولاً { فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ } فنتبع آيات قرآنك { مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِّلَ } من قبل أن نُنزل علينا العذاب ونُقهر { وَنَحْزِمَ } ونفتضح في العذاب في جهنم { قُلْ } قل لهم يا محمد يا رسول الله { كُلُّ مُتَرَبِّصٍ } كل منتظر ما مصير الآخر { فَتَرَبِّصُوا } فانظروا حتى تروا العاقبة والمصير { فَسَتَعْلَمُونَ } مَنْ أَصْحَابُ } من أهل { الصِّرَاطِ السَّوِيِّ } الصراط المستقيم { وَمَنْ أَهْتَدَى } ومن هو الذي اهتدى إلى الحق والرشاد والصراط المستقيم وهو دين الإسلام.

جاء في الحديث: (يرتفع القرآن في الجنة ما عدا سورة (طه ويس) وأول من يقرأ داود عليه السلام. ويقول تعالى: أحبابي ما تحبون مني؟ فيقولون: صوت داود. فيقول الله تعالى: يا داود اتل على أوليائي كلامي. فيقول: (بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين) فيطربون وفي وراية يطيرون مائة عام. ثم يقول الله تعالى: أتحبون كلامي مني؟ فيقولون: نعم. فيقول جل جلاله: (أنا الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن) فيتيهون في الملكوت ألف عام. وسورة الرحمن هي عروس القرآن الكريم وفي مرة أخرى يقرأ داود الزبور بصوت حسن. ثم محمد صلى الله عليه وسلم يقرأ (طه ويس) بصوت أحسن من داود سبعين ضعفاً، ويتكلم سبحانه سورة الأنعام فيطرب القوم وتتمايل الأشجار والقصور ويهتز العرش ويكشف الحجاب عن وجهه فيقول: (يا عبادي من أنا؟) فيقولون: أنت ربنا. فيقول: (أنا السلام وأنتم المسلمون يا ملائكتي قدموا لهم النجائب) فيقدمون لهم نجائب غير التي قدموا عليها فيركب الرجال على خيل بلق أجنحتها خضر والنساء على نجائب أقتابها من ذهب ثم يدخلون (سوق المعرفة) فيسأل بعضهم بعضاً أين أنت (يا فلان) فيقول أسكن الفردوس ويقول الآخر في جنة عدن ويقول الآخر في جنة الخلد والآخر في جنة المأوى على اختلاف درجاتهم. [نزهة المجالس ج ٢ ص ٢١٧].

فهرس أءءء الثاني

الموضوع	الصفءة
تفسير سورة الأءرف (٧)	١
تفسير سورة الأئفال (٨)	١١٧
تفسير سورة التوءبة (٩)	١٦٩
تفسير سورة يؤنس (١٠)	٢٧٠
تفسير سورة هوء (١١)	٣٣٠
تفسير سورة يؤسف (١٢)	٣٩٢
تفسير سورة الرءء (١٣)	٤٥٧
تفسير سورة إءراهيم (١٤)	٤٩٠
تفسير سورة الحجء (١٥)	٥٢١
تفسير سورة النءل (١٦)	٥٥٩
تفسير سورة الإسراء (١٧)	٦٢٧
تفسير سورة الكهف (١٨)	٧١٤
تفسير سورة مرءم (١٩)	٧٩٥
تفسير سورة طه (٢٠)	٨٣٦